محمد أمين بوغرا

تاريخ تركستان الشرقية

ترجمة

محمد قاسم أمين



محمد أمين بوغرا

تاريخ تركستان الشرقية

ترجمة

محمد قاسم أمين



ح) محمد أمين بوغرا ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بوغرا ، محمد أمين

تاريخ تركستان الشرقية / محمد أمين بوغرا ، محمد قاسم

تركستاني – مكة المكرمة ، ١٤٢٩هـ

٢ مج

ردمك : ٥ – ٠١٢٥ – ٠٠ – ٦٠٣ – ٩٧٨ (مجموعة)

٩ – ٠١٢٧ – ٠٠ – ٦٠٣ – ٩٧٨ (ج ٢)

أ – تركستان الصينية – تاريخ تركستاني ، محمد قاسم (مترجم)

ب – العنوان

ديوي ٩٥٨,٤ ١٤٤١ / ١٤٢٩

رقم الإيداع : ١٤٤١ / ١٤٢٩

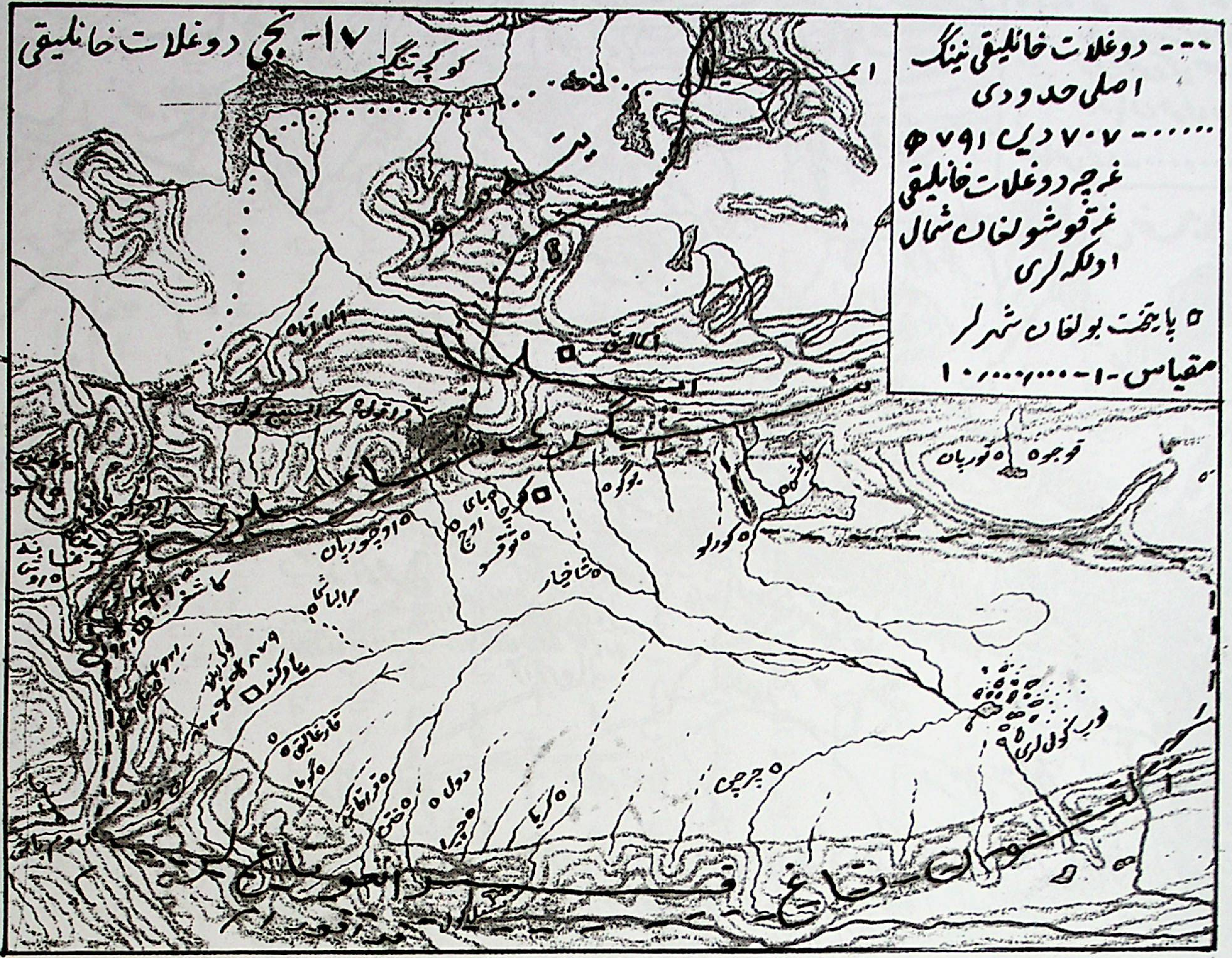
ردمك : ٥ – ٠١٢٥ – ٠٠ – ٦٠٣ – ٩٧٨ (مجموعة)

٩ – ٠١٢٧ – ٠٠ – ٦٠٣ – ٩٧٨ (ج ٢)

بسم الله الرحمن الرحيم



محمد أمين بوغرا نوروجى ، ١٩٤٨
نائباً لرئيس الحكومة



١٧- نجی دوغلات خانلیقی
--- دوغلات خانلیقی نینگ اصلی حدودی
...... ٧٠٧ دین ٧٩١ ﻫ غچه دوغلات خانلیقی غه قوشولغان شمال اولکه لری
ﻫ پایتخت بولغان شهرلر
مقیاس ١ - ١٠,٠٠٠,٠٠٠



المؤلف محمد أمين بوغرا بن الحاج فريد الدين

١٩٠١م - ١٣١٩هـ
١٩٦٥م ــ ١٣٨٥هـ

ولد المؤرخ السياسي المجاهد القطب فريد عصره السيد محمد أمين بوغرا[١] عام ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠١م في قصبة أويباغ من محافظة قراقاش ، أولى محافظات ولاية خُتان . وكانت ولم تزل محافظة قاراقاش أثرى وأغنى محافظة علما وأدبا وتجارة ونماء ، حيث إن قاراقاش بمثابة محافظة آرتوج من ولاية كاشغر . وتشكل قراقاش بوابة إقليم خوتان ، ونحن نكتب خوتان حسب تصحيح الأستاذ الدكتور عبدالقادر طاشلها أخيرا ، حيث كنا نكتبها (خُتَن) قديما في المستندات وكتب التاريخ كانت إخوة سيدنا محمد أمين بوغرا خمسة ، أربعة منها أبناء وبنت واحدة وهم أي الأبناء : محمد أمين آخونوم ، صاحب الترجمة ومحمد شريف آخونوم وعبدالله آخون مخدوم ونور آخون مخدوم . توفي والدهم الحاج فريدالدين عنهم وهو لا يتعدى الرابعة والأربعين وهم غلمان دون عهد الشباب ، فقامت والدتهم الفاضلة الفقيهة بتربيتهم تربية صالحة وعانت فيها معانات لا تحيد في مثل هذه المهمة الواجبة عليها نحو أبنائها البررة الكرام ، ونجحت في هذه المهمة نجاحا باهرا . وكان والدهم الحاج فريدالدين عالما كريما بل علما من أعلام الإسلام في زمانه ، وقد تخرج على يديه نخبة من العلماء الأفاضل الكرام في إقليم خوتان وقتذاك. درس السيد محمد أمين بوغرا لدى والده منذ صباه وواصل تعليمه بعد وفاة والده ، تحفه والدته وتحثه وتعتني به وبأخوته ، وعند بلوغه الرابعة والعشرين من عمره نال قصب السبق على أقرانه الزملاء ، حيث أصبح عالما فذا وفقيها ضليعا لا

---

[١] ــ انظر: كتاب الأعلام لبعض رجالات تركستان لمؤلفه الأستاذ محمد قاسم أمين باب الميم .

يدانـيه من سبقه ولا من بعده في جميع العلوم الإسلامية تفسيرا وحديثا وفقها وأصولها وأدبا ، ماهرا في الألسن واللغات الحية عربيها وفارسيها ، وإماما في لغـة قـومه ومـرجعا فيها جميعا. وكان أول ما باشره في العمل التدريس في مدرسـة داملا حضرتم في مدينة قارقاش ، وبعد مدة وجيزة استدعاه علماء مديـنة خوتان إيلجا إلى زمالتهم في التدريس بمدرسة دار الخليفة واستجاب لـذلك. وبعـد فتـرة تغير الحال في أوساط علماء زمانه في مدينة خوتان حاضرة الإقليم المبارك في أن طالب الأمس علت مترلته ومقامه في دور العلم والبـيان حيث كان يقضي ساعات نهاره بين أربع مدارس في المدينة أي مدينة خوتان وعمره لم يتعد الخامس والعشرين ، يفوقهم علما ودراية منقطع النظير، ومـن ناحـية أخرى كانت مجالس درسه في كل من المدارس الأربعة غاصة بالتلامـيذ يتهافـتون عليه منذ الصباح الباكر إلى غسق الليل، فرموه بالفتن والغوغاء الكلامية حسدا منهم عليه ن فسحبه داملا حصرتم من مدينة خوتان العاصـمة إلى مسقط رأسه قراقاش التي ازدهرت وازدحمت بطلاب من كل حدب وصوب . وبعد عام ١٩٢٥م تمخض في ذخنه القيام برحلة استكشافية إلى سائر ولايات تركستان الشرقية ، وكان به إلمام لبعض المناطق حيث سافر مـع أخـيه محمد شريف آخونوم حين مرض الأخير بمرض خطير، سافر معه محمـد أمين بوغرا حضرتم لتدويه في مدينة قراشهر حيث توفي السيد محمد شـريف آخونـوم فيها. وكان أخوه السيد محمد شريف المتوفى وباقي إخوته حذوا حذوه في العلم والأدب . عزم السيد محمد أمين بوغرا صاحب الترجمة تـرحاله إلى كل ولايات البلاد وعددها عشرة ولايات مارا بكورلا وطرفان وبكـور وقراشـهر وتوخسونفمدينة أوروجي العاصمة حتى وصل إلى مدينة جوجك الولاية أقصى الولايات شمالا ، حيث التقى فيها بالشيخ مراد رمزي ثم المكي ، وهو والد الدكتور فهمي رمزي صاحب أول صيدلية في تاريخ مكة

الكرمة[٢] . وكان الشيخ مراد رمزي تتاري الأصل من مدينة قازان هاجر إلى آستانة ثم إلى البلاد المقدسة وأقام فيها . وفي العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي هاجر إلى تركستان الشرقية وأقام في مدينة جوجك إقامة دائمة، وكان عالما ومؤرخا ضليعا وله كتاب (تلفيق الأخبار) في تاريخ الترك والتتار.

ولعل إرادة الله جلت قدرته أراد أن تكون رحلة السيد محمد أمين بوغرا هذه وفي عز شبابه فتحا لباب الجهاد في سبيل الله، حيث أخذ أكثر علوم وحيثيات الجهاد الإسلامي منشيخه هذا مراد رمزي بك ، والتقى في رحلته هذه بفضيلة الشيخ ثابت داملا كمالي الأرتوجي الغازي الشهيد حيث صب محمد أمين بوغرا ما في جعبته من اليقين الجازم للجهاد في سبيل الله لتحرير شعبه من براثن الصين الجائرة فهؤلاء القمم الثلاثة هم أركان الكفاح والنضال الإسلامي . فوادعهم السيد محمد أمين بوغرا إلى اللقاء في أتون المعارك الإسلامية . ولعه حفز الشيخ ثابت الكاشغري للتجوال في سائر بلاد الإسلام غربا من مثل آستانة ومصر الكنانة وبلاد الرافدين والشام وفلسطين والحجاز مارا بالهند العظيم حتى يكون المحط الأخير للشيخ ثابت إقليم خوتان الباسلة ، وهي العرين لأسود الجهاد الإسلامي . فحج الشيخ ثابت بن عبد الباقي الكاشغري حجتين في عامي ١٣٥٠ و ١٣٥١هـ ، وكان وصوله إلى ولاية خوتان الباسلة في شهر رجب وأمضى صوم رمضان عام ١٣٥٢هـ يعظ ويدرس آيات الجهاد وفضائله في ليالي رمضان المبارك ، ثم أعلنوا الجهاد في سبيل الله يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر شوال، بدؤوه بهجوم مباغت على محكمة الحاكم الصيني بمدينة خوتان عصرا، ونجحوا في إبادة من فيها من

---

[٢] – كان ذلك في الستينات من القرن المنصرم الهجري ، وكانت الصيدلية على يسار الداخل إلى محلة أجياد بمكة المكرمة ، وكان لها الصيدلي الشهير منهاج الدين مخدوم والد الشيخ مجيدالدين المخدوم القاضي .

الصينيين وصلوا صلاة المغرب في داخل المحكمة (دار الحكم الإسلامي) ، ثم زحفت القوات الإسلامية إلى مدن قوما وقارغليق وياركند حتى وصلوا إلى ولاية كاشغر حصن الإسلام المنيع في أقرب وقت ممكنة فاتحين ومظفرين ومنتصرين ، وكانت الجموع المهاجمة بقيادة الأخوين الشقيقين للسيد محمد أمين بوغرا ، وهما السيدان عبدالله آخون مخدوم ونور أحمد آخون مخدوم . وقد بايع أهالي خوتان للشيخ محمد نياز أعلم آخونوم القاراقاشي مرجع الفتاوي الشرعية ملكا على البلاد . وكان السيد محمد أمين بوغرا حضرتم قائدا عاما للجهاد المقدس بصفة عامة ، وكان الشيخ ثابت داملام الكمالي في صحبته مشاورا له ، ولكن الأخوين الشقيقين عبدالله ونور أحمد اشتشهدوا في مدينة ينكحصار إحدى محافظات ولاية كاشغر واحدا بعد آخر ، تغمدهما الله برحمته ورضوانه . وكانت الحرب سجالا بيننا وبين الكفر في السنتين ١٣٥٢ - ١٣٥٣هـ ولم تكن الثورة تلك ثورة ولاية خوتان فقط ، وإنما كانت ثورة عارمة في جميع الولايات العشر من أدنى البلاد إلى أقصاها ، وكانت البيعة التامة للسيد خوجة نياز حاجم الثائر القمولي الباسل . وفي عام ١٩٣٣هـ تغيرت الأحوال في صفوف المجاهدين المناضلين الأحرار ودب الخلاف بينهم بسبب وجود عناصر دخيلة أمثال فئة التونكان المسلمين الصينيين المستوطنين والمهاجرين الأزبك وعناصر الروس الالبيض الهاربين من روسيا أثناء ثورة أكتوبر عام ١٩١٤م و ١٩١٧م واللوبي الصيني المنشق الهارب (ماجونغ ينغ) بفلوله المتناحرة السفاكة المرتزقة ، وبسبب دسيسة روسيا المتآخمة لنا ، حيث انفصمت عرى ترابط ثورتنا الباسلة ، وبالتالي سقطت حكومة تركستان الشرقية الإسلامية التي شكلها المجاهدون عام ١٩٣٣هـ برئاسة الشيخ ثابت داملام الكمال والقائمة مؤقتا في ولاية كاشغر ، وكانت الحكومة الصينية في تركستان الشرقية برئاسة شين سي ساي تدعم من الإتحاد السوفيتي ، فترك

السيد محمد أمين بوغرا بلاده مهاجرا إلى أفغانستان عن طريق منطقة لاداخ بالهند فكشمير ثم كابول عن طريق بشاور . وكان السيد محمد أمين بوغرا في كابول في أوائل عام ١٩٣٥م وكان بمعية سيادته في هذه الهجرة زوجته وأفراد أسرته وحرسه الخاص والأمناء المخلصين من رجاله الكرام . وكان يترقب عونا من الله ودعما من شباب الأفغان سنين عديدة حسب وعودهم له ، وهم يخططون للنزول إلى البلاد من معبر جبال بامير ، وسيادته ينتظر أسلحة قيلت تصله ولم تصل .

ومرة تقدم مع فلول رجاله المخلصين إلى منحدرات جبال بامير شرقا وذاق أمرين في زمهرير الشتاء القارس شهورا عدة ، ثم عرف عدم جدوى هذه الطريقة فرجع إلى مدينة كابول ، وألف كتابه تاريخ تركستان الشرقية هذا وأتمه عام ١٩٤٠م وطبعه في بلدة كشمير عبى يد تلميذه الشيخ محمد قاسم الخوتاني . وفي عام ١٩٣٦م أرسل أحد مرافقيه وآخر معه إلى مدينة خوتان لدى المحتل التونكاني ماخوسان وإقليم خوتان تحت احتلاله ، أرسلهما يعرضان على ما خوسان مشاركته في حكم بلاده ، والأخير وافق العرض بصدر رحب وقال : نقبله سيدا وإماما لنا في بلده وأهله ، فعاد رسوله هذا واسمه شير على خان حاجم[٣] بالموافقة والترحيب إلى كابول عن طريق تيبت وكشمير وبشاور في أوائل عام ١٩٣٧م ، ولكن الأحوال تغيرت حيث إن شين سي ساي هجم على ماخوسان وفلوله في إقليم خوتان، وكان بجانب ماخوسان ما يزيد عن ستة آلاف جندي ، وكان الهجوم هذا عقب هرب الجنرال محمود محيطي القائد الإسلامي من ولاية كاشغر إلى بلاد الهند عبر هضاب جبال كشمير في شهر أبريل عام ١٩٣٧م ، الأمر الذي فوت على السيد محمد أمين بوغرا العودة إلى بلاده خوتان.

---

[٣] ـــ جنابه استوطن المدينة المنورة وأقام فيها وعاش حتى عام ١٩٩٠م حيث توفي فيها ودفن بالبقيع الغرقد.

وبعـد أن أقـام السيد المناضل في كابول بأفغانستان ثمانية سنوات كاملة انتقل إلى الهند وأقام في بشاور، والتقى بالسيد عيسى يوسف ألبتكين ، وأراد أن يصدر جريدة يلبغ بها العالم بما ألم بقومه ، ولكن الوقت لم يساعده حيث إن الحرب العالمية الثانية في أشد ضراوتها واشتداد قسوتها المهلكة، فضلا عن ذلك اقتقلته حكومة الإنكليز احتياطا لكون السيد رجل ثورة تجب حمايته، فاخترح له السيد عيسى يوسف أن يرحل إلى داخل الصين ورحبت به الصين، وكان ذلك الوقت متسعا لحركة النضال بالقلم وهناك زميله الدكتور مسعود صبري آياكـوزي . فأعطت الإنكليز الاختيار لسيدنا في أن يبقى في هذا الوضع أو يرحل إلى داخل الصين ، فكان سيدنا في داخل الصين في أواخر عام ١٩٤٢م ، فاجـتمع ثلاثـتهم في حركة نضال وجهاد قلم والجرائد والمحاضرات بغية الـتفاهم مـع حكـومة جانغ كاي شنغفي تحرير تركستان الشرقية المسمى سنكيانغ منى قبل الصينيين .

وفي عـام ١٩٤٤م تخلى شين سي ساي عن حكومة أوروجمي بتكليف من كـاي شـنغ ، وقد انقلب شين ظهرا لسيده ستالين . وكان شين سي ساي يهـرب مـن أوروجمي ، وعند أول بادرة من ثورة ولايات الثلاث غولجا ، جـوجك ، آلتاي تزحزحت أوتاد خيمة جنا غ كاي شنغ في أوروجمي حيث داهمـتها جـيوش الثورة الشمالية بقيادة على خان توره وأحمد جان قاسمي. وتـضايقت قـصعة أوروجمي من احتواء كاي شنغ وفلوله ، وكاد أن تنفلت البلاد المسلمة من قبضة كاي شنغ ، فرمي الأخير نفسه إلى أقدام الثلاثة لتبقى أوروجـي ، وقد كتب وكيل كاي شنغ وهو جانغ بو جانغ في كتابه (شمال غـرب الصين في خطر) حيث يقول : "بقيت لنهاية حكومتنا أو لوجودنا في

شنجيانغ مائة وواحد كيلومترا فقط"[٤] . فقامت حكومة أوروممجي برئاسة جانغ بو جانغ وعضوية ثلاث من زعمائنا وثلاثة من حكومة الولايات الثلاث منهم أحمد جان قاسمي ، ولثلاثتنا وزارات متقدمة . وأعنت هذه الحكومة المبادئ العامة ذو إحدى عشر مادة التي تعرضت لألاعيب الصينيين ، ثم قامت الحكومة برئاسة الدكتور مسعود صبري آياكوزي ، وكان عيسى يوسف ألبتكين في سكرتارية الحكومة ، والسيد محمد أمين بوغرا وزيرا للإنشاء والتعمير حتى عام ١٩٤٧م ثم تولى رئاسة الحكومة برهان شهيدي التتاري الأصل وهو الذي سلم حكومة أوروممجي للمحتل وانغ إن ماوفي أكتوبر عام ١٩٤٩م . وقبل هذا التاريخ انسحب كل من السيد عيسى يوسف ألبتكين والسيد محمد أمين بوغرا إلى ولاية كشمير الهند برجال وافر من الكتاب والشعراء الأكاديميين . وكان السيد محمد أمين بوغرا في تركيا العاصمة أنقرة عام ١٩٥٢م مهاجرا وأكاديميا قديرا في العلم والتاريخ ، وكلفته حكومة تركيا أن يتولى تدريس التاريخ واللغة في جامعة أنقرة وكان بها . وقبل ذلك اشترك في عدة مؤتمرات إسلامية في كراتشي وبغداد والهند، وأسس في القاهرة مجلة (ملي تركستان) برئاسة تحريرها الأستاذ محمد أمين إسلامي عام ١٩٥٢م . ونمي إلى علمه أن مؤرخا أكاديميا من رجال الصين[٥] شكك في تاريخ وجود الأتراك الأويغور في منطقة سنكيانغ منذ القدم ، فرد عليه السيد محمد أمين بوغرا وأدمغ قوله بحجج ثابتة مرة ومرتين وتغلب عليه في المرة الثالثة وأسكته. توفي رحمه الله في مدينة أنقرة عام ١٩٦٥م ووري جثمانه في مقبرة عظماء الأتراك . اللهم أحسن عاقبه وأجزل له بالحسنى وزيادة . وإن

---

[٤] ــ يقصد به وصول جيش التحرير زاحفا من الولايات الثلاث الشمالية إلى كبري نهر مناس تبعد عن أوروممجي العاصمة بمائة وواحدكيلومترا وكادت هؤلاء الجنود أن تداهم منطقة أوروممجي عام ١٩٤٥م.

[٥] ــ هو الكاتب المؤرخ الصيني لي دونغ فانغ ، المجادلة كانت في أن التركستانيين أتراك أم غير أتراك؟ وللسيد بوغرا في هذه المجادلة كتاب اسمه (جهاد القلم) وفيه مقالات لي دونغ فانغ وردود بوغرا دامغة .

السيد محمد أمين بوغرا صرف نشاطه في إدارة الصحف والمجلات في داخل الصين وفي بلاده التركستان وفي تركيا ، وأسس صحفا ومجلات في كل من الهند منطقة كشمير وفي القاهرة مثل (أخبار المهاجرين) ومجلة (ملي تركستان) في القاهرة ، وكان في تحرير وإصدار مجلة (آلتاي) في جونغ جنغ[٦] فيما بين الأعوام ١٩٤٣- ١٩٤٥م ، وجريدة (أرك) في أوروومجي فيما بين أعوام ١٩٤٦-١٩٤٩م ، ومجلة (تركستان آوازي) باللغتين التركية والإنكليزية في عامي ١٩٥٦ــ ١٩٥٧م في أنقرة . وكان يكتب في مجلة (صوت تركستان) في إسطانبول ، وله آلاف المقالات وعشرات المحاضرات في مختلف الأقطار العربية والإسلامية. وهو أول من كتب موسوعته التاريخية هذا في شئون تركستان وشجونه ، وله قصائد حماسية وطنية باللغات العربية والفارسية وبلغة قومه التركية حيث له ديوان (القصائد الوطنية) وكتاب أوبرا درامية بعنوان (قوتلوق توركان) وله كتاب (الفتوحات العربية في أقاليم الترك) و (المجادلات الحربية في تركستان الشرقية) و (قصائد الحرمان في بلاد الغربة) وله الجزء الأول لترجمة كتاب (تاريخ رشيدي) لمحمد رشيد دوغلات ، وهو كتاب تأريخ للدولة السعيدية ، كان تأليف الكتاب باللغة الفارسية في كشمير . وللسيد بوغرا جزلاء نافذة ومؤثرة أكثر الله مثوبته في حسناته إلى يوم القيامة .

٦ ــ ولاية في وسط الصين كانت عاصمة لكاي شنغ منذ عام ١٩٣٧م

تقريـــظ

إن هذا الكتاب النفيس للمجاهد الوطني المتفاني السيد الفاضل المحترم محمد أمين حضرت في تاريخ تركستان الشرقية لكتاب قيم لم يوجد مثله حتى اليوم وهي هدية وبشارة سارة لأمة تركستان المجاهدة ونبراس لهذه الأمة الوفية . ومن البداهة القول بأن مثل هذا المؤلف بكل مضامينه ومحتوياته الثرة لا يمكن أن يأتي إلا بسعي وجهد يصعب تحملها من شخص واحد . هل الهدف من تحمل هذا المشاق والتعب إظهار فضل واكتساب شهرة؟ حاشا لله وكلا ، حيث إن المؤلف قد أمضى أياما وأسابيع وشهور أو سنين وأحيا وأظهر تلكم الأحداث الغابرة بعدما جمعها ورتبها ونسقها على صفحات هذا الكتاب وقدمه لأمته بدافع من إيمانه العميق وعشقه لوطنه وهموم أمته التي تملكت كيانه . وقد زين بهذا العمل العظيم تاريخ أمته المجيدة وهو بعيد كل البعد عن هوس الشهرة والغرور .

وإن فضيلته قد عرف بحسه المرهف وتأملاته العميقة أن أي شعب جهل تاريخه يجهل أصله ونسله ، مثل أي فرد إذا لم يتذكر الأحداث الماضية في حياته الشخصية فلن يستطيع تحقيق شيء ، لذلك لا يمكن لأمة في حياتها الاجتماعية أن تفهم أي حدث قومي وتحللها من غير تاريخ . وتأتي أهمية الأحداث الماضية ليس من جهة كونها حدث ماضي ، وإنما من جهة أثرها الكبير على حياتنا الحالية والمستقبلية .

وإن من أهم عوامل نهضة أمة من الأمم ومعرفته لنفسه توافر مؤرخين من هذه الأمة ، كما أن أعمالهم العظيمة التي تحير العقول معلوم من التاريخ . وإن مصير أمة ليس لديها تاريخ ماضيها ستكون غامضا ومقلقا بين ظلام الماضي من جهة والمستقبل

المجهول من جهة أخرى، إذ أن قضايا ومشاكل أي أمة لا تحل إلا بالاستفادة من دروس الماضي والاعتبار من أحداثها.

ومما لا شك فيه أن العهود المزدهرة في تاريخ أي أمة ، والدول الكبرى التي أقاموها وجهادهم الباسلة وتاريخ أجدادهم المجيدة تكون عاملا مؤثرا في ارتقاء بمعنوياتها وتقدمها الحضاري .

فإن هذا المؤلف القدير بعلمه الغزير وثقافته العالية الواسعة وضع نصب عينيه آمال وتطلعات هذا الشعب فعكف على تأليف هذا الأثر القيم ولم يأل جهدا في سبيل ذلك ولم يأبه بالعوائق والعقبات ، فحقق بذلك أهم الواجبات القومية .

وبعد فإنني بمناسبة نشر هذا الكتاب أتقدم بخالص التهنئة كل مواطني بلدي العزيز وأرجو منهم أن يقرؤوه ليس قراءة من يقرأ قصة من قصص الماضي ، وإنما أرجو أن يقرؤوه قراءة معتبر يتوقف عن الانتهاء من كل فصل وباب مفكرا في قضية وطنه المسلوب وأمته المكلومة وهمومها .

ميان حسن خان الياركندي

عميد دار المعلمين بكابل

بتاريخ ١٥ \ ١٢ \ ١٩٤٠م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

المقدمة

إن إقليم تركستان الشرقية والغربية التي عرفت بهذا الاسم في الوقت الحاضر حسب الاصطلاح العصري ، هي مهد الأتراك قديما ، وأنها وعلى كل حال تقع في آسيا الوسطى بلغت غاية من الأهمية. ومنذ الموغل في القدم من الأزمنة قبل التاريخ كانت تلك البلاد مهدا للأتراك وبلدا لهم بدون منازع . وقد خدمت هذه البلاد بين فلول البشرية على العالم أجمع بجانب خدمتها الحضارية منذ القدم .

وقد أورثت هذه البلاد ورجالها الأفذاذ منذ القدم كثيرا من التراث القديم والجيد حتى في العصر الأولى والمتوسطة والأخيرة على حد سواء. وإن مجامع تلك الديار سطرت وجودها وتاريخها عبر كثير من الإسناد يشهد عليها التاريخ ، ومع الأسف في العصور الأخيرة تدنت مفاهيم أهاليها الفكري حيث بقيت أسيرة وذليلة نتيجة هذا التدهور الفكري البغيض .

في حين أن إمكانيات هذه الأمة وثرواتها مع فقرها وجهالتها سخرت لصالح المغرضين والمتربصين بها من الأعداء كأنها ضحت بها لصالح الآخرين ، وبالتالي تعرض تاريخها المجيد لأنواع من العبث والإمحاء المقيت ، ففقدت معالمها البارزة ، وأخذت مكانة تاريخهم التليد خرافات وأساطير أو ما يشبه الأساطير،

بالرغم أن تلك البلاد كانت تشكل سماء لكثير من الشموس النيرة من علماء أجلاء ، وقد برعت يراعهم بتأليف العديد من الكتب المفيدة والقيمة في علوم شتى ، غير أنهم بحكم بيئتهم المهيمنة بمجانبة ما يمت بصلة بتاريخهم تركوا أمر تاريخهم على أهواء الغير الطامسين للحق والحقيقة ، بل لم يهتموا بقليل أو كثير .

واتبعوا في تتبع أحداث آبائهم على ترهات الغير صديقا كان أو مغرضا ومعاديا ، وقالوا بمثل ما سطر الغير وألف من الكتب وما يشبه الكتب في علم التاريخ ولا سيما فب تاريخ أسلافهم الأولين وإذا طالعنا بعض الكتب مثل تاريخ رشيدي نرى بعضا من جوانب التاريخ وسوانح بعض الشيخيات لأزمنة محدودة ذات أفق ضيق يمت بصلة للتركستان والتركستانيين، غير أنه لا يشفي الغليل .

وعندما ننظر إلى تواريخ إيوان الفرس وحوليات الصين وبحكم أنهم أمضوا وقتا كبيرا في عدائهم لنا ، برغم كثافة المعلومات عن تركستان والتركستانيين في كتبهم وحولياتهم نرى نقمة القلم الجائر علينا بشكل سافر ، وتصب من إطار منحاز على قنوات البغض والكراهية حينا ، والهيمنة البغيضة المتربصة حينا آخر ، فلا يمكننا الاعتماد على كل ما كتبوه وسطروا في تواريخهم وحولياتهم المتعاقبة المتتابعة ، حيث إن جوهر نظرة العين البغيض لا يختلف عن مثيله في الشرق لنظيره في الغرب الفرس .

وأما التواريخ الإسلامية فتعطينا معلومات في إطار الإسلام ، ومن فجر بزوغه علينا بصفة خاصة والأدوار التي مرت عليها الدعوة الإسلامية والفتوحات العربية على تلك الديار ، ولم تشمل على معلومات عامة عن تركستان والتركستانيين منذ القدم .

غير أن معالم التحقيقات العلمية عبر المستشرقين وغيرهم من الباحثين الأمريكان وغيرهم من الأوروبيين أبرزوا في دراساتهم الكثير من تراثنا وحققوا فيها بفضل العلوم العصرية مثل الجيولوجيا وأنتربولوجيا وأنتوغرافيا وأفيرافيا وأركلوجيا ، وإن التحقيقات التي أبرزوها لم تكن معلوما من قبل ولم يقل بها أحد من المؤرخين ، بل إن بعض أو جل هذه التحقيقات لم تخطر ببال أحد من قبل ، وإن تلك التحقيقات برهنت أن التركستان والتركستانيين كانت من أولى الشعوب والدول المتقدمة ، وأثبتوا ذلك في مؤلفاتهم الحديثة .

وبالتالي بات على العيان ومعلوما للجميع أن الآثار التريخية التي وجدوها في أراضينا تبرهن إن في التركستان كانت مدنية ذات شأو وشأن يرجع تاريخها إلى أبعد من عشرة آلاف سنة، وأن تلك الآثار تثبت أن تلك المدنية والحضارة في قديم الأزمنة كانت في غاية من الرفعة والسمو والشرف تعجب الباحثين أنفسهم والمنقبين قبل غيرهم .

ولكن هذه المعلومات والتحقيقات القيمة باتت في طي الكتب ألفت على غير لغتنا ، علاوة أن هذه الأسفار لا تعتبر تأريخا مستقلا للتركستان

والتركستانيين بأي حال من الأحوال ، بل إن الباحث (التركستاني) إذا اطلع على مئات من الكتب يمكنه أن يجمع معلومات تكاد

تكون كافية في تأليف كتاب في تاريخ تركستان بصفة مستقلة .

لأجل هذا نحن التركستانيون لم نحظ باطلاع على تواريخ أجدادنا الناصعة وعلى أخبار إمبراطورياتهم العظيمة التي أقاموها في غابر الأزمنة وعلى أرضها الحبيبة ولم نقف عليها .

وإن البعض يظن بأن تركستان من البلدان التي لم يكتب تاريخها بعد ، وإن بعضا آخر في تتابعهم لأقوال المغرضين فينا يقولون إن تركستان الشرقية لم تكن ذات تاريخ وشأن عرفت به حتى الآن ، وأنها متخلفة عن ركب الحضارة ، وأن شعبها لم يستحق أو لم ينل بعد شرف أمة وصاحبة مدنية تذكر ، ونقول : إنها مجرد خيال محض .

ومصيبتنا الأكبر الفظيع أن أعداءنا والمستفيدين من أعدائنا والمداهنين لهم والين ابتلوا بالأغراض لديننا من الأغيار والطامسين لتواريخنا القديمة والحديثة ، قالوا فينا إننا لم ننل من شرف وكرامة التاريخ بشيء، وليست لنا حياة مستقرة كسائر شعوب الأرض ، وإننا عشنا ولم نزل في أسر الغير عبيدا وأجراء ومتخلفون بدائيون . وهكذا يبثون الأقاويل والروايات الكاذبة المضللة ضدنا ولم يزالوا في ترويج زيغهم حتى الآن ، غير أنهم جاهلون عن

حقيقة عدم إمكانية طمس أضواء الشمس المشرقة بخرقة بالية ممزقة ، وبالرغم ذلك نراهم يتشبثون بأقوالهم الكاذبة .

وإني استنادا على هذه الأسباب السابقة أوجبت على نفسي جمع معلومات كافية وافية عن تاريخ أمتي العظيمة ووطني المقدس عبر كتابتي تاريخ هذه الأمة وتراث هذا الوطن وأقدمه لشعبي حتى يعرفوا موقعهم من التاريخ ، ويعلموا عظمة وشرف آبائهم الأمجاد عبر آلاف من السنين الغابرة ، وكان هذا الواجب على نفسي مقدسا أعتز به .

والآن في غربتي هذه في إقليم أفغانستان وفي مدينة كابول واتت لي فرصة سانحة لأستغل فراغ وقتي فيها في هذا الواجب المقدس ، فجمعت عدة كتب فيما يمكن جمعه منها القديم والحديث من المنابع التاريخية والمراجع المعتمدة ، لأجمع وأستخرج منها معلومات حول تاريخ تركستان الشرقية بعد أن استغرق الاستقراء والمطالعة واستخراج ما بها من المعالم الثاقبة وقتا يكاد يكون سنين عديدة ، ومن ثم ألفت هذا الكتاب في تاريخ تركستان الشرقية باللهجة الدارجة الآن (في ذلك الوقت) وقدمته لأمتي وبني جلدتي هناك .غير أن هذا الكتاب يبين جزءا يسيرا من تاريخ هذه الأمة الموغلة في القدم ، التي عاشت وترعرعت ونهضت بحضارات ومدنيات عبر عصورها ، حيث إنها أخذت مكانتها المرموقة بين الأقوام التركية وتربعت عرش الصدارة والسمو بسبق وإصرار حتى علت مرتبة الدرجة الأولى بين تلك الأمم والشعوب في زمانها .

وإني أقصد أن أنبه بأن هذا الكتاب ليس كاملا في تاريخ تركستان الشرقية من حيث التمام والشمول، حيث إن كتبا ألفت في تاريخ تركستان بصفة عامة ولم تحظ الكثير منها بالطبع والنشر ، فإنني عندما أقدمت على تأليف هذا الكتاب لم أتمكن من الحصول على كثير من الكتب القيمة التي تساعدني في الشمول والتمام .

فضلا عن أن الآثار القديمة التي ترشدنا إلى أصول تاريخنا وتراثنا الأمجد منذ القدم لم تزل باقية تحت الأرض ، وأن هذه المطمورة منها تشكل أكثر من تسعين في المائة من الآثار القديمة ، وهي تنتظر من يكتشفها من الجيولوجيين وعلماء الآثار وينشر تلك الكتب المؤلفة في تاريخ تركستان ، وباكتشاف آثارها المطمورة ربما تكتمل الصورة وتتسع دائرة وقواعد تاريخنا يوما بعد يوم .

ولكن إلى وقتنا الحاضر لم يؤلف مثل هذا الكتاب في تاريخ تركستان من يراع أبنائها ، لذا آمل أن يكون كتابي هذا اللبنة الأولى لدى المؤلفين والمحققين من أبناء جلدتي في قابل الأيام ، أو يكون ديباجة ومقدمة لكتب قد تبرز فيما بعد من نتاجهم .

وعن كل عجز قد يصدر أو صدر مني من قصور في محيط إقامتي (أفغانستان فيما بين أعوام ١٩٣٤م ـــ ١٩٤٢م)من حيث ضيق الإمكانيات ، وعن كل خطأ قد يوجد في الكتاب أقدم عذري لقارئي العزيز .

في تسمية الكتاب بـ (تاريخ تركستان الشرقية) نقفة وقفة ، حيث إن ما تضمنه الكتاب من أحداث تاريخية وقعت للشعوب التي تنتسب إلى الجنس التركي تحت حكم الصين اليوم ، وبجانب ذلك قد تطرق الكتاب إلى وقائع سائر الأتراك في مساحات شاسعة من مهد الأتراك بإيجاز مفيد . ومن الطبيعي أن كل اسم أي كتاب من الكتب المؤلفة وعناوين فصولها وأبوابها يعبر عن مضمون هذا الكتاب ومحتوياته الأساسية ، والاسم التي تعبر عن مضمون كتابنا هذا ما زال موضع جدل كبير في أيامنا هذه ، فحكومات الصين تسميها شنجيانغ بمعنى الأرض الجديدة أو الإقليم الجديد ، بينما تستعمل كلمة سنكيانغ **Sinkiang** كترجمة حرفية لكلمة (شنجيانغ) في الأوساط الدملوماسية في مختلف الدول . غير أن بعض الغيورين من الوطنيين الواضعين نصب أعينهم في صالح السياسة الحاضرة (وذلك حتى عام ١٩٤٠م تقريبا) أرادوا تسميتها بـ (تركستان الصينية) وانضم إليهم الملاحظون التسميات الجديدة لأقاليم تركستان الغربية مقسمة بأسماء مغايرة عن ذي قبل مثل (جمهورية قازاقستان ، وأوزبكستان ، وقرغيزستان ، وطاجيكستان ، وتركمنستان في الإتحاد السوفيتي الآن) وبالنتيجة القائلين بأن كلمة شرقية أصبحت غير مجدية في الوقت الحاضر ، ومن جهة ثانية قالوا نكتفي بكلمة تركستان فقط ليس إلا . ولكن الأكاديميين من العلماء والمفكرين من حيث كونها بلدانا يسكنون فيها أقوام تركية وتقع في أقصى الشرق من مناطق

ومواطن الأتراك يصرون ويوردون في مؤلفاهم كلمة تركستان الشرقية كاسم لهذا البلد .

ونحن نرى إن كلمة سنكيانغ وتركستان الصينية وتركستان فقط استعملت اسما لها حسب التقلبات السياسية في الداخل والخارج بالنسبة لهذا البلد ، نرى أنها أي الكلمات الثلاث غير لائقة وضعها في عنوان كتاب علمي كهذه .

حيث إن السياسات قابلة للتغير والتغيير ، بل إنها تأتي وتذهب ، والأثر الذي من طبعه وتابعه الدوام، والعلم الذي من طبعه ولوازمه النمو والترقي وسمو المقاصد والغايات لا يمكن أن تبقى أسيرة بقيود وسلاسل السياسات المتغيرة ولا يقبلها البة .

ولذا أصر تسمية كتابي بـــ (شرقي تركستان تاريخي) أي (تاريخ تركستان الشرقية) كما أبدأه بمضامين تمس وتشمل تاريخ تركستان الشرقية ، غير أن هذه التسمية يمكننا أن نعتبره تسمية جغرافية ليست لها علاقة بالسياسة ، علما أن الثوريين منا منذ عام ١٩٣٠م تمسكوا بها اسما لهذه البلاد، ولتمسكهم هذا امتعض الصينيون من هذا الاسم واعتبروه اسما سياسيا وأقاموا قيامتهم عليه وعارضوه معارضة شديدة ، ونحن نرى أن هذا الفهم لفهم خاطئ ، لأن هذا الاسم لم يوجده الثوريون ولم يوجد في زمانهم هذا ، بل إن هذا الاسم (تركستان الشرقية) استعمل منذ أمد بعيد في علوم التاريخ

والجغرافيا بصفته علما لهذه البلاد وعلما علميا لها ، إلا أن الثوريين جعلوه اسما رسميا ليس إلا .

محمد أمين بوغرا

مراجع ومصادر الكتاب

- مفصل ترك تاريخي (التاريخ المفصل للأتراك)، (باللغة التركية) لمحمد شمس الدين ألتاي ٥ مجلدات ، إسطانبول، ١٩٣٩م .
- الكـتابات الأم لتاريخ الأتراك ، قسم المدخل ، باللغة التركية ، طبع معارف وكالتي ، إسطانبول ، ١٩١٣م .
- تلفيق الأخبار وتلقيح الأسرار في أحوال قازان وبولغار وملوك التتار ، (باللغة العـربية) لمـراد رمزي المتوفى سنة ١٩٣٥م ، مجلدان . طبع في أورينبورغ ، ١٩٠٨م .
- التاريخ العام للأتراك ، لدوجيني المكتوب باللغة الفرنسية في ٥ مجلدات بترجمة حسين جاهد ياجين إلى اللغة التركية ، إسطانبول ١٩٢٣م .
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، (باللغة العربية) لمحمد خضري بك ، ثلاث مجلدات، القاهرة . ١٩٣٦م .
- شجرة الترك ، (باللغة التركية) لأبي الغازي بهادر خان المتوفى سنة ١٦٦٤م ، طبع ونشر رضا نور ، إسطانبول ١٩٢٥م .
- الفتوحات الإسلامية ، (باللغة العربية) لسيد زين دحلان .
- دول إسـلامية ، (باللغـة التركية)، وهي ترجمة خليل أدهم لكتاب دول الإسلام لساتانلي بول المكتوب باللغة الإنجليزية عام ١٨٨٩م ، طبع إسطانبول عام ١٩٢٧م .

- طبقات سلاطين ، (باللغة الفارسية) ، أربع مجلدات، وهي ترجمة العالم والأديب عباس إقبال لكتاب أنساب سلاطين المسلمين وفترات حكمهم وتواريخهم لستانلي بول باللغة الإنجليزية ، طبع طهران ، ١٩٣٤م .
- ديوان لغات الترك ، وهي قاموس عربي ـــ تركي ، لمحمود الكاشغري الذي ألفه في عام ١٠٧٤م ، ثلاث مجلدات ، طبع إسطانبول ، عامي ١٩١٧/١٨م .
- تيمورلنك ، (باللغة التركية)، ترجمة نديم وفيق لكتاب أدوارد جيبوني المكتوب باللغة الإنجليزية ، طبع إسطانبول ، ١٩٣١م .
- أسكي ترك يازيغليري ، (خطوط الكتابة التركية القديمة) باللغة التركية لحسين نامق أورخون ، ثلاث مجلدات ، طبع إسطانبول ، ١٩٣٦م .
- تاريخ أمينية ، (باللغة التركية)، لموسى آخون الكوجاري الشهير بملا سايرامي ، طبع قازان ، ١٩٠٤م .
- دائرة المعارف القرن الرابع عشر إلى العشرين (باللغة العربية) لمحمد فريد وجدي ، القاهرة ، ١٩٣٦م .
- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء (باللغة الفارسية)، لميرا آخون محمد خاوند شاه المتوفى سنة ١٤٩٨م ، وهي في سبع مجلدات طبع بومباي ، عام ١٨٠٤م .
- جامع التواريخ ، (باللغة الفارسية) ، لرشيدالدين فضل الله المتوفى ١٣١٨م ، مجلدان، طبع لندن . ١٩١١م .

- تــاريخ رشــيدي ، (باللغة الفارسية) لمحمد حيدر ميرزا دوغلات المتوفى سنة ١٥٥١م ، مخطوط ، ومعه ترجمة دنيسون إلى اللغة الإنجليزية ، لندن ، ١٨٩٥م

- تاريخ التمدن الإسلامي (باللغة العربية) لجورجي زيدان ، القاهرة ، ١٩٠٢م

- تاريخ سيستان ، (باللغة الفارسية) ، لمؤلف مجهول . ألف في عام ١٣٢٧م ، طبع طهران ، ١٩٣٨م .

- بابـــور توزوكـــي ــ بابرنامة ، (باللغة التركية) ، لميرزا ظهرالدين محمد بابر بادشاه المتوفى سنة ١٥٣٠م ، طبع لندن ، ١٩٠٥م .

- التاريخ الكامل ، (باللغة العربية)، لعزالدين ابن الأثير المتوفى سنة ١٢٣١م ، وهي في ثلاثة عشر جلدا . القاهرة ، ١٨٨٣م .

- زين الأخبار ، (باللغة الفارسية) ، لأبي سعيد عبدالحي بن ضحاك الجيرديزي ، والذي ألفه في عام ١٠٤٠م ، طبع طهران ، ١٩٣٧م .

- تاريخ بيهقي ، (باللغة الفارسية) ، لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفى سنة ١٠٧٧م ، طبع كلكته ، سنة ١٨٦٢م .

- اريخ اليميني ، (باللغة العربية)، لأبي نصر عبدالجبار العتبي المتوفى سنة ١٠٣٦ م ، مجلدان . طبع بالقاهرة عام ١٨٦٥م ، وقام بترجمته إلى الفارسية ناصح جتر فارقاني ، طبع طهران ١٨٩٣م .

- تــاريخ كشمير ، (باللغة الفارسية) ، لمحمد أعظم الكشميري،طبع سرينجر، ١٩٣٦م.

- تاريخ أفغانستان ، (باللغة الفارسية) ، أصدرته أنجمن أدبي أفغانستان ، طبع كابل ، ١٩٣٦م .
- أنسيكلوبيديا بريطانيكا ، الطبعة الرابعة عشر ، لندن ، ١٩٢٩م .
- إيران تاريخي جوغرافياسي ، (باللغة الفارسية) ، ترجمة لكتاب بارتولد باللغة الروسية، طبع ١٩٠٣م .
- تـاريخ جهانكـشائي ، (باللغة الفارسية) ، لعلاء الدين عطاء مالك جويني المتوفى سنة ١٢٨٣م ، طبع لندن ، ١٩٣٧م .
- قديم خوتن ، (باللغة الإنجليزية) ، لأورلشتاين ، أوكسفورد ، ١٩١٢م .
- سـريندیا ، (باللغة الإنجليزية) ، لأورلشتاين ،خمس مجلدات ، أوكسفورد ، ١٩٢١م.
- إيجكـيري آسيا (باللغة الإنجليزية) ، لأورلشتاين، أربع مجلدات، أوكسفورد، ١٩٢٨م.
- تـاريخ فرشته ، (باللغة الفارسية) ، لملا قاسم هندشاه ، مجلدان ، بومباي ، ١٨٣١م .
- مجمع الأنساب ، (باللغة الفارسية) ، لمحمد بن علي الشبانجرائي ، مخطوط .
- معجـم البلدان باللغة العربية ، لياقوت الحموي المتوفى سنة ١٢٢٩م ، سبع مجلـدات ، طـبع لايـبزيك عام ١٨٦٦م ، وطبع مصر في عشر مجلدات عام ١٩٠٦م .
- طـبقات ناصري ، (باللغة العربية) ، للقاضي منهاج الدين أبو عمر عثمان الجرجاني المتوفى سنة ١٢٨٨م ، طبع كلكته ، ١٨٦٤م .

- تواريخ كلدسته كشمير، (باللغة الأوردية)، بندت جورهوبال،طبع سرينجر ١٩٣٥م
- فتوحات العرب في آسيا الوسطى، (باللغة الإنجليزية)، تأليف : هـــ ، كيبب ، لندن، ١٩٢٣م.
- هونلار ، (باللغة التركية)، لحسين نامق أورخون ، أنقرة ١٩٤٩م .

الباب الأول

التاريخ العام

الفصل الأول

موجز التاريخ العام .

قــبل أن نقدم على تاريخ تركستان الشرقية أرى وجوب بيان موجز عن ماهية التاريخ؟ وبدء تاريخ الإنسان العام وتاريخ الأتراك عموما ، لأني أرى حاجة شعب تركستان الشرقية لمعرفة هذه المسائل .

ماهية التاريخ ؟

إن علم التاريخ علم في تحقيق المجمعات الإنسانية ومكانها وزمانها وكيفية حياتهم الاجتماعــية ومراتبها في صورة صحيحة علمية ، وإن علم التاريخ من أهم العلوم الإنستانية ، حيث يعرف الواحد منا على موقعه الإنساني الفصرف حسب سلالته ، ويعرف موقعه في الهيئات الاجتماعية الإنسانية ومرتبتها في الوجود الإنساني ، فضلا عــن ذلــك يعرف بهذا العلم أسباب الرقي والانحطاط وسعادتها أو شقاوتها بتلكم الأسباب.

ويعــرف به أيضا ما هي الأقوام والحوادث التي وقعت عليهم ليأخذ الواحد منا عبرة منها ، وبهذا العلم يعرف الإنسان لنفسه ولقومه وللإنسانية جمعاء طرق وتأمين مستقبلهم الحياتية السعيدة .

ينقــسم علم التاريخ إلى قسمين ، القسم الأول يبين تاريخ الإنسانية العام والتاريخ العام للأقوام والأمم المختلفة ، القسم الثاني يبين تاريخ أمة أو قبيلة أو بلد أومدينة في مكان ما من المعمورة ، أو حتى تاريخ شخص بعينه أو واقعة بعينها وما يتعلق بها من معلومات تاريخية.

نظرة إلى منابع التاريخ.

يؤخذ المعلومات التاريخية عن المصادر الآتية :

١) الروايات الصحيحة ، وعلامة صحة الرواية تستند على تواتر الروايات أو شهرتها ، ولا يكــون في مــتن الرواية اهتلافات جوهرية ، وأن يكون الراوي من أهل علم الــتاريخ أو شخصا محايدا في روايته ، وأن لا يكون مجربا عليه كذب ، وأن يكون

روايته موافقا للمصادر التالية ، وأن لا تكون الرواية مخالفا بل موافقا لمقتضيات الزمان والمكان .

٢) أن يكون الراوي عالما أو ملما بعلم الجغرافيا ، حيث إن علم الجغرافيا يأتي جنبا إلى جنب مع علم التاريخ ، وهذا معلوم لمن له أدنى معرفة بعلم التاريخ .إذ أن التجمعات السكانية وتكوينها من حيث البعد والقرب من البحر واليابسة الفلانية مثلا لا يحددها إلا علم الجغرافيا، وأن الأراضي تلك خصبة صالحة للزراعة من حيث التربة والمياه أو أن فيها ملوحة لا يصلح للزراعة ، وبالتالي النباتات والعشب الحيوانية ونتاج الفاكهة وتربية الماشية سلبا أو إيجابا يحددها علم الجغرافيا ، لأن هذه المميزات لها صلة وثيقة بحياة الإنسان وتجمعاته أينما كانت ، ولا بد من معرفة العلاقات والصلات التي كانت بين الأقوام في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكل ذلك يعرف بعلم الجغرافيا .

٣) كتب التراث والآثار دينية كانت أو أدبية أو سياسية أو اجتماعية ومنها اللغة والقواميس والمؤلفات الأدبية .

٤) آثار الصناعات القديمة .

٥) آثار المدن والقرى القديمة وأطلالها، وما بقي منها من أبنية وآبار ومطاحن ونحو ذلك.

٦) أماكن العبادة والمعابد أو الهياكل أو الكتابات محفورة كانت أو مكتوبة منذ القدم .

وكانت منابع التاريخ حتى عام ٢٠٠م الروايات المترادفة والآثار الأدبية المنقولة بالرواية المتتالية ، حيث تطورت منابع التاريخ باكتشاف المعلومات الصحيحة التي لم ترد في الروايات والآثار القديمة آنفة الذكر، وذلك من كشوفات أثرية من جراء

الحفريات لأغراض علمية بالتحقيق والتدقيق فيها ، فتدنت قيمة الروايات والآثار الأدبية إلى درجة تكاد تكون لا قيمةلها .

ونتيجة لذلك برزت إلى الوجود كثيرة من الحقائق التاريخية حديثة الاكتشاف ، والتي لم تكن موجودة من قبل ، وبالتالي وجدت كثير من معالم تاريخ الأمم السابقة ، فهـــذه التحولات المدهشة من التطور لمنابع التاريخ واكبتها تطور علم الجغرافيا وعلم الجيولوجيا وعلم الآثار ، يضاف إلى ذلك ما

تمخـــض عن سياحات علمية ونتيجة حفريات فنية وعلمية التي تنبئنا عن مختلف الفنون الأثرية في الأمم البائدة ، وبقايا صناعات أثرية مطمورة وآثار المدن والقرى في أرجـــاء المعمـــورة ، وكثرة هذه المنابع ساهمت مساهمة كبيرة في علم التاريخ ، وكذلك دخلت بعض الكتب التاريخية القديمة طائلة تدقيقات وتحقيقات مضنية .

الفصل الثاني

بداية التاريخ الإنساني عامة .

لم يتبين حتى الآن تاريخ خلق الإنسان وبدء الحياة في الأرض بيانا ثابتا ، غير أن المفكرين وعلماء التاريخ والآثار بحثوا وحققوا وسعوا مجالات البحث والتدقيق إلا أن أحدا لم يصل إلى نتيجة ثابتة .

ولقد حدد علماء اليهود أنه في عام ١٣٥٨من الهجرة يكون قد مضى على خلق آدم عليه السلام ٥٩٤٤٥ سنة ، وقرروا كذلك أن خلق الإنسان بدأت بخلق آدم عليه السلام .

وإن بعض المؤرخين المسلمين أقروا بذلك ، غير أن الأكثرية لم يقبلوا ذلك واعتبروه من الإسرائيليات المزعومة ، كما أن ما قرره اليهود لا يستند إلى دلائل ثابتة سماوية أو مروية فلا يمكن الاعتماد عليه ، وبالتالي اعتقدوا أن تاريخ وجود الإنسان على وجه الأرض من الأمور المجهولة .

وفي وقتنا الحاضر وحسب نتائج الاكتشافات والتحقيقات الحديثة وبناء على هياكل وعظام أقدم إنسان اكتشف في (جاوا) يرى علماء الآثار أن بداية الإنسان وخلقه ووجوده على الأرض كان منذ حوالي ستة مائة ألف سنة تخمينا . كما يرى علماء الآثار بناء على هياكل وعظام إنسان قديم عثر عليه في مغارات (توشوك تاش) و (أمير تيمور) في التركستان الغربية أن الإنسان عاش في آسيا الوسطى منذ ذلك التاريخ على أقل تقدير .

وتنقسم أدوار حياة الإنسان على الأرض إلى قسمين :

١ – أدوار ما قبل التاريخ .

٢ – أدوار تاريخه على الأرض .

وأدوار ما قبل التاريخ تعني الفترة التي لم يدون الإنسان تاريخ حياته على الأرض . بينما أدوار تاريخه على الأرض تعني فترة ما بعد أن شرع الإنسان في كتابة تاريخ حياته الاجتماعية ووقائعه وسوانحه ومناقبه .

وقبل مائتين سنو تقريبا من تاريخ اليوم لم يكن ما ينبئ عن أزمنة ما قبل التاريخ ، اللهم إلا ما ذكره القرآن الكريم والتوراة من قصص الأنبياء ، ومن المعلوم أن هذه القصص تعطينا معلومات عن الحالة الدينية لبعض الطوائف فقط أو لعدد محدود من الناس . ومنذ مائتي عام تقريبا نشطت حركات

الحفـريات الفنية والعلمية ، ونتيجة لذلك تم الحصول على معلومات مهمة عن الإنـسان القديم وذلك بعد دراسة الحروب وأسبابها ، وخرابات وأطلال البيوت والمـدن ، والأدوات المترلية والحياتية المصنوعة ، مما يعطينا معلومات واضحة عن الإنـسان القديم الذي عاش في مختلف بقاع الأرض وطرز حياتهم ووسائل تحضرهم ومرتبتهم في الحضارة وفترات تحضره ، كما يعطينا أيضا معلومات غاية في الوضوح عن أحوالهم الاجتماعية وأنماط معيشتهم وصناعاتهم وعلومهم .

وبهـذه الـصورة اليقينية انجلت حقيقة الروايات القديمة وتخلصت من غموضها وطلامهـا ، وبـدأ علم التاريخ يتسع ويكتشف معلومات جديدة يوما بعد يوم . والحاصل أن كل المعلومات المتعلقة بما قبل التاريخ وما كتب حولها في كتب التاريخ في هذا العصر إنما هي معلومات مأخوذة عن نتائج الحفريات والاكتشافات السابقة

عصور ماقبل التاريخ ..

إن حياة الإنسان قبل التاريخ حسبما علم من آثاره التي بيناها سابقا وأدوار حياته التي علم بصورة واضحة تقريبا تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١) عهود الأحجار المنحوتة .

٢) عهود الأحجار المسنفرة .

٣) عهود المعادن .

عهود الأحجار المنحوتة :

كان الإنسان في القديم يعيش حياة بدائية وبسيطة جدا ، وكان يصيد الحيوانات ويأكل لحومها ويستعمل جلودها كلباس يتقي بها البرد والحر ويقاتلون بعضهم بعضا ، ولـذلك كانـت حياتهم مثل حياة الحيوانات الكاسرة المتوحشة ، وللدفاع عن أعـدائهم من الناس والسباع كانوا يستعملون الأحجار ذوات حروف حادة من مثل هراوات وفئوس والمطارق، ثم صنعوا منها ما يشبه الرمح ، واهتدوا في النهاية إلى إشـعال النار بضرب الأحجار بعضها ببعض . وكانت آلياتهم التي صنعوها من الحجارة بسيطة وعادية ،وبهذه الحالة عاش الإنسان قرونا طويلة . وفي هذه العهود كـان الإنـسان يعرف تدفئة نفسه وشواء طعامه بالنار ، كما كان يعرف إضاءة كهـوفه بالليل وإبعاد السباع عنه بالنار ، وفي هذه العهود عرف الإنسان صناعة الخناجر والسكاكين وأدوات الزينة من عظام الحيوانات ، ولم يعرف يقينا بداية هذه العهود غير أن الجيولوجيون وعلماء الآثار يخمنون بداية هذه الفترة بناء على الآثار القديمة فيما بين عشرة آلاف سنة وخمسون ألف سنة تقريبا .

غير أن هذه التطورات في مختلف أدوارها لم تكن في زمن واحد ، إلا أن الإنسان القديم عمل أو قام بهذه الأعمال لمحض حاجتهم الذاتية هنا وهناك ، أو أنهم اقتبسوا بعضها من بعضهم أو تعلموها ، فهذه التخمينات ذاتها عين الاختلاف حيال تخمينهم النختلف أي تخمينات علماء الآثار والجيولوجيين.

عهود الأحجار المسنفرة :

رويدا رويدا تعلم الإنسان القديم صناعة بعض حاجاتهم من الحجر المصقول أو حجر الزند ، وكانت سنفرتهم بحك المصقول من الحجر إلى الحجر الرملي الخشن ، فأصبحت هذه الصناعات أحسن كثيرا من سابقاتها البدائية الغير المصقول ، حتى أصبحت لهم تجارة ، فهذا الدور من أدوارهم يسمى عهد الحجارة المسنفرة المصقولة .

وفي هذا الدور جرت تغيرات جذرية في حياة الإنسان من رقى وامتيازهم من حياة الحيوانات، حيث إن الإنسان في هذا الدور عرف ملكية الأرض وأخذت صور حياة الاجتماعية على شكل قبيلة وسلالة من مثل بني فلان وعلان ، وترك معظمهم الحياة الرحل، بل أخذ شكل الجمعية وصار الاتحاد مع بعضهم ، وذاقوا حلاوة المدنية أو ما يشبه المدنية من تطورات إيجابية ، وصاروا يعيشون في تجمعات هنا وهناك ويعتنون بانتمائهم بقبيلة أو نسب، ولو أن تجمعاتهم هذه في مراحلها البدائية كان سببها الأول أنهم عرفوا الزراعة وتربية المواشي واندرجوا في تأليف الحيوانات والبهائم المستضعفة من قبل الماعز والحمير والخيول والجمال ، الأمر الذي يلزمهم إلى تجمعات وتكوين قبيلة وامتلاك الأرض من حيث الزراعة والسكن ، حيث عرفوا

بناء بيوت من الأحجار واللبن ، وكانت الحيوانات الأليفة وغير الأليفة حيوانات وحشية وليس لها أرباب يمتلكونها .

أول زراعة عرفها الإنسان حبة القمح فكان أول غذاء ذو بركة تعلمها الإنسان زراعتها وأكلها بوجه عام ، ثم اكتشفوا سائر الحبوب الزراعية واحدة بعد أخرى ، ولتسهيل أمور الزراعة سكنوا على ضفاف الأنهار والبحار والعيون الجارية ومنحدرات الجبال وسفوحها ، الأمر الذي ترك لهم اختيار الإقامة على أراض صالحة للزراعة وترك حياة الرحل .

وكانت القمح والذرة والشعير وغيرها من الحبوب قبل هذه الفترة من النباتات كسائر العشب ، وفي

هذا الدور تعلم أو عرف الإنسان تأليف الحيوانات المستأنسة الضعيفة من قبل الأحصنة والحمير والبغال والماعز واستعملوها في أغراضهم الخاصة وحاجياتهم ويبيعون ويشترون ، وعرفوا مشتقات اللبن والحليب، وفي هذه الحالة أصبح الإنسان أرباب المال والضيعة وصاروا يسعونلتنمية ما لديهم من أموال وأملاك وحرصوا على محافظتها ، ولأجل هذا لزم عليهم أن يساعدوا بعضهم بعضا ويشاركوا في المحصول واعتراف حقوق الغير أو الشريك في المال ، الأمر الذي نتج عنه الحالات الاجتماعية وتشكيل تعاون لصالح الجميع .

ثم درج الإنسان إلى بناء قلاع وحصون وسور ، وكان بناء السكن فبل هذا الدور عبارة عن حجرات صغيرة من الأحجار ، وكذلك سقوفها كانت من أحجار مفرطحة ، وكان بنائهم هذا بصورة جيدة إلى حد ما ، وكانوا بيسمون هذه البيوت أو الحجرات بـــ (دولمان) ، وقد وجدت كثيرة من هذه الدولمان نتيجة حفريات في كثير من أنحاء المعمورة في زماننا هذه، وكذلك القلاع والسور القديمة المكتشفة

أكثرها بنيت بالأحجار ، غير أن هذه المكشوفات تنبؤنا بأن تلكم العمارات أو الأبنية القديمة قد تطورت بصورة جيدة في أوقات متقاربة في غير منطقة من الأرض

حيث إنهم عرفوا تدابير أمنهم من غارات بعضهم على بعض ببناء القلاع والسور ، ثم عرفوا استعمال اخشب في البنيان من حيث تسقيف بيوتهم من الخشب وبنوا غرفا واسعة وبيوتات كبيرة في العرض والطول ، وعرفوا اتخاذ الأبواب لتلك البيوت ، ثم تلاحمت هذه البيوت وتلاصقت الحجر فتكونت ما يشبه المدينة ، بل شكلت مدائن عديدة على وجه الأرض .

وحتى إلى هذه الفترة كانت آلاتهم بدائية حيث إنهم في استعمالهم الخشب كانوا يقطعونها بالفؤوس الحجرية ، وفي أمنهم وأمن مدنهم بنوا مدنا أو بيوتا عائما بحيث يعمدون إلى زرع الأخشاب والجذور بالقرب من سواحل البحار أو البحيرات ، ويبنون عليها حجرات من الخشب أيضا ويحتمون فيها ويعمدون بسحب جسورهم منها وإليها ليلا ليسلموا من الغارات الليلية ويمدون الجسور في الصباح لتنقلاتهم ، وكان في حجراتهم تلك زرائب لحيواناتهم الأليفة .

وكانت هذه المدن العائمة والبيوت أو الحجرات في السواحل من أحسن حصونهم قبل ما عرفوا بناء الأسوار ، بل كانت هذه المدن العائمة من أحسن قلاعهم في ذلك الوقت ، وكان تستحكم هذه المدن العائمة في الماء بالأوتاد الخشبية وجذوع الأشجار . وقد اكتشف علماء الآثار إسطبة على بحيرة استحكمت بأكثر من أربعين ألف وتد من جذوع الأشجار ، وكانوا يسمون هذه الاستحكامات أو البيوت العائمة بــ (قوموق) .

وإنهم في بدائيتهم هذه يقطعون الأخشاب بفؤوس من الحجر وبنوا بالأخشاب هذه المدن والقلاع العائمة في غاية المشقة ، ولكن احتياجهم وخوفهم على أمنهم جعلهم يصبرون على المشقة فاخترعوا ذلك بعد جهود مضنية وتحد للعقبات وتجاوزها .

وكلا من الجراف المصنوعة من الحجر وسيحات من الخشب وترويض البقر والحمير والجياد في أعمال زراعاتهم وعلى تحميل الحيوانات وركوبها كانت من اختراع تلكم الشعوب البائدة الموغلة في القدم .

وإننا قلنا إن المؤرخين وعلماء الاثار قسموا أدوار حياة الإنسان إلى أقسام أو عهود وقالوا بعهد الأحجار المنحوطة وبعهد الحجار المسنفرة وغير ذلك ، ولكن نرى أنهم استعملوا الأحجار المنحوطة في عهود الأحجار المسنفرة ، وذلك لقلة الموجود من الآلات من الأحجار المسنفرة وغلاء سعرها فأرغم الإنسان لاستعمال آلات الأحجار المنحوطة في عهود الأحجار المسنفرة والمصقولة ، حتى أنهم في عهود المعادن استعملوا الأحجار المنحوطة والمسنفرة حتى اكتشف الحديد .

وإن المؤرخين وإن اصطلحوا على العهود الثلاثة : عهد الأحجار المنحوطة ثم عهد الأحجار المسنفرة المصقولة ثم عهد المعادن ، إلا أن هذه التقسيمات ليست قاطعة أبدا ، بل إن هذه التقسيمات اصطلاحات علمية بتفريد كل عهد بعهده ، بحيث يفهم الباحث عنهم بأن عهد الأحجار المسنفرة يبدأ بنتهاء عهد الأحجار المنحوطة ، وعهد الأحجار المسنفرة ينتهي بها ثم يبدأ عهد المعادن ، وعهد المعادن في بداياتها لا يشمل الحديد ولو أن الحديد من المعادن ، ولكن اكتشافه كان متأخرا عن المعادن الأحرى من مثل زهرة الحديد والنحاس والفضة وغير ذلك .

عهد المعادن :

وقد عان الإنسان الأول في عهودهم السابقة كما قلنا وكانت كل آلياتهم من الحجر المنحوط والمسنفر المصقول حتى اكتشفوا الحديد ، حيث كانوا يذوقون الأمرين في تحضير هذه الآلات الحجرية وكذلك في استعمالها ، ثم اكتشفوا النحاس والذهب والفضة وبأمر النيكل قبل اكتشافهم الحديد ، وكانت هذه المعادن في خلقتها الأولى صافية غير مطحونة بالتراب ، وباكتشافهم النار استعملوا النار في تذويب هذه

المواد المختلفة واستصلحوها من الشوائب وصنعوا منها مختلف الحاجيات والأغراض المتباينة واستعملوها في صناعة الزينات لبيوقم ونسائهم ، غير أن أول من اكتشف هذه المعادن القاطنون من الأتراك في آسيا الوسطى ، ويرجع تاريخ اكتشاف هذه المعادن المذكورة لأكثر من عشرة آلاف حفنة من أيامنا هذا ، وذلك كما يأتي بالتفصيل .

كانت الفضة والحديد من المواد المخلوطة بالتراب اكتشف الإنسان طرق معالجة التصفية من المواد العالقة بها حيث صنع الإنسان من الذهب والفضة حاجيات الزية للنساء ، ومن النيكل صنعوا السيوف والرماح والسكاكين وسائر الأسلحة والعتاد الحربي وآليات أو أسباب الزراعة ، ولكن نيكل لم يكن من المواد القاسية ولذا كان الإنسان يستعملون آليات الأحجار المنحوطة أو المسنفرة المصقولة بجانب المواد المصنوعة من النيكل .

وأخيرا تقدم الإنسان أو أخذ قدمه إلى الأمام مرة أخرى في تطور قد يفيدهم ، وذلك بإذابة النيكل بشيء من النحاس فنتج عن ذلك الزنك أو البرونز ، فضنع من البرونز معظم آلياهم حيث كانت البرونز أقوى من النيكل . وفي الحقيقة يبدأ عهد المعادن بمعرفة الإنسان نتاج البرونز واستعمالها في غير شئوهم من زراعية وصناعية ومعدات حربية وأسلحة أمنية ، ثم أدوات الزينة والهياكل المجسمة .

غير أن النيكل كانت مادة قليلة وكان البحث عنها مشكلة عويصة من جهة ، ومن جهة أخرى إن الآليات التي صنعت من البرونز لا تكفي احتياجات الإنسان في ذلك ، وكذا وكما قلنا سابقا لم يستغن الإنسان من استعمال الآليات المصنوعة من الحجر المنحوت أو المسنفر المصقول حتى في عهد المعادن ، ولم يترك الإنسان هذه الآليات .

وأخيرا اكتشف الإنسان الحديد ، ولكن تصفيته من الشوائب كانت أمرا صعبا ، غير أن الحديد بالنسبة للنيكل وغيرها كان مادة صلبة ويمكن استعماله لسائر الأغراض الإنسانية ومختلف الحاجيات

الضرورية ، وإن الآلات الحربية المصنوعة من الحديد كانت حادة ، ولأن الحديد توجد في أكثر أنحاء المعمورة تغلب الإنسان وبالضرورة على الصعاب التي في تصفيته وحصل على الحديد بكمية كافية وصنع منه كل الآلات الحربية أو الدفاعية والآلات الزراعية وغيرهما من آلات وأدوات الزينة ، فاستغنى الإنسان من استعمال أدوات الحجر المنحوط والمسنفر المصقول ، ثم استعملوا الذهب والفضة والنيكل لأغراض مناسبة . وبالنظر إلى التحقيقات في في عصرنا هذا نجد أو نعلم بأن الأتراك

– أتراك آسيا

الوسطى – أول من اكتشف الحديد ، وما حصل من الحفريات والكشوفات تدل على ذلك .

ثم انتشر استعمال الحديد في سائر الفئات الإنسانية على وجه المعمورة واستفادوا منه .

وقد قسم المؤرخون عهد المعادن إلى ثلاث محاور كالآتي :

عهد النيكل ، عهد البرونز و عهد الحديد . ونحن نكتفي بهذا القدر في تاريخ الإنسان عامة بما يلزم ذكره ، ومن أراد أن يتعمق في التفصيلات الدقيقة فعليه أن يراجع المفصرت من كتب التاريخ القديمة .

الباب الثاني

خلاصة تاريخ الأتراك العامة

الفصل الأول

بداية تاريخ الأتراك.

نظـرا للـروايات القديمة عن عالم الشرق من مثل الصين والهند وإيران الفرس وكـذلك بالنظر إلى الكتب التي ألفت في تاريخ العرب والإسلام بشكل عام فإنهم يتفقون على أن تاريخ تركستان الشرقية والغربية ذو أهمية قصوى وذو أهمية بالغة عبر تلكم التواريخ عامة .

وحـسب تثبيت هذه الروايات آنفة الذكر نرى مسألة هامة ألا وهي أن المنطقة الشاسعة من بحر خزر وسهل أورال غربا ، ونهاية المعمورة شمالا ، وجزر اليابان أو بحر اليابان شرقا ، والنهر الأصفر جنوبا وسلسلة جبال همالايا وسهل قاراقورم وصـحراء جوبي أراضي تركية ، وأن هذا البساط الخضر لم يسكن فيها أحد قبل الأتراك ، وكل الروايات تجزم على أن لا سكن بها لغير الأتراك منذ القدم .

وفي التحـقيقات والاكتـشافات نتيجة حفريات علمية في عصرنا هذا تثبت تلكم البيانات التي ذكرناها وأن موجز هذه التثبيتات كما يلي :

الوطن الأم للأتراك في قارة آسيا التي تحدها غربا البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والبحر الأسود وقطعة أوربا ، وشمالا المحيط المتجمد الشمالي ، وشرقا المحيط الهادي ، وجنوبا بحر الهند ، فالوطن الأم للأتراك تقع وسط هذه الحدود للآسيا عامة

وهـي عبارة عن أراض واسعة ، ويحد حدود وطن الأتراك الأم شرقا مملكة مانجو ، وكـوريا ، وفي جـنوبها توجد أرض الصين في شكل شبه دائرة متجهة إلى المحيط الهادي ، وفي جنوبها الشرقي كل من سوماترا وجاوة وفلبين شبه الجزيرة ، ثم أرض الهـند الممتدة إلى الجنوب الشرقي من قطعة آسيا حيث تسمت بالهند الصينية ، ثم غربا شبه جزيرة الهند بشكل زاوية

حـادة ممتدة إلى بحر الهند جنوبا . ويحدها غربا الفرس ثم خليج العرب وشبه جزيرة العـرب وباديـة الشام عراق وسوريا وفلسطين ثم البحر الحمر ، وفي جنوبها بحر العـرب المـوازية لبحر الهند . وفي شمال جزيرة العرب آسيا الصغرى أنضول شبه جزيرة الأتراك ، وفي الشمال منها قطعة أوربا ، وفي اصطلاح الجغرافيين يعد أوربا قطعة مستقلة بذاتها غير أنها لم تكن قارة بعينها ، وإنما هي قطعة من قارة آسيا الممتد إلى المحيط الأطلسي تحدها جنوبا البحر البيض المتوسط وجنوبا الهند والتبت وسلسلة جبال كوينلون من سلسلة جبال همالايا سقف العالم .

وإن المراعي الممتدة من الشرق إلى الغرب في آسيا الوسطى أو في وسط آسيا تعد هذه المراعي العمود الفقري لقارة آسيا بأكملها ، وإن في اتساع تلكم الأراضي في الطول والعرض وفي أوساطها مناظر تخلب العيون وتحير العقل البشري في نسقها الممتاز الرهيب ، وهذه المراعي يحدها جنوبا جبال قاراقورم ، وفي الشرق الشمال بحيرة أو بحر بايقال ، وإن أراضيها في ارتفاعها من وجه البحر تعد غاية في الاتساع اللامتناعي ، والمراعي هذه فريدة في العالم كله ، وفيها عدة بحيرات منها وأكبرها قزوين وآرال وبحيرة بالقاش وبحيرة باغراش وإسيق كول. وفي هذه السهول الممتدة والمراعي المهيب جبال عدة وبقممها تناطح السماء وتتخللها سهول رملية مهيبة تتموج رمالها كأمواج البحر المتلاطم غريبة الشكل، وبها صحارى قاحلة في اتساع

وتمدد ، وعلى ضفاف انهارها مروج سندسية وخضر لا متناهية، وحينما تتخللها أنهارها العذب من مثل آرتش ونهر إيلي وتارم ونهر عامو وسير (جيحون وسيحون) نرى في ضفافها مدنا وبلدانا نادرة في جمال تنسيقها واتساع رقعتها الجمالية والأخاذة بالألباب .

وقلنا إن هناك جبال راسيات شامخات وبقممها تناطح السماء ، منها في الشرق جبال قدر خان (خان كان) في الشمال من بحر بايقال ، وشمالا جبال آلتاي وبامير وهندكوش وقراقورم وسلسلة جبال قارنغوتاغ (كيونلون) ، وذلك يصل ما بين جبال قدرخان والنهر الأصفر ، ففي هذه الحدود تقع منطقة تركستان الوطن الأم للأتراك قاطبة (انظر الخريطة رقم واحد) . فهذه المنطقة منذ ما قبل التاريخ حتى اليوم موطن الأتراك ، وأن الأتراك من هذه المنطقة انتشروا إلى مناطق عدة في العالم وعمروها وما أكثر ما عمروها .ليس قصدي هنا توضيح أنساب الأتراك وتسلسلها ، وإنكان في التاريخ الإسلامي بيانات بهذا الخصوص إلا أننا لا نستطيع القول بأنها صحيحة حتى الآن ، وربما أخذت بعضها من ترهات العقول والإسرائيليات المتناثرة ، وبالرغم ذلك كان قصدي من هذا الباب بيان ما صح قوله وتوضحت روايته وأخذت درجة الثقة من الروايات من كتب قديمة معتبرة وصححته الاكتشافات الأثرية والجيولوجية ، حيث إنهم قالوا وكتبوا أن المنطقة (تركستان) قبل اثنا عشر ألف سنة كانت عامرة كلها بكثافة السكان ، حيث كانت سلسلة جبال قدرتاغ (تيانشان) بكل فروعها كانت مغطاة بالثلوج ،وكانت تلك الثلوج منابع لمئات من الأنهر تنتشر في أطرافها الأربعة ، وكذلك سلسلة جبال قارانغو تاغ (كوينلون) كانت جبالا من ثلوج وتنبع منها عشرات بل مئات من النهر إلى الشمال منها (لمنطقة تركستان)، وكانت صحراء تكلاماكان الآن من الأراضي الخصبة التي ترويها

تلكم الأنهر من تساقط المياه من منحدرات (كوينلون) قارانغو تاغ ، وكانت منطقة تكلامكان آهلة بالسكان ومفعمة بالخصوبة ، وكانت بحيرة لوب نور يوازي اتساعها بخمس مرات عن حالتها الحاضرة ، ومثلها كلا من بحيرة باغراش وبالقاش وأورال كانوا بحورا في اليابسة تلك. ووفرة الماء والمناخ المناسب وخصوبة الرض وكثرة السكان كانت من مميزات أرض تركستان قديما ، ولا يرى في تلكم الأيام البائدة أراضي جرداء قاحلة ولا صحراء رملية ، وكانت منبعا لكثير من المعادن ومرعى للكثير من الحيوانات البرية ، وكانت بها ولم تزل مراعي لا متناهية الأطراف تنبت فيها العشب وسائر النباتات البرية وغابات على مدى براريها الممتدة في سهول الجبال .

فهذا الإقليم التركستان حائزة على التقدم بالصورة التي ذكرناها كانت مساعدة للتمدن والعمران ، لذا أخذ التركستانيون في ذلك الوقت قدما آخر للمدنية والازدهار ، ففي الوقت الذي لم يزل الإنسان في سائر الأرض يسكنون في المغارات وثنايا الجبال والكهوف والحفريات التي نحتوها من حاويات الأرض وفجوات جزوع الأشجار ولم يزل في عهد الأحجار المنحوطة ، تقدم التركستانيون إلى عهد البرونز والنيكل وتركوا عهود الأحجار المنحوطة والمسنفرة ، بمعنى أنهم اكتشفوا النيكل وعرفوا البرونز وتصنيعها فصنعوا منها أدواتهم وأسلحتهم واكتشفوا الذهب وصنعوا منه أدوات الزينة وعرفوا الحديد والمعادن الأخرى وتاجروا بصناعتهم هذه .وعرفوا ترويض وتأهيل الحيوانات من الأحصنة والبقر والإبل والحمير والشياه والماعز وغيرها، واستعملوها في شئونهم وعرفوا كذلك تهجين هذه الحيوانات ، وكذلك اكتشفوا القمح والشعير والذرة وغيرها من الحبوب وعرفوا بذورها وزرعوها في حقولهم واستفادوا من محصولها حيث أسسوا حقولا واسعة على ضفاف

المياه والأنهار والبحار وعلى سواحل الحياض الموجودة هناك ، وبنوا مدنا عديدة وعمروها ، وكان الهالي هناك في ذلك الوقت مهرة في صناعة الخزف على اختلاف أشكالها وأنواعها وأحجامها ، لذا يرى السواح في منطقة تكلمكان مخلفات الخزف بشكل يفوق التخمين ويتعدى حدود القياس .

الفصل الثاني

مدنية الأتراك في عهود المعادن

نبين آثار الوطن الأم للأتراك كما يلي : في المنطقة التي يقول لها الصينيون (داجوبي) وبلسان الأتراك (شامو جولي) التي تقع في شمال شرق الصين وبين الصين وبين المنغوليا وهي صحراء رملية ، وفي صحراؤ تكلمكان الرملية أيضا ومنطقة قزيل قوم وصحراء قراقوم، في هذه المناطق التي ذكرناها ولا يمكن الحياة فيها الآن نرى آثار بحيرات وأنهار وآثار الزراعة وعلاماتها وآثار المدن والبلدان بجانب الدوات من الحديد والمصنوعة من البرونز والنيكل وزهرة الحديد ودواريق من خزف بأشكالها المختفلة كثيرة جدا ، لذا نقول إن هذه الأماكن والمناطق كانت في قديم الزمان مأهولة بقوم الترك أو الأتراك ، وأنهم كانوا على علم ودراية في الزراعة والتجارة زالمدنية ، وأنهم بلغوا شأوا من المدنية آنذاك وهذا ليس فيه شك .

غير أن العلماء قالوا إن مدنية الأقاليم وازدهارها كانت قبل أن يحكم عليها الجفاف وقبل هجرة أهلها عنها ، وأقثبتوا أيضا أن هذه المخلفات التي وجدت في صحراء تكلمكان وغيرها من المناطق غير آهلة بالسكان الآن ، وأن عمر هذه المتروكات يصل إلى تسعة آلاف سنة تخمينا .

وفي الحفريات التي أجريت في منطقة أنور التي تقع فيما بين بحر قزوين ومدينة عشق آباد وجدت آثار غاية في القيمة العلمية والتاريخية ، وقال عنها رئيس هيئة الحفريات بومبلي PUMPELLY : إن تاريخ هذه الآثار يصل إلى ١١٠٠٠ سنة قبل هذا التاريخ ، وقالها بالتعيين .

غير ان عالما أمريكيا آخر قال من نظرته المحايدة وغير المنحازة على تلكم الوقائع الباهرة وبعد نظرة فاحصة ودقيقة قال : اكتشاف المعادن أي عصر المعادن بدأ في أقاليم الأتراك في آسيا الشرق ، بدا عصر المعادن عندهم قبل تسعة قرون من قبل الميلاد ، وذلك قبل بدء اكتشاف المعادن أو عصر المعادن في الأقاليم الأخرى في العالم بقرن كامل ، ولذا نقول إن أتراك آسيا بدأ فيهم عصر المعادن أو عهد المعادن قبل تاريخنا اليوم بإحدى عشر ألف سنة بالتعيين .

وبالنسبة لاكتشافات منطقة آلتاي على امتداد سهولها ومن جنوب سيبيريا من آثار المدن القديمة من

أسوار قلاع وبوابات ومن صناعات معدنية التي عثر عليها من هناك ونقلوها إلى متاحف موسكو وبرلين ولينيجراد ، هذه المعادن المصنوعة تنقسم إلى قسمين : قسم للمصنوعات البرونزية وقسم للمصنوعات الحديدية . ففي القسم البرونزي سيوف مصنوعة من البرونز وأياديها مصنوعة بصورة حيوانات ثم السكاكين ورؤوس الرماح والخناجر والسهام والمناجل والمقاصات وفؤوس وأدوات للحفر وإيزيم وركاب ولجام وقدور وأناوني وغير ذلك من المصنوعات البرونزية .

بالإضافة إلى عقود وأزارير وبناجر وأنواع الحلو المصنوعة بشكل حيوانات مختلفة من أسباب الزينة بعضها من البرونز وبعضها أو أكثرها من الذهب .

أما القسم الثاني من الآثار المصنوعة من الحديد فكالآتي : المسحة والفؤوس وريش الحفر والسكاكين ورؤوس الرماح والدروع والزند ولجام وركاب والمحراث ومنجل وإبزيم على أشكال مختلفة في الصغر والكبر وأسباب الزينة على مختلف عياراتها ، فهذه الأدوات كلها مصنوعة من الحديد . بالإضافة إلى مصنوعات في عهد معادن الحديد من البرونز والذهب والنيكل ومختلف أسباب الزينة ، وإن هذه الآثار محفوظة في متاحف موسكو ولينيجراد ، والذي رآها منذ مدة لم يصدق أن هذه المصنوعات يرجع تصنيعها إلى ما قبل التاريخ من حيث جودة الصناعة وإتقان صانعيها من حيث الدقة والتراكة والجمال الأخاذ يحير الناظر إليها على أنها من عهود قديمة ، بل يقول إن تلكم المصنوعات من صناعات أمهر الحرفيين في المدن الآخذة بالتقدم الآن .

وفي متاحف لندن توجد آثار قيمة العائدة إلى وطن الأم لأتراك آلتاي في عهد البرونز والحديد ، وهناك على امتداد سهول جبال آلتاي آثار قيمة من مثل أفران لتذويب المعادن الحديد وغيره التي تنبؤنا أن أتراك آسيا قديما كانوا يصهرون المعادن في أفرانهم هذا ويصنعون الآلات اللازمة لهم في مدنهم وقراهم ، ما أكثر هذه الأفران لانصهار المعادن في بلاد آلتاي الوطن الأم للأتراك ، وأنهم أنشؤوها في أوانهم واستعملوها ثم تركوها كما كانت فيعلمنا
أنهم كانوا ينشئونها بأنفسهم حسب حاجياتهم .

وأكثر هذه الأفران أفران لصهر وصناعة البرونز ومشتقاتها ، وأما الأفران التي اكتشفت نتيجة حفريات اكتشفت سليمة للغاية وأن هذه الأفران شبيهة بمثيلاتها في الوقت الحاضر تقريبا في تركيبها وطشوتها ومدافن التسخين والتصهير مكملة بجوانبها .

وعلى هذا يكون الأتراك يعرفون التعدين منذ عهد قديم ويصنعون من المعادن مختلف الأشياء الأساسية

ويعرفون أصولها ومشتقاتها وتشكيلها .

ونحن نعرف من كثرة الأفران أفران تصهر المعادن في تلك الأصقاع من العالم (سهول جبال آلتاي وجنوب سيبيريا) مثلا نعرف أن الأتراك لم يكتفوا بصنع حاجياتهم من المعادن فحسب بل إنهم اتجهوا نحو توسيع هذه المهنة الصناعية ليتاجروا بها في بلدان كثير من الأمم في ذلك الوقت حيث إنهم أتقنوا صناعة التعدين وأكثروا محصولها للتجارة .

ونحن نقتصر بهذا القدر في كتابنا هذا ، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب تاريخ الأتراك ليرى تفصيلها ويعرف الكثير .

دور تركستان الشرقية في هذه المدينة...

ونحن لا نتردد في أن أهالي تركستان الشرقية كانوا شركاء مع جميع الأتراك في معرفة الزراعة واختراعها وترويض الحيوانات الأليفة واكتشاف المعادن وصناعتها ، بل إن ميزة أهالي تركستان الشرقية أنهم اكتشفوا حبوب القمح والذرة والشعير وغيرها من الأعشاب والنباتات الصحراوية وعرفوا زراعة تلكم الحبوب ، بالإضافة إلى تأهيل وترويض الخيول والبقر والشياه وسائر الحيوانات الأليفة وهجينها وتربيتها ونحن نصر في دعوانا هذه .

حيث إن هذه الحبوب من النباتات الصحراوية والخيول والحيوانات المتوحشة لا تزال توجد في صحارى تركستان الشرقية ، وإن هذه الأشياء تحتاج إلى اكتشافات وترويض وتأهيل ، الأمر الذي لم يكن تصادفا في أول الأمر ، فاكتشاف هذه

الحبوب وترويض هذه الحيوانات لا يخفى على أحد من مكامنها الموجودة أصلا ، حيث إن العقل البشري أو الفكر الإنساني لم يكتف لاكتشاف هذه الحبوب وترويض تلكم الحيوانات من دون سعي وكد دءوب من مكامنها الموجودة ، وأن الآثار والبقايا من هذه الأشياء ترشد الباحث إلى الأصول ولأهاليها المكتشفين بالتجربة ، وذلك من حيث البحث العلمي والاستقصاء، والأمر مسلم به بالدرجة الأولى ، وأنهم أهالي تركستان الشرقية منذ القدم .

وإن جبال تركستان الشرقية من أمثال تنكري تاغ في شعبها وسواحل بحيرة بالقاش وباغراش توجد حتى الآن نباتات القمح والشعير والذرة ، وبجانب الخيول المتوحشة يقال لها قولان والحمير المتوحشة والإبل المتوحش ، وكذلك البقر المتوحشة يقال لها قوتاز (الكيبك) باللغة العربية ، وكذلك في شعب قارانغو تاغ الجبال المظلم أو الجبل الأسود وجبال قارقورم ، ويستفيد منها الصيادون حتى الآن ويصيدونها في مواسمها . وأما هذه النباتات والحيوانات المتوحشة فلا توجد في أماكن أخرى من العالم إلا لماما .

وإذا جئنا إلى صناعو المعادن كما ذكرنا سابقا ، تلكم الأفران أفران الصهر والتذويب الموجودة عينات منها في متاحف موسكو ولينينجراد كانت آثار وبقايا صناعات تركستان الشرقية ، وقد علم ذلك علميا أنها ملك ومنتسب لما اصطلح عليه بتركستان الشرقية الآن بالإضافة إلى ضعف أو ما يقارب الضعف من الأراضي التابعة للتركستان الشرقية قديما أو سابقا . حيث إن الآثار تلك وجدت من مثل جبال تنغري تاغ تيانشان وقرانغو تاغ كوينلون وجبال الذهب آلتون تاغ وجبال آلتاي وجنوب مرتفعات سيبيريا وسلسلة جبال بامير ، وأن هذه البقايا من الآثار أو

المصنوعات المستعملة أو المتروكة يجدها السواح حتى الآن ، وكذلك من صحراء تكلمكان وصحراء منطقة تورفان .

وإن البقايا من الآثار المتروكة في صحراء تكلمكان وتورفان وتضاريسها منذ أزمنة بعيدة من مصنوعات برونزية والنحاسية والذهبية ومن زهرة الحديد من الأواني المترلية والمزهريات وأباريق وحلي النساء بما نسميها المجوهرات يرجع عهدها إلى ما قبل نزوح أهاليها منها وآلت إلى خرابات ومدن خاوية خربة وقرى مهجورة في نفس الوقت تنبؤنا إلى وجود أمهر الحرفيين في أيامها المزدهرة ، بل عاش فيها أعداد كثيرة وكبيرة من الحرفيين ، فهذه الحقيقة مثبتة ثباتا حسنا .

وقد وجد حول وأطراف الأفران لإذابة الذهب مطارق ومقصات ، وهذا يثبت وجود تعدين الذهب وتصنيعها ، وكذلك البرونز ، أو أن صناعة الذهب وتعدينه في عهد النحاس والبرونز كانت رائجة .

ونحن نجد الآن في تضاريس صحراء تكلمكان وتورفان وقمول وسواحل البحيرات نجد أمثال تلك الأشياء من البقايا ، وغذا قلنا لهذه البقايا أو أمثالها من المستجدات في الوقت نفسه نجد أمثالها في العمق منها بقايا مصنوعات كثيرة وبقايا أفران للإذابة والصهر ومصنوعات من الذهب والبرونز وزهرة الحديد، غير أن هذه الأماكن البسيطة الآن لا يمكن أن يعيش فيها كائن حي ، وتوجد بجانب المتروكات آثار مدن وبقايا قرى متناثرة وآثار الزراعة والجداول لسلوب الري السابق وبجانبها قلاع مهدمة وأسوار المدن والقرى فهذه الموجودات الآن تثبت أنها في السابق كانت بلادا معمورة قبل هجران أهلها منها ، وقد أصابها القحط والجفاف ونضوب الماء وقلة المطر أو عدمه مما أدى إلى خرابها ونحن مقتنعون بذلك .

الفصل الثالث

عهد هجرة الأتراك العامة .

وقد ذكرنا حالات الوطن الم للأتراك قديما وكيف كانت مزدهرة ومعمرة وعامرة بالسكان وأوضاعهم الاجتماعية ، ولأجل تلكم الأسباب المساعدة للازدهار والنمو كانت كثرة السكان وترقياهم وتلك العوامل والجربة من الأمور المسلمة فيها ، ولذا وكثافة السكان في الوطن الأم للأتراك وازدحام المدن والقرى ، وفي الوقت نفسه صعبت الحياة للكثرة الكاثرة منهم من جهة ومن جهة أخرى لم يكف المياه أو قلت مواردها من قلة المطر أو غير ذلك من الأسباب ، ومنها ان الجبال الموجودة هناك من مثل جبال تنغري تاغ (جبل الإله) وبامير وكوينلون كانت مكتظة بالثلوج وقد أجزاء كبيرة منها وانكشفت الأرض ، ومن جهة أخرى بدأت البحيرات تنضب ، وبالتالي بدأ يقل المطر وإن كثيرا من الأنهار نضبت وجفت المدن والقرى والأرياف بقلة الماء أو عدمه ، الأمر الذي تشكل باعثا قهريا لحياة الأتراك الأهالي ، وكذلك بدأ المنازعات فيما بين تجمعاتهم ولغارات بعضهم على بعض وطرد الغالب المغلوب من دياره واستملاك أراضيه وعقاراته وكل خيرات المغلوب ، وبسبب نضوب موارد المياه وكثرة السكان ، وبرغم ذلك كان الأهالي يعيشون على مياه الجبال من الثلوج المتراكمة وقلت ثلوج الجبال كما أسلفنا فصعبت حياتهم ، وبالتالي أدى كل ذلك إلى هجرتهم من ديارهم إلى آفاق أخرى .

نتيجة للحالات الصعبة في حياتهم بدؤوا يهاجرون رويدا رويدا إلى آفاق وأطراف الدنيا ويبحثون عن أماكن وأراضي لمستقبل حياتهم وبالشكل المناسب ، ويقول

المؤرخون إن هجرة الأتراك الأول من وطنهم الأم كان قبل تسعة آلاف سنة من تاريخنا هذا اليوم واتفقوا عليه .

وكان شكل هجرتهم بصفة أو بصورة قهرية حيث يستولون على أراضي الغير ويمتلكانهم بالقوة أو ينفونهم من ديارهم أو يعدمهم أو يسيطرون عليهم ويضعونهم تحت سلطانهم كسيول جارفة .

وإن بعض المهاجرين التراك يذيبون أنفسهم في المهجر كمياه تحت الرمال ويندمجون معهم ويعلمونهم الحرف أو الصناعات التي يعرفونها ويطيعون السلطات المحلية ليؤمنوا حياتهم فيما بينهم بيسر وسهولة ، وإن هذه الهجرات لم تكن في عصر واحد بل بدءا من تلك التاريخ أي من تسعة آلاف سنة قبل اليوم إلى العصر الرابع الميلادي الذي وقعت هجرة السيانبي ، ثم من بعدهم توالت هجرات قبائل كوك ترك وأويغور وأوغوز وسلجوق وقيتاي والمغول حتى وقت قريب ، وهذا معلوم لقراء التاريخ ، ونحن وضعنا خريطة رقم ١ تبين مسار القوافل المهاجرة من وطنهم الأم إلى الجهات الأربعة من العالم ، فإلى أين وصلت وأين استقرت ؟

ونحن الان نبين موجات الهجرة من الإقليم الذي اصطلحنا عليه بتركستان الشرقية واتجاه قوافلهم المهاجرة :

وذلك أن قافلة خرجت من مدينة تورفان اتجهت إلى الشرق ووصلت إلى وسط الصين واحتلت الأراضي الخصبة واستوطنوا فيها فيما بين النهر الأصفر (خوانغ خي) وبين النهر الأزرق (يانغ زي كيانغ) من أخصب الأراضي الصينية .

وإن قافلتين من المهاجرين من منطقة لوب اتجهت الأولى إلى الجنوب الشرقي واستوطنوا في الحنوب من النهر الأزرق في ولايات سجوان ويوننان الحالية، وكان الصينيون هناك لم يزالوا في بداوتهم ومتوحشين، فطردهم الأتراك المهاجرين إلى

الفيافي والقفار فتعذبوا فيها ثم هلكوا كلهم ، والقافلة الثانية اتجهت إلى الجنوب ووصلت إلى منطقة كوك نور وهي مقاطعة جنهاي الحالية ، ولكنهم لم يرتاحوا فيها فرحل عنها معظمهم ، ثم انقسمت الغالبية المرتحلة إلى ثلاثة أفواج : فوج اتجه إلى سجوان ويوننان واتجه الفوج الثاني إلى مناطق الهند الصينية ، بينما اتجه الفوج الثالث إلى شرق الهند فاستوطنوها .

وهاجرت قوافل أخرى عديدة من منطقة حوض تاريم جنوبا أي من المناطق التي جفت في صحراء تكلمكان الواقعة وسط مناطق المدن الستة الحالية إلى أواسط الهند وكانوا كثرة ، وأخذت هجرتهم تتوالى سنين عديدة عن طريق لاداخ غرب تيبت وطرق بامير ، واستولوا على أخصب المناطق في الهند مثل السند وحوض نهر براهما بوترا فاستوطنوها .وإن أوائلهم استقروا في مرتفعات تيبت ولاداخ ، وخرجوا من منطقة حوض تاريم ومنطقة تكلمكان وتضاريسها ، وإنهم في رحلتهم بل هجرتهم هذه اجتازوا جبال بامير في اتجاه الجنوب الغربي.

وكان أهالي الهند الأصليين يشبهون القردة سود الأجسام ومتوحشين فروضهم الأتراك المهاجرون وعلمهم طرق الري والزراعة وبعض الحرف وعمروا مدنا وبنوا القرى والأرياف، وقد ثبت هذه التفاصيل من الآثار التي اكتشف حديثا من بين أطلال مدن هارابا وموهانجودا رو على ضفاف نهر السند .

والقوافل الخارجة من وادي إيلي تارباغاتاي قبل ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد اتجهت إلى الغرب واجتازوا

جبال أورال ، ثم انقسموا إلى أربعة أفواج فاستولوا شمال اوربا حتى انجلترا وفرانسا وإيرلندا ، وكان الأهالي الأصليين في هذه المناطق قلة من السكان في غاية التوحش فسيطر عليهم الأتراك المهاجرون .

واتجهت قافلة من وادي قارا إرتش بمنطقة آلتاي إلى الشمال واستولوا على كل من سيبيريا حتى منطقة التجمد الشمالي واستوطنوها ، وكانت هجرة هذه القافلة في القرن الرابع الميلادي وتتكون من التتار الأتراك السيانبي الذين تعرضوا لهزيمة على يد خانات تركستان الشرقية ، وكانت مراكزهم وادي قارا إرتش وجبال تانواولا . هذه هي ماضي الهجرات التي انطلقت من التركستان الشرقية بصورة موجزة ، ومن يراجع (الخريطة رقم ١) يرى أهم ومعظم قوافل الهجرة التركية من تركستان الشرقية ، وأما من أراد معرفة هجرة الأتراك عموما بتفصيل أكثر فليراجع مراجع هذا الكتاب .

وخلاصة القول إنه في عهود كانت الإنسانية في أنحاء الدنيا وأطرافها في بدائيتها ووحشيتها وجهالتها ولم تأخذ بنصيبها من الحضارة بعد ، حظي الأتراك بنعمة العلم والتمدن وأصبحوا مظهرين لمشيئة الله تعالى في استخلاف الإنسان لعمارة الأرض وتشريفه بشرف العلم والمعرفة ، فإن الأتراك أخذوا معهم علومهم ومدنيتهم وصناعاتهم أينما ذهبوا وحيثما توجهوا فعلموها لأهالي المنطقة الجديدة ، وعمروا أراضيهم كما عمروا وطنهم الأم وأسسوا فيها القرى والمدن.

الفصل الرابع

وطن الأتراك الأم بعد عهود الهجرة.

ولم يزل الأتراك في موطنهم الأصلي حتى إبان هجرهم أو بعدها يعيشون جماعات ومجمعات صابرين على الصعاب حتى إنهم عاشوا تحت أسماء مختلفة أيا ما كانت وأسسوا مدنا وبنوا مدنيات رفيعة المستوى فمثلا المدن المقامة على ضفاف وامتداد نهر تاريم بتركستان الشرقية ، وفي منطقة ما يسمي بالمدن الستة تورفان وتوابعها الفسيحة وعلى ضفاف وسواحل إسيق كول أي البحيرة الساخنة أو الحوض الدافئ ويته سو أي الأنهار السبعة، وفي منطقة في شمال منغوليا وعلى ضفاف سلوكا وأورخون ، وفي منطقة غرب كانسو الآن على ضفاف النهر الأسود قرا دريا وسواحل نهر جو التي كانت تسمي في القديم آرغود وغيرها من المدن والأرياف .وفي تركستان الغربية نهر سير دريا أي سيحون ، ونهر آمو دريا أي جيحون ونهر سوغوت وزرفشان ، وفي غيرها من المدن قد أقيمت في ذلك الوقت القديم ذات مستوى رفيع للغاية ، ومدنية آخذة بالألباب .

تركستان الشرقية بعد عهود الهجرة..

كما سبق أن قلنا إن الأمة التركية التي بقيت في التركستان الشرقية بعد هجرة بعض القبائل منها رويدا رويدا أو على عهود مديدة ، كونت القبائل الباقية تجمعات عديدة ، ونظرا لأن الفواصل الطبيعية من صحارى قاحلة وجبال وشعب وغيرها تفصل بين هذه القبائل فإنها عرفت بأسماء مختلفة ، وإن كثيرا من هذه التجمعات

تسمت باسم بلدانهم وقراهم أي باسم الأرض ، فمثال ذلك : إن منطقة ختان أخذت هذا الاسم باسم الشعوب الذين يعيشون فيها حيث كانوا يسمون أنفسهم خُتان ، وكذلك اسم كاشغر كان اسما للأهالي الذين يعيشون فيها ، وترى في آثار قديمة أن كاجغر أو قاجغر اسما لهم . ويرى بعذهم أن تجمعات في إيران باسم قاجار يمكن أن يكون هم المهاجرين من منطقة كاشغر ، وكذلك كوجا كانت اسما لمواطنيها كما يرويها بعض الآثار ، وكذلك آقسو كان اسمها الأول أوج ، وهذا الاسم كان يستعمل إلى وقت قريب حيث كانت تعيش فيها قبائل ثلاثة ، وإن كلمة أوج تعني الثلاثة ، وكان لهم حكومة واحدة ، وبهذه المناسبة كانت تقال لهم أوج حتى المنطقة نفسها تمست بها قديما .

وإن هذه التجمعات أو المدن والقرى كانت آخذة بالتمدن والرقى الاجتماعي وكانت صناعات مختلفة ، وكل تجمع منها كان لها رئيس يمثل الحكومة رئيسا لتلكم التجمعات ، وكانوا يطلقون على

رئيسهم لقب خان ، والتابعون له من الإمارات يسمى بك ، ولكل هذه التجمعات أو الحكومات نظما باسم ياساغ أو توزوت أي القانون ، وإنهم كانوا خاضعين للقانون مادة بمادة حسب روايات في هذا الشأن وفي زمن ما قديما كانت في تركستان الشرقية في مناطق المدن الستة وإسيق كول وسواحل نهر جو التي هي غرب من منطقة تركستان الشرقية كانت عشر خانيات مستقلة ، بينما تروى وجود تسعة خانيات في القطاع الشرقي المكون من قوجو (تورفان) في منطقة إيلي ، وإيميل (تاروتاي) آلتاي ، وباش بالق (أورومجي) ، ولكن كم عاشت هذه الخانات فلا يعرف بعد ، وبشأن الحوادث التي وقعت في هذه المناطق لم نعثر على مورد ثابت حتى الآن لنثق فيها .

ولكن فيما بين هذه الحكومات كانت تقع حوادث ومناوشات حادة ، وكذلك كانت هناك تهديدات بالهجوم من الخارج ، ولكن هذه الحالة لم تطل طويلا حتى اتحدت تلكم الحكومات في دولة واحدة ، وسيأتي تفصيل ذلك .

الكتابة عند الأتراك القدماء ..

كانت الكتابة سائدة في الأتراك قبل أن تبدأ هجراتهم عن أوطانهم ، وكانوا يقولون للكتابة بتيك ، وكان شكل كتابتهم هذه عبارة عن رسوم وصور تشبه الهيروغلوفية عند قدماء المصريين ، وإن المهاجرين من أتراك سومر وآقاد إلى ضفاف نهري دجلة والفرات أتوا بكتابتهم إلى هنا وعلموا الأهالي الكتابة ، وليس هذا مقام التفصيل في هذا الأمر ، فلا بد من مراجعة التاريخ العام للأتراك لمعرفة التفاصيل ، لذا نبين الكتابة التي عمت بين الأتراك في عهود الهجرات وما بعدها . ولكون معظم الكتابات التي حفرت في الأحجار الخالدة التي عثر عليها في وادي أورخون ويانساي والتي تعود إلى عهود دولة كوك ترك من هذا النوع من الكتابة ، فإن علماء الآثار سموا هذه الكتابة ألف باء كوك ترك أو بكتابة أورخون – يانساي ، ونحن نرى تسميتها بألف باء الأتراك القدامى ، لأن الآثار التي كتبت بهذه الكتابة يوجد في عموم بلاد الأتراك ، وهي عبارة عن ٣٨ علامة أربعة منها مصوتة والباقي حروف مصمتة ، وهي كما تكتب من اليمين إلى اليسار يكتب أيضا من الأعلى إلى الأسفل .

وكان في قديم الأزمنة ألف باءات عند الأرتاك ، ولكنها كانت خاصة لتجمعات أو قبيلة واحدة ، إلا أنهم من زمن لا يعلم بالتحديد حتى القرن السابع الميلادي كانوا يستعملون ألف باء أورخون هذا .

حتى الذين أسسوا حكومات لهم في أوربا كانوا يستعملون ألف باء أورخون هذه ، ويقال لهم آوار من المهاجرين الأتراك قديما إلى أوربا (الهون) . حتى أن قبائل الأتراك الذين لهم كتابات خاصة بهم يكتبون آثارهم وعلى جدران معابدهم وشواهدهم من الأحجار ويكتبون بالحفر بحروف من ألف باء أورخون هذا ، ومنذ القرن السابع الميلادي هجر ألف باء أورخون لعدة أسباب تاريخية ، فعمت ألف باء أويغور بين مختلف القبائل التركية ، ويأتي بيان ذلك بالتفصيل عند ذكر الأويغور .

شكل الحكم والقانون عند الأتراك القدامى..

كان الأتراك القدامى يسمون الدولة باسم أل ، والسلطة الحاكمة باسم قوت . وقد عرف الأتراك قديما مقاصد تشكيل الحكومة وتأسيس الدولة بأنها لأمن واستقرار البلاد وأن يعيش الرعية بالأمن والعدالة والرفاهية ، وكان الأتراك يسمون الجماعات التي تعلن الطاعة للحكام من ذوى النفوذ الذين يخضعون لقانون عام يحقق لهم هذه المقاصد باسم أل (الدولة) ، ويطلقون على رئيس الحكومة اسم خان ، وأما القانون فكان يسمى بأسماء مختلفة لاختلاف اللهجات ، فأتراك الشرق والشمال يسمون القانون باسم تورا ، وبعض الويغور يسميها باسم توزوك أو توزوت ، بينما يسميها البعض الآخر باسم ياساق . ونحن نأخذ كلمة توزوت التي تستخدم إلى اليوم في التركستان الشرقية . والحاصل إن الحاكم التركي كان مضطرا

لأن يحكم البلاد بموجب توزوت أي القانون ، وتوزوت عبارة عن نظام الحياة المستقاة من العادات التي يسير عليها القوم ، وكان هذا النظام تتكون من ثلاث طرق :

الأولى : قواعد تكونت بالتدريج من العرف والعادة وطقوس الدين .

الثانية : فرمانات الحكام التي قبلها الشعب .

الثالثة : قرارات الشعب التي اتخذت في المؤتمرات والمجامع الكبرى ، ولأنها مؤسسات ذات أهمية تشبه إلى حد كبير البرلمانات في الوقت الحاضر ، فإننا نبينها بوضوح أكثر .

كان في الأتراك عامة منذ القدم اشتراك الرعية في الحكم أو علمها بذلك الحكم لمن وعلى من ولماذا ، وأنهم كانوا يشاركون في تنصيب خان لهم الملك أو الرئيس مثلا ، وفي تشكيل حكومة أو إصلاح في إدارة أو قرار حرب وهجوم ودفاع أو صلح ، وكانوا يجتمعون في مؤتمر عام (قورولتاي) وكل من له قدرة على حمل السلاح كان له حق الاشتراك فيه ، ويسمى هذا المؤتمر باسم قورولتاي أو ياساوون ، وكان يبحث مثل القرارات المهمة في هذه المؤتمرات ، وكان تحت إمرة خان الملك أو الرئيس مأمورون لتصريف أمور الدولة يسمونهم باسم بك لر،وتختلف مراتب بك لر على حسب درجاتهم،فمنهم سادابيت وترخان لر وبويروق لر .

ومنذ قديم الزمان كانت الأتراك في آسيا الوسطى عبارة عن مجتمعات في غاية من الاستقامة والعدالة وتعتمد الحقوق الأساسية التي تناسب الحياة الفطرية للإنسان ، وعلى سبيل المثال سنذكر بعضا من الحقوق العامة التي يحترمونها فيما بينهم :

كان أصول العائلة عند الأتراك القدامى مبنية على النكاح ، وكان النكاح ذات أهمية تقام لها الولائم ومراسم رسمية ، وكان من شروط النكاح رضا والدي العروسة

، وكان إعطاء المال لوالدي العروسة أو لولي أمرها كمهر مثلا من العادات المتبعة عندهم ، وكانوا يسمون هذا المهر باسم قاليق ، وكان قاليق هذا في أكثر الأوقات أعلاه الأحصنة وأدناه الأغنام والماعز ، فإن مات الزوج ورثته الزوجة ، وكذلك الأولاد إذا وجدوا كان من حق الأم حضانتهم والولاية عليهم ، وعندما توفي إلترش قاغان خاقان كوك ترك كانت الولاية لزوجته بلجا قاتون على أبنائه ، وهذا مكتوب في الآثار أورخون الخالدة .

وكان في الأتراك عادة لم تزل إلى اليوم ، وهي أنه إذا مات زوج المرأة تزوجها أخوه الأصغر أو الأكبر ، وكانت هذه عادة اجتماعية تعد من المروءة ومن الواجبات الاجتماعية .

منذ أقدم الأزمنة كانت حقوق الملكية في الأتراك من الأسس الاجتماعية وضروريات الحياة المستحكمة ولكل واحد أراض زراعية وضيعة خاصة ودور للسكنى مملوكة له ، واحترام هذه الحقوق المشروعة من الغير تعد من موجبات الإنسانية ، وكانت للأغنام أوسمة أو علامات تميز ملكيتها لفلان أو لعلان ، وكان لقبائل منهم مراعي أو ممتلكات غير منقولة مشتركة للأشخاص أو القصبات كملكية مشاعة بينهم حسب المتفق عليه مسبقا ، وكان هذا من عاداتهم وتقاليدهم المرعية فيما بينهم . وهذه الاتفاقيات كانت تسمى باسم بيجغاس وتكتسب قوتها عن بالحلف واليمين ، كما أن المعاهدات التي تبرم بين الملوك والحكام كانت تسمى باسم بيجيغ .

إن دولة أو دول الأتراك قديما كانت قائمة على أسس سليمة ومتينة من حيث الاستقرار والأمن والرفاهية ، وإن انضباطهم هذا كان لوجود قوانين صارمة ومقبولة للجميع ، وكانت الإدانة والعقوبة في الجريمة مبنية على تقسيم الجريمة إلى بجريمة

كبرى وجريمة صغرى أو الجريمة العظمى والجريمة العادية ، وعقوبة الجريمة الكبرى كان الإعدام ، أما الجرائم الصغرى فكان لها عقوباتها أيضا ، ومن الجرائم الكبرى : الخيانة العظمى وهي خيانة الأمة أو الدولة ، والزنا، والقتل ، وإظهر الجبن والفرار في الحروب، والتقاعس في مهمة السفارة أو المفوضية ، والتدخل في أمور الحكم ممن ليس من اختصاصه التدخل ، وشق عصا الطاعة للدولة ، وسرقة الخيول المربوطة ونحوها ، وإذا كان الجرائم مما تضر مصالح الدولة فإن الدولة هي التي من حقها تطبيق العقوبة المناسبة عليها ، وبالنظر إلى هذه القوانين نجد أن الأتراك قديما اهتموا بإيجاد وسائل وضمانات الأمن والأمان داخل دولهم .

الدين عند الأتراك القدامى..

كـان ديـن الأتراك القدامى هو دين شامان (قام ليق) ، وهذا هو المعلوم من الـتاريخ ، والأتـراك القدامى وإخوتهم في الدم وبعض الأقوام المجاورة لهم كانوا يدينون بهذا الدين منذ القدم ، وكلمة شامان تحريف الأجانب وأصله قام ، ورجال هذا الدين الروحانيين طبقتان :

الأولى : طـبقة تـوين لـر ، وهم يقومون بواجب تثقيف الناس بأحكام الدين ، والإشـراف علـى طقـوس تقديم القرابين والمراسم الدينية ، وفض المنازعات ، والاسـتغراق في العـبادة والزهد بإقامة دائمة في المعابد ونحوها من الأمور ، ولا يخـتلطون بعامة الناس ، وهؤلاء من طبقة توين يعتبر بحق رجال الدين والقدوة في العلـم والعمل ، ويسمىعظماؤهم باسم تنغرى كان (أي العالم الرباني) ، ولهذه المكانة الرفيعة لهذه الطبقة سمي هذا الطين بدين توين أيضا .

الثانية : طبقة قام ، وهم من رجال الدين الأتراك الذين يختلطون بعامة الشعب ويمارسون عمليات السحر والشعوذة وكتابة التمائم والتوليد وغيرها ، وبهذه العلاقة يوجد من يسمى دين الأتراك بدين قام أيضا ، وفيما بعد كثرت الخرافات وضعف العلم مما رفع من شأن طبقة قام ، وبسبب انكماش دور طبقة توين اشتهر هذا الدين بدين قام وعرف بهذا الاسم في المجال العلمي ، وحقيقة هذا الدين كما عرفها التاريخ كما يلي :

الاعتقاد بوجود إله واحد خلق الأرض والسموات وكل الموجودات من العدم ، ويسمى هذا الإله بإله قاراخان ، وإله قاراخان هذا يجلس في السماء الثامنة عشر ، ولا يتولى إدارة شئون الدنيا ، وإنما هناك إله من الدرجة الثانية يتولى أمور الخير من إنارة العالم والإيجاد والرزق وتوزيع البركة والتوليد والإنبات والإنماء وغيرها ، واسمه أولكان ، ويجلس في السماء الأولى ويتولى أمر مراقبة صغار الآلهة المكلفين بكل أمر من هذه الأمور ، وهناك إله آخر يدبر أمر الظلام والموت والقحط وآفات الجفاف والعواصف والنيران والفيضانات والسيول والمرض وكل أنواع الشر ، واسمه يرليك خان وهو يجلس في الظلام تحت الطبقة السابعةمن الأرض ، وكل أرواح الشر فوق الأرض تتصرف بأمره ، ومن أحب الآلهة من آلهة الخير لدى الأتراك إله اسمه يرسو ، وهو إله خصوبة الأرض والمطر وإيصال الماء ، وكذلك إله اسمه قاقين أوماي وقد يسمى باسم أوماي قاتون أيضا ، وهي إله الولادة والأمومة وتربية الأبناء .

وعبادة الأتراك كانت عبارة عن تقديم قرابين لهذه الآلهة في أوقات معينة من السنة وفي مكان محدد وبمراسم معينة ، وأعظم القرابين لديهم خيل أسود غر محجل يذبح فوق جبل عال في أول يوم من فصل الربيع للإله قاراخان ، ويقدم قرابين

لكل إله على حسب درجته ، وهناك كتب خاصة تبين العقائد والعبادات الأخرى في ديانة شامان ، والمراسم والطقوس ، ووظيفة كل من طبقة توين وقام ومراتب رجالف الطبقتين والدور الذي يقومون به بين الإله والمخلوقين .

وتوجد نظريتان في أصل نشوء دين شامان :

الأولى : يقول علماء المسلمين الذين يبحثون في دين الأتراك : إن دين شامان دين سماوي في الأصل ، وأنه دين توحيد انتشر على يد أنبياء الأتراك ، وفيما بعد تعرض أسس هذا الدين لتحريفات ، وبسبب الجهل تحول الدين إلى نوع من الوثنية وعبادة الطبيعة ، فتغيرت هذه الديانة إلى الشكل المعروف .

الثانية : وهي نظرية علماء التريخ الأوربيين ، ويرى هؤلاء أن ديانة محصلة الاعتقادات التي تطورت مع تطور أنماط الحياة وتغيرات البيئة والجو والأرض والجسم والتفكير ، فالطور الأول للديانة عند الإنسانية كان التوتمية وهي عبارة عن عبادة ما يرجى أو يخشى من حيوان أو نبات أو حجر أو جبل ونحوها ، والطور الثاني كان عبادة الروح أي تقديس روح الأب أو الجد أو العظماء ، والطور الثالث كان عبادة الطبيعة الأرضية من تراب ومياه ونار وحديد، والطور الرابع انتشر فيه عبادة الطبيعة العلوية من سماء وشمس وقمر ونجوم وكواكب، وفيما وبعد ومع تطور العقل البشري ظهر الإيمان بالله . وهذه النظرية وإن كانت النظرية الوحيدة المقبولة أمام العلم ، إلا أنها ليس بقوة تجعلها تغلب النظرية الأولى تماما ، فعند دراسة ديانة شامان يستطيع الباحث أن يلمس آثار كونها ديانة سماوية .

ما أنه توجد في طقوس وقصص وعادات وتقاليد وعبادات وعقائد الأتراك القدامى آثار التوتمية وعبادة وتقديس الأرواح وعبادة الطبيعة الأرضية وكذلك

عبادة الطبيعة السماوية بكثرة جدا ، ولهذا أرى أنه ليس من الدقة العلمية أن نصدر حكم قاطع في أصل نشوء الديانة الشامانية .

فكما أنه لا يمكننا القول بأن أسماء الأشخاص الخمسة وعشرين الذين أطلق عليهم أنبياء الأتراك من محض الاختلاق ، كذلك يوجد من يزعم أن السيد قولباق الذي ورد اسمه وأحواله في كتاب ديوان لغات الترك كان نبيا من الأنبياء .

الباب الثاني

التاريخ الخاص للتركستان الشرقية

بيـــنما انتهى ما يمكننا ذكره من مبدأ التاريخ الأتراك عموماً ، والآن نقف من ضكر العام لتاريخ الأتراك ونبدأ التاريخ الخاص التركستان الشرقية .

نقسم تاريخ تركستان الشرقية الى ثلاثة شرائح ونقاط.

١-دور النقطة الأولى ، بناء على روايات الأتراك والإيرانين و إستنادا على أدبيات الأتراك قديماً .

٢-النقطة الثانية ، ابتدء من تاريخ الهنود قديماً الى بزوغ شمس الإسلام.

٣-النقطة الثالثة ، من بداية الإسلام خاقانيين الأتراك لتركستان الشرقية حتى الوقت الحاضر يعنى من ..١٣٥٩م ـــ ١٩٣٩م

النقطة الأولى : روايات الأيغور القديمة في العهد..

أدوار تاريخ تركستان الشرقية ..

من المعلوم أن تركستان الشرقية كانت قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد في مراحل متقدمة من عهود الحديد والنيكل ، وأنها كانت تبيع المنتجات المصنوعة من الحديد والصلب إلى الأمم المجاورة ، وإن كنا نعتقد أن دخول هذا البلد إلى التاريخ يتوافق مع هذا الدور ، فإنه مع الأسف الشديد لم تظهر بعد الوثائق التي تثبت هذا الاعتقاد ، ولكن البحث العلمي والتنقيب الجاد عن تاريخ تركستان الشرقية لم تبدأ بعد ، لذا اعتمادا على الوثائق التاريخية الموجودة بين أيدينا نقول مؤقتا : إن تاريخ تركستان الشرقية تبدأ قبل القرن السابع الميلادي قبل الميلاد، ، ونستطيع أن نرصد عهود التاريخ في التركستان الشرقية مقسمة على خمسة أدوار الآتية :

١) التاريخ القديم استنادا على الروايات .

٢) ما قبل الدخول في وحدة الهون .

٣) من بعد الانضمام لدولة الهون حتى عهد الإسلام .

٤) ما بعد دخول خانات تركستان الشرقية في الإسلام .

٥) ما بعد احتلال المانشو حتى حكم شين سي ساي .

الفصل الأول

تاريخ تركستان الشرقية كما تقول الروايات والآثار الأدبية..

إن الروايات والآثار الأدبية والبحوث المعاصرة تثبت أنه كانت هناك في تركستان دول عظمى في العصور السابقة على دولة الهون قبل الميلاد بقرون عديدة ، ونظرا لنقص المعلومات والروايات الأدبية بخصوص أسماء هذه الدول وعددها وكيفية قيامها ولمعارضة هذه الروايات بعضها ببعض ، ولأن البحوث الأثرية التي تأتي في مقدمة مصادر المعلومات الخاصة بهذه المرحلة لم تتحقق في بلاد الأتراك عامة وفي تركستان الشرقية خاصة ، فضلا عن أن معظم المعلومات التي بين أيدينا لم يتم بعد تمحيصها بالتحقيق العلمي ، نظرا لهذا كله فإن قسما من المعلومات الخاصة بتاريخنا القديم لم تحتل بعد مكانة تليق بها في الدراسات العلمية الحديثة .

وبالرغم من ذلك فإن المعلومات الخاصة بهذه المرحلة من تاريخ تركستان والتي تم استقاءها من المصادر الموجودة بين أيدينا أكثر قيمة من الأساطير الإيرانية وحكايات ويدا الهندية والقصص الصينية عن عهود الأباطرة الخمسة والسلالات الثلاث ومن أساطير روما واليونان القديم ، لأنا نرى أن وقائع بداية تاريخ هذه الدول مليئة بالخرافات والأساطير التي ترفضها العقل وبالمبالغات والتخيلات الوهمية التي تخالف قوانين وسنن الطبيعة ، على عكس ذلك ل وفيما يلي أقدم إلى القراء الكرام معلومات موجزة عن الروايات الأدبية والوثائق الأخرى التي ا يوجد مثل

هذه المبالغات في المعلومات التاريخية التي تعود إلى عهود تركستان السحيقة ، وصلت إلى أيدينا بهذا الخصوص .

الروايات الإيرانية..

بناء على الروايات التاريخية الإيرانية كانت هناك في تركستان دولة عظيمة تسمى توران قبل ألفين وبضعة مئات من السنين ، وهذه الدولة خاضت معارك كبيرة مع الدولة الإيرانية استولت إثرها على إيران وغرب آسيا ثم انسحبت إلى تركستان ، وكانت هناك حروب مستمرة بين الملك فريدون والملك منوجهرة من ملوك إيران وبين خاقان توران (ملك تركستان) آفراسياب ، وفي عهد نوزر من ملوك إيران شن آفراسياب حملة على إيران بجيش قوامه أربعين ألف جندي واستولى على إيران وقتل الملك نوزر وحكمها اثني عشر عاما ، ثم خرج منها بسبب ما حدث فيها من الجفاف الشديد وما تلتها من القحط ، كما حارب كل من زاب وكيقوباد من ملوك إيران آفراسياب وأجبره على الانسحاب ، والملك كيكاوس وإن خضع لآفراسياب في البداية ودفع الإتاوة له وأظهر الصداقة إلا أن العلاقة بينهما ساءت فيما بعد وسالت دماء كثيرة ، وقد زوج آفراسياب بنته من سياوش بن كيكاوس ولكنه قتله فيما بعد ، وقد جرت معارك كثيرة بين آفراسياب وبين ملك إيران الذي جلس على العرش بعد سياوش ، وعندما لم تتمكن الجيوش الإيرانية من الانتقام لسياوش من آفراسياب أرسلت رجالا سرا فاختطفوا كيخسرو بن سياوش المولود في تركستان ، ولما جلس كيخسرو على عرش إيران أراد أن يأخذ بثأر أبيه فشن حربا على آفراسياب في عام ٥٣٠ قبل الميلاد فمني بالهزيمة ،

وفي المرة الثانية وقعت بينهما عدة معارك ، وفي إحدى هذه المعارك التي وقعت عام ٥٢٩ قبل الميلاد تعرض آفراسياب لكمين أعدته الجيوش الإيرانية فقتل بسهم ، وعلى أثر ذلك استولى كيخسرو على القسم الغربي من تركستان حتى أورة تبة ، والمصادر اليونانية تسمى هذه المنطقة كروبولس .

ونتيجة لهذا الحدث سقطت وحدة الأتراك ، إلا أنهم استمروا في شن هجمات على المناطق التي استولى عليها كيخسرو ، وفي عهد لهراسرب وحد الأتراك صفوفهم وطردوا الإيرانيين حتى الشاطئ الغربي لنهر أغوز (آمو) ، وقد أقام لهراسرب طوال عمره (١٢٠ عاما كما تقول الروايات) في مدينة بلخ للدفاع من هجمات الأتراك ، وفيما بعد هاجم خاقات الترك آرجاسب على إيران وفي هذه الحملة قتل لهراسرب ، وجلس بعده جشتاسب على العرش الذي قدم الإتاوة لآرجاسب وحكم إيران تابعا له، وفي هذا الأثناء وبناء على ترغيب زرادشت الذي أسس المجوسية في إيران قام جشتاسب بدعوة آرجاسب إلى هذا الدين ، مما أدى إلى غضب الأخير فيعلن الحرب على جشتاسب ، وبعد حروب دامت فترة طويلة ينهزم جشتاسب على يد آرجاسب الذي يأخذ بناته رهينة ويرجع إلى تركستان ، وأخيرا يدبر إسبنديار بن جشتاسب مؤامرة فيقتل آرجاسب وكبار رجال دولته ، ومنذ ذلك الحين لم تقم للأتراك دولة قوية تستطيع مهاجمة إيران حتى فتحها إسكندر .

يتضح مما سبق أن في هذه المدة التي تقدر بحوالي ألفي عام يذكر خاقان تركستان باسم آفراسياب ، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أيضا أنه بناء على الروايات الإيرانية فإن آفراسياب هذا شخص واحد ، بيد أن المصادر الأخرى تقرر أيضا أن خاقان تركستان الذي قتل في موقعة ساحة خوارزم في عهد كيخسرو كان اسمه آفراسياب

على لسان الإيرانيين ، ولعل تسمية من سبقه من خاقانات الترك باسم آفراسياب سهو من جهة الرواة .

الروايات الآشورية..

بناء على المعلومات الواردة في الكتابات الأثرية للآشوريين يمكن القول بأنه في عهد آسارهاددون (٦٦٩ - ٦٨٠ قبل الميلاد) عبر الكيميريون الذين جاؤوا من منطقة الظلام في الشمال جبال القفقاس واستولوا على شبه جزيرة أنادولو دون أن يواجهوا مقاومة تذكر ، وبعدها سار إيشغوزايون (إسكيت باليونانية) إلى الشرق من قفقاس واستولوا على غرب إيران ومعظم أجزاء مملكة آشور (العراق) كما دمر أجزاء كبيرة منها ، وفيما بعد قتل ملك آشور زعيم الإسكيتيين إيشيا كايا .

الروايات اليونانية...

بناء على الروايات اليونانية وما كتبه المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس (٤٢٥ - ٤٨٥ قبل الميلاد) كانت هناك دولة إسكيت في المناطق الممتدة من نهر تونا في الغرب إلى داخل تركستان في الشرق ، قاد خاقان دولة إسكيت مادياس (آفراسياب) بن بروتاسية سنة ٦٠٣ قبل الميلاد حملة على إيران وهزم كياخسار ملك إيران آنذاك واستولى على إيران وآسيا الغربية وحكم هذه المناطق ثمانية وعشرين عاما ، وملك إيران كياخسار (كياكسارس) دخل تحت طاعة مادياس فحافظ على نفسه ، وفي عام ٦٣٥ قبل الميلاد دبر كياخسار مؤامرة قتل فيها مادياس مع كبار رجاله في ضيافة بعد إسكارهم ، وقد قاوم الإسكيتيون هجمات

كياخسار بشدة ، إلا أنهم انهزموا وتقهقروا إلى مملكة الإسكيت لعدم وجود زعيم يوحد صفوفهم .

وبناء على رواية المؤرخ اليوناني كيتاسياس وهو الطبيب الخاص لدارا الثاني ملك إيران (٤٨٥ – ٤٢٥) فإن قيروش (كيوخسرو) قد سار بجيش كبير إلى جهة الشرق لإخضاع الشعوب والقبال المحاربة القاطنة في البلاد المجاورة لحدود إيران إلى سلطانه ، فاستمر هذا الحرب لمدة خمس أو ست سنوات ، في البداية هاجم قيروش مناطق باختريا (بلخ بأفغانستان اليوم) وميمنة وقطغان ، وكان اليونانيون يسمون شعوب هذه المناطق باسم داخي ، دافع هذه الشعوب وقاوموا هجمات قيروش في البداية ، ولكنهم فيما بعد لما علموا أن قيروش هذا هو حفيد استياغ ملك مد ، وأنه حفيد لملك ينتمي إلى عرقهم وليس غريبا عنهم قبلوا طاعته ، وكانت شعوب داخي من الطورانيين السابقين ، وبعد ذلك استولى على مناطق مازيانا (خراسان) ووارزميا (خوارزم) وسغديانا (بخارى وسمرقند) ، وتوغل الجيش الإيراني حتى ضفاف ياكسارت (سير دريا) ، وبنى قيروش في هذه المناطق عدة حصون لصد هجمات من آسيا الوسطى ، وأهم هذه الحصون كان حصن كيروش خانا (كيروبولس باليونانية وهي أورة تبة الحالية) التي أقيمت أمام أهم بعبر لياكسارت ، وهذه الأحداث وقعت فيما بين عامي ٥٤٦ – ٥٣٩ قبل الميلاد .

وبناء على رواية خينوفانس (٣٢٠ – ٣٨٠ قبل الميلاد) من تلاميذ الفيلسوف اليوناني الشهير سوقراط: فإن قيروش هاجم بعد ذلك جموع ساقا الشجعان في الشرق (تركستان الشرقية حاليا) وهم ينتمون إلى الطورانيين ، وفي المعارك وقع آمورجز خاقان ساقا أسيرا لقيروش الذي ظن أنه بذلك استحوز على مملكة ساقا ، ولكن سياراترا زوجة آمورجز أعادت تنظيم صفوف جيش ساقا وكونت جيشا

مكونا من خمسمائة ألف مقاتل من بينهم مائتا ألف مقاتل من النساء فهاجمت قوات قيروش ، فقتلت الكثير من جنود قيروش وأسرهم مما اضطر قيروش إلى طلب الصلح والانسحاب ، قبلت سياترا طلب الصلح وأطلقت سراح الأسرى الإيرانيين وأنقذت الخاقان آمورجز من الأسر ، كما قبلت دفع الخراج لقيروش والمساهمة بقوات في الحروب ، وفيما بعد كان فرسان ساقا يشكل فريق الأبطال الشجعان في جيش قيروش الفاتح .

وفي رواية هيرودوتس أن قيروش طلب الزواج من تومرس خاتون ملكة مساجت القاطنين في شرق ياكسارت (سير دريا) ، فهاجم قيروش على بلاد مساجت انتقاما منهم لهذه الإهانة ، وكان على رأس قوات مساجت سيارغايسي بن الملكة تزمارس وولي عهدها ، وقع سارغايسي أسيرا بعد إصابته في المعركة ، فانتحر خوفا من العار ، مما كان له وقعه على نفس الملكة تومارس فتعرضت لقوات قيروش بجيش كبير ، وعلى حد تعبير هيرودوت فإن هذه الموقعة كانت دامية لدرجة أنه لم يحدث مثلها حتى ذلك الحين ، في البداية بدأ التراشق بين الفريقين عن قرب ، ولما نفدت السهام التحمت قوات الطرفين بالسيوف ، ودامت المعركة وقتا طويلا دون أن يغلب طرف الآخر ، وفي النهاية انتصر المساجت وقتل معظم الجيش الإيراني على أرض المعركة بينما نجا القليل منهم بالفرار ، وعثر على جثمان قيروش بين القتلى ، قيل إن تومارس أتت برأس قيروش فوضعتها في قربة كبيرة مليئة بالدماء قائلة : أنا الآن أعيش

وأحقق النجاحات وقد سلبت مني ابني بالحيلة وسأشبعك بالدماء فانتقمن من قيروش بذلك ، وكان مقتل قيروش عام ٥٢٠ قبل الميلاد.

وجاء في رواية كيتاسياس : أن دارا لأول دخل الأناضول بجيش قوامه ثمانمائة ألف مقاتل وعمل جسرا على مضيق اسطانبول فعبر منها وهاجم الإسكيت العربيين القاطنين فيما بين نهري تون ودون عن طريق البلقان ، ولكن الإسكيت كانوا قد انسحبوا إلى أماكن بعيدة بعدما أحرقوا حقولهم ومراعيهم ودفنوا آبارهم محولين بذلك هذه الأراضي الشاسعة إلى خرابة ، وبسبب ذلك هلك الكثير من قوات دارا من الجوع والعطش والوباء ، فرجع دارا من حملته هذا بخسارة ضخمة دون أن يحصل على شيء ، إلا أنه لا يوجد في كتابات بيستون الذي خلده دارا أي ذكر لهذه الحملة ، وإنما يذكر فيه أنه قاد حملة على جموع ساقا في تركستان وأخضعهم .

وفي بيان هيرودوتس أيضا : أن عهد الازدهار التي اتسعت فيه رقعة الإمبراطورية الإيرانية كانت في عهد شاهنشاه دارا الأول (٤٨٠ - ٥٢٠ قبل الميلاد) فاتسعت الإمبراطورية لتشمل مصر ويونان وسوريا والأناضول في الغرب كما شملت ياكسارت (سير دريا) وجيجارا في الشرق ، وعلى هذا وكما يرى الإيرانيون واليونانيون فإن الجزء الغربي من شعب تركستان الذي يسمى ساقا قد خضعت لحكم إيران بينما بقي الجزء الشرقي تحكم نفسها بالاستقلال التام .

وعلى رواية خنوفانس أنه منذ من حين وفاة أردشير شاهنشاه إيران إلى سقوط إمبراطورية فارس على يد إسكندر (٣٣٠-٣٥٩ قبل الميلاد) عاش شعب ساقا مستقلة كخانية صديقة دون أن يخضعوا للإمبراطورية الإيرانية . وبناء على رواية المؤرخ اليوناني ديودور الذي عاش في القرن الأول الميلادي أنه عندما جلس دارا الثالث على العرش كانت حدود إيران في الشرق آكسوس (آمو دريا) ، مما يعني أن ساقا لم تكن تحت الحكم الإيراني .

وبعد أن استولى الفاتح العظيم إسكندر المقدوني على إيران اتجه إلى بلاد تركستان مملكة ساقا وهاجمهم ، وبعدما عاين شجاعة ساقا في دفاعهم عن بلادهم رأى أنه من الخطورة بمكان إخضاعهم تحت حكمه فأراد أن يكتسب ودهم ودعمهم فتزوج بروكسانا (روشنك) الشهيرة ابنة أوقسيار خاقان سوغديانا (بخارى وسمرقند)،وتقدم حتى ضفاف سير دريا وجعل حصن كيروبولس (أورة تبة) آخرحصن له ثم عاد، وقبل عودته شكل جيشا من فرسان ساقا الأبطال ورماهم المهرة وضمه إلى قواته.

الروايات الهندية...

يذكر الكتب الهندية المقدسة أن شعب توروشكا كان يقطن مملكة ساكادويبا (مملكة إسكيت) ، وجاء في سجلات لأحداث التي تعود إلى عصور الهند قبل الميلاد أن طوران ملك شعب تروشكا هو من نسل فريدون ، وأن ملكهم آفراسياب قد حكم الهند وأنه توفي بسمرقند . وجاء في التاريخ الخاص لأسرة أوديبور راجا : أن جدهم الأعلى بطل من تروشكا واسمه بافا ، وبعد أن أقام بافا دولة في أوديبور عاد إلى وطنه وترك ابنه قومان ملكا على هذه الدولة . وحكام إمارة أوديبور راجا التي ما تزال قائمة إلى اليوم يعتبرون أنفسهم من أحفاد قومان ويحملون لقب هومان .

وبوضوح تام ذكر في كتاب أحداث كشمير التي نشره آرول شتاين باسم رايانا رنجاني : أن كوشكا وهوشكا وكانيشكا من الملوك الذين حكموا الهند هم ملوك تروشكا ، وهؤلاء يسمى يوجي في المصادر الصينية وساقا في المصادر الهندية . (أسسوا دولة في القرن الأول من الميلاد) .

والمؤرخ الكبير أبو ريحان البيروني الذي عاش في القرن العاشر وبرز في علوم الجغرافيا والفزيقا عندما يتحدث عن كانيشكا يسميه قانيق ، ويتبين من هذا أن أسماء هؤلاء الحكام في الأصل كان قانيق التي كانت اسم علم واسم عشيرة في نفس الوقت عند الأتراك منذ القدم وحتى اليوم ، كما يعلم أن تراكيب العبارات في سانسكريت (لغة الهند القديم) الذي له خصائص مميزة قد حرفت هذا الاسم التركي وأدت إلى استعمالها على شكل كانيشكا ، وهذا يشبه تماما حال الصينيين الذين لا يستطيعون أن يتلفظوا بمفردات لغتنا دون أن يحرفوها ، فمثلا ينطقون محمد مخامدي وطورسون توآرسون وكاشغر خاشي وخوتان خوتي أن .

وإيضاح أبو ريحان البيروني النطق الأصلي لهذه الكلمة يفسح لنا الطريق لمعرفة أصل العديد من الأسماء في التاريخ القديم للهند ، ونحن نسير في هذه الطريق ونستطيع أن ندعي بجرأة أن كلمة تروشكا أصله الترك ، وكلمة هوشكا أصله أويوك أو هيوك ، وكلمة كوشكا أصله كوبوك .

كما ذكر أبو ريحان البيروني أن شجرة النسب لملوك كابل الأتراك قد عثر عليه في حصن ناجركوت مكتوبا في تميمة حريرية ، وقد سجل فيها أسماء ستين شخصا من الحكام الذين حكموا في الفترة من سنة عشر قبل الميلاد إلى سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد ، ويجب التذكير هنا بأن المؤرخين قديما وحديثا يقررون أن ملؤك كابل هؤلاء هم من بقايا ساقا ، ويذكر بعض المؤرخين أن هؤلاء من بقايا القوشخانيين الذي ينسب إليهم كانيشكا (قانيق) الذي سبق ذكره وسيأتي سيرته ، وبناء لماورد في تاريخ آسيا الذي

كتب في أفغانستان أن ملك الترك القدامى الذي سمي في المصادر الإيرانية آفراسياب كان اسمه التركي بوقاخان ، وقد استولى على أفغانستان وإيران وحكمها عدة سنوات ثم انهزم وانسحب إلى تركستان.

الروايات التركية :

بناء على الروايات الواردة في كتاب شجرة الترك لأبي الغازي بهادرخان كان للأتراك في قديم الأزمنة تسع عشرة دولة مستقلة ، عشرة منها في الغرب ، وتخضع لهذه الدول العشرة المناطق الواسعة التي تحيطها الجبال الجليدية المرتفعة من الغرب والشمال والجنوب ، والصحراء الرملية من الشرق ، والدول التسعة الأخرى كانت في شرق الصحراء وتسيطر أيضا على مناطق شاسعة ، وفي وقت من الأوقات اجتمع حكام الدول العشرة في الغرب وقرروا تكوين دولة قوية ، واختاروا من بينهم خان لهذه الدولة ولقبوه بلقب (أل إلتر) وسموا هذا الاتحاد باسم (الأيغور العشرة) . وفيما بعد اتحدت الدول التسع في الشرق في دولة موحدة سموه (الأويغور التسعة) ، واختارت لها زعيما ولقبوه (كول أركين) ، واستمر الحال بنظام الدولتين زمنا طويلا ثم اتحد الدولتان وأصبحت أعظم دولة في العالم ، ولقب الحاكم الأعظم في هذه الدولة بلقب (قاراخان) ، وآفراسياب الشهير أحد هؤلاء القاراخانيين ، ولا نعرف متى سقطت هذه الدولة .

وبناء على الروايات التي ذكرها شيخي مراد رمزي بك في كتابه تلفيق الأخبار فإن بعض كتب التاريخ المعاصرة تقرر أن ظخور الأويغور في ساحة الأحداث كانت في عهد أوغوز خان ، أي في عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد .

وبناء لما أورده محمود الكاشغري في كتابه ديوان لغات الترك من الروايات كان لقب آفراسياب خاقانا ، وهناك قصة طوبلة لتلقبه بهذا اللقب ، كان لقب خان يطلق على الأمراء من أولاد آفراسياب، بينما تطلق على الأميرات لقب قاتون أو تريم ، وكان آفراسياب يثيم في كاشغر ويحب جوها ، ولذلك

كانت تسمى كاشغر (أوردا كنت) أي العاصمة ، وكانت بارجوق مدينة في تركستان الشرقية حبس بختنصر فيها بيتزن بن نابوقودون آسور ، ومدينة قزوين في إيران بنتها قاز قاتون بنت آفراسياب ، ويعد بعضهم مدينة قازوين ومدينة قوم داخل حدود بلاد الترك ، ومما لا شك فيه أن كلمة قوم كلمة تركية ، وكانت قاز قاتون تحب مدينة قوم وتخرج للصيد فيها ، وقد بنى تونج ألب أر أي آفراسياب مدينة مرو ، وكان هناك مدينة ينغي كنت بالقرب من مدينة بخارى يسميها الإيرانيون روبيت دز (أي القلعة النحاس) لقوة دفاعاتها ، وكان آفراسياب قد قتل سياوش (الأمير الإيراني) زوج بنته قاز قاتون في هذه المدينة ، وتسمية نهر قاز في وادي إيلي لها علاقة ببناء قاز قاتون قلعة في غاية العظمة على ضفاف هذا النهر ، وقد بنى أيضا بارمان وبارسغان ابنا آفراسياب مدينتين وسماهما باسميهما ، ويكتب محمود الكاشغري أن والده كان من مدينة بارسغان . وسماهما باسميهما ، ويكتب محمود الكاشغري أن والده كان من مدينة بارسغان .

يذكر محمود كاشغري هجوم إسكندر على تركستان وانهزامه وتصالحه وعودته كالتالي :

" عندما عبر إسكندر مدينة سمرقند واتجه نحو تركستان كان خاقان الترك شابا اسمه شو ، وكان له حيش كبير ، وقد أرسل الخاقان شو أربعين من كبار ضباطه إلى ضفاف نهر خوجند (سير دريا) سرا دون أن يعلنه إلى شعبه وجيشه ، وكان مهمتهم جمع معلومات عن عبور إسكندر سير دريا وطريق سيره نحو الشرق وإخبار الملك بذلك ، وفي إحدى الأيام قال كبار رجال الدولة للملك شو : إن الإسكندر بدأ يقترب ، هل نحاربه أم لكم أوامر أخرى ؟ فلم يجبهم الخاقان وإنما بدأ يلهو مع الأوز في حوضه الفضي بعد أن أملأه بالمياه ، وأجابهم قائلا : انظروا إلى غوص الأوز ولعبها في الحوض الفضي ، فغضبوا من جوابه ، وأصابهم الهم والغم قائلين إن الملك ليس لديه الاستعداد للحرب وليس لديه خطة للانسحاب ، ولكن الخاقان كان متماسك الجنان وكان لديه خطة سرية للعمل طبقا لما يرد إليه من معلومات التي يرسلها ضباطه ، وفي إحدى الليالي أتى الضباط بالخبر وقالوا إن إسكندر عبر سير دريا ، فأمر الخاقان فورا بضرب طبول الحرب وجمع قواته واتجه ليلا نحو الشرق ، ومغادرة الملك فجأة هكذا بدا للناس كالهروب فأصابهم الرعب فركبوا ما تيسر واتجهوا نحو الشرق إثر الملك ، في اليوم التالي لم يبق في البلد آدمي واحد فتحول البلاد إلى خرابة ، وكان الناس في هذه الدولة حينذاك يعيشون حياة الخيام ولم تكن مدن بالاساغون وإسبيجاب والمدن الأخرى قد تكونت بعد ، وكان الخاقان شو يسير بجيشه وشعبه نحو الشرق ، والاسكندر يظن أن الخاقان هرب فسار على أثره يتتبعه ويخطط للاستيلاء على الصين

بسيره هذه ، وبعد سير طويل وعندما اقتربوا من بلاد الأويغور توقف الخاقان فجأة عن السير واختار أربعة آلاف رجال من أشجع رجاله وأرسلهم لمداهمة قوات إسكندر تحت قيادة قائد خبير، وكان على خوذة هؤلاء الأبطال أجنحة الطير من الجانبين ، وكان هؤلاء الأبطال من الرماة المهرة الذين يصيبون الهدف من الخلف كما يصيبونها من الأمام ، وكان الاسكندر قد تعجب من مهارتهم هذه .

وفي إحدى الليالي انقض هؤلاء الجنود الأتراك على الصفوف الأولى لجيش إسكندر وهزمهم شر هزيمة ، ويوضح محمود الكاشغري الأهمية التاريخية لإحدى المعارك في هذه الحروب فيقول : ضرب جندي تركي جنديا من جيش إسكندر بالسيف فقسمه قسمين حتى سرته ، وكان مع الجندي المقتول كيس فيه نقود ذهبية في خاصرته ، فقطع السيف هذا الكيس أيضا فانتثر الدنانير على الأرض وقد تلوثت بالدماء ، وفي الغد لم يتعرف الأتراك على هذا الشيء الملوث بالدماء وتساءلوا ما هذا ؟ فقال أحدهم : الدم المذهب ، وبذلك سميت إحدى الجبال الصغيرة القريبة بجبال الدم المذهب ، واليوم (أي في زمن محمود الكاشغري) الجبل المسمى بالدم المذهب قريبة من بلاد الأويغور ، ويعيش حوله قبائل كثيرة تشتغل بالرعي ، وفي هذه المعارك انهزم الاسكندر وتصالح مع الخاقان شو ورجع ، فجاء الخاقان شو على إثر إسكندر حتى بالاساغون وبنى مدينة سماها شو " .

محاكمة ونقد:

إن المعلومات المستقاة من الروايات الإيرانية من بين الروايات المختلفة السابقة التي تغلب عليها الطابع الأسطوري خلاصة موجزة لأجزاء الروايات التي تؤيدها العقل، وعلاوة على ذلك فإن تاريخ كتابة هذه الروايات يبدأ بشاهنامة أبي القاسم منصور الفردوسي (٣٢٩ - ٤١١ هـ) ولعل الفردوسي قد أخذ هذه الروايات من أفواه الشعب الإيراني ومن الآثار التي عثرت في زمانه ، ولهذا يعتبر العلماء المعاصرون الروايات الواردة بشاهنامة من القصص الشعبي الإيراني ، ولا يمكن ترك المعلومات المستقاة من الروايات الإيرانية السابقة وعدم الثقة بها على أساس أنها من القصص الشعبي ، لأن هذه المعلومات تثبتها المصادر الموثوقة ، فمثلا القسم المسمى زاؤسترا في بداية كتاب أويستا وهو الكتاب الديني الإيراني الذي كتب في القرن العاشر قبل الميلاد يقوي الروايات السابقة ، ويعطي معلومات واضحة عن خاقان الترك بيران وتيران . ثانيا : إن الروايات المأخوذة من المصادر اليونانية التي تعتبر أقدم الكتب التاريخية الكلاسيكية في العالم تبدو بوضوح مطابقتها للمعلومات المستقاة من الروايات الإيرانية . ثالثا : يوجد شواهد يشهد لهذه الروايات بوضوح في سجلات الأحداث والكتب المقدسة الهندية التي ما تزال موجودة حتى اليوم ، والروايات اليونانية هي خلاصة مستقاة من الكتب التاريخية الكلاسيكية التي تعتبر اليوم بمثابة الحجة في ساحات العلم ، كما أن مؤلفي هذه الكتب أمثال هيرودتس وكتاسياس وخنوفانس من مشاهير العلماء الذين

عاشوا قبل الميلاد بقرون ، وعلى هذا فإن المعلومات المستقاة من الروايات الإيرانية تعتبر حجة لها قيمتها العلمية .

يضاف إلى ذلك ما جاء في المصادر اليونانية القديمة مثل إلياذة وأوديسة التي ألفها موميروس (٨٤٠ قبل الميلاد) من قصائد الشاعر هسيود الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد والشاعر آشيل الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد الذين يصفان شعوب إسكيت بأنهم أرقى الشعوب تحضرا ، ومؤرخو اليونان وعلى رأسهم هيرودوتس يكتبون عن شعب إسكيت بأنهم في متفوقون على الأمم الأخرى في العلم والحضارة والصناعة كما تفوقوا في الشجاعة والإقدام ، وبناء على روايات هؤلاء المؤرخين فإن ملوك إيران كانوا يستقدمون المعلمين من الإسكيت لتعليم أولادهم .

إن متاحف أوديسا وكييف ولينيجراد مليئة بالبراهين الأثرية القيمة التي تثبت حضارة إسكيت الرفيعة ، كما يثبت الاكتشافات الأثرية في السنوات الأخيرة أن حضارة إسكيت كانت موجودة قبل الميلاد بآلاف السنين .

إن كتاب الجغرافيا لبطليموس الذي كتب في سنة ١٥٠ الميلادية يذكر أن مملكة إسكيت يحدها نهر تونا غربا وإيماوس (جبال آلتاي) شرقا ، وسيأتي بيانه .

إن الروايات الهندية ليست أقل قيمة من الروايات اليونانية لأن لهذه الروايات خصائص الوثائق الأثرية، وخاصة الكتب المقدسة قبل الميلاد وشجرة النسب لملوك أوديبور وشجرة النسب لملوك كابل ، كما أن الوثائق القديمة

المكتوبة مثل سجل أحداث كشمير يشير بوضوح إلى أن الشعوب المعروفة باسم إسكيت وساقا وقوشخان من عرق تروشكا (الترك) الواحد ، وقد اكتسب بذلك ساحة العلم وثيقة لا يمكن ردها ، وتصحيح البيروني النطق السليم لكلمة كانيشكا بأنه قانيق خدمت الساحة العلمية ولعبت دورا رئيسيا لتصويب خطأ كبير ، وتصويبه هذه لا تنحصر بكلمة كانيشكا وإنما تتعداه إلى العديد من الأسماء التركية التي تنتهي بمقطع شكا في السانسكريتية ، ويبين أن مقطع شكا هي في الأصل والحقيقة حرف القاف أو أقرب حرف منها وهي الكاف .

ويذكر في كتاب تاريخ آسيا المطبوعة في أفغانستان أن آفراسياب كان اسمه الأصلي بوقاخان ، وهذا له أهمية في الساحة العلمية ، لأن بعض المؤرخين يرجحون كون كلمة آفراسياب باللغة المدية أي الإيرانية القديمة وأنها ليست كلمة تركية ، ومنهم من حاول أن يخرج من هذا كله بادعاء مفاده أن آفراسياب كان ملكا إيرانيا ولم يكن خاقانا تركيا ، وكتاب تاريخ آسيا يؤكد لنا بأن بوقاخان هو اسم خاقان الترك العظيم ، ولعله اتخذ اسم آفراسياب الذي يشعر بالعظمة لقبا له باللغة المدية عندما فتح بلاد إيران، ومن المحتمل طغيان هذا اللقب على اسمه في اللغة المدية والتاريخ الإيراني فبقي اسمه الحقيقي طي النسيان ، ويظهر من قصيدة الرثاء لآفراسياب نرى أن اسم آفراسياب الأصلي ما كان يطلق عليه في بلاد تركستان ، وإنما كان يطلق عليه لقب

آلب أرتونغا الذي يفيد الشجاعة وبلقب أمير الأمراء الذي يعني الحاكمية العليا .

ورواية أبي الغازي بهادرخان إنما هي بمثابة رواية ملحمية وليس لها قيمة الوثائق التاريخية ، وإن صلحت لشيء فإنما تصلح لتأييد المعلومات الواضحة والتي تقول بأن الأتراك قد أقاموا دول كبرى في العهود القديمة الساحقة .

ورواية كتاب تلفيق الأخبار وإن كانت تقول إنها أخذتها من المصادر الأصلية إلا أننا لا نعلم هذه المصادر ، وبالتالي لا يمكننا تقييم هذه الرواية الآن .

أما روايات ديوان لغات الترك فإنها تعطي معلومات واضحة حول آفراسياب وأسرته وأهم المدن التركية ومقاومة خاقان الترك لحملة إسكندر ونجاحه في الدفاع عن بلاده ، وكل المعلومات المشرفة لتاريخنا القديم والتي ذكرتها المصادر الإيرانية والهندية واليوناني والمصادر الأجنبية الأخرى فإن روايات ديوان لغات الترك تصبغها بالصبغة القومية وتكمل المعلومات الواردة من تلك المصادر ، ويوضح ألقاب آفراسياب باللغة التركية الخالصة مثل الخاقان آلب أرتونغا وبجلر بجي (أمير الأمراء) . والروايات الإيرانية تذكر أن اسم بنت آفراسياب كانت فرنكس ، وقد علمنا من ديوان لغات الترك أن اسمها بالتركية الخالصة قاز قاتون ، ويوضح لنا الديوان الكثير من مثل هذه الحقائق . والمصادر الإيرانية واليونانية تمر مر الكرام دون أن تذكر سببا لانسحاب إسكندر من تركستان ، وانسحاب مثل هذا الفاتح الطماع

والحريص على فتح البلدان من ساحات الفتوحات بدون سبب أمر لا يستسيغه العقل ، وبالطبع يفهم كل مؤرخ بأن هناك سببا لانسحاب إسكندر ولكن المسجلين لأحداث إسكندر تركوا ذكرها قصدا ، ولعل السبب هو هزيمته المنكرة ، ولأن كتابة هذا السبب يمس بكرامة واعتزاز الفاتح العظيم فلم يجرؤ رجاله على كتابتها ، وهذا السبب الذي تطلع إليها المؤرخون يذكرها ديوان لغات الترك بوضوح ، وقد علمنا من الديوان وحده أن تكتيك الخاقان شو الذي عمل خطة محكمة أدى إلى هزيمة قوات إسكندر شر هزيمة وأن إسكندر لم يجد طريقا لإنقاذ جيشه من الهلاك بالكامل إلا التصالح والانسحاب السريع ، ومن هنا يجب علينا أن ننظر إلى روايات ديوان لغات الترك نظرتنا إلى الروايات

ذوات القيمة العلمية ، وعيب رواية الديوان الوحيدة أن هذه الروايات موجزة ، لأن كتاب ديوان لغات الترك باعتبارها كتاب لغة وليس كتاب تاريخ فإنها تذكر الوقائع التاريخية في معرض الحاجة إلى شرح كلمات معينة فأوجزت سرد وقائع الأحداث بقدر الإمكان . وأما مرثية آفراسياب فإنها تدل على مدى عظمة شخصيته في تاريخ الأتراك وتصور لنا مدى الآثار العميقة التي تركتها موته المفجع على مختلف طبقات الشعب التركي .

الخلاصة :

إن الحقيقة التي يمكن استخلاصها من المعلومات والروايات السابقة هي أنه نشأت هناك في بلاد الأتراك ومركز ثقلها تركستان الشرقية العديد من الدول الكبرى في العهود السابقة على الميلاد بقرون عديدة ، ونحن وإن كنا نعلم من الروايات والوثائق القديمة الإيرانية واليونانية والهندية أن مؤسسي هذه الدول كانوا يسمون بأسماء مثل طوران وإسكيت وساقا ومساجيت إلا أنه يعلم من أقوى الوثائق الهندية والكشميرية أن الشعوب الذين هم مؤسسو هذه الدول في مختلف الأزمنة والبقاع كانت تنتمي إلى العرق التركي ويشملهم اسم الترك ، وبالرغم من عدم معرفتنا بوضوح تاريخ نشأة الدولة أو الدول التركية هذه من الروايات السابقة فقد رأينا من المصادر الإيرانية واليونانية أن هذه الدولة التركية ظهرت قبل الميلاد بألفي عام كأعظم دولة في آسيا ، وقد رأينا المصادر الهندية تقدم لنا الوثائق التي توضح الصورة أكثر ، كما أن التفسيرات الإضافية التي جاءتنا من قبل مؤرخ آسيا أبي الغازي بهادرخان ومحمود الكاشغري تصلح لتقوية وتأكيد الوثائق السابقة، ويجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يوجد حتى الآن أي رواية أو وثيقة أثرية تكذب وتناقض الروايات والوثائق السابقة ، بل على العكس من ذلك فإن الوثائق الأثرية التي تم العثور عليها حتى الآن ووضعت في متاحف موسكو ولينيجراد ولندن وبرلين ودهلي يقوي هذه الروايات والوثائق .

نستطيع أن نرجح بثقة بأن أقدم وأعظم دولة في التاريخ أسست في آسيا الوسطى من قبل الأتراك ، وقد علمنا واضحا من المصادر السابقة أنه كانت

لنا هناك دول عظمى ، كما علمنا أنه كان على رأس هذه الدول حكام من أمثال آفراسياب (بوقاخان وآلب أرتونعا وبجلر بجي) وبيران وتيرايانا وبروتاسيا وماديا س وأمركز والخاقان شو ، وسيدات باسلات مثل تومريس خاتون وسياترا خاتون اللاتي قهرن الغاتحين العظام ، إلا أن المصادر التي ذكرت هذه الحقائق كانت كلها مصادر أجنبية التي لم تكن كتابة

تاريخنا المفصل همها الأول ، ونحن نساءل ما إذا كان كتابة التأريخ القومي لم تكن عند الأتراك القدامى أم أنها كانت موجودة ولكن آثارهم اختفت بمرور الزمان؟ أيا كانت فإنه من المؤسف جدا عدم ظهور مؤلف قومي قديم حول تاريخنا في دنيا العلم حتى اليوم ، وكل ما لدينا من الوثائق عبارة عن الروايات الأجنية وقليل من آثار اكتشافاتهم الأثرية التي لا تعطي إلا معلومات منقطعة في غاية الإيجاز ، ولهذا نرى أن الدول العظمى التركية التي سادت في العهود القديمة وإن كانت تثبت وجودها في ساحة العلم كالجبل الأشم إلا أنه ما تزال تقديم معلومات عن ظروفها وأحوالها وأحداثها التفصيلية غير ممكنا ، والآمال منعقدة على الدراسات العلمية والاكتشافات الأثرية أن تقدم معلومات مفيدة في هذا الجانب وتملأ هذا الفراغ القائم حتى الآن .

مرثية آفراسياب

هل مات الأسد الضرغـــام؟

وهل بقيت لنا الدنيا الشرير؟

وهل انتقم القدر منا ومنه ؟

قلوبنا تتقطع من هذه المصيبة

قد أرهق الأمـــراء خيولهـــم
حيث جالوا في كل جانـــب
وقـــد اصفرت وجوههـــم
وهـــزلت أبـــدانهم حزنـــا

لقـــد عـــووا مثل الذئـــاب
وشقـــوا الجيـــوب متأوهين
من العويل بحت أصواتهـــم
ومن البكـــاء عميت أعينهم

لقد كان القدر لـــه بالمرصاد
ودبـــر لأجلـــه كمينـــــا
أوقـــــع فيـــه أميـــر الأمـــراء
وهل ينجـــو أحـــد من القـــدر

قـــد احتـــرق قلبي من أعماقـــه
ونزفـــت جرحي بعـــد التـــآم
أتذكر الماضي السعيد في حســـرة

كلما مــرت الأيــام و الليالــي

لقد تردى الأوضــاع و تدهــور
وتطــاول الجهـــال والأشــرار
وعدمت الفضائل والعلم والأخلاق
بموت سلطــان الدنيــا آفراسياب

قد ساء حال العلماء والحكماء بعده
قـــد ظلــم الــدنيــا هــؤلاء
وانمحــى اســم الفضيلة واحتقرت
كالتــوافــه يــداس بالأقـــدام

وتـــدور رحى القـــدر بالأيــام
ويضعــف الصـــالــح و يعجــز
ويذهــب بالــرجــال الأخيــار
ولــن يتـــرك من يعـــانــده

إن رمــى القــدر بسهمه مصوبا
مــن هــو الحائــل دونـــه؟
ولــو شــا أن يرمــي الجبــل

لتهـــدم مـــع واديـــه

كان قـــد أطفأ للأعداء نيرانهم

ومن قـــواعـــدهم أجلاهـــم

لقد واجـــه الأحداث الجسام

وسهمـــه كـــان قاتـــلا

______________؟

______________؟

(الأستاذ محمد أمبن لم يشرح البيتين الأخيرين من الرثاء)

الفصل الثاني

تركستان الشرقية من عهد إسكندر حتى عهد الهون..

بينا فيما سبق هزيمة وانسحاب الفاتح العظيم اسكندر من تركستان الشرقية عام ٣٢٧ قبل الميلاد ، والفترة من تلك الأيام وحتى انضمام تركستان الشرقية إلى إمبراطورية قون تقدر بنحو ١٢٠ سنة ، وهي تعتبر من أحلك فترات تركستان الشرقية التاريخية التي خيم عليها الظلام ، ولم نعثر حتى الآن على أي أثر مكتوب في هذه الفترة أو على أي آثار تعود إلى هذه

الفترة ، إلا أن في كتاب جغرافيا لبطليموس الذي كتب في عام ١٥٠ ميلادية والذي يعتبر أول كتاب جغرافيا العلمي نرى هذه المعلومات :

" إن الممالك التي تحدها نهر رورا (وولغا) غربا والبحر الأعظم شرقا كانت اسمها عامة إسكيتيا ، وتقع جبال إيماووس في وسط مملكة إسكيتيا فتقسمها قسمين قسم في الشرق وقسم في الغرب ، وفي الجنوب هناك جبال إيمو أوييل الذي يمتد من الشرق إلى الغرب ، والقسم الذي تقع غرب إيماووس في هذه المملكة ينقسم إلى الأقسام التالية : المناطق من نهر وولغا إلى الشرق حتى قرب جبال آلتاي تسمى سارماتيا آسيا ، والمنطقة التي تقع بين بحر الخزر وجبال الهند ونهر آمو تسمى باكتيانا ، والمنطقة التي بين أوكسوس (آمو دريا) ويكسارت (سير دريا) تسمى سوغديانا ، والمنطقة التي تمتد من سوغديانا حتى إيماووس تسمى ساقاروم (مملكة سقا) وتسمى الممالك التي تقع شرق إيماووس إسكيتا سريكا ".

وهذه المعلومات التي يقدمها بطليموس تبدو وكأنها توضح الجغرافيا الطبيعية ، ولكن الأمر الذي يجذب اهتمام المؤرخ هو أن حدود المملكة التي سماها بطليموس بمملكة إسكيتا هي نفسها حدود دولة قون ، إذ أن الحقيقة الوحيدة التي أجمع عليها المؤرخون هي أن دولة القون في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد كانت تحدها نهر إيتل (وولغا) وبحر الخزر غربا ، وجبال هندكوش وبامير وقاراقورام وقارانعو تاغ

(كوئنلون) وآلتون تاغ والنهر الأصفر جنوبا ، وكوريا وبحر اليابان شرقا ، ومراعي سيبريا شمالا .

وعلى هذا يمكننا القول إن الخاقان باغاتور (موتا بالصينية) خاقان قون العظيم عندما وسع رقعة دولته في كل جوانبه أسقط دولة إسكيت في الغرب وضم كل المناطق التابعة لدولة إسكيت إلى دولة قون ، ويرى المؤرخون الغربيون أن هذا لا يمكن اعتباره سقوطا لدولة إسكيت وإنما هي بمثابة نهوض أسرة إسكيت على الأقدام بشكل أقوى وألمع ، أيا كانت فإنه من المعلوم أن كلمة إسكيت إنما هي اسم

عرقي مشترك بين أقوام سارمات وباكتيان وسوغد وساقا وسيرك التي سكنت في هذه المنطقة الواسعة وأن القون الذين هم من أهالي إسكيتا سريكا الذي يسمى في جغرافية بطليموس ببلاد سريك هم جزء من جامعة إسكيت .

إن أقدم المعلومات الخاصة بتركستان الشرقية في المصادر الصينية تبدأ بأخبار جانغ جيان الذي زار تركستان الشرقية فيما بين عامي ١١٥-١٣٨ قبل الميلاد ، وما ورد في المصادر الصينية من معلومات تتناول قبل هذه العهود إنما هي عبارة عن مجرد افتراضات أو بالأحرى أساطير لا أصل لها فلا تستحق النظر بعين الاعتبار ، إذن يمكن القول بأن المعلومات التي يمكن أخذها من المصادر الصينية تبدأ بعد ٩١ عاما من حكم مملكة قون على تركستان الشرقية ، وبناء على هذه المعلومات فإن عدد الخانيات المحلية التابعة لدولة قون في تركستان كان أكثر من ثلاثين خانية ، (وستأتي بيانها في تاريخ دولة

القون) ونصل من هذا إلى نتيجة مؤداها أن تركستان كانت سادت فيها النظام الأقطاعي منذ عدة قرون ، وهذه الخانيات والدويلات التي تفرقت واختلفت وتصارعت فيما بينها بسبب هذا النظام فحرمت بذلك من قوة الوحدة التي كانت تتمتع بها عندما كانت تجتمع تحت راية الدول العظيمة .

والخلاصة أن هذه الفترة التي تمتد ١٢٠ عاما كان مشهدها العام كما يلي :

كانت الدول التي تنتسب إلى العرق التركي منذ العصور الغابرة تعترف باستقلال الخانيات الصغيرة داخل حدودها بشرط أن تدفع الضرائب والخراج وبشرط أن تجهز جيشا إذا لزم الأمر ، كما كان عليهم أن يتقبلوا وجود وكيل للخاقان الأعظم في قصورهم ، وكان لهم السيادة الكاملة في شؤونهم الداخلية ، حتى أنهم كانوا يستطيعون إقامة علاقات صداقة مع دول الجوار ومحاربتهم ، وكان من عادتهم أن كل خان محلي مشكوك في ولائه أو تم قمع ثورته يتم رهن أبنائهم أو إخوانهم في قصر الخاقان الأعظم .

إذن فإن الدول التركية العظمى كانت عبارة عن دول إتحادية توحد تحت مظلتها وإدارتها العامة مثل هذه الخانيات والدويلات ، وكون الخاقان الأعظم الذي يكون على رأس مثل هذه الدول العظمى ذات قدرات ومواهب سياسية وعسكرية وصرف أوقاتهم كليا في أمور الدولة دون الاهتمام براحتهم الشخصية كان بمثابة الأساس الذي تقوم عليه وحدة الدولة وقوتها ، وفي مرحلة الشباب لكل دولة يتوفر لها شخصيات ذوات قدرات والمواصفات السابقة وبهممهم وسياساتهم يصلب عودها ويشتد ساعدها ويتسع دائرة

سيطرتها ، ولكن وكما قال ابن خلدون بمرور الزمان يتجه الدول للشيخوخة ويجلس على عرش الدولة أمراء ليس لهم صلاحية ولا كفاءة فيكثر الصراعات والحروب حول العرش بين الأمراء فيظهر هناك مجموعات مسلحة ، زمثل هذه الأوضاع من أهم عوامل الضعف القوة المركزية للدول .

ومثل هذه الظاهرة قد وجدت بكثرة في الدول العظمى لدى الأتراك قديما ، وذلك عندما يجلس على عرش الدول العظمى أمراء عديمو الكفاءة والصلاحية ممن انغمسوا في اللهو والمجون ، فضلا عن الصراعات التي تحدث حول العرش وتجمع الأشرار حول الأمير الجاهل ، بسبب كل ذلك ضعفت مركز الدولة الخاقانية العظمى وبدأ الحكام المحليون يستفيدون من هذا الضعف لصالحهم ويعلنون استقلالهم وانفصالهم عن المركز ، وشيئا فشيئا أصبح المركز عبارة عن خانية صغيرة ليس إلا ، فظهر في تركستان عدة دول مستقلة بعضها صغيرة وبعضها كبيرة ، وما كانت الحروب تتوقف فيما بينها ، وعندما يتغلب طرف على آخر يخضع المغلوب للغالب ، ولذا نرى في تركستان أحيانا ثمان أو عشرة دول في وقت واحد ، وأحيانا أخرى نرى أيضا أن هذه الدول انقسمت فيما بينها فظهر في الساحة أكثر من ثلاثين من الدويلات والخانيات الصغيرة ، ودراسات المؤرخ دوجني تشير إلى أن خانيات تركستان الشرقية في العصور السابقة على الميلاد كانت إحدى عشرة دويلات كالآتي :

١ – خانية قومول : وهي ولاية قمول الحالية تتبعها سبعة من المدن .

٢ – خانية لاولان : تقع حاليا شمال بحيرة لوب ، وكانت تتبعها سبعة من المدن حول بحيرة لوب .

٣ – خانية أودون : ولاية خوتان الحالية ، ومدنها عشرة .

٤ – خانية ياركند : ولاية ياركند الحالية وكانت تتبعها إمارة طاشقورغان وإمارات أخرى.

٥ – خانية كاشغر : ولاية كاشغر الحالية ، وفي الجبال القريبة منها عشرة من المدن الصغيرة وعشرة من المدن الكبيرة ، وبطليموس في جغرافيته يسميها كاسيا ، وعاصمتها كانت تسمى أورداكنت .

٦ – خانية كوجا : وكانت أهم خانية بين الخانيات الست وتتبعها إمارات قوما (باي وما حولها حاليا) وأوروك سو (يحرفها الصينيون فيقولون ونسو وهي آقسو وما حولها اليوم)

٧ – خانية يونجو : وهي المنطقة التي تبدلت اسمها مرارا أكثر من غيرها في تركستان ، فاسمها الأقدم يونجو ، ثم كنجيت ثم سالاق ثم جاليش وأخيرا سميت قراشهر ، كانت خانية عظيمة عاصمتها مدينة كنجيت حول بحيرة يولدوز (بحيرة باغراش) ، والإمارات التابعة لها : إمارة سيكير (في الجبل الجاف) وإمارة أوي سو (أوشاق تال وما حولها حاليا) وإمارة بوكور وإمارة أولا (كورلا) وإمارة جولوي (جنوب غرب كورلا) وإمارة جرجن .

٨ – خانية قوجو : وموقعها طرفان وناحية أوج اليوم ، ومدنها : مدينة قوجو (الخرابة التي جنوب طرفان اليوم) ومدينة لاجين (يسميها الصينيون

لياوجنغ ولعلها بزكلك اليوم) ومدينة قوتشو (قاراقوتشو حاليا) ، وتتبعها من الإمارات : إمارة قوقو (ولعله توقسون حاليا) وبعض المؤرخين الصينيين يسمون لوكجين الحالية قوقو ، وإمارة تولوي (والصينيون يسمونها دولة شي دوي)

٩ – خانية بش باليق : وهي أورومجي وما حولها حاليا ، كانت خانية عظيمة تحدها خانية قوجو جنوبا ودولة قون شمالا وخانية أوسون غربا ، وتتبعها إمارات جامي (قطبي الحالية) وجونغ باليق (غوجنغ وضواحيها اليوم) وأوبونغ كول (ماناس وضواحيها) وتشو (ما بين أورومجي وفوكانغ) وبيلو (فوكانغ ويوليش وجيميسار وما حولها اليوم) .

١٠ – خانية أوسون : كانت خانية عظيمة في المنطقة الواسعة الممتدة من نهر إيرتش شرقا إلى خانية طشقند عربا ، وجبال تنغري جنوبا حتى سيبريا شمالا ، يسميها بطليمس آبي وإسكيت أيبو قازي ، والمصادر الصينية تسميها ووسون أو أوسون ، ولعلهم هم المقصودون باسم مساجيت في المصادر اليونانية وعاصمتها كانت مدينة جاقو الي تقع على ضفاف نهر إيلا .

١١ – خانية قون : تحدها مانشوريا شرقا ونهر إيرتش وخانيات قومول وبش باليق غربا ، فجزء صغير من شرق ولاية آلتاي وولاية قومول في تركستان الشرقية اليوم كان يتبع خانية قون هذه.

تركستان الشرقية من حين انضمامها لإمبراطورية الهون حتى عهد الإسلام...

عندما عاشت تركستان الشرقية عهود ملوك الطوائف ، ازدهرت في مغولستان دولة الهون الكبرى وبدأت تتطلع إلى تقوية نفوذها وضم ما حولها من الخانيات التركية إليها من عام ٣٠٠ قبل الميلاد ، وأخيرا فيما بين ٢٠٦- ١٨٠ قبل الميلاد انضمت جميع الكيانات التركية لإمبراطورية هون الكبرى فشكلت بذلك دولة الوحدة التركية الكبرى ، والجدير بالذكر أن الأعداء قديما وحديثا تكلموا في هذه الإمبراطورية العظيمة والمهمة في تاريخ الأتراك واتهموها بما لا يليق من افتراءات ، ولذلك رأيت من الضروري سرد أحداث هذه الإمبراطورية وبيان براءتها من تلك الاتهامات .

ـ الفصل الأول ـ

إمبراطورية الهون الكبرى :

كانت هناك أمة تركية تعيش في المناطق الواقعة من شمال الصين إلى نهر أورخون وجبال تانووالا في الشمال الغربي من منغوليا الآن ، ويسميهم المصادر الصينية باسم هيون نو (شوننو) ، والمراجع الأوربية باسم الهون ، ولكن من غير المعلوم في التاريخ بأي اسم سمى هؤلاء الأتراك أنفسهم ، وعلى هذا فنحن نذكرهم باسم الهون .

تبدأ تاريخ دولة الهون بما قبل عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، ولا نعلم عن أحوالهم وأوضاعم شيئا في تلك الفترة المظلمة من التاريخ ، والمصادر الصينية وإن لم تكن فيها معلومات واضحة عن دولة الهون إلا أنه كانت هناك حروب بينها وبين الصين منذ عام ٣٠٠ قبل الميلاد ، وكان الصينيون يبنون القلاع والحصون في كل مكان لصد هجمات الهون ، وأخيرا في عام ٢٤٩ قبل الميلاد وعندما قام اتحاد تام بين الصينيين بقيادة شي خوانغ دي إمبراطور الصين الكبرى ، قام الصينيون بتوصيل هذه القلاع بعضها بعضا حتى أصبحت هذه القلاع تشكل سورا عظيما على امتداد أكثر من ٣٠٠٠ كيلومتر ابتداء من ساحل بحر بيجلي حتى ولاية كانسو ، ولم يزل هذا السور باقيا كما هو عليه ، وهو ما يعرف اليوم كإحدى عجاب الدنيا السبع ، وسنذكر المعلومات المفيدة بخصوص سور الصين العظيم في فصل فيما بعد بعنوان : قراءة في العلاقة السياسية بين الأتراك والصينيين قديما .

لقد استفاد خوانغ دي كثيرا من هذا السور العظيم في زمانه ، حيث كان الصينيون يصدون هجمات الهون عبر استحكاماهم على امتداد هذا السور ويردون الهون على أعقاهم ، ولم يستطع الهون اجتياز السور حتى وفاة خوانغ دي ، لأن خوانغ دي كان يحتفظ بخمسمائة ألف جندي صيني على السور بصورة دائمة ، وقد توفي خوانغ دي عام ٢١١ قبل الميلاد .

توسع دولة الهون الكبرى :

كان لقب حكام الهون تنغرى قوت (أي بركة الإله) ، ولا نعرف أسماء التنغرى قوت الأوائل ، ولكن تنقوت الذي عاصر مع شي خوانغ دي (ينغ جنغ) كان اسمه تومان خان ، وحينا ترك تومان خان الحرب مع الصين وعمل بجد وجهاد لتقوية القوة القتالية في صفوف جيشه العظيم ، كما عمل جاهدا لإخضاع ممالك الأتراك على ضفاف نهر أورخون ونهر سلينكا إلى سلطانه مما جعله قوة يحسب حساها ، وبعد وفاة إمبراطور الصين خوانغ دي انقسم أولاده وتفاقمت الخلافات بينهم ، وبالتالي برزت انتفاضات وثورات تقريبا في عموم الصين ، الأمر الذي ضعفت قوة الجيوش المرابطة في سور الصين ، فانتهز تنغري قوت تومان خان هذه الفرصة وبدأ هجوما كاسحا واجتازت جيوشه سور الصين ، واستولى على ولايات شانشي وشانسي وملحقاها ، وكان هذا الهجوم عام ٢٠٩ قبل الميلاد ، ولكن هذا الهجوم لم تتقدم إلى داخل الصين وعمومه لأجل وفاة تنغري قوت تومان خان .

وبعد وفاة تومان خان اعتلى ابنه مته خان عرش إمبراطورية الهون ، ثم منحه الأتراك الهون عنوان أوغوز خان ، وأوغوز مته خان ترك محاربة الصينيين ، وكان قصده وديدنه جمع جميع قبائل وأمراء الأتراك تحت لوائه وقبضة سلطته ، فأولا أخضع كل الأتراك في الغرب لشلطانه وإليكم تفصيل ذلك:

لما أراد أوغوز مته خان تكوين إمبراطورية تضم الأتراك كلهم أدخل كل الأتراك الذين في الشرق من منغوليا تحت لوائه طوعا أو كرها ، ولكن خانات الأتراك الذين كانوا يسكنون في جبال قدر خان من منشوريا منهم قبائل سيانفي وووهوان وتوبا وجوجان لم يخضعوا قط لطاعة أوغوز خان مته ، بل ظلوا مستقلين ، وهؤلاء القبائل يكتب عنهم المؤرخون المغول بأنهم تتار ، كما بقي خان ووسون في في وادي إيلي وخان أتراك ياوجي في كانسو وكوكو مستقلين ولم يخضعوا لسلطان أوغوز خان .

وفي عام ٢٠٩ قبل الميلاد شن أوغوز خان مته حملة ضد ملك ووسون فهزمه وقتله ، ثم عين بدلا منه رجلا من قبيلة ووسون ملكا عليهم وبعد هذه الحادثة خافت ملوك الأتراك الأويغور الباقين وعرضوا خضوعهم لسلطان أوغوز خان واحدا تلو الآخر ، وكل من خانية كاشغر وياركند وخوتان وأوج وكوجا وكنكيت ولولان وقوجو وغيرهم من الخانيات الست والثلاثين في تركستان الشرقية عرضت خضوعها التام لأوغوز خان مته فحافظت على استقلالها الداخلي ، وبعد ذلك خضعت كل خانيات الأتراك في الغرب

بتمامها لسلطان أوغوز خان ، وأضحت المناطق الواسعة حتى بحر الخزر ونهر إيديل (وولغا) خاضعة له ولإمبراطوريته العظيمة .

وفي عام ٢٠٠قبل الميلاد أصبحت إمبراطورية الهون الكبرى دولة كبير واسعة الأرجاء يحدها غربا بحر الخزر ونهر وولغا ، وشرقا جبال قدر خان في الشرق الأقصى ، حيث أدخلت الأتراك القاطنين في هذه المناطق تحت رايتها الخفاقة ، وإذا استبعدنا الإمارات الصغيرة بقيت هناك ٢٦ دولة وخانية تركية كبيرة تحت سلطان أوغوز خان مته . (انظر خريطة رقم ٣).

حرب الصين :

كان تنغري قوت الهون يرى أنفسهم أعلى وأرقى من أباطرة الصين ، وكانوا يكتبون لأباطرة الصين بالعبارات التالية : " يرجو تنغري قوت العظيم الذي ولدته الأرض والسماء وأجلسته الشمس والقمر على العرش ، يرجو من خان تاوغاج ... " إن أمة الترك ترى أمة الصين أدنى منهم درجة وأقل مرتبة، فلذلك كانوا يطلقون عليهم أسم تاوغاج بمعنى التابع ، وبعد وفاة إمبراطور الصين خوانغ دي كثرت القلاقل والثورات داخل الصين ، فاعتلى عرش الصين رجل من الثوار اسمه ليوبانغ (اسمه الأصلي كاو جو) وكان هذا الإمبراطور هو الذي أسس إمبراطورية خان الشهير .

وفي عام ١٩٩ قبل الميلاد أراد إمبارطور الصين استعادة ولايتي شانشي وشانسي اللتين وقعتا تحت احتلال تنغري قوت الهون السابق ، واحتل المدينتين ، وعندما سمع تنغري قوت أوغوز خان هذا الخبر هيأ جيشا قوامه

ثلاثمائة ألف جندي وهاجم على ولاية شنسي ، ووقعت مصادمات بين الجيشين وتغلب أوغوز خان مته على غريمه الصيني وهزمه شر هزيمة وطارده هو وجيشه حتى حاصره في قلعة بالقرب من مدينة جانغ آن وهي سيانفو اليوم . وأخير فكر إمبراطور الصين في تجنيب نفسه من الأسر وحماية جيشه المتبقية من الفناء الشامل ، واضطر لعقد مصالحة يدفع إمبراطور الصين بموجبه إتاوات سنوية محددة لأوغوز خان ، وبهذه الصورة أصبحت إمبراطورية الصين تابعة لإمبراطورية الهون . ثم تزوج أوغوزخان من بنت إمبراطور الصين ، حتى بعد وفاة أوغوز خان جرى العرف بتزوج كل تنغري قوت الهون من بنت إمبراطور الصين ، وبهذا الشكل استمرت المصالحة والعلاقة الودية بين الطرفين لمدة قرن تقريبا .

محاربة ياوجيلار:

وعلى الرغم من عظمة تنغري قوت الهون أوغوز خان مته وقوة شوكته لم يخضع خانية ياوجيلار لسلطانه ، فجهز أوغوز خان مته ابنه باغدورخان بجيش عظيم وأرسله لإخضاع ياوجيلار ، وبعد معارك طاحنة وعنيفة أبيدت جيش باغدورخان عن آخره فنجا بنفسه بصعوبة ، ورجع إلى بلاده خائبا.ثم قامت عدة معارك بين الطرفين ، وفي عام ١٦٥ قبل الميلاد توفي ملك ياوجيلار في إحدى المعارك فانقسم صف ياوجيلار إلى قسمين أو ثلاثة ، ولكنهم تنزحوا إلى الغرب واستوطنوا بالقرب من لوب نور ، غير أنهم لم يرتاحوا فيها لتعرضهم للهجمات الهون من الشرق ، وهجمات ملوك لولان وقوجو

وخوتان من الشمال والغرب ، فانقسم ياوجيلار إلى قسمين : قسم ذهبوا نحو التبت ، ويقال لهم ياوجيلار الصغار ، وكونهم أهالي التبت الحاليين في الأصل احتمال قوي .

والقسم الثاني وجدوا طريقا نحو الشمال فهاجموا على إيلي ، ولكن نانتومي ملك ووسون في إيلي دافع عن بلده دفاع المستميت ، غير الروايات المختلفة في كتب التريخ تقول إن عدد حملة السلاح من ياوجيلار كان يبلغ ما بين ٥٠٠٠٠٠ أو ٦٠٠٠٠٠ ، وعددهم الإجمالي نحو مليون نسمة ، فتغلبت ياوجيلار على نانتومي ملك دوسون وقتله وشتت شمل قبائل ووسون ، وبعد هذه الحادثة وحينما تستعد ياوجيلار للاستيطان في منطقة إيلي باغتتهم جيوش أوغوزخان مته وهاجمتهم مهاجمة شرسة ، فانتقلت ياوجيلار إلى الغرب من بحيرة إسيق كول واستقرت على ضفاف نهر إنجه (سير دريا) وهي منطقة طاشقند الآن .

الواقعات التي وقعت بعد وفاة أوغوزخان :

وفي عام ١٧٤قبل الميلاد مات أوغوزخان مته وخلفه ابنه باغدورخان فأصبح تنغري قوت إبراطورية الهون الكبرى ، وبعد عدة سنوان مات باغدورخان وخلفه ابنه كيوك خان حفيد أوغوزخان مته ، ومن الواقعات التي وقعت في عهد كيوك خان حسب ما تورده المصادر المعاصرة أنهم طردوا ياوجيلار من على ضفاف سيردريا (سيحون) ، وفي عام ١٦٠ قبل الميلاد

مات كيوك خان ، ولا نعلم أسماء وعدد تنغري قوت الهون بعد وفاة كيوك خان هذا ، ولكن الوضع السابق لأباطرة الصين من دفع أتاوة سنوية وتزويج بناتهم من تنغري قوت الهون واضطرارهم لمصادقة الهون التبعية لها دامت حتى عام ١٣٠ قبل الميلاد .

غير أن ياوجيلار الذين على ضفاف نهر أوجوز (آمو دريا) وكذلك خانية باختر (بلخ) ومن شمال أفغانستان حتى بحر الخزر من خانيات ساكا وغيرها من خانيات الأتراك خضعوا كلهم لسلطان تنرقوت الهون وساد بلاد الأتراك الأمن والاستقرار حتى عام ١١٩ قبل الميلاد ، وكذلك قبائل سيانبي ووهان وجوجان وتوبا وغيرها من القبائل القاطنة في منشوريا والتي تطلق عليها اسم التتار من القبائل التركية أعلنوا أيضا الولاء لإمبراطورية الهون الكبرى مما أدى إلى اتساع رقعة الدولة حتى بحر زابون (سواحل المحيط الهادئ

سياسة حكومة الصين تجاه دولة الهون - الحرب بين الهون والصين :

وإن حكومة الصين ومنذ مدة بعيدة مضت تعطي خراجا وإتاوات لتنغرقوت الهون الكبرى ، غير أنها فكرت كثيرا في الخلاص من هذه المذلة كما فكرت مرتين في قوة وصلابة تنغرقوت الهون الكبرى وجبروتها ، ورأت نفسها مجبورة بذلك الذل ، وأخيرا فكرت حكومة الصين وإمبراطوريتها الخلاص من ذل العبودية عبر طريقين اثنين:

١) بتحريض الخانيات المنضمة إلى اتحاد الهون الكبرى ضدها لتجزأة الاتحاد وتفكيكها أو إضعافها .

٢) استخدام الأميرات الصينيات المتزوجات لتنغرقوت الهون في الوصول إلى أمراء وسادات تنغرقوت الهون وزرع الشقاق بينهم وإصابة العجز في أوصال تنغرقوت الهون العظيم وإمبراطوريته.

وفي سبيل تحقيق الخطة الأولى أرسلت الصين شخصا اسمه جيانغ جيان على أنـــه سائح ، غير أهم أرسلوه إلى بلاد الأتراك في تخوم تركستان وإلى حاكم قبيلة ووسون خان وخانية ياوجيلار ، ليقوم بدوره في تحريض هؤلاء الخانات والقـــبائل للعصيان على تنغرقوت الهون الكبرى ، وعندما وصل جانغ جيان إللاى بلاد تنغرقوت الهون اكتشف تنغرقوت الهون هذه الخطة عام ١٣٩ قبل المـــيلاد ، وقـــاده إلى السجن حتى عام ١٢٠ قبل الميلاد ، ولعل جانغ جيان توســـل إلى الأمـــيرات الصينيات المتزوجات من تنغرقوت الهون والأمراء ، فأطلق سراحه ، فوصل جيانغ جيان في عام ١٢٥قبل الميلاد عبر طريق فرغانة وسمرقند إلى مركز ياوجيلار على ضفاف نهر أوجوز ، وحبب إليهم العصيان ضـــد تنغرقوت الهون والعودة إلى مواطنهم الأصلية في كانسو ، ولكن كان لدى ياوجيلار من الحذر والفطنة والوعي ما يكفي لاكتشاف هذا التحريض فلم ينخدعوا بها ورفضوا أن يكونوا آلة لغرض الخيانة من الأعداء ، فطردوا جـــيانغ جيان وأخرجوه من بلادهم ، فوصل جيانغ جيان إلى الصين سرا عن طـــريق جنوب تركستان الشرقية . ثم أتى جيانغ جيان إلى تركستان الشرقية

مـــرة أخرى في عام ١١٥قبل الميلاد ، والتقى مع خان ووسون أكبر وأقوى خانـــية عـــند الأتراك ، وعند مثوله بين يديه قال : " رغم مكانتكم وقوتكم القـــادرة عـــيب عليكم أن تكونوا تحت هيمنة تنغرقوت الهون ، فإذا أردتم الخلاص من هذه العبودية وأقدمتم إلى النضال والكفاح فإمبراطور الصين على استعداد لمساعدتكم " والحاصل أنه بعد تحريضات رفض خان ووسون طاعة تنغـــرقوت الهـــون واعلن الاستقلال لبلاده والانفصال عن هيمنة تنغرقوت الهوت ، ولكن الأخير أرسل إلى خان ووسون جيشا كبيرا لتأديبه وإعادته إلى طاعة تنغرقوت الهون العظيم، فأخضعهم لطاعته .

وبالرغم أن جيانغ جيان هرب إلى الصين بالخيبة والخسران ، إلا أنه عرف ثراء بلاد تركستان الشرقية والغربية وأنه في هذه البلاد يوجد خانيات وملوك صغيرة وأهم تابعون لتنغرقون الهون ، ولكنهم غير مراقبين من جهة تنغرقوت الهـــون سوى وجود بعض الممثلين لتنغرقوت في بلاطاتهم بأعداد قليلة جدا، وأنـــه في الإمكان تنفيذ خطة لزرع الشقاق والتباغض فيما بينهم ، وعندها يسهل لإمبراطور الصين الاستيلاء على تركستان الكبرى ، شرح جيانغ جيان كـــل هـــذه التفاصيل لإمبراطور الصين ، فطمع إمبراطور الصين وودي في الاســـتيلاء على تركستان الكبرى ، ولكن قوته ما كان تكفي لذلك.وبسبب جـــيانغ جـــيان وخيانة الصين بواسطته تدهورت العلاقة بين تنغرقوت الهون والـــصين وبـــدأت حروب طاحنة بين الدولتين ، دامت الحروب مدة طويلة وأخـــيرا في عام ١١٩ قبل الميلاد وقعت معركة شرسة في منطقة كانسو بين

قــوات الهــون وقــوات الصين بقيادة القائد الصيني خو جو ينغ ، فتغلب الصينيون فاختلوا منطقة كانسو . وبعد عام بدأ الصينيون يهاجمون تركستان الشرقية ، وسوف نأتي في تفصيل ذلك في باب (الهون وتركستان الشرقية) بإذن الله .

وبعــد هــذه الحوادث لم تتوقف المناوشات بين الدولتين حتى وفاة وودي إمــراطور الــصين وكــان الحرب سجالا بين الطرفين . وهذه هي خلاصة المعلومات الموجودة في المصادر الصينية ، وليس فيها شيء موثوق فيما يتعلق بتفاصيل هذه الأحداث .

وفي عــام ٧٦ قــبل المــيلاد قامت ثورات ضد وودي إمراطور الصين ، طالب الثوار المساعدة من دولة تنغرقوت الهون ، والأخير أمدهم بالمساعدة لــا أدى إلى تقوية الثوار وتغلبهم على إمبراطور الصين حتى قتلوه ، وانقسم دولــة الهان إلى قسمين : دولة الهان الشرقي ودولة الهان الغربي فضعفت قوة الــصين. وفي نفس العام تغلبت دول وخانيات الأتراك في تركستان الشرقية والغربية على الصنيين واتحدت مع دولة تنغرقوت الهون الكبرى ، وستأتي بيان ذلك فيما بعد .

الاضطرابات الداخلية في دولة الهون :

كانت هناك في منشوريا الشمالية قبائل أتراك الذين هربوا في عهد أوغوزخان مته ، وهم قبائل ووهان وسيانبي ، وكانوا في منطقة جبلية فقامت الصين بتحريضهم ضد دولة تنغريقوت الهون بينما كان هؤلاء الأتراك متحدين فيما بينهم في مواطن استيطانهم في منشوريا ، وكان تحريض الصين هذا خفية ، ففي عام ٧٠ قبل الميلاد بدأت هذه القبائل الحرب ضد دولة الهون الكبرى ، وإنهم غلبوا طورا وتغلبوا طورا آخر ، ولكنهم وهم قبائل ووهان وسيانبي انتصروا أخيرا على قوات تنغريقوت الهون ودخلوا العاصمة في جبال قاراقورم واحتلوها وخربوا مزارات وضرائح أوغوزخان مته وغيرهم من ملوك تنغريقوت الهون ، وفي عام ٥٤ قبل الميلاد داست جيوش تنغريقوت الهون على أكتاف جيوش ووهان وسيانبي الأتراك الذين احتلوا بلاد تنغريقوت الهون وأبادوهم ، وأما البقية الباقية فهربوا إلى بلادهم ، غير أن تنريقوت الهون داهمهم في أراضيهم وبلدانهم وعقر دارهم واحتلوا منشوريا كلها حتى وصلت حدود تنريقوت الهون إلى سواحل اليابان . (انظر خريطة رقم ٣)

وفي عام ٦٠ قبل الميلاد اختلف اثنان من أمراء تنريقوت الهون في الوصول إلى عرش تنريقوت الهون هما جيجي خان وخوجان سي خان ، وقامت بينهما حروب دامية ، وطلب خوجان سي خان المساعدة من دولة الصين ودامت الحروب بينهما حتى عام ٥١ قبل الميلاد ، وانتصر خوجان سي خان بمساعدة الصينيين على غريمه جيجي خان ، فهرب الأخير مع رجاله المخلصين إلى

الغرب ووصل إلى وادي إيلي وتغلب على حاميها ووسون خان وأسس فتية ذات هيبة وجلال في الشمال من سلسلة جبال خان تنغري ، ثم فيما بعد أخضع لسلطانه منطقة سغد (بخارى وسمرقند) ، ثم نقل عاصمة ملكه إلى السغد وبنى مدينة متكاملة بالقرب من مدينة سمرقند .

ثم أصبحت مملكة أو دولة خوجان سي خان هدفا لمهاجمة غريمه جيجي خان من جهة ، وقبائل وسيانبي وووهوآن من أقوام الأتراك من جهة أخرى ، وكانت دولة الصين تغتنم دائما مثل هذه الفرص، ففي عام ٥٩قبل الميلاد أرسل إمبراطور الصين قائدا عسكريا اسمه جنغ جي وتحت إمرته جيش كبير إلى منطقة تركستان الشرقية ، وسوف نأتي في تفصيل ذلك في باب (أول استيلاء الصين على منطقة تركستان الشرقية) .

وبعد استيلاء الصين على تركستان الشرقية أرسل مبعوثا لبلاد سغد فرغانة وبخارى وسمرقند لملكها جيجي خان يدعوه لطاعته أي طاعة إمبراطور الصين ، ولكن جيجي خان أبى ذلك وقتل المبعوث الصيني ، ثم دارت المعارك طاحنة بين كنغ جي القائد الصيني وبين جيجي خان لسنوات عديدة ، وأخيرا في عام ٣٦ قبل الميلاد هزم جنغ جي القائد الصيني هزم جيش جيجي خان في منطقة سغد وقتل جيجي خان وقطع رأسه وأرسله إلى إمبراطور الصين ، وبهذا وقعت منطقة سغد وفرغانة (بالعبارة الحديثة تركستان الغربية) تحت احتلال الصين وخضعت لدفع إتاوات لإمبراطور الصين ، وهكذا استفاد الأعداء من اختلاف الأتراك فيما بينهم .

تغلب تنريقوت الهون على الصين:

ولم تزل العداوة والحروب جارية بين دولة الصين ودولة الهون الكبرى حتى عام ١٠ قبل الميلاد ، حيث انتصرت دولة الهون الكبرى على دولة الصين وحررت تركستان الشرقية والغربية من هيمنة الصين وأبادت جيوشها ومأموروها في المنطقتين ، فتحرر جميع قبائل الأتراك ودولهم عن ربقة الصين وهيمنتها، واتحد التراك جميعا ودولهم مع دولة الهون الكبرى ، وفي عام ٢٥ بعد الميلاد حررت دولة الهون الكبرى منطقة كانسو من احتلال الصين.

انقسام دولة الهون الكبرى إلى قسمين :

إن أحد أبناء تنريقوت الهون خوجان سي خان أسس في الجنوب من صحراء شامو (صحراء جولي) وكانت مركزها في منطقة منغوليا الداخلية الآن بما فيها منطقتي شانسي وكانسو ، وأعلن استقلالها عن دولة الهون الكبرى ، وكانت هذه الواقعة في عام ٤٦م ومن هذا التاريخ عرفت هذه الدولة الفتية بدولة الهون الجنوبي ، أما دولة الهون القديمة التي عاصمتها في

جــبال قاراقورم التي تقع في شمال منطقة سانشي وشانسي ، فصارت تعرف بدولة الهون الشمالي ، (انظر الخريطة رقم ٣) .

وتقول المصادر الصينية إن سبب الانقسام هذا قحط وجفاف وقعت في دولة الهون الكبرى ، ولكن المصادر التاريخية المعاصرة تقول إن سبب هذا الانقسام كان بتحريض وخيانة الأميرات الصينيات المتزوجات من تنغريقوت الهون الكبرى وخدمهم من الصينيين ، ولكن دولة الصين لم تستطع الاستفادة من هذا الانقسام ، حيث إن دولة الهون الشمالي أو دولة الهون الكبرى ملكت زمام الأمور في البلد وقويت وحافظت على هيبتها وجبروتها وضمت تحت جناحها دول التراك في تركستان الغربية

والشرقية، فلم تكن هناك قدرة في دولة الصين على محاربة دولة الهون الكبرى ، فسلكت الصين مسلك المداراة وحسن الجوار ، غير أن المصادر الصينية تورد هذه الأحداث بطريقة ملتوية وغير مقنعة .

وأما دولة الهون الجنوبي وإن كانت تتوافق مع الصين إلا أنها ما كانت تخضع لهيمنة الصين وما كانت تقبل نفوذ الصين عليها . وهناك أخبار في المصادر الصينية تقول إن دولة الهون الجنوبي دخلت تحت حماية دلوة الصين ، وهذا غير صحيح ، وإنما تحكي هذه المصادر حادثة وقعت بعد هذا التاريخ بخمسة وخمسين سنة تقريبا ، ويأتي بيان ذلك فيما بعد .

انهيار دولة الهون الشمالي..

بينما تتقوى دولة الهون الشمالية كانت دولة الهون الجنوبية تعاديها وتضمر الحقد والحسد عليها كما هي الحال في دولة الصين تجاه دولة الهون الشمالية ، وكانت تتحين الفرصة لها وتخاف من دولة الهون الشمالية على قوتها المترامية ، وكانت الصين تتوددها في الظاهر ، وأخيرا في عام ٧٠م قام إمبراطور الصين مكتي باتفاق مع دولة الهون الجنوبية وخانية كل من سيانبي وغيرها في الجنوب وأعلنوا حربا على دولة الهون الشمالية ، ودارت الحرب بينهم وتغلبت دولة الهون الشمالية عليهم مرات عديدة ، غير أن الأعداء الثلاثة وزيادة تلغبت على دولة الهون الشمالية في عام ٧٣م ، ودخلوا أراضي دولة الهون الشمالية والتركستان الشرقية ، وفي معركة وقعت في منطقة باركول انهزم جيوش دولة الهون الشمالية وجيوش تركستان الشرقية بالجملة ، ورغم ذلك دامت الحرب بينهم ثلاثة وعشرين عاما . وأخيرا تكالبت القوات الثلاثة الصين ودولة الهون الجنوبي ودلوة السيانبي ، تكالبت على دولة تنريقوت الهون الشمالية ، وكانت تحت قيادة القائد الصيني جوخيان ، وهاجمت القوات الثلاثية على بلاد تنريقوت الهون الشمالية ، وفي عام ٩٣م دخلت القوات المهاجمة منطقة قاراقورم معقل تنريقوت الهون الشمالي وهدمت الدور والمباني وخربت سائر المدن والقرى ، وإثر هذه الهزيمة نزحت تنريقوت الهون بأتباعه إلى منطقة منغوليا الشمالية ، ولكن القوات المعادية طاردتها أينما تذهب حتى وقعت مصادمات عنيفة دامية في جبال تانواولا وانهزمت دولة تنريقوت الشمال فهربت غربا نحوبحيرة آرال وجبال أورال شمالا أو في الغرب الشمالي وعلى

سواحل بحر قزوين . وهؤلاء النازحون هم الذين أسسوا دولة الهون الشمالية الكبرى في أوربا وسيطروا على ثلاثة أرباع أوربا بعد ذلك .

وبهذه الصورة انهارت دولة الهون الشمالية ، والذين لم يرحلوا منهم إلى الغرب انضموا إلى دولة أو قبائل سيانبي ، وانضم بعضهم إلى دولة الهون الجنوبية .

عاقبة دورة الهون الجنوبية :

وبعد أن انهارت دولة الهون الشمالية بقيت دولة الهون الجنوبية أمام دولة الصين لوحدها ، فاضطرت إلى حفظ كيانها بالدخول تحت الحماية الصينية بدفع إتاوات سنوية ، وبقيت هذه الهيمنة الصينية قرابة ٢٣٠ سنة .

ولكن تنريقوت الهون الجنوبي توقت فيما بعد ، وفيما بين عام ٣٠٤ وعام ٣٠٨م هاجم تنريقوت الهون الجنوبية على دولة الصين وتغلب عليها وأسر إمبراطورها خو واي ، وأعلن نفسه إمبراطورا على الصين كلها ، وحتى عام ٣٥٢م اتخذت مدينة ليان فان (بيكيانغ الحالية) عاصمة لها ، وتطلق المصادر الصينية على هذه اللإمبراطورية اسم إمبراطورية لياو . وفي هذه الحقبة من التاريخ أسقط الأتراك الذين يطلق عليهم اسم توبا أسقطوا دولة الهون بالكامل ، بهذه الواقعة سقطت دولة الهون الكبرى التي حكمت آسيا بأشكال مختلفة قرابة ٢٠٠٠ سنة تقريبا .

ماهية دولة الهون :

إن دولة التراك الهون الكبرى ترعرعت على جنباتها كل الخانيات والإمارات ودلو أمراء الأتراك ، واتحدت معها هذا الخضم والجموع المترامية من إمارات الأتراك باتحاد (كونفدراسيون) كما كانت تشبه تماما اتحاد ساقا القديم .

وكانت قرارات تنريقوت الهون هي القرارات الحاسمة غي أمور عظام من مثل إعلان الحرب والصلح واتفاقية الصداقة وإعلان مقاطعة ، ولكن الأمراء والخانيان الصغيرة كانوا متصرفين في شئوتهم الداخلية ومستقلون في إداراتهم للرعايا ومالياتهم ، وكذلك في الحرب مع جيرانهم كانوا في حرية تامة، ولم يكن لتنغريقوت الهون جيوش في الخانيات والإمارات ، بل كانا في بلاطهم بلاط الأمراء والخانيات ممثل من تنريقوت الهون وكاتبه وخدمه ، وإذا أرادت تنغريقوت الهون الحرب كان الملوك في الممالك والأمراء في الخانيات يصحبون جيوشهم برفقتهم ويشاركون في الحرب بجانب تنريقوت الهون ، وكانت الخانات مكلفين بدفع إتاوات لخزانة تنغريقوت الهون سنويا .

يذكر المصادر التاريخية الصينية والإيرانية والأوربية بأن الهون كانوا أصحاب النهب والسلب والبطش ووحشيين ، غير أن هذه الأقوال كذب زبهتان عليهم ، بل لم يكن هذه الأقوال إلا الانتقام بالقلم حينما لم يقدروا أن

ينتقموا من الهونيين بالسيف ، لذلك نوجب على أنفسنا كمؤرخين أن نذكر شيئا من

مدنية الهون وبلوغهم شأو والعلا ، وبهذا الخصوص نضطر أن نرجع إلى مراجع الصينية والإيرانية والأوربية المعادية أيضا ، وهذه المراجع وإن كانت تحاول باستمرار وصف الهونيين بالغلظة والتوحش والبداوة والسوء إلا أنهم اضطروا في نفس الوقت لذكر بعض المعلومات عن حضارتهم الإنسانية ونظم الحكم والإدارة عندهم ، ومن هذه المعلومات القليلة : أن الهونيين أسسوا دولة في ذات نظام وفي غاية العظمة والاتساع ، وكان في بلدانهم الأمن والاستقرار والطمأنينة ، وكانت للهونيين القوانين العدلية والسياسية المتكاملة ، ولهم محاكمهم وسجونهم ، وكان للدولة شعب إدارية صغيرة وكبيرة ، كان تنظم في دولة الهون مؤتمرات شعبية مختلفة لحل المعضلات والقرارات مصيرية للأمة ولوضع القوانين العامة المسمى بـ (توزوت) ، وكان هذا النظام سائدا عند الهون ، وكانت دولة الهون تملك جيشا بتشكيلاته المتميزة قوامه أكثر من ثلاثمائة ألف جندي مسلح في الخدمة العسكرية ، بينما يعتبر كل فرد من أتراك الهون نفسه جندا مناضلا في الخدمة العسكرية والمدنية ، وكانت الجيوش وأفرادها منضبطين وفي انتظام كامل ، وكل فرد من أفراد الرعية كان مالكا لأرض تسكن فيها أو تزرعه أو يرعى أغنامه ، وفي عهد الهون ازدهرت صناعة التعدين بصفة خاصة والتجارة بصفة عامة بكل أنواعها آنذاك في بلاد الأتراك عامة .

وقد استفاد الصينيون من الهون الأتراك الشيء الكثير ، وأول تقويم عمت بلاد الصين لم تكن شيئا آخر غير تقويم الأتراك القديم .

وكانت التنظيمات والمؤسسات العسكرية أهم من كل المؤسسات الأخرى في دولة الهون ، وكانت المؤسسة العسكرية من حيث التنظيم تنقسم إلى تقسيمات تعرف بالوسطى والميمنة والميسرة ، وإن فرقة الوسطى (قول) تحظى بالاتصال الدائم والوثيق بتنغريقوت الهون نفسه وتكون تحت إدارته شخصيا ، أما الميسرة (برانغار) والشئون العسكرية في الشرق فكانت تحت قيادة ولي العهد مباشرة ، بينما الميمنة (جوانغار) والشئون العسكرية في الغرب فتكون تحت قيادة أحد أمير (تكين) من أمراء القصرالملكي، وللمشرق عند الأتراك الهون قدسية ومكانة مرموقة لأنها مطلع الشمس ، وكان تنغريقوت الهون يرى نفسه أعلى شأنا من إمبراطور الصين ، وهذه الحضارة التي ثبتت بشهادة الأعداء كانت تعد من أرقى الحضارات في ذلك الوقت .

الدين عند الهونيين :

كان دين الهونيين كما أسلفنا دين توبين ، ولكن كما ذكرنا سابقا تطورت التوتمية أو عبادة التوتم عندهم ، فكان أصول عقائدهم كما يلي : كانوا يعتقدون بأن الأمور ليست بيد الله مباشرة ، وإنما يوجد هنام أرباب وآلهة لكل أمر من الأمور ، وكانوا يعتقدون بألوهية هؤلاء الأرباب أيضا ، فعلى سبيل المثال : كانوا يعتقدون أن الدنيا وما يتعلق بها من إيجاد وإعدام تدار من

قبل الشمس والقمر والسماء ، وكان لهذه الآلهة قرابين وطقوس عبادات خاصة بهم يؤدونها في أوقاتها ، وكانوا يعتقدون أيضا أن الأرض آلهة جسمانية للإنسان فكانوا يقدمون له القرابين أيضا ، وكان أكثر القرابين من الخيول ، وكان لهذه الآلهة معابد وأصنام خاصة بها ، وكانوا يقدمون أيضا القرابين للآلهة الصغار مثل آلهة المياه وآلهة المطر وآلهة الزراعة وآلهة النار وآلهة الرياح ويعتقدون بألوهيتها ، ومن ثم يمكن القول إن ديانة الشرك والوثنية التي عمت كل أنحاء العالم آنذاك ، كانت الديانة الحاكمة في بلاد الأتراك أيضا .

- الفصل الثاني -

تركستان الشرقية في عهد دولة الهون :

في عام ٢٠٦ قبل الميلاد كانت في منطقة تركستان الشرقية ٣٦ خانية ودولا صغيرة ، وكما قلنا سابقا انضمت هذه الدول لسلطان تنريقوت الهون الإتحادية راضية وجعلتها سلطانا أعلى على ممتلكاتهم ومناطق نفوذهم ، ومنذ ذلك التاريخ عاشت تركستان الشرقية أي منطقة تركستان الشرقية آمنة مطمئنة وتحت ظل هذا الأمن والرخاء ازدهرت في التركستان الصناعة والتجارة والزراعة ، وارتفعت مدنيتهم إلى أعلى مستوى من الرقي والازدهار آنذاك .

ولم يكن في هذه الخانيات والدول الصغيرة جيوش من تنغريقوت الهون الاتحادية ، بل كان في بلاطهم ممثل من تنريقوت الهون بصفة مفوض وكاتبه وخادمه أو شخصا واحدا فقط ، وكل أمير أو خان من ملوك هذه الدول الصغيرة كان مكلفا بدفع إتاوات لتنغريقوت الهون الاتحادية في كل عام . وإذا أرادت تنريقوت الهون الحرب على دولة أجنبية كانت الخانات والملوك الصغيرة تساهم بجيشها وتشارك في الحرب بجانب تنريقوت الهون ، وبهذا كانت هذه الملوك والخانات تابعة لتنغريقوت الهون الاتحادية وتحت سلطانه بالنسبة للسياسة الخارجية ، أما في شئونهم الداخلية فكانت كل خانية مستقلة

في إدارة شئونها داخل حدودها . وإذا توفي أحد الملوك أو الخانات تولى ابنه الولاية أو أحد أفراد الأسرة المالكة أو انتخب الناس من يستحق هذه المكانة بعد التصديق عليها من التنغريقوت . عاشت الخانات أو الملوك الصغيرة في تركستان الشرقية بهذا الوضع حتى عام ١٠٨ قبل الميلاد ، وطوال هذه الفترة لم تكن لهم علاقات أو عداوات تذكر مع الصين والدول الأجنبية .

أولى الحملات الصينية على تركستان الشرقية وفشلها :

وكما أوردنا سابقا فإنه في عام ١١٩ قبل الميلاد وقعت معارك حربية بين الصين وبين دولة الهون فتغلبت دولة الصين على دولة الهون واحتلت منطقة كانسو ، وبعد ذلك بدأ إمبراطور الصين وودي يمد يده الطامعة إلى منطقة تركستان الشرقية ، وكانت مملكة لولان الأتراك ودولة قوجو على حدود كانسو تدافعان عن بلادها ضد هجمات الصين ، وفي عام ١٠٨ قبل الميلاد جهز إمبراطور الصين وودي جيشا كبيرا تحت قيادة قائده العسكري جاو بونو وأرسله إلى منطقة تركستان الشرقية ، فهاجم على دولة لولان ، وبعد معارك طاحنة انتصر عليها وأسر خانها ، ثم هاجم على مملكة قوجو ، وبعد دفاع مستميت وقعت قوجو تحت احتلال الصين ، وبهذا وقعت دولتين فاصلتين في يد إمبراطور الصين وودي. وفي عام ١٠٤ قبل الميلاد أرسل وودي إمبراطور الصين مبعوثه الذي سبق ذكر اسمه وهو جيانغ جيان إلى أقوى دولة في تركستان الشرقية وهي خانية ووسون تهددها بالغزو ، ولكن المبعوث وقع

اتفاقية الصلح بينها وبين دولة الصين ، ثم زوج وودي إمبراطور الصين إحدى أميراته إلى خان دولة ووسون ، ثم اضطرت الدول التي في منطقة المدن الستة ومنطقة إسيق كول للاعتراف بتبعيتها للصين .

ثم طمـع إمبراطور الصين وودي في الاستيلاء على منطقة تركستان الغربية أو منطقة فرغانة فأرسل رسوله بذلك ، ولكن خان فرغانة أجابه بقتل الرسول الصيني ، وبعد هذه الحادثة أرسل وودي جيشا لغزو فرغانة في عام ١٠٤ قبل الميلاد ، ولكن ملك فرغانة أباد الجيش الصيني عن آخره ، مما أدي إلى إضافة روح الانـتقام لطمـع الإمبارطور الصيني ، فأرسل في عام ١٠٢ قبل الميلاد جيـشا قوامه ستين ألف جندي إلى فرغانة ، فتغلب هذا الجيش على جيوش فرغانة وقتل ملك فرغانة في الحرب التي وقعت بينه وبين جيش الصين ، وقد نـصب الصينيون مكانه رجلا من أهالي فرغانة وفعينه خانا ، وبهذه الصورة وقعت منطقة تركستان الغربية تحت نفوذ الصين . ويذكر المؤرخون الصينيون هـذه الحادثـة بـأن الـصين استولى على كل من منطقة تركستان الشرقية والتركـستان الغـربية ، ولكنـنا في الحقيقة نرى عدم صحة هذا في المراجع الـصنية نفسها ، لأن المصادر الصينية تقول إن احتلال الصين هذا لم تدم ولم تـستمر قـط ، حـيث إن بعض الخانات أي الملوك أو كلهم كانوا يعلنون الاسـتقلال ويطردون الصنيين ويبيدوهم أو كانوا يعلنون حربا على الصين وينفون نفوذ الصين عن بلادهم ، وكان جنود الصين يتكبدون صعوبات جمة في احـتلال المـدن في وادي فـرغانة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كان

تنغريقوت الهون أو الهونيون يقومون بهجمات شرسة على تخوم فرغانة وقراها يقصدون طرد الصينيين منها ، وكانوا يطردون الصينيين بالفعل منها . ولكن كان جنود الصين يعيدون غاراتهم تارة بعد أخرى ويتغلبون على الهونويستولون على بعض المناطق ، وبهذه الطريقة بقيت أو صارت منطقة تركستان الشرقية ميدان حرب وكر وفر بين الصينيين وبين الهونيين الأتراك ، ودامت هذه الأحوال قرابة ٢٢ عاما .

وفي عام ٨٦ قبل الميلاد وقعت ثورات في داخل الصين قتل فيها إمبراطور الصين وودي ، فبمساعدة الهون تغلب التركستانيون على الصينيين وقتلوهم وطردوا بعضهم إلى داخل الصين ، ثم دخلت منطقة تركستان الكبرى في اتحاد الهون وعاشت آمنة مطمئنة قرابة ٣٧ عاما .

استيلاء الصين على تركستان الشرقية لأول مرة (٥٩ — ١٠ قبل الميلاد)...

في عام ٦٠ قبل الميلاد وقعت مصادمات فيما بين أمراء دولة الهون وهما جيجي خان وخوجان سي خان ، وبهذه المناسبة هاجم قبائل سيانبي على دولة الهون ، فاغتنم إمبراطور الصين هذه الفرصة فجهز جيشا كبيرا وأرسله بقيادة القائد الصيني جنغ جي على تركستان الشرقية فاستولى هذا على كل من مملكة لولان وقوجو بتغلبه عليهما ، ثم بدأ بمهاجمة منطقة تركستان الشرقية وحكوماتها التي خضعت تباعا لسيادة الصين ، وكانت هناك في منطقة تركستان الشرقية ٣٦دولة وإمارة منها كنجيت (قارا شهر) وكوجا

وكاشغر وياركند وخوتان ، وبعد أن تم الاستيلاء على المنطقة كلها عين الصينيون واليا عليها من قبلهم ، وجعلوا مدينة وولي (ولا يوجد أي أثر لهذه المدينة الآن) الواقعة على بحيرة لوب نور مركزا لهم ، وطبقا لأقوال المؤرخين الصينيين دام هذا الاستيلاء ٤٩ عاما ، وليست لدينا معلومات كافية في أحداث تركستان الشرقية في هذه الفترة .

تحرر تركستان الشرقية من استيلاء الصين :

في عام ١٠ قبل الميلاد أرسل تنغريقوت الهون إلى منطقة تركستان الشرقية جنودا لمساعدتها في تحرير المنطقة من ربقة الاحتلال الصيني ، وفور وصول هذه القوات طارد ملوك وخانات المنطقة الصينيين ، فدخلت الدول والخانات في الشرق من منطقة تركستان الشرقية وشمالها تحت حماية تنغريقوت الهون ، أما الجنوب منها خوتان وياركند وكاشغر وأوج وكوجا فتعاهدت مع الهون باتفاقية الصداقة وحافظت على استقلاله وعاش في الرفاهية والاستقرار ، وكانت خانية ياركند أكثرهم قوة وشأنا .

الخلاف بين المدن الستة في تركستان الشرقية :

في عام ٩٠ م تحرك ملك ياركند لإخضاع سائر الملوك والدول والخانات تحت سلطانه ، أولا هاجم دولة خوتان التي كانت في رياسة إيبارخان وتغلب عليه وقتله ، فاستولى على دولة خوتان ، ثم عمل مثله في دولة كاشغر وتغلب

على ملكه وأخضعها لسلطانه ، وفي عام ٤١م تحرش بسلطان كوجا وصارت حرب بينهما وانتصر ملك ياركند على سلطان كوجا ، وقتل ملك كوجا في الحـــرب وانتـــصر عليه وعين أحد أبنائه سلطانا على كوجا ، ثم تحرك ملك ياركـــند إلى منطقة كنكيت وقوجو ولولان ، ولكنه لم يوفق لأنهم كانوا تحت حمايـــة تنغـــريقوت الهـــون ، وفي عام ٤٩م انقسمت دولة الهون إلى قسمين وتخلصت منطقة تركستان من هيمنة الهون ، ولكن الظروف هذه لم تدم طويلا حـــيث تقوت دولة الهون الشمالية وأخذت كلا من قوجو ولولان وكنكيت وغيرهـــا مـــن إمارات والخانات والدول في الشمال الشرقي ، أخذهم تحت حمايتها ، وكذلك دخلت خانية كوجا تحت حماية الهون هربا من ظلم وجبروت خانـــية ياركـــند، وامـــتدت حكومة ياركند في التسلط على كل من خوتان وكاشـــغر وأوج حتى عام ٦٠م، ولكنها كانت تبدي الصداقة وحسن الجوار لتنغريقوت الشمال الهون أو الهون الشمالية .

وفي عـــام ٦٠م قام ابن أخي ملك الخوتان المقتول قام بانقلاب أطاحت بحكم ياركـــند وحرر خوتان ، وكان هذا الأمير يسمى بـــ توغدي خان ، ثم هاجم مدينة ياركند وانتصر على ملكها وسيطر عليها ثم هاجم ولاية كاشغر وأخذها تحـــت سلطانه ، وكذلك فعل في أوج ، وكأنه ببطولته هذه جعل نفسه وارثا لخـــان ياركند ودولتها فأسس دولة مهيبة وذات شأن عظيم ، وكان توغدي خان صديقا حميما لتنغريقوت الهون الشمالية ، ولهذا قبل أن يمثل أحد الهونيين تنغريقوت الهون بمدينة أو في بلاط خوتان كممثل لها .

بمثل ما ذكرنا كانت في منطقة تركستان الشرقية وفي الشمال الشرقي منها خانـيات وإمارات كانت في حماية تنغريقوت الهون وفي الغريب منها كاشغر وخوتان وياركند وأوج كانت في حماية وسلطة توغدي خان .

وفي عام ٧٣م قام إمبراطور الصين بتجهيز جيش كبير بقيادة بانجا أو وأرسله إلى مـنطقة تركـستان الشرقية ، ولمقاوة هذا الجيش الصيني جهز تنغريقوت الهـون جيـشا كبيرا وبجانبه جنود من منطقة تركستان الشرقية واجتمعوا في منطقة باركول ودامت بين القوتين معارك دامية ، وبعد دفاع مستميت تغلب عليهم بانجا أو القائد الصيني واستولى على منطقة باركول وخانية ولاية قمول ، واندحرت التحالف من الهون وجيث منطقة تركستان الشرقية .

وفي عـام ٧٤م قام بانجا أو بهجوم هلى خانية قوجو وتغلب عليها واحتلها بقـوة السلاح وجعلها تابعة للصين . ثم قام الإمبراطور الصيني منغتي بإرسال قوة مساعدة للقائد بانجا أو وأمره بالهجوم على سائر مناطق تركستان الشرقية وإخذاع الخانات والمماليك إلى سلطة الصين .

وفي عام ٧٥م هاجم بانجا أو على دولة لولان وأجبرها على قتل ممثل الهون الـذي كـان وجميع الهونيين في البلد وحلف عليه ملك لولان وعلى انقياده وخـضوعه لدولة إمبراطور الصين . ثم اتجه بانجا او بجيوشه إلى الجنوب لولاية جـرجن وتغلـب علـيها وأخضعها لإمبراطور الصين وأجبرها عليه بالقوة العسكرية ، وفي عام ٧٧م هجم بانجا أو على ولاية خوتان الدولة العظيمة في

المـــنطقة ، وكان هناك الملك توغدي خان ، وقاوم الخير مقاومة شرسة وبعد معارك عديدة وكبيرة أجبر بانجا او الملك توغدي خان للخضوع لدولة الصين وطلب الصلح بهذا الأساس .

وكـــان مـــن شروط بانجا أو أن يقتل توغدي خان سفير الهون الذي كان في بلاطه وأن يعلن خضوعه لسلطان دولة الصين ، وحصل من توغدي خان ما أراده بـــشروطه الخاصة ، فقام توغدي خان بقتل سفير الهون الذي في بلاطه ودخل تحت حماية دولة الصين .

وبهـــذه الشروط وفي هذه الظروف دخلت كلا من ولاية كاشغر وياركند وأوج تحت سيادة الصين عليها أيضا .

وبعـــد هذه الحوادث طلب ملك كوجا كون خان مساعدة من تنغريقوت الهـــون ، وبوصـــول المساعدة هاجم على قوات بانجا أو وتوغدي خان ملك الخـــوتان ، وبعـــد معارك دامية تخلص ولاية كاشغر وأوج من قبضة بانجا أو وتوغدي خان ،

وبعـــد سنة تقريبا هاجم بانجا أو وتوغدي خان على ولاية كاشغر وأوج واســـتولوا على ولايةكاشغر ول يقدروا على الاستيلاء على أوج ، وفي أثناء ذلـــك عـــين إمـــبراطور الصين واليا عاما على منطقة تركستان الشرقية وبه مساعدة كبيرة ، وإن الوالي هذا جعل مدينة كاشغر مركزا له ، كما أقام بانجا أو بمديـــنة كاشغر بصفته قائدا عاما للجيش الصيني الكبير، وأما شئون إدارة كاشغر جعلها في يد ابن خان كاشغر القديم وعينوه خانا عليها .

وفي عام ٨٠م قام ملك كوجا كون خان بالاتفاق مع كل من كنكيت وأوج ، قـام بهجوم لولاية كاشغر وتغلب عليها وقتل الصينيين كما قتل والي العام الـصيني وأباد الأجانب الصينيين فيها ، ولكن بانجا أو هرب بقليل من رجاله إلى ولاية خوتان .

وبهذه الهزيمة المنكرة قطع إمبراطور الصين آماله من منطقة تركستان الشرقية واستدعى قائده بانجا أو من ولاية خوتان.

ولكـنه تـردد وبقي في ولاية خوتان بإيعاز من كون توغدي خان ملك خوتان ، حيث كان يخاف من ملوك كوجا وأوج وكنكيت ، ومنع بانجا أو من الـسفر ، وكـان كل من خانية ووسون وخانية سغد كان بينهم وبين كون توغدي خان معاهدة صداقة فطلب منهم مساعدة عسكرية ، غير أن إمبراطور الـصين جـدد ىمالـه الطموحة في السيطرة على منطقة تركستان الشرقية فأرسل مساعدات جمة لبانجا أو، وأمره بالاستمرار على مقاتلة الملوك والخانات الوطنـيين والسيطرة على تراب تركستان الشرقية ، فتقوى بانجا أو وهاجم على ولاية كاشغر واحتلها ثانية ، وكان ذلك في عام ٨٥م .

وكانت خانيان أوج وكوجا وكنكيت كانت تحارب ضد بانجا أو ، وفي عام ٩٠م قـام ملك باختر والهند وهو خان ياوجي المسمى وايما كادفيسيز جيشا قوامه ٧٠٠٠٠ من الفرسان لمحاربة بانجا أو القائد الصيني ، ولكن رجال هذه الفـرقة كانوا متعبين منخلال مرورهم بمناطق جبلية وعرة ، لذا تغلب عليها

بانجـــا أو الصيني وقتل قائد الفرقة ورجاله الكثيرون ، أما الباقي منهم فرجعوا إلى بلادهم الهند .

(وسوف نأتي بتفصيل ذلك)..

وإن هذه الحادثة زادت من طموح إمبراطور الصين وأرسل جنودا وعتادا حـــربيا علـــى التوالي ، وبتقاطر هذه القوات المساعدة قام بانجا او عام ٩١م بهجـــوم كاسح على كل من أوج وكوجا واحتلهما. وأما خانية كنكيت فلم يقـــدر علـــيها واســـتمر في قتالها ، وكذلك خانية ووسون في إيلي وإن كان مـــستقلا إلا أنه كان بينه وبين الإمبراطور الصيني صداقة وتعاون ، وفي رواية كان خان ووسون صهرا لإمبراطور الصين . والحاصل كانت الدولة الوحيدة التي لم تخضع للصين في هذا الوقت وحافظت على استقلالها بقوة السيف هي خانـــية كنكـــيت (مدينة قاراشهر الآن) ، بذها بقي بانجا أو واليا عاما على منطقة تركستان الشرقية حي يستبد بأكثر مناطق تركستان الشرقية ، وجعل مديـــنة كوجا عاصمة لها يحكم كل الخانات والملوك التي تخضع تحت سلطانه تابعة لإمبراطور الصين ، وكان في حرب مستمر مع خانية كنكيت ، ودامت هذه الحالة حتى عام ١٠٢م حيث عاد بانجا أو إلى داخل الصين وعين ابنه بان يونغ واليا عاما.

وفي نفـــس السنة التي غادر بانجا أو تركستان الشرقية أعلن كل من خان خـــوتان وياركند استقلالهم ، وبقيت تحت يد بان يونغ كل من كاشغر وأوج وكوجا ولولان وقوجو ، وكان بان يونغ يضعف رويدا رويدا حتى أعلنت كل

الخانات والملوك استقلالهم عن الصين ، وحسب روايات المصادر التاريخية الصينية إن هذه الخانات أو الملوك أعلنوا استقلالهم إما اعتمادا على قوتهم الذاتية أو بمساعدة تنغريقوت الهون ، غير أن روايات من تاريخ الصين تقول إن تجارة الصين مع هذه المنطقة لم تنقطع ، وكان الملوك المحلية والخانات يسمحون بتجارة الصين في مناطق حكمهم ، وهذه التجارة كانت تسمى بتجارة الصين الغربية .

وبالخلاصة نرى أن ثلاثين سنة مضت فيما بين ٧٣-١-٣م بقيت تركستان الشرقية أو أصبحت المنطقة ساحة حرب طاحنة ، ولم يستقر احتلال الصين على هذه المنطقة قط ، وقد استفاد بانجا أو من العداء الدائر بين خانية ختوتان وخانية كوجا لمدة زمنية كبيرة ، وخاضت غمار حرب شرسة في المنطقة، واحتل بعض البلدان بصورة مؤقتة ، ولكن منذ عام ١٠٣م تبدد هذا الاحتلال كلية ، ولأجل هذا نرى هذه السنوات الثلاثين سنوات حرب ومقاتلة بين الصين ومنطقة تركستان الشرقية .

ولا نعتد بالمصادر التي تقول إن هذه السنوات سنوات احتلال دون أن تذكر تفاصيل الأحداث .

وتقول المصادر التاريخية الأفغانية إنه بعد أن انهزمت جيوش القائد وايماكادفايسيز بدأ ملوك وخانات ياوجيلار بدفع إتاوات أو خراجا لدولة الصين حتى عام ١٣٠م ، وجسب ما جاء في هذه المصادر فإن القائد

كانيـــشكاي هـــاجم منطقة تركستان الشرقية واحتلها ومنيت جيوش الصين بهزيمة منكرة ، وهذه الأحداث لم تذكرها المصادر التاريخية الصينية .

ولكن بإجماع المصادر التاريخية المعاصرة كانت منطقة تركستان وحتى وادي فرغانة ومنطقة سغد قد تعرضت لاحتلال صيني قبل عام ١٣٠م ، وكانت في هذه المناطق نفوذ قوي للصين ، وكل ذلك بصورة مجملة ولا تورد التفاصيل .

ـ الفصل الثالث ـ

إمبراطورية قوشخان..

إن قبائل يوجيلار الذي سبق ذكرها لما استوطنت باختر (بلخ) وطخارستان وقطغن وبدخشان وسغد (بخارى وسمرقند) وطردت منها قبائل ساكا الأتراك وأسست في هذه الديار خمس خانيات مستقلة في هذه المنطقة ، وحينما كانت دولة الهون في عزها وقوتها كانت قبائل ياوجيلار تدفع لدولة الهون إتاوات سنوية وتعيش في تبعيتها ، وفي عام ٤٠م تقريبا كانت منطقة باختر (البلخ) تحكم من قبل كادفايسيز ملك قبيلة قوشخان وهي إحدى قبائل ياوجيلار ، وأنه قد جمع كل قبائل ياوجيلار تحت نفوذه وأسس دولة تحكم وتسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي حتى جبال هندكوش بعد أن طرد اليونانيين الذين كانوا يحكمون مناطق شمال أفغانستان (باختر) ، وجعل باختر (بلخ) عاصمة لها وأطلق على دولته اسم دولة قوشخان ، وتسمى المصادر الصينية والأوربية والهندصينية هذه الدولة باسم كوشان محرفا ، وما زال بعض المعاصرين ويستخدم هذا اللفظ المحرف .

وإن كادفايسيز هذا قد ضم لدولته منطقة كابيسا (كابول القديمة) وقندهار ثم هراة وسيستان في عام ٥٠م ، ثم غزا الهند حتى وصل نهر جهلم ، ثم توفي في عام ٧٨م وخلفه ابنه وايما وجلس في العرش بعنوان كادفايسيز

الثاني ، ثمواصل فتوحات أبيه حتى وصل إلى دلتا نهر السند (كراجي الحالية) ، فأخضع حكام ساكا في تلك البقاع لسلطانه .

إن فترة ثلاثين سنة من الحرب بين الصين وتركستان الشرقية توافق عهد وايما كادفايسيز الثاني ، كان وايما كادفايسيز غير مرتاح وقلقا من إقدام الصين على حرب الخانيات التركية وإخضاع معظمها لسلطانها ، وكان يعتبر نفسه ندا للصين ، لذا أرسل وايما كادفايسيز رسولا إلى الصين في عام ٩٠م يحمل إليها مكتوبا يقول فيه :"ارفعوا أيديكم عن التعرض لخانات الترك ، وزوجوني من ابنتكم طبقا للتقاليد التي جرت بتزويج امبراطور الصين بنته من إمبراطور الترك " ، ولكن عندما وصل الرسول إلى مدينة كاشغر حبسه بانجا أو ، وبعد حين أفرج عنه ولكن لم يسمح له بمواصلة السير إلى داخل الصين ، بل رده إلى باختر (بلخ) ، فسرعان قام وايما كادفايسيز بإعداد جيش قوامه ٧٠٠٠٠ جندي وولى قيادتها قائده (سي) وأمره بإبادة الجيش الصيني بقيادة بانجا أو في مدينة كاشغر ، ووصل هذا الجيش

إلى كاشغر عن طريق واخان وطاش قورغان ، ولكن الجنود كانوا متعبين من عناء الطريق ومشقة السفر بل في عجز وضعف ، لذلك تغلب جيش بانجا أو عليهم وقتل قائدهم سي وأفنى منهم أكثر الجنود البالغ عددهم ٧٠٠٠٠ فارس ، وتمكن القليل منهم من الهرب والنجاة .

وبهذه الهزيمة النكراء ولأجل أن يأمن جانب الصين خضع وايما كادفيسيز لدفع إتاوات سنوية لملك الصين ، واستمر الأمر على هذا حتى عصر كانيشكاي ،

وتذكر هذه الرواية في المصادر التاريخية الأفغانية المعاصرة ، ولكن المصادر الصينية لم تؤيد ذلك .

توفي وايما كادفيسيز في عام ١١٠م وخلفه ابنه وفي رواية قريبه كانيشكاي وتولى زمام الأمور ، وكان سياسيا فذا وفاتحا عظيما ، فمنذ يوم اعتلائه عرش البلاد أوقف دفع الإتاوة للصين ، وتوجه إلى الهند وفتح منها حتى نهر جانجا وأزال كل حكام تلكم الأقاليم كما فتح كشمير ، وبعد هذه الفتوحات عين واليا في مدينة باختر واتخذ مدينة بورش بورة (بيشاور) عاصمة ملكه . يراجع تفاصيل هذه الأحداث في المصادر التاريخية الأفغانية والهندية .

انضمام المدن الستة للإمبراطورية توشخان :

ليس لدينا أية معلومات حول الأحداث الواقعة في تركستان الشرقية حتى عام ١٥٠م ، ولكن الملك كانيشكاي الشهير صاحب مملكة قوشخان وهو أقوى إمبراطورية تركية في القرن الثالث الميلادي توجه إلى تركستان الشرقية وأدخل خانات المدن الستة في طاعته ، وهذه الحادثة علاوة على كونها حادثة مهمة من الناحية السياسية فهي أيضا حادثة مهمة من الدرجة الأولى في تاريخ تركستان الشرقية أيضا ، لأن بسبب هذه الحادثة وجدت في التركستان الشرقية ثورة دينية ونقلة حضارية كبرى لا مثيل لها ، لذا سنورد المعلومات المهمة بالتفصيل .

ومنذ عام ١٣٠م اتجه كانيشكاي شمال ما وراء النهر (نهر أوجوز) وبدأ يتصادم مع القوات الصينية، وأخيرا في عام ١٥٠م نظم جيشا قويا ونظاميا وتوجه به إلى تركستان الشرقية ، وسلك طريق واخان فعبر تاغدوم باش أرت (واغجير داوان) واستولى على سريق قول ثم هاجم كاشغر ، وفتحها وأباد من فيها من القوات الصينية ، وأخضع كلا من ولاة كاشغر وياركند وخوتان وأوج وكوجا لطاعته وواصل بفتوحاته حتى مضيق باش أرجون ، وحتى لا يرتد هؤلاء الولاة عن طاعته أخذ ابنا من كل والي رهينة لديه فرجع بهم إلى بورش بورة ، وكان كانشيكاي يكرم هؤلاء الأمراء ويعاملهم معاملة ملكية ، كان هؤلاء الأمراء يقيمون في أماكن ممتازة صيفا بمدينةكابيسا (كابول القديمة وهي في قرية بجرام بالقرب من مدينة جاريكار) ، وشتاء في مدينة قندهار . (وإلى أي مدى توسعت دولة القوشخانيين تورنها في الخريطة رقم ٤)

وبيان كل الأحداث والوقائع الخاصة بكانيشكاي وغيره من أباطرة قوشخان (كوشان) ليس من وظيفة هذا الكتاب ، إلا أن الثورة الدينية والحضارية التي حدثت في التركستان الشرقية نتيجة استيلاء إمبراطورية قوشخان عليها مهمة جدا من الناحية التاريخية ، وأن بدوري آخذ هذه المعلومات من المصادر الأفغانية والصينية وأقدمها للقراء الكرام .

الديانة والمدنية في تركستان الشرقية في عهد القوشغانيين:

إن تركستان الشرقية والغربية حتى أتراك ياوجيلار وقبائل ساكا كانوا حتى في عهد كانيشكاي يدينون بديانة توين دين التراك القدامى ، وكانت باختر مركزا سياسيا لأتراك ياوجيلار كما كانت مركزا دينيا لهم ، وكانت معبد نوبار في باختر من أكبر المعابد المقدسة والمشهورة في ديانة توين ، وهذا المعبد تسميها المصادر التاريخية الإيرانية بمعبد نوبهار . وهذا المعبد كان كبيرا جدا بحيث قسم إلى حصص للأديان الثلاثة توين وشامان وبوذا حتى انقارض اليفطاليين ، ، وبعد انقراضهم اتخذه الملك نوشيروان معبدا للنار للمجوسية ، حتى في عهد الإسلام كان المعبد من أكبر المعابد المقدسة لدى المجوس، وتهدم هذا المعبد في القرن الرابع الهجري .

وعندما فتح كانيشكاي مدينة بتنة في الهند قبلت هذه المدينة الديانة البوذية على يد الداعية البوذية آسواجوشا الأب الروحي للبوذية ، وسعى كانيشكاي سعيا حثيثا لإدخال كل المدن الواقعة في سلطانه في البوذية ، وبدعوة كانيشكاي راج ديانة بوذا في أفغانستان (باختر) وسغد وطخارستان ، وسرعان ما انتشرت هذه الديانة في تركستان الشرقية ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت الديانة البوذية ندا لديانة توين وأصبحت لها نفوذ مثل نفوذ ديانة توين ، وقد ترجم علماء تركستان الشرقية العديد من الكتب الدينية البوذية المقدسة مثل كتاب (ماتيرياساميتكا) إلى اللغة التركية ونشروها بالحروف الأويغورية . وبدعوة من كانيشكاي قدم إلى تركستان الشرقية كثير

من رهبان البوذية ، وتقول المصادر الأفغانية إن مدينة خوتان كانت مركزا للديانة البوذية ، وكان بها ١٠٠ معبد بوذي و٥٠٠ راهب بوذي ، ويقول أحد السياح الصينيين إن مدينة خوتان توجد بها ما يماثلها في القدر من المعابد ورهبان

لديانة تويين أيضا . وإن الراهب الصيني الذي دخل في البوذية واسمه فاشان قدم تركستان الشرقية في عام ٣٩٩م ثم غادرها إلى الهند عن طريق كشمير وكتب في مذكرته : " كانت مدينة خوتان آنذاك جنة البوذيين حيث أقام البوذيون فيها معابد غاية في الأبهة والزينة المعمارية ، وكان في إحداها نرابة ٥٠٠٠ راهب بوذي ، وأحد هؤلاء الرهبان واسمه كوماراجيوا كان يقيم في مدينة كوجا ". وتزوجه من ابنة خان كوجا رواية مشهورة . وتذكر المصادر الصينية إن تركستان الشرقية كانت مركزا بوذيا تاتي في المرتبة الثانية بعد الهند ، لأن كثيرا من الرهبان البوذيين سافروا إلى الصين من كاشغر وخوتان وكوجا لدعوة أهالي الصين إلى البوذية وبنوا معابدهم في مدينة لويانغ (مدينةخونان الحالية) عاصمة الصين في ذلك الوقت ، ثم راجت هذه الديانة فيما بعد في مدينة قوجو (طرفان الحالية) ، وبدعوة من رهبان البوذية في تركستان الشرقية قبلت الديانة البوذية كل القبائل التركية في الشرق حتى قبائل الأويغور المتحضرة التي تقيم على ضفاف نهر أورخون وسلنكا .وفي ظل رابطة الدين نشأ تقارب بين شعوب كل من تركستان والهند وأفغانستان والصين ، ولم يقتصر هذا التقارب على الديانة فقط ، وإنما تعداه إلى المدنية

حيث أثر كل شعب من هؤلاء في الشعوب الأخرى ، وقدمت صناع من الهند إلى تركستان الشرقية فراجت الصناعة الوافدة فيها ، وكذلك أهالي خوتان اكتشفوا طريق الهند منها وإليها وساقوا القوافل المحملة منها وإليها ، والذين دخلوا الصين من تركستان الشرقية أخذوا معهم بذور البرسيم والكروم ، فأخذ الصينيون زراعة البرسيم المادة الأساسية لتربية الأغنام والمواشي ، وتعلموا تربية العنب وزراعته في الصين على نطاق واسع ، وإن أحد الأشخاص من قبائل لولان التركية دخل الصين من تركستان الشرقية واسمه شايلون تعلم صناعة الورق في الصين ثم رجع إلى بلاده وصنع الورق وعلمه على نطاق واسع ، وإن صناعة الورق في مدينة ياركند وخوتان بالطريقة القديمة مأخوذة من الصين وهي باقية حتى اليوم ، وحسب ما ذكر في المصادر الصينية إن صناعة الورق ورواجها في لولان ترجع عهدها إلى ما بين عامي ١٠٥-١٥٠م . والحاصل أنه بواسطة الدين كان شعب تركستان الشرقية يسافرون إلى الهند والصين ولسائر الأقطار وينشرون حضارة تركستان الشرقية ويعلمون الآخرين صناعاتهم وزراعاتهم ، كما كانوا يجلبون إلى البلاد مختلف المنافع الدينية والدنيوية ويتعلمون من الآخرين حضارتهم من صناعة وعلوم وأدب ووسائل التقدم ، وبهذه الطريقة حدث تغيير مهم ونقلة كبيرة في أسس حضارة هذا البلد .

انتهاء نفوذ القوشخانيين في تركستان الشرقية واستقلال ملوكها المحليين في حكمها ..

توفي كانيشكاي عام ١٦٠م فخلفه ابنه هوشكا في العرش ، وفي عهد الأخير لم يتغير شيء في تركستان الشرقية واستمرت الأمور وكل شئون البلاد في أمن وأمان ، ثم توفي هوشكا عام ١٨٢م تقريبا وخلفه نبيل يسمى واسوديوا ، وقد دخل الملك واساديوا في حروب كثيرة مع الإيرانيين (الساسانيين) هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أعلن أكثر من راجا في أقاليم الهند استقلالها عن إمبراطورية القوشخانيين فضعفت دولة القوشخانيين ، ولكن دامت دولة القوشخانيين في تركستان الشرقية وعلى ما هي عليه حتى توفي واساديوا عام ٢٢٠م ، حيث أعلن ملوك تركستان الشرقية استقلال بلادهم في آلته شهر (المدن الستة) واستمرت في استقلالها إلى أن انضم إلى اتحاد سيانبي الأتراك ولمدة ١٤٠ عاما دون تدخل دولة أجنبية تفرض نفوذها عليها.

ـ الفصل الرابع ـ

دولة سيانبي المتحدة

حالة القسم الشرقي والشمالي من تركستان الشرقية من احتلال الصين لها حتى دخولها في اتحاد سيانبي :

وقد سبق أن قلنا إن القائد الصيني بانجا أو فرض سيطرته على القسم الشرقي من تركستان الشرقية ، هذا وليس لدينا معلومات كافية ومعتمدة في أحوال القسم الشرقي ، وفيه كلا من قوجو وباركول ولولان وكنكيت ، غير أنه منذ ذلك التاريخ عام ٢٢٠م قويت إمبراطورية الهان في الصين حتى خضعت كل من منغولستان وخانيات الترك في آلتاي لدفع إتاوات لإمبراطورية الصين وعاشوا تابعين لها ، وبهذا يؤدي إلى الظن بأن نفوذ وحكم الصين وصل إلى هذه الأقطار .

في أن إسيق كول وضفافها ومنطقة سبعة أنهر وخانياتها بقيت مستقلة غير خاضعة للحكم الأجنبي ، فهذا احتمال قوي ، وأما منطقة إيميل (تاروتاي) وإيكي كوز (آلتاي الحالية) وخانياتها وقعت تحت حكم الصين أوتحت

حمايتها ، ولكنها كانت تابعة لدولة أتراك سيانبي الذين أسسوا دولتهم في منغولستان الغربية تحت حماية الصين ، وفي عام ٢٢٠م انهارت إمبراطورية الصين وقامت على أنقاضها دولتان تركيتان للأتراك ودولة للصينيين ونشبت فيما بينها الحروب والمصادمات العسكرية ، وبهذه المناسبة تحررت تلك القطاع الشرقي من تركستان الشرقية واستقلت بالكامل ، و تحرر أيضا خانيات المدن الستة من احتلال القوشخانيين ، وكذلك خانيات الأتراك في الشرق تحررت من النفوذ الصيني ، كل ذلك في وقت واحد ، وكانت مدة استقلالهم قرابة ١٤٠ عاما .

استقلال أتراك سيانبي والتركستان الشرقية..

قـــد ذكرنا أنه عقب سقوط دولة الهون الشمالية استوطنت أتراك سيانبي في آلـــتاي وشعاب جبال تانواولا، وكما يطلق المصادر المنغولية على الأرتاك المقيمين في منشوريا ومنغولستان عامة اسم تتار ، يطلق المصادر الصينية على هـــؤلاء الأتراك في هذه المناطق عامة اسم تونجوز ، وهؤلاء الأتراك وإن كان يطلق عليها اسم تتار في المصادر المنغولية واسم تونجوز في المصادر الصينية إلا أنهم في الحقيقة قبيلة من قبائل الأتراك الذين سموا بهذا الاسم ، وتذكر المصادر الصينية أن الموطن القديم لهؤلاء الأتراك كانت وديان جبل سيانبي من سلسلة جـــبال قديرخان ، وبالمناسبة يذكر هؤلاء في المصادر التاريخية المعاصرة بأتراك سيانبي . وكان أتراك سايني بعد استيطانهم في جبال آلتاي قد أسسوا دولتهم

تحـــت حمايـــة الـــصين ووسعوا حدودها بالتدريج حتى سيطروا على معظم الأراضي التابعة لدولة الهون الشمالية .

وفي عام ٢٢٠م انهارت إمبراطورية الصين وتفتت وبقيت شعوب الصين في اضطرابات وتصادم فيما بينهم ، فاغتنمت قبائل سيانبي هذه الفرصة وعلى رأسها ملكهم وأعلنوا استقلالهم واحتلوا منغولستان الشمالية ، وفي عام ٢٢٥م أعلن استقلاله وأطلق على نفسه لقب (تنغريقوت) ، وفي الوقت نفسه أعلن الهون في الجنوب استقلالهم وتقووا ثم احتلوا شمال الصين وأسسوا إمبراطورية صينية باسم لياو ، وكانت من توابعها المناطق الممتدة شمالا من منطقة النهر الأزرق (يانغزي كيانغ)، لأجل ذلك لم يتمكن أتراك سيانبي من التوسع شرقا وجنوبا واكتفت بالسيطرة على مناطق يته سو (الأنهر السبعة) وإيلي ، وبقوا على هذا الحال قرابة مائة سنة . وفي عام ٣٥٠م هاجمت أتراك توبا في منشوريا على شمال الصين وأطاحت بإمبراطورية لياو الصينية ، ثم حدثت اضطرابات وحرب أهلية في داخل دولة توبا، فاغتنم تنغريقوت فوخان (في المصادر الصينية فوكي إن بالتحريف) ملك سيانبي هذه الفرصة واحتل منطقة كانسو وشانسي في عام ٣٥١م ، وبعد ذلك أعلن نفسه إمبراطورا للصين ، ثم اشتبك مع دولة توبا فجعلها تابعا له . وفي عام ٣٨١م بلغت حدود سلطان إمبراطورية تنغريقوت فوخان شرقا إلى سواحل بحر اليابان ، وجنوبا إلى النهر الأزرق ، وغربا نهر إينجه (نهر سيحون) وجبال بامير ، وفي بعض الروايات بلغت حتى أوجوز (آمودريا) وبحيرة آرال .

(انظر الخريطة رقم ٥)احتل تنغريقوت فوخان عام ٣٥١م منطقة كانسو وشانسي اتخذمدينةجانغآن(سيانفوالحالية) عاصمة لملكه ، ثم فضلت كل من خانية لولان وقوجو تبعية تنغريقوت فوخان اتقاء جبروته ، وقاما بزيارة لتنغريقوت فوخان في العاصمة جانغ آن في حوالي عام ٣٦٠م وعرضتا الطاعة له ، وسر بذلك تنغريقوت فوخان كثيرا . ثم أرسل جيشا كبير بقيادة لوخان (في المصادر الصينية لوجوانغ) لإخضاع خانات المدن الستة في تركستان الشرقية فخضعت له هذه المناطق ، وليس من المعلوم ما إذا كانت الطاعة عن رضا واختيار أم بعد هزيمتها في الحرب ، ولكن على كل حال تنبئنا المصادر أن تنغريقوت فوخان ملك سيانبي خضعت له تركستان الشرقية كلها وأن القائد لوخان أصبح واليا عاما لتركستان الشرقية .

استقلال خانيات تركستان الشرقية (نيما بين ٣٩٠-٤٤٨م)..

وفي عام ٣٨٣م أراد تنغريقوت فوخان الاستيلاء على دولة الصين الجنوبية فأعلن الحرب عليها ولكنه هزم فيها ، ونتيجة لهزيمته هذه قامت ثورات في الصين الشمالية التي كانت تحت يديه وخرجت عن طاعته ، فضعفت تنغريقوت فوخان ملك سيانبي فاضطرت الانسحاب والبقاء في وديان آلتاي التي كانت العاصمة القديمة لملكه .

فاغتمت خانيات الأتراك الخاضعة لدولة سيانبي هذا الوضع فأعلنوا الحرب على تنغريقوت سيانبي ، وأخيرا في عام ٣٩٠م تغلب الأتراك الثائرون

وأجبروا سيانبي الهجرة من آلتاي إلى الشمال (سيبيريا) ، وبهذا زالت هذه الدولة التركية العظيمة عن الوجود . ثم إن لوخان الوالي العام السابق لتركستان الشرقية انسحب هوالآخر مع أتباعه من تركستان الشرقية إلى ولاية كوكو عام ٣٨٦م ، وأسس هناك دولة مستقلة ولكنها عاشت لمدة ١٤ عاما فقط ، ودولة خوليانغ الصغيرة في المصادر الصينية هي هذه الدلة التي أسسها لوخان ، وبهذه الصورة استقلت خانيات تركستان الشرقية المحلية كل على حدة وعاشت في عهد ملوك الطوائف حتى انضمامها إلى إمبراطورية توبا عام ٤٤٨م .

ـ الفصل الخامس ـ

دولة توبا التركية:

ولو أن فترة تبعية تركستان الشرقية لدولة توبا التركية فترة قصيرة ، إلا أن هذه الدولة التركية لها أهمية كبيرة في تاريخ الأتراك وحضارتهم ، لذا سنتحدث عن حضارة هذه الدولة وأحداثها التاريخية .

أصل قبائل أتراك توبا هم التتار الذين لم يخضعوا لإمبراطورية الهون وعاشوا مستقلين في وديان جبال قديرخان في السهل الشمالي منها وعرفوا فيما بعد باسم توبا . (انظر الخريطة رقم ٦)

وعندما انهارت دولة الهون الكبرى زحف قبائل توبا إلى الجنوب واستوطنوا شرق منغولستان ، وفيما بعد تقدموا نحو الجنوب أكثر فأكثر حتى اجتازوا سور الصين واستوطنوا منطقة شانسي حيث أسسوا إمارة صغيرة ، ثم تقوت الإمارة تدريجيا حتى عام ٣٠٠م حيث حدثت عداوة بين ملكها إيلوخان وبين دولة الهون الجنوبية وجرت بينهما حروب دامية فيما بين عامي ٣١١-٣١٥ م ، وبعد وفاة إيلو خان تولى ملكه يولوخان فغزا خانيات الأتراك في مغولستان ودولة سيانبي فوسع حدود مملكته حتى جبال آلتاي . وفيما بعد حارب ملك توبا (اسمه مايونغ في المصادر الصينية) مع شايمان تنغريقوت الهون الجنوبي وتغلب عليه أسره ثم قتله ، فأسقط دولة الهون الجنوبية بالكامل ، وعندما قامت ثورات واضطرابات داخلية في دولة توبا ضعفت قوة مايونغ

فهزمه فوخان تنغريقوت سياني فأخضعه لطاعته ، وعندما انهزم تنغريقوت سياني في حرب جنوب الصين كما ذكرنا سابقا في عام ٣٨٣م ، أعلن كاوي ملك توبا استقلاله في عام ٣٨٦م وطرد كل السيانبيبن من شمال الصين بصورة نهائية ، ثم أعلن نفسه إمبراطورا لشمال الصين ، وسكى مملكته بمملكة واي ، وهي إمبراطورية واي في المصادر الصينية ، وعندما ضعف دولة السيانبي في هذه الأثناء كانت هناك في جنوب الصين دولة صغيرة للأتراك غزاها كاوى خان فضمها إلى أملاك دولة توبا التركية ، وكانت هذه الدويلة في منطقة بيجلي الصينية أسسها قبيلة ووهان أو بعبارة أخرى قبيلة يان التركية ، ثم توفي كاوي خان فأخذ خلفاءه بسنته وضموا ولايات خونان وشانسي وكانسو ومناطق أخرى في شمال الصين إلى أملاك أتراكتوبا(إمبراطورية واي)، حتى وصلت حدود أملاكهم إلى النهر الأزرق (كوكدريا).

انضمام خانية توجو وخانيات المدن الستة إلى إمبراطورية توبا (٤٤٨-٤٦٠م) ..

نظرا لرواية الصين أو المصادر الصينية توصل إمبراطورية جوجان في عام ٤٢٩م إلى إتفاقية وحدة مع قبائل قيرغيز في شمال منغولستان وقبائل أويغور على ضفاف نهر أورخون ، وضم كل من منغولستان وآلتاي وغرب كانسو وولاية كوكو إلى دولته ، وفيما بين عامي ٤٣٥-٤٣٧م انضم خانات تركستان الشرقية إلى إمبراطورية توبا باختيارها خوفا من احتلال جوجان

عليها ، ونظرا لمصادر التاريخ العام التركية قامت إمبراطورية توبا التركية بإرسال جيوش إلى تركستان الشرقية في عام ٤٤٨م وأجبرت خانيات قوجو والمدن الستة على الخضوع لسيادتها ، (انظر الخريطة رقم ٦) ، ولكن لم تدم هذه السيادة طويلا ، لأن دولة جوجان التركية التي بدأ نجمها تعلو في بلاد الأتراك كانت قد أنهت سيطرة دولة توبا على تركستان الشرقية في عام ٤٦٠ تقريبا .

المدنية عند أتراك توبا..

في القرن الخامس الميلادي بدأت في شمال الصين عهد اتسم بنهضة حضارية راقية ، وهذا كان من تأثير إمبراطورية توبا التركية ، وفي هذا العهد قد ظهر الازدهار على كل المجالات السياسية والاقتصادية والمعمارية والعسكرية وغيرها من مجالات التمدن ، ولهذا تدل الآثار في منطقة دونخوانغ التي كانت جزءا من تركستان الشرقية وتقع الآن في الغرب من ولاية كانسو ، تدل هذه الآثار الموجودة في المعابد المحفورة في الجبال وما فيها من فنون معمارية ونحتية والرسم والنقش على أن حضارة توبا تجاوزت منطقة شمال الصين حتى وصلت وأثرت في تركستان الشرقية أيضا ، وتوجد الكثير من الآثار الخاصة لدولة توبا في شتى الفنون في متاحف الصين وأوربا .

ـ الفصل السادس ـ

إمبراطورية جوجان التتارية ..

إن التتار الجوجان في الأصل قبيلة من قبائل الأتراك الذين عرفوا باسم تتار في مناطق منشوريا ومنغولستان الشرقية ، ويقال لهم في الروايات التركية القديمة جوجان ، وربما كان هذا هو الحقيقة ، فأسماء جوجان وجواجوان وججن إنما هي تحريفات من الأجانب ، واحتمال التحريف قوي جدا ، ويوقل لهم الصينيون بوجان ، وبعض المؤرخين الأوربيين وإن كانوا يكتبون أنهم أتراك آوار إلا أن هذا خطأ واضح ، لأن أتراك آوار كان لهم شأن وأي شأن قديما في أوربا حيث أسسوا دولتهم التركية في أوربا حسب التاريخ القديم ، ونحن نستخدم هنا اسم جوجان كما هو مشهور في المراجع التاريخية .

وقبيلة جوجان كان لهم دولة صغيرة تحت قيادة ملكهم ورويدا رويدا بدأ يتقوى منذ عام ٣١٠م ، وبعد انهيار دولة سيانبي توسعت شرقا وغربا وكانت مركزهم ولاية قاختا في الشمال الشرقي من مدينة قاراقورم ، وفيما بعد احتل أحد ملوكهم جبال آلتاي وأخذ عنوان تنريقوت ، وفي عام ٤٠٢م أصبح تولون خان ملكا عليهم ففتح بلاد الشرق حتى كوريا فأخضعها لطاعته ، فترك عنوان تنغريقوت وتسمى بعنوان قاغان ، وكان القاغان تولون يحرب دولة توبا التركية منذ عام ٤٢٤م ، ومنذ عام ٤٤٠م توجه نحو الغرب

واســـتولى على منطقة إيلي ويته سو (الأنره السبعة) وإسيق كول (البحيرة الدافئة) وإيالات أخرى من المنطقة فضمهات إلى مملكته ، وشيئا فشيئا امتلك كل بلاد الأتراك الشمالية الممتدة حتى بحر خزر ونهر يابيق (أورال) .

استيلاء القاغان تولون على تركستان الشرقية والغربية (٤٦٠-٤٧٠م)..

وفي عام ٤٦٠ م وبعد فتوحات شرقا وغربا اتجه نحو الجنوب وحرر كلا من قوجو والمدن الستة من إمبراطورية توبا الأتراك وضمها إلى دولته دولة تولون قاغان ، ثم فتح كلا من وادي فرغانة ومنطقة سغد وجعلها تابعة له ، ثم اجتاح نهر أوجوز (آمو دريا) إلى الغرب حتى وصل باختر حيث بقايا القوشخانيين وتغلب عليهم وطردهم إلى منطقة كابول ، وبهذه الطريقة تساوت تقريبا إمبراطورية جوجان مع إمبراطورية الهون في العظمة والاتساع . (انظر الخريطة رقم ٧) وفي هذه الحقبة التي بدأت

إمبراطورية جوجان تتسع يوما بعد يوم وتبرز كقوة قاهرة توفي القاغان تولون ، فاندلع الاضطرابات الداخلية نتيجة الصراع على خلافته فضعفت قوة هذه الدولة وقلت هيبتها وتوقف تقدمها واتساعها ، فانتهز أتراك يفطل الذين أسسوا دولة صغيرة في طخارستان (قطغن وبدخشان الحالية) هذه الفرصة واستولو على مناطق باختر والسغد وفرغانة .

وفيما بعد انصلح أمور جوجانيين الداخلية ونتيجة لاستعادتهم قوتهم قاد قاغان جوجان حملة في عام ٥٠٠م تقريبا وتغلب على جنود يفطل في

تركستان الشرقية ، وبهذا انضم خانات تركستان الشرقية إلى دولة جوجان الاتحادية مرة أخرى وعاشوا في سلام حتى سقوط دولة جوجان في عام ٥٥٥م ، وبعدها أخضعت دولة كوك ترك الذي قامت على أنقاض دولة جوجان منطقة تركستان الشرقية لسلطانها .

وتتار جوجان وإن كانوا أدنى درجة من شعوب توبا وقوشخان في التمدن والحضارة ، إلا أنهم كانوا متقدمين في الحضارة بالنسبة لكثير من الدول الأخرى آنذاك ، وخاصة في النواحي العسكريةوالحربية كانوا منظمين جدا .

والقاغان تولون الذي سبق ذكره كان قد سن قوانين ونظم حكيمة في الأمور الإداريةوالعسكرية والاقتصادية ، وكل رجالات الدولة من الجيش والشعب كانوا مضطرين للعمل بموجب هذه القوانين والنظم ، وعلاقات قاغانات جوجان السياسية مع كل من دولة توبا في شمال الصين ، وإمبراطورية جو في جنوب الصين ، ومع الملوك الساسانيين في إيران مذكورة في المصادر التاريخية الصينية والهندية والأوربية .

ـ الفصل السابع ـ

إمبراطورية يفطل ..

كان يفطل في الأصل قبيلة من قبائل الأتراك تسكن في السهل الشمالي من سور الصين ، ويكتبها المصادر الصينية باسم (هوا) أو باسم (يي تا) ، وفي عام ٤٢٤م هجروا ديارهم واتجهوا إلى الغرب وسكنوا على ضفاف نهر إينجه (سير دريا) ، ثم هاجروا من هناك إلى أعالي نهر أوجوز (آمو دريا) ، وفي حوالي ٤٥٠م أسسوا دولة وجعلوا مدينة يفطل في البدخشان الحالية عاصمة لهم ، ولذا قيل لهؤلاء الأتراك يفطل ، ووهذه هي هي الدولة التركية الشهيرة التي يقال لهم في المصادر الهندية أفطل وأفطاليت، وفي المصادر العربية هياطلة وهيطل ، وفي المصادر الأوربية إيفطاليت وآق هون .وحينما اشتد قوة اليفطاليين في طخارستان بعد تأسيس دولتهم ضعفت دولة جوجان إثر إضطرابات داخلية وكذلك انقسمت دولة القوشخانيين في أفغانستان إلى عدة دويلات واتجهوا نحو الزوال ، كما انشغل الراجاوات في بنجاب في حروب داخلية ، فكل هذه الاضطرابات حولهم هيئت لهم فرصة لتقوية أنفسهم وزيادة قوهم العسكرية مما أدى إلى إحكام سيطرهم بسرعة وفي وقت قصير على كل أفغانستان والتركستان الغربية والقسم الجنوبي من تركستان الشرقية ، ولم يقف اليفطاليون عند هذا الحد ، بل غزوا الهند واحتلوا مناطق بنجاب

والسند وكشمير ، وأسسوا فيما بين عامي ٤٧٠-٤٨٠م إمبراطورية تركية عظيمة . (انظر الخريطة رقم ٨).

وبعد مدة وجيزة انقسم إمبراطورية يفطل إلى قسمين الجنوب والشمال ، القسم الجنوبي كان مركزه مدينة يفطل الأدنى بالقرب من مدينة قوندوز في قطغن ، والقسم الجنوبي كان مركزه مدينة ساكلا في بانجاب ، وفي عام ٥٢٥ م كان ملك اليفطل في الشمال آق شونقار ، وملك اليفطل في الجنوب توراماان، ويعتقد أن ملوك الجنوب كانوا تابعين لملوك الشمال .

انضمام تركستان الشرقية لدولة يفطل ..

في عام ٤٧٠م استفادت دولة يفطل من الثورات الداخلية لدولة جوجان واختلت التركستان الغربية، ثم بدأت هجوما على كاشغر ، فتوالت سقوط كل من ولايات كاشغر وياركند وخوتان وكوجا وقوجو، حتى انقادت كل مناطق جنوب تركستان الشرقية لسيادة دولة يفطل . انظر الخريطة رقم ودامت سايدة يفطل على جنوب تركستان الشرقية حتى عام ٥٠٠م ، حيث تغلبت دولة جوجان على دولة يفطل ، فانفصلت تركستان الشرقية عن دولة يفطل .

ـ الفصل الثامن ـ

دولة كوك ترك ..

حينما انهارت دولة الهون الكبرى لجأ قسم من الأتراك إلى وديان أوتمك ترس في جبال آلتاي واستوطنوها ، وطبقا للأساطير عاش هؤلاء في وادي أزجنه قون قرابة ٦٠٠ سنة وقد ازداد هناك أفرادهم وأموالهم ، وفي هذه المدة اكتشف الحديد في ذلك الوادي فازدهرت صناعة الحديد بين هؤلاء الأتراك وتقدم حضارتهم تقدما هائلا .

وعندما أسس جوجان الأتراك دولتهم أجبروا سائر الأتراك على الانقياد لهم ، وكذلك كان مصير أتراك أزجنه قون ، ولكن برغم أن أتراك أزجنه قون خاضعون لسيادة جوجان إلا أنهم كان لهم ملكهم وإدارة شئونهم الداخلية بأنفسهم بصورة مستقلة .

وحينما كان عهد بومين خان ملكا لأتراك أزجنه قون انقلب الأخير ضد جوجان خان وأعلن الحرب عليه ، وفي عام ٥٥٢م تغلب بومين خان على غريمه جوجان خان واتخذ مدينة أوتوجن في المنطقة الجبلية عاصمة له ، وأسس فيها دولة ذات سيادة لا يستهان بها ، واتخذ لدولتهم اسم كوك ترك ، وفرض اسم الترك على كل من انقاد لسلطانه وسيادته ، وبهذا استعاد كل أقوام الترك الذين تسموا وظهروا بأسماء مختلفة على مسرح التاريخ اسمهم الحقيقي (الترك) وحافظوا على جنسهم التركي حتى يومنا هذا ، بمعنى أنه لا يوجد من بين الأتراك الذين كان لهم موقع على صفحات التاريخ من اشتهر باسم الترك

حتى عهود كوك ترك ، وإنام كان الأتراك يسمون بأسماء مثل : الأويغور والهون وسايانبي وجوجان وتوبا وغيرها من الأسماء المختلفة ، ومع تأسيس دولة كوك ترك اتحدت الأقوام التركية كافة تحت اسمهم الأصلي والعام .وعندما تغلب بومين خان على عساكر جوجان اتخذ لنفسه عنوان إيلي خان (وهي مرتبة أقل من مرتبة قاغان وتعنى الوالي العام) ، وكان إيلي خان بومين يثبت على الطرف العلوي من علم الدولة رأس الذئب الأغبر المجسمة ، حيث وردت في قصة آلانقوا في أساطير أتراك الأوغوز أن أتراك أوغوز كانوا يعتقدون قديما بقداسة الذئب الأغبر ، ولكن إيلي خان بومين رفعه إلى مرتبة الألوهية ويعتقد به ، وكل ما يتعلق بالذئب الغبر مذكورة في حكايات وقصص آلانقوا وأرجنه قون في تاريخ المغول ، وإن إيلي خان بومين هذا قد وحد كل خانيات الأتراك في آسيا الوسطى تحت علمه ذو رأس الذئب الأغبر في مدة قسيرة لا يتعدى ثلاثةسنوات .

دخول تركستان الشرقية في أتحاد كوك ترك ..

بعدما أعلن بومين خان نفسه قاغان طارد الجوجان الذين هربوا إلى الجنوب بجيش كثيف يرأسه ابنه موقان خان ، فطارد موقان خان الجوجان وأبادهم وسيطر في عام ٥٥٥م على جزء من تركستان الشرقية والغربية ، وبهذا اتسعت دولته منجزر كوريا شرقا إلى سواحل بحر خزر غربا حيث ضم جميع دول وخانيات الترك تحت سيادته مما أصبح دولة كوك ترط إمبراطورية كبرى ، وتذكر المصادر الصينية والمصادر المعاصرة التي أخذت عنها هذه

الدولة بدولة توكيو ، وهذا من تحريف الصينيين الذين لا يستطيعون نطق المفردات سليمة إذا كانت هذه المفردات من لغة غيره .

عين بومين قاغان أخاه الأصغر إيستمي خان واليا عاما على كل الأتراك في المناطق الغربية ، ومنح له لقب يابغو ، وهو خاص بالمرتبة الثالثة بعد مرتبة قاغان ، ومعناه النائب كما يعرف من الكتابات الأورخونية ، وكان مركز يابغو مدينة طالاس (طراز) ، وكانت تنقسم هذه الدولة من الناحية الإدارية إلى قسمين ، القسم الشرقي تتبع القاغان مباشرة ، بينما القسم الغربي يديره يابغو ، وعلى هذا بقيت خانيات من تركستان الشرقية مثل خانيات قمول وباركول تحت إدارة القسم الغربي ، بينما بقيت المناطق الأخرى تحت إدارة القسم الغربي . (انظر الخريطة رقم ٩) .

علاقة موقان خان مع الدول المجاورة..

عندما توفي بومين قاغان خلفه أخوه ، ولكنه لم يعش طويلا وتوفي هو الآخر وخلفه في العرش موقان خان ابن بومين قاغان في عام ٥٥٥م ، وتذكره المصادر الصينية باسم موخو ، ويجدر بالذكر أن موقاخان هذا يقال له ديزابول في بعض المصادر التاريخية الأوربية المعاصرة ، بينما تذكر في بعض المصادر العربية باسم سيجبور ، وفي الحقيقة إن هذين اللفظين إنما هي صورة محرفة لإيستمي خان يابغو القسم الغربي ، فالمراد منه إستمي خان وليس موقان خان ، ولما كان إيتسمي خان حاكما للقسم الغربي من دولة كوك ترك ، ذاع صيته بين الأوربيين والإيرانيين ، فتوهم بعض المؤرخين الأوربيين والإيرانيين

بأن قاغان كوك ترك هو إيستمي خان (ديزابول أو سيجبور) نفسه ، وقد تابع هؤلاء في خطئهم هذا بعض المؤرخين المعاصرين ، فوقعوا في خطا آخر حيث اعتقدوا أن كلا من هذين الاسمين اسمان لموقان خان نفسه .

وفي عهد دولة كوك ترك كانت في الصين إمبراطوريتان ، إمبراطورية واي (توبا) في الشمال ، وإمبراطورية جياو في الجنوب ، ثم اتحد هذان الإمبراطوريتان في حلف عسكري وأعلنت الحرب على موقان خان ، ولكن الأخير تغلب عليهما وهزمهما شر هزيمة وأجبرهما على دفع إتاوات سنوية لخزانة دولة كوك ترك ، كما أخضعهما لسيادته وتزوج من ابنة إمبراطور الصين ، وبهذه الصورة أمنت دولة كوك ترك من حدودها الشرقية .

وفي عام ٥٦٣م أرسل شاه إيران نوشيروان رسولا إلى موقان قاغان وعقد معه معاهدة وحدة بينهما ضد دولة يفطل ، وبموجب هذه المعاهدة وفي عام ٥٦٥م وبأمر من قاغان بدأ إيستمي خان يهاجم من الشرق ونوشيروان من الغرب على دولة يفطل ، فنشب الحرب بينهم ، وأخيرا في عام ٥٦٧م قتل ملك يفطل بيد إيستمي خان ، وبذه الهويمة انهارت دولة يفطل الشمالية وعرب معظم اليفطاليين إلى أوربا ، وبعد هذه الواقعة قام كل من إيستمي خان ونوشيروان بتقسيم المناطق التي استولوا عليها فيما بينهما ، وصار نهر أوجوز (سيحون)حدا فاصلا بينهما . وبعد مدة حدثت عداوة بيم نوشيروان وموقا قاغان، فانتهز موقاغان من الحروب المستمرة الدائرة بين نوشيروان وبين إمبراطورية الروم فأرسل حملة على إيران جيشا كبيرا بقيادة يابغو إيستمي

خان ، فاجتاح إيستمي خان نهر اوجوز (سيحون) وهجم على معسكر الفرس وهزمهم شر هزيمة وشتت شملهم ووصل إلى باختر (بلخ) وطخارستان (قطغن وبدخشان) وجعلها تحت سلطانه ، هذا وفي زمن ما وقعت المناطق الممتدة من ضفاف نهر إيتل(وولغا) إلى شبه جزيرة القرم تحت سيادة كوك ترك . والخلاصة أنه في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي شكلت دولة كوك ترك أعظم وأعتى قوة في قارة آسيا كلها عسكريا وسياسيا . (انظر الخريطة رقم ٩)

وبعد أن تم عقد مصالحة بين نوشيروان وإيستمي خان تزوج نوشيروان من ابنة إيستمي خان ، وكان نوشيروان يعتبر هذا الحدث شرفا عظيما له ، وهذا معروف في تاريخ إيران .

وفي عام ٥٦٨م قام إيستمي خان نيابة عن موقان خان بإرسال أحد النبلاء واسمه مانياق طرخان سفيرا لبلاده إلى الإمبراطور جوستينيانوس إمبراطور الروم (بيزنطة) ، وعقد مع إمبراطور الروم إتفاقيات تجارية ومعاهدات سياسية ، وبعث الإمبراطور جوستينيانوس مبعوثه زيمارك سفيرا له لدى بلاط إيستمي خان ، وفي عام ٥٧٠م اجتمع سفراء كل من إيران والروم والصين لدى بلاط موقان قاغان بمناسبة عقد معاهدات واتفاقيات فيما بين الترك والروم البيزنطيين ، وهذه رواية مشهورة ، وفيما بعد أرسل موقان قاغان شخصا اسمه تاغما طرخان سفير له لدى الروم .

وكان علاقة موقان خان مع كل من إمبراطورية الصين الشمالية والجنوبية علاقة صداقة ومحبة ، ولكن كان علاقة شاه إيران نوشيروان مع موقان قاغان علاقة طيبة في أول الأمر ، إلا أنه بسبب خيانة نوشيروان بتسميم سفراء القاغان سائت العلاقة بينهما فقامت الحروب بينهما وانتزع موقان قاغان من الفرس باختر وطخارستان على الوجه السابق .

كان ولادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عام ٥٧٠م ، وتوافق عهد موقان قاغان .

توفي موقان قاغان غي عام ٥٧٢م وخلفه أخوه الأصغر دوبوخان ، ومن أهم الأحداث الواقعة في عهد دوبو قاغان حربه مع إمبراطورية الروم ، وسبب الحرب كما يلي : كان دولة الآوار الواقعة في شرق أوربا تجاور إمبراطورية الروم مستقلة ولا تخضع لدولة كوك ترك ، وتعتبر عدوة لها ، فعقد إمبراطور الروم اتفاقية تجرية مع دولة آوار ، فاعتبر دوبو قاغان هذه الخطوة مناقضة للمعاهدات التي عقدت بين كوك ترك والروم فأعلن الحرب على إمبراطورية الروم ، حيث جهز جيشا بقيادة قائده بوقاخان وأمره بانتزاع مناطق شبج جزيرة القرم وسواحل البحر الأسود من إمبراطورية الروم ، وفي عام ٥٧٥م عبر بوقاخان نهر إيتل فاحتل شبه جزيرة القرم وقلعة بسفور وحاصر مدينة خرصون ، وهكذا اتسعت رقعة دولة كوك ترك في عهد بوقا قاغان . (انظر الخريطة رقم ٩).

انقسام دولة كوك ترك إلى قسمين.

في عام ٥٨١م توفي دوبو قاغان وخلفه أحد الأمراء واسمه أسبراخ ، ولكن أسبراخ هذا لم يكن به لياقة بالحكم والإدارة مثل سلفه من القاغانات ، وفي أثناء ذلك توفي يابغو إستمي خان ملك القسم الغربي من البلاد ، وخلفه ابنه تاردوخان ، ولعدم كفاءة أسبراخ كما أسلفنا حصل الشقاق بين أسبراخ وبين تاردوخان ، فرفض الأخير الانقياد لأسبراخ قاغان ، وبالتالي أعلن استقلاله عنه وقلد يابغو تاردوخان لنفسه لقب قاغان ، وبهذه الصورة أصبح في القسم الشرقي من البلاد قاغان وفي القسم الغربي قاغان آخر ، وذلك منذ عام ٥٨٢م .

الأحداث الواقعة بين دولتي كوك ترك بسبب دسائس الصين ..

كانت دولة الصين تدبر دسائس فيما بين دولتي كوك ترك لإضعافهما بالخلافات الداخلية ، ونحن نذكر هنا من المصادر الصينية أهم دسيستين فقط من الدسائس التي أوقعتها الصين بين الدولتين التركيتين :

١) كان للملك الصيني وزير داهية اسمه بي جو ، وكان هذا الوزير الصيني قد كون صداقة حميمة مع كل من قاغان دولة كوك ترك الشرقية وقاغان دولة كوك ترك الغربية ، وأخيرا أوقع بينهما عداوة شديدة جرت بسببها معارك ضارية بينهما، ولكنها زالت بمصالحتهما ولم تحقق الصين مآربها.

٢) كان بي جو هذا يزرع الفتن سرا في قادة القبائل القوية ويحرضهم للخروج على القاغان ، وأخيرا نجح في إثارة قبيلة تولو التي تقيم في شمال آلتاي وتخضع لدولة كوك ترك الغربية ، فشق هذه القبيلة عصا الطاعة وخرجت على تاردو قاغان ، وكان هذه القبيلة من أقوى القبائل التركية الرحل ، وهي أصل شعب قالماق الحالية على الأرجح ، وإن تاردو قاغان أعلن الحرب عليهم ولكنه انهزم في عام ٦٠٣م وولى هاربا ، ولم يستقر في مكان حتى وصل إلى تيبت واستأمن من ملك التيبت فأمنه .

وبهذه الصورة بقيت دولة كوك ترك الغربية من دون قاغان لمدة غير قليلة ، غير أن البلاد وقعت في أتون حرب أهلية وسط الدمار والدماء حتى عام ٦١١م ، حيث تولى أمر البلاد أحد أمراء البيت المالك واسمه شيخوي قاغان وقطع دابر العصاة ونشر الأمن في البلاد ، فدامت حكم دولة كوك ترك الغربية في أمن وقوة حتى عام ٦٣٣م .

دولة كوك ترك الشرقية والصين..

عندما انقسمت دولة كوك ترك إلى قسمين أحست الصين بأنها الفرصة الذهبية فضعاف دولتي كوك ترك الشرقية والغربية ، فقامت الصين بإشعال الفتن بين أمراء البيت المالك بواسطة الوصيفات الصينيات في بلاط الأتراك وبواسطة الخدم الصينيين فيه ، وأخطر هذه الدسائس والمؤامرات الإيقاع بين

الأمراء وزرع العداء بينهم ، وكذلك تحريض القبائل القوية للعصيان ، فانشغلت كلتا الدولتين بإخماد الثورات

الداخلية ، وبالرغم ذلك حافظتا على قوتهم العسكرية والاقتصادية ، غير أن إمبراطور الصين يانغ تيس ظن أن قوة الأتراك قد ضعفت فشن حربا على ولاية شانسي التابعة لدولة كوك ترك الشرقية ،

وما ان وطأت قدماه ولاية شانسي حتى تصدى له جنود الترك الكثيف فأوقع به وبجيشه هزيمة نكراء ، فلجأ إمبراطور الصين ببيقية جنوده الذين نجوا من السيوف إلى قلعة ، فحاصرها الأتراك على الفور ، وبعد أن أمضى شهرين تحت الحصار نجا منها بحيلة ، ولم يتوقف حتى وصل إلى مدينة يانغ جو على ضفاف نهر كوك دريا (يانغ سي كيانغ) فاحتمى فيها ، وبهذا امتدت دولة كوك ترك الشرقية حتى ضمت قسما كبيرا من إمبراطورية شمال الصين حتى نهر كوك دريا إلى ممتلكاتها ، فنصب قاغان كوك ترك الشرقية حاكم ولاية شانسي لي يوان إمبراطورا للصين الشمالية وجعل له مدينة جانغ آن (سيانفو الحالية) عاصمة إقليمية له .وكان لي يوان هذا رجلا حكيما ضبط أمور بلاده في مدة وجيزة وبدا يهاج إمبراطورية جنوب الصين ، حيث كانت الأخيرة تعيش عهد التخلف والضعف وكان يحكمها الإمبراطور جي آو ، وبعد عدة سنوات تمكن من القضاء على إمبراطورية الصين الجنوبية وأعلن نفسه إمبراطورا لعموم الصين ، وسمى مملكته بإمبراظورية تانغ ، وكان لي يوان برغم قوته وعظمة شأنه يدفع الإتاوة السنوية المفروضة عليه من قبل دولة

كوك ترك الشرقية وكان في تبعيتها .غير أنه كان معتدا بقوته ، وفي عام ٦٢٠ م أعلن لي يوان الحرب على قاغان دولة كوك ترك الشرقية، ولكن قاغان دولة كوك ترك قام بهجمات مرتدة فألحق الهزيمة بلي يوان عدة مرات ، وأخيرا جدد لي يوان اعترافه بسيادة قاغان دولة كوك ترك الشرقية وتعهد بالبقاء في تبعيتها وبالوفاء بدفع الإتاوة كما كانت من قبل ، فانقذ نفسه وبلاده من الدمار والفناء ، وفي هذه السنة توفي قاغان دولة كوك ترك الشرقية وخلفه في العرش أمير اسمه هيلي ، فجعل هيلي قاغان من دولته قوة لا يستهان بها .

وفي عام ٦٢٦م توفي لي يوان وتولى ابنه عرش إمبراطورية الصين وكان اسمه تاي تسونغ ، توقف هذا فور اعتلائه العرش عن دفع الإتاوة المفروضة لقاغان دولة كوك ترك الشرقية ، وبهذا الشبب وقعت حروب بين الصين ودولة كوك ترك الشرقية ، فجهز هيلي قاغان جيشا كبيرا وهجم على إمبراطورية الصين وهزمهم هزيمة إذر هزيمة حتى وصل إلى مدينة جانغ آن في عمق الصين فحاصرها ، فوقع إمبراطور الصين تحت الحصار ، واضطر إمبراطور الصين تاي سونغ إلى الصلح بشرط بقائه تحت سيادة دولة كوك ترك والاعتراف بتبعيته لحكم القاغان ودفع الإتاوة أضعافا مضاعفا ، فأنقذ بذلك نفسه دولة من الفناء الكامل .

بدء مرحلة جديدة في غرب أسيا ..

بينما في بلاد الترك والصين في الشرق من قارة أسيا وقعت وتقع تلكم الحوادث في عام ٦١٠م شع نور الإسلام في جزيرة العرب بمحمد صلى الله وعليه وسلم رسولا ومبشراً ونذيراً وهذا تاريخ البعثة للنبى صلى الله وعليه وسلم وبنزول الوحي . وفي اليوم الثاني و العشرين من سبتمبر ٦٢٢م هاجر عليه السلام الى المدينة وهذا بداية التاريخ الهجري (وهذا امر جلل) وبهذه المناسبة نذكر في كتابنا هذا التاريخ الهجري مع الميلادي.

سقوط دولة كوك ترك الشرقية ...

وفي عام ٦٢٦م ومن جراء هزيمة تاي سونغ إمبراطور الصين من دولة كوك ترك الشرقية ترك محاربة الأتراك وتبنى سياسة النفاق وزرع الفتن والدسائس والمؤامرات تجاه دولة الأتراك ، فبدأ يزرع بذور النفاق والفساد بين أمراء البيت الملكي من جهة ، وبين الخانات التابعة لدولة كوك ترك من جهة أخرى، وأخيرا وبتحريض من الصين قامت قبيلة تولو التي سبق ذكرها بالعصيان على دولة كوك ترك الشرقية ، فأرسل هيلي قاغان قوة كبيرة بقيادة تولي خان وهو رئيس قبيلة أخرى لإخمادها ، فرجع تولي خان منهزما وقال للقاغان : انهزمت ، فاعتبره القاغان خيانة فأوقع به عقابا صارما .

وعندما بلغ الخبر إلى تاي سونغ دعا تولي خان للعصيان على هيلي قاغان ، فأثرت هذه الدعوة في نفسه وقام بالعصيان على قاغان الترك وطلب المساعدة

من تاي سونغ ، واستجاب الأخير لهذا الطلب فجمع أكبر قدر ممكن من الجنود وأمد تولي خان والعصاة مثل قبيلة تولو فتحالف معهم وهاجم على قاغان الترك ، وتولى قيادة الجيش تاي سونغ نفسه ، وهزم هيلي قاغان عدة مرات بمساعدة العصاة،وفي عام٩٠هـ الموافق ٦٣٠م حاصر الأعداء مدينة قاراقورم عاصمة دولة كوك ترك الشرقية ، وأخيرا وقع هيلي قاغان أسيرا في يد تاي سونغ ، فانهارت دولة كوك ترك الشرقية ، كما أصبح القبائل والخانيات التي ساعدت الصين في هذه المحنة خداما للصين وذاقوا الذل والهوان دون الحصول على استقلالهم .

ثورة داخلية في دولة كوك ترك الغربية وتدخل الصين فيها..

بعدما انهارت دولة كوك ترك الشرقية وقعت في دولة كوك ترك الغربية فتن وقلاقل مدمرة وإليكم بيانها:

بتاريخ ١٢ هـ الموافق ٦٣٣م توفي كون خان قاغان ملك دولة كوك ترك الغربية ووقع الخلاف بين أبنائه في وراثة العرش ، غير أن واحدا منهم أخذ في طرفه خمس قبائل من الأتراك في غرب إسيق كول ، واتخذ مدينة طلاس العصمة قاعدة له وأعلن نفسه قاغانا على البلاد ، وكذلك الابن الثاني أخذ إلى جانبه خمسا من القبائل قي الشرق من إسيق كول إلى باركول وادعى وراثته العرش .

ولكن الخانات في مناطق حنوب تركستان الشرقية وقفوا محايدين بينهم أثناء هذه الفتنة فاستقلوا بإدارة أمورهم ولم يتبعوا أيا منهما ، منها خانية قوجو وكنكيت والمدن الستة ، واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩هـ (٦٤٠م) ، ولتأجيج نار هذه الفتنة بدأ إمبراطور الصين يستخدم كل الحيل الممكنة، ويعد الأمراء وأصحاب النفوذ في دولة كوك ترك بالمساعدة ويتودد إليهم بالهدايا .

وأخيرا انتهز تاي سونغ ضعف المركزية في دولة كوك ترك الغربية فبدأ بإرسال جنود إلى تركستان الشرقية ، ولكن خانية قوجو المتآخمة لحدود الصين كانت تدافع عن نفسها دفاع المستميت ، وفي عام ١٩هـ (٦٤٠م)انهزم ملك خانية قوجو أمام الكم الهائل من الجنود الصينيين فوقعت هذه الخانية تحت احتلال الصينيين ، ثم تقدم الصينيون فهاجموا مدينة كنكيت (قرا شهر) ، ودافع ملك كنكيت أربع سنوات عن بلاده ، وفي عام ٦٤٤م تغلب الصينيون واحتلوا مدينة كنكيت ، فجاء الدور لخانية كوجا، فدافع ملك خانية كوجا عن بلاده أربع سنوات هو الآخر،فاستولى عليها الصينيون أيضا في عام ٦٤٨م.

مساعدة تاغان دولة كوك ترك الغربية ليزدجرد شاه إيران وحربه مع جيش الإسلام العرب .

بينما تقع في بلاد الترك والصين في الشرق من آسيا تلكم الحوادث بدأ في غرب آسيا (شبه جزيرة العرب) عهد انتشار نور الإسلام من جزيرة العرب ببعثة حضرة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه عام ٦١٠م ، وفي

يوم ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م هاجر محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، فبدأ بذلك تاريخ جديد وهو التاريخ الهجري ، ونحن سنذكر من الآن فصاعدا التاريخ الهجري القمري أيضا ، وهو المعمول به في تركستان الشرقية في زماننا هذا .

في هذه أثناء انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفق الأعلى ، وفي عهد عمر رضي الله عنه فتح العرب قسما كبيرا من بلاد الفرس الإيران ، وفي عام ٢٣هـ (٦٤٤م) انهزم يزدجرد آخر الملوك الساسانيين الفرس إثر ضربات العرب المسلمين الفاتحين ، وهرب واجتاز نهر آمو فلجأ إلى قاغان دولة كوك ترك في مدينة طلاس وطلب مساعدته ، وتفضل إمبراطور الترك بإمداده بجنود ودعه ، فتقوى يزدجرد بهذا الجيش التركي وحارب المسلمين العرب بالشراسة واسترد المناطق الواقعة حتى مدينة مرو ، وفي ظهر مدينة مرو وقع أعنف وأخطر المعارك بينه وبين أحنف بن قيس قائد جيش الإسلام ، وفي أثناء المعركة جاء أمر قاغان الترك إلى الجنود الأتراك بالعودة فورا إلى البلاد ، حيث استولى الصين على ولاية كنكيت (قرا شهر) ، وبموجب هذا الأمر رجع الجنود الأتراك ولم يحاربوا أحنف بن قيس ، وتلقي المسلمين هذا الحادث على أنه نصر من الله مذكور في تاريخ الإسلام ، وهذه هي أولى المعارك الحربية بين العرب وبين أتراك دولة كوك ترك .

دولة كوك ترك الغربية تتقوى ثانية ..

وفي عام ٢٨هـ (٦٤٩م) قمع أحد أبناء القاغان تون خان واسمه قولا خان الثورات والقلاقل في بلده وتغلب على خصومه وقضى على المخالفين والمنشقين في سائر بلاد كوك ترك الغربية وأسكت الفتن والاضطرابات ةوأعلن نفسه قاغانا على دولة كوك ترك الغربية كلها ووحد كل الخانات والإمارات الصغيرة والكبيرة تحت علمه المظفر وأنقذها من الاحتلال ، وقضى على كل العسكريين الصينيين والإداريين الموجودين في هذه المنطقة ، وبهذه الصورة استعادت دولة كوك ترك الغربية في عام ٦٥٠م قوتها من جديد .

انهيار دولة كوك ترك الغربية واستيلاء الصين على جميع تركستان ..

اندهشت الصين من حصول قوة عسكرية واقتصادية لدولة كوك ترك الغربية ونجاح قولا قاغان في جمع كل الأتراك في آسيا تقريبا تحت لوائه ، ولأجل إيقاف قوة الأتراك المتنامية بقدر الإمكان استخدمت الصين كل حيلة ووسيلة غير أنها لم تفلح ، فجشدت الصين كل قواها العسكرية وأعلنت الحرب على دولة كوك ترك الغربية ، وأرادت من ذلك إزالة دولة الترك أو علىالأقل إضعاف قوة الأتراك واستتراف قواهم بمحاربتهم لسنين عديدة ، وبذلك توقف نموهم وتقدمهم .

وبموجب هذا القرار أرسلت ووخو إمبراطورة الصين عام ٣٥هـ (٦٥٦م) جيوشا على ثلاث محاور، المحور الأول هاجم منطقة آلتاي وخاض عدة

معارك مع جيوش قبيلة قارلوق التركية التي تسكن على ضفاف نهر إيرتش ، وفي النهاية ألحق الهزيمة بهذه القبيلة ، المحور الثاني اتجه إلى منطقة إيميل (جوجك) ، وتغلب على الجنود الأتراك الذين تجمعوا في سهول تارباغاتاي ، والمحور الثالث هاجم على منطقة قوجو فاستولى عليها ، وفي معركة كبرى وقعت بالقرب من مدينة كنكيت (قرا شهر) مني الأتراك بهزيمة منكرة ، وعلى هذا استمر هذا الحرب سنة وزيادة ، ووقع ملك الأتراك قولا قاغان أسيرا في أيد الصينيين عام ٣٧هـ (٦٥٧م) ، فقاده الصينيون إلى عاصمتهم جانغ آن (مدينة سيانفو الحالية) .

ورغم كل ذلك لم تفلح الصين في الاستيلاء على منطقة تركستان بالكامل ، ودافع الأتراك عن بلادهم بشدة لمدة سنتين بالرغم من عدم وجود ملك يرأسهم ، وكان دفاع الأتراك بدأ ينهك الجنود الصينيين، ولكن في هذا الوقت العصيب بدأ الصينيون يستخدمون سياستهم المعروفة بالمكر والحيل كما يلي : إن الصينيين أرسلوا من يفتن ويرشو إلى غير واحد من أمراء القاغان الترك ويعدهم بعرش قاغان الترك ويمدهم بمال على صورة هدايا ، وهؤلاء الحمقى من الأمراء قبلوا عرض الصين طمعا في العرش وتركوا المقاومة ، أم الغيورون على أوطانهم فزرعت الصين الفتن والاختلافات فيما بينهم فصاروا يساعدون الصين ، وأما الخانات وأمراء المناطق ورؤساء القبائل التركية فقد وعدهم الصين بالمناصب والألقاب الرنانة فلزموا جانب الصين ، فهوؤلاء الذين خدعوا بالمنفعة الشخصية خانوا قومهم ووطنهم ودولتهم ،

وبالتالي انكسرت في الأتراك غيرتهم الوطنية وتقاعسوا عن أداء وادبهم حتى النهاية ، حتى جاء عام ٦٥٩م مني الأتراك بهزيمة ساحقة سقطت على إثرها كامل أراضي تركستان تحت الاحتلال الصيني .

وبهذا سقطت دولة كوك ترك التي عاشت ١٠٧ سنوات ، غير أن السقوط كان مؤقتا ، إذ قامت هذه الدولة مرة أخرى بعد ٢٣ عاما فقط بصورة أقوى وأعظم ، سيأتي بيانها في فصل دولة قوتلوق .

وبعد أن استولى الصين على تركستان عين أحد الأمراء الخونة حاكما على أتراك الغرب لإدارة شئونها الداخلية ، وكان هذا الحاكم يمارس السلطة بأمر من الصينيين ولم تكن له أي صلاحية تذكر ، وبهذه الصورة المزرية رضخت خانات كل مناطق تركستان الشرقية وفرغانة والسغد (سمرقند وبخارى) لتبعية الصين ودفع إتاوات سنوية لها حفاظا على وجودهم وكذلك الخانات التركية في مناطق سغد وختلان

(قاراتيكن وكولاب) وطخارستان (قطغن وبدخشان) كانوا يدفعون إتاوات سنوية للصين لتأمين جانب العدو القوي الذي يهاجمهم من جهة الشرق ، كما كانوا يدافعون عن أنفسهم من هجمات جيش الإسلام من العرب من جهة الغرب .

ثم بعد مدة هاجم الصينيون على وديان بلورستان (جترال ونورستان الحالية) الواقعة في جنوب أفغانستان عن طريق بدخشان فاستولوا على المناطق الواقعة بالقرب من بيشاور ، إلا ان هذا الاستيلاء لم يدم طويلا ، وما

ذكر في المصادر الصينية من أننا كنا قد استولينا على منطقة شمال هندستان تعني هذا الاستيلاء القصير على بولرستان .

استيلاء التيبت على الولايات الجنوبية لتركستان الشرقية ..

في أوائل القرن السابع الميلادي تكونت دولة قوية في منطقة تيبت ، وكاسبو الذي حكم من عام ٦٣٠م حتى عام ٧٠٣م (١٠-٨٤ هـ) أعلن الحرب على ملك تنجوت الأتراك المقيمين في منطقة كوكو (كوكونور أو جنهاي الحالية) ، وبعد حروب دامية استولى كاسبو على تلك المناكق التركية ، ولم يقتنع كاسبو بهذا ، بل حاول الاستيلاء على تركستان الشرقية ، ولذلك أعلن الصين حربا على كاسبو ، وبعد حروب دامية انهزم جيش الصين في عام ٦٧٠م (٥٠هـ) هزيمة منكرة وتفرق شمله ، فتقدم كاسبو من كوكو إلى ولاية جرجن فأخضعها لسلطانه ، ثم استولى على ولايات خوتان وياركند وكاشغر على التوالي ، وبهذا ظهر في الساحة منافس آخر للصين في الاستيلاء على تركستان الشرقية غير دولة العرب الإسلامية .

اتخذ التبتيون مدينة كاشغر عاصمة لمملكتهم وحكموا هذه المناطق حتى عام ٦٩٢م (٧٣هـ) ، وفي هذه الفترة خاضت الصين عدة معارك معهم ، ولكن التركستانيون فضلوا التيبت على الصين من حيث السياسة فكانوا يساعدون التبتيين دائما ، وبهذا السبب كانت الصين تنهزم في كل معركة تخوضها مع التيبتيين ، وفي عام ٦٩٢م تغلبت الصين على التيبتيين وأعادوا سيطرتهم من جديد على كاشغر وياركند وخوتان .

ـ الفصل التاسع ـ

دولتا قوتلوق وتركش

قيام دولة كوك ترك مرة أخرى..

حيـــنما انهـــارت دولة كوك ترك تأثر التركستانيون بهذا الأسر تأثرا سيئا، ولكن الخونة الذين حصلوا من الصين على الرتب واللقاب والمناصب المرموقة والهدايا كانوا مبسوطين فرحين من إمبراطورية الصين.

غير أن عامة الشعب كانوا ينظرون بازدراء على كل ما أتى من الصين من أوامر والفرمانات وينفرون منها وينتظرون كل فرصة تأتي للخلاص من الاستعمار الصيني ، وحينما تأتي الفرصة المواتية كانوا حاضرين لاستغلال هذه الفرصة وبذل كل غال ونفيس لاستخلاص بلادهم من إمبراطورية الصين ، وكان هذا الاستعداد هو الانتظار من الغيورين الوطنيين المخلصين ، ولذا كانت البلاد هادئة حيث يثيرون الانقلابات والاضطرابات من هنا وهناك.

وأخيرا نجحت انقلابان من تلكم الانقلابات وخلصتا البلاد من ربقة الصين نذكر تفاصيلها بالتالي ، فبهذا النصر المبين شكلوا دولتين تركيتين وأعادوا بهما دولة كوك ترك من جديد .

بناء على ما كتب في النصب التذكارية في وادي أورخون أنه كان أميرا من أمراء سلاطين كوك ترك يحكم على مدينة أوتوجن وملحقاتها من الأرياف والقرى والبوادي ، وكان اسمه الأمير إلتمش بك، وكانت صفة حكمه التبعية لدولة الصين وكان بها صينيون والبلاد بلاد الأتراك ، وكان لإلتمش بك ابن اسمه إيلترش بك قام هذا الابن إيلترش برفاقه السبعة عشر بالهجوم على مدينة أوتوجن في عام ٦٠هـ ونجح في هجومه هذا واستولى على المدينة وقتل من فيها من الصينيين وأبادهم بجنود جمعهم من المدينة تعدادهم سبعون رجلا ، وبهذه القوة البسيطة شرع في إدارة البلاد والعباد ، وبعد عدة أيام وصل تعداد جيشه إلى سبعمائة فارس، ومنذ ذلك اليوم أعلن حربا على الصين ودعا كل الأتراك وبدون استثناء إلى محاربة الصين أيا كان ، وكانت هذه الأصوات في منطقة الشمال منغوليا الآن ، وبهذه الدعوة الكريمة

والشجاعة التفت كل قبائل الترك تحت لواء إيلترش خان الواعدة للنصر ، ومنحوا لإيلترش خان صفة آيدات شاه ، وكانت هذه الصفة أو الرتبة في الأتراك قديما تمنح لأمراء البيت الملكي أو أمراء الخاقانيون وأعلى رتبة فيهم في بلاطهم . وفي عام ٦٨٢م طهر كل أراضي مغولستان الآن من الصينيين العسكريين منهم والمدنيين وأعلن استقلال الترك جميعا ، وعندئذانتخبه الأتراك قاغانا لهم. وفيما يذكره المؤرخون الصينيون والمصادر الصينية يقول : إن

إيلترش خان هو الذي تقلد عنوان قوتلوغ خان أوقوتلوق خان بمعنى الملك المبارك .

وبهذه المناسبة يذكر المؤرخون أنها دولة قوتلوق الأتراك ، ولكن النصب التذكارية في وادي أورخون لم يكتب كلمة قوتلوق ، وفي ذكر إيلترش خان يكتب إيلترش قاغان الترك.

ونقول نحن بهذه المناسبة والأحداث الخيرة العظام إن دولة كوك ترك قد أحييت من جديد .

وفي عام ٧٣هـ الموافق عام ٦٩١م توفي إيلترش قاغان وخلفه أخوه قافاغان قاغان قاغانا على البلاد وقام بمقام أخيه الراحل ، ويذكره المؤرخون الصينيون باسم موجوخان ، وقام الأخير بفتوحات عظيمة وجبارة في الشرق حتى أنه فتح بلاد منجوريا أو منشوريا وشبه جزيرة كوريا وضمها كلها في ممالك الأتراك . (انظر الخريطة رقم ١٠).

دولة تركش في غرب تركستان فيما بين عامي ٧١- ١٢٢هـ (٦٩٠-٧٣٩م)...

إن قبيلة تركش التي تسميها المصادر الصينية توكي شه اسم قبيلة تسكن في الشمال من جبال أو سلسلة جبال آلتاي ، وكانت عشرة قبائل تجمعها اسم (بوي) وكانوا يشكلون عناصر دولة كوك ترك من الأساس ، وفي القرن السابع الميلادي كانت قبيلة تركش في منتصف القرن ذاك تسكن على ضفاف بحر إيرتش ونهر توبول وكانوا يشتغلون برعي الأغنام والإبل ، ثم بعد

مدة رحلوا إلى الشرق من الحوض الساخن .(انظرالخريطة رقم ١٠) وعندما قضى الصينيون على دولة كوك ترك لم تخمد ثائرة هذه القبائل العشرة وما زالوا يصادمون ويحاربون الصينيين حتى إن حكومة الصين التي تحكمهم تنهار وتغيب ، وكان هناك شخصية من تلكم القبائل اسمه (أوج آله) وعنوانه باغاترخان ، وهم يعتمدون عليه ، رويدا رويدا ظهر في العيان وكبر نفوذه ، وفي عام ٧١هـ الموافق ٦٩٠م برز في السلطة من عند ذاته وصار يحكم هذه القبائل .

وكان قوشالو الحاكم المعين من قبل الصين على الأتراك بدأ يقاوم أوج آله ، وكلن الأخير تغلب عليه حتى إن قوشالو اضطر للهرب إلى داخل الصين وأجبر عليه ، وقوشالو يذكره المثصادر الصينية باسم آشي ناهين .

وكان لأوج آله باغاترخان عاصمتان : أولها مدينة توقماق حاضرة خمس قبائل من العشرة ، وثانيهما مدينة يته سو في الشمال من وادي إيلي حاضرة خمس قبائل من العشرة القاطنين في الشرق.

وبهذا الصورة تمكن أوج آله باغاترخان من الاستيلاء على بلاد شاسعة حدها فربا نهر أنجه

(سير دريا) وجنوبا تنكري تاغ (تيانشان) وشرقا ولاية باركول وشمالا مراعي قبائل قرغيز المتآخمة لمرتفعات سيبيريا.

فبهذ الفعاليات أسس أوج آله باغاترخان دولة فتية دولة تركية تضاهي دولة كوك ترك الغربية الغابرة أو أحياها من جديد .(انظر الخريطة رقم ١١)

وفي أثناء ذلك كانت الأتراك القاطنين بالجنوب من جبال تنكري تاغ منها قوجو ولولان وكنكيت وأوج كانت تحت الاحتلال الصيني ، وأما وادي فرغانة وسغديان وخانياتها فكانت تعطي إتاوات سنوية فمبراطور الصين وتابعة له وبصورة نصف الاستقلال ، وكانت منطقة كاشغر وياركند وخوتان وجرجن تحت احتلال حكومة التيبت البوذية وتابعة لها .

وإن أوج آله باغاترخان فكر في إنهاء احتلال الصين واحتلال تيبت من جنوب دولته ، وكان يعتمد في فكرته هذه على تخطيط متكامل الجوانب حتى تكتمل امتداد دولته إلى خدود ما كانت عليه دولةكوك ترك سابقا ويضم تحت لوائه كل الأتراك القاطنين في آسيا ووسط آسيا قديما . وكان تخطيطه يوجب أولا الاتحاد مؤقتا مع الفاتحين العرب ودولة تيبت، وبهذا التضافر يمكن محو الصين المحتل عن بلاد الأتراك التركستان الشرقية ، ثم إنهاء الاحتلال التبتي من جنوب البلاد ، وفي المرحلة الثالثة الدفاع عن بلاد الأتراك من هجوم العرب الفاتحين القادمين من الغرب .

وبعد مساع طويلةنجح أوج آله باغاترخان في التحالف مع كل من الفاتحين العرب ودولة تيبت ضد احتلال الصين ، ولكن القوات الثلاثة لم تكف لدحر الصين من المنطقة إزاء قوة الصين الكبيرة في ذلك الوقت ، غير أن الصين لم يستطع أيضا الإغارة على هؤلاء الثلاث دفعةواحدة ، فاكتفت بالمحافظة على مناطق نفوذها آنذاك ودونمساس بها من العرب أو تركش أو التيبت .

سبق أن فصلنا تأسيس دولة الترك تركش حيث أصبحت دولة بذاتها ، غير أنها معرضة لأخطار كل العرب الفاتحين من الغرب ومن الشرق والجنوب دولة الصين ومن الجنوب التيبت أيضا ، وفوق هذا دولة أتراك الشرق دولة قوتلوق الترك وعلى رأسها خلف إيلترش قاغان وهو ابنه قافاغان قاغان كان يريد ضم كل مناطق الترك الغربية والجنوبية مثلما كانت في عهددلوة كوك ترك ، وكان يقدم إقدامات راسخة في هذا المجال ، وأخيرا تغلب قافاغان قاغان على كل المصاعب التي في طريقه واستولى على دولة تركش ومحا الوجود الصيني في الأقطار هذه وخلص تركستان الشرقية والغربية من استيلاء وهيمنة الصين وتبعيته تحت لوائه وذلك عام ٦٩٩م ، وجعل طرز إدارته مثلما كانت الإدارة في دولة كوك ترك حيث عين ابنه أي ابن قافاغان خان برتبة يابغو نائبا عنه في منطقة أتراك تركش الغرب ، وبرغم ذلك ولحكمة يعلمها هو قبل أوج آله باغاترخان سيادة قافاغان خان وانقاد له ، وبهذا الرأي الصائب حافظ على استقلال بلاده الداخلية . (انظر الخريطة رقم ١٠م).

وقبل هذه الحادثة أو الواقعة بسنة وفي عام ٦٩٨م حارب قافاغان قاغان وهجم على الصين واحتل منطقة بيجلي وشانسي وأرغم الصين لدفع إتاوات مجزية لخزانة دولة قوتلوغ الترك ، وعلى أن يكون الصين تابعا لدولته وضي به إمبراطور الصين وقبله .وفي عام ٧٠٠م كلف قافاغان قاغان كول تكين خان

ابن إيلتريش قاغان بالذهاب إلى فرغانة وسغد وطخارستان (قطغن وبدخشان)لينظم شئون خانياتها وشئون الرعية التي جميعهم من الأتراك في المنطقة التي يقال لها ما وراء النهر ، فقام كول تيكن خان بالعهدة خير قيام وأخذ هذه المقاطعات تحت لوائه ، وكان عنوانه أو صفته أمينا عاما واتخذ تركستان الغربية مركزا وبلاطا لسلطته واستعد للدفاع عن البلاد من الفاتحين العرب والمسلمين .

الواقعات التي حدثت بين دولة توتلوق التركية وبين قادة المسلمين..

في هذا الفصل نذكر غلبة العرب المسلمين على بلاد الأتراك والحروب التي وقعت بينهم بالاختصار، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تغلب جيش الإسلام الفاتحين العرب على معسكر الفرس في معرمة نهاوند عام ٦٤٢ م نهاوند الفاصلة حيث لم يلبث الفاتحون العرب أن يزحف إلى خراسان ثم منطقة ما وراء النهر بخارى وسمرقند مرورا بالمرو وباختير (البلخ) ، وفي عهد عثمان بنعفان رضي الله عنه قبل الإسلام كل الأمم الموجودة في منطقة خراسان وكان أكثرها أتراكا ومن عناصر تركية بعد الفرس ، وفي عام ٣٢ هـ الموافق ٦٥٢م كانت منطقة خراسان تحت حكومة الإسلام بقيادة أحنف بن قيس ، فبدأ هذا القائد العظيم هجومه على الشرق ما وراء النهر بعد فتحه البلخ ثم فتح طخارستان الأدنى (قطغن) وطخارستان الأعلى (بدخشان) وهي من بلاد الترك أخضعهم كلهم لسيادة رايته الخفاقة راية الإسلام ، غير

أن قبائل الأتراك جميعا دافعوا عن بلادهم شبرا شبرا ، ولكنهم في الأخير قبلوا صلحا بأن يعطوا الجزية لخليفة المسلمين وأن يكون شئونهم الداخلية تحت أيديهم ، وكأنهم حافظوا على استقلالهم بالحكم الذاتي داخليا ، وبهذا عاد الأحنف بن قيس مع جنود الإسلام إلى بلخ ، ثم أغار الأحنف بن قيس على بلاد أترك خوارزم ، ولكنه مني بهزيمة وعاد إلى بلخ مكسورا . وبهذا وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه قد وصل الفاتحون العرب وجند المسلمين إلى ضفاف نهر أوجوزآمو دريا،وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه إلى عهد عبد الملك بن مروان لم تقع معركة حامية وفاصلة بين المسلمين العرب وأتراك الشرق حيث دخل عام ٨٠هـ ، بل إن ملوك منطقة طخارستان أعلنوا استقلالهم عن دار الخلافة الأموية، ومنذ عهد عبد الملك بنمروان بدأ القادة المسلمون العرب بغارات على بلاد الأتراك ما وراء النهر نأتي بتفاصيلها كالآتي :

مهلب بن أبي صفرة ...

كان حجاج بن يوسف الثقفي عاملا على العراق بالإضافة إلى بلاد خوارزم في عهد عبد الملك بن مروان ،وكان تحت إمرة الحجاج القائد العربي المظفر مهلب بن أبي صفرة عين الحجاج واليا على خراسان وسائر أتراك طخارستان وسغد والإغارة على منطقة ما وراء النهر وجهزه بجيش كبير وذلك عام ٨٠ هـ ، حيث اجح جنود الإسلام بقيادة مهل بن أبي صفرة نهر أوجز

(آمو دريا) وفتح قلعة كش ، وكانت قلعة منيعة على ضفاف النهر شرقا ، ثم أغار على مدينة وعلى خانيتها وخانية ختلان (قراتكين) ودارت حروب بين جيش الإسلام والوطنيين الأتراك قرابة سنتين وزيادة حتى بقي المسلمون الفاتحون في موقف حرج بين هجمات الأتراك من جهة وبين هر أوجوز (آمو دريا) ، فاختار مهلب أن يرجع بجنوده إلى المرو ولم يلبث أن مات مهلب في مدينة مرو وخلفه ابنه يزيد بنمهل ثم ابنه الثاني مفضل بنمهلب الذين حاربوا الأتراك مرارا وتكرارا ، ولكنهم لم يظفروا بشيء ولم تكن في عهدهم فتوحات تذكر فيما وراء النهر ، وبالرغم ذلك كانوا قادة مهرة ذوو شكيمة وبسالة وموصوفين بصدق الإيمان بالفتوحات الإسلامية .

قتيبة بن مسلم ...

وفي عام ٨٦هـ عين الحجاج من أشجع القادة العرب قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على خراسان ، وعندما وطأت أقدام قتيبة على أرض خراسان أغار أو غزا طخارستان الأدنى ، وكانت في المنطقة أربع خانات أي ملوكا وكانوا على خلاف فيما بينهم ، واستولى القتيبة على مدينة طالقان عاصمة ملوكهم واستفاد قتيبة من خلافات الملوك فيما بينهم حيث استسلم ملك ساغانيان لقتيبة من دون حرب ، ثم تغلب على الباقين بحكم السلاح واحدا بعد آخر وفرض عليهم جزية سنوية على أن يبقوا حكاما على بلادهم ، وأبقى القائد قتيبة بن مسلم جنودا كافية في منطقة طخارستان وعاد هو إلى خراسان وعاصمتها المرو ، وحيث أعلن ملوك طخارستان الطاعة لخليفة المسلمين عبدالملك بن مروان ، وفي عام ٨٧% قدم قتيبة بن مسلم إلى مدينة

بلخ واجتاز نهر أوجوز (آمودريا)وهجم على مدينة بايكند ، وكانت بوابة لمدينة أو منطقة بخارى ، ولكن الأتراك قاوموه مقاومة باسلة حتى أنهم أوقعوا جنود المسلمين العرب بما فيهم قتيبة بن مسلم أوقعهم في محاصرة منيعة ولمدة شهرين وانقطعت المخابرات بينهم وبين الحجاج بن يوسف الثقفي ، غير أن جيش الإسلام فتحوا ثغرة من المحاصرة وهجموا على الأتراك مباغتة ومالوا عليهم بالحملة الرعناء ، وحاول الأتراك عندها الهرب إلى داخل المدينة ولكن تعثر هروبهم بوجود الأتراك المقاومين وجيش المسلمين العرب الزاحفين في الطريق المؤدية إلى المدينة حيث شتت جمعهم إلى الفيافي والقفار ونزل الجيش العربي بالفتك بهم دون دورهم ودورانهم ، ومع ذلك استطاع بعضهم الوصول إلى المدينة وتحصنوا فيها وأخذوا يدافعون هن مدينتهم ، وسرعان ما اكتشف المحصنون في المدينة وجود ثغرة في سور المدينة فعرفوا أنهم واقعون في يد المسلمين العرب فعرضوا صلحا على قتيبة بن مسلم وقبل الأخير أمان الأتراك أهل البلد وأمنهم في عرضهم ومالهم على أن ينقادوا للفاتحين المسلمين العرب ، ثم دخل قتيبة المدينة واختار أحد المسلمين العرب حاكما على البلد ثم قفل راجعا إلى المرو .

وبعد مدة من الوقت حصل اضطرابات في المدينة وقتل من نتيجته الحاكم وبلغ الخبر إلى قتيبة فقدم الأخير إلى بايكند ولم يتحقق عمن حصل الانقلاب وبأي سبب ، بل عرض المدينة للقتل العام ثم أضرم النار في المدينة بعدما آلت ما في المدينة إلى الغنيمة والمصادرة ، وبحرق المدينة أصبحت المدينة قاعا

صفصفا وانمحى المدينة عن الوجود ، وكانت مدينة بايكند حاضرة منطقة صغد ومدينة جميلة تضاهي أقرانها في ذلك الوقت أو تزيد.

وإلى الحادثة الأليمة وقفت دولة كوك ترك وقاغانها قافاغان خان ونائبه يابغو كول تيكن خان وقفوا حائرين أومحايدين غير خائفين ، بل تركوا المقاومة أو الدفاع لأهل طخارستان وصغد وملوك ختلان منطقة أتراك الغرب أو الجزء الغربي من اتحاد دولة قوتلوق كوك ترك ، عندئذ أي بعد ما فعل قتيبة ما فعل من قتل عام والسلب والنهب وإضرام النار في المدينة وسفك دماء الأبرياء تقدم كول تيكن أو أقدم على التدخل في الأمر ، وبعد أن عرف أن الفاتحين العرب في قوة لا يستهان بها فجمع أهالي الصغد ووادي فرغانة واستعاد جميع المناطق التي وقعت في يد المسلمين بيادة قتيبة واتخذ مدينة ترمذ مركزا لقيادته يدافع عن بلاد الأتراك ، وفي عام ٨٨هـ اتجه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي إلى منطقة نهر أوجوز آمودريا واجتاز النهر وسير جيشه للهجوم على منطقة صغد حاضرها مدينة بخارى وسمرقند ، ولكن كول تيكن خان أخذ بزمام المبادرة وتصادم الجيشان بالقرب من مدينة ترمذ وجرى قتال شرس فانهزم جيش المسلمين وانسحب قتيبة من ساحة المعركة ومعه جيشه وولى راجعا إلى البلخ واجتاز النهر إلى الغرب منه ، ولكنه لم يتمكن من المكوث ببلخ وواصل سيره إلى مدينة مرو ، وفي عام ٨٩م فؤجئت منطقةصغد بهجوم من قتيبة بن مسلم الباهلي ولكنه انهزم ثانية في المعركة مثل ما انهزم في العام المنصرم .

وبعد المعركتين السابقتين تمكن الياس من قتيبة وأخبر الحجاج بما حصل وتكلم عن شجاعة التراك ومناعتهم وأنهم كذا وكذا من البسالة ، ثم قال : وأخاف أن نمحي جيشنا جميعا إذا أقدمنا بالجهاد إليهم، ولكن الحجاج رد في جوابه ووبخه وأمره بإعادة الكرة بعد الكرة حتى ننتصر على الأتراك في عقر دارهم ، وبدد تحفظ قتيبة وأثار غيرته فأرسل لقتيبة قوة كبيرة وأمر بدعوة الفرس الجدد في الإسلام للجهاد وجمع منهم جنودا كثيرة ، وفي عام ٩٠هـ الموافق ٧٠٩م اتجه قتيبة بقوته الهائلة إلى مدينة بخارى ، ولما بلغ الخبر ليابغوكول تكين خان جهز جيشه وأخذ عساكر كثيرة من منطقة صغد ووادي فرغانة واتجه بها من سمرقند إلى بخارى وقد تقم إليها جنود قتيبة الفاتحون العرب قبل وصول كول تيكن خان وعساكره وقد حاصر جيش المسلمين مدينة بخارى ، وسرعان ما وصل كول تيكن خان وهاجم على المسلمين هجوما كاسحا ودارت المعركة على أشدها وانفكت المدينة من الحصار فأخذ جيش المسلمين جانب الهزيمة والتراك يطاردهم يبعدهم عن المدينة إلى مدى معقول ، وكان أنوصل جيش ا

المسلمين إلى واد منخفض أوتمركز التراك على تل قريب منهم وكان جيش قتيبة في خوف من إغارة الأتراك عليهم إغارة مباغتة ، ولكن قتيبة دعا جيش المسلمين إلى الإغارة على جيش التراك ليلا ولكن جيش المسلمين لم يجرؤ عليها ، وبعد ذلك تأثر أحد قود المسلمين وهو وكيع فأخذ عددا من الفرسان

من جنوده ومضى بهم عن طريق مغاير فتمكن من عمل كمين خلف جيوش الأتراك ثم هجم عليهم بكل قوته العسكرية فأوقع في الأتراك خوفا وذعرا وشتت جمعهم ، فبقي كول تيكن خان بجنوده وحراسه ، وكان يرد على هجوم المسلمين بهجوم مستميت غير أن الكثرة يغلب الشجاعة فانهزم كول تيكن خان وانسحب إلى وادي فرغانة .

وبهذه الهزيمة النكراء في جيش التراك بقيت في الساحة خانية بخارى وخانيات كل من سمرقند وصغد وختلان فعرضوا على القتيبة الانقياد ودفع جزية لخزانة الخليفة الأموي على أن يكون لهم ذاتية الحكم أي الاستقلال الداخلي ، وقبل قتيبة هذا العرض واعتبره فرصة وغنيمة وظفرا معززا ، ولمراقبة الانقياد والطاعة ولأخذ الجزية من تلكم الملوك عين قتيبة أحد العربان واليا على منطقة بخارى وأبقى جنودا أومفرزة من جنود المسلمين ورجع إلى مركزه البلخ بخراسان أو المرو .

وفي ذلك الأثناء وقع في بلاد الترك شرقا مناوشات وانقلابات من اتحاد تقوز أوغوز وثورة قبائل خطاي على دولة (قوتلوق) التركية وتزامن معها الحربي الأهلية في الصين ، فدعا ملك دولة قوتلوغ قافاغان خان كول تيكن خان إلى المجيئ إلى منطقة قاراقورم .

وفي عام ٩٣هـ الموافق عام ٧١٣م بدأ قتيبة بن مسلم الباهلي إغارة على منطقة خوارزم ودارت رحى الحرب دورانها المستميت من الطرفين المسلمون والأتراك في خوارزم ، وكانت المنطقة بين غير واحد من الملوك المحليين بشكل

ملوك الطوائف ، فانهزم هؤلاء في القتال وأعلنوا انقيادهم وولاءهم للخليفة الأموي ودفع جزية سنوية ، وهكذا انتهت الحرب في وارزم بين التراك والمسلمين الفاتحين العرب بقيادة قتيبة ، غير أنه وقعت حادثة مؤلمة من طرف الأتراك بأن قام قتيبة بقتل أربعة آلاف نفسا بسبب أنهم أسروا أخا قتيبة عبدالرحمن من مسلم إثر صدام وقع بينهم الأتراك والمسلمين العرب ، والقتل العام لأربعة آلاف نفس في أسر شخص واحد إثم كبير لا يغفره الدين .

وفي أثناء ذلك أعن ملك سمرقند استقلاله وعدم انقياده للخلافة فتقدم قتيبة إلى سمرقند وقومه ملك سمرقند مقاومة شديدة ، وبعدحروب دامية ضارية انهزم ملك سمرقند وفتحها قتيبة وبنى فيها مسجدا

كبيرا ، ويقول المؤرخون المسلمون والعرب إن هذا الظفر لم يكن مواتيا لقتيبة إن لم يكن مساعدة الأتراك المسلمين منبخارى وخوارزم في هذه المرة .

عين قتيبة شخصا اسمه عبدالله بن مسلم من العرب واليا على سمرقند وأبقى فيها أسلحة وجنودا كثيرة من الفاتحين العرب ، ورجع هو إلى مركزه المرو أو البلخ في أرض خراسان .

وفي عام ٩٤هـ قدم قتيبةبن مسلم الباهلي بجنود لا قبل لها إلى فرغانة ووقعت المصادمات في مدينة خوجند أولا حيث قاومه ملك خوجتد مقاومة شديدة ثم انهزم ، وفتح قتيبة مدينةخوجند ، ثم تقدم قتيبة إلى الشرق من فرغانة ووصل إلى مدينة أومنطقة كاسان وفتحها عام ٩٥هـ ، ثم إلى منطقة

أو سلطنة طاشكند ولكنملكها أعلن الاستسلام والانقياد من دون حرب ويدفع جزية للخلافة الأموية .

فهذه هي معظم فتوحات القائد العربي المسلم الشهير قتيبة بن مسلم في بلاد الترك ، ولم يحقق قتيبة بعد هذه الفتوحات شيئا يذكر حتى عام ٩٦هـ وفي رواية حتى عام ٩٧هـ الموافق (٧١٥ م) حيث قتل فيها على يد جنوده .

حقيقة تاريخية ..

يجب أن نعلم أن بعض المؤرخين المسلمين ذكروا في كتبهم أن قتيبة بن مسلم الباهلي فتح عام ٩٦هـ مدينة كاشغر، وكانت منطقة كاشغر تحت احتلال الصين ، وأن قتيبة عقد اتفاقا مع إمبارطور الصين كذا وكذا وهكذا روايات قصرت أم طالت وأنها غير صحيحة، بل إنها شكلا وموضوعا روايات ملفقة بكل حذافيرها .

والحقيقة أن منطقة كاشغر وأمثالها من الإمارات والمناطق التركستانية الشرقية كانت تحت سيطرة دولة قوتلوق التركية وتحت سايادة ملكها قافاغان قاغان ، وكانت كاشغر ومثيلاتها تعيش عهد ملوك الطوائف ولم تكن لها علاقة بالصين إطلاقا ، وأنه لم يتم فتح كل المقاطعات في التركستان الغربية آنذاك ناهيك عن اقتراب قتيبة بن مسلم وفتحه مدينة كاشغر ، وهذه حقيقة تاريخية ثابتة ، وأن مقتل قتيبة كان في عام ٩٦هـ في مدينة مرو أو سمرقند أيضا رواية تاريخية قوية.

وإذا بكـــر الإسلام في الدخول إلى منطقتنا وتشرف أبناؤها بالإسلام كان ذلـــك فخـــرا وشرفا لنا في الإسلام ، ولكن الافتخار بما يتنافى مع الثوابت التاريخية مما يعاب عليه ، لذا نوهنا بهذه الحقيقة .

حقيقة تاريخية أخرى :

أكثر المصادر التاريخية الإسلامية تذكر قتيبة بمسلم الباهلي على أنه من أكـــبر الفـــاتحين المسلمين وأنه شخصية إسلامية مقدسة ، ولكن المحايدين من المؤرخين يقولون أنه حقا من أكبر القادة العرب الفاتحين وأنه يليق بهذه الصفة حيث أنه بوجود المهلب بن أبي صفرة والأحنف بن قيس فاتح عظيم لأنه فتح بلـــدانا عجز عنه هؤلاء النخبة من البواسل وأبناؤهم ، فتح خراسان وحارب المقاتلين الأتراك الأشاوس وتغلب عليهم ، وهو الذي فتح سمرقند ونصب راية الإســـلام في تلك الأصقاع النائية ، وبالرغم ذلك لا يقال ولا يليق لقتيبة بن مـــسلم الباهلـــي أن يكـــون رجلا أو شخصية مقدسة في الإسلام في خدمة الدين،حيث إنه كان من أصدق الرجال وألصقهم بالحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتهر بالظلم وسفك الدماء في الإسلام ورماه علماء الإسلام بالفسق ، وكـــان قتيـــبة لا يقـــل ظلما وسفكا للدماء من دون حق من صاحبه وأميره الحجاج ، وإن قتيبة بن مسلم قتل سفكا ونكالا جمهرة بل آلافا من المسلمين المنقادين له مقابل خطأ بسيط من أحدهم في بلاد ما وراء النهر ، وأنه أجرى قتلا عاما في مدينة بايكند بوابة بخارى وإقليم خوارزم ، مدينةذاخرة بالخيرات

ومزدهرة وسلب ونهب ثم أضرم النار فيها ، وكانت في زمانه أغنى مدينة فيما وراء النهر .وفي مدينة أومدينة طخارستان وبعد فتح مدينة طالقان أجرى فيها قتلا عاما ، وكذلك الهاربين من المدينة والمستسلمين منهم والذين ألقوا أسلحتهم بطش بهم وعلقهم على أشجار وصلبهم وهم ألوف من البشر المستسلمين سقطوا ضحية لظلم قتيبة ، وانظروا إلى مثيلاتها من المظالم في كتب التاريخ المطولة .

وبالخلاصة : قتل الذين دخلوا في الطاعة والانقياد والمستسلمين وأسرهم وهدم المباني والمدن وإحراقها والسلب والنهب محرم في الشريعة الإسلامية والقوانين المعتمدة بين البشر ، وكان قتيبة ينفر الأتراك عن الإسلام وشريعته ، وكان قصده وديدنه دائما الانتقام ليس إلا ، وكان ينتظر الوقت المناسب لمظالمه ، ولذا كان الأتراك دائما ينتظرون الوقت المناسب لاستقلالهم ببلادهم، وحينما بلغهممقتل قتيبة في مركزه المرو ألنوا استقلالهم بكل أصقاعها إلا مدينة سمرقند وبخارى حيث كانت الأكثرية فيهما المسلمون والمهاجرون العرب بقيت في تبعتهما لخليفة المسلمين الأموي ، ونذكر فيما يلي الأحداث التي وقعت بين الأتراك والمسلمين الفاتحين العرب كل حدث في حينها .

الأحداث الداخلية في تركستان الشرقية :

قافاغان قاغان ملك دولة كوك ترك رأس دولته قرابة أربعةوعشرين عاما ، وقد أحيى دولة كوك ترك من جديد ، ومنذ ما رجع كول تيكن خان مجروحا في موقعة بخارى عام ٧٠٩م لم يقدم قافاغان قاغان لمحاربة العرب المسلمين ، وسبب ذلك : أولا كان مشغولا بمحاربة الصين ، وثانيا ومنجهة أخرى كان مشغولا أيضا بإخماد ثورة توقوز أوغوز في الغرب منمنغوليا ، وبجانب الثوار كانت قبائل أتراك خطاي الذين كانوا بالقرب من وادي إنجور ، وفي عام ٩٧ هـ الموافق عام ٧١٦م توفي قافاغان قاغان وخلفه الان الأكبر لقوتلوغ قاغان بلكا خان قاغانا على الدولة ، وكان أخوه كول تكين خانأميرا وقائدا على الجند ، توفي بلكا خان عام ١١٦هـ الموافق ٧٣٤م وخلفه ابنه إنجن خان قاغانا للدولة ، وفي عهد إنجنخان هذا قامت قبائل توقوز أوغوز بثورة عارمة حيث دامت هذه الثورة حتى وفاة الملك إنجى قاغان وتوفي إنجى خان عام ٧٣٩م وخلفه قوتلوغ بلكا خان قاغانا للدولة وتوفي في عام ٧٤٢م ، وفي عهد بلكا خان تقوت الصين وتفوق واستولى على مناطق عديدة من أراضي قوتلوغ بلكا خان ، وفي عهده أيضا قامت في الداخل ثورة قبائل الأويغور وبسمل وقارلوق ضد الدولة ، وبعد وفاة قوتلوغ بلكا خان خلفه أوزميش تكين خان قاغانا على الدولة ، ويكتبه الصينيون في تواريخهم باسم أوسوميشه ، وفي النصب التذكارية في وادي أورخون يكتبه باسم أوزميش ، وفي عهد أوزميش خان تقوت ثورة أويغور وقبائل باسميل واشتدت هجمات الصين على الدولة ، ولذا ضعفت الدلوة إلى أدنى مندرجة الضعف ، وفي عام ١٢٦هـ

الموافـــق عام ٧٤٤م التحد كل من أويغور وقبائل باسميل وقارلوق وهجموا علـــى منطقة قاراقورم مركز دلوة كوك ترك واستولوا عليها ، وبهذا انهارت دولةقوتلوغ كوك ترك التي دامت ٦٥عام على التوالي .

دولة تركش:

رئـــيس دولة تركش أوج آله طرخان سبق أن قلنا أنه أعلن طاعته لرئيس دولةقوتلـــوغ وداومعلى هذه الطاعة والانقياد حتى وفاة قافاغان قاغان رئيس دولة قوتلوغ ، ففي عام ٧٨م ÷ت الموافق عام ٧٠٦م توفي أوج آله طرخان رئـــيس دولـــة تركش ، فتولى الرِياسة ابنه سوادقي خان ، ثم بعد حينتنازعها اخـــوه الأصـــغر وصارت تصادمات وحروب بين الإخوة التي أقلعت البلاد والعـــباد . وأخبرا قام رئيس دولة قوتلوغ قافاغان قاغان بتأديب الخوين دون جـــدوى ثم قتلهما ، وبهذا القتل انهارت دولة أوج آله طرخان دولة تركش بـــسقوط الأسرة الحاكمة قتلى ضحية تنازعها ، ونحن هنا نورد كيفية إحياء دولة تركش وتأسيسها ثانية في الفصول القادمة من كتابنا هذا .

مـــنذ ما طرد قافاغان قاغان فلول الصينيين من منطقة تركستان الشرقية عـــام ٨٠هـــــ الموافـــق ٦٩٩م انقاد كل الخانات والملوك الوطنيين لسيادة قافاغـــان قاغان ، وكانوا في هذه الطاعة حتى وفاة قافاغان قاغان ،حيث أعاد الـــصينيونالكرة بهجومهم على تركستان الشرقية وذلك عام ٩٧م ، غير أن سولوقاني خان رئيس دولة تركش الذي أعلن استقلاله في عهد التأسيس الثاني

، حارب الصينيين وطاردهم دونهوادة فلم يتمكنوا من المساس بحرية تركستان الـــشرقية، وعاشت منطقة تركستان الشرقية مستقلة بملوكها حتى عام ١٢٢ هـــ الموافق عام ٧٣٩م ، وكان استقلالها تحت حماية دولة تركش التركية ، وسوف نأتي بتفصيل ذلك في باب دولة تركش .

دولة كوك ترك في أحوالها التاريخية والسياسية والاجتماعية :

لدولةكــوك ترك موقع هام في تاريخ المدنيةالعامة لآسيا ، ومنذ عهد كوك تــرك الـــشرق وعـــبر سلالةالحكام الثانية في دولة كوك ترك الشرقية سلالة قوتلوغ آثار بقيت إلى عهدنا هذا بالنصب التذكارية بوادي أورخون بالقرب منمنغوليا الآن ، وفيها كتابات الأتراك قديما ، وإنها تبين مدنية وتاريخ التراك منذ عهود بائدة ، وهذه النصب التذكارية لخدمة بارزة وجليلة نأتي ببيانها في حينها .

غـــير ان دولة كوك ترك الشرقية قد كسبت مواقع بارزة من حيث جغرافيتها وتاريخها المتميز يذكرها التواريخ العمومية للأتراك .

وإن هـــذه الدولة الفتية آنذاك علاقات متميزة مع دولة الصين فصلا عن علاقاتها مع كل من إيران الفرس والإمبراطورية الرومانية (بيزنطيين) وتلك علاقـــات سياسية واقتصادية واتحاد فيدرالية مع إيران الفرس (الساسانيين) وكانـــت لها مبعوثون دبلوماسيون وسفراء في كل من إيران الفرس والبيزنطة وهيـــئات دبلوماسية ، وبالتالي كانت لها سفراء في بلاطهم وبلدانهم ، وكانت

لدولة كوك ترك منعة ومهابة ليست على الصين فقط وإنما على كل من بيزنس وبلاط الساسانيين الفرس ، وكانت في قوة لا يستهان بها في الأوساط الدولية ، وقد سبق لكمتفصيلات ذلك في الفصول السابقة .

السياسة الداخلية :

إن دولـــة كـــوك تـــرك عاشت قرابة قرن كامل على هذه القوة القاهرة والجـــبارة هيبة ومكانة وجلالة ، وذلك في حدود واسعة وأراضي شاسعة من سلسلة جبال قديرخان إلى بحر إيدل (وولغا) ، ومن سلسلة جبال آلتاي إلى ســـهل الهـــند وجمعت كل الأتراك الموجودين في هذه الساحة الواسعة تحت سيادتها وحكمها وقامت بإدارتها ، وكان يحكمها النظام ويحفها الرفاه، وبهذه الـــنظام والـــرفاهية انـــضبطت علاقاتها التجاريةمع جاراتها من أمثال الصين والفرس وإيران والهند والروم وحصلت منها مأصلح متبادلةحتى يستفيد كل طـــرف بمـــنافع وسلع تجارية واكتساب المهارة في الصناعات المحلية الوطنية وتعلمأصـــول المدنـــية متـــبادلة أيضا ، وكانت هذه المأصلح وتبادلها في غاية التنظـــيم العـــادل بين كل الأطراف وبصورة مرضية ، وكانت هذه المأصلح المدنية من إيران والفرس والروم من حيث السلع والصناعات تمر عبر الطرق المـــتدة في تركـــستان الكبرى من الشرق إلى الغرب وبالعكس تجد قوافل متحـــركة ومـــستفيدة في نفس الوقت حتى إن هذه السلع تصل إلى الصين والـــيابان ، وإن هـــذه المبادلات ما كانت مقتصرة على السلع التجارية بل

تعـداها إلى العلـوم والفـنون ونشر الدعوة لدين أو معتقد يتعلمها الناس ويأخـذها عـن طريق هذه القوافل التجارية ، وكل هذه الانتعاش وأسرارها كانت تكمن في عدالة يسر نظم وقوانين دولة كوك ترك حتى تشتمل السياحة بمعناها العريض والميسر .

وإن نـشر واتساع وشيوع بعض الديانات في أقصى الصين مثل ديانة بوذا الـتي كانت في الهند والديانة الماوية التي كانت في الفرس قديما انتشرت هذه الديانات إلى تركستان وعبر تركستان إلى الصين وانتعشت فيها بفضل تلكم النظم والقوانين التي كانت في دولة كوك ترك وتشكيلاتها الأساسية .

تشكيل الدولة :

كانـت تشكيلات الدولة في دولة كوك ترك تشبه تشكيلات دولة الهون قديما ، وكانت دولة كوك ترك مثل سابقاتها من دول الأتراك قديما تشمل عدة إمـارات وخانيات صغيرة ، وأنهم يراعون رأي رئيس الدولة كاتحاد تجمعهم رايـة واحدة في الأمور الكبيرة وذو حساسيات زائدة ، كاتحاد كونفدراسية، ولم تكن دولة مركزية في الشئون الصغيرة والكبيرة مثل الدول التي في زماننا.

وكـان إطاعـة الملـوك والأمراء في المقاطعات لرئيس الدلو قاغان الترك تنحصر في أربع أو خمس نقاط فقط وهي كالآتي :

١- اشتراك الملوك والأمراء في وقت الحرب والنفر وذلك تحت رياسة وقيادة رئيس الدولة إذا كانت هذه الحروب من عداء دولة أجنبية .

٢ – ولوحدة الصف وسلامة الدولة يراعى وينقاد الملوك والأمراء الفرمانات من رئيس الدولة ولا يحيد عنها ، ويطيعونه طاعة مطلقة .

٣ – يدفـــع هؤلاء الملوك والأمراء مساعدات مالية لخزانة الدولة بحد معلوم سنويا .

٤– بدون إذن من قاغان رئيس الدلوة لا يحق لملك أو أمير أن ينظم أو يوقع معاهدات صداقة مع دولة أجنبية .

وغـــير ذلـــك من الشئون الداخليةكانوا مستقلين وكان لهم حتى إعلان الحرب أو إبرام صلح مع دولة مجاورة ، وكانت مناصبهم تبقى إرثا لأولادهم ، وكانـــت لدولة كوك ترك عناوين ونياشين رفيعة وبالترتيب مثل : إيلخان ، ابغـــو ، تكين ، شاه ، آبيت شاه ، آيدات شاه ، طرخان ، بويروق ، جور ، كانت هذه الألقاب والعناوين للأمراء المنتسبة إلى قاغان الترك يلقب بتكين أو شاه أو آبيت شاه أو آيدات شاه ، وكان لقب تكين لأمراء البيت الملكي علـــى أن يكون أميرا لمقاطعة أو ولاية ، وإذا كان ملكا أو أميرا لولاية وأكثر يقال له شاه، وإذا كان رئيسا لقبيلة أوعدة قبائل يقال له آبيت شاه أو آيدات شـــاع ، وأمـــا كلمة يابغو فتعني النيابة ياقل لشخص يحكم حصة كبيرة من الـــبلاد نائـــبا عن قاغان الملك ، وأما شخصيات مرموقة في الدولة فيقال له بويـــروق تعـــني المأمور ، أما إيلخان فيقال لشخصية فائقة في الدولة كوكيل النيابة أوأمين الدولة أو لشخصية لها نفوذ في جميع مناطق الدولة وهي إيلخان لأمـــين الدلـــوة أوالسكرتير العام في دولة في منطقة مثل تركستان الشرقيةلها

ولايـــات عدة ومناطق حكم كمحافظات ، وأنها شخصية ثانية في الدولة بعد قاغـــان رئيس الدولة ، وأما باغاترخان فدرجة أقل من إيلخان ، وأما طرخان فـــتأتي بعد باغاترخان وهو أقل منه ، وأما جور فتعني المحاسب العام ، وكان أصلا تطلق على أو يلقب بها رئيس حسابات الدولة في دولةكوك ترك الغربية أو مأمـــور الدفاتر ، وهكذا يعلمنا اللقاب أو المناصب والرتب السابقة يعلمنا مـــدى تقدم العدل في دولة كوك ترك الشرقية وتنبؤنا بوجود أنظمة دقيقة في الدولة .

العادات والأخلاق :

في مـــنطقة دولة كوك ترك أي في منطقة منغوليا من سلسلة جبال آلتاي كـــان الأهـــالي يعيشون حياة الرحل وتربية الأغنام حيث العشب والمراعي ومجـــاري المـــياه المتساقطة من الجبال والوديان وقسم منهم يعيشوم بالقنص وصيد الحيوانات البرية ، وكانت لهم بيوت بما يشبه الخيام مصنوعة من جلود الحـــيوانات، وهؤلاء الفئات كانوا يعيشون حياة الرحل من مرعى إلى مرعى معشوشبة ، وكان قسممنهم يعيشون في البلدان والقرى ويشتغلون بالزراعة ومهـــنة البستانية ، وفي أيام الصيف كانوا يرحلون إلى المرتفعات الجبلية من حـــيث العشب والمراعي ، وهناك روايات مغلوطة حيث تقول إن الأتراك في مناطقهم المأهولة لا توجد فيها مدينة أو قرية في عهد كوك ترك ، وهذا خطأ فادح حيث إن مجارى الأنهر والوديان مثل أورخون وسلنكا وأونون وكرولين

وإنقـــر وأوباما فهذه الوديان وعلى ضفاف نهر إيرتش وفي سائر مناطق المياه والأنهـــر كانـــت مليئة بالمدن والقرى ، وكانت آهلة بالسكان وقد ذكرتها النـــصب التذكارية في وادي أورخون وأوردت أسماء عدة مدن كانت قائمة هناك وآهلة بالسكان .

وحتى الآن نحن نرى بقايا تلكم المدن والقرى غير بعيدة بعضها عن بعض ، وكان هناك في القدم من يعمل في مهنة التعدين وقوافل الإبل والأحصنة لنقل السلع التجارية ، وكانوا يعملون بحفر الترع والجداول المائية لسقيا زراعاتهم وكان زيهم مثل زي الصينيين غير أن الأتراك يلقون أذيال أرديتهم من اليمين إلى الشمال خلافا للصينيين ، وكانوا يسبلون شعورهم ولا يقصونها ، وكانوا ماهرين في امتطاء الخيول ويتمنطقون بالسيوف والخناجر .ومانت لهم أقواس مـــصنوعة مـــن عظـــام الحـــيوانات وسهوما بريش صلدة تصدر صوتا عند الانطلاق،وكانت نساؤهم تلبس حلوقا لآذانهن مزينة بالذهب والفضة وسائر الجواهـــر الثميـــنة،وكان شرابهم المميز القميز حليب الفرس ويشربون خمرا مـــصنوعا مـــن الشعير،وكان أتراك كوك ترك غيورين وبواسل يندفعون إلى الحروب ولا يخافون،وبرغم ذلك كانوا ذوو مروءات أصيلة .

وإذا نظـــرنا إلى شجاعة وفداوة الآشوريين والكلدانيين نرى جبروتا وسفكا للـــدماء بـــدون رحمة حيث تنبئنا تذكرتهم الباقية إلى الآن بأنهم كانوا يجيزون القـــتل العام وسفكا وفسقا ، ولمنر تلكم الفعال في تذكرة أتراك كوك ترك ، بينما الأشوريين والكلدانيين يجرون غارات مباغتات وبصورة وحشية وكان

الصين حينذاك قديما يعتبر نفسه متمدنا وذو حضارة ، ولكن المصادر التاريخية للصين مليئة بالوحشية والقتل العام والتخريب والتهديم وغارات ظالمة ومباغتة في أرضهم وفي بلاد الترك ويفتخرون بها ويتغنون .

الصناعات :

ينما كان قبائل كوك ترك في منطقة أرجنه فون عرفوا التعدين واستخرجوا الحديد من بعض مكامنه وصنعوا منه مختلف حاجياتهم من آلات وأسلحة واشتهروا بها ، وتقول المصادر الصينية إن قبائل جوجان وتتار اللتان كانتا تابعتين لقبائل كوك تركوأخذوا وتعلموا هذه الصناعة من أصدقائهم كوك ترك ، وعندما أسس كوك ترك ودولتهم أخذت هذه الصناعة نشاطا ورواجا ملحوظين ومهنة مرموقة ، وفي عهد دولة كوك ترك عرف الأهالي الذهب والفضة وغيرها من الخامات المعدنية وصنعوا منها سائر المصنوعات الحلي والآلات وأسباب متقدمة وانتفعوا كثيرا واغتنوا في موطنهم مغولستان وسهول جبال آلتاي شمالا وجنوبا ، ثم عرفوا تسويق منتجاتهم في البلدان المجاورة ، وكشاهد لهذه الصناعات ما قال فيها سفير إمبراطور الرم جوستيان لدى إستمي خان السفير زمارك حيث وصف لجوستيان عن مشاهداته في دولة كوك ترك من صناعات متقدمةوذلك عام ٦٦٩م ، ومنكلام زمارك أن قال : إن الصناعات الذهبية في دولة كوك ترك لا تقل فنا وزخرفة وإتقان في

الـصناعة عن صناعة الروم عندنا ، وإني نظرت بحيرة متناهية على ما احتواه متحف إستمي خان ولا سيما الصناعات الذهبية .

ويـستمر في وصفه فيقول : عندما قبلني إستمي خان لحضرته رأيت الصالة الملكية مليئة بالسجاد الحريري وأفرشة ومخدات حريرية مزدانة بنقوش غاية في الإتقان ، واستقبلني إستمي خان لحضرته وهو جالس على عرش مصنوعة من الذهب ، وإن زينة الصالة الملكية لا تقل روعة وجمالا من روعة وجمال الصالة الملكـية لإمـبراطورية بيزانس ، وكانت أسطوانات الصالة مكسوة بالذهب وهناك أربع طواويس مجسمة وعلى رؤوسها ركب أو استوى العرش المزخرف بالـذهب ذو رهـية وهيبة وعليه وقار وحشمة ، وعلى رؤوس أسطوانات الصالة تيجان مزخرفة في غاية الإتقان ، والحفر الفني في غاية الجمال والرونق .

ورأيـت في القصر صوان وملاعق ذهبية وصورا مجسمة مصنوعة من الذهب والفـضة اللامـع ، وهـي صور الحيوانات الوحشية والأليفة ، وإني رأيت صناعات الأتراك الشرق من خامات سائر المعادن المعروفة آنذاك . انتهى .

التجارة :

الأهالي في عهد دولة كوك ترك كانوا ماهرين في التجارة وكانوا متقدمين فيها ومتفوقين ،وكانت التجارة وقوافلها في عهد دولة كوك ترك بيد الأتراك وقـد اشـتهروا في بيزنطة وإيران والصين والهند ، وكانت القوافل التجارية

تجوب عبر تركستان الشرقية والغربية ، وكان التركستانيون يذهبون بقوافلهم ببـضاعة الهند والروم والفرس إلى تركستان والصين وبسلع الشرق إلى الهند وبـلاد فارس والروم عبر إيران وشبه جزيرة العرب ، ولا سيما المنسوجات الحريـرية من الصين وتسويقها خاصة القوافل التركستانية المتنقلة تجلبها إلى إيران والهند وشبه جزيرة العرب ، وكانوا يشترون السلع الرائجة في الشرق من توابل مثل الهال والقرنفيل يأخذونها إلى الصين .

ومنذ قرونبعيدة كانت التجارة الأسيوية الأوربية في يد التجار التركستانيين علـى أنهـم أربـاب نقل وأصحاب قافلة متحركة وبواسطتهم تنقل السلع التجارية وسبل المدنية والحضارة ، وإن الشرق والغرب في ذلك الوقت تصل بهـم المنافع الحياتية والمأصلح المشتركة فيما بينهم ، وهذا التبادل النفعي تدل عليه ما أثرته المتاحف الأوربية من نماذج وعينات وأنماط حية ، ومن جملة هذه الـنماذج أنـه توجد صوان وأطباق معدنية إيرانية في المتحف الملحق للمعبد هاريويي في اليابان ، وكانت هذه النماذج الإيرانية من صنع الفرس في العهد الساسانية الفارسية أرسلت إلى اليابان آنذاك .

الدين :

وكانت الديانةأوالدين في أتراك كوك ترك ديانة توپين وقامان ، كماكانت هاتـان الديانتان دينا لدولة الهون والهونيين قديما ، وكان كوك ترك يعتقدون للـسماء الأزرق والأض الأسود قداسة تستحق الاحترام ، وكانوا يقدمون

قــرابين لهمــا في كل عام ، وكانت هناك مراسم نعتادة تقام مرة في السنة ، وكانــيوما في السنة يعبدون السماء ، ونحن نرى في النصب التذكاريةلوادي أورخون كتابة تقول : الإله إله الأتراك ، ونرى أيضا اسممعبود لهم يقال له : قافين أوما ، وكانوا يعتقدون أن قافين أوما إله تربية الأطفال والعنايةبهم وهو كفيل بذلك ، وكانت هناك في تركستان والصين ديانتي بوذا وماني وذلك قبل تأسيس دولة كوك ترك ، وإن كوك ترك قبلوا هتين الديانتين دينا لهم ، وكان المــوت والــدفن خاضعا لطقوس ومراسم خاصة به ويذكرون فيه موتاهم ، وكانوا يسمون العزا بــ يوغ ،وإذا مات أحدهم كانوا يدفنونه في بيته ويأتيه الأحــباب والمعارف بخروف أوغنم أو خيل أو بقر أو الإبل ، ثم يطوفون بيت المــيت سبعا ، وكلما مروا بمحاذاة الباب يبكون بحرقة وحزن بالغين ويسبقه بكــاؤهم عقب تقديمهم قرابينهم له ، ويجوز لهم طواف بيت الميت راجلا أو راكبا ، وكانوا في بكائهم علىالميت يلطمون وجوههم بالسكاكين ويخلطون بدمائهم المسيلة من وجوههم ويمررون المزيج من هذا على أبدانهم .

ولم يكــن يستعجلون بدفن موتاهم ، بل يتأخرون إلى أيام وأسابيع وشهور ومن فصل إلى فصل ، وجاءت في رواياهم إن للدفن يوما وساعة ينتظرونه ، وفي بعــض الــروايات يقول الراوي إني رأيت دفن ميت مات في الربيع في الخــريف ، ومــيت مــات في الشتاء يدفنونه في الصيف وبالعمس حسب معتقداهم، وعندما حانت ساعة مباركة لدفن الميت حسب معتقداهم يحرقون دابــته المحبــبة إلــيه مــن فرس وإبل أوحمار ويدفنون رماد المركب وسائر

خصوصياته مع الميت في القبر ويطوف أقرباؤه ومحبيه القبر سبعا أوتسع مرات ، وكانوا يدفنون أسلحته إن وجدت ثم يذبحون قرابينهم ويضعون نياشين أوهياكل على عدد قتلاه من عدوه ، هياكل من دون رأس ويقولون أو يسمون هذه الهياكل بـ بالبالي .

النصب التذكارية في وادي أورخون :

كان الأتراك في عهد دولة كوك ترك الشرق في منطقة منغولستان الآن يحفظون تاريخهم وحوادثهم وواقعاتهم مكتوبا أو محفورا على الجدران والسلاسل والعواميد وعلى المنارات والأحجار ليبقوها آثارا وتذكارا، وكان لهل العادات آنذاك رواجا عظيما، وإن هؤلاء الأتراك أبقوا لنا وإلى الآن معلوماتهم التاريخية مكتوبا ومحفورا في عدة أحجار راسية في الأرض كمسلة تذكارية قديما وعلوها عدة أمتار، وكانت كتاباتهم في أوج رقيها كتابة ونطقا أدبية نرى فيها شموخ هذه اللغة التركية (اكتشف هذه الأوابيد في القرن التاسع عشر تقريبا، عددها سبعة أو خمسة أوابد تبعد عن بعضها البعض في حدود كيلومتر واحد) وأهم هذه الأوابد انتان اكتشفتا في الشمال من منغوليا وعلى ضفاف نهر أورخون، المجرى القديم له بالقرب من حوض قوجوجايدام ، آبدتان منحجر (كمنارة كبيرة) وإن أحدهما بنيت في عام ٧٣٢م وعليه كتابة عما قالها قاغان الترك كول تكين خان الذي مات عام ٧٣١م .

والثانـــية بنيت عام ٧٣٥م وعليه كتابة عما قالها قاغان الترك بيلكا قاغان الـــذي توفي عام ٧٣٤م ، وقد كتبت عليها وعلى واجهاتها الأربعة كتابات يقال لها ألف باء أورخون كتبت بالحفر ، وإن هذه الكتابات التي كتبت على تلكـــم الأوابد شيء منها من أقوال بيلجا قاغان وبعض منها من أقوال أمراء قاغان الترك أولوغ تكين خان ، ونحن نعلم من هذه الكتابة حسرة وشكاوى الظلم والاستبداد من الصين ، وذلك بعد أن سقطت دولة كوك ترك الشرقية علـــى يـــد الـــصين حيث لحق بالأتراك الظلم على عامتهم وبخاصة الأمراء والأغنياء والأكابر من الذل والمهانة والرق والأسر ، وعنخيانة الصين عليهم وعلى حقوقهم ، ثم يذكر هذه الكتابا إعادة تأسيس دولة كوك ترك الشرقية على يد قاغانهم إيلترش خان ، وكيف أن الأخير أعاد تأسيس دولة كوك ترك مـــن جديد يذكرها بعبارة جيدة وبالغة البسط بالبلاغة والفصاحة المتناهية في ضـــبط لغـــة الأتراك ، وبعض هذه الكتابات باللغة الصينية ، ذلك أن الصين آنذاك كان تابعا لدولة كوك ترك ويدفع لها الخراج والإتاوات السنوية ، ولذا كتبت بلغة إمبراكور الصين خيو آن من مراثي ومديح ، وفي الشمال من هذه الأوابـــد آبدتان وعليهما كتابات عما تكلم به كل من إيلترش خان وقافاغان خـــان وبيجا قاغان خان والوزير قويقوق بك ، وهناك أوابدة نسبت كتاباها أوأنها ننسبت لأشخاص وأقوام مثل أويغور ، وبالشمال من منغولستان أوابدة عديدة ، وكذلك في وسط منغوليا وجنوبها اكتشفت أوابدة عدة بهذا النمط .

وباكتشاف هذه الأوابد في عصرنا هذا وقراءة ما كتبت عليها عرف العالم بأسره أشياء غاية في الرقى والتقدم في عهود كوك ترك وتاريخها المجيد، ولهذه الكـتابة قيمة أدبية راقيية فضلا عن قيمتها التاريخية، ولو أن قسما ضئيلا قد تهـدم من تلكم الكتابات ، لكن أكثرها بقيت سليمة حتى الآن ، وإن قطعتين مـن هذه الكتابات أخذها الفنلنديون من أصل تركي وهم سياح أخذوها إلى بلادهم فنلندا ، ووضعوها في المتحف الوطني بهلسنكي ، وأنا بدوري وجدت نسخا من تلكم الكتابات وإن شاء الله سوف أترجمها إلى لغتنا الحالية وأنشرها .

ـ الفصل العاشر ـ

دولة تركش في تركستان الشرقية مرة أخرى :

وفي عـــام ٧١١م أنهت دولة كوك ترك دولة تركش كما سبق وخضعت كـــل قبيلة لقافاغان قاغان الترك وتبعت للمقام العالي وقبلت حاميته ، ولكن شخـــصية بـــارزة من قبيلة تركش وهي سولوخان نصبت نفسها قاغانا على أقوام وقبائل تركش ، ولكنه كان تابعا لدولة كوك ترك يرأسه قافاغان قاغان، وهكـــذا ثبت نفسه برئاسة قبائل تركش ، وبالتالي قوى نفسه وأحكم جوانبه ووحـــد القبائل العشرة المنتمين إلى قبائل تركش ، وريدا رويدا بسط نفوذه عليهم جميعا حتى عام ٧١٦م حيث توفي قافاغان قاغان في تلك السنة ، وبعد وفاة قاغان أعلن سولوخان استقلاله عن دولة قوتلوق كوك ترك ومنح لنفسه صـــفة أو لقب قاغان (الملك)على وحدة قبائل تركش ، وكانت الصين في هجـــومها علـــى ولاية قوجو (ترفان) وآلته شهر (المدن الستة)ردهمعلى أعقابهم وسلمت تلك الولايات من استيلاء الصين عليها ، وكان كول تكين خان قاغانا على دولة كوك ترك خلفا لقافاغان قاغان ، هجم كول تكين خان على دولة سولوخان ترطش لإخضاعه لسيادته ، ولكنه لم يوفق في ذلك .

وفي عام ٩٨هـــ الموافق عام ٧١٧م عقد سولوخان معاهدة صلح بينه وبين العرب الفاتحين ، وعقد معاهدة صداقة مع حكومة تيبت ضد الصين ولمحارته ،

وبهذه الصورة أصبح سولوخان عدوا على للصين، ولكن الصين حاولت عدة مــرات كسب مودة وصداقة دولة تركش برئاسة سولوخان ، غير أن الأخير كان يعرف أن مسعى الصين للود والصداقة مكر وحيلة وليست صادقة فيه ، وأنــه نفــاق وخداع لجأت إليه الصين من جراء خوفه إزاء جبروت وبسالة الأتراك ، ولكن سولوخان بدهائه وحنكته كان يبدي في الظاهر صداقة للصين ، ومن جهة أخرى يسعى سولوخان لإيجاد أزمة بل أزمات داخل الصين.

سولو تاغان يحارب العرب المسلمين الفاتحين :

إلــيكم تفاصيل حرب سولو قاغان مع العرب، ويسميه المؤرخون العرب باسم خاقان الترك :

بعــد مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي في مدينة مرو خلفه في ولاية خراسان يزيد بن المهلب في عهد سليمان بن عبد الملك ، وكانت مناطق ما رواء النهر خاضــعة لــسيادة سولو قاغان منمثل طخارستان ووادي فرغانة وطاشكند وملحقاتهــا ، غـــير أن صغديان كانت خاضعة لسيادة المسلمين العرب تابعة لولايةخراسان ، وكانت لطخارستان وأخواتها ملوكا من مثل ملوك الطوائف ، وكانوا تحت سايدة سولو قاغان خاقان الترك كما أسلفنا .

ولم يحـــارب يزيد بن المهلب دولة سولو قاغان حيث كانت منهما معاهدة صــلح وعـــدم الحـــرب بينهما، هذا من جهة،ومن جهة أخرى كان العرب الفاتحين مشغولين بأقوام خزر في إقليم قافقاسيا يقال لهم أتراك خزر .

وفي عـــام ٩٩هـــــ الموافق عام ٧١٨م توفي الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك وخلفه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خليفة للمسلمين ، واستمر خلافـــته سنتين وخمسة أشهر ، وفي هذه المدة القصيرة لم تقع حرب ذي أهمية بين الأتارك والمسلمين الفاتحين .

غير أن أهالي سمرقند ومنطقة الصغد انتدبوا نفرا من أعيانهم إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز ليقدموا شكاية منهم للخليفة عمر بن عبدالعزيز يقولون فيها إن قتيــبة بـــن مسلم الباهلي لما تغلب علينا وفتح ديارنا غدر بنا وقتل منا خلقا كثيرا بعد إطاعتهم له واستسلامهم له ، وهدم مدننا وسلب أراضينا ، لذلك نطلـــب منكم رد حقوقنا إلينا ، غير أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز كتب إلى والي سمـــرقند ســـليمان بـــن السرح كما يلي : إن أهل سمرقند تظلموا من تـــصرفات قتيبة ، وأنه سلب أراضيهم وطردهم منها وغيرها من الشكايات ، فـــإذا وصـــلك كـــتابي هذا تصدر أمرا لقاضي سمرقند أن يحكم بالعدل في ظلاماتهم هذه ويحق الحق لمن كان ويحكم لأصلح من له الحق ، وإذا كان الحق في أهـــل سمرقند وحكم في أصلحهم ردوهم إلى ما كانوا عليه قبل غلبة قتيبة علـــيهم من أراضي ومدن وأسلحة وأسلحة وترتدوا أنتم أيضا إلى معسكركم الــسابق قبل الغلبة (غلبة قتيبة عليهم) ،وحينما بلغ كتاب الخليفة إلى والي

سمـــرقند بلغ القاضي جميع من حضر الكتاب وأمر القاضي بسماع شكاياقم والحكم في قضيتهم بالحق ، لكن القاضي أمر بإلغاء كل العهود والمواثيق التي فـيما بينهم وبين الفاتحين العرب ويرجع كلا الطرفين إلى مواقعهم السابقة ، ومن ثم يكون بينهم حرب أوصلح من جديد، ولكن السمرقنديين حينما تلقوا الحكـــم قالـــوا بعدم إمكانية الصلح بينهم بهذا الحكم ، ولا بد من وقوع حـــرب ، والحرب بلاء علينا ونقمة، ذلك أن الحرب إذا وقعت وتغلب علينا العـــرب ألقـــوا علينا بكل ثقلهم ونظلم أشد من سابقتها ، لذلك نتخلى عن شكوانا ونرتك المنازعات فيما بيننا ، وكان هذا الرأي لأكابر وأعيان سمرقند ومنطقة فرغانة والصغد .

ولو أن المؤرخين العرب والمسلمين يقولون إن حكم أوأمر الخليفة عمر بن عـــبد العزيز رضي الله عنه كان في غاية العدل والحكمة ، وهذا صحيح وهو عين افنصاف وحكم ليس له نظير ، لكن أهل سمرقند والصغد لم يستفيدوا منه ، وتوفي الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه عام ١٠١هـــ وعقب ذلك قام أهالي صغديان بثورة عارمة وتغلبوا على جنود العرب الذين فيها وأعلنوا اســـتقلالهم ، وعـــندئذ قـــام والي خراسان سعيد الخرشي بحملة تأديبية على صـــغديان وتغلب عليهم وأحرق أكثر مدن وقرى صغديان فتشتت الأهالي ، وهاجر أكثرهم إلى تركستان الشرقية وكاد أن يفني جميع أهل صغديان ، فقام ســـولو قاغـــان (خاقان الترك) بمساعدة أهلي صغديان في محنتهم هذه عام

١٠٣هـ بجيش كبير وحارب مع المسلمين العرب وخاض معارك عدة ، ولكنه انهزم وقفل راجعا بجيشه إلى بلدة طلاس .

وفي عام ١٠٤هـ الموافق ٧٢٥م قام القائد العربي مسلم بن سعيد بهجوم كاسح على منطقة فرغانة (صغديان) واستولى على مدينة خوجند ، وكان سولو قاغان خاقان الترك في مركزه بمنطقة طلاس فتقدم إلى وادي فرغانة وتغلب على مسلم بن سعيد واسترد منه مدينة خوجند ، وفي موقعة بالقرب من مدينة خوجند حاصر جنود سولو قاغان الجنود المسلمين العرب وكان القائد مسلم بن سعيد معهم وكان الحصار محكما ، ولكن المسلمين فكوا الحصار بهجوم مستميت وهربوا مع قائدهم .

وفي عام ١٠٨هـ تقدم والي خراسان أسد بن عبدالله القسري إلى ما مراء النهر واجتاز نهر آمو (سيردريا) وكان يقدم على معارك حربية دامية في المنطقة ، ولكن سولو قاغان حاقان الترك أتى إليها بجيوش لا قبل له بها ويتصدى لجيوش أسد بن عبدالله ، وفعلا وقعت بين الجيشين معارك دامية ، وبعد عدةمعارك باسلة فكر أسد بن عبدالله في الرجوع إلى خراسان ، ورجع سولو قاغان بجيشه إلى مركزه طلاس ، وفي أثناء ذلك عزل أسد بن عبدالله من ولاية خراسان وعين بدله أشرس بولايةخراسان ، فأرسل الأخير العالم أبي الصيداء أصلح بن طريف إلى وادي فرغانة للدعوة إلى الإسلام ، ونجحت دعوة الشيخ أصلح بن طريف في ترغيب أهالبي ما وراء النهر إلى اعتناق دين

الإســلام نجاحــا باهرا وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويفهمون أن الشريعة الإسلامية أنقى ما فيه من شرائع ، وكان الأتراك في

فطرة سليمة وكان قبولهم الإسلام في غاية الشوق منهم إليه ، وعلموا أن الإســلام ديــن لكمال الإنسانية وبه الصراط المستقيم وبنوا مساجد في كل مديــنة وقرية واشتغلوا في تعلم أركان الدين الإسلامي وأسسه السليمة النيرة وتــلاوة القــرآن الكــريم ، وبموجب الشريعة الإسلامية سقطت الجزية عن الأتــراك الــذين أسلموا ، وبسقوط الجزية عن الذين أسلموا قلت واردات خــزينة الخلــيفة الأمــوي في دمشق فعرفت هيئة الجباية أن هذا النقص في الواردات نتيجة إسقاط الجزية عن الذين أسلموا من الأتراك فيما وراء النهر ، فكتبت الجباية إلى والي خراسان أشرس تقول فيه : "إن قلة الواردات أضعفت الخــزانة لخليفة المسلمين ، وأنتم تعرفون أن الضرر الذي يصيب الخزانة بقلة وارداتهــا يضعف من القوة المالية للمسلمين ، تحققنا أنكم عفوتم عن الأتراك الــذين أســلموا من الجزية ، فعليه نأمركم بإسقاط الجزية عن الذين اختتنوا وواظبوا على الفروض والواجبات والذين حفظوا القرآن الكريم ، أما الباقون فتأخذ منهم الجزية كما كانت ، وإن أكثرهم أعلنوا إسلامهم هربا من الجزية ، وهــذا الــذي سمعــناه ، وإن الذميين في صغديان وغيرها من المحافظات لم يــسلموا بمحض إرادتهم ورغبتهم في الإسلام ، بل إنهم هربوا من الجزية، فلا تنظروا حال كونهم يقولون نحن مسلمون ".

ومنذ دخول هذه التعليمات طلب الجباية من المسلمين الأتراك الجزية وهم من طرفهم لم يدفعوها ، فقام الشيخ أصلح بن طريف بالوساطة بين الأهالي والجباية وقال : إن الإسلام يسقط الجزية عن المسلمين ، فهؤلاء مسلمون فلا يدفعون الجزية ولا هم ملزمون بها ، بعد هذا الإعلان شدد الجباية في طلب الجزية من المسلمين الأتراك ، فقام الشيخ أصلح بنطريف وعدد من الشخصيات العرب والمسلمون الأتراك بعصيان ضد الوالي ، فقام والي سمرقند وهو نائب أشرس بحبس الشيخ أصلح بن طريف وعدد من المتحمسين في الموضوع على ضوء الشريعة الإسلامية ، وعلى أثر ذلك اتحد الأتراك المسلمون وغير المسلمين وطلبوا مساعدة من سولو قاغان ، فتحرك سولو قاغان بجنود كثيرة متجها إلى تركستان الغربية فأخذ الفرغانة وصغديان ومنها طاشكند تحت لوائه وكذلكمناطق كل الأتراك فيما وراء النهر ، وأعلن حربا على العرب الفاتحين وهزمهم وطرد كل العرب الموجودين فيها ، وعلى أثر هذه الحادثة اتجه أشرس من خراسان قاصدا ما وراء النهر واجتاح بجنوده نهر آمو (سير دريا) بالقرب من مدينة آمل ، وفي الحال قدم سولو قاغان واصطدم الجيشان في حرب ، وتغلب جيش سولو قاغان على جنود العرب فرجعوا إلى أعقابهم ، ولكنهم حصلوا على موقع دفاعي منيع فجمع جنود العرب شملهم وهاجم بهجوم مضاد ، وفي هذه المرة تغلب أشلاس على جنود الأتراك ، واستولى أشرس على مدينة بايكند بوابة بخارى ، ولكن جنود الأتراك حاصر مدينة بايكند وسدوا موارد المياه من المدينة ، وكاد جنود

العــرب أن يهلكوا عطشا ، وعندها خاض العرب معركة دامية شرسة حتى اســتولوا علــى موارد المياه ،وفي معركة عقب استيلائهم الماء دحروا جنود الأتراك من أطراف المدينة وأبعدوهم عنها .

ولكــن سولو خان فكر في إبعاد العرب الفاتحين من مناطق ما وراء النهر جمــيعا وترك سمرقند وبايكند على حالها ، وساق جيشا كبيرا قاصدا خراسان عــن طــريق لا يعرفه العرب ووصل إلى أكبر مدينة في خراسان وهي مدينة كمرجه وحاصرها ودافع عنها الأهالي والمسلمون العرب دونجدوى ، فطلب سولو قاغان الخروج من المحاصرين داخل المدينة ، ولميكن فيها جيش يساندهم فخضعوا إلى طلب قاغان الترك وخرجوا إلى مدينة دبوسة مغلوبين ، وسرعان مــا وصل أشرس قادما بجنوده من ما راء النهر وحاول مرارا وتكرارا تخليص مديــنة كمرجه من يد سولو قاغان ولكنه لم يوفق بذلك ، ثم اتفق أشرس مع سولو قاغان بجعل المدينةمدينة مفتوحة لا تتبع لأحد هي وشئونها ، وأن يرجع الاثــنان إلى مراكزهم السابقة ، وفعلا فعلوا ذلك ، وكان من ضمن الاتفاق تــبادل الأسرى بين الطرفين فنفذوه ، وبهذا الاتفاق بقيت من مناطق ما راء النهر مدينتا بايكند وسمرقند بيد المسلمين العرب الفاتحين ، وبقيت طخارستان ومنطقة صغديان ووادي فرغانة بمدنها وقراها وأكثرية أراضي ومناطق التارك تحــت سيادة سولو قاغان خاقان الترك .وفي عام ١١١هــ عزل أشرس من ولايــة خراسان وعين مكانه جنيد بن عبدالرحمن ، وفي عام ١١٢هــ تحرك جنــيد بن عبدالرحمن وتقدم لغزو طخارستان ، وعندها تقدم سولو قاغان إلى

تركستان الغربية ووصل إلى سمرقند التي كانت بيد المسلمين العرب وحاصرها ، وكـان واليها من المسلمين العرب سورة بن الحر ، وكان يعلم عدم قدرته الـدفاع عن المدينة من سولو قاغان فكتب طالبا المساعدة إلى والي خراسان جنـيد بـن عبدالرحمن وأرسل الخطاب بالحمام الزاجل ، ولما قرأه جنيد بن عبدالرحمن الخطاب ترك غزو طخارستان واتجه بجنوده إلى سمرقند ، وفي منطقة تـبعد عن سمرقند أربع فراسخ التقى جنيد بن عبدالرحمن بجيش الأتراك تحت قيادة سولو قاغان وصارت حروب ضارية ثم أحاط جيش الأتراك القائد جنيد بـن عبدالرحمن وجنوده وأحكموا الحصار ، فأخبر جنيد سورة بن الحر والي سمـرقند بالأمـر وطلب منه الهجوم على مؤخرة جيش سولو قاغان ، فجمع سورة بن الحر عشرة آلاف جندي وهجم على مؤخرة جنود الأتراك ، ولكن الأخـير الـتفت إلى خلفهـم فقام بهجوم مضاد ، وفي أثناء ذلك فك جنود المـسلمين الحـصار المحكم عليهم ، ولكن جنود سورة بن الحر عشرة آلاف جندي أبيدوا عن آخرهم إبادة تامة على يد جنود سولو قاغان ، ووصل جنيد بن عبدالرحمن بجنوده إلى سمرقند ودخل فيها ، فبدأ بجمع أشتاته لأجل الدفاع عـن سمرقند ، ولكن سولو قاغان ترك سمرقند واتجه صوب بخارى واحتلها ، وفكر جنيد في الدفاع عن سمرقند أو الخروج منها والهروب إلى خراسان ، في كلـتا الحالتين يرى عدم قدرته بل إبادة جنوده إبادة تامة ، أمام تفوق سولو قاغـان عليه ، فكتب إلى خراسان يطلب المساعدة ووصلت مساعدات جمة فتـرك جنـيد مدينة سمرقند واتجه نحو خراسان ، وأما سولو قاغان فأراد أن

يطـــارد جنيد ويهلكه وجنوده حتى في داخل خراسان فاستعان بخانية تركش بـــشكل قائد فذ وجعل جنوده تحت قيادته وأمره بإنزال الهزيمة بجنيد وجنوده بالمطـــاردة حتى خراسان ، والتقى الجيشان في واد من وديان خراسان وجرى فـــيه حرب ضارية بين الطرفين ، ولكن القائد التركي قتل في المعركة ، وبهذا الـــسبب تغلب جيش المسلمين العرب على الأتراك ومات منهم خلق كثير ، وبهذه الغلبة تجاسر جنيد بن عبدالرحمن وقفل راجعا إلى ما وراء النهر واحتل بخارى فضلا عن كونه هاربا إلى خراسان ، وأما سولو قاغان خاقان الترك فعاد إلى مركزه في منطقة طلاس .

ويقول العرب العسكريون في خراسان لليوم الذي وقع فيه حرب بين جنيد بـــن عبدالـــرحمن وقائدالتـــرك تركش بمحاربة يوم الشعب،ويقول المؤرخون المـــسلمون العرب إن أميرا من أمراء سولو قاغان وقع أسيرا في هذا اليوم بيد المـــسلمين العرب فأرسله جنيد بن عبدالرحمن إلى الخليفة هشام بن عبدالملك الأموي .

وكـــان جـــيش خراسان في تلك المعركة والذين حوصروا فيها وشاركوا يفتخـــرون بفـــوزهم هـــذا ، وبعد هذه الواقعات الحربية بين الطرفين وقعت انقلابات في خراسان ، ولأجل ذلك لم تجرؤ العرب على الإغارة على ما وراء النهر ، وكذلك سولو قاغان منح لنفسه راحة ولمدة ست سنوات .

وفي عام ١١٨هـ اتجه والي خراسان أسد بن عبدالله القسري لغزو ختل (قـــرا تكين) فيما وراء النهر ، واستولى على عدة قلاع منيعة فيها ، وعندها

قـــدم سولو قاغان بجنوده وهزم أسدا وجنوده ، فأخذ أسد جنوده الباقية من سـيوف الأتراك وهرب إلى بلخ بعدما اجتاز نهر أوجوز(سير دريا) ، فأخذ سولو قاغان يطارده حتى وصل إلى مدينة بلخ بعد اجتياز النهر (سير دريا) ، وبالقرب من مدينة بلخ وقع قتال عنيف بين الأتارك وجيش المسلمين العرب وابتلــى الأتــراك بلاء حسنا وخسر المسلمونة كثيرا من جنودهم وذلك في حلاربـــين متعاقبين ، فأبقى سولو قاغان جنودا كافية على ضفاف نهر أوجوز وعـــاد إلى مديـــنة طلاس ، وبهذه المحاربة تخلصت منطقة بخارى وسمرقند من ســيطرة العرب ، وبهذا أيضا انتهى حكم العرب المسلمين من مناطق ما وراء النهر وطخارستان (قطغن وبدخشان) ، وسائر المناطق التركية كلها بقيت في يـــد ســـولبو قاغان وتحت سيادته وحكمه عليها ، وبهذا أيضا اتسعت دولة تركش بشكل كبير . (انظر الخريطة رقم ١١)

الاضطرابات الداخلية في دولة تركش بعد وفاة سولو قاغان خاقان الترك :

إن دولـــة تركش كما قلنا سابقا وبالوجه الذي ذكرناه كانت عبارة عن اتحـــاد عـــشرة من قبائل الأتراك فيما وراء النهر ، وكانت مناطق الغرب من إسيق كول موطنا لخمسة من قبائل الأتارك ، وكانت تحت سيادة سولو قاغان وإدارته ، وأما المناطق التي بالشرق من إسيق كول فكانت موطنا لخمسة من قـــبائل مـــن الأتـــراك وهي إقليم بش باليق وباركول وإيميل وولاية آلتاي ، وكانـــت تحـــت إدارة باغاترخان وهو الوالي العام لتلك المناطق ، وكان يتبع

لدولــة ســولو قاغان بالسيادة ، ويقال لاتحاد هذه القبائل (سريغ تركش) تــركش الــشرق ، ولما كان سولو قاغان مشغولا بحروب ما وراء النهر عام ١١٨هـــ وابتعد عن مركز الاتحاد قام كول جور باغاترخان والي مقاطعات الــشرق يطمــع في الهيمنة على الاتحاد كلها الشرق والغرب ، فبسط نفوذه لأكثر قدر ممكن من القبائل وأمن طرفه بقبائل سريغ تركش ليكونوا في طرفه هيمنــته هــذه ، وعندما أنهى سولو قاغان حروب ما وراء النهر وجعل كل مــناطق الترك تحت سيادته وعاد مظفرا عام ١٢١هـــ الموافق ٧٣٨م ، قام كول جور باغاترخان بزيارةملكه سولو قاغان في مدينة توخماق ، وكان يظهر الحب والمودة والإخلاص ويضمر العداء والقضاء على سولو قاغان ، ودخل وتشرف بزيارته وهنئته ثم عاد إلى محل إقامته في مدينة توخماق ، وبعد عدة أيام باغت سيده ليلا في قصر سولو قاغان وكان معه نخبة من خلصائه وقتل سولو قاغان ، وبالنظر إلى تاريخ الإسلام يقول المؤرخون : بشر أسد والي خراسان بمــوت ســولو قاغـــان الخليفة عشام بن عبدالملك بأن أعدى أعداء الدين الإســلامي في الــشرق مـــات مقــتولا وبع تخلصنا من شره فسجد هشام بنعــبدالملك سجدة الشكر لله، وبعد مقتل سولو قاغان أعلن أهالي قاراتركش عــصيانا على كول جور باغاترخان وبدأ قتال شرس بين قارا تركش ورسغ تــركش ، واغتنمالــصين المتربصة هذه الفرصة فأدخل الأخير إلى تركستان الــشرقية جنودا لا قبل لها بشكل مساعدة لكول جور باغاترخان ، ولم يكن هـــذا إلا ستارا لاحتلال تركستان الشرقية ، وبمساعدة الصين استطاع كول

جور باغاترخان إخضاع قرا تركش لسيادته ، ومنذ ١٢٢م الموافق عام ٧٣٩ م أعلن كول جور باغاترخان نفسه قاغانا للترك جميعا .

ومنذ وفاة سولو قاغان خاقان الترك والانقلابات التي وقعت في دولة تركش الداخلـية قامـوالي خراسان أسد بن عبدالله عام ١١٩هـ بغارة كبيرة على منطقةخــتل (قراتكين) وكانت هناك قلعة كبيرة ومنيعة احتلها أسد ثم وزع جـيش الإسلام إلى كل شعب من شعوب ختل على أن يقوم جيش الإسلام بأســر كل من يلقاه وأخذ كل مال غنيمة ، وبهذا الإجراء هرب الأهالي إلى تركستان الشرقية ، وبعد هذه الواقعة عزل أسد بن عبدالله من ولاية خراسان وخلفه بدلا عنه نصر بن سيار ، والأخير خاض معارك عديدة ،وفي كل معركة انتـصر ولم يهزم قط حتى دخل طخارستان وختل وما وراء النهر ، وكانت المعـارك بين نصر بن سيار وبين مولك تلك البلدان حتى جاء عام ١٢٥هـ حيث خضعت كل من طخارستان وصغديان وختل وفرغانة وطاشكند وانقاد ملوكها إلى دفع الجزية لخليفة المسلمين وأصبحوا تابعين له .

وكـان نـصر بـن سيار أكثر الولاة لخراسان إنصافا وأعدلهمفي شئون خراسـان وكـان أخلصهم في الدين والأمانة ، حيث إن نصر بن سيار كان مسرورا من ملوك الأتراك في تلك المناطق وقانعا لجزيتهم التي كانوا يدفعونها وتاركـا شئون بلادهم لهم في الملك والمال في أمن وأمان ، وما كان يمد يده لـشيء بـدون حق شرعي ، وبهذا كسب لطرفه وللمسلمين العرب ودهم وصـداقتهم وأسـقط الجزية عمن أسلم منهم، وفي عهد نصر بن سيار توافد

علمـــاء الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر بكثرة يدعون الناس إلى دين الإسلام وفـــق نهـــج الـــنبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة ويبلغون رسالات الله إلى أهالي هذه البلدان فأسلم خلق كثير من الأتراك .

ـ الفصل الحادي عشر ـ

استيلاء الصين على تركستان الشرقية مرة أخرى...

قامت الصين تحت ستار مساعدة كول جور باغاترخان بإدخال جنود كثيرة وسط قبائل قارلوق وياغما وتخسي وذلك في منطقة إيميل وآلتاي واحتلهمعسكريا، وقاوم الأهلون الصين مقاومة شديدة ، ولكنهم أجبروا أخيرا على الخضوع لسيطرة الصين عليهم، وبسبب هذا الاحتلال زالت الصداقة بين الصين وبين كول جور باغاترخان وبدأت بينهما حروب ضارية دامت ثلاث سنوات ، وفي عام ٧٤٤م وقع كول جور باغاترخان أسيرا في يد الصين وقتل ، وبقتله تم استيلاء الصين على قرا تركش وسريغ تركش ، وواصل الصين استيلاءه من نهر إينجه (سير دريا) وشمالا بحيرة آرال وإلى ضفاف بحر قزوين وجميع مناطق الأتراك القاطنين في هذه المناطق وقعوا تحت نفوذ الصين ، وبالتالي قبلت ملوك كل من قوجو والمدن الستة سيادة الصين عليهم تابعين له ، وكانت قيادة الصين العسكرية هذه على يد شخص كوري الصل اسمه كاو سين جي، وبعد الاستيلاء التام هذا أعلن كاو سين جي نفسه حاكما عاما على هذه المناطق كلها ، وكان ارتباطه بالصين لفظا فقط، وسعى لتوسعة مناطق حكمه لمناطق أخرى نتآخمة فأخضع مرتفعات جبال بامير ومرتفع منطقة تيبت ومنطقة كانجوت شرقا، وبسبب وقوع الأتراك في الاحتلال الصيني اغتنم الفاتحون العرب الفرصة بالغزو لتركستان الغربية واستيلائهم عليها ونحن نورد وقائعها فيما بعد ، وكانت منطقة طاشكند تابعة

لتركستان الغربية أنذاك ، ولكن أميرها خاف من استيلاء الصين عليها وقبل دفـع الجزية لأمراء العرب الفاتحين ودخل في حماية خليفة المسلمين، وبموافقة خليفة المسلمين عقد والي خراسان نصر بن سيار معاهدة صلح وعدم اعتداء مع كاوسين جي، وبانقلاب أبي مسلم الخراساني عام ١٢٩هـ انهزم نصر بن سيار وبقي خراسان ومنطقة ما وراء النهر تابعة لأبي مسلم الخراساني الشهير وذلـك عام ١٣١هـ ، فانتهز كاسين جي هذه الفرصة بغزوطاشكند وأسر ملكهـا وقـام بالسلب والنهب والتعذيب والقهر وشتت شملهم وذلك عام ١٣٣م الموافـق ٧٥٠م وأجـرى القتل العام في مدينة طاشكند، ثم رجع إلى عاصـمته توخماق وأرسل ملكطاشكند إلى الصين فقتل فيها وذهب ابن ملك طاشكند إلى خراسان وطل مساعدة من أبي مسلم الخراساني .

ـ الفصل الثاني عشر ـ

تحرر تركستان الشرقية من احتلال الصين
وسلامتها إلى ما يقارب ألف عام من احتلال الصين عليها..

ومـــنذ أن بلـــغ أبا مسلم الخراساني ما أقدم عليه كاوسين جي في منطقة طاشكند أرسل أبو مسلم الخراساني عام ١٣٤هـــ أحد قواده زياد بن صالح العربي كقائد أعلى على جميع قوات الأتراك فيما وراء النهر ومعه جيش كبير مـــن المسلمين العرب ، وعندها قام كاو سين جي بتجنيد عدد كبير من قبائل قارلـــوق وغيرها من القبائل التركية واستعد لقتال زياد بن صالح ومعه جنود كـــثيرة ، وبالقرب من مدينة طلاس وقعت معركة حامية بين الطرفين ، وكان الأتراك منتظرين ليوم الخلاص من ربقة الصين فاتحدوا فيما بينهم وقاتلوا قتالا شديدا مغتنمين هذه الفرصة منذ ثمانية سنوات ، فانهزم كاو سين جي في هذه المعـــركة الفاصلة وهرب مع عدد من حراسه إلى داخل الصين ولم يمتثل لملك الـــصين ولكـــنه قتل بعد مدة بأمر من ملك الصين ، وأما الجنود الصينيون المنهزمون فقتلوا جميعا تحت سيوف المسلمين الأتراك والعرب ، وكانت جيوش الأتارك في هذه المعركة تمثل الأكثرية فيها قبائل قارلوق التركية ، وبهذا النصر المـــبين انتهى استيلاء الصين على تركستان ، ومنذ ذكل التاريخ إلى أكثر من ألـــف عام لم يجرؤ الصين على الهجوم لتركستان حتى عام ١١٧٢م وعاشت أهالي تركستان في أمن تام من هجوم الصين عليها .

ـ الفصل الثالث عشر ـ

قيام عدة دول مستقلة في تركستان الشرقية..

كمـــا قلـــنا سابقا فإنه بعد ما هرب كاو سين جي إلى داخل الصين بقي ملـــوك تركـــستان الـــشرقية مستقلين على حالهم ، وإن منطقة بش باليق (أورومجى) ، وإيميل وآلتاي كانت تقطن فيها قبائل قارلوق وهم أسسوا فيها ، وكـــذلك مناطق قوجو وقمول وباركول والمدن الستة أقاموا دولا لهم بقيادة ملـــوكهم مستقلين ، وفي نظر التاريخ كانت أهمها دولة قارلوق ، فعليه نأتي بتاريخ دولة قارلوق بشيء من التفصيل .

دولة قارلوق...

كانـــت قبائل قارلوق ذو أفراد كثيرة وكانت متداخلة بين طرفين دولتي كوك ترك وكانت ذات أهمية كبيرة ، ويذكرها المصادر التاريخية الصينية بـــ كوكولـــو ، وكان قسم منهم قاطنين في جبال أوتوجن بالشرق من آلتاي ، وكانـــت تعيش ضمن دولة كوك ترك الشرقية ، ويكتبهم آبدة أورخون بـــ أوج قارلوقـــيون ، وقـــسم مـــنهم كانوا يعيشون في الغرب من جبال آلتاي وكانوا تابعين لإدارة كوك ترك الغربية ، وفي زمن استيلاء الصين على المنطقة كانوا تحت الإدارة الصينية ، وعندما ضعف نفوذ الصين في المنطقة بقيام دولة تركش ساعد جناحا قارلوق الشرقي والغربي للأتراك واستوطن كثير منهم في

الجنوب والغرب من بحيرة الحوض الساخن ، وكانوا في عهد قوتلوق تركش تابعين كلهم لهذه الدولة ، وفي عهد سولو قاغان اجتمع كلهم ما عدا القاطنين في جبال أوتوجن تحت راية دولة الأتراك سريغ تركش ويقال لهم سريغ تركش وهم يمثلون إحدى القبائل الخمسة المتحدين في دولة تركش ، وبعد وفاة سولو قاغان وقع القارلوقيون تحت نفوذ الصين وعاشوا في علاقات طيبة مع الصين ، وإن كثيرا من شبابهم جندوا في معسكر كاو سين جي ، وفي معركة طلاس بين كاوسين جي وبين المسلمين الأتراك والعرب بقيادة زياد بن صالح أخذ القارلوقيون جانب الأتراك والمسلمين العرب وقتلوا خلقا كثيرا من جنود الصين ، ومن ثم أسس القارلوقيون دولة مستقلة لهم وكانت مدينة باش باليق (أورومجى)وإيميل ومنطقة آلتاي الغربية تابعة لها ، وكان القارلوقيون الذين يقطنون على جبال أوتوجن بالشرق من آلتاي كانوا تابعين للأويغور الذين أسسوا دولتهم في منطقة منغولستان الغربية ، ومنذ عام ١٤٠هـ الموافق ٧٥٩م بدأت تقع انقلابات وقلاقل بين دولتي القارلوقين والأويغور المتجاورتين ، ونتيجة لهذه المجادلات تمكنت قبائل قارلوق القاطنين على جبال أوتوجن للانتقال إلى الغرب من جبال آلتاي ، وبهذا تقوت دولة قارلوق وفاقت على جارته الدولة الأويغورية ، وفي عام ١٤٩هـ الموافق ٧٦٦م اتجع القارلوقيون إلى الغرب حتى وصلوا البحيرة الساخنة (إسيق كول) وكانت هناك خانيات أخضعوهم إلى سلطانهم فأصبح حدود مملكتهم شمالا منطقة آلتاي والسبعة أنهر وبحيرة بالقاش ومنطقة كوكجه ، وغربا نره اينجه

(سير دريا) وجنوبا جبال خان نتغري ، وهكذا توسعت دولة قارلوق بهذا الحكم من مساحة كبيرة . (انظر الخريطة رقم ١٢)

وبهـذه الـصورة عاشـت دولة قارلوق مستقلة بذاتها حتى تأسيس دولة القاراخانـيين ، وبعـد تأسيس دولة القاراخانيين تبعت دولة قارلوق لدولة قاراخانـيين كجزء منها بصفة يابغو بمعنى النيابة أو الكوكاة ، والخلاصة : إن دولة قارلوق التركية عاشت مستقلة بذاتها حتى عام ٢٤٧هـ الموافق ٨٨٠.

وفي عام ١٧٦هـ الموافق ٧٩٣م في عهد الخليفة هارون الرشيد هاجمت دولة قارلوق التركية منطقة فرغانة واحتلتها ، ولكن بعد مدة أغار العرب الفاتحون على منطقة فرغانة وسيطروا عليها وأجلوا القارلوقيين من المنطقة .

وفي عام ١٨هـ الموافق ٨٠٦م قام ملك القارلوق وملك الأويغور واتفقا مع حكومة تيبت التي احتلت الجنوب من تركستان الشرقية وعقدوا معاهدة ضـد المسلمين العرب فيما وراء النهر وأعلنوا الحرب عليهم وخاضوا غمار حـرب ولعـدة مـرات ، وكان الأمير مأمون بن هارون الرشيد واليا على خراسـان حيـنذاك فسعى برأيه الصائب الحكيم ونص قارلوق ودعاهم إلى الصلح ، فكان صلحا بين الطرفين ، وكان مأمون يأمل الخير في إسلام أتراك قارلـوق ، ومـنذ ذلك التاريخ بدأ الإسلام يدخل في دولة قارلوق ، وقبل القارلوقـيون الإسـلام ديـنا وعقيدة وأسلوب حياة ، ثم حصلت بين دولة الأتراك السامانيون المسلمون وبين دولة قارلوق التركية حروب دامية ولعدة مـرات وذلك عام ٢٣٥هـ الموافق ٨٥٠م ، ولكن لم تدم هذه الحالة لأمد

بعيد ، وكانتا تترلان وترضيان للصلح تارة وتقدمان للحرب تارة أخرى بحكم المجاورة ، ولكن المؤكد أن القارلوقيون دخلوا في الإسلام كثيرا فهدأت الأحوال بينهما بفضل الإسلام .

وفي عام ٢٦٧هـ الموافق عام ٨٨٠م دخلت دولة قارلوق في اتحادية قاراخان وتسببت في ازدهار وتطور دولة القاراخانيين ورفع مستوى هذا الاتحاد إلى إمبراطورية تركية كبرى ، وإن قارلوق ساعدها كثيرا جدا ، وبانضمام قارلوق لاتحاد القاراخانيين عاشت القارلوقيون في مساحة كبيرة تمتد من نهر إيلي إلى نهر إرتش ، وكانت هذه المنبسط العريض يسمى يته سو (سبعة أنهر) وكان لهم استقلالهم الداخلي الواسع ، وكان لقب ملكهم يابغو تعني النيابة أو الوكالة وتشرف به ، وقد حافظ القارلوقيون على استقلالهم الذاتي حتى ظهور جنكيز خان ، وكان يسمي الروس منطقة يته سو بـ سميرجنيسكي .

ـ الفصل الرابع عشر ـ

قيام دولة مستقلة في تركستان الشرقية...

لم يبين التاريخ والرواة عدد الدول التركية المستقلة في ذلك الوقت في تلكم المناطق ، ولكن المصادر الصينية تؤكد لنا بأن مناطق خوتان وياركند وكاشغر وكوجا ولولان وكنكيت وقوجو كانت فيها ملوك الطوائف وهي خانيات في لغة الأتراك . (انظر الخريطة رقم ١٢) ونحن نورد هنا بعضا من مراتبهموأصنافهم وقوتهم السياسية حسب علمنا كالآتي :

عد الهزام وهروب كاو سين جي من معركة طلاس الفاصلة استقلت خانيات تلكم البلدان والمناطق بذاتهم وكان فيما بينهم الود والصداقة في سائر المناسبات ، وكانت لهم تلك المناسبات الطيبة مع أشقائهم في الشمال الشرقي (منغولستان) فيما بعد .

وكانت الإمبراطورية الصينية ضعيفة في ذلك الوقت ولا يمكنها الاستيلاء على مناطق الأتراك ، ولذا اتخذت سياسة المداراة فيما بينها وبينهم .

وكان إمبراطور الصين يرسل لملوك الطوائف هدايا تذكارية يود صداقتهم منهم ملك الأويغور وقارلوق وختن وسائر ملوك الأتارك في المنطقة .

بتاريخ عام ٧٥٥م قام بطل تركي اسمه أونجلوك خان باحتلال الشرق والشمال من دولة الصين وبعد عامين تحرك أونجلوك خان باتجاه عاصمة الصين مدينة جانغ آن ، فطلب إمبراطور الصين خوانغ جونغ من دولتي الإويغور

وقارلوق وسائر ملوك الأتراك مساعدة عاجلة وألح عليها ، فقام ملك الأويغور القاغان بإرسال جنود كثيرة تحت قيادة ابنه وكذلك خاقان قارلوق مد الصين بجيوش كبيرة بقيادة ابنه ، وكانت خانية خوتان من أقوى الملوك في المنطقة فقام بنفسه مع جنوده إلى الصين ،وكذلك خانية كوجا أرسل قوة عسكرية لا بأس به .

فهذه الجيوش المساعدة دخلوا بقيادتهم الحرب مع قوات أونجلوك خان من الغرب والشمال ، وما هي إلا حروب ضارية من هنا وهناك حتى وصلوا العاصمة جانغ ىن وقد مات الإمبراطور الصيني خونغ جونغ وخلفه ابنه ، والأخير ترك العاصمة واحتلها أونجلوك خانفحارب جيش الأتراك مع أونجلوك خان وتغلبوا عليه وطردوه من العاصمة واستدعوا جوا من مكان هربه وأجلسوه في عرش أبيه، ثم بقي جيش الأتارك في الصين حتى عام ٧٦٣م حيث أبادوا أونجلوك خان وقضوا عليه نهائيا فاستتب

الصين ونجا إلى بر الأمان ، وفي عام ٧٦٢م قام ملك الأويغور بوكوك قاغان باتجاه لويانغ وهي خونان مركز البطل أونجلوك خان وهاجمها قاغان الأويغور بوكوك قاغان وتغلب وانتصر عليه وقتله واحتل لويانغ فزوج جو ابنته من قاغان الأويغور وصفته يابغو تعني النيابة ، وكانت منغولستان الداخلية الآن منطقة أو مملكة قاغان الأويغور ، وبالتالي قدم إمبراطور الصين جو إنعامات وهدايا لدولة الأويغور وسائر ملوك الطوائف مكافأة لمساعدتهم إياه فضلا عن إتاوات مستديمة يدفعها إمبراطور الصين ، فرجع جيوش الأتارك

إلى بلدانهم بينما عاش الصين ولمدة طويلة بدع اغتاوات لكبيرهم وصغيرهم من ملوك وأمراء الأتراك وتقبلوا نفوذ الأتراك عليهم .

ـ الفصل الخامس عشر ـ

استيلاء التيبتيين على المدن الستة للمرة الثانية..

كانت دولة التيبت قد بدأت تتقوى منذ عام ١٥٠ هـ الموافق ٧٦٥م ، وفي عام ٧٦٥م غزت دولة التيبت دولة الصين حتى وصلت قوات تيبت إلى عاصمة الصين آنذاك جانغ ىىن وحاصرها ثم عادت منها ، وفي رواية : إن التيبت هاجمت شبه جزيرة الهند ، ومن هجمات التيبت أن هاجمت على تركستان الشرقية عام ٨٠٠م واستولت علىمنطقة جرجن وخوتان ومدينة ياركند ثم استولت على مدينة كاشغر ، أما منطقة أومدينة أوج (آقسو) وكوجا وكنكيت فخضع ملوكها لدع إتاوات لدولة تيبت ، ودام هذا الاحتلال ولمدة واحد وعشرين عاما ، ولم تكن لدينا معلومات كافية عن الأحداث التي وقعت في هذه الفترة في تركستان الشرقية ، ففي عام ٨٢١م انهزمت دولة التيبت في مواجهة الصين وتقلصت قوات التيبت عن ذي قبل ، فاغتنم أهل تركستان الشرقية هذه الفرصة وطردوا التيبتيين عن البلاد فعادت خانيات تركستان كما كانت .

استقلال المدن الستة :

المدن الستة (آلته شهر) اصطلاح إقليمي تعني بها كاشغر ، وخوتان وياركند وآقسو وكوجا وقراشهر أو المدن الجنوبي من تركستان الشرقية ، وكانت كل مدينة خانية أي لها ملوك ، وقد سبق أن قلنا استقلت هذه

الخانيات بعد أن طردوا التيبتيين من البلاد ثم تقوت خانية كاشغر رويدا رويدا حتى استولت على كل من خوتان وياركند وأوج (آقسو) حسب علمنا ، ولكن ليس لدينا معلومات عن وقائع وأحداث تركستان الشرقية عامة حتى تاريخ ٨٤٠م حيث هاجر إلى تركستان الشرقية أويغور الشرق وللهجرة هذه أسباب وحوادث نأتي بذكرها .

ـ الفصل السادس عشر ـ

دولة أويغور الشرقية..

وكما قلنا في أحد الفصول السابقة إن فريقا من الأويغور اتحدوا وأسسوا دولة مستقلة باشتهرت هذه الدولة بدولة أويغور الشرق حسب ما كتب في التواريخ الحديثة ، يلا النصب التذكارية بوادي أورخون كتبت بـــ الأويغور العشرة ، وهي دولة أويغور الشرقية التي أسست في القرن الثاني الميلادي ، ونحن نقول لهم : أوغور الشرق ، وإن أويغور الشرق تأخذ في تاريخ تركستان الشرقية أهمية بالغة ، ولذا نأتي بتفصيل ذلك بشيء من الإيضاح، وبالذات بتاريخ هؤلاء بشكل موجز .

وإن أويغور الشرق عاشوا في عهد الهون ودولة الهون بصفة خانية صغيرة وكانت تابعة لدولة الهون، وبعد سقوط الهون كدولة عظمى لم ندر مصير الأويغور وليس لدينا معلومات بذلك ، وعندكا تأسست دولة كوك ترك كانت الأويغور خانية تابعة لدوة كوك ترك ، وعندكا انهارت دولة كوك ترك دخلت تحت حماية الصين وسيادته عليها ، ثم أام إيلترش خان دولة كوك ترك مرة ثانية فدخلت الأويغور في دولة كوك ترك تحت سيادتها ، وبعد وفاة قافاغان قاغان برزت دولة الأويغور مرة ثانية كدولة ذات سيادة وعلى صفحة التاريخ وبحكم استقلالها وسيادتها الكاملة على نفسها ، ثم بدأت تحارب دولة قوتلوق كوك ترك ، ومنذ عام٧٤٠م قامت دولة أويغور الشرقية بالتوسع الإقليمي حتى ضفاف بحيرة بايقال في الشرق ، وكانت هناك قبائل

بسمل يكتبها المصادر الصينية بـــ باسميل وبسطت سلطانها على قبائل وبقايا قارلوق القاطنين على جبال أوتجن وزد عليها سائر الأقوام التركية في الشرق ثم حاربت مع اوزمش قاغان وتغلبت عليه عدة مرات ، وغي عام ١٢٦هــ الموافق ٧٤٤م قضت دولة أويغور الشرق على أوزمش قاغان وأنهت بذلك دولة قوتلوق كوك ترك واحتلت مدينة قاراقورم ، ولكنهم لم يتخذوها عاصمة لهم / بل إنهم اتخذوا مدينة قارابالغسون الكائنة على ضفاف نهر أورخون ، وقلد اويغور خاقان لنفسه عنوان قاغان وأرغم كل للأتراك الموجودين في منغوليا على الخضوع لسيادته وحكمه حتى وصل حكمه على تراب منغوليا وعلى الأتراك الموجودين على مرتفعات سيبريا، فأصبح حدود مملكته هذه غربامنطقة آلتاي وجنوبا منطقة كانسو وسنشي،وكل هذه الأقاليم تحت حكم الأويغور الشرق خاضعة للواء دولة الأويغور الشرقية ، أو قل دولة أويغور قاغان الشرقية.(انظر الخريطة رقم ١٣).

ودولة أويغور الشرقية هذه أنهت انقلابات البطل أوجلوك خان في الصين ، ثم إن بوكوك خان التركي هاجم على لويانغ عام ٧٦٢م واحتله ، وفي اثناء ذلك قامت دولة أويغور الشرقية بإقامة علاقات ودية بين كل الدول والأقاليم التركية في آسيا كلها ، ثم نتجت هذه العلاقات الودية بينهم أخذهم الصين تحت حمايتهم بصفة مشتركة حسب ما ذكرنا هذه الواقعات في فصول السابق للكتاب.

وفي عام ٧٦٥م هاجمت دولة التيبت على الصين عاصمتها جانغ آن وحاصرتها ، فطلب إمبراطور الصين جوا مساعدة من بوكوك خان، فتجاوب الأخير لطلب الصين وأرسل جيوشا كبيرا لمساعدة الصينفي محنتهى هذه حيث طارد الجيش التركي شرذمة التيبت حيث هربت الأخيرة ، وفي هذه الأدوار من الزمن وقبل ذلك كانت دولة أويغور الشرق قد وصلت إلى مرتبة متقدمة من الرقي والمدنية ، ولهذه الدولة مدن وقرى في غاية الجمال والتنسيق والتعمير على ضفاف نهر أورخون في الغرب من منغوليا ، وفي عهود الهون ودولها المتقدمة وعهد دولة كوك ترك ودول قوتلوق قاغان كانت هناك مكاتب مالية ودفاتر للدخل والصرف وتدار هذه الدفاتر والمكاتب بيد الأويغور الشرق (حتى في عهد جنكيز خان) وفي مقدمتهم قديما عهد أوغوز نامة (مته) كان وزير العدل أويغوري حسب رواية ثابتة .

وعتدما أنهت دولة أويغور الشرق دولة كوك ترك اترقى الأويغوريون الترك إلى مقام الصدارة في الرقى والمدنية والحضارة ، وإن منطقة منغوليا ومنطقة كانسو كانت ميادين فسيحة لصناعة ومدنية وعلوم أويغور الشرقيين ، وكأن هذه المناطق متاحف لهم لا حدود لها ، وفي الرشرق من تركستان الشرقية وطن الأجداد آثار ورثناها من عهدهم الأول ، وهذه الآثار تحير العقول ونأتي ببيان ذلك فيما يلي .

إن قبائل التراك التابعين لدولة أويغور الشرقيين كانوا يقومون بثورات وانقلابات متكررة، وكان قاغان الترك الأويغور يصرفون ويخسرون مبالغ وقوات طائلة لإسكات هذه الانقلابات ، وبالتالي تضعف الدولة اقتصاديا وعمليا وتدوم الانقلابات رغم دفاع الدولة ومهاجمتها عليهم ، وكانت أكثر الانقلابين وأشدهم من قبائل قرغز، وكانوا يقطنون على ضفافا نهر يني سو.

وفي عام ٢٢٦هـ الموافق ٨٤٠م هاجم القرغز مدينة قارابالغاسون وتغلب على قوات الدولة واختلوها ، وبهذا انهزم الأويغور وأجلوا من مناطقهم التي كانوا فيها منذ ما يزيد عن ألفي عام حيث أجبروا على الهجرة منها ، وإن أويغور الشرق المهاجرة انقسمت على قسمين : قسم منهم وصلوا إلى منطقة كانسو الشمال واستوطنوا فيها ، ويقول لهم الصينيون آن فان تعني الأويغور الوحش ، ونقول لهم جن فن ، والقسم الثاني وهم أكثر من القسم الأول فوصلوا إلى منطقة تركستان الشرقية في القرب من ولاية كانسو وامتدوا منها إلى أوج وقمول وقوجو وبش باليق وإيلي وكنكيت ولولان واستوطنوا فيها ، وكانت هناك أصول من الترك اختلطوا معهم ثم غلبت عليهم الأويغور وصاروا حكاما عليهم في غلبتهم هذه ثم أصبحوا قاغانا عليهم أي ملكا أو ملوكا ، وبالفعل كانوا خانيات عدة وبعد مرور الوقت اتحدوا تحت لواء واحد لأحد ملوكهم ولقبوه بإيدي قوت تعني صاحب دولة، وكانت كلمة إيدي في لغتنا السرج، وكانت دولة إيدي قوت هذه دولة مستقلة ذات سيادة

حتى تأسيس دولة القاراخانيين ، وامتد نفوذه إلى منطقة كنكيت وكوجا في روايات موثوقة ،ولم تكتف بذلك بل اتسعت مناطق نفوذها في الشرق إلى جبال دوشي التي تقع بالشرق من مدينة لانجو، وبعدمائتين عام طرد الصينيون الأويغور من داخل سد الصين العظيم .

ومنذ تأسيس دولة القاراخانيين عاشت دولة إيدي قوت الأويغور تحت سيادة القاراخانيين بصورة مستقلة ، ومنذ ما كانت دولة إيدي قوت الأويغور تحت سيادة قاراخانيين كانت الأويغور في حدود منطقة باش أرجن وقروغ تاغ، وكانت سلسلة قروغ تاغ فاصلا حدوديا بينها وبين جارتها الصين ويقال لها سرخد، وحتى الآن تعرف السلسلة بهذا الاسم، وفي عهد القاراخانيين كانت طرفان وقمول وإيلي وآلتاي وإيميل والغرب من منطقة كانسو وقراشهر تعرف بالبلدان الأويغورية ، وكانت العامة يقولون بها (الأويغور)، وعندما قبل القاراخانيون الإسلام وأسلموا قام إيدي قوت وسائر الأويغور بعصيان عليها ووقعت حروب كثيرة بين الطرفين، وأخيرا أطاع الأويغور وحكومة إيدي قوت لقراخانيين ،ولكن الأويغور لم يقبلوا افسلام، ونأتي بتفصيل ذلك في فصل القاراخانيين ، ودامت حكومة إيدي قوت ذاتية الحكم حتى عام ٨٠٠هـ الموافق ١٣٩٧م، وكانت عاصمة إيدي قوت مدينة قوجو بمنطقة قوجو ، ويقول العوام لآثار مدينة قوجو الآن مدينة أقيانوس ولضواحيها من القرى والأرياف يقولون لها قراخواجه أو قوجو ، وعندما عصت إيدي قوت على القراخانيين نقلوا عاصمتهم إلى مدينة باش باليق وهي

مدينة أورومجى الآن ، وعندما تم استيلاء الصين عليها بدلوا اسمها إلى أورومجي وأورومجى ترجمة كلمة باش باليق ، أصل الكلمة أورومجى ثلاث كلمات معناها خمس مدن أو خمس قلاع .

ديانة الأويغور الشرقيين..

منذ القدم كان الأويغور في ديانة توئين ، ومنذ عام ١٥٠م راجت الديانة البوذية في تركستان الشرقية ثم ذهب الرهبان البوذيون إلى منغولستان ورغب الأويغور المنغوليين في الديانة البوذية ، وكان بين الرهبان تركستانيون ودخل في الديانة البوذية خلق كثير . فمنذ ذلك الوقت بدأ الملوك وأعيان البلاد في قبول الديانة البوذية ، ثم أصبحت البوذية في تلك الأصقاع ديانة أولى ذات تأثير فيهم ، وعندما تحرك ملك أويغور الشرق باتجاه الصين واحتل مدينة لويانغ عام ٧٦٢م وهي خونان الآن ، وكان بها مدة غير قصيرة تعارف مع أربعة من رهبان الديانة الماوية ، وعند إياب بوكوك قاغان إلى بلاده اصطحبهم إلى العاصمة قارابالغاسون وقبل الديانة الماوية ثم سعى في نشرها بين العباد وبذل جهدا ومالا في سبيل ذلك ، ونحتن نرى الآن من آثار مدينة قارابالغاسون الباقية مدى انتشار الديانة الماوية في أوساط الشعب آنذاك ، وبالمقابل لم تنتشر هذه الديانة الماوية في تركستان الشرقية بشكل كبير ، لأن التركستانيين كانوا أشد تمسكا بالديانة البوذية ويعتنون بها اعتناء شديدا ،

ونحن نورد هنا رواية أحد السياح الصينيين الذي زار التركستان الشرقية آنذاك يقول: إني رأيت في مدينة قوجو عاصمة إيديقوت خمسين معبدا بوذيا ومعبدا واحدا للديانة الماوية .

وبمرور الوقت انتهت الديانة الماوية في تركستان الشرقية ولم تبق إلا الديانة البوذية ، وفي عام ٨٠٠هـ الموافق ١٣٩٧م كانت الديانة البوذية باقية في مدينتي بش باليق وطرفان . وفي القرن الرابع عشر من الميلاد وقرن الثامن الهجري ترجم أحد الويغوريين الذي عاش في مدينة بش باليق أحد كتب سوترا في الديانة البوذية إلى اللغة التركستانية بالأحرف الأويغورية القديمة ، وهذا الكتاب المترجم موجود الآن في أحد المتاحف الأوربية واسم الكتاب : (آلتون ياروق) تعني الهداية الذهبية .

المدنية في أويغور الشرق...

كان الوضع السياسي للأويغور الشرق غير كاف بالنسبة لرقيهم الصناعي والاقتصادي حيث إنهم أنجزوا تقدما هائلا في التعدين والصناعة ولأجل محدودية رقعتهم من حيث المساحة والبعد والتي كانت عبارة عن منغولستان الحالية وسيبيريا وهي جزء من البلاد التركية، فإن دورهم السياسي أقل شأنا من دور الامبراطوريات السابقة . وأمن حيث الصناعةت والعلم والمدنية فتبقى أويغور الشرق في مرتبة عالية جدا بالنسبة لسائر الأتراك القاطنة في الشرق من آسيا من مثل منغولستان ومانشوريا ، ولرتبتهم ورقيهم هذا تخبرنا

الاكتشافات والتحقيقات والحفريات في عصرنا هذا حتى اكتشفت كتاباتهم وكتبهم بكثرة .

وإن أتراك اويغور الشرق منذ ما هاجر إلى تركستان الشرقية بنوا مدنا كثيرة فيها وعمروها ، وكانت مدينة بش باليق مدينة مهدمة بنوها من جديد وعمروها ، وفضلا عن ذلك بنوا مدينة كبيرة في الشرق من مدينة بش باليق وسموها جونغ باليق تعني المدينة الكبيرة ، وكانت هذه المدينة في غاية الجمال والأبهة ولم تزل باقية حتى الآن ، وهي مدينة جوجنغ الحالية (المدينة القديمة)

.

وفي وادي إيلي بنوا مدينتين كبيرتين هما : إيلي باليق ومنجلاق وعمروها عمارة جيدة ، وكذلك بنوا مدينة ثالثة في ولاية إيلي اسمها سومي طلاس . وفي الغرب من بحيرة لوب نور عمروا عمرانا عديدة منها اوسمي ونريم وسولمي ، وكل هذه الثريات من بناء أويغور الشرق، وكثيرة تلكم الروايات في ابنيتهم وعمرانهم منها الأسوار والقلاع الحربية المنيعة .

وفي مدينة أو منطقة دونخوانغ إلى مدينة لانجو توجد مدينتا سوجووكاجو والعمران الذي على ساحاته ، وتوجد فيها مدن عديدة تزيد على خمس عشرة مدينة وبلدة ولها آثارها حتى الآن من أسوار مهدمة وقلاع زائلة ، وفي الغرب من منطقة كانسو مدن لمتخرب حتى الآن .

ويوقل الصينيون في لغتهم جانغ آن للأويغور ، وكذلك ما جانغ وياوو ، وهذه الكلمات ترد في اسم المدن فنعرفها مدن أويغورية بناها الآويغوريون

الشرق وهكذا دواليك في اسم المدن ، وعلى المدن التي بناها الويغوريون بنيت على أطرافها أسوار عالية ومتينة ارتفاعها ما بين عشر إلى عشرين ذراعا ، وقطرها ما بين خمسة إلى ستة أزرع ، وكانت أبنيتهم في غاية الجمال والرونق ومزدانة بزخرفةفريدة ، ولأجل ذلك لم تخرب أبنيتهم وعاشت قرونا عديدة، ولذا أثبتت البقايا من الأسوار والقلاع والأبنية مهارة الأويغور في فن العمارة على مدى التاريخ . وأما الاثار الباقية حتى الان في منطقة طرفان فهي بقايا معابد الديانة البوذية والمانوية والمنسوبة منها للمانوية قليلة جدا . وفي هذه المعابد أساطير وقصص وصور مجسمة وصور الحكام والرهبان والراهبات مرسومة على الحيطان وسقوف تلك المعابد وبها كتابات أويغورية على أنماط مختلفة بألف باء الأويغور القديمة ، وفيها أيضا توجد ألواح من الخشب محفورة عليها كتابات مختلفة وعينات من الأقمشة الحريرية غاية في النفاسة وأدوات الزينة ، اكتشفها السياح في زماننا هذا وهم من المانيا واسكندنافيا والإنجليز ، ومناطق الاكتشافات هذه توجد أكثرها في طرفان ، وبعض هذه العينات المكتشفة أخذها المكتشفون إلى بلدانهم ووضعوها في متاحفهم في مختلف مناطق أوربا ، وبعضها موجودة حتى الآن في أماكن اكتشافها ، وإن أكثر هذه المكتشفات وجدت من بين الهدميات لمدينة قوجو بمنطقة قاراخواجه ، وهناكمعبد في منطقة قوجو في الشمال منها في حي مورتوق ، وفي المعبد رسومات تبين حياة بودا من أولها إلى آخرها ، وقد رسمت هذه الرسومات على الحيطان الداخلية لهذا المعبد ، وفي حي بزكليك معبد آخر وفيه رسومات

ملونة ومختلفة ، وفي القرب من مدينة قاراشهر معبد اويغوري وفيه صور عديدة لبودا نفسه اكتشفت قريبا ، وبالقرب من مدينة دونخوانغ وعلى بعد سبعة أميال بالجنوب الشرقي منها معبدان حفرتا من الجبال على شكل كهوف والمعبد الواحد يبعد عن الثاني بمقدار ٥٠٠ ياردة ، وفي هذين المعبدين هياكل مجسمة ورسومات ومكتبة وعينات من صناعة الويغور وما يدل على علو مكانتهم في الرقى المدنية ، ويقول الصينون لهذه المعابد شى أن بتوك ، وفي مدينة آنشي توجد آثار أويغورية في معبد مليئة فيها ، وفي هذا المعبد آثار عديدة لياوجي وتوبا وهم أقوام من الأويغور ، ويقول لها الصينيون شي آن بتوك أوكهوف أويغورية .

إن أهم الاكتشافات من بينها كتب دينية أسطورية بالألوف وألواح خشبية للطباعة ولوازمها استخدموها عن طريق حفر الأحرف الأويغورية القديمة يثبتونها بين التروس المتحركة والثابتة ويطبعون بها الكتب ، وهذا يثبت وجود المطابع وعمليات الطباعة عند الأويغور في تلك الأيام كما كانت عند الصينيين ، كما يثبت مدى تقدم ورقى الأويغور وشموخهم في الصناعات النفيسة آنذاك .

ونظرا للاكتشافات هذه كتب عالم آثار ألماني : إن هذه الصناعات لم تكن آنذاك مثلها وما في مستواها في إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، ولذا يحق للأويغور أن يفخروا بهذه الصناعات الراقية فهنيئا للأتراك الأويغور في أجدادهم البائدة .

ولو أن ألف باء الأورخون هي التي استعملها الأتراك جميعا في أقطارها المختلفة إلا أن هناك في تركستان بقسميها الشرقي والغربي ألف باء لهم حيث إن الأتراك القاطنين في منطقة صغد كانت لهم ألف باء مكونة من أربعة عشر حرفا يستعملها حتى القاطنين على ضفاف نهر زرفشان وروافده ، والثانية ألف باء الأويغور ، وإن الأويغور أضافوا على الأحرف الاربعة عشر عند الصغد اثنتا عشر جرفا فصارت ألف باء الأويغور مكونة من ستة وعشرين حرفا وإن الأربعة عشر حرفا السابقة شبيهة إلى التي عند الصغد ، فلأجل ذلك قال بعض المؤرخين: إن ألف باء الأويغور مأخوذة من ألف باء الصغد وإن ذلك تخمين محض .

فهذه الألف باء الأويغورية قد استعملت منذ أمد بعيد بين الأويغور التراك حتى القرن السابع الميلادي، ومنذ القرن السابع الميلادي استعنلت التارك في مختلف اوطانهم وامصارهم ومناطقهم وبدون استثناء وبقيت ألف باء أورخون مهجورة عندهم ، وفي عهد القاراخانيين في القرنين العاشر والحادي عشر من الميلاد أخذت ألف باء العرب مكان ألف باء الأويغور(وهي المستعملة حاليا).

غير ان ألف باء الويغور استعملت بجانب ألف باء العرب التي قالوا لها ألف باء الخاقانية لأن خاقان الترك هو الذي قبل الحروف العربية ، وتارة استعملت ألف باء الأويغور بجانب ألف باء العربية وتارة استعملت كلتاهما بصورة منفصلة حتى القرن الخامس عشر ، ولكن ألف باء الأويغور استعملت حتى

أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ورأينا نماذج من وثائق بهذه الحروف الأويغورية .

ولألف باء الأويغور أصول وولواحق ، فثمانية عشر منها حروف أصلية وثمانية منها حروف لاحقة ، وإن بعضا من الحروف اللاحقة وبعضا آخر من الحروف الأصلية وضعت عليها نقاط في تنظيمها ، ونحن نجد الآن كتبا كثيرة في بعض مكتبات العامة في العالم وفي المتاحف العالمية كتبت بالحروف الأويغورية مثل متاحف الصين والهند وإيران وافتحاد السوفيتي ، وهذه الوثائق قد أمكن قراءة بعضها ولكن الكثير منها ينتظر الباحثين في تاريخ الأتراك الأويغور .

ـ الفصل السابع عشر ـ

سياسات الأتراك والصينيين في العهود القديمة...

ومنذ زمن قديم انتهت كل الحوادث والعلاقات التاريخية بين الأتارك والصين بسقوط دول صغيرة على ضفاف نهر أورخون وبانتهاء تلكم الدول الصغيرة حتى قيام جنكيزخان لم تقع حوادث سياسية بين التارك والصين . وبالمناسبة نقول : إن كتب التاريخ والمؤرخون يكتبون عن الأحداث التاريخية بين الأتراك والصين بكل كذب وبهتان في حق الأتراك وبكل صلف ورياء في حق الصين ، ولبيان الحقيقة فيها نكتب للقراء الكرام بما يقر بها المؤرخون الصينيون ونبرز اللزوم منها كما يلي :

كتب كتب التاريخ الصينية والمؤرخون المعاصرون في زماننا هذا أو الذين أخذوا معلوماتهم من المصادر الصينية كتبوا أن قدماء التراك كانوا في غاية الوحشية والعنهجية وسفاكو الدماء ومجبلون للسلب والنهب ، لكن المنصفون من الصينيين انفسهم ولأجل ان تكون كتاباتهم في التاريخ عدلا ومنصفا ولاضطرارهم لذلك قالوا : إن الكتابات في حق التراك قديما لم تكن إلا محض بهتان وانتقام قلم، وأن الأتراك في الحقيقة كانوا أميل للصلح من الحرب وأنهم إنسانيون عدلون وبياضو القلب وبهم عزة النفس وكرامة متواضعة ليس إلا ، ولو أن المؤرخين الصينيين يكتبون ويمدحون الصين بأنه صاحب صناعات رفيعة وأرباب مدنية منذ القدم وغيرها من المديح والأوصاف ، غير ان الصين

في سياستها الذاتية تميل إلى الاستيلاء والاستحواذ ، وأن الصين أصحاب حيل ومكر وخيانة وغير غنسانية ، وهذا الموجز من اعترافات الكتاب والمؤرخين الصينيين وفي ميزان عدالة القلم يجب عليهم ويلزمهم الاعتراف بهذا ، وإليكم في بيان ذلك نكتفي بالعنوانين الاتيتين :

سياسة الأتراك روح التصالح وإنسانية وإباء وسلامة الصدر:

إن اخبار الهون والجوجان وكوك ترك وأخبار إمبراطوريات الأتراك أخذها المؤرخون جميعا من المصادر الصينية من واقعات الحرب والصلح بين الأتراك والصين عموما ، وعند المؤرخين المنصفين والعدول من كتاباتهم عموما وبصورة منفصلة ، إن الحوادث والواقعات التي وقعت بين الصين والجوجان وبينه وبين كوك ترك لم تكن هناك حوادث وواقعات غير مرضية ، وإن هؤلاء لم يتعرضوا على الصين ظلما وعدوانا وإنما وقعت دفاعا عن النفس أو بشكل انتقام لا بد منه ، وفي هذا مجمعون ومتفقون ، وإن الصين بنى سد الصين العظيم لأجل سد مداهمة الهون على دولة الصين ، ولن تكون هذا اتهاما على الأتراك والهون ، وإنما الواقع والصحيح في الأمر أن جي لونغ إمبراطور الصين آنذاك خاف خوفا شديدا من تزايد قوة دولة الهون الكبير واللامتناهي وكان في رأيه رأي جي لونغ إذا هاجم الهون بهذه القوة العظيمة على الصين لا يمكن مقاومتها دفعة واحدة فيلزم أن تكون هناك سد لا يمكن مداهمته دفعة واحدة

ولا يمكن اجتيازه ، وهكذا كان رأي جي لونغ ، وبموجب هذا الرأي نفذ مشروعه هذا بتكلفة زائدة .

وإذا كان التراك على ما يعتقده المؤرخون الصينيون أناس وحشية أصحاب السلب والنهب وعطاشا للدماء أمثال الصعاليك لكان أسهل للصيثنيين بانتظام وقوتهم الهائلة وكثرة نفوسهم لكان اهون عليهم القضاء على الأتراك المتوحشين بكل يسر وسهولة، ولم يكن محتاجا لبناء سد على مدى سنين عديدة وبملايين من العمال الصينيين البائسين بدون أجر، وأثناء غمشاء هذا السد لسنين عديدة مات نصف مليون صيني من صعوبة هذا الأمر ، ثم إن بناء الأسوار والإحاطة به البلد وبناء القلاع العسكرية وحفر الخندقحول الأسوار والمدن كانت سائدة في ذلك الوقت كما يرويه المؤرخون الصينيون في كل أقطار العالم ، غير أن هذا السد في حياة جي آن لونغ أدى مفعولها وأن أكثر من مليون جندي المرابطين فوق هذا السد قد ادوا واجبهم الدفاعي عن هجمات دولة الهون ، ولكن ليس بالقدر الذي وسوس به جي آن لونغ آنذاك حيث إن الهون والأتراك اجتازوا السد بكل سهولة بقصد السد وشقه بشكل معابر عن مرتفعات، وإن الهونيين لم يعيروا به أي اهتمام ونورد هنا ما قاله سائح أوربي عن مشاهداته في السد حيث يقول ويكتب في مذكراته ما يلي: إن بناء السد هذه لم يكن لأجل الدفاع فقط بل إن بناء السدود وبناء القلاع العسكرية والخنادق العازلة كانت عادة الزمان تلك ، والسد لا يشكل إلا لتحديد الحدود كأسوار المدن وكان مثله من الأسوار والسدود موجودا في

ذلك الوقت وإلى وقت قريب غير أن سائر الأسوار والسدود تهدمت وأذيلت آثاره ، إلا أن سد الصين بقيت حتى الآن لتماسك التربة في الصين ولا سيما في مناطق السد في شمال الصين.

وعندما تغلب الأتراك واكتمل قواهم العسكرية والهجومية في أكثر الأوقات كان بإمكانهم الاستيلاء على الصين وأموال الصين وثراه الهائل غير أن التراك كانوا يكتفون بإضعاف قوة الصين العسكرية إلى حيث يأمن منه ويقبلوا صلحا يعرضه الصين عن موقف ضعف ، ولم يسعو فسقاط دولة الصين ، وفي بعض المواقف أصبح الصين بحكم الأسير مفكك الأوصال ومشتت الوحدة والتماسك ، وعندما وصل الصين إلى حالة لا يقوى على الهجوم على الأتراك أو الهومن ، لم يرد الأتراك الهجوم على الصين والاتيلاء عليه بل اعتبروه فرصة لتعايش الطرفين الصين والتراك ويمدون يد الصداقة إلى الصين وفي سائر الفرص ولأمن وانتعاش الصين الداخلية كان الأتراك يمدون بالمساعدات الكبيرة يكتبها المؤرخون الصينيون في تواريخهم ، وفي الانقلابات الدموية الداخلية في الصين قام الأتراك بمساعدة عسكرية هامة، وعندما هدأت الأوساط الداخلية وساد الأمن والأمان ينسحب الأتراك من داخل الصين دونما فكرة في الاستيلاء على الصين أوكسب غنم وغنيمة ويتركونهم وشاهم لأنفسهم ، وهذه الأمور واضحة لدى من يقرأ كتب التاريخ ، وبتكرار يرونها في المصادر الصينية وفي كتب التاريخ الحديث التي أخذت عن مصادر صينية .

وحينما تغلب الأتراك على الصين ودخلوا الراضي الصينية لم نر في كتب التاريخ والمصادر الصينية منها القديمة والمعاصرة لم تذكر إن الأتراك في دخولهم الأراضي الصينية في انهزام الصين لم تذكر وقوع القتل العام أو هدم المدن ولإحرلقها على يد الأتراك ولا تذكر مستندات نوحي بوقوع مثل هذه الحوادث من طرف الأتراك .

وعندما انهزمت الأتراك نتيجة الحروب فيما بينهم وبين الصين لم تخضع الأتراك للإطاعة للصين أولدفع إتاوات له حتى الجمارك ، وكان الأتراك يلجؤون للدفاع عن أنفسهم ولم ستاهم ليدافعوا جميعا حتى الموت ويموتون ليحافظوا على كرامتهم ولم يرض الأتراك الحياة بدون شرف .

وإذا كان هناك اتراك خضعو لطاعة الصين فإنهم شرذمة قليلة أو ملك طائفة من الطوائف ، ونحن لما نتحدث على مستوى الإمبراطوريات لم تذكر تواريخ الصين ولا مؤرخوه بأن إمبراطوريا تركيا خضعت لطاعة الصين ولو بصورة مؤقتة ولا يدعيه المؤرخون الصينيون .

سياسة الصين احتلال واللا إنسانية وخبث ومكر...

وعندما تضعف الأتراك ويتقوى الصين كان الصين يقوم بهجوم كاسح على بلدان الأتراك بقطع النظر عن المعاهدات التي بينه وبينهم، وما كان يراعي أمن وسلامة الرعية في كلا الجانبين ويضرب بتعايشهم السلمي عرض الحائط ، وبالمقابل يكثر التعديات من جانب الصين إذا تغلب على الأتراك وهزمهم

يجري القتل العام ويهدم المدن ويحرقها ويقتل الأبرياء ويطرد الباقين عن ديارهم وينفوهم إلى

أقصى المعمورة بقصد إمحائهم عطشا وجوعا وفقرا أو إجبارهم على التصين ،وهذه الأعمال التعسفية يكتبها الانتقاميون من مؤرخي الصين بكل فخر وعنهجية .

وإن الأتراك القاطنين في منطقةمنغولستان الآن تعرضوا كثيرا لمثل تلك المظالم الوحشية ولمرات عديدة في الأزمنة القديمة كما أسلفنا .

ومدن كثيرة في تركستان الشرقية تعرضت لمثل هذه الوحشية واللا إنسانية من مثل مدينة قمول وباركول وقوجوولولان وإنها تعرضت للقتل العام مرات عديدة وهدمتها الجيوش الصينية ، ومن هذه التعسفيات الظالمة تعرضت منطقة لولان وفيها عشرونمدينة وقرية تعرضت للقتل العام والهدم حتى النقاض واختفت منها الحياة وبقيت خرابات وأطلال لمدةطويلة ثم تغشاها الأهالي من منطقة طرفان ومنمدن الجنوب وأحيوها ثانية ، وفي عام ١١٧٢هـ الموافق ١٧٥٧م قام جيوش الصين بقتل عام في مدينة بش باليق وإيلي وأما الباقي من الأهالي فارغموهم إلى التروح إلى داخل الصين وخلت هذه المدن من السكان ، وبعد سنين عديدة أهجر إليها كثيرا من أهالي منطقة طرفان والمدن الستة باسم تارانجي (الفلاحين) فهؤلاء عمروا مدن بش باليق ومنطقة إيلي وهذه الواقعات يذكرها كل فرد من أهالي تركستان الشرقية .وكذلك يذكرها المؤرخون الصينيون بفخر واعتزاز وعنهجية .

وعندما تضعف دولة الصين قديما أوتقوى دولة الهون الأتراك كا أباطرة الصين يتواضعون جدا ويزوجون بناهم من أباطرةالأتراك وأمرائهم وحتى الخانيات الصغيرة يزوجونهم من بناهم ويقدمون لهم الهدايا القيمة من أقمشة حريرية ونفائس الأموال فيأمن بذلك من جيش الأتراك ، وقد ذكرنا قبل هذه الأمور بتفصيل في الفصول السابقة التي أخذناها من كتب مؤرخي الصين ، وما كانت مقاصد الصين من تلكم الفعال المنافية لعزة النفس الصداقة والود والصلح والتعايش السلمي بين الشعبين المتجاورتين ، والأتراك متحدون فيما بينهم ومتماسك الجوانب تفوق قوة عسكرية ضاربة وهم البواسل الشجعان ، وكان الصين يريد الانتفاع منهم ومن شجاعتهم ويريد بذر بذور الشقاق والنفاق فيما بين سلاطين وخاقانات وأمراء الأتراك لتفتيت شملهم وكسر عرى الوحدة فيهم والتماسك في اوصالهم لإضعاف قوة الأتراك وسلب بلادهم والاستيلاء عليها ، وهذه المواضيع صرح بها القاغان كول تكين خان في أوابد بيلكه قاغان وكتبها بفصيح العبارة واضحها ، وبالرغم من ذلك وقع الأتراك بطيبة نفوسهم وبياض قلوبهم كثيرا في مكر وحيل الصين ولمرات عديدة .

وعندما كان الصين قويا للغاية أووقتما يكون ضعيفا في الحضيض كان الصين عدوا لدودا للأتراك ، وحينما كان الصين زمن الصلح أو الحرب مع جيرانه الأتراك لم تكن في الصين الإنسانيةأو العدالة وحفظ حقوق الجوار ، فهذه حقيقة لا يمكن إنكارها حسب ما يكتبه المؤرخون وإن هذه الحقائق

والمعلومات أخذناها من مصادر تاريخية صينية ومع ذلك لا يخفى ذلك على من له نظر فاحص لأنها ثوابت تاريخية .

الباب الرابع

تركستان الشرقية منذ عهد القاراخانيين حتى عهد المغول

الفصل الأول

دولة القاراخانيين

تأسيسها :

أولا فيمن حكم دولة القاراخانيينومؤسسوها ، غير ان المصادر التاريخية وفي نظر المحققين والباحثين، ومنهم مؤرخو الصين أجمعوا أن دولة القاراخانيين أسسها أصلا مجموعة قبائل القارلوق ، وهذا تخمينهم، ولكن بعض المصادر تقول إن دولة القاراخانيين أسسها الأويغور وحكموها ، غير أن هذا الكلام إذا فرضناه صحيحا إلى أي من الأويغور تنتسب القاراخانيون؟ هل هم من أويغور الشرق أو من أويغور يارليقا القديم؟ وهذا غير معلوم لدينا.

وبالنظر إلى الكتب منتواريخ وأدبيات والوثائق القومية والتاريخية نرى أن حكام القاراخانيين من الذين حكموا ولاية كاشغر على سلالات متتالية متسلسلة، وكان ملوكوحكام ولاية كاشغر يدعون لأنفسهم بأهم أولاد القاراهان القديم آفراسياب ، وبهذا السبب كانوا يمنحون لأنفسهم ألى درجة من سائر ملوك الأتراك ومن سائر القبائل التركية .

وفي عام ٢٠٦هـ الموافق ٨٢١م أخرجت خانيات تركستان الشرقية أهل التيبت من أراضيهم وتقووا رويدا رويدا حتى استولوا على كل من ياركند وخوتان وياركند وأوج يبسط نفوذهم على حكامها وملوكها ، ثم بعد حين من الزمن استولى خانية كاشغر على دولة كوجا أو أرغمتها للخضوع على سيادته وبهذا تم له توحيد المدن الستة تحت راية واحدة وتقوت دلوته حيث أصبحت دولة تركية ذات سيادة في منطقة الجنوب منتركستان الشرقية .

وكانت هناك في الشمال من تنغري تا غ دولة قارلوق التركية وكانت علىما ضفاف بحيرة بالقاش قبائل مستقلة أمثال كوكجه وياغما وتوخسي وأوغراق وجنكل ويتسع حدودها غربا منطقة ما وراء النهر حيث دولة السامانيين المسلمة ، ومن الشرق حدود دولة الأويغور، وكانت هاتان الجارتان دائمي التهديد على حكومات القبائل التركية تتعرض لهجماتها .

وفي عام ٢٥٦هـ الموافق ٨٧٠م تقريبا صارت دولة قارلوق تابعة لدولة خاقان الترك مركزها مدينة كاشغر ثم تبعتها حكومات القبائل التركية السابقة ذكرها فأصبحت حدود خاقان كاشغر تشمل منطقة شمال تنغري تاغ (تيانشان) وجنوبها المدن الستة وطرفان وقمول وباركول ، وكان عدد تلكم الحكومات تزيد عن عشر حكومات التي تبعت لخاقان كاشغر ، وكانت أو أصبحت هناك وحدة أو اتحاد كونفدراسيون على الاصطلاح الحديث، حيث تقلد خاقان كاشغر صفة قاراخان ، ويكتب مؤرخو العرب ملك قاغان الترك سابقا بخاقان الترك ، وكذلك قاراخان كاشغر كتبوه خاقان الترك .

توسع دولة القاراخانيين..

في عام ٢٦٧هـ الموافق ٨٨٠م جلس على عرش القاراخانيين شخصية اسمه بوقاخان ووسع من مساحة دولته بضم كل من مناطق لوب نور وجرجن الآن وتقع شرقا في الجنوب من سلسلة جبال قوروغ تاغ ومنطقة آبدال وميرات ، وكانت هذه الناطق أصلا ممتلكات دولة الإديقوت الأويغوري وأصبحت سلسلة جبال قوروغ تاغ فاصلا حدوديا بين القاراخانيين وبين دولة الويغور إديقوت شرقا ، وبالمناسبة أصبحت بعض الممرات التي تقع على سلسلة جبال قوروغ تاغ أصبحت تعرف باسم سنعيز تعغني الحدود وسنغيز كلمة تركية تعني الحدود ، وبعد هذا التوسع الشرقي فكر بوقاخان في توسيع رقعة بلاده إلى الشمال وكانت هناك في الشمال دولة قارلوق التركية وخانيات أخرى ، وبهذا السبب نقل بوقاخان عاصمته إلى منطقة بالاساغون بالقرب من مدينة توقماق ، وتوقماق الآن بجانب مدينة بشكيك عاصمة قيرغيزستان الآن ، ثم مد حدود بلاده شمالا إلى الشمال من نهر إيجه (سير دريا) وتسمى الآن بلاتينسكي ، وإلى نهر إرتش في الشمال الشرقي منها وكلها مناطق الأتراك حتى الآنجعلها تابعة لدولته وضمها تحت رايته ، وبعد ذلك قبلت دولة إديقوت الأويغورية الانضمام إلى دولة القاراخانيين وفي عهد بوقاخان هذا ، وبهذا اتسعت دولة القاراخانيين غربا سلسلة جبال بامير ونهر إيجه (سير دريا) وبحيرة آرال ، وشمالا مناطق قرغيز ومراعيها وجبال آلتاي ، وشرقا منطقة جبال آلتاي

وجبال ووشي التي تقع في الشرق من مدينة لانجو ، وجنوبا خانية تانجوت التي تعرف بكوكو وجبال الظلمات وهي سلسلة جبال كيونلون ومنطقة قاراقورم . (انظر الخريطة رقم ١٤).

ومن ولاية بوقاخان قاراخان أصبحت لدولة القاراخانيين عاصمتان فمدينة كاشغر عاصمة شتوية ومنطقة بالاساغون عاصمة صيفية ، ولكن المركزية للعاصمة مدينة كاشغر وتسمي هذه المدينة أي مدينة كاشغر بأوردوكنت تعني المدينة العاصمة .

ولا تعرف بالضب تاريخ وفاة بوقاخان هذا وكذلك غير معلوم لدينا من خلفه ، وإن هناك فترة مجهولة الأحداث إلى أن تولى الحكم ستوق بوغراخان (عبد الكريم).وكان والد ستوق بوغراخان واسمه بارخان قاراخانا في زمانه وتوفي بارخان في عام ٣٠٢هـ وكان ابنه ستوق تكين طفلا صغيرا فخلع بارخان ولاية عهده لأخيه ىيسين بوغراخان ، وبعد وفاة بارخان بوغرا قاراخان جلس ولي عهده وأخوه آيسين بوغرا على عرش البلاد .

وكانت لبارخان بوغرا قاراخان وصية لأخيه بان يولي ابن بارخان بوغرا أمير ستوق تكين وليا لعهده، فنفذ آيسين بوغراخان وصية أخيه وولى ابن المتوفى بارخان الأمير ستوق تكين بوغرا ولاية العهد، واستنادا على عادات وتقاليد الأتراك تزوج آيسين بوغرا خان بارملة أخيه، وهي أم الأمير ستوق تكين بوغراخان، وفيما بعد فكر آيسين بوغراخان أن يعفى ستوق تكين عن ولاية العهد وينصب ابنه وليا للعهد ، وكان ستوق تكين أميرا ذكيا وفطنا على

عواقب الأمور، وعندما بلغ عمره العشرين أسلم وكتم إسلامه عن الأسرة المالكة .

انتشار الإسلام في تركستان الشرقية...

قبل تأسيس دولة القاراخانيين عم الإسلام عموما في تركستان الغربية من أدناها إلى أقصاها، ومنذ القدم كانت الروابط الاقتصادية والوحدوية فيما بين تركستان الشرقية والغربية ، وبالتالي كانت رابطة الزواج والقرابة والتجارة والتزاور فيما بينهما رائجة للغاية ، وبهذه الأسباب والوسائط تسرب الإسلام وانتشر أو كاد في تركستان الشرقية في القرن الهجري الثالث ، ورويدا رويدا بدأ العلماء والمفكرون المسلمون الذهاب إلى تركستان الشرقية بصفة تجار ويقومون بالدعوة إلى الإسلام دينا وعقيدة وأسلوب حياة ، وقد أثمرت مساعيهم بصورة جيدة ، وبهذا تقوى الإسلام وانتشر أو كاد في تركستان الشرقية

دون الأسرة المالكة القاراخانيين وعلية أعيان البلاد لم يسلموا بعد ، وفي رواية أن نصف الأهالي من كل من مدينة كاشغر وبالاساغون قبلوا الإسلام وأسلموا في ذلك القرن الثالث الهجري.

وفي عام ٣٢٠هـ الموافق عام ٩٣٢م تحركت قافلة تجارية منتسبة إلى السامانيين حكومة بخاى آنذاك يرأسها عالم كبير تحركت هذه القافلة إلى تركستان الشرقية عن طريق مدينة أوزكنت فمدينة تورغات قاصدة منطقة

آرتوج التابعة لولاية كاشغر ، وصادف أن صلى رجال القافلة إحدى الفرائض الخمسة على الطريق العام فصادف أن مر بتلك القافلة المير ستوق تكين خان مع رفاقه ، وكانوا في رحلة صيد فرأوا الناس يصلون وعرف الأمير ستوق بوغرا أنهم مسلمون ، وكان الأمير ذو بصيرة نيرة فانتظر مع رفاقه إلى أن انتهوا من الصلاة، وكان إمامهم الشيخ أبونصر الساماني فتقدم المير إليه وسأله عن حقيقة الإسلام فقام الشيخ ببيان حقيقة الإسلام مجملا وتفصيلا خير بيان فتأر ستوق تكين خان بذلك فتفضل الأمير بدعوة الشيخ المكوث بمدينة ءارتوج أياما عدة وأسلم الأمير ستوق بوغراخان سرا مع بعض رفاقه ثم دعا بعض خلصائه وحراسه إلى الإسلام فأسلموا ثم طلب لنفسه ود من أسلم من أهل البلاد وصداقتهم وأن يكونوا قريبين إليه، وبعد شهور خمسة بلغ عدد من أسلم من الشباب ما يزيد عن مئات الشباب المسلم فكونوا تنظيما فسلحهم الأمير ستوق تسليحا كاملا، وسبق أن سمى الشيخ أبو النصر الساماني الأمير ستوق بعبد الكريم، ثم بدأ ستوق بوغرا بتسريب شبان التنظيم إلى داخل مدينة كاشغر وقد جعلهم الأمير ستوق خلايا مكونة عن عشرة أو عشرين أو ثلاثين ، وعين لكل خلية منهم مهمة وذلك بقصد القيام بالهجوم ساعة الصفر على المراكز الحكومية والمعسكرات وشخصيات عديدة كل خلية حسب مهمتها ، وتعين الهجوم لليلة معلومة ومن الليل بساعة معلومة ، وبعد هذه التخطيطات المحكمة تقدم الأمير ستوق تكين بوغرا إلى مدينة كاشغر مع أربعين شابا من خلصائه وحرسه ونزل ضيفا على زوج أمه آيسين بوغراخان

ومع الساعة المحددة ليلا داهم الأمير ستوق مع رفقائه الأربعين غرفة نوم آيسين بوغرا خان وأخذه أسيرا واختار من رجال السراي بعضهم أسرى وبعضهم للإعدام فأعدمهم ، وكذلك الخلايا الموكولة إليها الهجوم على المراكز المعلومة أدت مهامها على أحسن وجه، حيث استولى ستوق تكين على مدينة كاشغر العاصمة في تلك الليلة ، وفي الصباح الباكر تقاطرت جموع المسلمين وهم نصف السكان في المدينة تقاطرت على السراي الملكي مقدمين أنفسهم لأي مهمة وأمر، وفي غضون ثلاثة أيام كون ستوق تكين قوة كافية من شباب مسلمي مدينة كاشغر العاصمة، وقبلت جميع أهالي كاشغر ولاية ستوق بوغرا خاقانا عليهم وعندما استقر حكمه في البلاد أعلن نفسه

قاراخانا على البلاد والعباد وخلع لنفسه لقب بوغراخان،بوغرا تعني البطل،ثم قام بدعوة من لم يسلموا إلى الإسلام وبدعوته هذه أخذ افسلام ينتشر في كل من مدينة كاشغر وياركند وأوج وبالاساغون ومنطقة بارسغان إسيق كول(البحيرة الساخنة)وفي دولة قارلوق التركية انتشر الإسلام بدون أي عائق .

وكانت هناك في تركستان الغربية دولة سامانية مسلمة ساعدت في الخال تركستان الشرقية ممثلة في قاراخانها ستوق بوغرا خان المسلم وفي نشر الدعوة الإسلامية فوصلت إليه مساعدات كثيرة ، وبجانب ذلك أتى إلى كل من مدينة كاشغر وبالاساغون علماء ومحدثون لتعليم الناس علوم الدين ونشرها بين الهالي ، وسبق أن قلنا إن ستوق بوغرا قاراخان بعد ما أسلم سمي بعبدالكريم ،

حيث نرى في وجه الهملات المعدنية التي سكت في عهده وقد كتب عليها كلمة ستوق عبدالكريم وترون عينة من هذه العملة في متحف بترسبرغ .

غزوات ستوق عبدالكريم بوغرا قاراخان...

منذ إسلام ستوق بوغرا قاراخان عام ٣٢٠هت الموافق ٩٣٢م أعلنت دولة إديقوت الأويغورية وخانية خوتان وكوجا وأويغور الصفر التي لم يدخلن في افسلام ولم يسلم أهلها فأعلنوا استقلالهم عن اتحاد دولةالقاراخانيين وكذلك حكام قبائل كل من أوغراق وياغما وتوخسي أعلنت العصيان وشق عصا الطاعة لقاراخان، وكانوا دائما في حرب معها وثورات وسفك الدماء ، وكان أهالي تلك البلدان بوذيين، وبالمقابل كان ستوق بوغراخان عبدالكريم مشغولا بإرسال الجيوش عليهم ومحاربتهم دون هوادة ، وفي حملته على خوتان تولى بنفسه قيادة جيشه وكانت هناكحروب دامية واحتمى الهالي وجيش حكومة خوتان بسور المدينة وحاصرها جيش المسلمين وطالت مدة الحصار لزمن طويل حتى قيض الله لها أحد أبطال خوتان فأسلم هذا البطل وأثار ثورة عارمة في داخل المدينة ، وبدعوته الأهالي إلى الإسلام أسلم منهم خلق كثير ففكوا الحصار عن المدينة ففتحها ستوق بوغراخان .

ثم فتح ولاية كوجا ، وبالرغم ذلك لم يدخل الهالي في الإسلام في كل من مدينة ختاتان وكوجا وكانوا في الديانة البوذية إلا قلة قليلة منهم قبلوا الإسلام

ثم وجه ستوق عبد الكريم بوغرا قاراخان حملة على دولة إديقوت الأويغورية وقسم من جيشه توجه عن طريق الشمال إلى منطقة إيلي وقم آخر عن طريق قاراشهر قوجو ودارت رحى الحرب بين ستوق

بوغرا ودولة إديقوت الأويغورية بضراوة وشراسة مخيفة ولمرات عديدة حتى تغلب ستوق بوغرا عليها واستسلمت الأخيرة بشروط أولها أن تبقى حكوماتها مستقلة استقلالا ذاتية الحكم ، وأن تبقى هي ورعاياها في ديانتهم البوذية القديمة وترجع إديقوت كدولة تابعة لدولة ستوق بوغرا قاراخان فقبل ستوق هذا الشرط .

وأما حكومات قبائل ياغما وتوخسي وأوغراق التركية فخضعت على التوالي لسيادة ستوق بوغرا قاراخان بعد حروب ومقاومات عدة ، وكان في تلك الحروب ابن الشيخ أبي النصر الساماني واسمه عبدالفتاح مشاورا دينيا ووزيرا لستوق بوغراخان ضمن حاشيته ، وحاذ عبدالفتاح شهرة وعلو مرتبة وأصبح مرجعا دينيا ومنحه ستوق بوغرا قاراخان لقب آليب تكين بمعنى الغازي ، وكان هذا أعلى رتبة في الدولة .

موسى بوغرا قاراخان...

دام ستوق بوغرا قاراخان في حكمه لمدة ٢٢ عاما حيث توفي ٣٤٤هـ الموافق ٩٥٥م وخلفه ابنه موسى بوغرا قاراخان،وعندما ان\تشر نعي ستوق عبدالكريم بوغرا قاراخان أعلنت خانية خوتان ودولة غديقوت عصيانا على

دولة القاراخانيين فتوجه موسى بوغرا قاراخان بجيشه إلى ولاية خوتان فاخضعها لطاعته، ثم جهز جيشا كبيرا ووجه إلى قبائل أويغور القاطنين في وادي إيلي بقيادة آليب تكين غازي وفتحها عنوة بعد حروب ، وكانت هناك معابد بوذية كثيرة فدمرها تدميرا كاملا وطرد الأويغور الذين لم يسلموا وكانوا قاطنين في وادي منكلاق طردهم منها وأسكن فيها الأتراك المسلمين ، وبعد ذلك بسنتين أو ثلاثة أرسل جيشا بقيادة آليب تكين غازي إلى قوجو حيث دولة إديقوت الأويغورية عن طريق قاراشهر كنكيت ففتح آليب تكين غازي ولايةقاراشهر كنكيت فتوجه إلى دولة إديقوت الأويغورية في قوجو وصارت حروب دامية ومواجهات قاسية وشرسة ، ثم تغلب جيش الإسلام على دولة غديقوت وانتصر عليها ، ولكن أرباب الدولة والهالي أخلوا منطقة قوجو وهربوا إلى الشمال من جبال تنغري تاغ تيانشان ووصلوا مدينة باش باليق (أورومجي) واتخذوها عاصمة لهم واستحكموا في ممراتها الجبلية وضواحيها استحكاما منيعا،وبعد فتح قوجو مركز دولة إديقوت الأويغورية توجه الغازي آليب تكين إلى ولاية بش باليق ووقعت معركة دامية في مداخل ومخارج ووديان الجبال وفي القرب من مدينة باش باليق ، واخيرا انهزم ىليب تكين غازي ثم جرح وقتل شهيدا في إحدى المعارك الحامية وتشتت جموع جيشه وانسحبوا خاسرين من معركة منطقة نان سان فاستعادت دولة إديقوت منطقة قوجو مركزهم الصلية وكنكيت (قاراشهر) ودفن جثمان آليب غازي تكين في منطقة نان سان ولم يزل ضريحه حتى الآن.

هارون بوغرا قاراخان...

توفي موسى بوغرا قاراخان عام ٣٧٢هـ وخلفه أخوه هارون بوغرا قاراخان وجلس على عرش البلاد ، وكان هارون بوغرا قاراخان رجلا ذكيا ومدبرا للغاية ولم يمض على اعتلائه العرش إلا قليلا حتى استعاد حكمه وبسط سيادته على دولة إديقوت الأويغورية وبصورة قطعية وبدون شروط، ولم يشذ عن طاعته حانية أو أمير قبيلة أوشيخ عشيرة واستتب الأمن والآمان في كل مناطق الدولة شرقا وغربا ، ثم شكل هارون بوغرا قاراخان جيشا كبيرا منمسلمي البلاد وغير المسلمين منهم وكان هذا الجيش في غاية التنظيم والانضباط ذات قوة قتالية عالية ، فأحس هارون بوغرا في نفسه بأنه قد آن الأوان للفتوحات القادمة والتوسع الكبير في مساحة دولته.

انضمام تركستان الغربية إلى دولة القاراخانيين...

إن دولة السامانيين الأتراك الذين يحكمون على تركستان الغربية وبلاد الفغان وإيران وعاصمتها بخارى كانت تعيش آنذاك حياة لالضعف والانحلال والانقراض ، حيث إن الإماراتوالخانات التابعة لها كانت تعيش حياة الاستقلال الذاتي وبدون الانصياع لأوامر وتوجيهات المركز في بلاط بخارى، ومن ضمنهم حاكم مدينة غزنة الأمير ساووق تكين (سبكتكين) احتل مساحة كبيرة وواسعة من أراضي أفغانوأراد أن يشكل قوة عسكرية ضاربة

ويغزو الهند ، ومع ذلك بدأ سبكتكين يتدخل في شئون وإدارة المركز في بخارى تدخلا سافرا .

وحالما عرف هارون بوغرا تلك الأوضاع السائدة في دولة السامانيين الأتراك في الغرب الآخذة في الأفول طمع في وراثة الدولة السامانية عاصمتها مدينة بخارى فتوجه بجيشه الجرارة إلى تركستان الغربية عام ٣٨٣هـ أو عام ٣٨٤هـ واستولى على مدينة فرغانة ثم اجتل سمرقند ثم اتجه إلى منطقة بخارى، وكان الأمير نوح على رأس دولة السامانيين فتغلب عليه وتحصن الأمير نوح بن سامان في مدينة بخارى

خلف الأسوار فحاصرها الخاقان حصارا شديدا وطالت مدة الحصار حتى عجز الأمير نوح عن الدفاع فهرب سرا منى بخارى واجتاح نهر أوجوز (سير دريا) ووصل إلى مدينة آمل واتخذها عاصمة له ولحكمه، واحتل هارون بوغرا قاراخان مدينة بخارى وضواحيها من دون قتال واتخذ مدينة سمرقند مركزا لحكمه على منطقة تركستان الغربية وهي ما وراء النهر وعلى التوالي استولى على خانيات وإمارات ما وراء النهر كلها، وبهذه الصورة أقام هارون بوغرا قاراخان في سمرقند ثلاث سنوات كاملة حيث أصابه مرض لموت فأسرع عائدا إلى مدينة كاشغر ولكن لم يمهله المرض وتوفي في طريقه إلى مدينة كاشغر وذلك عام ٣٨٧هـ .

وعندما أراد هارون بوغرا قاراخان الرجوع إلى كاشغر عين ابن أخيه موسى بوغراخان على تكين خان حاكما عاما على تركستان الغربية وملحقاتها

ومنحه لقب إليك خان تعني ننائب الملك او ملك وبهذه اللهجة تعني إيلخان كلمة تركيةتعني شاه بالفارسية رتبة ملكية ، ومنذ بوقاخان القديم كان يمنح لحاكم أو لأمير منطقة شمال تنغري تاغ (تيانشان)مرتبة [٤]إليك خان تكين مرتبة ملكية او أمير من أسرة مالكة يجب ان يكون إليك خان من أسرة الخاقان برتبة إليك خان ، ولما منح على تكين خان لقب إليك خان في مناطق ما وراء النهر أصبح هناك اثنان من إليك خان، إليك خان الغرب تركستان الغربية وإليك خان الشمال (مناطق شمال تنغري تا غ) .

ومنذ أن هرب الأمير نوح بن سامان من مدينة بخارى إلى منطقة آمل بدأ يطلب المساعدات اللازمة من أمراء منطقة تركستان الغربية وفرغانة ومن هذه الجملة طلب من رئيس عشيرة سلجوق سلجوق سوباشي وكانت هذه العشيرة وحاكمها رئيسهم يعيشون في منطقة جندالواقعة على ضفاف نهر سير دريا من روافده الشرقية المنتهية ، ولكن هؤلاء كانوا مشغولين بأمورهم الداخلية وبعضهم وهم الأكثرية يخافون من قوة قاراخان الترك فلا يستطيعون مد يد المساعدة إليه .

ولكن عندما بلغ للأمير نوح نعي قاراخان الترك أراد أمير نوح بتجهيز جيش للهجوم على منطقة بخارى وفعلا استعد الأمير وصادف أن أتى لمساعدته ابن سلجوق سوباشي الأمير أرسلان بك بجنود كثيرة مجهزة فاجتاح أمير نوح بهذه القوات نهر سير دريا وهجم على منطقة بخارى وتصادم مع

قوات على تكين إليك خان وهزمها ، وبمساعدات من أهل بخارى استعاد بخارى بخسارة بسيطة وأعاد عاصمته بخارى إلى ملكه .

ثم أراد على تكين خان المهاجمة على منطقة بخارى ضد الأمير نوح بن سامان وعندما سمع الأمير نوح الخبر طلب من الأمير ستوق تكين المساعدة فتجاوب عليه الأخير وأرسل جيشا كبيرا وهذا الجيش بالقرب من مدينة بخاى سرعان ما أخاف الأمير نوح من خيانة ستوق تكين عليه ، وفي الحال أرسل وزيره عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز إلى بلاط على تكين إليك خان في سمرقند يطلب الصلح معه وأجاب على تكين طلب الأمير نوح بن سامان ، فأخبر بالأمر إلى ستوق تكين وقال : نحن تصالحنا مع على تكين خان فلا داعي للحرب فعليه نرجو رجوع جيشكم إلى غزنة وشكرا، وبموجب ذلك أبدى ستوق تكين رضاءه بالمصالحة ورجوع جيشه إلى غزنة ، وبهذه المصالحة اصبحت صحراء قطوان حدا فاصلا بين بخارى وسمرقند على ان يكون الشرق منها لسمرقند والغرب لبخارى .

يوسف قدرخان قاراخان..

وبعد وفاة هتارون بوغرا خان خلفه ابنه وولي عهده يوسف قدرخان أو يوسف تكين قدرخان وجلس على عرش القاراخانيين ، وكلمة قدرخان صفة له وقكلمة قدر تعنى القادر والمقتدر وليست كلمة عربية تعني القدرة والمعنى الاصطلاحي لقدر تعني ذو نفوذ راجعوا ديوان لغات الترك باب القاف، وبعيد

تولي يوسف قدرخان الحكم في عرش القاراخانيين الترك وفي عام ٣٨٧هـ توفي المير نوح بن سامان ملك منطقة بخارى وخلفه ابنه منصور ساماني في الحكم ، في هذه السنة بالذات توفي الأمير ستوق تكين بالقرب من منطقة بلخ وخلفت الوفاة حروبا دامية بينهوبين ابنيه إسماعيل ومحمود ، ومحمود هذا هو الشهير بالسلطان محمود الغزنوي وكانوا يتنازعون في السلطة.

وفي البداية كانت العلاقات بين إليك خان وبين الأمير منصور بن سامان حسنة جدا بموجب المصالحة القديمة ، ولكن الأمير منصور كان عديم اللياقة للسلطة ميالا للهو واللعب غافلا عن شئون إدارة الدولة، فسقط الأمير عن نظر أعيان البلاد وأركان الدولة فأرادوا أن يبعثوا هيئة موقرة إلى يوسف قدرخان عارضين البيعة له وطلبوا منه ضممنطقة بخارى في دولة الترك السنية فقبل مقام العالي البيعة ورحب بالطلب وكان كبار المنشقين الوزير عبدالله بن محمود بن عبدالعزيز والقائد العسكري فائق وكانت الهيئة المختارة برئاسة أبي منصور الإسبيجابي ، وكان قصدهم خلاص منطقة بخارى من الأمير منصور بن نوح الساماني ، فأرسل الخاقان يوسف قدرخان إلى علي تكين إليك خان يأمر فيه بالهجوم على بخارى ، وبينما كان إليك خان في الاستعداد للهجوم على بخارى هرب المنشقون الوزير عبدالله بن محمود بن

عبدالعزيز والقائد فائق وأبي منصور الإسبيجابي إلى سمرقند بلاط إليكخان طالبين الأمن والأمان لأنفسهم ، وعند مباشرة الهجوم على بخارى من قبل غليك خان طفح ريح الخيانة من الوزير عبدالله ومن المنصور الإسبيجابي

فقبض عليهما وأودعا في السجن وأرسل فائق ثلاثمائة جندي غنذارا على بخارى ثم قام هو بنفسه بجيوش لا قبل لها إلى بخارى وعندها هرب المير منصور بن نوح من بخارى واجتاز نهر اوجوز (سير دريا) وعندما وصل القائد فائق إلى بخارى لم يجد من يدافع عن بخارى فأراد أن يصير أميرا لبخارى وأخذ عدة الدفاع عن إليك خان ، ومن جهة ثانية ارسل رسولا إلى الأمير منصور بننوح وطلب منه ان يعود إلى بخارى ملكا فقط دونما نفوذ يذكر وأن يبقى ويكون الحكم في يد فائق حاكما عاما ورضي بذلك منصور وعاد إلى بخارى ، وعند وصول هذا الخبر إلى إليك خان في طريقه إلى بخارى قفل راجعا إلى سمرقند، وغن الأمير منصور بن نوح وقائده وحاكم بخارى ارادا الاستيلاء على مملكة الغزنة بالاستفادة من تناوشات الأخوين إسماعيل ومحمودالغزنوي أبناء ستوق تكين الغزنوي على السلطة ، وجهزا جيشا لا باس به بقيادة بك توزون بأمر الهجوم على خراسان وعيناه واليا عاما على خراسان إذا احتلها، ولكن قبل أن يدير بك توزون أمره انتصر محمود الغزنوي على أخيه اسماعيل وامتلك السلطة وقلد لنفسه لقب السلطان محمود الغزنوي وجلس على عرش أبيه سووق تكين وكون جيشا كبيرا ضاربة ودخل في الحرب مع بك توزون فقدم الأمير منصور وقائده فائق بجيوش كبيرة إلى خراسان ودخلا فيها وبعد حروب دامية بينهما وبين السلطان محمود الغزنوي انهزم الأخير واحتل خصومه منطقة خراسان ، ثم بعدحين اعترى شكوك في الأمير منصور لدي فائق وبكتوزون فألقيا القبض على الأمير منصور بننوح وجرداه منسلطته وحبساه وأتيا بأخيه

عبدالملك بننوح ليكون أميرا على بخارى وضواحيها واتخذوا مدينة بلخ مركزا لهذه المنطقة وكان عبدالملك طفلا صغيرا .

ثم تقوت القوة العسكرية للسلطان محمود الغزنوي وقام بهجوم كاسح على منطقة خراسان وتغلب على جنود فائق وبكتوزون وعبدالملك بن نوح بن سامان فهزم الثلاثة وهرب ثلاثتهم بجنودهم إلى بخارى حيث أعاد السلطان محمود الغزنوي منطقة خراسان إلى حكمه، وبعد مدة بسيطة توفي فائق ولأجل صغر سن عبدالملك بدأت اضطرابات في منطقة بخارى ، وكان إليك خان ينتظر فرصة مثل هذه فجهز جيشا متكاملا وتوجه إلى بخارى لفتحها وضمها إلى مملكة القاراخانيين.

انهيار دولة السامانيين..

وعندما اقترب إليك خان بجنوده على بخارى تصدى له بكتوزون بجوند قليلة ليدافع عن مدينة، بخارى ولكنه انهزم تجاه قوة ضاربة ووقع بكتوزون وكثير من السامانيين اسرى في يد غليك خان، وفي العشر من شهر ذي الحجة عام ٣٨٩هـ دخل غليك مدينة بخارى بدون مقاومة تذكر وكان يوم عيدالمسلمين عيد الأضحى المبارك ونزل إليك خان في قصر الأمير وأعلن في البلد المن والمان ، وكان الأمير عبدالملك مختفيا فأرسل إليك من يتعقبه حتى وجدوه بعد بحث طويل وأمر غليك بشأنه اقفامة الجبرية في مدينة أوزكنت ،

وبهذا انتهت دولة السامانيين التي عاشت مائة وثمانية وعشرين عاما ، وكانت دولة تركية محمودة حيث خدمت للإسلام دينا وعقيدة وللبيان علما وأدبا.

وبهذا الفوز الناجح امتلك إليك خان جميع مناطق ما وراء النهر ،÷ وكانت هناك صداقة حميمة بينه وبين السلطان محمود الغزنوي وقد عرف مجرى نهر آمو دريا فاصلا حدوديا بينهما . (انظر الخريطة رقم ١٤) وفي عام ٣٩٠ هـ الموافق ٩٩٨م أرسل قاراخان يوسف قدرخان مبعوثا من قبله إلى السلطان محمود الغزنوي يهنؤه بتأسيس دولة فتية باسم الغزنويين وطلب منه إبارم معغاهدة صداقة بين الدولتين الجارتين ، ورحب السلطان محمود الغزنوي بىمال وهمنئة قاراخان يوسف قدرخان ورحب بمبعوثه خير ترحيب باستقباله في البلاط السلطاني ، ثم شكل محمود الغزنوي هيئة رفيعة ومن اعضائها العالم القدير والمحدث الشهير الإمام ابو الطيب سهل بن سليمان الصعلوكي ووالي مدينة سرخس طغان جيق وتحت رئاسته راجيا عمق الصداقة بينهما والروابط الأسرية حيث طلب من قاراخان يوسف قدرخان تزويج السلطان من إحدى فتيات التركية القاراخانية ،وعندما تمثلت الهيئة في بلاط القاراخانيين ورحب بها خير ترحيب ، وبموجب التماس السلطان محمود الغزنوي أصدر قدرخان أمره الكريم بتجهيز أميرة من بلاط إليك خان في مدينة أوزكند وبناء على فرمان قدرخان جهز إليك خان الأميرة جيكل خاتون لتزويجها من السلطان محمود الغزنوي وقام بمراسم الزواج الملكي في مدينة أوزكنت وأرسلها إلى مدينة غزنة عاصمة السلطان محمود الغزنوي ، وبهذه الصورة الكاملة من

الصداقة والألفة دامت العلاقات بين البلاطين لمدة ست سنوات ، للفائدة نقول : إن الميرة جنكيل خاتون كانت ابنة غليك خان الشمالي طغان خان وهو أخ لعلي تكين غليكخان الغربي كما سبق توضيحه.

محاربة الأمير منتصر الساماني مع على تكين غليك خان..

هرب أحد الأمراء السامانيين واسمه اسماعيل بن إبراهيم بن نوح بن سامان الملقب بالمنتصر الساماني من سجن على تكين إليك خان في اوزكنت ، ووصل غلى بخارى سرا وألف هناك جمهرة من السامانيين ليشد ازره ويحارب على تكين خان لاستعادة بلد آبائه البخارى من حكم القاراخانيين ، وبعد جهد جهيد بكل السرية هاجم بخارى عام ٣٩١هـ هجوما مباغتا ، ولكن إليك خان أمد بخارى بجيش مكثف من سمرقند وانتصر الجيش على المنتصر وهرب الأخير إلى خراسان وهناك حارب مع واليها نصر وتغلب الأمير نصر على المنتصر وهرب الأخير من خراسان بالهزيمة واجتاز نهر اوجوز سير دريا إلى ما وراء النهر .

وفي عام ٣٩٣هـ هاجم منتصر على سمرقند بمساعدة قدمتها العشائر السلجوقية ولكنه انهزم وهرب، ثم غير منتصر تكتيكه وسعى إلى جمع أكثر عدد ممكن من أهل بخارى واستقطب لنفسه كل من ينتسب إلى السامانيين من أطراف بخارى ، وفي عام ٣٩٤هت هاجم على بخارى بمساعدة من

السلجوقيين ، وفي هجوم ليلي مباغت تغلب على الجنود المدافعين عن بخارى واحتلها ، وعندما سمع إليك خبر احتلال بخارى من قبل منتصر توجه غليها بجيش كاسر وعندما شاع خبر مقدم إليك خان إلى بخارى انسحب السلاجقة بجنودهم من بخارى تاركين المنتصر بحاله وكانوا يخافون من إليك خان ، واستسلم القائد العسكري للمنتصر أبو الحسين الطاق بخمسة آلاف من جنوده إلى إليك خان وضعف عساكر المنتصر تجاه هذا الوضع فهرب بجنوده من بخارى فطارده غليك خان وفي القرب من نهر اوكوز التقى الجيشان وتصادما وانهزم المنتصر وأسر إليك خان خلقا كثيرا من السامانيين ولم يبق مع المنتصر إلا عدد قليل من حرسه واجتاز بهم نهر اوجوز وهرب إلى خراسان.

ومع ذلك كان منتصر يهاجم تارة على مملكة السلطان محمود الغزنوي وتارة أخرى على سمرقند فيما وراء النهر لخلق البلبلة وعدم الاستقرار في البلاد فأراد السلطان محمود الغزنوي أن يقضي نهائيا على المنتصر وحركته العدائية فاحكم الثغور بتكثيف الجنود فيها وعلى امتدادها فجعله غير آمن للمنتصر في حله وترحاله، وأخيرا ارد منتصر افياب إلى ما وراء النهر فاجتاز خفية نهر أوجوز فانتبه المرابطون على الحدود من جنود إليك خان فارادوا أن يمسكوا به وقبضوا على عدد من السامانيين الأمراء ، وكان المرابطون في الحدود تحت قيادة القائد صافي بك وزميله سليمان وهرب منتصر متنكرا ونجا من قبضة المرابطين التراك ولجا إلى صحراء قاراقورم ، وكان بها زمرة من المهاجرين العرب الرحل في رعاية شيخهم ابن بهيج ، وكان رجلا فطنا عالما

بعواقب الأمور حيث قتل ابن هيج المنتصر في مضجعه وذلك عام ٣٩٥هـ الموافق ١٠٠٤م .

المحاربة بين علي تكين إليك خان وبين السلطان محمود الغزنوي..

في عام ٣٩٦هـ الموافق عام ١٠٠٥م نشبت مصادمات بين حرس الحدود من طرف إليك خان وحرس الحدود من طرف الصلطان محمود الغزنوي بالهند في غزواته هناك، وكان ينوب عنه في غزنة شخص اسمه أرسلان بن جاذب وجرى على أثر ذلك مكاتبات بين الدولتين ، وفي مكتوب أرسلان جاذب عبارات تهديد جارحة ، وكان أرسلان جاذب يدير شئون البلارد بالنيابة فحصلت جفوة وبرودة بين الطرفين ، وبهذا السبب وقعت محاربة بين الطرفين فأرسل علي تكين خان وساق جيشا على فرقتين لبلاد السلطان محمود الغزنوي ، الفرقة الأولى تحت قيادة ابن اخيه جغري تكين عن طريق بلخ ، والفرقة الثانية تحت قيادة الأمير القاراخاني سوباشي تكين إلى خراسان ، فاجتاز جغري تكين بعساكره نهر أوجوز قاصدا البلخ واحتلها حتى سلسلة جبال هندوكوش ، واما سوباشي خان فكسح مدينة مرو ثم هرات فاكثر مدن خراسان، فقام أرسلان جاذب وأحد وزراء السلطان محمود الغزنوي ابو العباس فضل بن محمد بتجهيز جيوش كثيرة ووزعوه على طرق بلخ وهرات وأخبرا بالأمر السلطان محمود الغزنوي في الهند ، وعندها ترك السلطان الغزو في الهند كما هي ورجع مسرعا إلى غزنة ، وفضلا عن قواته أخذ من قـبائل

الأفغان جنودا كثيرة وجمعهمتحت رايته ووصل إلى مدينة كابول ومنها توجه إلى سلسلة جبال هندوكوش ومسحها ثمهاجم على مدينة بلخ ، وكان فيها حعفر تكين وخاف من جنود السلطان الكاسح فاخلى المدينة ورجع إلى مدينة ترمذ بعد اجتيازه نهر أوجوز شرقا وتمركز هو وجنوده، وأرسل السلطان محمود الغزنوي نائبه أرسلان جاذب بعشرة آلاف جندي إلى خراسان ليحارب المير سوباشي خان هناك ، ودارت رحى الحرب هناك بينهما عدة مرات وبضراوة شديدة ولكن انهزم الأمير سوباشي خان امام خصمه ارسلان جاذب وجنوده العشرة آلاف ، ثم عاد وانسحب من الميدان ، وكان للسلطان محمود الغزنوي قائدا عربيا اسمه أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الطائي فتصادم هذا القائد مع الأمير سوباشي خان وكان له أخ شقيق في الجيش أسره القائد العربي مع سبعمائة من جنوده بعد قتال عنيف ، ورجع سوباشي خان إلى مدينة بخارى بجنوده الباقين ، وفي أثناء ذلك أرسل إليك خان إلى جغري تكين جيشا قوامه اثنتا عشر ألف جندي وأمره أن يهاجم على بلخ فسرعان ما رجع جغري

تكين بهذه الجنود إلى مدينة بلخ وحارب مع السلطان محمود الغزنوي وتغلب عليه واحتل مدينة بلخ،ولكن صادف في هذا الوقت قدوم أرسلان جاذب من خراسان بعد انتصاره على سوباشي خان فأمد السلطان محمود الغزنوي بجنود من عنده فتقوى جانب السلطان محمود فتغلب على الأمير جغري تكين وجنوده واعاد مدينة بلخ إلى حكمه فرجع جغري تكين بجنوده

وعبر نهر اوجوز بانتظام ووصل إلى ترمذ واستقر بها ، وبهذه الصورة انتهت الحرب بين إليكخان والسلطان محمود الغزنوي وذلك عام ٣٩٧هـ الموافق ١٠٠٦م .

المحاربة يوسف قدرخان مع السلطان محمود الغزنوي..

بعد الحروب والواقعات الفسابقة بدأ يوسف قدرخان بتكثيف الجنود على امتداد الحدود بينه وبين السلطان محمود الغزنوي فصدر قرار من قاراخان يوسف قدرخان بالحرب مع السلطان محمود الغزنوي، ففي أول عام ٣٩٨ هت الموافق ١٠٠٧م تحرك قدرخان قاراخان من مدينة كاشغر وأصدر فرمانا على إليك خان الشمالي طغان خان بالتقدم إلى سمرقند بالجنود والعتاد الحربي الذي لديه ليأتيه في سمرقند وينضم إلى حملة يوسف قدرخان قاراخان على مملكة السلطان محمود الغزنوي ويأخذ معهم على تكين إليك خان من سمرقند بجيوشه ، فاجتمع عنده قوة ضاربة قوامها أكثر من خمسين الف جندي فاجتاز نهر أوجوز بهذه القوة الهائلة ووصل غلى بلخ واحتلها ، والحالة هذه تقدم السلطان محمود الغزنوي بسيل من الجنود ومعه خمسمائة فيل متجها البلخ ، ووصل إلى حرة كتر التي تبعد عن بلخ بثمانية أميال، فتحرك يوسف قدرخان إلى جهة نزول السلطان محمود الغزنوي بكامل قواته العسكرية ووصل غلى حرة كتر تجاه قوة السلطان محمود بتعبئة عسكرية ، وأخذ صفوفا عسكرية فكان يوسف قدرخان في القلب وعلى تكين إليك خان في الميمنة وجغري

تكين خان في الميسرة ، واما السلطان محمود الغزنوي ففي القلب وجعل اخاه النصر ووالي منطقة جرجان فريغوني في القلب وجعل القائد ىلتون طاش في المقدمة أوالميمنة والقائد أرسلان جاذب في الميسرة واصطف الأفيال الخمسمائة في الأمام كسترة واقية على الجنود وكاستحكامحربي وبدات الحرب بهذا الشكل المدهش بين القوتين الضاربتين ، وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني لعام ٣٩٨هـ الموافق ١٠٠٨م وفي بداية الحرب تضررت جيوش الأتراك من هجمات الأفيال وخلقت إحراجا واضطرابا في صفوف جنود التراك ، ولكن جنود على تكين إليك خان هاجموا على الفيلة وشردوهم تشريدا ، وكان عدد هذه المفرزة خمسمائة جندي ثمهاجمت هذه المفرزة جناح القلب من جيش السلطان محمود الغزمويهجوما كاسحاوانهزم جيش السلطان بهذه الضربة القاضية ، غير أن السلطان محمود جعل الاحتياطي من جنوده في الخلف تحت غدارته فقام السلطان بتحريضهم وبتشويقهم على القتال فقام الاحتياطي بتكافل وتعاضد بالهجوم على قوات على تكين خان وألحق بهم هزيمة قاسية فتقهقرت قوات على تكين خان إلى الوراء ، وفي المساء قام السلطان محمود بتنظيم جيشه وفي مقدمتهم الفيلة وهجم القلب من جيش يوسف قدرخان فترنح عدد من أفراد العلمدارية من جراء هجوم الفيلة عليهم، وكانطغان غليك قائدا لاحتياطي يوسف قدرخانفخاف طغان إليكخان من سقوط العلمدارية وانسحب من المعركة آخذا الاحتياطي معه ، ولما رأى يوسف قدرخان حالة هروب طغان خان

بالاحتياطي وحصول فقدان النظام في الجيش كله أمر هو وعلي تكين خان برجوع الجنود إلى بلخ ، وعندما خيم الظلام في الليل جاء يوسف قدرخان وعلي تكين غلى مدينة بلخ بعد انتهاء الحرب، ثم تركوا البلخ وعبروا نهر اوجوز بانتظام وأمان، يجمع المؤرخون أن سبب الهزيمة هرب طغان خان بدون سبب يذكر ويتفقون عليه، ولكن بعض الروايات تقول إن طغان خان كان بينه وبين السلطان محمود الغزنوي اتفاق سري وعقد معاهدة صلح بينهما بصورة مكاتبات سرية، ولذا ترك طغان خان المعركة بهذا السبب دون علم يوسف قدرخان.

وبسرور من السلطان محمود بالظفر هذا لم يفكر في مطاردة يوسف قدرخان تحسبا من الكمائن ولم يحرك ساكنا في حرةكتر حتى عبر يوسف قدرخانمن نهر أوجوز .

المصالحة بين قاراخان يوسف قدرخان وبين السلطان محمود..

وبصورة ما سبق انتهت الحرب بين السلطان محمود الغزنوي وبين قاراخان يوسف قدرخان، ولكن السلطان محمود الغزنوي خاف على مملكته من هجوم قاراخان يوسف قدرخان فيما بعد فبدأ يرسل مراسيله ومبعوثيه إلى كل من يوسف قدرخان قاراخان وعلى تكين غليكخان وأخيه طغان خان إليك يطلب منهم إبرام معاهدة صداقة بينه وبينهم ، غير ان يوسف قدرخان قاراخان رفض الطلب هذا ، ولكنه كان مجبلا للصلح اكثر من الحرب وكان

على تكين ميالا إلى الحرب ، غير ان طغان غليك خان قبل طلب السلطان الغزنوي في الصلح وعقد باختياره صلحا مع السلطان الغزنوي دون مشاورة مع قاراخان يوسف قدرخان ملك الدولة ، وكان يوسف قدرخان غير راض من طغان إليك خان لتركه ميدان الحرب وانسحابه بجنوده المر الذي تسبب في هزيمة يوسف قدرخان قاراخان وكان يعتب عليه،

وعندما عقد طغان إليك خان صلحا مع السلطان محمود الغزنوي وكأنه ملك الدولة غضب عليه غضبا شديدا فامر أخاه علي تكين إليكخان بالإغارة والهجوم على طغان خان تأديبا، ورحل علي تكين بجيوشه من سمرقند إلى بالاساغون وكان الوقت شتاء ، وعندما وصل هووجنوده إلى ولاية اوزكنت نزل البرد بكثافة مخيفة فلم يستطع أن يتقدم إلى جهة بالاساغون فمكث فيها في انتظار الربيع، وعندما سمع هذا الأمر محمود الغزنوي أرسل مبعوثا إلى يوسف قدرخان قاراخان في الوقت المناسب، وكان برفقة المبعوث مسودة معاهدة بالمصالحة بينهما بشروط مناسبة لقدرخان وطلب السلطان محمود من يوسف قدرخان العفو عن خطأ طغان إليك خان ورأى يوسف قدرخان مسودة المعاهدة ولياقتها لرأيه فقبل ذلك وعفا عن طغان خان ، ثم أمر علي تكين بالرجوع إلى سمرقند فرجع علي خان من مدينة أوزكنت إلى سمرقند بجيوشه، وبعدهذه الواقعة استمرت علاقة السلطان محمود الغزنوي مع قاراخان يوسف قدرخان باحسن ما يكون حتى الولاد منهم ومنخلفهما ، إليكم تفصيل ذلك فيما يلي:

المحاربة طغان خان مع قبائل خطاي الأتراك...

هاجم أكثر من مائة ألف فارس من أتراك قبائل خطاي هاجموا على تركستان الشرقية عابرينمن جبال آلتاي ، وفي عام ٤٠٨هـ الموافق ١٠١٨ م استولوا على منطقتي إيكي أوكوز (آلتاي الآن) وإيميل ووصلوا على ضفاف نهر إيلي في زحفهم ، وكان طغان إليك خان مريضا في هذا الوقت وكان يبكي متضرعا إلى الله كلما جاءه خبر هزيمة جيشه أمام هجمات الخطاي ويطلب من الله الشفاء التام ليجاهد بنفسه فشفاه الله من مرضه في ليلة واحدة ولم يمض وقت كثير حتى استعاد قوته على القتال فجمع جميع قواته العسكرية بافضافة على القوات المساعدة الآتية من قاراخان يوسف قدرخان من مدينة كاشغر فساق الجيش وحضر بنفسه ساحة القتال لملاقاة العداء ، ولكن عندما وصل خبر قدوم طغان خان بنفسه هرب فرسان الخطاي إلى الوراء فطاردهم طغان غليك خان حتى وصل إليهم في منطقة إيميل وقتل منهم خلقا كثيرا واسر أكثر من عشرة ءالاف نفس وطارد الباقين حتى اجتازوا سلسلة جبال آلتاي شمالا فرجع طغان خان إلى عرينه ، وغذا جئنا إلى الغنائم من المواشي والأموال فلا حصر لها ، وبعد هذا الظفر الميمون توفي طغان خان في مركزه بالاساغون وخلفه أخوه أرسلان إليك خان وجلس على عرش القسم الشمالي من تركستان، يكتبه المؤرخون العرب بأرسلان الأصم، ويكتب بعض المؤرخين أن محاربة خطاي الأتراك كانت في عهد أرسلان غليك خان هذا ، ولكن الرواية الأولى قول وكتابة أكثر المؤرخين ، نقول بصحة

ذلك وهو أقرب إلى الصواب ، وبهذه الهزيمة لدولة الخطاي صارت تدفع إتاوات سنوية بصفتها تابعة لدولة قاراخان التركي ، ودامت هذه التبعية مدة طويلة .

تحقيق في تسمية إليك خان..

في أكثر الكتب التاريخية يذكر دولة قاراخان التركية بدولة إليك ، ويذكر أيضا أنها كانت اقوى دولة إسلامية في زمانها ،ويذكر أيضا كل الواقعات التي مرت عليها دولة قاراخان التركية مفصلا ومجملا ، وهذا جميل جدا، غير ان تلك الكتب والكاتبين المؤرخين لم يعرفوا المقصود من كلمة أو صفة إليك خان هذا، وما هو هذا العنوان؟ ومن هم الذين اتصفوا بها ؟ وما هي مراكز حكمهم المتعددة؟ أم انهم شخصيات متعددة أمضوا أزمنةمتعاقبة ، أمهي عنوان لشخصية واحدة أوانها عنوان لشخصيةمؤسس الدولة ؟ لا يعلمها كثير من مؤرخي افسلام ، ولذا وقعوا في أخطاء جسام ، ونحن نذكر أقوالهم في الموضوع ونجري تحقيقا فيها فنذكر حقيقة تلكم الأخطاء وذلك حسب تحقيقنا في بحثنا هذا.يقول البيهقي في ص ٧٤٤ : أن غليك خان هو الحاكم لبعض مناطق ما وراء النهر توفي عام ٤٠٣هـ الموافق ١٠١٢م .

ويرد في كتاب عتبي ص ٢٩١ : أن إليك خان كان حيا حتى عام ٤٠٧ هـ . ويقول موسيا ساجو في كتابه تاريخ خوارزم ١٢/٢ : كانت كلمة

غليك خان لقب شخصية تولى حكم منطقة سمرقند وبخارى من قبل خاقان تركستان.

والبعض منهم ارباب الصفا يقول في ص ٧٧٧ويكررها في صفحة اخرى : أن اسم إليك خان المشهور في التاريخ علي تكين خان . ونحن نقول : إن علي تكينخان لم يكن خاقانا كما يظنه البعض ، وكان علي تكين خان من الذين تولوا ولاية بخارى في زمانه وهم إليك خانيون صفة ، وهم اخ طغان خان وابن أخ بوغراخان ومنمعاصري السلطان محمود الغزنوي وقاراخان يوسف قدرخان خاقان التركتوفي عام ٤٢٥م .

ويقول دائرة المعارف البريطانية في ص ٢٩٧ : إن على تكين كان ابن اخ والد يوسف قدرخان، وفي مجمع الأنساب يقول في ص ٤٦٢-٤٧٢ : أتى مبعوث إليك خان إلى حضرة السلطان محمود الغزنوي ويقول البيهقي: كنت حاضرا في المجلس سئل السلطان عن المبعوث: كيف حال أخي وصديقي إليك؟ وكان المبعوث او المقصود ابن علي تكين خان ، ويقول البيهقي قي ص ٤٢١ : إن أخ علي تكين خان بخاري طغان خان نازع عروش كل من يوسف قدرخان وإليك خان وحارب فيها حتى استولى على مدينة بالاساغون وذلك عام ٤١٤هـ وأعلن غلبته عليهم، ويقول البيهقي أن إليك توفي عام ٤٠٣هـ وذلك في ص ٦٥٥ وخلفه أخوه أحمد طغان خان عرش إليك خان، زوتوفي أحمد طغان خان عام ٤٠٨هـ وخلفه أخوه الأصغر ابو منصور ارسلان خان وزوج إحدى بناته من ابن السلطان محمود الغزنوي المير مسعود

الغزنوي، وتوفي مسعود ارسلان خان عام ٤١٤هـ فتنازع عرشه نفر من اقربائه منهم قدرخان حاكممدينة كاشغر وعلي تكين بخاري واخوه طغان خان وتغلب الخير عليهم بالقتال واستولى على بالاساغون عاصمة المرحوم أرسلان خان، ويذكر ابن الأثير في ٢/٢١٠ وكذلك عتبي في تاريخه في ص ٢٩٣-٢٩٤ ينقل ويذكر هين ما ذكره ابن الأثير .

وإن ستانلي فول في كتابه (شجرة حكام الإسلام) يضع تحت عنوان قاراخان فيهم ، وإليك خان الغربي وإليك خان الشمال وبصورة عشوائية يضع تواريخ حياتهم ومماتهم متداخلة وبدون تمييز وتواريخ جلوسهم العرش كذلك، وبهذا يرينا وجود عدة إليك خانيين في زمن واحد.

وهذا هو منبع اشتباه المؤرخين القدامى والمعاصرين منمؤرخي افسلام قديما وحديثا، وكذلكهناك كتب تاريخية إسلامية يقول : إن كلمة إليك خان اسم لأحدملوك التراك في ظنهم، وإن الكتاب التاريخيين في الإسلام لا يعرفون ولا يميزون ما هو قاراخان ؟ وما هو إليك خان؟ وفي الشئون والأحداث المتعلقة بهم يذكرونها بطرق عشوائية كما قلنا وبمنتهى التقديم والتأخير ، وبهذا الاعتبار لا نأخذ ولا نعري أي اهتمام بما كتبوه.

وما قدمناه سابقا من اشتباه المؤرخين جاء من عدم وجود معلومات لديهم عن دولة القاراخانيين وتاسيسها وماهيتها وعن تشكيلات دولهم ومتى شكلت ، وذلك أن اكثرهم لا يعرفون غنحكام تركستان الذين تمركزوا بمدينة كاشغر هم القاراخانيون ،ولا يعرفون عن طراز حكوماتهم ، وإن القاراخانيين من

الحكام هم الذين عينوا وأقاموا إليك خانيين في الغرب (تركستان الغربية وبلاد ما وراء النهر) وأقاموا إليك خانيين في الشمال وعاصمتها مدينة بالاساغون وهم بالتسلسل ولاة عامون .

وكانت لشكيلات دولة القاراخانيين أنظمة مرعية وبموجبها كان إليك خانيون يملكون اختيارات وصلاحيات فوق العادة بصفة ولاة عامون ، ولأجل أن المؤرخين المسلمين بالذات لا يعرفون ذلك بل يظنون إن إليك خانيين ولا مستقلون.

ونحن بموجب تحقيقاتنا المضنية أردنا تصحيح ذلك ووفقنا نسبيا لاستكشاف الأخطاء ومسح هذه الأخطاء عن أذهانهم، ونبسط ذلك على القراء الكرام.

بعدما تقوت دولة القاراخانيين واتسعت رقعة بلادهم أنشأت لها مركزيني : المركز الأساسي مدينةكاشغر يبقى فيها قاراخان نفسه لإدارة البلاد والخانيات الموجودة في المدن الستة ، والمركز الثاني مدينة بالاساغاون يقيم فيها أحد أمراء القاراخانيين (تكين) الأمير بصفة نائب عن قاراخان واليا عاما له صلاحيات غير عادية يحكم ويدير الخانيات (الإمارات) التي في الشمال من تنغري تاغ (تيانشان) ويقال لهذا الوالي العام إليك خان أو يعرف هذا الوالي بهذا الاسم .

وعندما تولى هارون بوغراخان القاراخان استولى على تركستان الغربية وعين ابن اخيه الشقيق على تكين خان واليا عاما عليها ومنحه صلاحية إليك خان .

وبهذا صارت إليك خانية اثنتين كانت الأولى إليك خانية الشمال مركزها مدينة بالاساغون يحكم البلدان الشمالية من جبل تنغري تا ع والشرق من نهر سير دريا ، وأما المنطقة التي قالت العرب وسمتها بما وراء النهر فيحكمها قاراخان الترك إليك خان الغرب ومركزها سمرقند ، المنطقة تقع بين إينجة وأوجوز (نهر سيحون وجيحون).

ومن المؤرخين الذين سبق ذكرهم العتبي وابن الأثير وروايات ساجو ومن روايات البيهقس الأولى والثالثة يقصدون بها إليك خان الشمال ، وأما رواية روضة الصفا وما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية ورواية مجمع الأنساب ورواية البيهقي الثانية فيقصد بها إليك خان الغرب.

أول من اتصف بإليك خان الغرب على تكين خان الذي أسقط دولة السامانيين وصادق مع السلطان محمود الغزنوي ثم حارب معه ، وهو علي إليك تكين الذي قضى على يوسف قدرخان ، وهو الذي هرب من ميدان الحرب التي وقعت بين قدرخان وبين محمود الغزنوي، وهو الذي صادق مع أبناء سلجوق ثم صار عدوا لهم ، وهو الذي استولى على تركستان الغربية ثم خاف من جنود قدرخان وسلطان محمود الغزنوي ولجا إلى طاعة يوسف قدرخان، هذا هو علي تكين إليك خان .

ثم إن بعضا من المؤرخين المسلمين زعموا أن علي تكين خان وإليك خان شخصيتان مختلفتان، ويقول بعض المؤرخين إن على تكين شخصية من بخارى ومن رجال دولة السامانيين القدامى فهذا خطأ فاحش وقع فيه لعدم التمييز.

نقول إن منشأ الظن والشكوك والخطأ هذا منشأ واحد فقط ، وذلك عندما قضى على تكين على ولي نعمته يوسف قدرخان قاراخان فأطلق عليه اسم على تكين خان دون ذكر إليك ، وكذلك السلطان محمود الغزنوي يقول له علي تكين دون ذكر كلمة إليك لعدائه للسلطان محمود الغزنوي ولعصيانه على يوسف قدرخان قاراخان، بينما يوصمه الشائعات عن عصيانه ليوسف قدرخان باسم علي تكين، فالمؤرخونالذين لم يعرفوا هذه الحقيقة قالوا وكتبوا بشكل أن عيل تكين خان شخص وإليك خان شخص آخر حسب ظنهم، وهذه الظنون تناقلتها الألسن ونتجت عنها الخطا الشائع سالف الذكر.

عصيان كل من طغان خان وعلي تكين خان..

في عام ٤١٤هـ الموافق ١٠٢٣م توفي إليك خان الشمال أبو منصور أرسلان خان وخلفه طوغان تكين خان أحد أمراء القاراخانيين بتعيين من قدرخان خاقان الترك ، ولكن طوغان خان منذ يوم توليه الشمال بدأ يهمل فرمانات قدرخان وطاعته ، فقام قدرخان من مركزه بمدينة كاشغر بجيوشه إلى بالاساغون لتأديب طغان خان إليك فتصادم معه طوغان خان بوقاحة ولكن قدرخان خاقان الترك انهزم منه فترك بالاساغون وعاد غلى مركزه مدينة كاشغر.

وعندما علم إليك خان الغرب علي تكين خان ضعف قدرخان أمام طغان خان إليك الشمال طمع في غقصاء قدرخان وكسر شوكته ليتولى هوبنفسه

خاقانية الترك ويأخذ مكان قدرخان، واتفق مع رئيس عشيرة السلجوق أرسلان يابغو واتحد معه وانسحب من طاعة قدرخان ، وأرسل قدرخان جيشا لتاديب علي تكين خان إلى سمرقند ، ولكن حيش قدرخان انهزم أمام قوة علي تكين خان وعاد إلى مدينة كاشغر، وكان ذلك في منتصف عام ٤١٥هـ الموافق ١٠٢٤م، وكان عشيرة سلجوق في ولاية جند ، فخاف قدرخان من عصيان نائبيه وأحس بالتهلكة إذا اتحدافي جبهة واحدة ، ولأجل ذلك فكر في إيجاد حل لهذا الأمر وأرسل مبعوثا إلى السلطان الغزنوي وقال فيه : إذا بقي علي تكين بهذا الوضع خطر على تركستان وعلى خراسان مع ، ولا سيما إذا تفوق السلجوقيون وهم أبناء السلجوق تكون علينا مهلكة عظيمة، وقال: ولذا وفي الوقت الحاضر يقوم السلطان من الغرب وقدرخان من الشرق ويهجموا على علي تكين خان وأعوانه السلجوق، فإذا انتصر عليهم ننتهي من عدونا المشترك ، وهذا ما لزم بيانه الآن . وكان السلطان محمود الغزنوي قد أعد العدة وجمع جيوشه إلى بلخ وحضر إليها

بنفسه منذ ان علم بخبر عصيان علي تكين خان، وقابل مبعوث قدرخان بالسلطان محمود الغزنوي بمدينة بلخ ورحب السلطان بآراء قدرخان وعين وقت الهجوم.

ومنذ وصول المبعوث عائدا من بلخ إلى مدينةكاشغر وفي اول عام ٤١٦ هـ الموافق ١٠٢٥م تحرك قدرخان بجيوش كثيرة قاصدا سمرقند ، وفي هذا التاريخ وصل السلطان محمود الغزنوي إلى نهر أوجوز ومعه الجيوش وخمسمائة

فيلة ورصف السلطان على النهر سفنا عائمة بجانب بعضها البعض وشدها ببعضها بالسلاسل حتى أخذت السفن شكل جسر عظيم فاجتاز عليها جيشه والفيلة وساق الفيلة في مقدم الجيش بتعبئة عسكرية واتجه إلى سمرقند، وقدم من الشرق قدرخان خاقان الترك ووصل بالقرب من مدينة سمرقند.

فبقي علي تكين وأرسلان يابغو السلجوقي محاطين بين القوتين العظمين فخافوا على انهزامهم ومستقبلهم وتركوا سمرقند وبخارى وهربوا إلى صحراء قزيل قوم وأخفوا أنفسهم في الغابات عابرين الأحواض الوحلة ، وأرسل السلطان محمود الغزنوي جيشا بقيادة خزندار بلجه تكين لتعقبهم والقضاء عليهم ولم يلحقهم بلجه تكين ولكنه أسر أسرة علي تكين خان في الطريق وأتى بها ، ولكن السلطان محمود الغزنوي عاملها معاملة طيبة لانتمائها للأسرة المالكة القاراخانية .

لقاء القاراخان يوسف قدرخان مع السلطان محمود الغزنوي..

وبعدهروب علي تكين خان قرر كل من يوسف قدرخان قاراخان مع السلطان محمود الغزنوي أن يدخلا مدينة سمرقند ، ولما كان السلطان محمودالغزنوي ومعسكره قريبا من مدينة سمرقند قدم السلطان إلى سمرقند بتاريخ ٢٧من صفر عام ٤١٦هـ الموافق ١٠٢٥م وتقابل هذان الملكان التركيان في حفل مهرجان لا مثيل لها في التاريخ ومراسم غاية في البهة والعظمة السلطانية ، فالتقى الملكان الكريمان لقاء حارا ، ويذكر البيهقي

وكرديزي كل في تاريخه كيفية هذا اللقاء التاريخي ومدى ما وصلت إليه هذا المهرجان من دبدبة وحشمة ويوصفونها وصفا دقيقا ، وهناك هدايا تذكارية يقدمها الواحد للآخر من هدايا نفيسة وكثرتها وعلو قيمتها بأنها تملأ الخزائن، ومن أراد تفصيلات ذلك فليراجع الكتب المذكورة وكذلك كتاب مسيو بارتولد المسمى بـــ (جغرافيائي تاريخي).

وبهذه اللقاءات دامت عدة أيام وفي اثناء ذلك عقد العاهلان الكريمان معاهدتين فيما بينهما، الأولى أن يساعد الطرفان بعضهما البعض مساعدة عسكرية إذا لزم الأمر ولها بنود مناسبة ، والثانية أن يتعاقب

الطرفان فلول عشائر السلجوق لأمن وسلامة كل من تركستان وخراسان وان تشتت عشائر السلجوق إلى مختلف مناطق تركستان وخراسان وإيران، بينما تحدد هذه المعاهدة واجبات كلا الطرفين وما يناط من اعمال لتفتيت قوة أبناء سلجوق.

ولتقوية هذه الصداقة وتمتينها واستدامتها أسريا قررا أن يعملا زواجين من كلا الطرفين، الولى تزويج ابنة السلطان محمود الغزنوي زينب خاتون من ابن قدرخان محمود ياغان تكين خان، والثاني نكاح ابنة قدرخان من ابن السلبطان محمود الغزنوي الأمير محمد، وبعد إقامة مراسيم الزواج هذه عاد السلطان محمود إلى غزنة ، وبعد تلك الواقعات طلب علي تكين إليك عفوا من سيده قدرخان ودخل في طاعته.

العصيان في تركستان الشرقية..

بذهاب يوسف قدرخان بجميع جيوشه إلى سمرقند ولضعف القوة العسكرية في مركز الخاقان مدينةكاشغر قام اهل خوتان والأويغور بعصيان وانقلاب ضد الخاقان يوسف قدرخان، وكان أكثر أهل الخوتان لم يدخلوا بعد في الإسلام وقد قضى الثوار على جميع المأمورين الحكوميين في مدينة خوتان وفتحوا كل المعابد البوذية والقامانية وهي ىيين وبورخان اسما المعابد تلك وعملوا في رواجها ، بينما أعلن الأويغور استقلالهم وتركوا طاعة الخاقان يوسف قدرخان.

وفي أول عام ٤١٧هـ الموافق ١٠٢٦م أرسل إديقوت الأويغور مبعوثا إلى بلاط السلطان محمود الغزنوي يطلب فيه عقدمعاهدة بينهماضد الخاقان يوسف قدرخان ورفض السلطان طلب إديقوت هذا.

كتب الكرديزي في كتابه زين الأخبار : أن ملك حطاي الأتراك أرفق لمبعوث إديقوت رسولا من عنده إلى السلطان محمود الغزنوي يحرضه ضد الخاقان يوسف قدرخان ، ولكن السلطان رد أيضا هذا الطلب بشدة ، وفي أثناء هذه الواقعات كان قدرخان في سمرقند وعندما بلغه الخبر أخذ بترغيب وتشويق الجهاد وكون من شباب بخارى وسمرقند عشرين ألف جندي تحت قيادة بعض العلماء والمشايخ والسادةمن أهل البلاد فضلا عن جنوده وأرسلهم إلى تركستان الشرقية ووصلوا إلى مدينةكاشغر في شهلا ربيع الثاني أو الجمادى الأولى عام ٤١٦هـ الموافق ١٠٢٥م وتوجهوا إلى خوتان ،

وبمساعدة المسلمين من أهالي خوتان فتحوها بكل يسر وسهولة، ولكن البوذيين نزحوا إلى الجبال وجمعوا شمل شتاهم وكونوا قوة لا بأس بها ، ولكن القوة العسكرية التي فتحت مدينةخوتان طاردتهم وأجرت فيهم قتلا لا هوادة فيه وتعقبت الباقين في الوديان والشعاب وشتت شملهم وفرقت جمعهم وداهمتهم في

أوكارهم وفتكت بهم فتكا ذريعا، فكان لهم مقابر جماعية سماها أهل خوتان بأربعة أئمة ذبيح الله ، وفي أثناء ذلك قدم يوسف قدرخان إلى مدينة كاشغر مركزه المعروف ثم توجه إلى خوتان ، وكان ذلك العصيان بتاريخ ١٠-١١ من نفس السنة وقضى فيها على زمرة العصيان فقبل حاكم ختن الإسلام ودخل في طاعة قاراخان يوسف قدرخان.

وأما إديقوت الأويغور وإن كان أخذ مساعدات جمة من الصين وقاتلت قتالا مريرا إلا أنها انهزمت أخيرا عام ١٠٢٦م ودخلت في طاعة قدرخان بصورة قطعية ، وقبلت أن تعطي إتاوات سنوية لخزانة قاراخان ، غير أنها حافظت على استقلالها الذاتي في الحكم كما كانت وعقدت اتفاقية صلح وصداقة بهذه الشروط.

عصيان علي تكين خان للمرة الثانية...

وعندما رجع قدرخان من سمرقند سحب معه جميع قواه العسكرية ، وعندما وصل إلى مدينة كاشغر توجه بهم إلى ولاية خوتان وأسكت العصيان وأباد

الخصوم، وحالا بلغ الخبر إلى علي تكين خان في ملجئه فطلب مساعدة السلاجقة لإعادة إليك خانية إليه ثانية كما كانت ، ولكن رؤساء عشيرة سلجوق طغرل بك وجغري بك رفضوا هذا الطلب ، غير أن أحد أحفاد السلجوق اسمه يوسف بك قبل عرض علي تكين خان ، وكان قصد الأخير تكوينقوة ضاربة لإعادة إليك خانية إليه كما كانت ، فتوجه علي تكينب جنوده وجنود يوسف بك السلجوقي إلى مدينة سمرقند وتغلب على حامية المدينة وقتل العسكريين القاراخانيين واستولى على سمرقند وبخارى وأعلن نفسه ملك دولة مستقلة ، وعندما بلغ الخبر إلى يوسف قدرخان في كاشغر أرسل جيشا لقتال عيل تكين خان ، ولكن جيش قدرخان انهزم وقفل راجعا إلىكاشغر ، وبهذا تزايدت قوات علي تكين خان وتنامت قوته.

وفي أواخر عام ٤١٦هـ أرسل قدرخان هيئة بعثة إلى السلطان محمود الغزنوي يطلب من السلطان مساعدته عسكريا لتأديب علي تكين خان ويوسف بك السلجوقي ، وكانت هذه البعثة يرأسه ابنه الأمير محمود ياغان تكين، وقبل ما يصل البعثة إلى الغزنة كان قد رحل عنها السلطان إلى غزوة في الهند تسمى غزوة سوميات ، وبهذا السبب وعد السلطان محمود بمساعدة قدرخان عندما يرجع من الهند إلى غزنة بعد غزوته هذه ، فرجع ياغان تكين إلى كاشغر ، وكان يوسف قدرخان مشغولا بمحاربة

الأويغور وإنهاء عصيانهم عليه ، فتأخر تأديب علي تكين في انتظار وصول مساعدة السلطان محمود العسكرية.

وفي هذا الأثناء قام علي تكين ثقتل يوسف بك السلجوقي مساعده الأيمن فقام السلاجقة على علي تكين خان ، غير أنه تغلب عليهم وطردهم كلهم إلى منطقة تركستان الشرقية ، سيأتيكم بيانها في الفصل التالي.

وبهذا خسر علي تكين خان عشيرة السلاجقة الذينكانوا مستعدين لمساعدته في كل عصيان قام به ، وضعفت قواته ، ففي أول عام ٤١٨هـ الموافق ١٠٢٧م أرسل قدرخان جيشا كبيرا بقيادة ابنه ياغان تكين خان إلى سمرقند للهجوم على علي تكين خان، وكذلك أرسل السلطان محمود الغزنوي جيشا كبيرا بقيادة القائد أبو بكر الحصيري لمساعدة قدرخان في حملته هذه، وعندما بلغ لعلي تكين خان هذا الخبر خاف على نفسه وطلب عفوا من سيده وقبل يوسف قدرخان هذا الطلب وعفا عنه ، فدخل علي تكين خان تحت طاعة خاقان الترك على شرط بقائه بمنصب إليك خان الغرب يطيع العاصمة ولا يعصي لها أمرا ويعمل بالوفاء والإخلاص .

فبهذا أمر يوسف قدرخان كلا من ابنه ياغان تكين وأبو بكر الحصيري بعدم الهجوم على سمرقند ورجوعهم إلى بلادهم فرجعا بجيوشهما إلى بلدانهم، ومنذ هذا التاريخ حتى وفاته دامت طاعة علي تكين خان للعاصمة القاراخانية.

وأما إليك خان الشمال طغان خان الثاني فتوفي عام ٤٢١هـ الموافق عام ١٠٣٠م وبعد وفاة طغان خان هذا ضم قدرخان المنطقة الخاصة فليك خان الشمال إلى دائرة حكمه المركزي عاصمتها مدينة كاشغر ، وعين ابنه الثاني

أبو الشجاع أرسلانخان الثاني غليك خانا على منطقة غليك خان الشمال ومنحه رتبة شرف الدولة.

الموجز في تاريخ أبناء السلجوق الخاص بتركستان الشرقية..

للأهميته التاريخية للسلاجقة أوردها كتب التاريخ الإسلامي كثيرا ، وأصل هذه العشيرة أوالسلالة من تركستان الشرقية ، ولأجل ذلك ولأجل تاريخ هذه السلالة تأخذ حيزا كبيرا من تاريخ تركستان الشرقية يجب عليناإيراد نبذة من تاريخ هذه السلالة هنا في كتابنا هذا، ولأجل أن هذه العشيرة قبل دخولهم معترك السياسة لهم وقائع حصلت بينهم وبين كل من إليك خانية الغرب في منطقة ما وراء النهر ، ولأجل أنهم تصادموا مع القاراخانيين وإليك خانيين ، فإليكم موجزا من تاريخهم.

إن أصل سلالة السلجوق وجدهم الأول تاقاغ بك وهو أبو السلجوق سوباشي ، وإن اسم السلجوق أصلا سلجوك، والأصل يذكره لمؤرخون العرب بسلجوق بالقاف ، درج هذا التحريف بالأوساط العلمية وكتب التاريخ الإسلامي، ونحن كذلك نستعمل هذا الاسم المحرف ، وكان تاقاغ بك رئيسا لقبيلة قانيق المنتمية لعشيرة قبائل قارلوق التركية وكان يابغو قبيلة قارلوق هذه أي أميرهم يحب تاقاغ بك ولما توفي تاقاغ بك خلفه ابنه سلجوق رئيسا لقبيلة قانيق ، وكان سلجوق ذكيا وفطنا ورجل إدارة فدعاه الأمير ليحضر إلى بلاطه وكلفه بالخدمة لديه أمينا عاما لإدارة الجيوش وتنظيمه ثم

عينه قائدا عاما للجيش ومنحه لقب سوباشي بجانب رتبته العسكرية ، وكان العسكريون وعامة الناس يحترمون سوباشي سلجوق هذا ويتفانون في طاعته وتنفيذ أوامره، وأخيرا خاف الأمير من عصيان سوباشي سلجوق المحتمل وفكر في قتله، ولكن سلجوق سوباشي فطن لهذا واصطحب معه خلقا كثيرا من أفراد عشيرته وهرب بهم وهاجر منطقة يته سو (الأنهر السبعة) وواصل سيره غربا إلى ضفاف نهر أوجوز سيردريا واستوطن في منطقة جندواتخذها مقرا له ولعشيرته في الجنوب الشرقي من نهر سير دريا، وكان السكان الأصليين في منطقةجند مسلمين فدخل سلجوق في الدين الإسلامي وكانت في ضواحي جند أتراك غير مسلمين وكان السلجوق يهاجمهم ويدعوهم إلى اعتناق الدين الإسلامي ، رويدا رويدا تكون عنده قوة عسكرية لا بأس بها، ففي عام ٣٧٦هـ الموافق ٩٩٦م أرسل السلجوق مفرزة عسكرية بقيادة أرسلان سلجوق لمساعدة الأمير نوح الساماني ، وكانت قوة أرسلان سلجوق قوة ضاربة وبها البسالة والإقدام وبهذه المساعدة استولى الأمير نوح بن سامان على منطقة بخارى ونزعها من قبضة إليك خان الغرب ، ومنذ ذلك الوقت حصلت صداقة حميمة بين السامانيين وبين عشيرة سلجوق سوباشي، وفي عامي ٣٩٣-٣٩٤هـ ساعد سلجوق سوباشي الأمير منصور الساماني مساعدة جمة وكانت مساعدته هذه على دفعتين.

وبعد وفاة سلجوق استولى أبناؤه الثلاثة أرسلان بك وميكائيل بك وموسى بك إدارة شئون عشيرتهم ، وفي إحدى غزواتهم استشهد أخوهم ميكائيل بك،

وبعد مدة وجيزة توفي موسى بك هو الآخر فاجتمعت إدارة شئون العشيرة تحت يد الأمير أرسلان بك، ومنذ ذلك تقلد أرسلان بك رتبة

يابغو (الأمير)، وكان أرسلان هذا مساعد إليك خان علي تكين في عصيانه الأول على قدرخان بكل قواه العسكرية ، ولكنه انهزم وهرب هووعلي تكين خان إلى صحراء قيزل قوم.

وبموجب اتفاقية وقعت بين قدرخان ومحمود الغزنوي في طاشكند كما سبق ذكرها كان من بنود الاتفاق أن يعمل الطرفان في تشتيتالسلجوقيين وكسر شوكتهم وتفريق جمعهم غيما بين تركستان وخراسان وتجريدهم من السلاح لأمن وسلامة المنطقة، وحالما وصل السلطان محمود الغزنوي إلى غزنة دعا السلجوق أرسلان بك وتوابعه إلى غزنة ووعده بمراتب ومناصب فأخذ أرسلان بك ما يمكن جمعه من رفاقه وجنوده وسافر معهم إلى غزنة مركز السلطان محمود فرحب به السلطان في أول القدوم ثم اعتقله ورفاقه إلى الهند وحبسه هناك في قلعة كالنجر ، ولكن اكثر أفراد عشيرة السلجوق بقيت مع أبناء أخوته وهم طغرل بك ومحمود بك وجغري بك ويوسف بك فبقوا في الجند.

فهؤلاء المراء ومن تبعهم من العشيرة خافوا من سطوة والي خراسان الأمير آلتون طاش المعين من قبل السلطان محمود الغزنوي فتركوا الجند ورحلوا قاصدين منطقة بخارى حتى وصلوا إلى مرعى يسمى نور آتا التابعة لسلطان بخارى واستقروا فيها، فقام الخاقان يوسف قدرخان بدوره بإرسال دعوة إليهم

ليأتوا إلى تركستان الشرقية وليجمعوا شملهم هناك ، ولكنهم خافوا على انفسهم من أن يقع فيهم ما وقع للبطل أرسلان يابغو في خراسان فأجابوا لقدرخان بأن يبقوا في مرعى نورآتا ويعيشوا فيها تابعين لخاقان الترك يوسف قدرخان ، وبالتماسهم هذا لم يأتوا إلى تركستان الشرقية ، والحال هذه قام علي تكين خان بالعصيان الثاني وبطلب منه قام يوسف بك السلجوقي بمساعدتهبرجاله الأشاوس ، وكان علي تكين خان يود يوسف بك ويحترمه ويراه فوق كل رجاله حتى منحه لقب إينانج يابغو تعني أمير الثقة ، وكان علي تكين يريد التقرب إلى كل من طغرل بك ومحمود بك وجغري بك وسعى لوده هذا حثيثا ، وكان قصده غبقاءهم في طاعته ،ولكنهم ابوا ذلك فحرض يوسف بك لقتالهم ،ولكن يوسف بك لم يقبل هذا العرض ، بل إن يوسف بك ارتبط بهم بالصدق والصداقة وأخفى الأمر على علي تكين خان وعرف علي تكين خان بالأمر فأمر قائدا من قواده اسمه ألف قاراآتليغ أن يقتل يوسف السلجوقي وصرع يوسف بك مقتولا ، وعلم طغرل بك وجغري بك بالحادث وهموا لأخذ ثأر يوسف بك من علي تكين وجمعوا رجالهم وهاجموا على علي تكين وأسروا ألف قاراآتليغ بمائة من رجاله وفقعوا عيونهم ثم ذبحوهم ذبح الشياه ، وعندما هجم عليهم علي تكين هجوما مضادا تغلب على طغرل بك وعفر بك وهزمهم شر هزيمة حتى أجبرهم على الهروب فهربوا ، وبهروبهم هذا ومعهم رجالهم وصلوا إلى حدود

تركستان الشرقية، واتصلوا بقدرخان الخاقان وعرضوا عليه طاعتهم والعيش تحت كنفه وطلبوا أرضا يعيشون عليها فمنحهم قدرخان قطعة أرض بالقرب من مدينة كاشغر وعاشوا عليها مجتمعين، وكان طغرل بك وجغري بك يخافان من قدرخان ولا يحضرون كلاهما معا لدي قدرخان ، وإن لزم الأمر يحضر واحد منهما دون الاخر ، وحينما أراد قدرخان حضورهم الاثنين يصتنعون اعذارا ويحضر واحد منهما ، وأحيرا وبحيلة ماكرة أمسك طغرل بك وعندما علم جغري بك بذلك جمع رجاله وهرب من مدينة كاشغر ، ولقي جغري بك عددا من أمراء قدرخان ومحافظيهم فأسرهم وأخذهم معه ولاذوا بالفرار إلى الشمال ، وكان قدرخان قد حبس طغرل بك وعندما هرب جغري بك برجاله ومعهم أسراهم من الأمراء ومحافظيهم اتجه جغري إلى الجند، وما كامن من قدرخان إلا إطلاق سراح طغرل بك من السجن وأخذ تعهدا منه بإعادة الأسرى أمراء قاراخان قدرخان فأطلق سراحه وأعطاه عطايا جزيلة، وغادر طغرل بك مديينة كاشغر واتجه نحو مركزهم الجند فأطلق سراح الأسرى وأعادهم إلى قدرخان، وكانت هذه الحادثة بتاريخ ٤١٩هت الموافق ١٠٢٨م .

ومنذ ذلك التاريخ رأى أبناء السلجوق السكن في الجند خطرا عليهم حيث إنه منطقة تابعة لإليك خان الشمال يحكمها ابن قدرخان أرسلان تكين الثاني ، وكانت إداريا تابعة ليوسف قدرخان نفسه، ولذا اضطر طغرل بك وجغري بك لترك الجند إلى مكان آخر، فطلبوا من والي خوارزم هارون بن آلتون

طاش ارضا يعيشون عليها فأجاب هارون خان طلبهم وأعطاهم من مراعي خوارزم منطقة واسعة تكفيهم وزيادة هجر أبناء السلجوق إليها وسكنوا فيها، ثم أخذوا من علي تكين خان رخصة لإقامتهم شتاء في منطقة نورآتا فكانوا يترلون إلى نورآتا شتاء ويذهبون صيفا إلى المراعي في خروارزم ويشتغلون برعي الأغنام والإبل والخيول ويعيشون عيشة البدو الرحل.

وفي عام ٤٢٦هـ الموافق ١٠٣٤م طردهم كلهم ابن هلي تكين خان نصر إليك تكين خان طردهم من تراب ما وراء النهر ، وبهذا السبب نزحوا إلى كل من خراسان وخوارزم ، إلى هنا تنتهي حالتهم الاجتماعية التي تختص تركستان الشرقية.

وفاة كل من قاراخان يوسف قدرخان وعلي تكين إليك خان..

وفي عام ٤٢١هـ الموافق ١٠٣٠م توفي السلطان محمود الغزنوي وخلفه ابنه السلطان مسعود ملكا على البلاد ، وإن السلطان مسعود هذا كان صهرا ليوسف قدرخان خاقان الترك ، وكانت المناسبة بين الأسرتين جيدةجدا ، غير انه في عام ٤٢٣هـ الموافق ١٠٣٢م برزت حروب دموية بين والى خراسان الذي عين من قبل السلطان مسعود الغزنوي وبين علي تكين إليك خان ، واسم والى خراسان ىلتون طاش خان، وإن الأخير قتل في هذا الحرب ، وكان سبب الحرب منازعات حدودية ، وإن علي تكين خان حسم الموضوع بحد السيف ، وذلك عام ٤٢٣هـ الموافق ١٠٣٢م حيث توفي فيها الخاقان

يوسف قدرخان وخلفه ابنه وولي عهده محمود ياغان تكينوجلس على عرش أبيه خاقانا ، وكان أكبر أبنائه ولقب بمحمود بوغراخان ، وكان محمود رجلا ذو حكمة وروية وصاحب تجربة وداهيا سياسيا ورجل حكم وإدارة، وفي عهده عاشت الدولة القاراخانية في منتهى الرفاه والدعة وفي غاية المن والاستقرار ، وإليك خان الشمال وإليك خان الغرب وكذلك إديقوت الأويغور وحكومات قبائل قارلوق وبعضهم يملك قوة وقدرة كانت تطيع القاراخان وعاصمته كاشغر.

ولم ترد رواية واحدة عن حدوث قلاقل واضطرابات في الداخل ولا عدوانا وقع من خارج الدولة أو في داخلها البتة في عهده الميمون.

وفي عام ٤٢٦هـ الموافق ١٠٣٥م توفي علي تكين إليك خان وخلفه ابنه أبو المحسن نصر خان بأمر وتعيين محمود بوغرا قاراخان، وكان أبو المحسن نصر إليك خان دائم الطاعة والإخلاص لبلاط محمود بوغرا قاراخان وكان إليك نصر يحس ويفكر في انقلابات قد يقوم بها أبناء السلجوق ، ولذا قام بتصفية كاملة وطردهم وأخرجهم نهائيا من منطقة ما وراء النهر كلها، وكان أبو المحسن نصر إليك خان دائم الاتصال بالسلطان مسعود الغزنوي حبا وصداقة وحسن جوار وقرابة ، وبالتالي كان السلطان مسعود الغزنوي يقول لإليك نصر خان أخي وقريبي.

وفي عام ٤٣٩هـ الموافق ١٠٤٧م توفي محمود بوغراخان قاراخان وخلفه أخوه طغرل تكين قاراخان وجلس على عرش أخيه وتقلد صفة بوغرا ، وكان

طغرل بوغراخان ميالا للراحة ومتصفا بالكسل يرغب في اللعب واللهو ، وما كان يشبه أباه ولا أخاه ، وكذلك توجه مركز الخاقانية إلى الضعف والخمول.

انقسام دولة القاراخانيين إلى دولتين...

وبعدما تولى طغرل بوغرا عرش القاراخانية بسنتين وفي عام ٤٤٠هـ الموافق ١٠٤٨م توفي نصر إليك خان في سمرقند وخلفه ابنهأبو المظفر عماد الدولة غبراهيم تكين خان غليك خانا في منطقة ما وراء النهر ، وفي نفس السنة أعلن ابو المظفر استقلال إليك خانية الغرب استقلالا كاملا وانفصالها عن دولة القاراخانيين ومنح لنفسه صفة تاوغاج قاراخان، وبرغم ذلك استمر في احترام مركز القاراخانيين واعتبر نفسه قاراخان الثاني توحي ذلك الصفة التي قلدها نفسه بتاوغاج قاراخان، وبالخلاصة انقسمت دولة القاراخانيين إلى دولتين تحدها تقسيما جبال بامير وآلتاي ونهر إينجه (سير دريا) وهذه هي أول مرة انقسمت فيها تركستان الكبرى إلى قسمين تركستان الغربية وتركستان الشرقية، ولكون طغرل بوغرا ميالا إلى اللهو واللعب لم يعر أي اهتمام بانفصال إليك خانية الغرب عن الدولة الأم ، واغتر باحترام أبي المظفر عماد الدين إبراهيم خان له واقتنع به. (وقد ترون هذا الانقسام في الخريطةرقم ١٤).

ومن أهم الأحداث العالمية حينذاك أن أبناء السلجوق غلبوا على الدولة الغزنوية واستولوا على كل من خراسان وإيران وبعضا من منطقة العراق،

واشتهر منهم طغرل بك الذي أعلن تأسيس الدولة السلجوقية لأول مرة في التاريخ وذلك عام ٤٣٩هـ .

وقائع هارون بوغراخان الثاني في دولة القاراخانيين...

وفي عام ٤٥٥هـ الموافق ١٠٦٢م توفي طغرل بوغرا قاراخان وخلفه اخوه هارون تكين خان قاراخانا لدولة الترك وجلس على عرش أخيه وتقلد بصفة بوغراخان ، وفي هذه السنة تولى رئاسة الدولة السلجوقية ألب أرسلان خان، وكانت بين السلطان ألب أرسلان خان وبين هارون بوغرا قاراخان الثاني علاقة صداقة حميمة ، ثم زوجوا ابنتة هارون بوغرا قاراخان توركان خاتون منولي عهد الدولة السلجوقية الأمير ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان خان ، وإن الأمير محمود بن مبكشاه الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه ملكشاه هوابن الملكة توركان خاتون هذه ، ومن أراد الوقوف على وقائعها فليرجع إلى كتب التاريخ الإسلامية العربية.

وأما إليك خانية الغرب إبراهيم توغاج قاراخان فلم يكن له علاقة مع السلطان ألب أرسلان السلجوقي بل كانت بينهما برودة سرعان ما تبدلت البرودة بعداوة بينهما ولم تنته إلا بوفاهما، حيث

وقعت في عام ٤٦٥هـ الموافق ١٠٧٢م حرب في حدود خوارزم بين قاراخان غبراهيم توغاج وبين السلطان ألب أرسلان السلجوقي وكانت الحرب لا هوادة فيه استشهد فيه إبراهيم تاوغاج قاراخان فتشتت جنوده ثم

تقدم ألب أرسلان إلى الأمام واجتاز بجنده نهر أوجوز (آمو دريا)، وفي الضفة الشرقية كانت مفرزة تابعة لإبراهيم تاوغاج قاراخان تحت قيادة يوسف بك من أهل خوارزم تصدت هذه المفرزة على جيش ألب أرسلان وقاومت مقاومة باسلة ونشبت حرب دامية ولكن يوسف بك انهزم أمام عدة فيالق من جيش ألب أرسلان فاعتصم يوسف في قلعة هناك وهجم عليها جنود ألب أرسلان وفتحوها وأسروا يوسف بك وأتوا بهلدى ألب أرسلان فأصدر عليه أمره بقتله شادا به بأربعة أوتاد فقال يوسف بك لألب أرسلان أبطل مثلي يعامل مثل هذه المعاملة؟ فغضب ألب أرسلان عليه فرماه بقوس كان في يده ولكن السهم لم يصبه فقال يوسف بك لألب أرسلان : أسير مكبل مثلي لم يصبه سهمك أبهذه النذالة جئت تغزو ديارنا واستمر في سبه وشتمه شتما لاذعا فغضب ألب أرسلان عليه غضبا شديدا وأرسل سيفه ليضرب عنقه بنفسه ومشى مغضبا فتعثرت قدمه فسقط على الأرش فرمي يوسف بك نفسه على جسم ألب أرسلان وكان به سكين اخفاه في ثوبه بقر به بطن ألب أرسلان في لمحة بصر وهجم الجنود على يوسف بك وقتلوه وقطعوه إربا ، غير أن ألب أرسلان توفي بجرحه بعد ساعات قليلة ، وأما جنود ألب أرسلان فستت شملهم وتفرق جمعهم وعادوا إلى بلادهم ، وبهذه الواقعة قتل اثنان من حكام المسلمين الأتراك لمجرد حرص فيهما وهيمنة تؤديهم إلى المهلكة.

وبعدما توفي إبراهيم تاوغاج قاراخان خلفه ابنه شمس الملوك خان قاراخان وعلى ترتيب السلالة نصر الثاني وتقلد لقب تاوغاج خان وتوفي شمس الملوك

بتاريخ ٤٧٢هـ الموافق ١٠٧٩م وخلفه ابن علي تكين خان إليك أبوعلي حسن تكين خان وتقلد صفة تاوغاج قاراخان بالإضافة إلى صفة بوغرا ، وليس لدينا معلومات عن واقعات حدثت في عهدهما.

وفي عام ٤٧٤هـ الموافق ١٠٨١م توفي أبو علي حسن تاوغاج قاراخانوخلفه ابن أبو علي حسن نصر الثاني ولا نعرف اسمه، واعتلى هذا الأمير عرش آبائه وقد تقلد صفة قدرخان، وبعد مدة بسيطة توفي قدرخان هذا وخلفه ابنه أحمد تكين خان تاوغاج قاراخان، وفي عهد احمد تاوغاج قاراخان دخلت أو أدخلت إليك خانية الغرب تحت حكم دولة السلاجقة، وإن إليك خانية الغرب غيبت استقلالها قرابة خمس سنوات وبصورة مؤقتة ، وبيان ذلك يأتيكم في الفصل التالي.

وفي عام ٤٨١هـ الموافق ١٠٨٨م غزا السلطان السلجوقي ملكشاه وهجم على تركستان الغربية وتصدى إليه أحمد تاوغاج قاراخان ، وبعد عدة حروب دامية انهزم احمد تاوغاج قاراخان ووقع أسيرا في يد ملكشاه ثم عرض ملكشاه على احمد قاراخان وهو أسير في يده عرض أن يقبل حاكمية ملكشاه على تركستان الغربية على أن يبقى أحمد تاوغاج ينوب عنه في إليك خانية الغرب (تركستان الغربية)فرجع ملكشاه إلى بلاده ، ولكن لم يقبل حاكمية ملكشاه على بلاده ، بل أعلن الاستقلال لبلاده أوزجند ولذا عاد ملكشاه إلى تركستان الغربية وحارب مع أوزجند وهزمه وأخضعه لطاعته ثم عاد أدراجه إلى بلاده، ولكن حاكمية ملكشاه على ما وراء النهر دامت خمس سنوات

فقط حيث توفي ملكشاه عام ٤٨٥هـ الموافق ١٠٩٢م ونشبت معركة التنازع على العرش بين أبنائه الأمير محمود والأمير بركياروق وتحاربا حروبا شرسة فاغتنم هذه الفرصة أحمد تاوغاج قاراخان حيث أعلن استقلال بـلاده (تركستان الغربية) عن السلاجقة وطرد الجبوش وافداريين من البلاد ، وفي عام ٤٨٨هـ الموافق ١٠٩٥م توفي أحمد تاوغاج قاراخان وخلفه من الأسرة المالكة محمود تكين تاوغاج قاراخانا على البلاد، ولكن محمود هذا توفي عام ٤٩٠هت الموافق ١٠٩٦م وخلفه حفيده قدرخان بن عمر خان بن أحمد تاوغاج قاراخان جلس على عرش آبائه، ول نعلم اسمه فكتبناه قدرخان بن عمرخان، وتوفي قدرخان هذا بتاريخ ٤٩٥هـ الموافق ١١٠٠م ، وأما الواقعات التي حدثت في عهد هارون بوغرا قاراخان فلا نعلم عنها ما يستحق الذكر ، ونحن نأسف أن واحدا وأربعين عاما من عمر الدولة القاراخانية في عهد هارون بوغرا قاراخان الثاني حدث فيها أحداث كثيرة ، ولكن المصادر التاريخية لا تذكر شيئا يستحق الذكر سوى إلمامات بسيطة وتافهة كما الحنا بذلك.

وفي ذلك الفترة من الزمن وحسب معلوماتنا من حالة إليك خانية الشمال نقول منذ عهد يوسف قدرخان خاقان الترك كانت إليك خانية الشمال تحت إدارة الأمير أرسلان خان ، وكانت تلكم افليك خانيون تابعة لبلاط القاراخان وتحت طاعته بالوفاء وافخلاص ، وكما ذكرنا سابقا إن يوسف قدرخان قاراخان عين ابنه المير أرسلان خان الثاني في رئاسة إليك خانية

الشمال ، وتوفي أرسلان خان هذا عام ٤٢٤هـ الموافق ١٠٣٢م وخلفه ابنه الأمير جغري تكين خان ، إن صفة أرسلان خان شرف الدولة أبو شجاع أرسلان خان الثاني ؟، وتوفي الأمير جغري تكين خان عام ٤٤٠هت الموافق ١٠٤٨م وخلفه أخوه ركن الدولة محمود تكين خان إليك خانا في إليكخانية الشمال هذا ، وبعد وفاة ركن الدولة خلفه أخوه الأمير أحمد تكين خان ، وبعد وفاة أحمد تكين خان خلفه أرسلان الثالث بن ركن الدولة محمود ، هذا ما عرفناه من انسابهم وتواريخ جلوسهم للعرش ووفاة بعضهم، غير انه لا يوجد معلومات لدينا من بعد ركن الدولة الأمير محمود تكين إليك خان أسماء بعضهم وتواريخ جلوسهم العرش ، وكذلك لا توجدمعلومات لدينا من إليك خنيين بعد أرسلان خان الثاني حتى عهد أرسلان الثالث،والذي نعرفه هو ان دولة إليك خانية الشمال دامت حتى عام ٥٢٨هـ الموافق ١١٣٣م في يد ابناء وأحفاد ارسلان خان الثاني ، وكذلك نعرف أن إليك خانية الشمال دامت في طاعة وسيادة القاراخان وإلى آخر لحظة بإخلاص ووفاء ، وإن إليك خانيات جميعا ولايات من ولايات القاراخانيين وأجزاء منها لا تتجزأ .

انهيار الدولة القاراخانية..

بعد وفاة هارون بوغرا قاراخان الثاني في عام ٤٩٦هـ الموافق ١١٠٣م لم ندر أسماء من خلفه وعددهم ووقائعهم الخاصة بهم ، ولكن هذه الدولة كانت

باقيةى حتى عام ٥٣٠هت الموافق ١١٣٦م ، هذا ما أورده كتب التاريخ والآثار إيرادا متواترا بالاتفاق.

وفي عام ٥٣٠هـ الموافق ١١٣٦م قام ملك قاراخطاي التركي الأصل بإسقاط دولة القاراخانية غسقاطا كاملا حيث استولى على منطقة تركستان الشرقية ، سوف نأتي ببيان ذلك في فصل (دولة قاراخطاي) في كتابنا هذا.

وبهذا انتهت دولة القراخنية التي عاشت ٢٨٠عاما من عمرها، والتي ازدهرت في تركستان الشرقية والتركستان الغربية في عهودها العلوم والفنون والحضارة والمدنية الراقية ، وسبب هذا السقوط التعدي السافر من قبل ملك قاراخطاي نوسي كورخان ، وأما تركستان الغربية التي تعرف بإليك خانية الغرب فعاشت عهود الضعف والأفول والمحن في آخرها، عاشت حتى عام ٦١٩هـ الموافق ١٢٢٢م .

وتوفي تاوغاج قاراخان قدرخان عام ٤٩٥هـ الموافق ١١٠١م وخلفه ابنه قليج خان وجلس على عرش أبيه وخلع على نفسه صفة بوغرا خان ، وفي عهده في عام ٥٢٠هـ الموافق ١١٢٦م غزا السلطان سنجر السلجوقي تركستان الغربية ودافع قليج خان بوغراخان عن بلاده دفاع المستميت وخاض حروبا كثيرة مع سنجر السلجوقي ، وةلكن قليج خان بوغرا انهزم أمام جحافل السلاجقة وأعلن طاعته لسنجر السلجوقي ، فصارت منطقة تركستان الغربية تابعة لسنجر السلجوقي ، وفي

عام٥٣١هـ الموافق ١١٣٦م هاجم قاراخطاي كورخان توسي على تركستان الغربية وتغلب على قليج بوغراخان وأجبره للانقياد له.

وتوفي قليج بوغراخان عام ٥٥٩هت الموافق ١٢١٠م وخلفه ابنه جلال الدين على كوركان قاراخانا على البلاد وجلس على عرش أبيه ، لا نعلم متى توفي جلال الدين هذا ومن الذي خلفه، والذي نعلمه هو انه في أواخر عهد قاراخطاي كان يحكم تركستان الغربية السلطان عثمان قاراخان، وإن السلطان عثمان هذا اعلن عام ٦٠٦هـ الموافق ١٢٠٩م تبعيته لسلطان خوارزم شاه عام ٦١٩هـ .

الموافق ١٢٢٢م وبهذا انتهت سلطنة القاراخانيين من منطقة تركستان الغربية إليك خانية الغرب ، وكذلك نقول إنه انتهت قاراخانية الغرب تدريجيا ، أولا بتبعيته للسلطان سنجر السلجوقي ، ثانيا بتبعيته لقاراخطاي نوسي ركان ، وأخيرا بتبعيته للسلطان خوارزم شاه ، وذلك منذ عام٥٢٠هـ الموافق ١١٢٦م ، وفي ادوارها كلها كانت المنطقة تعيش في استقلالها الداخلي (الحكم الذاتي)نأتي في تفصيل ذلك في فصل قاراخطايين .

التشكيلات الإدارية في دولة القاراخانيين...

حسب ترتيب وتشكيلات الأتراك قديما كانت الدولة القاراخانية تراعي وتحافظ على النمط القديم ذو إدارة وتنظيم، وكان عميد الأسرة المالكة

القاراخانية يوصف بخاقان الترك، وكان الإداريون والمراء وحكام الأقاليم يعرفون برتبتين أو نقول ينقسم من حيث الرتب إلى قسمين وذلك كالآتي :

الدرجة الأولى : درجة غليك خانيين بمعنى نواب قاراخان، وإن إليك خانيين هم الذين يحكمون المناطق البعيدة عن مركزقاراخان الخاقان، وهم نواب قاراخان لمنطقة واسعة من الدولة ولهم اختيارات وامتيازات واسعة أيضا وكأنهم حكام مستقلون في دائرتهم الإدارية، وكان لهم مسكوكات متداولة وباسمائهم ، وكان لهمحق إعلان الحرب على الأعداء أو على من يعتدي عليهم، وأيضا كان لهم حق إرسال البعوث بأسمائهم إلى من يريدون من الدول الأجنبية وقبول أوراق اعتمادهم وقبول البعثات الدبلوماسيةالأجنبية، وكذلك لهم حق إبرام الصلح مع الغير في حدود القانون المعترف لديهم، ولذا اعتقد بعض المؤرخين المسلمين بأنهم حكام مستقلون ، أما الدرجة الثانية فهم الذين اتحدوا مع واحد او اكثر من القبائل التركية وتظل هذه الوحدة تحت حماية قاراخان الترك بحكم الاستقلال الداخلي ذاتية الحكم من إمارات وخانيات ، ويقال لهم حسب نظام الرتب والألقاب يابغو ، وكان قاراخان يحترم

هذه الحكومات ويرعى شئونهم ، وكانت حكومات اليابغو هذه تراعي طقوس أمتهم وأديانها وعاداتها وتقاليدها، وإذا مات يابغو خان يرث عرشه أحد أبنائه ولا يحتاج إلى تعيينه من قبل القاراخان، وإليكم أهم هذه الخانيات التي هم تحت حماية قاراخان: قوجو ، وإيكي أوكوز، وآلتاي، وقمول، وباركول وأوج إيل(كانسو الغرب)وهذه الخانيات كانت تحت إدارة خانية

الأويغور غديقوت، وكانت منطقةخوتان تحت إدارة جوري أو قليج خان وهي صفات أحد الأعيان أو الرؤساء من أهل خوتان.

وأما منطقة الأنهر السبعة (يته سو) التي تمتد من شرق ضفاف نهر إيلي إلى نهر إرتش فكانت هذه المنطقة الواسعة تحت إدارة رئيس قبيلة قارلوق ، وكان هذا الرئيس يحمل لقب يابغو وكان من الأعيان.

وأما منطقة جرجن وإقليم تارم فكانت تحت غدارة الحكومة المتحدة للأويغور الصفر (سريغ أويغور) وكان رئيسهم من أهل البلد.

وكانت منطقة كوكجه تيكيز وهي منطقة بحيرة بالقاش شمالا وهي المنطقة التي تسميها روسيا الان باسم بلاتنسكي وبها القاطنون من قبائل ياغما وتوخسي واوغراق فكانت فيها حكومات محلية يحكمها وال أو أمير في كل منطقة وصفاتهم خان أو أمير من أهاليهم تحت حماية قاراخان ، ولكن هذه الإمارات لا يمكنها ان تصدر سكوكا باسمها او باسم حكوماتها وليس لها حق التمثيل لدى دولة أخرى وليس لها علاقات مع دولة اجنبية.

ومع ذلك كانوا مجبورين في أداء الخدمة المنوطة بهم لدى بلاط قاراخان أو إليك خان فضلا عن اداء واجباتهم المالية المقررة عليهم ، وكذلك الخدمة العسكرية كمساعدة للمركز الخاقاني ، وكانوا ملزمين بتلك الخدمات والواجبات إما تجاه قاراخان رأسا أو إليك خانية البلاد التي تتبع لها كما ألمحنا بذلك، وأما الواجبات النالية التي يحددها القاراخان أونائبه إليك خان فيدفعها

لخزانة قاراخان ، وكذلك المساعدات العسكرية تكون حسب فرمانات بذلك.

ومكانت هناك فروق بالالتزامات المركزية ، فروق أو التزامات بشكل مميز تجاه إليك خانية الغرب من حيث إن ماوراء النهر التي تعرف بإليك خانية الغرب كانت تحت سيادة كثير من الدول أو الخلافة الإسلامية ولمتكن مستقلة ولم يكن لها خان مستقل بذاته، وكانت المنطقة تحكمها انقسامات الإدارة أوخانية هنا وهناك، وكانت عيينهم مركزيا خراسان او بلخ أوبغداد ، وكذلك المأمورين الصغار ، وبعد سقوط هذه المنطقة (ما وراء النهر) على أيدي القاراخانيين اتبعت تلك النظم السابقة فيها قديما، حيث يعين القاراخان إليكخانا نائبا عنه ، فإليك خان وتاوغاج قاراخان منهم ، وإن أمورا كثيرة من

الإدارة العامة والشئون المالية والعسكرية والمراقبة العامة، وتأمين طاعة الأمراء والملوك التابعة لقاراخان الترك توضع تحت مراقبة عامة، ولذا انقسمت منطقة ما وراء النهر إلى عدة ولايات وإمارات وحكومات ملكية أهلية، وفي كل هذه الإمارات أو المقاطعات من يمثل خاقان الترك أونائبه إليك خان من قبل ممثل المالية والممثل العسكري والدرك، والقضاء الشرعي العام والقضاء العسكري وذوي المناصب العليا في الدولة ، وكانت هناك في كل المقاطعات مفرزات عسكرية كافية يديرها عسكريون وضباط أكفاء، وكانوا يعبرون عن ولاية بكلمة إيل، (انظر الخريطة رقم ١٤). وكانت في محيط القاراخانيين وإليك خانين وفي مختلف الولايات وعلى امتداد الحدود الخارجية بوسطة

منتظمة فيما بينها، وفي حالة طارئة كانت هناك منارات مبنية على مرتفعات ونجوع من تلال ، وكانت وظيفة هذه المنارات إضرام النار فوقها من منارة إلى منارة حتى يصل الأمير إلى مركز الخاقان أومنطقة إليك خان ليلا، أما في النهار فتعلق علم البلاد أوقماش ملونة يرفرف عليها واحدة بعد أخرى بسرعة خاطفة حيث إن أمرا ما قد وقع في حدود نائية يصل إلى مركز الخاقان في غضون يوم أو يومين في أكبر تقدير ، وكانت في إضرام النار هذه في المنارات أورفع العلم عليها كانت لها رموز وشفرات معينة، وإن هذه الحركات البوسطية تشبه في زماننا خدمة التلغراف، وحتى الآن توجد من تلكم المنارات شيء يذكر، ولو أن بعضها تهدم منذ مدة، ويقال لتلكم المنارات في مناطق الجنوب تيم ، وفي المناطق الشرقية والشمالية تورا أو تور .

التشكيلات الحربية..

كان القاراخانيون يتخذون نظام التجنيد ويفرضونه على ممالك وولايات وحكومات تخضع لسيادتهم عليها، ولا يفرق بين مسلم وغير مسلم ، ومثلما تتوارد على خزانتهم من أموال كثيرة تكون في الخدمة العسكرية ويكثر فيها الأبطال الأشاوس ذوو السواعد المفتولة من كل جنس ولون ومن ذوات العقول النيرة والمعلومات العسكرية وهم نخوة تتمناها كل حكومة، ولهذه النظم العسكرية الفائقة في زمانه يملك خاقان الترك جيشا كاسرا كاملة العددوالعتاد في وقته، وكانت الفرق العسكرية تنقسم إلى أربعة أقسام:

(١) فرقة الهجوم (٢) فرقة الهجوم الليلي المباغتسريعة التكتيك فائقة القتال والفعال، (٣) فرقة الإنقاذ والإيقاظ ليلا مع حراسة المعسكر، (٤) فرقة التأمينات العسكرية بإدارة منظمة ، وكان لها دفاتر يسجل فيها أرزاق الجند وعددهم وتقسيماتهم ويسجل فيها الحسابات الخاصة بهم.

كان لقاراخان الترك أعلاما خاصة له عددها تسعة أعلام نسجت من حرير خالص بلون أحمر ، وله شمسية خاصة به بلون العلم أيضا يرفعونها فوق رأسه وترفع العلام التسعة عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه، ولذا عرف خاقان التارك بالخاقان ذي الأعلام التسعة، وكانت الأتراك منذ القدم يتفاءلون ويقدسون العدد تسعة ولم تزل ذلك في تقاليدهم حتى الآن، وكان للشخصيات الأقل رتبة من خاقا الترك أعلام أقل من تسعة بلون أحمر، وكان عند القاراخانيين موسيقى عسكرية ، والموسيقى لاالموجودة لدينا الآن من مثل الدف والناي والأبواق نموذج من آلاتهم الموسيقية العسكرية آنذاك، وكان القاراخانيون ينشئون بريدا عسكريا خاصا في زمن الحرب فيما بين المركز الخاقاني وبين جبهة الحرب .

المدنية في تركستان الشرقية والغربية في عهود القاراخانيين..

في عهود القاراخانيين بلغت المدنية ذروتها في تركستان الغربية كما يذكرها المؤرخون في كتب التاريخ ، وإن المدنية فيها اخذت شيئا كبيرا ، حيث إن مدن سمرقند وبخارى ومرغينان وأوزكند كانت مدن علم ومعرفة ومراكز

حضارة راقية في زمانه، وكانت في هذه المناطق جوامع ومدارس وأضرحة عليها قباب عالية وأبنية حكومية وطرق وكباري وقصور ملكية واستراحات الطرق الطويلة بناها القاراخانيون ، ونرى حتى الآن آثار بعضها وقد تهدمت وبقيت أثرا بعد عين بشكل خرابات مندثرة، وأما منطقة تركستان الشرقية ومدنياتها وآثارها القديمة فيذكرها قليل من الامؤرخين بشكل مجمل وموجز ويحكون عنها مرويات غير منسقة، ربما عمن يراها ويشاهدها ، ولكن في عصرنا الحاضر تنبئنا الكشوفات الأثرية عن كثير من مخلفات مدنية متقمة في عصور القاراخانيين ورقي باهر تعتبر تلك الأزمنة من أزهى عصور التاريخ والعهد الذهبي لتركستان الشرقية وقد برهنت تلكم الآثار وجود مدنية راقية هنا وهناك في أجزاء تركستان الشرقية ، ولذا نورد ونذكر بعض تلكم الآثار وكل واحدة على حدة بعنوان منفصل.

العلم:

في المدارس التي بناها القاراخانيون تخرجت نخبة من العلماء والفلاسفة في العلوم الإسلامية والفلسفة والاجتماعيات ، وبرغم قلة المصادر التاريخية والكتب التي تذكر تراجم والسير الذاتية لعلماء تركستان

الشرقية وأدبائهم وفلاسفتهم واللغويين والموسيقبيين وممن لم ير مثلهم في عالمنا العربي والإسلامي قاطبة إلا أننا وجدنا تراجم بعضهم عبر مؤلفاتهم التي وصل إلينا، وللمثال لا الحصر نرى الفيلسوف الإسلامي الفريد أونصر محمد

الفارابي عميد الفلاسفة حيث لم ينل أحد مثل ما ناله الفارابي من ابناء تركستان الشرقية من مدينة فاراب الواقعة بالقرب من مدينة بالاساغون ، وكان والده أولوغ طرخان من نبلاء مدينته وأصله من قبائل القارلوق وحصل تعليمه في مدن طالاس وبالاساغون وكاشغر ، وبعد تحصيله أخذ جولة سياحية لكل من مدن بغداد والشام ودمشق ومصر وفاق على فلاسفتها ، وأنهم اصبحوا حائرين تجاه زائرهم أبي نصر محمد الفارابي ومنحوه لقب أرسطو الثاني، وله كتاب في علم المنطق سماه (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) يبحث في تعريف مضامين ما كتب في علم المنطق بأسلوب دائرة معارف ، وكتابه (السياسة المدنية) وغيرها من الكتب النافعة وصلت إلى زماننا الحاضر، ويقول عميد الطب أبوعلي بن سينا وهو من أبناء بخارى: أنه جمع شيئا كثيرا من علوم أبي نصر محمد الفارابي ، وقد ملك الفارابي على زمام كثير من العلوم في زمان وكانت رتبته في كل علم منها مرتبة لا يدانيه أحد غيره، ثم إن الفارابي كان أستاذا في الموسيقى من الدرجة الأولى وله غبداعات فيها، وحتى الآن لم يجد الموسيقيون سر هذه الموهبة في ألحان الفارابي ، أوكانت موهبته في اللحن فريدة من نوعها ، حيث كان الفارابي يسري في نفوس السامعين إيحاءات مختلفة ومتباينة، فتارة ينام السامعون وتارة يبكون وتارة يضحكون ويطربون.

وفي رواية إن القانون المعترف به عالميا من إبداع الفارابي هذا ، وكان من علوم الفارابي أنه يعرف أكثر من سبعين لغة نطقا وقراءة ، ومع هذه الفضائل

الجمة لم يقبل المناصب التي عرض عليه ، وكان الفارابي زاهدا فذا حيث أنه لم يتزوج قط ولم ينجب ، وكان يتهرب عن صحبة الناس ولإيناس به، وكان يحب الجلوس على ضفاف النهر والأحواض وتحت ظلال الأشجار والغابات ليكتب ويؤلف ويدون مآثره، وقد أمضى جل عمره في بغداد والشام ومصر غير أنه خدم لبني جلدته الأتراك يتردد عليهم ويديم العلاقة بهم، وتوفي في مدينة دمشق عن عمر يناهض الثمانين ودفن فيها.

وكان من علماء تركستان الشرقية من به غمامة في الفقه والحديث والتفسير منهم محمد فقيه بالاساغوني، والإمام علاء الدين الخوتاني وغيرهم كثير.

وإذا جئنا في الأدب نجد امثال العلامة محمود بن محمد بن الحسين الكاشغري صاحب المعجم المسمى بديوان لغات الترك، وإن هذا العلامة جال جميع مناطق الأتراك في آسيا ودخل معمعة القبائل التركية

المتشعبةودرس لغاهم ولهجاهمسنين عديدة ، ثم ألف موسوعته ديوان لغات الترك، وكان هذا القاموس فريد نوعه في زمانه (مفردات تركية) وشرحه ومضامينه باللغة العربية ، وهومعروف لدارسي التاريخ .

وفي ميدان الشعر والأدب والاجتماع برز العالم الكبير يوسف تايانغو (خاص حاجب) الذي نظم كتاب قوتادغوبيلك والذي لا يوجد له مثيل لكونه جامعا للغة التركية وبيان مراتب الاجتماع لدى الأتراك ، وهو من مدينة بالاساغون أيضا.

العمران:

كانت التركستان الشرقية في عهود القاراخانيين ذذات مدنية وازدهار راق ، وكثيرا من المدن في تركستان الشرقية تهدمت واندثرت ، غير أن بعضا منها لا تزال آثارها باقية وكذلك أسماؤها، ولكن مدنا كثيرة ذكرتها كتب التاريخ لم نجد لها آثارا حتى الآن ، وفي كتاب (تاريخ رشيدي)يذكر مؤلفه كثيرا عن الأمصار المعمرة آنذاك وأنه رأى آثار مدن ومساجد وجوامع علمية وأضرحة وأقبية ومنارات في سياحته وتجواله العام في تركستان الشرقية ويعطي بيانات ضافية ، وقد بينا ذلك في الخريطة رقم ١٤حيث إن أكثرها لا يعلم الآثار منها لا تحقيقا ولا تقريبا، وفي تلك الأزمنة البعيدة كانت في ولاية خوتان أكثر من عشرين مدينة، أما الآن فلم تبق إلا ستة مدن فقط.

وكانت في عهود القاراخانيين أنهر اصطناعية وجداول لروافد المياه ومدنا مزينة؟، وجوامع ومدارس علمية دينية ومنارات غاية في الرشاقة، ولا سيما في مدن كاشغر وهوتان وكوجا وبالاساغون وبارسغان توجد مظاهر مدنية كنموذج باهرة، وهذه الروايات من مؤلف كتاب تاريخ رشيدي دوغلات.

وأما مدن قوجو ، بش باليق وإيلي وجونغ بيلقوكنكيت وأمثالها فحافظت على كثير من آثار بناياتها القديمة التي تنبئنا بان هذه المدن كانت في زمانها غاية في الأبهة والعمران الراقي والشكل الهندسي الأخاذ.

الصناعة:

إن التركستانيين الشرقيين المهرة في الصناعة على اختلاف أنواعها اشتهروا بصناعتهم الراقية، وقد عرفوا منذ القدم تربية دودة القز وصناعة الحرير منها وعرفوا أن ينسجوا منها مختلف المنسوجات الحريرية الراقية منها الأطلس وبَقَسَم وشاهي أي المنسوجات الملكية، وأما صناعة العمران فكانت مزدهرة في عهد القاراخانيين ، وفي رأي آخر كانت العمران قد وصلت حد الكمال منذ عهد قديم، حيث إن آثار المعمار القديم من جوامع ومساجد ومدارس وحمامات ومنابر وأقبيةتنبئنا أن المعمار وصل لحد الذروة بفنون تشكيلة ودقة متناهية، وكذلك بناياتالأضرحة والقباب ذات أبراج زاهية وجمال أخاذ ونقوش ذهبية، ومن البراهين والحجج لقى الصناعة المعمارية ما اكتشف بالقرب من مدينة خوتان وهو عبارة عن قصور ذهبية اللون ربما اكتشف بالقرب من مدينة كاشغر من مقبرة القاراخانيين فيها زخرفة متناهية الدقة والهندسة المعمارية بأصولها الكلاسيكي القديم في غاية الجمال والرونق الأخاذ تخبرنا عن اهةملكية عند القاراخانيين وتقدم الصناعة في تركستان الشرقية آنذاك.

وإن عدم وصول تلكم العمران حتى زماننا نحن الآن له سببان:

الأول : إن المعماريين لم يستعملوا الحجار في عمراهم تلك ، بل عمروا بالآجر الأحمر فقط، والسبب الثاني: إن التركستان الشرقية بعد عهد القاراخانيين

بقيت تحت هجمات الجبابرة من الوحوش من الجناس البشرية وهم هدامون احترفوا النهب والسلب واللصوصية.

وكانت صناعة النسيج على اختلاف صنوفها وألوانها ومواردها المتباينة غاية في التقدم والمتانة وألوان جذابة ثابتة حيث إن المكتشف منها في كل من مدينة خوتان وجرجن وكاشغر وأوجتورفان وكوجار وقاراشهر وطرفان وقمول وأوج آل (دون خوانغ وآنشي) من أقمشة حريرية والوبر والقطن تنبئ ذلك وبالخاص بقايا أكفان الجنود الذين ماتوا في حروب في ولاية خوتان من جيوش القارانيين تثبت ما قلناه في تقدم صناعة النسيج في ذلك الوقت، وأن مهارة الأتراك في صناعة النسيج تستحق التقدير.

وهناك صناعات معدنية في ذلك الوقت قد ثبت علميا أنها من عهد القاراخانيين من ذهب وفضة وباقروونحاس من أسباب الزينة ، وكذلك العدة والآلات من حديد وأحجار ، وكذلك صناعة الخزف من أواني مترلية متقدمة ومن آلات الحرب من حديد وزهرة الحديد ونحاس وآلات الزراعة وحلقات الأذن للنساء وبناجر وخواتم من أحجار قاش تاش وغيرها من الصناعات التي صنعت في عهد القاراخانيين ،حيث تثبت هذه الاكتشافات مدى مهارة الأتراك في صناعة المعادن في آسيا قديما.

وإن صناعة المعادن وتجارتها قد ازدهرت في تركستان الشرقية آنذاك حيث إن الفائض من حاجة البلاد تصدر إلى الدول المجاورة من ذهب وفضة وباقر

ونحاس ، فهذه الصناعة صناعة المعادن تبين من صادراها إلى الخارج من اكتشاف تلكم الصناعات في خارج تركستان الشرقية.

ومن الاكتشافات من عهد القاراخانيين وإليكخانيين ومسكوكات العملة القديمة توجد عينات منها في كل من متحف بترسبورغ وبرلين ولندن، من معادن ذهب وفضة وباقر ونحاس ، ويقول ستانلي بول: إن تواريخ أسماء القاراخانيين وإليكخانيين وتواريخ ولادهم وتواريخ جلوسهم للعرش ووفاهم أخذها من تلكم العملات المعدنية التي وجدت في تلكم المتاحف آنفة الذكر.

الزراعة والتجارة :

والذي يزور تركستان الشرقية يرى لأول وهلة أن هذه البلاد لا يمكنها العيش بدون الأنهر الاصطناعية والجداول الممتدة هنا وهناك لسقيا مزارعها الواسعة، وإن الأمم التي عاشت في تلكم البلاد منذ الآف السنة كانوا يكافحون ويعملون في تنمية زراعاهم وصناعتها المحلية والتجارة ، وإن كدحهم ومثابرهم وجدهم وجهادهم أثمرت وأعطت أكلها منذ القدم ، فهذه الحقيقة يعرفها الزائر بدون عناء وفكر حيث إنها من بدهيات معروفة موغلة في القدم ومعلوم لدى الجميع إن الترعات والأنهر الصناعية والأحواض والسدود شبه اصطناعية في عرض البلاد وطولها أو أكثرها عملت أو حفرت في عهد القاراخانيين، وكل تلكم المنشآت الزراعية من ترع وآبار وأنهر اصطناعية وجداول وأحواض الماء في جميع مقاطعات البلاد كانت ولم يزل من موروثاتنا

القديمة من عهود القاراخانيين ، وقد أنشئت هذه المنشآت لتسهيل تنمية الزراعة ليعيش العباد في أمن الغذاء وأمان الأجيال القادمة.

وإن الآثار واللمسات البارزة على مخلفات من أراضي زراعية موجودة منذ القدم تنبئنا أن تلك الأراضي والمساحات الممتدة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا كانت مزروعة ومنبتة وقد عانت أصحابها الأولون الأمرين في سقيا زراعاتهم وعاشوا عليها ، وقد أصبحت الآن آثرا بعد عين، وكانوا يزرعون مساحات شاسعة وعلى اطراف البلاد، وتخبرنا أيضا أنهم مكابدون ومتنجون في غاية من المهارة والتقدم في فن الزراعة.

وإن أتراك آسيا أبوا واجتهدوا في إيجاد ماء للأرض تبعد عن المياه فأعملوا فكرهم بأن يخرقوا الجبال ارتوازيا ويسقوا مزارعهم من تلكم الجداول الجوفية وعملوا سدودا وترعا وأحواض ليحافظوا على الماء

إلى وقت لسقيا مزارعهم ، وكانت صناعة حفر الآبار الارتوازية إحدى خصوصيات تركستان الشرقية منذ القدم ، ونجد الآن مئات من تلك الآبار الارتوازية في مدينة طرفان المتاخمة لجبال تنغري تا غ (تيانشان) شمالا .

ولم تكن الزراعة في تركستان الشرقية قاصرة على زراعة الحبوب الغذائية فقط، بل تعدت إلى ثمار الفواكه وحبوب الزيت وبذور نبات الحبال والقطن ، وكانت البستانية رائجة في عرض تركستان الشرقية وطولها وبها المئات من مختلف الفواكه الموسمية والشتوية ووصل هذا الفن أي البستانية إلى وقتنا الحاضر ولم تزل تركستان الشرقية سيدة البستانية في المنطقة.

وإذا جئنا إلى المصنوعات المعدنية التجارية كانت تجارة البدل سائدة في عمومتركستان بان تتبادل السلع بسلع ، وكان اهل الجنوب في تركستان الشرقية صناعيين وزراع معا بينما الشمال من تركستان الشرقية اشتهر بتربية الغنام ، وكانوا يتبادلون بصناعاتهم افبل والغنام والخيول وقد اشتهر فيهم القوافل التجارية (الكاروان) يجوب في البلاد شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ولهم محلاتهم التجارية المعروفة بالدكان ، وقديما قالوا لأهل الدكان (كبتجي) وللقوافل الحاملة (آرقش) وتمتد القوافل التجارية الحاملة غلى الصين والتبت وإلى تركستان الشرقية والغربية ةوإيران والهند تحمل منصنوعاتهم المعدنية وتسويق الحيوانات اللاحمة والمركوبة مثل الإبل والحصان ، وكانوا يجلبون من الصين القمشة الحريرية وأدوات الزينة للنساء والأدوية والصباغ، وبالخاصة كانت تجارة تركستان الشرقية مع الهند والتبت محصورة نسبيا بأهل خوتان وتجارها الميامين.

وفي ظل سيادة وأمن البلاد في عهد القاراخانيين ازدهرت وراجت وتقدمت التجارة العالمية بين الشرق والغرب حيث كانت البلاد همزة وصل بين الطرفين وتملك آلاف القوافل التجارية الحاملة (الكاروان)المكونة من الدوائب الحصان والبغال والإبل والحمير وعربات الحمل ذات عجلات فارغة، ولعلي أكون جازما إذا قلت إن التجارة العالمية بين الشرق والغرب كانت محصورة لأهالي تركستان الشرقية .

وإن القاراخانيين قاموا بحفر آبار على امتداد الطرق البرية الصحراوية بين شرق آسيا وغربها، وكذلك بنوا مراكز واستراحات لتسهيل سبل التجارة الذاهبة والآيبة ، وإنهم بنوا مخازن عبر الطرق هنا وهناكلتخزين عشب الحيوانات والحبوب وما يحتاج إليه القوافل التجارية من اغذية، وعلى ان تدوم هذه الخدمات عبر السنين أوقفوا وقفا تدر إيرادا يكفي لمصاريف هذه الخدماتابتغاء لوجه الله تعالى ويثاب عليها، وقد بقيت إلى عصرنا هذا أجزاء من هذه المنشآت سالمة وصالحة للاستعمال ، وكان القاراخانيون ينصبون علامات خشبية للإرشاد لعدم ضياع القوافل ورجال التجارة في الصحارى الخوالي وفيافي الرمال النتحركة.

وكانوا يسمون هذه العلامات بإيلا، وبالنظر إلى العمارات الشخصية في عهد القاراخانيين ذوات النقوش الذهبية والخطوطة الحمراء وكذلك بالنظر إلى المسكوكات المرصعةى بالجواهر من ذهب وفضة ويامبو وأثواب النساء المرصعة بالجواهر أيضا نرى إلى اي مدى وصل إليه اهالي تركستان الشرقية من غنى وعزة وجاه في عهود القاراخانيين في زمانه.

رتب الشرف في عهد القاراخانيين..

للقاراخانيين رتب حسب المناصب الإدارية في الدولة ، ومن ملوك القاراخانيين من له فتوحات وحظوظ فائقة تسببت في ازدهار الدولة وتقدمها وتفوقها على جيرانها كان يلقب ببغراخان أو بقاراخان أوبتونغكا خان تعني الفهد ن ومن له ينسب إليه جلالة القدر للدولة وذات هيبة ومنعة وتفوق

سياسي له بين الدول المجاورة يلقب بقدرخان أي ذو قوة ومنعة ، ومن له ينسب القرار النافذ والفصل المبين يلقب بقليج خان تعني سيف الدولة سواء قاراخان نفسه أو غليك خانيين ، ومن له ينسب العلم والإدراك والدراية وبعد النظر يلقب بكول بلكه خان تعني له العلم اللدني .

وأما الأمراء من الأسرة المالكة فيلقب بتكين وتارة يلقب بتاريم ، ومن الأمراء من له قلب الأسد لا يهاب ولا يخاف يلقب بتونغا تكين أو بآلب تكين تعني الأمير البطل أو بياغان تكينتعني الأمير بعظمة الفيل ، ومن له الخدمات الجليلة والمواقف البطولية الصارمة بخلوص النية للوطن والملك ولو لم يكن من السلالة الملكيةتارة يلقب بآلب تكين أكثرهم من أولاد النبلاء، وكانوا يقولون للوزير في الدولة وأي وزير كان يلقب بيوغروش وكانوا يقولون للحاجب تايانغو أي المؤتمن الشخصي الذي يكون خدمته بين الراعي والرعية، وقد تعطى لقب ألب تكين لأبناء الذوات من سلالة الأعيان.

أصلا لقب إليك تكين تمنح للأمراء من سلالة الأسرة المالكة يعني نائب قاراخانحيث إن إليك تكين هو الحاكم لمقاطعة ما يحكم البلاد كبلاد مستقلة وهي المقاطعات الكبيرة الواسعة في جهة من بلاد قاراخان التركي.

وأما الولايات المستقلة وملكها من المحليين فتمنح ملكها عنوان جووي الدرجة الأولى ، وأما الدرجة الثانية فيابغو، والدرجة الثالثة توقسين، والدرجة الرابعة باشقان أو بوشقا، وأما الخانية الوحيدة من المستقلين ملك الأويغور فلقبه إديقوت، وأما السكرتير أو الكاتب عن القاراخانيين فيسمى ألمغا.

وأما القائد العسكري عموما فيحمل عنوان باشقان، وأما كلمة باش قوماندان فباش قوماندان الجبهة الفلانية مثلا، وأما البطل والقائد العسكري الذي أبدى بسالة في جبهة ما يقال له آلب في الدرجة الأولى ، والدرجة الثانية سوقماق، وكلتا الكلمتان تعنى البطل.

وأما أبناء الذوات وأمراء الأعيان فيحمل الدرجة الأولى لقب (ترخان) والدرجة الثانية لقب (بك) والدرجة الثالثة (باي).

اللغة التركية وأدبياتها في عهد القاراخانيين...

كان القاراخانيون متشبثين دائما تتريك كل شأن من شئون البلاد ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم الكلاسيكية القديمة، وبالتالي يحافظون على اللغة التركية حيث إن اللغة التركية كانت لغة الدولة يحترمونها بالدرجة الأولى ، وكانالأدباء والغويون الأتراك يتحاشون من استعمال كلمات غير تركية ، وكل شيء أتى من خارج البلاد يسمونه باسم تركي، وربما يكون هناك اسم شيء هام وحساس ودقيق يحاولون تجاهه إيجادووضع كلمة مناسبة ومفهومة تعطي الغرض والأبعاد ، وكانت الأدبيات المحلية مترقبة وذات مكانة عالية ، وفضلا عن الدبيات الناطقة في الشارع العام كانت هناك الفاظ أدبية للكتابة والتأليف ، وقد وجدت هناك كتب مؤلفة نظما ونثرا الأمر الذي يؤكد وجود لغة الدبيات والكتابة والتأليف ، والوثائق التاريخية والتجارية والصكوكالقضائية وكل الشئون الي تتعلق بالقيد والرسم تكتب باللغة التركية

بألف باء الأويغور القديمة ، حيث إن ألف باء العربية والخط العربي كأسلوب كتابة لمتقبل في عهد القاراخانيين في تركستان الشرقية، ولكن العلماء فقط من أهل البلاد كانوا يعرفون اللغة العربية والفارسية، والكتب التي ألفت بهذه اللغات كانت تكتب بخطوطها.

وفي أواخر عهد القاراخانيين بدأت اللغة العربية تدخل في صميم الأمة التركية كلغة وأسلوب كتابة ، وراجت نقل الكتب العربية او المترجمة بالأحرف العربية ، وبرغم ذلك لم تتقبل الأمة بعد اللغة العربية حسب الإملاء العربي وكذلك التراكيب وافعراب ، فكانت تختلف الجمل حسب تركيبهم الناقص لا توافق الإملاء العربي حيث يؤشرون للكسرة بياء زائدة وللضمة بالواو وللفتحة بالألف الزائدة كما في

الكلمات الاتية: بركان، تورسون، قيلديم، وإذا كتبناها بالإملاء العربي تكتب هكذا: بركن، ترسن قلدم، والخلاصة أن دولة القاراخانيين لم تقبل اللغة العربية والكتابة العربية وكتبوا بالأحرف الأويغورية حتى سقوط دولتهم.

من البديهي أنه في عهد القاراخانيين برزت وتألقت كتب كثيرة نظما ونثرا ، وقد وصل إلى زماننا الحالي كتابان باللغة التركية الأويغورية القديمة أحدها كتاب (قوتادغو بيلك) أي العلم المبارك أو علم السعادة، وهذا كتاب منظوم يشمل ٦٥٤٥ بيتا (١٣٢٩٠ مصراعا) كتبت باللغة التركية الخالصة ولا توجد في الكتاب غلا أقل من مائة كلمة عربية ، يضم الكتاب

قضايا فلسفية واجتماعية في كل مجالات الحياة، وغن هذا الكتاب ينبئنا مدى ما وصلت غليه الأمة التركية في عهد القاراخانيين الأتراك قديما في مجال الحضارة ، ألف هذا الكتاب يوسف خاص حاجب بالاساغوني الأصل (تايانغو) كاتب القاراخان، ألفه في مدينةكاشغر وأتمه بتاريخ ٤٦٢هـ الموافق ١٠٦٩م، قدم كتابه هذا إلى مقام تاوغاج قاراخان الغرب أبوعلي حسن بوغرا تاوغاج قاراخان ، وقد كتب الكتاب بتمامه بألف باء الأويغور .

وأما الكتاب الثاني فكتاب ديوان لغات الترك للعلامة اللغوي المؤرخ الأديب محمود بن محمد الكاشغري ألفه لجمع لغات الترك حيث قام بجولات لعموم بلاد الترك في آسيا آنذاك لجمع مواد الكتاب لغة ولهجة وأسلوب حياة وذلك لسنين عديدة ، يأتي المؤلف بكلمة تركية ولهجتها وينسبها لقبيلة تركية ثم يترجمها إلى العربية، وغالبا ما يأتي ببيت شعر تركي أو مثل تركي ثم يأتي بمثيلها بالعربية ، وبهذه الصورة يوضح الكتاب اللغة التركية القديمة والأدب الشعبي التركي، فهو بذلك تعتبر كتاب قيم فريد، ويقع الكتاب في ثلاث مجلدات، وترينا هذا الكتاب الذي ألف على طراز غير مسبوق من الترتيب والتنظيم حتى ذلك الوقت ترينا مدى طول باع علماء تركستان في التأليف والتصنيف.

وإن سبب ترجمة المفردات إلى اللغة العربية كان يقصد بها غفهام الناس لغة قومه الأتراك، حيث إن كوادر الدولة العباسية وقواد الجيش ومعظم الإداريين كانوا أتراكا ، ولأجل أن يعرف الخليفة العباسي وأمراؤهم اللغة التركية ويحسن التفاهم بين الجانبين التركي والعربي لحاجة بعضهم إلى بعض يوميا في

أعمالهم وإدارة شئونهم، وإن المؤلف محمود الكاشغري قدم كتابه هذا إلى الخليفة المقتدي بأمرالله العباسي بمدينة بغداد ، وبمرور الوقت دخلت مفردات أجنبية في تركستامن الشرقية والغربية ، وإن الكتاب والشعراء والأدباء صاروا يدخلونها في كتبهم وأشعارهم لسبب من الأسباب وتناست في أوساطهم كثير من مفردات لغتهم الأصلية، فبرز احتياج اللغويين منهم إلى مراجع علمية للحصول على مفردات لغتهم الأصلية، فلم يجدوا إلا هذين الكتابين، وقد طبع الكتابان في تركيا وبعض المراكز العلمية الأوربية وأصبحا مرجعين أساسين موثوقين لعلماء اللغويات الذين يبحثون في لغة الأتراك وأدبياتهم، وإن هذين الكتابين سوف يلعبان دورا مهما في إصلاح لغات الأتراك.

وضع القاراخانيين السياسي بين الدول المعاصرة..

لا نملك معلومات كافية في العلاقة بين القاراخانيين وبين الخلافة العباسية ، والمعلوم لدينا أنه في عهد القاراخانيين لم تعد نفوذ كافية للخلافة العباسية في تركستان الشرقية والغربية ولا سيما النفوذ السياسي، ولكن في العهد الول للقاراخانيين كانت هناك سلطة كاملة على كل من تركستان الغربية وأفغانستان وإيران، وكانت العلاقات بين السامانيين والخلافة العباسية علاقة ود واحترام ، وعندما سقطت دولة السامانيين ووحدتهم في عهد خلافة هارون بوغرا قاراخان ، والذي اكتفى بوراثة أنقاض السامانيين أهمل الأخير

العلاقة مع الخلافة العباسية حيث إن القاراخانيين أصبحوا دولة مهيمنة على تراب آسيا كلها بدون منازع من حيث السيادة ، ولذا كان السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود يحترمونالقاراخانيين وكانوا يسعون دائما لتحسين العلاقة مع القاراخانيين.

وكذلك السلاجقة كانوا يحترمون القاراخانيين ويعتبرونهم عمداء السلالات الحاكمة في ىسيا كلها فيجب احترامهم، وفوق هذا كان السلاجقة يرون في سلالة القاراخانيين سلالة الإمبراطورية الأسيوية.

ولو ان خانيتا كانغوت وخطاي لم تكونا تحت سيادة القاراخانيين إلا أنهم كانوا يرون في القاراخانيين قيادة معنوية وحمية عرقية لهم وكانوا يودون صداقتهم حتى يسلموا من هجماتهم، ويبعثون بإتاوات بالغة القيمة وهدايا سنوية للقاراخانيين ، ويقول محمود الكاشغري في كتابه (ديوان لغات الترك) : إن القاراخانيين يرسلون كتاباتهم لإمبراطور الصين باللغة الأويغورية ، وبالمثل احتراما للقاراخانيين يرسل الإمبراطور الصيني جوابه إلى القاراخانيين باللغة الأويغورية، وهكذا كانت مكانة القاراخانيين في آسيا كلها شرقا وغربا، فنعلم من هذا أنه كان للقاراخانيين هيبة وصلابة ونفوذ معنوي على افمبراطورية الصينية، وتفوق القاراخانيين من حيث قوة الوضع السياسي على الصينيين.

وبهذا الاعتبار يمكن النظر إلى الدول المجاورة المعاصرة للقاراخانيين، وإن العامل المهم في التفوق القاراخاني يكمن في الجانب العسكري، وثانيا تفوق القاراخانيين في ساحة الاقتصاد، وزد على ذلك تفوق القاراخانيين في الميدان

السياسي في أقاليم آسيا كلها، ولكن مع الأسف لم نعلم السبب أو الأسباب التي ساعدت لتفوق القاراخانيين في سائر الجوانب الإيجابية لهم ونجهل تفصيل ذلك.

ملاحظة في أسباب انهيار دولة القاراخانيين والدول التركية الكبرى قبلها...

نرى في التاريخ البعيد أن دولا مثل دولة الهون ودولة الجوجان ودولة كوك ترك ودوبة يفطل ودولة تركش ودولة الأويغور ودولة القاراخانيين كلها دول تركية عاشت في قارة آسيا قديما، ولكن المؤسف حقا إن الواحدة منها تعيش ثلاثا أو أربعة قرون لا غير ثم تسقط، ومن الطبيعي أيضا أن يكون لسقوط واحدة منها أو كلها سبب أو أسباب مختلفة.

ولكن بعض المؤرخين المعاصرين لهم ملحوظة في هذا الخصوص،ألا وهي أن أمة الترك قديما بدءا من ملوكهم وأمرائهم كانوا يعرفون جيدا إن الحرية ديدنهم وبها يؤمنون، ويعتقدون أيضا أن الحرية حق كل

فرد عضو في جامعة الوحدة التركية،وإن الحرية أعز من كل شيء في الحياة،وإن الملوك والخاقانيين يرون وحدة متماسكة في أمة الترك تجاه الغيار والمتربصين بهم،ولذا كان يمنح الأمراء المحليين حكماذاتيا شبه مستقلةفي إدارة بلادهم،وكذلك الأمراء من الأسرة المالكة،وزد على ذلك تقبل الملوك والخاقانيين حماية حكومات مجاورة لهم من الأتراك،يرث أولاد الحاكم الحكم أبا عن جد ويعتبروها جزءا من ممتلكاتهم، وتعتقد مثل هذه الحكومات تبعيتها

للقاراخانيين أو الهونيين مثلا انتماء لبجامعة الترك في آسيا،غير أنهم مستقلون استقلالا تاما في شئونهم الإدارية والمالية والعسكرية،ولهم أوعليهم شئونهم الإدارية والعخارجية باختيارهم،فمن الممكن جدا أن يقوى الواحد منهم جيشه ويحسن تدريبهم والأمر إلى هنا لا بأس به، ولكن ما هو المانع من قيامهم بعصيان على مركز الدولة الأم على الملك أو الخان أو إليك خانيين الذين السلطة بيدهم بصفتهم نائبين لخاقان الترك، وإن الأدهى والأمر أن يقوم واحد منهم بعصيان ويسهل لهم التوفيق في عصيانهم هذا من جهة،ومن جهة أخرى يسهل هذا العصيان للعدو الخارجي من الدول المجاورة المتربصين لإيقاع الفتنة وزحزحة الأركان في دولة خاقان الترك،وإن هذه الدول المجاورة يندفع إلى مساعدة العصيان الداخلي وتهيئة الأجواء لصالح العدوان الخارجي ويلتقي ذلك العدوان مع العصيان الداخلي في إضعاف وضع المركز للدولة والتي تسهل الطريق لسقوط الدولة القاراخانية التركية والتي قبلها من دول الأتراك، وإذا نظرنا إلى عدة دول من دول الأتراك التي ورد ذكرها في الكتاب ووقائعها الأخيرة قبيل سقوطها نرى السبب نفسه في سقوطهم واندثارهم وانقراضهم.

الفصل الثاني

دولة قاراخطاي في تركستان الشرقية والغربية..

كانـــت في الجـــنوب من منطقة مانجو قبيلة تركية تسكن في تلك المنطقة ويقـــال لها قيطاي، ويقول التركستانيون لها خيطاي، وتقول المصادر التاريخية الصينية لها : ليا أو ، وذلك ان زعيم القبيلة سماها ليا أو ، وكانت لها حكومة محلـــية، وإن المنطقة التي يسكنون فيها تعرف بليا أو حتى الان ، وكانت قبيلة خطاي هذه تعيش على الزراعة والتجارة ، وكانت أهالي ليا أو آمنين مطمئنين يعيـــشون في دعةوسلام، ولأجل أنهم أتراك أصلا أعلنت تبعيتها لدولة كوك تـــرك في القرن السادس الميلادي، وفي عهد قوتلوق كوك ترك وكان قاقاغان خـــان رئيسا للدولة قامت قبيلة خطاي بثورة كبيرة واستعملقاقاغان خان قوة كبيرة لإخمادها ووفق في ذلك، ثم سقطت دولة كوك ترك للمرة الثانية فبدات الخطـــاي بتوسيع رقعتهم من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا دائمي الحرب مع قـــبائل قرغيز التي كانت قد تغلبت على الأويغور الشرقيين والذين تمكنوا من تأسيس دولتهم في منغوليا باسم دولة القرغيز.

وفي القرن التاسع الميلادي قامت حكومة قبائل خطاي بهجوم كاسح على حكومة قرغيز تحت قيادة زعيمهم يوللي خان، أي زعيم قبائل خطاي وتغلبت

على حكومة قرغيزواستولت على عاصمة قرغيز الواقعة على ضفاف نهر أورخون الغرب من منغوليا، وطردت قبائل قرغيز إلى موطنهم الأصلي منطقة ياما (ينسي) وبهذا اتخذ يوللي خان إحدى المدن على ضفاف نهر أورخون عاصمة له ، وكانت مملكته تشمل كلا من غرب منشوريا ومنغوليا، وفي عام ٢٨٥هـ الموافق ٩٠٧م أغار يوللي خان بثلاثة ىلاف فارس على شمال الصين والستولى على منطقة بيجلي، واتخذ مدينة بيكين عاصمة له، ومع هذا كان يوللي خان يحافظ على دولته أمام إمبراطور الصين آل سونغ وآخر حكامها وبموفقية فائقة، وبعد وفاة يوللي خان خلفه ابنه وأعلن نفسه خانا أي ملكا على شمال الصين ومناطق أتراك الشرق ، ومنح لنفسه لقب أو اسم ليا أو.

وفي عام ٣٨١هـ الموافق ٩٩١م أخذت دولة قيطاي منطقة تسكن فيها قبيلة جورجن المتولدة من قبائل تونكوز التركية ، وكانت منطقة جورجن هذه من تخوم مناطق منشوريا، ويكتب المؤرخون

المسلمون جورجن هذا بجورجيث،وفي عام ٣٨٣هـ الموافق ٩٩٣م أغارت دولة قتاي على شبه جزيرة كورياواستولت عليها تماما،فصارت دولة قتاي في منتهى توسع دولتهم.(انظر الخريطة رقم١٥).

وفي عام ٣٩٥هـ الموافق ١٠٠٤م صارت مجاربة بين إمبراطور قتاي وبين إمبراطور الصين، وحاصرت قتاي عاصمة إمبراطور الصين مدينة كاي منغ ، وعندها طلب إمبراطور الصين صلحا بشرط دفع إتاوات سنوية لإمبراطور

قتاي وصانت دولته من الانهيار التام، وبهذا دخلت دولة الصين تحت حماية دولة قتاي ومحيط نفوذها.

والآن حسب اختيار أمتنا في تسمية قتاي بخطاي نكتب خطاي .

وكان يوازي حدود دولة خطاي غربا لحدود دولة القاراخانيين وحسب ما ذكرنا سابقا أغارت دولة قاراخطاي على تركستان الشرقية بمائة ألف فارس عام ٤٠٨هـ الموافق ١٠١٨م وكان اول هجوم لهم على منطقة آلتاي إيكي أوكوز، واستولوا عليها ثم زحفوا غربا وهجموا على ولاية إيميل جوجك واستولوا عليها، ثم هجموا على ولاية منغلاق، غولجا وكانوا على وشك استيلائهم عليها ، ولكنغليك خان الشمال نائب قاراخان قام بصدهم بجيوش كاسرة وهزمهم وطاردهم حتى إلى حدود دولتهم وأسرمنهم عشرة آلاف فارس وقتل عشرات الالآف منهم ، وبهذه الهزيمة النكراء على دولة خطاي أذعنت بدفع مبالغ كبيرة كجزية مفروضة عليهم لمدة عشرات السنين القادمة ولمتقم لهم بعد هذه الواقعة قائمة حتى نهايتهم.

وإن قبيلة جورجن التي أخذتها دولة قاراخطاي تحت سيادتها سابقا قامت بانتفاضة عام ٥١٥هـ الموافق ١١٢٠م ، وانقلبت هذه الانتفاضة إلى حروب أهلية دامت خمس سنوات ونتجت هذه الحروب بسقوط عاصمة الصين مدينة بيكين بيد قوات جورجن الثائرة وذلك عام ٥١٩هت الموافق ١١٢٥م، فانهارت بذلك دولة خطاي وانقاد بعض من خطاي لدولة جورجن وبعضهم هربوا إلى الشمال الغربي وبالذات إلى ضفاف نهر ياما منطقة يانسي

بجانب تجمعات قبائل قرغيز، ولكن قبائل قرغيز كانت تغار عليهم وتسلب ممتلكاتهم وتنهبهم، ولذا قرر قاراخطاي الرحيل من على ضفاف نهر ياما إلى جهة أخرى، فذهبوا إلى الجنوب الغربي حيث حكومة إليك خانية الشمال وطلبوا منها أرضا يسكنون فيها ، فمنحهم إليك خان الشمال أرضا في منطقة إيميل، وعندما سكنت زمرة الخطاي في منطقة إيميل كانت الدولة القاراخانية تعيش حالة الضعف والانحلال، فاغتنمت قبائل الخطاي هذه الفرصة وأسسوا في منطقتهم حكومة لهم، واستولولا على مدينة إيميل واتخذوها عاصمة لمملكتهم، وسرعان ما تحولت هذه المدينة الصغيرة إلى بلدة كبيرة يصل عدد سكانها إلى أربعين ألف نسمة ، الان ترون آثار هذه المدينة بالقرب من مدينة جوجك تبعد عنها جنوبا بأقل من عشرة أميال، وتقع هذه الطلال على ضفاف نهر إيميل القريب منها ، وقد يقال له أي للنهر سريق إيميل ، هذا ما فعلته قاراخطاي الذين هاجروا إلى تركستان الشرقية وسكنوا في أرض منحت لهم، ويقول لهم التراك المحليين قاراخطاي وتقول لهم المصادر الصينية : شي ليا أو ، وكلا هذين اللفظين بمعنى واحد تعني قبائل الخطاي الغربية.

استيلاء دولة قاراخطاي على تركستان الشرقية والغربية..

وفي هذا التاريخ القرن السادس الهجري كانت دولة القاراخانيين في عيشة غير رضية عيشة التردي والضعف والاضمحلال، وكانت إليط خانية الغرب قد انقادت لسيادة السلطان السلجوقي ، بينما في إليك خانية الشمال قامت

ثورات وقلاقل من قبل خانيات صغار من أمراء العشائر وشيوخ القبائل واحدة بعد أخرى ، وكان القاراخانيون يعيشون هوس الأهواء من نفوذ فكانت الدولة القاراخانية تعيش عيشة النضوب.

تقريبا في عام ٥٢٥هـ الموافق ١١٤٥م دعا إليك خانية الشمال أمير قبائل خطاي الأمير نوسشي خان إلى مركز بالاساغون واستعمله في محاربة الثوار والانقلابيين في البلاد ، فقام نوسي خان بالمهمة خير قيام حيث انهزم الثوار ورجعوا إلى طاعة غليك خان الشمال ، فكافأ إليك خان الأمير نوسي بمنصب القائد العام للجيش وأمره بالبقاء في بالاساغون ، وتظاهر نوسي خان بالإخلاص فليك خان الشمال وسيادته ، غير أنه استدعى جمعا غفيرا من رجاله إلى بالاساغون ، وفي خلال ثلاث سنوات اجتمع لديه عدد كثير من أعوانه المخلصين وأخذ في يده كل الشئون الإدارية في بلاد إليك خانية الشمال في مركزها بالاساغون، وفي عام ٥٩٨هـ الموافق ١١٣٤م قام نوسي خان بأعوانه بالهجوم على بلاط إليك خان هجوما مباغتا وأسر إليك خان وأفراد أسرته ، وفي خلال أربعة أو خمسة أشهر أجبر سائر الخانيات وأمراء القبائل للدخول تحت قيادته وسيادته، وفي عام ٥٣٠هت الموافق ١١٣٦م قام نوسي خان بالهجوم على مدينة كاشغر المركز الرئيسي لقاراخان خاقان الترك، وانهزم الأخير بهذا الهجوم الكاسح، واحتل نوسي خان مدينة كاشغر ، وأما ولاية خوتان وياركند وكوجار وأوج الولايات الأربعة فلم يمض وقت طويل حتى أخضعها كلها إلى سيادته وطاعته، وبهذا أطاح الأمير نوس (قاراخطاي)

بدولة القاراخانيين حتى النهاية، وبعد هذه الحركات المظفرة أعلن الأمير نوسي خان على نفسه لقب جورخان، وكلمة جورخان تعني في لهجة قبائل خطاي الخان العظيم ، ونهج جورخان سياسة القاراخانيين في إدارة شئون البلاد وأعطى أو منح للخانيات وأمراء العشائر القبلية استقلالها الذاتية ولبعضها استقلالا تاما.

ومن هذه الخانيات خانيةخوتاندولة قليج خان،وخانية الأويغور التركية إديقوت،وخانيةقارلوق يابغو.

وفي عام ٥١هـ الموافق ١١٣٧م أقدم جورخان نوسي لحرب إليك خان الغرب فهجم على منطقة فرغانة ، وعندما بلغ الخبر لإليك خان الغرب جهز جيشا لصد هجمات جورخان على فرغانة وخرج بجنوده منمدينة سمرقند قاصدا الفرغانة وصارت حروب ومصادمات شرسة بين الطرفين وانهزم إليك خان الغرب قاراخان قليج تاوغاح بوغراخان في حرب وقعت بجانب مدينة خوجند وعاد إلى سمرقند، ولكن جورخان تعقبه ووصل بالقرب من مدينة سمرقند وعجز إليك قليج خان تاوغاج بوغراخان عن الدفاع وطلب من جورخان المصالحة، غير ان الأخير وضع شروطا على المصالحة بحيث يكون لإليك خان تاوغاج بوغراخان دولة مستقلة ذاتية الحكم تابعة لدولة جورخان ، وعلى ان يدفع غتاوات سنوية لخزانة جورخان ، وبعد هذه المصالحة اعترف جورخان باحقية إليك خان تاوغاج بوغراخان ملك تركستان الغربية وعين

مبعوثا رفيع المستوى لدى بلاط إليك خان وأبقى في سمرقند جنودا كافية، ثم عاد إلى مدينة بالاساغون.

وبهذه الوقائع كلها دخلت تركستان الشرقية والغربية تحت سيادة جورخان ملك قبائل خطاي التركية. (انظر الخريطة رقم ١٥).

ويقول بعض كتب التاريخ إنه كان دخول تركستان الغربية تحت سيادة جورخان خطاي في عهد ركن الدولة محمود خان ، وهذا خطا فاحش من حيث إن ركن الدولة محمود خان كان خانا إليك خانية الشمال وليس الغرب الذي هو ما وراء النهر.

وإذا جئنا للسلطان سنجر السلجوقي فإنه حزن كثيرا من وقوع منطقتي تركستان الشرقية والغربية المسلمتين في يد المجوس الخطاي جورخان وكانت تركستان الغربية تحت حماية السلطان سنجر السلجوقي في عهد تاوغاج بوغرا قاراخان.

ولم تمهل الحمية الإسلامية في نفس السلطان سنجر السلجوقي إلا ان أعلن حربا على نوسي جورخان خطاي وجهز جيشا كثير العدد وبتمام العدة والعتاد وهجم على منطقة بخارى وانتصر فيها

وفتحها ، ثم أقدم قاصدا سمرقند ، ولكن نوسي جورخان تصدى عليه في خارج سمرقند من جهة بخارى فوقعت حرب دامي بين الطرفين في منطقة يقال لها صحراء قتوان، وانهزمت قوات السلطان السلجوقي شر هزيمة وتشتت قواته وتبددت وهربوا ، ولم يستطع السلطان سنجر من جمع شتات جنوده

بحال من الأحوال وعاد إلى مرو عاصمة ملكه، وفي هذه الحروب الدامية وقع أكبر قائد لجيش السلطان سنجر أسيرا وجمع من زملائه في يد نوسي جورخان ، وعلى رأس الأسرى كان الأمير تاج الدين القائد العام وكثير من جنوده ، واخذهم نوسي جورخان إلى عاصمته بالاساغون، ثم بعد حين أطلق سراحهم وذلك عام ٥٣٠هـ الموافق ١١٣٥م.

وكانت منطقة خوارزم محكومة من قبل السلاجقة ، وكان آتيسيز خوارزمشاهحاكما عليها عن طريق الإرث عن أبيه ، ومنذ عام ٥٣٠هـ الموافق ١١٣٥م قام آتنيسيز خوارزمشاه يتعرض على حدود تركستان الغربيةبشكل عصيان على السلطان سنجر السلجوقي ، وكان هذا العصيان ساريا من قبل تصادم سنجر بنوسي جورخان وبعده، وتارة يطيعه ثم يعصيه، ولهذا السبب قام نوسي جورخان عام ٥٣٧هـ الموافق ١١٤٢م بتجهيز قائده آريزخان على جيش خوارزم شاهواحتل جزءا كبيرا من منطقة خوارزم، وعجز خوارزمشاه عن صد الهجوم وعرض لآريزخان صلحا ، وقبل آريز خان الصلح على شرط أن يدفع خوارزمشاه لجورخان مبلغ ثلاثين ألف دينار ذهبا كل عام ، وأن يجلس بجانب خوارزمشاه مبعوث رفيع المستوى ليضمن طاعة خوارزمشاه لسيده جورخان ، فقبل خوارزمشاه الشروط ، وفي رواية أن يجلس مبعوث جورخان بمستوى أعلى بجانب خوارزمشاه في العرش ، ثم عاد ىءريزخان بجيوشه إلى بالاساغون ، ومنذ هذا التاريخ حتى عام ٦٠٦هت الموافق ١٢٥٩م وهو سبعون عاما بقيت منطقة خوارزم تحت نفوذ وسيادة

خطاي نوسي جورخان ، ومضت فترة بسيطة من دون طاعة وخضوع ، ونأتي بتفصيل ذلك فيما بعد.

جويينغ جويانغ قاتون، وتيرجه خان يصبحون جورخان...

في عام ٥٣٧هـ الموافق ١١٤٢م توفي نوسي جورخان الأول وخلفه ابنه جويينغ خان ، وكان جويينغ خان طفلا صغيرا تنوب عنه أمه في إدارة الحكم في البلاد، وفي عام ٥٤٥هت الموافق ١١٥٠م تولى جويينغ خان إدارة الحكم بنفسه، وفي هذه الفترة كان آتيسيز خوارزمشاه يعيش في حاكميته على خوارزم باعترافه سيادة جورخان على البلاد مثلما كان سابقا ، وفي عام ٥٥٠هت الموافق ١١٥٤م

توفي آتيسيز خوارزمشاه وخلفه ابنه إيل أرسلان خان خوارزمشاه في عرش أبيه، وكان له اخ اسمه سليمانشاه وله من الأمراء من يميل إليه لينصبه ملكا ، ...ل إيل أرسلان خان بعضهم وهرب البعض الآخر إلى الفرغانة طالبين الأمان من تاوغاج بوغرا قاراخان، فقابل إيل أرسلان خان بطلبهم من قليج تاوغاج بوغرا قاراخان فرفض الأخير هذا الطلب، فقام إيل أرسلان خان بتجهيز جيش كبير قاصدا سمرقند ليأخذ المراء من تاوغاج قاراخان، وسمع جورخان هذا الخبر فجهز جيشا كبيرا تحت قيادة القائد إليك تركماني ، وكان عدد جيشه يفوق عشرة ءلاف فارس لمساعدة قليج تاوغاج قاراخان في صد هجوم إيل أرسلان خان خوارزمشاه، وعلى ضفاف نهر سمرقند صارت معركة

ضارية انهزم فيها إيل أرسلان خان وتشتت شمله فعاد إيل أرسلان خان بهذه الهزيمة إلى خوارزم ، غير أنه أذعن لدفع إتاوات بالغة وأكثر مما كان يعطيه أبوه لخزانة جورخان.

وفي عام ٥٥٨هـ الموافق ١١٦٢م توفي قليج تاوغاج بوغرا قاراخان وخلفه أبو علي حسن تاوغاج بوغرا قاراخان وهو ابن جلال الدين علي كورجان في عرش البلاد، واتخذ القاراخان الجديد عنوان السلطان لنفسه، والذين جاؤوا من بعده اتخذوا لأنفسهم هذا العنوان أيضا، وفي عام ٥٥٩هـ الموافق ١١٦٥م ترك إيل أرسلان خان خوارزمشاه طاعة جورخان وأخرج من البلاد مبعوث جورخان رفيع المستوى وقطع إتاوته التي كان يدفعها لخزانة جورخان، فقام جورخان بتجهيز جيش كبير تحت قيادته وتحرك قاصدا الخوارزم، وكان إيل أرسلان خوارزمشاه جاهزا للقتال بتجهيز جيش تحت قيادة أحد قواده السيد عيار بك الذي تقدم إلى الأمام لملاقاة جورخان فتصادمت القوتان وكانت حروب دامية، وانهزم عيار بك وجنوده وأسر جورخان عياربك وتشتت جنوده هنا وهناك، والحال هذه رضي جورخان وأراد العودة إلى مركزه بالاساغون عاجلا، وبهذه الطريقة تخلص إيل أرسلان خوارزمشاه من البلاء المحدق به.

وبعد عودة جورخان جوبينغ إلى بالاساغون أتت منيته ومات في عام ٥٥٩هـ الموافق ١١٦٣موخلفته أخته جويانغ قاتون في عرش قاراخطاي ، وكانت هذه السيدة في غاية النباهة والإدراك ذات عقل وحنكة إدارية، وفي

عهدها وفي عام ٥٦٨هـ الموافق ١١٧٢م توفي إيل أرسلان خوارزمشاه وخلفه ابنه سلطانشاه وجلس على عرش خوارزم، وكان له أخ اسمه تجشخانلم يرض لسلطة أخيه وتصادما ووقعت بينهما معارك دامية وانعزم تجش حان أمام قوات أخيه وهرب إلى جويانغ خاتون وطلب حمايته فأمنته، ثم طلب منها مساعدة ليناضل أخاه فجهزت جويانغ خاتون جيشا تحت قيادة

زوجها وأرسلته بمعية تجش خان، وكان اسم زوجها قارما بك أرسله إلى خوارزم ، وبهذه القوة العسكرية تغلب تجش خان على أخيه سلطانشاه واستولى على عرش خوارزم وهرب أخوه سلطانشاه إلى مملكة نيسابور وملكه المؤيدواستحمى بحماه، وكان خوارزمشاه تجش خان هذا يدفع لجورخان جويانغ خاتون مبالغ طائلة كإتاوات سنوية ويخذع لسيادة جورخان جويانغ خاتون على منطقة خوارزم، وبقبوله مبعوث جورخان جويانغ خاتون في بلاط خوارزم، وبعد ما استقر تجش خان خوارزمشاه على عرش بلاد خوارزم بدأ بتقوية جيشه وتحديث عتاده وزيادة عدده وصار يعتز ويفتخر به وباعتماده على جيشه قتل مبعوث جويانغ خاتون الذي كان في بلاطه فحدثت عداوة بين الطرفين، اغتنم هذه الفرصة سلطانشاه وقدم إلى بالاساغون إلى بلاط جورخان جويانغ خاتون، وعند المثول بين يديها طلب العفو عما بدر منه سابقا، ثم طلب منها مساعدته لإطاحة أخيه من عرش خوارزم وأن تكون خوارزم كما كانت تحت سيادة جورخان ، وأن يقبل مأمورا كبير المستوى في بلاطه ويدفع إتاوات مرضية، فقبلت جورخان جويانغ قاتون طلبه فجهزت

جيشا بقيادة زوجها قارما بك وأرسلتهم إلى خوارزم، ولما بلغ خبر الجيش إلى تجش خان قام ليعتذر إليها ويستميحها وطلب منها أن ترجع الأمور كما كانت عليه ويقبل مبعوثها في بلاطه ثانية ويدفع الجزية كما كانت سابقا، وهذا العرض عرضها على قارما بك وقبله الأخير وكتبت هذه الاتفاقية ووقع عليها بين الطرفين ثم عاد قارما بك بجنوده إلى بالاساغون.

وفي عام ٥٧٤هـ الموافق ١١٧٨م قتل تيركو ابن جورخان الثاني جوبينغ عمته جويانغ خاتون وأعلن نفسه جورخانا على البلاد وجلس على العرش وتغلب على اخيه الصغير الذي نازع العرش وقتله، وأما خوارزمشاه تجش خان فكان يعطي الإتاوة إلى جورخان تريكوهذا، وفي عام ٥٨٩هـ الموافق ١١٩٣م تحرك خوارزمشاه تجش خان نحو التوسع لصالح خوارزم عسكريا فاحتل كلا من خراسان والري وأصفهان وتجمعت لديه قوة هائلة من القوة العسكرية ، وكانت هذه القوة كافية لاستقلاله عن تريكو جورخان الخطاي، ولكنه لم يعمل شيئا بهذا الخصوص ولم يظهر مخالفة جورخان، بل داوم على إظهار الطاعة له ووده وصداقته مثلما كانت حيث إن جنكيزخان في منغوليا أصبح له قوة ضاربة وأخضع لسلطانه كل الخانيات المجاورة له وهم أتراك الشرق منمنغوليا واتخذ حيالهم قتلا وتعذيبالسلب ديارهم وأموالهم، ولذا فكر خوارزمشاه تجش في أن يبقي صداقته مع تريكو جورخان قوي الشكيمة وصاحب القوة الهائلة تجاه جنكيزخان المغولي إذا لزم الأمر.

وفي عام ٥٩٦هـ الموافق ١١٩٩م توفي خوارزمشاه تجش خان وقبيل وفاته أوصى ولي عهده قطب الدين محمد بالنصائح التالية حيث قال: اتخذ طريق المداراة مع تريكو جورخان ، واستمر في دفع الإتاوة له مثلما أدفع الآن ، حيث إن جورخان ملك مقتدر ذوقوة ضاربة ، وعلى الشرق من مملكته عدو قوي وجورخان يستطيع أن يدافع عنه ، ولذا صداقة جورخان يلزمنا لأمن وسلامة مملكتنا الفتية. وبعد وفاة خوارزمشاه عمل بها قطب الدين محمد لبعض الوقت ثم ترك الوصية وراء ظهره ولذا لحقت لكلا البلدين ذلة ومهانة ونأتي بتفصيل ذلك .

تصادم قطب الدين محمد خوارزمشاهمع جيرانه الغربية سلطان شهاب الدين الغوري ولعدة مرات، ولكنه انهزم فاسترد شهاب الدين كلا من بلخ وأنخوي، ولم يكتف بذلك بل أقدم على استرداد منطقة خراسان عن قطب الدين محمد خوارزمشاهوقام بالهجوم على خراسان وكاش، عدد جنود قطب الدين يربو عن ثمانين الف فارس ومع ذلك خاف قطب الدين محمد من عاقبة الأمور واستعان بتيركو جورخان، ووصل شهاب الدين الغوري بجنوده الأشاوس إلى الغرب من مدينة مرو على مقربة من ماء يغذي المرو كمدينةكبيرة واتخذه معسكرا لجنوده ، ووصل قطب الدين محمد إلى مرو تأهبا للقتال وتصادم الجيشان وتقرر بدء القتال صباح غد ، ولكن بلغ وصول مساعدة جورخان العسكرية إلى حدود الأفغان فخاف شهاب الدين الغوري على بلاده من هجماتقوات جورخان من جهة الشرق فانسحب عن معسكره

بجنوده وعتاده الحربي كبادرة خوف من الاقتتال ، وكان انسحابه هذا خفية دون أن يدري أحد، وكان مساعدة جورخان العسكرية كثيرة العدد والعتاد، وفضلا عن ذلك أصدر جورخان فرمانه إلى حاكم فرغانة السلطان عثمان خان لمساعدة قطب الدين محمد خوارزمشاه في محنته هذه بجنود فرغانة في سمرقند، فقام السلطان عثمان لإنجاز هذه المهم الموكولة إليه من جورخان فاجتاز عثمان خان بجنوده نهر آمو دريا حيث اجتمع لديه قوات جورخان مع جنود السلطان عثمان خان ووصلوا جميعا لمنطقة أنخوي، والحال هذه قدم السلطان شهاب الدين الغوري بجنوده ارض المعركة فتصادمت القوتان بحروب دامية وانهزم السلطان شهاب الدين الغوري في هذه المعركة وقد هلك كثير من جنوده فاحتمى هو وبعض رجاله في قلعة عسكرية في أنخوي محاصرين، وأخيرا توسطت قيادة جنود جورخان والسلطان عثمان خان الخطاي حاكم سمرقند وفرغانة بين خوارزمشاه وبين السلطان شهاب الدين الغوري بالشروط للآتية:

أولا : يدفع السلطان شهاب الدين كل ما لديه من مال الخزانة إلى قيادة جنود الخطاي.

ثانيا: يأخذالسلطان شهاب الدين جنوده من أرض المعركة سالمين. وبهذا تخلص شهاب الدين الغوري وجنوده من المهلكة ، ولكن قطب الدين محمد خوارزمشاه لم يؤمن السلطان شهاب الدين بعد هذه الهزيمة وحاربه ولعدة

مرات حتى استولى على أفغانستان وإيران ، وبهذا تملك خوارزمشاه على بلاد شاسعة واسعة وأسس دولة كبيرة في آسيا.

وبعد هذه المعارك والانتصارات لمحمد خوارزمشاه واستيلائه على أفغانستان وإيران طمع خوارزمشاه في استقطاب سلطنة سمرقند ما وراء النهر وبدأ يستميل السلطان عثمان خان قاراخطاي ، وصارت اتفاق معاهدة سرية بينهما، ثم بحيلة ما قتل خوارزمشاه مبعوث جورخان علي المستوى ، وكان قصد قطب الدين محمد خوارزمشاه التخلص من سيادة جورخان وعدم دفع الإتاوة له، وعندها أرسل جورخان تريكو وزيره محمود باي إلى خوارزم للتحقيق في الحادثة هذه ، ولكنخوارزمشاه قابل محمود باي بسوء المعاملة والإهانة والسب والشتم، وبهذا انقطعت العلاقة الحسنة بين الطرفينجورخان وخوارزمشاه، وكانت الحادثة خطرا على خوارزمشاه ، ولكنه انتقل إلى زاوية أخرى في تكتيكه حيث قال: إي أقاتل وأجاهد لتخليص المسلمين من ظلم الكفرة بزعامة تريكو جورخان جويانغ، وبهذه الحيلة حصل التقارب بينه وبين أهالي ما وراء النهر المسلمين.

وفي عام ٦٠٤هـ الموافق ١٢٠٧م قام قطب الدين محمد خوارزمشاه بجنود كثيرة قاصدا سمرقند واجتاز نهر آمودريا وكاد يداهم سمرقند فقام السلطان عثمان خان بإعلان تبعيته لسيادة خوارزمشاه وأتى باسمه في الخطبة وسك النقود باسمه أيضا، ولم يقع حرب بينهما ، وبهذا انفصلت ما وراء النهر من سيادة جورخان ودخلت في سيادة خوارزمشاه.

وفي مقابل ذلك أمر جورخان خطاي أمر والي منطقة طلاس (طراز) نيكو بك بالهجوم على محمد خوارزمشاه وعلى السلطان عثمان خان في سمرقند، فتحرك نيكو بك بجنود كثيرة قاصدا سمرقند وبالقرب من سمرقند صارت معركة ضارية ، ولكن نيكو بك جرح جرحا بالغا ثم أسر فانهزم جنوده وتشتت شمله وهربوا ، وتعقب خوارزمشاه جنود جورخان الهاربة واجتاز نهر سيردريا شرقا ووصل إلى مدينة أتراز العاصمة الثانية لجورخان تريكو، وقبض على حاكم مدينة اترار وعلى أفراد عائلته جميعاوعاد إلى خوارزم ، ثم قتل الحاكم بتغريقه، وبهذا تجلت مغلوبية دولة تريكو جورخان جويانغ الخطاي، وقويت علاقة وصداقة السلطان عثمان خان مع محمد خوارزمشاه وصارت علاقة حميمة، حيث نوى قطب الدين محمد خوارزمشاه في تزويج ابنته من السلطان عثمان خانملك سمرقند، وفوق

هذا رغب خوارزمشاه حاكم قبائل نايمان الذي كان يعيش في حماية جورخان تريكو الخطاي، والحاكمهذا اسمه كوجلوك خان رغبه في العصيان على جورخان فمال كوجلوك إلى العصيان وصار يعد العدة لذلك، وكان هذا الترغيب خفيةوطمأن بذلك كل من خوارزمشاه والسلطان عثمان بعدم تعرض جورخان على تركستان الغربية (ما وراء النهر).

فسافر السلطان عثمان خان إلى خوارزم لإتمام زواجه من ابنة السلطان قطب الدين محمد خوارزمشاه وانشغل به، ومنجهة ثانية كان جورخان دونعلممن عصيان كوجلوك في بلاده.

وفي عام ٦٠٥هـ الموافق ١٢٠٨م قام جورخان بالتحرك إلى سمرقند أوالتركستان الغربية واستولى على كل الولايات والمدن في طريقه إلى سمرقندثم وصل إلى سمرقند وحاصرهاوبدأ يدك حصونها وكادت ان تسقطفإذا بخبر عصيان كوجلوك في البلاد فاضطر جورخان إلى الرجوع إلى بالاساغون عاصمة مملكته، فعقد صلحا مع أهل سمرقند ثم عاد إلى بالاساغون، وفي رواية تقول إن سفر السلطان عثمان خان لم يكن إلا هربا من هجوم جورخان إلى سمرقند.

وكان عودة جورخان من سمرقند عام ٦٠٦هـ الموافق ١٢٠٩م حيث قام محمد خوارزمشاه بالقدوم إلى سمرقند ، ثم عرف بخبر عصيان كوجلوك خان على جورخان فأسرع بتوجهه إلى تركستان الشرقية، ولكن جورخان قد قمع ثورة كوجلوك خان في بلاده وعاد يعد العدة لملاقاة جنود قطب الدين محمد خوارزمشاه وتوجه جورخان حالا إلى مدينة طلاس حيث مقدم جيوش خوارزمشاه، وفعلا صد جورخان مقدم جيوش خوارزمشاه ووقعت بالقرب من مدينةطلاس معركة ضارية دامية بين الطرفين بالغرب منهاوانهزمت جيوش خوارزمشاه شر هزيمة وتشتت أفراده وهربوا ، وفي لمحة البصر رأى خوارزمشاه نفسه ونفرا من خلصائه بين جيوش جورخان ، وكانت معه ألبسة من مثل ألبسةجنود جورخان فلم يعرفه أحد، وهكذا مكث خوارزمشاه وأعوانه بين رجال جورخان لعدة أيام ثمهرب مختفيا في فرصة مواتية ولحق بجيوشه وهم على ضفاف نهر سيردريا (جيحون).

تبعية إديقوت وقليج خان لجنكيزخان...

إن الإداريين من دولة إديقوت الأويغور كانوا يشتكون من تصرفات مبعوث جورخان على مستوى عال في بلاط أويغور إديقوتولا سيما من تكبره وظلمه ، ولذا كانوا ينتظرون الفرصة للتخلص من سيادةجورخان عليهم، وعندما علموا بعصيان كوجلوك على جورخان وتحركات خوارزمشاه

نحوجورخان أرادوا عمل شيء ضد جورخان استفادة من هذه التطورات، فقام إديقوت بقتل المبعوث العالي لجورخان في بلاط إديقوت وأعلن استقلاله، وبالتالي أرسل إديقوت رسولا إلى بلاط جنكيزخان بهدايا قيمة يطلب صداقة جنكيزخان ، فقام جنكيزخان بدوره بإرسال مبعوثه دورباي إلى بلاط إديقوت لتوقيع اتفاقية صداقة بين الطرفين، وتزوج جنكيزخان من ابنة إديقوت ، وأيضا زوج جنكيزخان الملك إديقوت من ابنة أخيه، وكانت دولة إديقوت مملوءة بالكثير منالكوادر الإدارية فطلب جنكيزخان من إديقوتنخبة من الكوادر الإداريين فاستجاب إديقوت لطلب جنكيزخان وأرسلهم إلى بلاط جنكيزخان ، واكن منهم نخبة كتبة وإداريون ومعلمون وأمد إديقوت جنكيزخان بعتاد حربي وأسلحة ، ودامت هذه الصداقة الوطيدة بين جنكيزخان وإديقوت سنتين كاملتين وكان لإديقوت استقلال كامل ، إلا أنه حل عام ٦٠٦هت الموافق ١٢٠٩م بانهزام خوارزمشاه أمام هجمات جورخان حيث خاف إديقوت على استقلال بلاده فرحل إلى منغوليا إلى بلاط

جنكيزخان وعرض عليه الطاعة وطلب حمايته لبلاده فقبل جنكيزخان العرض ، ودخلت بلاد الأويغور إديقوت تحت حماية جنكيزخان.

وكانت تركستان الشرقية المسلمة وأهاليها المسلمون يرون دائما في سيادة قارخطاي كابوسا ثقيلا عليها، ولكنهم لا يستطيعون إزاحةهذا الكابوس عن صدورهم ، وبالنظر إلى القوة الهائلة التي تمتلكها دولة قاراخطاي ، ولكن خانية خوتان استفاد من تدهور حالة قاراخطاي في عام ٦٠٥هـ فقتل المبعوث العالي لجورخان في بلاطه وأعلن استقلال بلادهعن بلاط جورخان، وكانت خانية خوتان في يد الأمير قليج خان، والحال هذه هرب أمير من سلالة تانغوت إلى ولاية خوتان من قهر جنكيزخان ، وكان الأمير التانغوتي عدوا له، فطلب جنكيزخان هذا الأمير من قليج خان ، وكان الأحير طالبا لود جنكيزخان فأرسل الأمير قليج خان الأمير اللاجئ إلى جنكيزخان، وبهذه المناسبة جرت بينهما اتفاقية صداقة ، ولم يدم استقلال قليج كثير وقت حيث انهزم جورخان منجراء مداهمة كوجلوك خان ووقع أسيرا وانتهت أوكادت أن تنتهي دولة جورخان تريكو جويانغ، وخاف قليج خان من مداهمة كوجلوك فطلب من جنكيزخان خان حماية ولاية أوخانية خوتان وقبل جنكيزخان ذلك.

سقوط دولة قاراخطاي..

تخلصت من دولة قاراخطاي كل من تركستان الغربية وولاية خانية خوتانوخانية قوجووبش باليق وقمول وباركول ،وبهذا الانفصال ضاقت الدنيا عليها وتدنت قواتها واضمحلت ماردها واندثرت فأراد محمود خوارزمشاه اغتنامهذه الفرصة ورغب كوجلوك بالهجوم على دولة جورخان من الشرق ، ولكن كوجلوك لم يكن بقوة ليقوم بذلك ، وأخيرا في عام ٦٠٧هـ الموافق ١٢١٠م أراد محمود خوارزمشاه في جولة ثانية مع قوات جورخان وزحف على حدود جنكيزخان واستولى على كل من طاشكند وأترار، وعند ذلك جمع جورخان قواته وزحف إلى الحدود الشمالية وتصادمت القوتان بالقرب من مدينة طلاس ، وكانت معركة شرسة وحامية جرح فيها جورخان جراحة بالغة مميتة وعاد أدراجه إلى بالاساغون عاصمة بلاده ، وعندما رأى أهالي بالاساغون حالةجورخان الجريحة وتأثروا بها كثيرا من جهة، ومن جهة أخرى تعقب خوارزمشاه جنود جورخان المهزومة فقبيل وصول جورخان وجنوده إلى بلاساغون تنبه الأهالي بأن يوم نجاتهم من يد المجوس قد أتى أوانه فتسلحوا وأوصدوا الأبواب وأغلقوا أبواب المدينة واعتلوا الأسوار وقتلوا جميع من في المدينة من أفراد قاراخطاي ، وعندما وصل جورخان الجريح مع جنوده المهزومين منعه الهالي من دخول المدينة ودافعوا عنها ، وعند ذلك حاصر جورخان المدينة لمدة سبعة عشر يوما ، وكان الأهالي في أمل وصول طلائع قوات خوارزمشاه ، ولكن المقولة كذبت وإن خوارزمشاه بعدما هزم

جورخان لم يتعقبه بل استولى على مدينة فاراب ثم عاد أدراجه إلى خوارزم، وفي اليوم الثامن عشر استطاع جورخان أن يتغلبوا على الأهالي واقتحم أبواب المدينة وفتحها وأجرى في الأهالي قتلا عاما، وتقول الروايات إن عدد القتلى في هذه المذبحة بلغ أربعين ألفا من المسلمين، وقيل سبعة وأربعين ألفا.

وبهذه الحوادث السلبية المتكررة بقيت خزانة جورخان خالية الوفاض وفقدت ما فيها من الأموال، وكانت الجنود والإداريون يملكون أموالا طائلة ، ولإعادة ميزان الاعتدال ودعم خزينة الدولة أصدر جورخان أمرا بإيداع كل الأفراد أموالهم في خزانة الدولة ،وقامبتعذيب الممانعين منهم فقام الجنود بثورة عارمة مع الأهالي الذين نجوا من المذبحة من جهة، ومن جهة ثانية كان كوجلوك يترقب مثل هذه الفرصة وينتظر ولاية إيميل (جوجك) ومعه قوة لا بأس بها، فتقدم كوجلوك بجنوده إلى مدينة بالاساغون عاصمة جورخان تريكو ، وذلك في عام ٦٠٨هـ الموافق ١٢١١م وبدأ بهجوم كاسح ومباغت، ودافع جورخان عن المدينة بكل قواته ، ولكنه انهزم شر هزيمة وسلم نفسه لكوجلوك الذي حبسه وجعل حبسه تحت نظره وأعلن نفسه جورخانا على البلاد، وانتهى بذلك سلطنةجورخان التي تحكمت أربعة وثلاثين عاما ، ومات تريكو جورخان بعد سنتين من حبسه، وبوقوع جورخان في الأسر انتهت دولة قاراخطاي التي عاشت ثمانين عاما.

من هو كوجلوك؟ وسبب مجيئه إلى تركستان الشرقية..

كانت هناك في الغرب من منغوليا قبيلة نايمان ذات حكومة محلية وعليها ملك منهم ، وكانت القبيلة ذات شكيمة وإن كبير من أقدم العصور التاريخية ، وفي عام ٦٠٣هـ الموافق ١٢٠٦م هجم عليها جنكيزخان وتغلب عليها وقتل ملكها تايانغ خان وشتت شمل القبيلة وكسر شكيمتها ، وهرب ابن تايانغ خان من كوجلوك مع نفر من خلصائه إلى دولة جورخان وطلب حمايتهوأكرمه جورخان وأعزه في تركستان الشرقية ، وفي رواية زوجه جورخان من إحدى بناته.

وفي عام ٦٠٤هـ الموافق عام ١٢٠٧م اعلن جنكيزخان الحرب على حكومة تانغوت، وبسبب هذا الحرب قلت قوات جنكيزخان خان في أرض منغوليا ، فاغتنم كوجلوك هذه الفرصة للانتقام من جنكيزخان واستأذن من جورخان وذهب إلى مناطق آلتاي وإيميل وجبالها ووديانها، وجمع هناك خلقا من قبائل نايمان الهائمين على أنفسهم وبدأ بهجومه هنا وهناك من بلاد جنكيزخان المنغوليا، وعندما سمع محمد خوارزمشاه هذا الخبر أرسل مبعوثا إلى كوجلوك ويقول: "امض في جهادك ، وإذا وفقت أعترفك بكونك جورخاناللمشرق وسيبيريا ولعموم تركستان الشرقية دولةمستقلة تحكمها أنت". وعندما سمع كوجلوك كلام خوارزمشاه وانتظر فرصة مواتية لذلك، وكما سبق أن قلنا بأن جورخان توجه إلى سمرقند وخانته قواته في بالاساغون وبلغ الخبر لكوجلوك بدأ هجوما على بالاساغون ، ولكن قوات جورخان دافعت

بتحصيناتهم في بالاساغون دفاع المستميت عنها، والحال هذه عاد جورخان من سمرقند وضرب فيالق كوجلوك ضربة قاسية وقتل في المعركة خلق كثير من قوات كوجلوك وهرب هو بمن معه من خلصائه إلى أطراف مدينة إيميل واشتغل في بعض ودياها برعي الأغنام والإبل وبالسلب والنهب.

استيلاء كوجلوك على تركستان الشرقية..

فلما كان تريكو جورخان سلم نفسه لكوجلوك بعد الهزيمة النكراء التي مني بها، وأعلن نفسه جورخانا على البلاد، وأول عمل فعله كوجلوك هو أن وجه دعوة للعامة بأن يتركوا الإسلام ويعتنقوا ديانة الشامانية وتشبث به، وهذا العمل أثار نفرة عامة المسلمين واستنكارهم في تركستان الشرقية، وفي الطرف الشرقي من وادي إيلي توجد مدينة آلمالق (إيلي باليق) وأهاليها مسلمون متدينون قاموا بتنصيب شخص منهم خانا عليهم وتجهزوا واستعدوا لمحاربة كوجلوك، وأما خانية قارلوق وملكه أرسلان يابغو فاحتمى تحت حماية جنكيزخان، وأما ولاية كاشغر واوج وكوجار فقامت اهاليها بمقاومة

كوجلوك مقاومة شديدة، وأما كوجلوك فحارب مع ملك آلماليق مراتعديدة، وأخيرا استشهد الملك وتشتت وتفرقت جنوده فسقطت مدينة آلماليق بيد كوجلوك، ولكنه هدم مدنا كثيرة في هذه المنطقة منطقة آلماليق ثم بدأ يتعرض لولاية كاشغر وأوج، ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها لوجود دفاعات من قبل أهالي هاتين المنطقتين بدفاعات مستميتة وسلمت كل مدن

المنطقتين من مناوشات وهجمات كوجلوك، وعلى أثر هذا الإخفاق عمد كولوكولمدة سنتين على إرسال مخربين من أنصارهإلى هاتين المنطقتين وإحراق الأشجار والمزروعات والمحاصيل الزراعية والمراعي وقتل الأبرياء من جموع الفلاحين، وبعد سنتين عجز المزارعون وأصحاب المواشي والأهالي عامة عن حركة المقاومة الجماعية حيث إنهم ابتلوا بالقحط والجوع فاستفادكوجلوك من هذا الوضع المتدني حيث قام عام ٦١٠هـ الموافق ١٢١٣م بالهجوم على ولاية كاشغر واستولى على المدينة ثم أحرقها على أهاليها وهدم الدور والمباني جميعا، وأما الأهالي الذين في خارج المدينة فصادر بيوتهم وأسكن فيها جنوده، وفي عام ٦١١هـ الموافق عام ١٢١٤م هجم كوجلوك على ولاية خوتان ودافع عنها ملكها قليج خان واستشهد في ميدان المعركة ، واستولى كوجلوك على ولاية خوتان وأجرى في المدينة القتل العام، وبعد ذلك أمضى قدما في ترغيب الناس في الديانة الشامانية والخروج من الإسلام وفرض على الناس ظلما في سبيل ذلك، ولكن أهالي خوتان أبى ذلك فلم يوفق كوجلوك في خطته هذا ، ولكنه ظن أن تمسك أهالي خوتان بالإسلام سببه كثرة علماء الدين فيها، فأصدر فرمانا إلى جمهور العلماء فيها بأن يحضروا في مكان ما للتناقش فيما بيننا في أفضل الأديان والاتفاق بعد المناظرة على الدين المختار فاجتمع علماء الإسلام كلهم في ميدان فقام العلامة الشيخ علاء الدين يوضح ويبين حقيقة الإسلام وأنه أكمل دين وأصفى عقيدة على افطلاق فبهت

كوجلوك ولم يستطع الرد على كلام الشيخ علاء الدين ، وكان عدد العلماء البارزين يفوق ثلاثة

آلاف عالم وفقيه، وكان كوجلوك حاضرا بجنوده ، ولكن كوجلوك بدأ يهين الإسلام ويتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقام الشيخ علاء الدين مرة ثانية ورد كلام كوجلوك في نحره ودافع عن الإسلام والمسلمين وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وأسكت كوجلوك، وكان شيخنا هذا عالما غيورا لدينه وعقيدته، واعتبر كوجلوك جواب شيخنا ذريعة لسفك دماء العلماء كلهم بحد السيف وأمر جنوده بذلك والجنود فعل فعلتهم الشنعاء بقتل ثلاثة آلاف عالم من علما الإسلام الحنيف، ومنذ يوم سقوط المدينة مدينة خوتانمنع كوجلوك الشعائر الدينية ومنع الناس من الصلاة والجمعة والجماعة وأغلق المدارس والمساجد والمعاهد الدينية وهدم المساجد، وكلما وجد كتابا دينيا أحرقه، ومن أظهر الديانة اللإسلامية عذبه عذابا شديداثم قتله، وهكذا دامت سلطة كوجلوكأربع سنوات، وأذاق شعب تركستان الشرقية أنواع الظلم والعذاب والاستبداد على يد المرتزقة، وصارت هذه البلاد ذات المدنية والرقي والحضارة العريقة خاوية على عروشها في هذه المدة ، وكانت تركستان الشرقية مليئة بالتمدن والازدهار ، وكان الأهالي دائما يقومون بالثورات العارمة ولكنهم ينهزمون ويقتل أعيانهم ويعذب الثوار ويهرب الباقونإلى خارج البلاد، بهذا تدنت تعداد الرعية ونقصت كثيرا، وفي عام ٦١٥هـ الموافق ١٢١٨م تحرك جنكيزخان إلى اتجاه تركستان الشرقية

وداهمها وغزاها غزاة الجبابرة وقتل كوجلوك وأعطى المن والأمان لأهاليها ثم أعلن حرية الدين والعقيدة وإقامة شعائر الدين أي دين والدين الإسلامي بحرية تامة وكذلك العمل والاكتساب.

حول أكذوبة تاريخية..

الروايات الآتية والتي أخذت من المصادر البابوية المسيحية بدأت تذكر الآن في بعض المؤلفات التاريخية في هذا العصر ، وبعد بحثي في هذه الروايات اتضحت لي أنها لا تستند إلى أي أساس علمي ، وإنما هي في حقيقتها أكاذيب وحكايات اختلقها المبشرون المسيحيون لأغراضهم الخاصة ، فيقولون مثلا:

١- إن قبيلة كوجلوك خان وهي قبيلة نايمان كانت تعتنق المسيحية ، وكوجلوك نفسه كان مسيحيا واسم أبيه يوحنا ، وقد اعتنق الشامانية بعد أن استولى على تركستان الشرقية بتأثير زوجته (ابنة جورخان) .

٢- الخان التركي المسمى يوحنا كان خانا على قبيلة كرايت ، ويوحننا هذا الذي عاش قبل عهد جنكيزخان أو في عهد أحفاد جنكبزخان كان من العلماء والأحبار في الديانة المسيحية .

٣- إن قبيلة كرايت وهي قبيلة يوحنا قطنت في المنطقة التي بين كوكو (كوكنور) وأودون (خوتان) ، أي في المنطقة التي يسمى اليوم جرجن وجارقليق .

ومثل هذه الروايات المتناقضة بعضها ببعض يذكرها المؤرخ أبو الفرج جرجس في كتابه (مختصر الدول) ، وأسطورة يوحنا هذه والتي ليس لها أساس لا من حيث المكان ولا من حيث الزمان قد كشف المؤرخون الأوربيون أنها أكذوبة مختلقة من جانب الباباوات المسيحيين ، وفي العصور المتأخرة استخدمها الروس لإضافة صبغة مسيحية لتاريخ القبائل التركية عندما احتلتهم ، وذلك تمهيدا لتنصيرهم ، ولإثبات هذه الرواية اختلقت الكثير من الحكايات والقصص المتناقضة ، (وهذه القصص ذكرت في كتاب " تلفيق الأخبار ") .

والقصص والروايات السابقة وإن كانت تناسب بيئة منغولستان إلا أن كذبها واضحة وضوح الشمس ، لأنه من المعلوم أن أيا من قبيلة نايمان أو قبيلة كرايت أو أي قبيلة من القبائل المنغولية قبل جنكيزخان لم تكن لها أي نوع من الاتصال بالأغراب والأجانب وخاصة العالم المسيحي ، وأن هذه القبائل كانت من البدو الرحل الذين لا يهتمون بدين أو مذهب ، وقبيلة كرايت كانت قبيلة قوية ومشهورة في الشمال الشرقي لمنغولستان ومعلوم تاريخيا أن استقلالهم انتهت باكتساح جنكيزخان لبلادهم .

ويشهد التاريخ على عدم وجود أي شعب آخر غير الأويغور الصفر في منطقة جرجن وضواحيها ، كما أن هذه الروايات لم تذكرها المئات من المؤرخين المسلمين والصينيين الذين أرخوا لتاريخ الأتراك والمغول بكل تفاصيلها ، ثم يأتي أبو الفرج المالطي الدخيل على الشام فيذكر هذه

الروايات العجيبة بتناقضاتها السابقة ، وهذا دليل كاف على كون هذه الروايات محض اختلاق.

ولكي يوجدوا جوابا مقنعا للسؤال الذي يطرح نفسه وهو : كيف وصلت المسيحية إلى قبيلة نايمان أو قبيلة كرايت؟ فقالوا : وصلتها عن طريق الأويغور، ولإثبات هذا الادعاء يحاولون نشر إشاعات تقول بأنه قد عثر على قطع آثار مسيحية في منطقة بزكليك خلال أعمال الحفر التي تم في طرفان . يثبت التاريخ بالإجماع أن الأويغور كانت لديهم الديانة البوذية والمانية ، وبعد انحسار المانية بقيت البوذية فقط ، وهذا ما أثبتتها أيضا قطع الآثار التي تم الحصول عليها في الحفريات الأثرية ، فالقطع الأثرية التي تم العثور عليها خلال الحفريات الأثرية في منطقة بزكليك وغيرها من المناطق في طرفان تعرض الآن في متحف برلين للأعراق البشرية ومتحف بريطانيا في لندن ، ومن الواضح تماما أنه لا يوجد فيها أي أثر للمسيحية .

وهذه الأيام وإن كان قد تم تأسيس بعض المؤسسات والمنظمات للنشاطات التبشيرية في بعض مدن تركستان الشرقية بترخيص من الحكومة الصينية إلا أن بعض المبشرين الذين لم يحققوا أي نجاح تذكر في هذا الخصوص بكتب قائلا : " إن جاغاتايخان الذي حكم تركستان الشرقية بعد جنكيزخان كان مسيحيا ، وفي عهده قد ازدرهت المسيحية في آسيا الوسطى ، وفي كاشعر كان يجلس كبير البابوات ، وأن الرحالة الشهيرة ماركوبولو الذي زار الصين يقول إنه رأى كنيستين في ياركند ".

نعم قد بحث المؤرخون حول ما إذا كان جاغاتايخان مسيحيا أم لا ، ولكن هذه القضية خارج نطاق الخلاف ، فالتاريخ يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الإسلام قد رسخت جذوره تماما في تركستان الشرقية قبل عهد المغول بثلاث قرون ، وأنه لم يبق في مدن كاشغر وياركند على وجه الخصوص في عهد القاراخانيين أي مجموعات دينية غير المسلمين ، والقراخطائيون وإن كانوا يعتنقون الديانة الشامانية إلا أنهم لم يتعرضوا لديانة المسلمين ولم يكن هناك في المدن الستة أي دين غير الإسلام وهذا معلوم للجميع ، وكون أبناء جنكيزغان غير مهتمين بدين من الأديان بمعنى أنهم ما كانوا يحملون الناس على دين أو يعادون دينا من الأديان قضية مسلمة لمن له أدنى معرفة بالتاريخ.

إن هدف هؤلاء المبشرين الذين اختلقوا هذه الأكاذيب التي لم يشهدها تاريخ الشرق والإسلام ولم تكن في مذكرات ماركوبولو هو إضلال وتمويه الناس وخصوصا الجهال منهم قائلين لهم : " انظروا ! إن ملوككم وأجدادكم كانوا مسيحيين ، وقد ضللتم لما تركتم طريق آبائكم هذا " وتوظيف ذلك لخدمة مهمتهم التبشيرية ، والأمثلة على أكاذيب المبشرين المسيحيين كثيرة في مؤلفات مؤرخي بلدان شمال أفريقيا والشرق الأوسط مثل مصر والشام وتركيا وتونس والمغرب ، إن بابا الروم وإن كان قد قام بإرسال عدة بعثات إلى منغوليا في عهد دولة المغول محاولا بذلك تنصير أحفاد جنكيزخان والقبائل التركية ، إلا أن مؤرخي أوربا مجمعون على أن

هذه المحاولة لم تأت بنتيجة ، وماركوبولو نفسه كان إيطاليا مبعوثا من قبل البابا في روما ، وهذا الرجل سافر إلى منغوليا والصين وتقلد منصبا لدى قوبلاي خان في وقت من الأوقات، ورغم محاولته لنشر المسيحية في منغوليا والصين طوال خمسة وعشرين عاما لم يظفر بأي نجاح ، وأخيرا كتب مذكراته السياحية وعاد إلى بلاده ، إن بعضا من كتاب الشرق المعاصرين الذين يقبلون كلام أي أوربي على أنه الحقيقة قد كتبوا تلك الكلمات بين الأحداث التاريخية من غير أي تمحيص ، والحال أن الزمان الذي يتم التصديق بنعم على افتراءات المؤلفين المسيحيين والمبشرين في عصرنا حول الكيانات التركية والإسلامية قد ولت ، وعصرنا الذي نعيشه إنما هو عصر التمحيص والتحقيق العلمي .

وسأقدم إلى حضرة القراء الكرام فقرة وردت في كتاب عمومي تاريخ (التاريخ العام) الذي نشرتها " جمعية دراسات تاريخ الترك " :

" إن أولاد جنكيزخان الذين يتمسكون بقانون جنكيزخان ما كانوا يتعرضون للحرية الدينية لرعاياهم ، كان عندهم المسلم والمسيحي والبوذي والشاماني ومنتسبي الطوائف الأخرى فيعاملوهم بدون تفرقة ويستعملوهم في المناصب ، وفي زمن ما قام البابوات في روما بإرسال بعثات المبشرين الواحدة تلو الأخرى محاولا بذلك تنصير رجال البلاط المنغولي وأرادوا بلك الوصول إلى هدفهم الذي لم يحققوها في الحروب الصليبية ألا وهو هزيمة المسلمين وقهرهم، وفي النتيجة لم يتمكنوا إلا تنصير عدد من الأمراء أحفاد جنكيزخان وزاجاتهم

فقط، وقد خيب هؤلاء آمال الروم ، إن أباطرة البلاط في مملكة جنكيز ما كان يخطر ببالهم أن يكونوا ألعوبة في يد البابا ورهبانه ، وباستثناء الصين فقد تمكنت الإسلام في كل أرجاء البلاد التي تقع تحت سلطان الدولة المنغولية أكثر من أي ديانة أخرى ، فقد أسلم ملوك آلتون أوردا وبلاط جاغاتاي والإلخانيون كلهم أجمعين ، ونتيجة لهذا أسلم العديد من الأقوام التركية ممن لم يسلموا حتى ذلك الوقت.

تشكيلات دولة قاراخطاي..

إن قبائل قاراخطاي كانوا يقطنون في الصين منذ القدم، ولذا كانوا يستعملون لغة الصين وطريقة تشكيل الدولة والمناصب كانت وفق الطريقة الصينية ، ولكن ألقاب الحكام ورئيس الدولة من مثل جورخان كانت باللغة التركية ، وكانت جيوش الدولة وإدارتها ومسئوليتها رأسا إلى جورخان، وكانت لا تسمح لأركان القوات المسلحة لأكثر من مائة جندي فقط، وأما شئون الإمارات والخانات التي تكون عادة تحت حماية دولة جورخان فكانت كما قلنا سابقا وتكرارا يتخذ بشأنهم تقاليد وعادات دولة الترك منذ القدم حيث تحترم استقلالهم الذاتي في شئونهم الداخلية، وأما الشئون المالية فكانت بشكل جباية تجبى على رأس كل بيت بحيث تؤخذ من كل بيت دينار ذهب في السنة، وكذلك كانت هذه الجباية سائدة في الصين، وهذه الجباية كانت سائدة إلى وقت قريب من زماننا، وكاناالجورخانيون

في الديانة الشامية، ولكنهم ما كانوا يعترضون على أفراد الشعب في إقامة شعائر دينهم، وكانت تحترم كل الديانات في جميع أنحاء الدولة ، وكانت الأهالي كلها تسكن مع باقي القوميات في أمن وأمان إلا في تركستان الغربيةتماما، ومن تركستان الشرقية منطقة قوجو (بش باليق) وقمول وكنكيت (قاراشهر) الأويغور القاطنين فيها ، وكذلك وادي تاريم وجرجن الخاصة بالأويغور الصفر المستثناة من الإقامة المختلطة، حيث إن الأويغور والويغور الصفر كانوا في الديانة البوذية، وكذلك كانت هناك قاطنون على ضفاف بحيرة أورال كانوا في الديانة النصرانية في المذهب البروتستانتي والنسطورية ، وعموما كان المسلمون يشكلون الأكثرية الساحقة في البلاد.

وإن العلوم الدينية الإسلامية والمدنية الإسلامية حافظت على كرامتها ومكانتها وتقدمها وازدهارها في البلادكما كانت في عهد القاراخانيين ، ومدن بالاساغون وكاشغر وخوتان وبارسغان وطلاس (طراز) وإيلي باليق والتركستان الغربية أنجبت جهابذة وكثيرا من علماء الدين والفقهاء والفلاسفة، وألف هؤلاء العلماء كتبا كثيرة في غاية القيمة والندارة، وإن كتاب مفتاح العلوم الذي حوى الأدبيات العربية كان مؤلفه الإمام ايو يعقوب يوسف السكاكي من علماء بالاساغون في الشرق ، وكان صاحب الهداية وهو الكتاب المعتمد في المذهب الحنفي الإمام أبو الحسن برهان الدين كان من علماء مدينة مرغينان، وكان جامع الفتاوى الشهير في المذهب الحنفي

الإمام قاضيخان كان من مدينة أوزكند، وكلا هذين العالمين من جملة العلماء الذين نشؤوا في عهد القاراخطاي.

وفي عهود قاراخطاي كان المسلمون في تركستان الشرقية أكثرية ساحقة، وكذلك كانوا متحدين أكثر من أي عناصر موجودة في البلاد، وإن تركستان الشرقية سواء في عهد القاراخطاي أو في عهد المغول كانت لها السبق المجلى في علوم الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية على سائر الديانات والحضارات الموجودة في ذلك الوقت، وذلك حسب مطالعاتنا في كتب التاريخ الإسلامية.

ويوقل بعض المؤرخين الأوربين إن دولة قاراخطاي خلعت على المغول مدنية ضافية، غير أن هذه المقولة لا صحة فيها، ولكن الصحيح في الأمر أن التركستانيين المسلمين في الدرجة الأولى ثم الأويغور الذين كانوا في الديانة البوذية بالدرجة الثانية هم الذين أضفوا على المغول ثقافة ومدنية متقدمة، وإن الإداريين في تشكيلات المغول والكوادر الحكومية من ذوى العقول والعلم كانوا هم الأتراك المسلمون والويغور غير المسلم وقبائل خطاي ورجال تانغوت وأناس من منطقة مانشوريا كلهم أتراك وقبائل

تركية، وقد رتون في المدنية المغولية خليطا من آثار المدنية وكلها في الأصل مدنيات أقوام الترك عموما ولمسات ثابتة في المدنية كما أسلفنا.

وفي أي بحث عائد إلى خطاي يجب علينا أن لا نمر مر الكرام في زعم بعضهم إن أقوام خطاي هم من الصينيين، وهذا غير صحيح، والصحيح أنهم أتراك، ولذا مقول: منذ عهد القاراخانيين حتى عهد جنكيزخان كان البر

الصيني كلها وبالتحديد الصين الشمالي والشمال الغربي كانت محكومة من قبل قبائل الخطاي التركية، وبهذه المناسبة كانت في تركستان الشرقية ومنغوليا شهرة هذه الأقوام التركية خطايلار، وبهذا السبب أيذا كان الأهالي في منغوليا والتركستان الشرقية يقولون على كل من يسكن في داخل الصين خطاي، ومقولة خطاي للصينيين في الوقت الحاضر من رواسب تلك الأخطاء السابقة واصطلاح وعادات غير صحيحة، وفي الحقيقة إن قبائل الخطاي غير الصينيين البتة، بل الخطاي أقوام تركية ورموز عرقية بحتة ، ولذا مقولة خطاي للصينيين خطأ فاحش ، بل يجب أن نقول للصينيين صينيون أو قومية الهان، حتى لا يبقى تاريخ هذه الأقوام التركية العظيمة في ملفات التاريخ الصيني ويغيب فيها.

الباب الخامس

عهد المغول في تركستان الشرقية

الفصل الأول

استيلاء جنكيزخان على تركستان الشرقية..

أصل جنكيزخان وتأسيسه الدولة وفتوحاته وقوانينه (ياسا) وكل وقائعه التاريخية ذكرها كثير من الكتب التاريخية مفصلا، وفي كتابنا هذا نذكر استيلاءه على تركستان الشرقية وما يتعلق به من معلومات.

عندما أسس جنكيزخان دولته في منغوليا فكر في القضاء على خصمه اللدود الأمير كوجلوك خان وفي الاستيلاء على تركستان الشرقية وضمها تحت سلطانه وإدارته، وكانت إمبراطورية المغول قد أرسلت أحد قادتها العسكريين وهو جته نوبان إلى تركستان الشرقية ومعه عشرون ألف جندي وفارس عام ٦١٤هت الموافق عام ١٢١٧م، وكانجته نويان في طريقه إلى تركستان الشرقية انضم إليه كثير من قبائل الأويغور وقارلوق وسائر الأقوام التركية كجنود احتياطيين ، فتحرك كوجلوك خان من ولاية خوتان بكل قواته العسكرية حيث جمعهم تحت قيادته وتقدم نحومنطقة إسسيق كول وهي قيرغيزستان الحالية ، واتخذ إحدى الميادين الواسعة معسكرا له تأهبا لقدوم

جته نويان وقتاله، ووصل الأخير بجنوده وصارت معركة حامية دامية وتغلب جته نويان على غريمه حيث انهزم كوجلوك خان شر هزيمة وتشتت جنوده فعاد كوجلوك بقليل من جنوده إلى مدينة كاشغر فتكالبت عليه أهالي مدينةكاشغر وتغلبوا عليه وانتقموا منه شر انتقامفهرب كوجلوك ومعه ثلاثة جنود إلى الغرب منولاية كاشغر حيث الجبال الشاهقة حيث يعيش بالقنص ، ووصل جته نويان بجنوده المنتصرة إلى كاشغر وأرسل مفرزة من جنوده ليقبضوا على كوجلوك من مخبئه، فهرب كوجلوك منهم وأراد أن يهرب إلى بدخشان، وكانت في

الطريق وديان وعرة حيث التقى نفرا من اهالي تركستان الهاربين من ظلمه وطغيانه فضللوه وقبضوا عليه وأتوا به إلى معسكر جته نويان ، والأخير قتله وقطع رأسه وأرسله إلى جنكيزخان ، ثم استولى جته نويان على كل من ولاية خوتان وياركند وكوجارمن دون قتال، ومن ثم أعلن جته نويان حرية التدين والعقيدة والمذهب والتجارة والزراعة واكتساب الأرزاق من سائر طرقه في جميع البلاد، وذلك حسب القانون (ياسا) الذي أصدره جنكيزخان ، وبهذه الصورة أصبح وجود جنكيزخان على البلاد نعمة ورحمة ، بينما كان جنكيزخان نقمة وظلما على سائر بلاد العالم.

وفي عام ٦١٥هـ الموافق عام ١٢١٨م منح جنكيزخان لمنطقة الأويغور وقارلوق والأويغور الصفر وسائر الخانيات المحلية استقلالا ذاتيا في الشئون الداخلية، أما المدن الستة في المنطقة الجنوبية من تركستان الشرقية حيث لم

يكن فيها اتحادات محلية عين جنكيزخان منطرفه مانكلاي سويا الأويغوري الذي هو من الشخصيات المقربة من جنكيزخان واليا عاما على المدن الستة وله امتيازات الخانيات المحلية بحرية الإدارة في الشئون الداخلية أيضا، وكلمة مانكلاي سويا تعني صبيح الوجنتين أو بياض البشرة، وكان جنكيزخان يقول له (دوغلات) وهي تعني الأعرج، وكان أعرجا يمشي بعكاز، وبهذه المناسبة وحتى عام ٩٢١هـ الموافق ١٥١٥م يطلق لمن تولى ولاية المدن الستة من أولاد مانكلاي سويا لقب دوغلات، حتى في الكتب التاريخية القديمة يأتي اسمه دوغلات.

حالة تركستان الشرقية في عهد جنكيزخان...

ومنذ القدم كان أهالي تركستان الشرقية مجبلة لحرفة التجارة ويحسنونها ، ولكن في عهد كوجلوك صار التجارة لغيرهم ولم يكونوا في مأمن من مكره وخيانته، وكان أهم تجارتهم وأحسنها كسبا التجارة مع تركستان الغربية من حيث التجارة الخارجية، ولتأمين طرق التجارة مع سائر بلاد الغرب أرسل جنكيزخان وزيره المسلم السيد محمود يالواج إلى بلاط خوارزمشاه لعقد معاهدة تجارة حرة بين المنطقتين، ونجح الوزير في هذه المهمة وعقد معاهدة تجارة حرة في عام ٦١٦هـ الموافق عام ١٢١٩م ، ومنذ ذلك التاريخ انطلقت حركة التجارة فيما بين تركستان الشرقية وبينكل من تركستان الغربية ووادي فرغانة وبخارى وخوارزم وبلخ وسائر المناطق المجاورة بجد

ونشاط ، ولكن من المؤسف أن استمرت هذه التجارة الحرة لمدة سنة واحدة فقطثم توقفت لواقعة غير مرضية وذلك كالآتي:

في عام ٦١٧هـ الموافق عام ١٢٢٠م تحركت قافلة كبيرة حيث بلغ تعداد رجالها ٤٠٠ نفس ببضاعة كثيرة قاصدة تركستان الغربية وبلغت سالمة إلى ضفاف نهر سيردرياجيحون وحطت رحالها في مدينة أتراز القريبة من نهر جيحون، وعرف بالأمر حاكم ولاية أتراز وعرف رجال القافلة ، وكان بينهم رجل يكرهه الحاكم ، ولأجل بغضه للرجل أوقف القافلة في مدينة أتراز ولمدة غير محددة وأرسل رسولا إلى خوارزمشاه يقول فيهإن أربعمائة من جواسيس جنكيزخان وصلوا إلى أتراز فأوقفتهم فيهاوحجزهم، فما تأمرون فيهم؟ فقام خوارزمشاه وبدون تردد وأصدر أمره بقتلهمكلهمومصادرة أموالهموبعثها إلى مدينة بخارى حيث عاصمة خوارزمشاه وخزانته، فأمر الحاكم لجلاديه بقتلهم كلهم بحد السيف فقتلهم وصادر أموالهم كلها وأرسلها إلى بخارى ، وكان هذا القتل الجماعي بغير عذر شرعي وهم مسلمون، وبهذه الحادثة وقفت تجارة تركستان الشرقية مع جاراتها تركستان الغربية وبلخ وخوارزم ووادي فرغانة بما فيها طاشكند ومرغولان وسائر المدن، وإن هذه الواقعة أيضا فتحت الطريق لمداهمة جنكيزخان سائر المدن الغربية فوقع زحف جنكيزخان المغول وبلاؤه على البلدان الإسلامية فأباد الملايين من المسلمين أنفسهم وأموالهم.

(يراجع تاريخ الإسلام العام وتاريخ المغول).

تركستان الشرقية بعد وفاة جنكيزخان...

قسم جنكيزخان جميع ممتلكاته بين أبنائه الأربعة في حياته، وفي هذا التقسيم صارت تركستان الشرقية والغربية ما عدا آلتاي وإيميل في حصة ابنه الثاني جاغاتاي خان ، وكانت منطقتا آلتاي وإيميل داخلة في نصيب ابنه الثالث أوكتاي خان، (انظر الخريطة رقم ١٦) وأيضا في حياة جنكيزخان اتخذ ابنه الثاني جاغاتاي خان مدينة آلماليق (مدينة بالقرب من مدينة غولجا الحالية) اتخذها عاصمة ملكه ولمدة قصيرة، وكان يرحل جاغاتاي خان من آلماليق إلى مدينة بالاساغون ويدير شئون الحكم.

وفي عام ٦٢٤هـ الموافق عام ١٢٢٧م مات جنكيزخان في مركزه قاراقورم اسممنطقة جبلية في الشمال من سور الصين العظيم غربا، وخلفه ابنه الثالث تولوخان (جونغ خان) الخان الكبير ، وكان جاغاتاي خان بعد وفاة أبيه يتردد إلى قاراقورم حيث يعمل هناك مشاورا لأخيه تولوخان.

وكذلك كان اخوه الصغير قاآن خان في عهد أوكتاي خان في وظيفة استشارية لأكتاي خان، وفي الوقت ذلك كانت التركستان الكبرى منطقة تابعة لجاغاتاي خان، وفي الحقيقة ما كانت كذلك، ولم تكن المنطقة محكومة من قبل جاغاتاي خان حيث كانت تركستان الغربية تحت إدارة محمود يالواج ثم ابنه مسعود يالواج، وبدءا من نهر سير دريا غربا حتى منطقة إيميل غولجا وشمال جبال تنغري تاغ كان يحكمها أمراء محليون، وأما المدن الستة فكانت تحت إدارة ماكلاي سويادوغلات ، وأما منطقة قوجو وبش باليق وقمول

وباركول فكانت تحكمها دولة الأويغور إديقوت، وكان هؤلاء الأمراء والحكام مستقلين داخليا في دائرةملكهم، ولا يحكمها باسم جاغاتاي خان، بل كانوا يحكمونها باسم قاآن خان ، وبالخلاصة إن مقولة تركستان الكبرى تابعة لإدارة جاغاتاي خان مقولة في أفواه الناس فقط شائعة بين الناس على غير حقيقتها، وفي هذا العهد كانت تركستان الشرقية بأهاليها تعيش عيشة رغد وسلام وأمان وتقدموا في العلوم والاقتصاد والحضارة.

دولة آل جاغاتاي خان..

مات جاغاتاي خان في عام ٦٣٩هـ الموافق ١٢٣١م، ودولة جاغاتاي خان من تركستان الشرقية والغربية كان يحكمها اتحاد الأمراء المحليين قاآن ، وفي عام ٦٠٤هت الموافق عام ١٢٣٦م كان على عرش قاآن شخص اسمه كيوك قاىن، وكلمة قاآن تعني ملك الملوك، ويراد بها أحفاد وأولاد جنكيزخان، وإن كيوك خان هذا عين قاراهولاكو خان حفيد جاغاتاي خان ابن ابنه موتوجن خان الذي مات في إحدى الحروب في حياة أبيه جاغاتاي خان ، عينه ملكا على دولة جاغاتاي خان تركستان الكبرى، ومنذ ذلك التاريخ دخلت تركستان الكبرى في حكم آل جاغاتاي خان ، وفي الوقت نفسه عين كيوك قاآن الحفيد الآخر لجاغاتاي خان ولي عهد لقاراهولاكو خان، الحفيد الثاني هذا اسمه ييسو مونغو خان.

وفي عام ٦٤٦هـ الموافق عام ١٢٤٩م مات القاآن كيوك شاهنشاه ثم قام ييسو مونغو خان بالعصيان على قاراهولاكوخان وتغلب عليه وهزمه وأعلن نفسه ملكا على البلاد (تركستان الكبرى)، ولكن ييسو مونغو خان مات بعد عاممن اعتلائه العرش فعاد إلى عرش البلاد قاراهولاكو خان، ومات هولاكو خان عام ٦٥٠هـ الموافق ١٢٥٢م وخلفه ابنه القاصر مبارك شاه خان ، ولكونه قاصرا نابت عنه أمه أرجنه قاتون في إدارة شئون الدولة، ولكن

في أواخر هذه السنة أنزل آلغو خان أحد أحفاد جاغاتاي خان أنزل أرجنه قاتون عن العرش ونصب نفسه خاقانا على البلاد، ومنذ اعتلاء قاراهولاكو لأول مرة على العرش حتى جلوس آلغو خان عليه ولمدة ست سنوات بقيت آل جاغاتاي خان دائمي المجادلة والحروب فيما بينهم، وبهذه الأسباب تهدمت مدن كثيرة في مناطق شمال تركستان، ولكن آلغو خان هذا قضى على جميع المنازعات العائلية واستتب الأمن والأمان في البلاد والعباد في إدارته الخاصة للحكم، غير ان خانية دوغلات في المدن الستة وبش باليق خانية إديقوت الأويغور بقيت في إدارة المحليين كناواب عن آلغو خان، وآلغو خان هذا استولى على كل من منطقة خوارزم وأفغانستان وضمها إلى مملكة جاغاتاي خان ، وفي عام ٦٥٥هـ الموافق عام ١٢٥٧م كان قوبلاي خان قاآنا على ممالك جنكيزخان في مركزها قاراقورم ، نقل قوبلاي خان عاصمة بلاده إلى مدينة بيكين حيث بعدت العاصمة عن مناطق تركستان ، ولذا اعلن آلغو خان استقلاله عن المركز، وبهذا صارت مناطق

تركستان وخوارزم وأفغانستان مجتمعة إمبراطورية جاغاتاي خان أسسها آلغو خان، ونقل عاصمته من آلماليق إلى مدينة سمرقند، وفي عام ٦٦٤هـ الموافق عام ١١٦٩م توفي آلغو خان وخلفه ابن قاراهولاكوخان الأمير مبارك شاه حسن خاقانا على البلاد أيضا وللمرة الثانية، وإن مبارك شاه هذه هو أول من أسلم من آل جاغاتاي خان ، وفي عهد مبارك شاه هذا انحصرت

الإمبراطورية في منطقة تركستان الغربية وجزءا من أفغانستان، وأما تركستان الشرقية فقد استولت عليها خانية أوكتاي خان.

خانية أوكتاي خان في تركستان الشرقية..

أولا نتعرف على قايدو خان، هو من آل أوكتاي خان الذين تمركزوا في منطقة زارغالانتو وهي ولاية قويدو الآن، وتحت ايديهم كل من منغوليا الغربية وآلتاي وإيميل، قام قادو خان آنف الذكر بهجوم على منطقة إيلي بعد وفاة آلغو خان وانتصر واستولى عليها، ثم هجم على المدن الستة خانية دوغلات بك ثم خانية قوجو وبش باليق الأويغور غديقوت وانتصر عليهم وجعلها تابعة لسيادته، وبهذه الصورة في عام ٦٦٥هـ الموافق عام ١٢٦٦م دخلت تركستان الشرقية تحت سيادة قايدوخان وحافظ قايدو خان مدة حياته على كل هذه البلاد، وفي عام ٧٠٢هـ الموافق عام ١٣٠٢م توفي قايدو خان وخلفه ابنه جافار خان على عرش البلاد، وكان في هذا الوقت دواي ججن خان من آل جاغاتاي خان حاكما على منطقة تركستان الغربية فقام دواي ججن خان بالحرب على جافار خان ليضم تركستان الشرقية إلى ممتلكات آل جاغاتاي خان ، وأخذ دواي خان خانية دوغلات برئآسة بايدار خان إلى جانبه، فمن الغرب دواي ججن خان ومن الجنوب بايدار خان هاجموا على جافار خان وهزموه فهرب الأخير، وبهذا سقطن دولة أوكتاي خان التي عاشت قرابة أربعين عاما.

انتقال تركستان الشرقية مرة ثانية إلى آل جاغتاي خان..

استولى دواي ججن خان على تركستان الشرقية بالكامل سنة ٧٠٦هـ الموافق ١٣٠٦م بالرغم أن تركستان الشرقية كانت سوق جيش وميدان حرب لمدة خمس سنوات متتالية قبل عام ٧٠٦هـ ، حيث تهدمت كل من مدن يته سو وإسسيق كول ولا سيما البلدان التي في أطراف هذه المدن، وتعرضت الأهالي ولعدة مرات للقتل العام.

ومن حيث تقدير دواي ججن خان لمساعدة بايدار خان ضم كل البلاد التي في أطراف إسسيق كول ومن الشمال فيها توقماق وآلما آتا ، ومن الشرق بلاد يته سو، ضمها إلى مملكةالمدن الستةالتي يحكمهاخانية دوغلاتمكافأة له، وبهذا توسعت حكومة دوغلات وحصلت على بلاد تكثر محاصيلها الزراعية وأصبحت مملكة ذات قوة ومنعة، وبهذه المناسبة بدأت شهرة واقتدار ىل دوغلات من عهد بايدار خان، ونأتي ببيان ذلك في فصل تاريخ آل دوغلات ، وإن تحسن اقتصاد تركستان الشرقية في عهود جنكيزخان وأوكتاي خان تهدم في عهود من بعدهم بسبب استمرار القلاقل والحروب في عهودهم ، ولا سيما التي حصلت فيما بين أمراءِ المغول ولأجل حرصهم للسلطة والإمارة، والسبب الثاني في تقلص اقتصاد تركستان الشرقية وتهدمه كون هذه البلاد بعيدة عن سواحل البحر ، ولكونها محاطة فيما بين حكومات وأمراء المغول الذين تأصل فيما بينهم العداء ، وبالرغم من أن

تركستان الشرقية كانت تعرف بأمة آل جاغاتاي خان ، وبهذه الأسباب كذلك توقفت حركة التجارة الخارجية لأهالي تركستان الشرقية فتدنت حالتهم الاقتصادية ، فسعى دواي ججن خان لمعالجة هذا الوضع باتفاقية تجارة حرة شاملة بين كل الإمارات المغولية، ودعا إليه في مجمع الأمراء المغول ، ولكن قبل أن يتحقق أمنيته هذه عاجله المنية حيث توفي في عام ٧٠٧هـ الموافق عام ١٣٠٧م وخلفه ابنه كانجوك خان وجلس على عرش أبيه ومات هو الآخر عام ٧٠٨هـ الموافق عام ١٣٠٨موخلفه شخص من آل جاغاتاي خان اسمه تاليغو خان، وتوفي هو الآخر في عام ٧٠٩هـ الموافق عام ١٣٠٩م وخلفه ابن دواي خان الأمير كيك خان وجلس على عرش البلاد، ولكن أخوه إيسن بوغاخان نازعه العرش منازعة حادة وبعد حروب دامية دامت عشرة أشهر تنازل عن العرش لأخيه المنازع إيسن بوغا خان، وذلك في عام ٧١٠هـ الموافق عام ١٣١٠م

عاشت تركستان الشرقية في أمن وأمان وصلحت اوضاع الناس وتحسنت في عهد غيسن بوغا خان هذا، ولكن في عهده أيضا تعرضت تركستان الشرقية لويلات لا مثيل لها في تاريخ تركستان الشرقية ، وذلك ان قوبلاي خان الذي جعل بيكين عاصمة لملكهوبعده اولاده كانوا يعتبرون كل البلدان التي كانت تحت سيادة جنكيزخان في عهده وورثها لأبنائه الأربعة يعتبرونها وحدة سياسية وأمة متماسكة ، وأن قوبلاي خان وأولاده قاآنات لها وحدة متماسكة لا يتجزأ ، بينما التركسات بشقيهاكانت تابعة لآل جاغاتاي خان،

وكذلك مناطق قبجاق المعروف بآلتون أوردو وبها خانية جوجي خان كانت تعتبر نفسها حكومات مستقلة ولا تخضع لقوبلاي خانولا لأولاده القآنات في بيكين، ولكن خانية هولاكو

التي كانت في إيران تقول نحن تابعون للقاآن قوبلاي خان وأولاده ويحترمونها علانية لفظا لا عملا، ولأجل ذلك كان قوبلاي خان واولاده آل قوبلاي ينتظرون الفرصة لإخضاع أمة جاغاتاي خان وخانية آلتون أوردو لسيادة آل قوبلاي خان وقاآنيته، وفي السنة التي جلس فيها إيسن بوغا خان على عرش تركستان الشرقية قام بويانتو قاآن حفيد قوبلاي خان بهجوم كاسح على تركستان الشرقية وكان معه جنود كثيرة جدا من المغول والصينيين، وكا إيسن بوغا خان في عداوة مع خان آلتون أوردو وهوتوختاي خان، فمد هو الاخر بمساعدة عسكرية قوامها مائة ألف جندي ، ودافع غيسن بوغا خان عن تركستان الشرقية دفاع المستميت وخاض حروبا عدةدامية، وفي الأخير انهزم هزمه بوينتو قاآن، فهرب إيسن بوغا خان ببعض جنوده إلى المناطق الجبلية في غرب البلاد حيث حافظ على سلامته وسلامة جنوده مدة من الزمان ، فمكث بويانتو قاآن في تركستان الشرقية لمدة سنتين، ولكنه دمر كل مدينة وقرية في الشمال من تركستان الشرقية وكذلك في تركستان الغربية دمر ممتلكات كثيرة من مدن وقرى آهلة بالسكان على أصحابها، ومن جراء هذه التعديات الوحشية ابتلي الناس بالقحط الأسود والقتل العام، وهرب أناس إلى آفاق بعيدة وهجروا بلادهم

وعم القحط الشديد عموم ساكنيهاحىت إن جيوش قاآن بدؤا يموتون من الجوع الفاحش ، وهذه الحالة المضنية أجبرت بويانتو قاآن على الرحيل إلى داخل الصين، ومنذ ذهاب القاآن رجع إيسن بوغا خان إلى البلاد كما كان بجنوده وحاشيته، وذلك عام ٧١٨هـ الموافق ١٣١٨م، وخلفه أخوه الكبير كيك خان للمرة الثانية ، ثمات كيك خان في عام ٧٢١هـ الموافق عام ١٣٢١م،وخلفه أخوه الصغير إيلجكداي خان غير انه توفي في ستة اشهر من اعتلائه العرش وخلفه أخوه دواي تيمور خان وتوفي في رأس سنة واحدة وذلك عام ٧٢٢هـ الموافق ١٣٢٢م، وخلفه أخوه تارماشير خان، وفي يوم اعتلائه العرش تشرف بالإسلام وسمى نفسه علاء الدين وترك نظام جنكيزخان وحكم البلاد بالنظم افسلامية، ولأجل أنه حكم بالشريعة الإسلامية بدأ في ترغيب الملوك والأمراء التابعين له باعتناق افسلام دينا ، وهذا الترغيب قد شمل جميع أمراء آل جاغاتاي خان ، ولكن بعض الملوك والخانيات الدوغلات وملك الأويغور إديقوت وبعض من أمراء جاغاتاي خان أبدوا عدم رضاهم من التشبث والترغيب هذا، وبالتالي تركوا الخضوع والطاعة لسيادته وأعلنوا العصيان عليه، ولكن تاماشير خان علاء الدين لم يأخذ بأسباب إسكاهم وقمع عصيانهم ، وبهذا السبب انقسمت دولة آل جاغاتاي خان إلى قسمين.

تاسيس دولة آل جاغاتاي خان المستقلة..

وإلى أن توفي تاماشير علاء الدين خان عاشت خانيات تركستان الشرقية حرة مستقلة، ولكنهم في الحقيقة كانوا مستقلين في منطقة صغيرة لا يربطهم أحد، وكانوا خائفين من اعتداء عدو متربص بهم واحدا بعد الآخر ، ولهذا كانوا يتمنون وجود وحدة جاغاتائية كدولة متحدة.

وفي عام ٧٣٠هـ الموافق ١٢٣٠م اغتيل تارماشير علاء الدين خان من قبل ابن أخيه فاضطربت التركستان الغربية بانقلابات داخلية فاغتنمت هذه الفرصة أقوى خانية في تركستان الشرقية وهي خانية دوغلات ورئيسها فولاجي بك الذي هرّب إيمال خواجه خان من مدينة بخارى وأتى به إلى تركستان الشرقية ، وكان غيمال خواجه من إخوة تارماشير علاء الدين خان ولم يكن مسلما بعد، وعلى عادات وتقاليد خانات الترك قديماأقام مهرجانا كبيرا في مدينة آلماليق غولجا وفيها السرادقات ذات هيبة واجتمع فيه كل من أفرادآل جاغاتاي خان مع آل دوغلات، وأجلسوا إيمال خواجه خان على لباد أبيض وبايعوه خانا على البلاد وقلدوه عنوان إيسن بوغا خان ، وهذا الشخص وبهذه العنوان يعتبر إيسن بوغا خان الثاني من أسرة جاغاتاي خان ، وكانت عاصمته مدينة آلماليق، وبعد جلوسه للعرش بمدة قصيرة أخضع لسلطانه كل الخانيات والملوك المحلية في تركستان الشرقية ، وكان هناك شخص اسمه فولاجي بك كان رجلا ذكيا داهيا خلع عليه عنوان امير الأمراء

واتخذه وزيرا لبلاطه ، وكان مساعدا له ومنادما، وبعد مدة جعله صاحب القرار في الدولة وسلمه سلطة إدارة شئون البلاد.

وإن إيسن بوغا خان سعى لتقوية جيشه رويدا رويدا وزيادة افرد الجيش حتى صار له نفوذ واحترام لدى حكومات وخانيات تركستان الغربية العائدة لآل جاغاتاي خان ، فاستطاع أن يأخذ اعترافهم بأن إيسن بوغاخان أحدرموز آل جاغاتاي خان في آسيا وأكبر حكامها، وبهذه الطريقة جعل نفسه الحاكم الأوحد لأمة آل جاغاتاي خان دون غيره، ولو انه هناك في تركستان الغربية خان باسم جاغاتاي خان وفي تركستان الشرقية إيسن بوغا خان جاغاتايي ، ولكن هناك فرق في مفهوم إيسن بوغا خان، إنه الأصل والمركزية العامة والسيادة ، فإيسن بوغا خان أمضى بقية عمره محافظا على مكتسباته هذه ، ومات عام ٧٤١هـ الموافق عام ١٣٤٠م، ولم يكن له ابن كبير يخلفه، وكان له ابن صغير من زوجته الثانية اسمه توغلوق تيمور خان أبعدته زوجته الأولى إلى منغولستان ، وكان عمره عند وفاة إيسن بوغا خان الثامنة عشر ، ولعدم وجود ولي عهد له بقي عرشه شاغرا، فأعلن الملوك والخانيات المحلية استقلالهم ودخلوا في حروب مع بعضهم وأراقوا الدماء لمدة ثمانية سنوات لحرصهم على السيادة والقيادة

ونزاعهم على العرش، ومن جانب آخر كان فولاجي خان وزير إيسن بوغا خان والمسئول عن غدارة شئون البلاد يطالب ولمدة ثماني سنوات بإحضار الابن القاصر لإيسن بوغاخان منةمنغوليا وتنصيبه ملكا على البلاد وإجلاسه

على عرش أبيه، وكانت الخانيات والأمراء يخالفون فكرة فولاجي خان وعلى الدوام.

وكان عدد من أمراء أسرة جاغاتاي خان لحرصهم على العرش يسعون لإيجاد من يكون بطرفهم، وكانت التركستان الغربية سوق جيش لمصادمات تقع بين آل جاغاتاي خان وأوكتاي خان ، وأخيرا استولى على عرش تركستان الغربية رجل اسمه غازان خان جاغاتايي النسب واستتب له الأمر والمان بعد مصادمات دامت ثماني سنوات كاملة، ثمالتفت غازان خان إلى تركستان الشرقية وأراد الاستفادة من مناوشات قبلية وحروب دامية فيها، فأراد الاستيلاء على تركستان الشرقية، فعرف الأمراء الجاغاتاييون والحكام خطر حركة غازان خان وخافوا على ضياع ملكهم من أيديهم وأحسوا بواجب الوحدة حتى تكون قوة تصد هجمات الأعداء المتشبثين بهم، والتفوا حول ثولاجي خانيئيدون قكرته التي تقول بأنه لا يمكن صد الهجمات والأخطار الداخلية والخارجية عن البلاد بغير تأسيس دولة موحدة وقوية، فاقتنع الحكام والأمراء بهذه الفكرة فارسلوا رجلا إلى منغوليا ليأتي بتوغلوق تيمور خان إلى آلماليق (غولجا) وجال الرسول في منغوليا سنة كاملة حتى عثر على توغلوق تيمور خان وجاء به إلى آلماليق (غولجا)فقرروا تنصيبه خانا على البلاد واتفقوا عليه.

توغلوق تيمور خان ملكا على البلاد..

وبتاريخ عام ٧٤٨هت الموافق عام ١٣٤٧م أجلسوا توغلوق تيمور خان على لباد أبيض حسب تقاليد الأتراك قديما وبايعوه ملكا على البلاد تركستان الشرقية واجلسوه على العرش بالمراسم الملكية، وكان عمر توغلوق تيمور خان ثمانية عشر عاما، وتوغلوق تيمور خان بالتالي قلد فولاجي بك صفة أمير الأمراء أمينا عاما وله نفوذ وصلاحيات وامتيازات رفيعة على جميع كوادر الدولةبصفة وزير الوزراء، وعينه حاكما عاما على المدن الستة ومنطقة غسسيق كول وكعميد لآل دوغلات، وإن قولاجي خان بدوره عين إخوته قمر الدين بك وشمس الدين بكوشيخ دولت بكأمراء في هذه الولايات وولاة يحكمونها، وإن توغلوق تيمور خان في سنته الرابعة من ولايته العرش وبالذات عام ٧٥٢هـ الموافق عام ١٣٥١م تشرف بالإسلام وذلك بدعوة من مولانا أرشدالدين العالم الكبير ، وبعد تشرفه

بافسلام قام توغلوق تيمور خان بدعوة غير المسلمين من أركان دولته وفي مقدمتهم فولاجي خان وجمهور من رعاياه فأسلموا، وجلب توغلوق تيمور عدد كثيرا من علماء الإسلام إلى آلماليق ليعلموا الجمهور أمور دينهم، وفيما بعد استأذن العالم الكبير أرشدالدين من توغلوق تيمور خان بالانتقال إلى ولاية كوجار فأذن له فاستوطن الشيخ بها واستقر ومات فيها وله ضريح هناك حتى الآن، وإن الشئون الدينية غي ولاية كوجار يتولاها اولاد هذا العالم الكبير حتى إلى زماننا هذا.

وفي عام ٧٦٢هـ الموافق عام ١٣٦١م توفي فولاجي خان الوزير العام وانتقل منصبه إلى ابنه الصغير القاصر خدابردي خان بأمر من توغلوق تيمور خان ، وكذلك العناوين المذكورة أمير الأمراء وحاكم أسرة دوغلات، ولكن الشئون الإدارية لهذه العناوين والمناصب فتولاها عم القاصر قمر الدين بك بالنيابة عنه، وكان توغلوق تيمور خان رجل عمل وإدارة عسكري المزاج فاهتم كثيرا في الشئون العسكرية وتكونت لديه قوة عسكرية ضاربة فاستتب الأمن والأمانفي كل ربوع تركستان الشرقية ، وكان الجمهور مكبين لطاعته وقد عم الرفاه والرغد في البلاد جميعا، فقام توغلوق تيمور خان يسعى لضم كل الفرقاء المعنيين تحت لواء أسرة جاغاتاي.

توغلوق تيمور خان يستولى على تركستان الغربية..

منذ عام ٧٣٢هـ الموافق ١٣٤٦م بدأ قازغان خان أمير قبائل بارلاس الذي لم يكن من نسل جنكيزخان يجد قوة نافذة حيث كان حكومتها في يده ، إلا أنه لفظا لا عملا ينصب شخصا من سلالة جاغاتاي خان في رئاسة حكومته، وإذا خالف هذا الخان على قازغان خان تنحاه وقتلهثم ينصب شخصا آخر ، ثم قازخان هذا اغتيل غدرا وعمت تركستان الغربية فوضى عارمة وحروب داخلية، فاغتنم نوغلوق تيمور خان هذه الفرصة المناسبة لقصده وساق جيشا كبيرا إلى تركستان الغربية وغزاها، وذلك عام ٧٦٠هـ الموافق ١٣٥٩م ، وكانت قوته العسكرية كثيرة ومنظمة ، وعندما بلغ الخبر

إلى تركستان الغربية عم الخوف والفزع في نفس أمراء البلد ورؤساء القبائل منهم حاكم قبائل بارلاس حاجي بارلاس وغيره من الأمراء والخانات المحلية فأخفوا رجالهم وأموالهم وهربوا إلى هرات وكابل، وأما رئيس قبيلة جلاير الذي كان حاكما لفرغانة بايزن بك وأحد نبلاء قبيلة بارلاس حاكم مدينة كش (يشل شهر) تيمور بك المشهور بفاتح العالم تيمور وغيرهما من الأمراء فعرضوا الطاعة لتوغلوق تيمورخان ، وبهذا فتح الأخير التركستان الغربية بدون قتال، وتوغلوق تيمور خان رحب بالذين

عرضوا الطاعة ترحيبا كبيرا وعنى بهمعناية فائقة وجعلهمكلهم في إماراتهم ثقة بهم وكرامة ، ولكنه وجد تركستان الغربية في غاية التفتت والانشقاق وبدون رئاسة مركزية وقد عينعت جذور الفساد في كل أمر من أمور البلاد، والحال هذه كان يجب على توغلوق تيمور خان أن يمكث في تركستان الغربية أطول مدة ممكنة لإصلاح الفساد ولإعادة الأمور إلى نصابها واستتباب المن والأمان في كل أنحاء البلاد فجلس توغلوق تيمور خان في العاصمة سمرقند سنتين كاملتين ، وبهذه المناسبة أتى الأمير تيمور بك إلى سمرقند ومكث فيها مع توغلوق تيمور خان، وكان تيمور بك في ذلك الوقت شابا في الثالثة والعشرين من عمره، ولكن عقله وذكاؤه كان فاق العادة، وفكر توغلوق تيمور خان في الاستفادة من شخصية وعقل تيمور بك وجعله خادما مخلصا ، وبواسطته يدير شئون تركستان الغربية، ولذا عينه قائدا عسكريا لعشرة آلاف جندي فضلا عن حاكمية مدينة يشل شهر، ولقب هذا المنصب تومن

بك، ومنحه عنوان نبيل القبائل بارلاس أي أميرا لهم وأعطاه ورقة تعيين عليها خاتم ذهبي وختما يمهر به السكوك والفرمانات، وبهذا أصبح تيمور بك صاحب أعلى رتبة بين الأمراء المحليين في تركستان الغربية وصاحب امتياز عام.

غير أن جلوس توغلوق تيمور خان في سمرقند لم يكف للإصلاحات المرتقبة ومن جهة ثانية بلغه وجود انقلاب شنيع في ولاية آلماليق (غولجا) فعاد إلى تركستان الشرقية بعد أن سلم إدارة شئون البلاد للأمير تيمور بك وبايزن بك الجلايري.

وإن سبب هذا الانقلاب في مدينة آلماليق هو أن شخصين من الكوادر الحكومية سلب ونهب أموال الناس في الأيام التي يتأهب توغلوق تيمور خان لغزو تركستان الغربية ، ولما بلغ الأمر توغلوق تيمور خان أصدر أمره بعقابهم عقابا صارما، إلا أن الشخصين أخذا أتباعهما وهربا من البلاد، ولكنهم حصلوا على أتباع آخرين في أطراف أخرى من ولاية إيلي واشتغلوا بالسلب والنهب وجمعوا ذهبا وفضة ، غير أنهم لم يشكلوا خطرا على البلاد فلم يبال بهم توغلوق تيمور خان في حينه، وبعد ما مات فولاجي خان عام ٧٦٢هـ الموافق عام ١٣٦٠م بدؤا تحرشعم بأمن وسلامة البلاد بقليل من المسلحين، وهددوا أمن مدينة آلماليق بشكل عصيان عسكري ، وبهذا السبب ترك توغلوق تيمور خان مشاريع الإصلاح ناقصة غير مكملة وعاد إلى تركستان الشرقية ، وبعد تعقيبات مضنية دائبة لمدة سنة كاملة أنهى العصيان كله،

وحينما عاد توغلوق تيمور خان إلى تركستان الشرقية وانشغل بتأديب العصاة والانقلابيين استفاد من هذه الانشغال المير حاجي بارلاس وزملاؤه الفارون من سمرقند وعادوا

إليهاواستولوا على سمرقند، وأما يازن بك جلايري وزملاؤهم فتركوا طاعة توغلوق تيمور خان وأظهروا العصيان عليه، وأما تيمور بك فخالهم لإخلاصه لتوغلوق تيمور خان ، والحال هذه في سمرقند فكر المخالفون بايزن بك والأمراء المحليين في التخلص من الأمير تيمور بك وحاولوا اغتياله بحيلة ولم يوفقوا، ولأجل ذلك ترك بايزن بك حليفه حاجي بارلاس ، والأخير اخذ رجاله وجنوده المخلصين ورحل إلى مدينة يشل شهر لإعداد العدة للقضاء على الأمير تيمور بك، وكان تدبير حاجي بارلاس أن يأخذ معه الأمير تيمور بك بالمؤامرة والحيلة، ولكن الأمير تيمور بك رد طلبه حيث قال: " أنا لا أتبع حاجي بارلاس ، وبيدي وثيفة الاعتماد مختومة من سيدي توغلوق تيمور خان فانا بوثيقتي هذه ". فحدث الصدام العسكري بينحاجي بارلاس وبين تيمور بك ، وكان هذا الصدام في طريق حاجي بارلاس إلى مدينة يشل شهر، وانهزم حاجي بارلاس في هذا الصدام وهرب إلى سمرقند، فتعقبه الأمير تيمور بك وطارده حتى قرب سمرقند، وكان من بين جنود تيمور بك جنود من قبائل بارلاس فانعزلوا عن تيمور بك وانضموا إلى حاجي بارلاس ، فتغلب الأخير على تيمور بك لقلة جنوده الباقين، فأخذ أسرته بعضا من خلاصائه وذهب إلى كابل حيث كان هناك أخو زوجته خل أولاد المير حسين خان، ومن كابل جمع

فيلقا من الفغان وقبائل الأتراك وعاد إلى سمرقند وتغلب على حاجي بارلاس وقتله، وكذلك المير حسين سمرقندي الذي كان حاكما على مدينة يشل شهر وكان تيمور بك خال أولاده الأمير حسين بك، ولكن نشبت الحرب بين تيمور بك وبين الحسين بك وأتباع حاجي بارلاس وبايزن بك وكثيرين من المراء غيرهم ، وكانت المعارك غاية في الشراسة ومدهشا في نفس الوقت ولمدة طويلة، حتى إن توغلوق تيمور خان ظهر فيما بينهم مثل الصاعقة حيث هجم هجمة مباغتة فقضى على الأعداء كلهم.

وفي عام ٧٦٤هـ الموافق عام ١٣٦٣م تحرك توغلوق تيمور خان بجيش منظم وبحركة خاطفة نحو تركستان الغربية لسحق العدوان والعصيانوإنهاء الفساد وإعادة الأمور إلى نصابها العادل في عموم تركستان الغربية، وكان توغلوق تيمور خان في توجهه إلى تركستان الغربية هذه المرة يعتمد على مخطط سليم وناجح، وعندما وصل إلى خوجند قتل أميرها بايزن بك لانحيازه إلى جانب حاجي بارلاس،وعندما اقترب توغلوق تيمور من سمرقند قام حاجي بارلاس والأمير حسين بالتصدي له ، وبعد مناوشات بسيطة انهزموا وفروا هاربين وعادوا إلى كابل وهرات.

أما المير تيمور بك فاستقبل توغلوق تيمور خان عارضا له الطاعة والمان، فرحب به توغلوق تيمور خان وعينه حاكما لمدينةسمرقند ثم عزله، مكث توغلوق تيمور خان في تركستان الغربية سنة كاملة ، وفي خلالها أنهى كل المخالفات والمخالفين في البلاد، وكان الأمير تيمور بك يتمنى من تعوغلوق

تيمور خان منصبا كبيرا ، ولكنتوغلوق تيمور خان اكتفى بإعادة تعيينه حاكما لمدينة يشل شهر وأمينا عاما لقبائل بارلاس وقائدا عاما لعشرة آلاف جندي، وأما الذين عادوا إلى طاعة توغلوق تيمور خان فيما بعد فاكتفى توغلوق تيمور خان بمنحهم نفس المناصب التي كانوا يشغلونها ولم يزد شيئا، وسياسة المنصب حسب الطاعة والإخلاص كانت السبب الأول لعصيان تيمور بك على السلطان توغلوق تيمور خان فيما بعد، ولكن توغلوق تيمور خان اضاف حاكما أو قائدا عسكريا في كل الدوائر الحكومية التي يشغلها المحليون من الأمراء والخانات الصغيرة.

ثم عين توغلوق تيمور خان ابنه إلياس خواجه أوغلان واليا عاما لعموم تركستان الغربية وترك في سمرقند قائده العسكري كجك بك وجنود كثيرة ، وبالتالي عين رجلا عسكريا معه جنود كافية في مناطق الحدود والمدن النائية، وفي عام ٧٦٥هـ الموافق ١٣٦٣م عاد توغلوق تيمور خان إلى عاصمة ملكه آلماليق.

عصيان تيمور بك..

وبعد أن عاد توغلوق تيمورخان إلى تركستان الشرقية فكر الأمير تيمور بك في العصيان على توغلوق تيمور خان واستعد له منتظرا الفرصة المواتية، وبعد رحيل توغلوق تيمور خان عن سمرقند قام ابنه إلياس خواجه أوغلان وشخصيات عسكرية مثل كجك بك بإرقاق الأسرى وبيعهم علنا كعبيد وهم

مسلمون خلافا مخالفين بذلك أحكام الشريعة الإسلامية، فغضب الأهالي غضبا شديدا، وكان كجك بك رجلا ظالما فلم يكن بردع أفراد الجيش عن الاعتداء على عامة الناس وظلمهم، وكان المير إلياس خواجه أوغلان أميرا شابا يقضي جل أيامه في الصيد والقنص ولا يهمه من شئون الناس شيء، وكانمغرورا للغاية فصار الناس ينفر من إلياس خواجه أوغلان وقائد جيشه كجك بك، فبدأ تيمور بك في ترغيب أصدقائه للعصيان في البلد وسعى في ذلك سعيا حثيثا مستفيدا من حالة البغض والكراهية في البلد على الحكام والعسكريين، وكان يتمنى أن تكون الرعية في صفه وتأخذ جانبه، وفي عام ٧٦٥هـ الموافق عام ١٣٦٣م هاجم تيمور بك على الجنود في مدينة يشل شهر، وسحب الأسرى والمعتقلين من

السجون بالقوة وجعلهم طلقاء أحرار ، وبلغ الخبر إلى إلياس خواجه أوغلان ، وبدوره أبلغ الخبر إلى توغلوق تيمور خان الذي أصدر فرمانا بإهدار دم تيمور بك، وبلغ أمر الفرمان إلى تيمور بك فأخذ أسرته وخمسةوعشرين نفرا من خلصائه وهرب إلى كابل ولحق بخال أولاده وأخو زوجته الأمير حسين خان، ولكن المسافة صارت شاقةعليه حيث تدهورت حالته والمرافقين لشهور عديدة حتى وصولهم إلى كابل، وكان تيمور بك يجول في بلخ تارة وتارة في كابل حتى جمع له ما يقارب خمسة او ستة ىىلاف رجل ، وأخذ الأمير حسين خان بجانبه ورجل من كابل برجاله متوجها إلى تركستان الغربية ووصل في طريقه إلى ضفاف نهر آمو دريا وتمركز فيه واتخذه معسكرا

له، ولم يكن في نيته اجتياز النهر، بل كان يأمل جلب من يساعده من الرجال من تركستان الغربية حيث إن ستة آلاف رجل الذين كانوا معه لا يكفي للهجوم على تركستان الغربية، ولكن الأمير حسين خان خالفه في الرأي واجتاز النهر وتصادم مع قوات الحدود التابعة لإلياس خواجه أوغلان، وانهزم الأمير حسين خان في هذه المصادمة وتشتت رجاله وفر هاربا مجتازا النهر غربا وانضم إلى تيمور بك، وكشفت المصادمة لإلياس خواجه أوغلان نوايا تيمور بك ، وكان هجوم الأمير حسين خان سابقا لأوانه من جهة ، ومن جهة ثانية كان ضربة قاضية على تخطيط تيمور بك الذي يتمنى ويأمل أن يجمع عددا كافيا من الرجال الأشاوس والمحاربين حتى يهاجم على تركستان الغربية، والخلاصة أنه انفتحت عيون إلياس خواجه أوغلان بأن هناك في الضفة الغربية من نهر آمو دريا قوة ضاربة كبيرة فجهز قائده العسكري كجك بك بعشرين ألف جندي ليتمركزوا على ضفاف النهر.

محاربة طاش كوبري..

طاش كوري معبر مائي من نهر آمو دريا ، وكانت حركة الأمير حسين الفاشلة حركة سلبيةتجلب لأمثال تيمور بك خيبة آمال جارحة، ولكن تيمور بك بطبعه العسكري الحاذق لم يتأثر من هذه الواقعة بل تحرك حثيثا لجمع ما أمكن من الرجال لزيادة قواته بالقدر الكافي من جهة، ومن جهة أخرى عمل جاهدا لجلب أصدقائه الشجعان مناداخل تركستان الغربية ومن أطراف

البلاد،، وفي خلال أشهر قليلةانضم إلى معسكر تيمور بك قوات لا بأس بها وبقدر كبير، فتحرك تيمور بك بقواته هذه صوب آمو دريا واستقر قبالة معبر مائي يسمي طاش كيري ، وإن كجك بك أقام جنودا على امتداد ضفاف النهر وتمركز بوسط طاش كوبري بجنوده وعتاده، ورأى كجك بك قلة عدد جنود تيمور بك وضعف

تكوينه، فلم ير داعيا لعبور النهر لملاقاة العدو، وإن تيمور بك بعد مكوثه في ضفة النهر شهرا كاملا ترك القائد أمير موسي بخمسمائة من جنده في الضفة وعبر تيمور النهر من معبر بعيد عن معسكر كجك بك خفية من حيث لا يدري به كجك بك وجنوده حتى أحاط جنود كجك بك من خلفهم، وهنا وصل الأمير حسين بك خال أولاد تيمور بك ومعه رجال كثيرون لمساعدة تيمور بك ، وكان من بين رجاله الأفغان والأتراك واحتل تيمور بك بعض التلال المهمة هناك، وفي الصباح رأى كجك بك نفسه محاطا هو وجنوده، ولكنه لم يفزع وبدأت الحر وحارب كجك بك ببسالة وحافظ على موقعه حتى الليل، وفي الليل رأى كجك بك جنود تيمور بك في استراحةتامة فتحرك بجنوده مخترقين الحصار وأفلتوا من فك الحصار المضروب عليهم واحصروا العدو، والحال هذه وصلت إلى تيمور بك مساعدات من داخل تركستان الغربية عبارة عن جمهرة من الناس بينهمنساء وأطفال حتى إن كل من يستطيع الحصول على عتاد حربي لم يتخلف منهم أحد، وبهذا زادت قوات تيمور بك عن قوات كجك بك ، وبهذه الكثرة بدأ تيمور بك يطارد كجك بك الذي

يتلقى هجمات أهالي تركستان الغربية من الجوانب وهم يهاجمونه بشراسة بينما يهاجم تيمور بك من الظهر بصفة منتظمة، فتشتت قوات كجك بك وبدأت بالهروب مسرعين، وبينما تزداد قوات تيمور بك يوما بعد يوم ترك إلياس خواجه أوغلان التركستان الغربية للحفاظ على سلامته وسلامة جنوده وانسحب كاملا صوب تركستان الشرقية وعبر نهر سير دريا وجمع فلول قواته هناك في الضفة الشرقيةوأخذ موقف الدفاع، ووصل تيمور بك والأمير حسين بقواهما العسكرية ونزلوا في الضفة المقابلة للنهر ولم يعبروه،وفي رواية: إن إلياس خواجه أوغلان امتطى جواده صباحا ليأخذ نزهة على امتداد النهر فرآه تيمور بك والأمير حسين فامتطيا جواديهما وأتيا قبالة إلياس خواجه أوغلان فتوقفا ونزلا من جوادهما وسلما عليه بتحية رسمية.

إلياس خواجه أوغلان خانا على البلاد..

في عام ٧٦٧هـ الموافق ١٣٦٥م توفي توغلوق تيمور خان وبالرغم كونه شابا كان غاية في الذكاء وكان عادلا وداهيا في أمورالسياسة، وفي هذا التاريخ كانت السلالة الجنكيزخانية بخلاف خانية آلتون أوردو تعيش حياة التدني والانحطاط وفقدت وضعها الأفضل، وكان توغلوق تيمور خان بطبعه الهيمنة العالمية يعد العدة لفكرة تأسيس دولة متقدمة ولكنه توفي عن عمر لا يناهض الرابعة والثلاثين، ولمتنجح فكرته هذه في حياته، ولكن الفكرة نجحعلى يد عدوه تيمور بك، وحتى توفي توغلوق تيمور خان لم تقع حرب بين إلياس

خواجه أوغلان وبين تيمور بك ، ومنذ أن بلغ نعي توغلوق تيمور خان لإلياس خواجه أوغلان تحرك قاصدا آلماليق وترك كجك بك واثنين من قواده وجنود بالقدر الكافي في الضفة الشرقية من نهر سير دريا، وعند وصوله مدينة آلماليق جلس على عرش أبيه بمراسم ملكية متفوقة ، وبهذا بدأت حروب عاتية بين كجك بك وبين تيمور بك والأمير حسين، وبعد مصادمات دامية انهزم كجك بك وجنوده وأسر كجك بك واثنان من قواد الجيش في يد تيمور بك، وتيمور بك قدرهمحق التقدير لبسالتهم وشجاعتهموفائهملتوغلوق تيمور خان وابنه وأقام لهم وليمة متكلفة، ثم سأل كجك بك: "كيف ترون معاملتي بكم؟" فأجابه كجك بك بكل هدوء واللامبالاة : "إن كيفية معاملتكم لنا أنتم تقدرونها وتعرفونها، إن تقتلونا أخذتم بالانتقام، وإن تركتمونا تقتصدون في مصلحتكم، ونحن عندنا كلاهما سيان، ونحن منذ تقلدنا السيف أخذنا الموت على أكتافنا" فتعجب تيمور بك من إجابتهم الجريئة وأعاد إليهم سلاحهم وأعطاهم جوادا وسمح برحيلهم إلى آلماليق، فرجع تيمور بك والمير حسين إلى سمرقند، وبهذا استولى تيمور بك والأمير حسين خان على تركستان الغربية وجزءا من أفغانستان يحكمانها مشتركين.

ومنذ اعتلاء إلياس خواجه أوغلان العرش بدأ في تكوين جيش قوي ومنظم وتجهيزهم بالمستوى اللائق يريد التغلب على تيمور بك والأمير حسين بصورة نهائية وإعادة تركستان الغربية إلى سيادته وسلطانه، وكان تيمور بك والأمير حسين يرون دولة إلياس خواجه أوغلان خطرا على سيادتهم المكتسبة،

وأن الخطر هذا دائم وذو قوة ضاربة، وكان مصدهم الأولى التناوش والتصادم والتحرش بدولة إلياس خواجه أوغلان لإضعافه وحتى لا يعطوا له فرصة للراحة، لذا جمع تيمور بك والأمير حسين خان جنودا كثيرة من أبناء تركستان الغربية ومن الأفغان ومن قبيلة غور ، ثم تحركا بجنودهما الكثيرة صوب الشرق ووصلا إلى ضفاف نهر سير دريا وعبرا النهر وتغلبا على جونـد الخان وواصلا زحفهما نحو الشرق، وفي المقابل تحرك إلياس خواجه بجيشه الكبير المنظم حتى التقى الجيشان في القرب من مدينة طاشكند تهيآ للقتال والحرب.

ونحن الآن نورد فيما يلي بعض الملاحظات التي وردت في كتب التريخ حول قدرتهما الحربية:

كان عدد قوات تيمور بك بالنسبة إلى عدد قوات إلياس خواجه أوغلان أكثر عددا، ولكن في القوة القتالية كان قوات إلياس خواجه متفوقا حيث كان قوات إلياس خواجه منظما ولها خبرة قتالية وكاملة التجهيز ولها ولاء تام لقائدهم العسكري ولها روح الفداء لدولتهم وهم من جنس واحدبخلاف جنود تيمور بك حيث تقل فيهم هذه الصفات المميزة ، والقسم الأكبر منهم كانوا من قبائل الغور والأفغان الذين يعملون في التموين وهؤلاء لم يخوضوا حربا حقيقية في حياتهم، فلم يكن لهم قدرة قتالية بالإضافة إلى الذين انخرطوا في صفوف الجيش بترغيبات المشايخ المتصوفين الين كانوا في خاشية تيمور بك، وبالرغم من ذلك كانوا متفائلين بالنصر ولا يشكون فيه لكثرة عددهم

ولوجود المشايخ الذين يرفعون من معنوياتهم، وتيمور بك كان يعرف هذه الفروق لكونه رجلا عسكريا، فكان يأخذ معه مشايخ الصوفية ويجري المناورات العسكرية ويتمنى النصر والغلبة، وعندما بدأت الحر أمطرت السماء مطرا غزيرا وتلبدت الغيوم والعاصير والرعد ونزل البَرَد وعم في المنطقة رعب وفزع ، وما هي إلا دقائق حتى بالبرك والسيول الجارفة والطين والوحل فتعذر التحرك أوكاد حتى للفرسان منهم، وبهذه الحالة المزرية دامت الحرب سجالا بين الطرفين حتى الليل، وفي المساء انهزم الأمير حسين هزيمة منكرة وفر هاربا من ميدان القتال بجنوده ، وبعد قليل انهزم تيمور بك هو الآخر وانسحب من الميدان جانبا، وعم ظلام الليل وتوقفت الحرب، وجمع تيمور بك فلول قةاته بالليل واستعد لقتال الصبح ، وكان المطر يترل بغزارة مثل اليوم السابق، وأحاط جنود إلياس خواجه أوغلان خان بجنود تيمور بك وقاتلوا قتالا شرسا ولعب سيوف جنود الخان برقاب جنود تيمور بك حتى قتل جنوده المنظمين جميعهم أو أكثرهم، وهرب تيمور بك إلى سمرقند، وأما الذين يقفون مع تيمور بك من المؤرخين فيرون أن هناك سببين لهزيمتة تيمور بك أولاهما:أن المشعوذين المغول أنزلواالمطر بالشعوذة، والثاني:لعدم شجاعة الأمير وإقدامه.

أما تيمور بك فلم يستطع تجميع قواته فدعا الشعب إلى الدفاع عن مدينتهم ورحل إلى مدينة يشل شهر لجمع قوات عسكرية هناك، ووصل إلياس خواجه خان إلى سمرقند وحاصرها، ولعدم استطاعة تيمور بك من صد

هجمات إلياس خواجه خان أخذ تيمور بك رجاله الأقربين وهرب وعبر نهر ىمو دريا وذهب مسرعا إلى بلخ أو للقرب منها، وأما إلياس خواجه خان فاستولى على جميع مدن تركستان الغربية وأعادها إلى سيادته ما عدا مدينة سمرقند حيث كانت قلاعها منيعة مستحكمة واهلها في الداخل يدافعون عنها، وعندما بلغ لإلياس خواجه خان خبر انقلاب ضده حكمه في تركستان الشرقية ترك في منطقة سمرقند وسائر المدن والولايات رجالا يثق فيهم وجنود كافية ثم عاد إلى تركستان الشرقية عاصمتها ىلماليق، وذلك عام ٧٦٨هـ الموافق عام ١٣٦٧م.

انقلاب في تركستان الشرقية...

كان إلياس خواجه خان ماهرا ومحنكا في الفنون العسكرية وسياستها، ولكنه لصغر سنه كان مغرورا ولم يكن له علم في النواحي الاجتماعية ، ولأجل ذلك كان يعطي امتيازات كبيرة لشباب الملة ويترك الأعيان والمفكرين وأصحاب الخبرة السابقة مما يثير امتعاضهم فيه، ومن هذه الجملة نورد بعضها على سبيل المثال:

كان قمر الدين بك وشمس الدين بك والشيخ دولت بك وغيرهم في وظائف عالية في الدولة في عهد توغلوق تيمور خان، وكانوا أصحاب رأي ونفوذ وامتيازات، فجرهم إلياس خواجه خان من وظائفهم وتركهم، ومثل هذه الأخطاء صدر من الكثير في السياسة والإدارة مما أثار سخط خؤلاء

الأعيان عليه ، واما الشباب الذين لهم امتيازات خاصة فلم يسحنوا إدارة شئون البلاد الداخلية لعدم كفاءتهم وقلة خبرتهم، واختلط الحابل بالنابل وعمت الفوضى، ولهذه الأسباب ازداد الذين لا يرغبون في إلياس خواجه وحكمه، وفي غياب إلياس خواجه عن تركستان الشرقية والعصمة آلماليق بكل قواته للحرب في تركستان الغربية لمدة عام كامل استفاد هؤلاء الأعيان الساخطون من هذه الفرصة، وعلى رأس هؤلاء المعارضين قمر الدين بك وزملاؤه الذين جمعوا قوة لا باس بها وقاموا بحركة انقلاب في البلد، وكان في صفوف قواهم محاربين من شمال البلاد انحازوا إلى جانب قمرالدين بك، وفي بداية الانقلاب هاجموا على العاصمة آلماليق وذلك في أواخر عام ٧٦٨هـ الموافق ١٣٦٧م، وعندما بلغ الخبر لإلياس خواجه خان ترك في تركستان الغربية قوة كافية وبالتالي ترك فتح سمرقند وعاد إلى تركستان الشرقية ودخل في حروب دامية مع انقلابيين، والحال هذه بدأ العسكريون في تركستان الغربية وأكثرهم من قبائل بالرجوع إلى تركستان الشرقية ، وبالتالي حصل هناك تركستان الغربية وباء الحصان ونفق كثير من فرس الفرسان ، ولعدم قدرة الفرسان على التحرك بدون الخيول تركوا كلهم تركستان الغربية ورجعوا إلى أوطانهم تركستان الشرقية ، وبقيت تركستان الغربية خالية من جنود الخان، وبهذا اتى الأمير حسين خان إلى سمرقند وبخارى وأعلن نفسه ملكا عليها ، وبقي تيمور بك تابعا له.

وأما إلياس خواجه خان فانشغل بالحروب التي طال أمده بينه وبين المعارضين الانقلابيين عليه حتى ظل أواخر عام ٧٧٠هت الموافق عام ١٢٦٩ م، حيث تغلب قمر الدين بك على إلياس خواجه خان وثمانية عشر من أفراد الأسرة المالكة ، ومنذ اليوم ذاك عرف قمرالدين خان حاكما على كل من مدينة كاشغر وأوج وياركند ومنطقة غسسيق كول ووادي إيلي ويته سو، واتخذ مدينة كاشغر عاصمة له،

وعين أخاه الكبير شمس الدين بك واليا على منطقة إسسيق كول وأخاه الشيخ دولت بك في منطقة يته سو ، وأما منطقة إيلي فقد تولى المحليون الحكم باسم قمرالدين بك، وأما أمير الأمراء خداواد خان فأخذ التابعين لإلياس خواجه خان وهرب إلى مدينة كوجار وكان معهم خضر خواجه خان أخ إلياس خواجه خان بعد هزيمتهم من قمر الدين خان ، وكانت منطقة كوجار خالية من سيطرة قمر الدين خان فاستولى عليها خداواد خان وأعلن استقلاله فيها، وصارت منطقة جاليش أيضا تحت سلطة خداواد خان، وكلمة جاليش اسم مغولي أطلق على ولاية قاراشهر ، وكذلك كوسن لولاية كوجار، وأما منطقة إديقوت الأويغور فقد نالت استقلالها نتيجة هذه الأحداث وبهذه الانقسامات التي انتهت في عام ٧٧١هـ الموافق عام ١٣٦٩م انتهت الحروب والانقلابات، وإلى هذه النهاية الانقسامية لم يكن هناك خوف من هجمات تيمور بك حيث كان مشغولا بمجادلات مع خال أولاده الأمير حسين بك خان.

وفي عام ٧٧١هـ الموافق عام ١٣٦٩م قضى تيمور بك على الأمير حسين خان وأعلن نفسه حاكما على كل منطقة تركستان الغربية وشمال أفغانستان ، وكان الإعلان بمراسم إمبراطورية فائقة، والجدير بالذكر أن تيمور بك لم يقبل أطلاقا أي صفة أو لقب غير اسمه تيمور خان ، وإنما كلمة بك فتعني الأمير ونحن كتبناه بالأمير تيمور على غرار مؤرخي إيران، وبك كلمة تركية ، ولتيمور بك لقب لم يشتهر كثيرا وهو كورجان تعني نسيب الحاكم.

وفي هذا التاريخ هناك في الشرق من آسيا حدث تاريخي غير تلك التي وقعت في كل من تركستان الشرقية وتركستان الغربية، ألا وهو انتهاء قاآنية المغول في الصين وتأسست في الصين إمبراطورية آل منغ ، وبعد عام واحد استولى إمبراطور الصين على ولاية أوج التي كانت منذ أمد بعيد جزءا من ممتلكات دولة إديقوت ، وعلى مدينتي دونخوانغ وسوجو ، وكذلك ولاية قمول وباركول وبقيت هذه الولايات في يد الصين حتى عام هـ الموافق عام ١٣٩٧م.

حرب العشر سنوات بين تيمور بك وبين حاكم تركستان الشرقية..

كان تيمور بك يرى منذ إعلان نفسه حاكما عاما على تركستان الغربية وجزءا من أفغانستان ، يرى حكومة تركستان الشرقية خطرا على سيادته وحاكميته، ولأجل ذلك كان يسعى دائما لإضعاف قوة قمر الدين بك وإبعادها عن حدود تركستان الغربية ، وكان هذا قصده وديدنه، ولتحقيق هذا

الهدف اتخذ طريقين، الأول : فصل الروابط الدينية والعرقية والمذهبية بين تركستان الشرقية وتركستان الغربية ، ولذلك قال لرعاياه: إن تركستان الشرقية لم تكن بنا روابط اجتماعية ،وإنهم جته مغول أي المغول البغاة، وافترى على أهالي تركستان الشرقية بعدم الانضباط في الدين وبعدم التمسك بالشريعة الإسلامية ودعا إلى الجهاد ضدهم، والثاني: إن دولة قمر الدين بك كانت تمتد على امتداد سير دريا غربا وكان تيمور بك يقوم بالهجوم على امتداد الحدود من آن لآخر ويتعرض لأمن وسلامة دولة قمرالدين بك، وكان قمر الدين بك جنوده يدافعون عن بلادهم دفاعا شديدا ، وتارة يقوم قمر الدين بك بالهجوم على دولة تيمور بك ، وكانت الغلبة والهزيمة سجالا بينهما، ونأتي بتفصيل ذلك ، وبهذه الصورة دامت المناوشات والحروب بين الطرفين لمدة عشر سنوات بفواصل لا تذكر.

وفي عام ٧٧١ هـ الموافق عام ١٧٠م تعرض جنود تيمور بك باجتيازهم النهر سير دريا شرقا على مراكز حدود قمر الدين بك فقام الأخير بدعوة

الأمراء ومشايخ القبائل القاطنين في وادي إيلي وعلى رأسهم كجك تيمور بك وشير أول بك وحاجي بك ، دعاهم إلى معيته برجالهم لصد هجوم تيمور بك فأجابوا الدعوة ولبوا ، فتحرك في اتجاه سير دريا ووصلوا إلى منطقة طاشكند فظهر خلاف بين قمر الدين بك وحاجي بك فانسحب حاجي بك وزملاؤه وعادوا إلى أوطانهم ، وعاد قمر الدين بك إلى عاصمة ملكه مدينة كاشغر، وبعد عودتهم جاء تيمور بك إلى طاشكند وأعادها وكذلكمنطقة أورتوبا، ثم تحرك شرقا، وعندما وصل تيمور بك وجنوده إلى ضواحي منطقة إسسيق كول تحرك قمر الدين بك بجنود لا قبل لها من مدينة كاشغر قاصدا تركستان الغربية ، والتقى قمر الدين بك مع تيمور بك في منطقة إسسيق كول فتصادمت الجيشان بحروب دامية وانهزم تيمور بك وجنوده فقل راجعا إلى بلده سمرقند، ولكن قمر الدين بك طارده حتى وصل إلى طاشكند واستعادها ومنطقة آراتوبا.

وفي عام ٧٧٢ هـ الموافق عام ١٣٧٠م جهز تيمور بك أحد أبنائه بجيوش كثيفة وأرسله عن طريق أوزكند إلى منطقة نارين ، ولكن أهالي نارين دافعوا عن منطقتهم دفاعا مستميتا وأجبروا ابن تيمور بك إلى الانسحاب فرجع إلى بلاده، وفي السنة التالية جهز تيمور بك كلا من الشيخ علي بهادر وسيف الملوك وهما من قواده العسكريين بجنود كبيرة وأرسلهم إلى غزو منطقة نارين للمرة الثانية، ووصل هؤلاء إلى نارين وأجروا في الأهالي قتلا عاما وأخذوا العوائل أسرى ونهبوا أموالهم غنيمة، وإن قمر الدين بك عندما بلغه

الخبر ترك عاصمته مدينة كاشغر وهرب عن طريق صحراء كوتو باتقاق إلى فرغانة، وفي عام ٧٧٤هـ وفي رواية عام ٧٧٥هـ أرسل تيمور بك قوة هائلة بقيادة كل من ساربوغا

وعادلشاه جلاير وخطاي بهادر وألجي بوغا القادة الأربعة لغزو تركستان الشرقية عن طريق مدينة أوزكند، وفي الطريق اختلف أوضاعهم حيث رغب كل من ساربوغا وعادلشاه جلاير عن سيادة تيمور بك وأخذا كلا من حطاي بهادر وألجي بوغ أسيرين لديهم وسلموا أنفسهم مع جنودهم إلى قمر الدين بك في مدينة كاشغر، وتعتبر هذه الأحداث أحداث صغيرة وقعت فيما بين عامي ٧٧١-٧٧٦ هـ الموافق عامي ١٣٦٩-١٣٧٤م.

وبعد هذه الواقعات والأحداث أخذ تيمور بك تجربة كاملة بأن هذه المناوشات الصغيرة لا تنفع بشيء ويجب عليه بأن يقوم بهجوم كاسح على قمر الدين بك ويعطي ختاما لعهده، ففي عام ٧٧٧ هـ الموافق عام ١٣٧٥م قامضض وابنه جهانكير ميرزا بقواهما جميعا قاما متجهين إلى تركستان الشرقية ، وفي منطقة إسسيق كول تقابل الجيشان فصارت حروب دامية طاحنة وتغلب تيمور بك على غريمه قمر الدين بك ثم أرسل ابنه جهانكير ميرزا إلى آلماليق ، وتقدم هو إلى منطقة آط باشي ، وأما جهانكير ميرزا فتغلب على كل من يتعرض له من المدافعين الوطنيين حتى وصل إلى مدينة آلماليق وآضرم النار في المدينة وأحرقها وهدمها، وبهذه الصورة طرد تيمور بك كل القاطنين في منطقة الوسط بين نهري سير دريا وإيلي إلى المدن الستة جنوب تركستان

الشرقية، وهدم كل القرى والمدن الواقعة في شمال البلاد واستولى على ثرواتها غنيمة له، ثم عاد إلى عاصمته سمرقند، وفي تلك الحروب الدامية أسر تيمور بك زوجة وابنة شمس الدين بك أخو قمر الدين بك الوالي دوغلات، وفي رواية لكتاب روضة الصفاء وكتاب تلفيق الأخبار: إن هذه الغزوة تعتبر هامس غزوة لتيمور بك على تركستان الشرقية، وإن تيمور بك بغزوته الأخيرة هذه اقتنع أنه أنهى كل قوات تركستان الشرقية التي كان أهالي تركستان الشرقية يعتمد عليها، ولكنه يعلم أخيرا خطأ هذه القناعة وذلك كالآتي:

في عام ٧٧٨ هـ الموافق عام ١٣٧٦م تجهز قمر الدين بك بقوة هائلة ومنظمة وذهب بها إلى منطقة نارين ثمنها إلى وادي فرغانة وقاتل هناك مع الابن الثاني لتيمور بك عمر شيخ ميرزا وتغلب عليه وهزمه بهزيمة نكراء، وسيطر على كل وادي فرغانة من أوزكند إلى خوجند، وساعده أهالي فرغانة وقدم له مساعدات كثيرة، والحال عذع استعد تيمور بك لقتال قمر الدين بك ودعا الشعب إلى الاشتراك في صفوف الجيش لخدمة الوطن، ومن تخلف عنها جزاؤه الإعدام، وبهذا الإعلان جند كل من له القدرة على حمل السلاح، فتحرك تيمور بك بهذه القوة إلى وادي فرغانة لقتال قمر الدين بك ، وبعد

حروب دامية انهزم قمر الدين بك ثم عاد إلى مدينة كاشغر عاصمة ملكه تاركا الفرغانة لتيمور بك، ولكن تيمور بك أمر بقتل كل من ساعد قمر الدين بك ونفذ هذا الأمر ونتج عنه ما يشبه القتل العام.

وفي عام ٧٧٩ هـ الموافق عام ١٣٧٧م تحرك قمر الدين خان من مدينة كاشغر بجيش كبير في اتجاه وادي فرغانة، لكن تيمور بك ترك على حدود فرغانة ابنه عمر شيخ ميرزا وقائده آق بوغار خطاي بهادر بجنود كثيرة ، وكانت قوات قمر الدين بك أقل من قوات تيمور بك في الحدود فتعذر لقمر الدين بك اجتيازها والتغلب عليها فعاد إلى مدينة كاشغر، وبعد هذه الواقعة اوقف قمرالدين بك غزو فرغانة وأخذ موقف الدفاع عن بلاده تركستان الشرقية حتى عام ٧٨١ هـ الموافق عام ١٣٧٩م، ولكن قوات تيمور بك تتعرض على حدود تركستان الشرقية من فينة لأخرى، ومن جهة قمر الدين بك كانت قواته تدافع بقوة واقتدار على طول الحدود بما فيها حدود جو دريا وجبال طلاس وسهول فرغانة شمالا وشرقا وجبال قاباق آرت ولم تعط مجالا ومنفذا لقوات تيمور بك.

وفيما بين عامي ٧٨١-٧٨٨ هـ الموافق عامي ١٣٧٩-١٣٨٦م لم تذكر المصادر التاريخية وقوع حرب بينهما إطلاقا ، كمالم تذكر حدوث مصالحة بينهما في تلك الفترة، وعلى كل حال كان قمر الدين بك يخاف من جبروت تيمور بك وقهرهإذا تعرض على تركستان الشرقية ، وحيال هذه الحالة كان يعرف قمرالدين بك حاجته لقوة ضاربة وعلى الدوام، وفي معالجة هذه الحالة يرى ضرورة وحدة جميع الحكام في منطقة تركستان الشرقية وتجميع قواقم العسكرية تحت قيادة واحدة وتحت علم موحد، وفضلا عن ذلك كان يبحث عن أصدقاء أقوياء من الخارج، وأما تيمور بك فقد اطمأن

في الوقت الحاضر عن هجمات قمرالدين بك والتفت نحو إيران والعراق وبدت له هذه المناطق كأكلة سائغة أمام الجوعان، فاتجه نحو تلك المناطق مؤجلا التعرض لتركستان الشرقية إلى أجل غير مسمى وانشغل فقط بالدفاع عن الحدود وسلامة وضعها.

الوحدة في تركستان الشرقية وخضر خواجه أوغلان ملكا عليها..

في عام ٧٧٦ هـ الموافق عام ١٣٧٢م كون خداواد خان اتحاد أمراء وادي إيلي ونصب الابن الصغير لتوغلوق تيمور خان خانا على هذا الاتحاد وأجلسه على عرش أبيه، كما عمروا مدينة آلماليق وأعادوها عاصمة كام كانت، فعين خضر خواجه أوغلان خان خداواد خان في منصب أمير المراء ، ثم بدأ خضر خواجه أوغلان خان في تقوية دولته رويدا رويدا حسب الحاجة، وحسن إدارته حيال أتباعه،

فقد عودهم على احترام مركزيته، وشيئا فشيئا ازداد قوته العسكرية عن قوة قمر الدين بك حتى عام ٧٨٠ هـ الموافق عام ١٣٧٨م.

كان قمر الدين بك لم يلتفت إلى خضر خواجه أوغلان خان ولم يعترف به، وكان مشغولا بمناوشات سجاله مع تيمور بك ويدافع عن بلاده بقوته الذاتية ولم يبق معاديا لخضر خواجه خان.

ولكن في عام ٧٨٢ هـ الموافق عام ١٣٨٠م وافق قمر الدين بك وقبل طاعةشش لضرورة اتحاد منطقة تركستان الشرقية وتوحيد قواتها العسكرية

حيال أطماع تيمور بك تجاه المنطقة، وكان خضر خواجه أوغلان خان يعرف مهارة قمرالدين بك الحربية وقوته العسكرية، لذا عينه قائدا عاما على جميع مناطق تركستان الشرقية، وبهذا بدأت تزداد قوة تركستان الشرقية تحت لواء آل جاغاتاي خان .

اتفاقية بين قمر الدين بك وتوختامش خان..

بعد أن فتح تيمور بك إيران والعراق صار يمتلك قوة هائلة وبمقدوره أن يفتح أي بلد من بلاد آسيا في زمانه، وعرفت البلدان السيوية بأن تيمور بك خطر على أمن وسلامة بلادهم، وهو أخطر وأقرب على تركستان الشرقية، واجتهد حكام تركستان الشرقية وسارعوا في تقوية جيوشهم وزيادة أفرادها، وبالتالي بدؤوا يسعون لعقد اتفاقية مع الدول العداء على تيمور بك، وفي عام ٧٨٧ هـ الموافق عام ١٣٨٥م اختلف ملك آلتون أوردو توختامش خان مع تيمور بك وانقطعت العلاقات بينهما، وعندما بلغ الخبر إلى قمرالدين بك أرسل مبعوثا إلى توختامش خان وقدم له طلب عقد اتفاقية بينهما، فقبل توختامش خان الطلب وتعاقدا اتفاقية بينهما تنص على أن يساعد أحدهما الآخر في حالة وقوع اعتداء من تيمور بك عليها، والخلاصة أن دولة خضر خواجه أوغلان خان ودولة آلتون أوردو وعلى رأسها توختامش خان شكلوا بهذه الاتفاقية جبهة قوية ذات قوة ضاربة ضد تيمور بك، غير أن هذه الجبهة إذا بقيت في مستوى الدفاع لكان أحسن وأنفع، ولكن الجبهة أخذت لنفسها

خيار الهجوم والاعتداء على ملك تيمور بك، وذلك باجتهاد وسعي توختامش خان وكان مغرورا ، ولذا خاب طالعه ولم تفد الاتفاقية في شيء، ذلك أن توختامش خان أرسل مبعوثا إلى تركستان الشرقية بتكليف خضر خواجه أوغلان خان للهجوم على تركستان الغربية بضربها من الشمال، وان تضرب قوات خضر خواجه أوغلان خان من الشرق في وقت وساعة واحدة ليسقط تيمور بك وتنهار دولته، واتفقوا على القول

بأنه بسقوط دولة تيمور بك تأمنكل الطراف المعنية بالاتفاق وتنجو من اكبر خطر دائم في المنطقة، فحددوا ساعة بدء الهجوم.

وفي عام ٧٨٩ هـ الموافق عام ١٣٨٧م أرسل توختامش خان وحدتين من الجنود الأولى مارا من غرب حوض آرال إلى منطقة خوارزم رأسا إلى بخارى، والثانية من شمال شرق بحيرة آرال وتلتقي مع جنود تركستان الشرقية في منطقة طاشكند وحواليها ثم تتجه إلى سمرقند، وأرسل خضر خواجه أوغلان خان أيضا وحدتين بقيادة قمرالدين بك إلى منطقة طلاس لتلتقي مع وحدة توختامش خان، والثانية بقيادة آنغاتور بك ابن أخ المرحوم حاجي بك تتحرك من مدينة كاشغر وتهاجم وادي فرغانة، وكان تيمور بك في ذلك الوقت في حرب بإيران مع مظفرشاه جلاير بك، وكان ابنه عمر شيخ ميرزا في مدينة أنديجان ومعه قوات كبيرة،وكان في سمرقند الأمير سليمان شاه حاكما عليها ومعه الأمير عباس وشيخ تيمور بك، وفي بخارى الأمير تاغاي بوغا والأمير آلتمش قوجين وكانت معهم قوات كبيرة.

احتل قمرالدين بك منطقة طلاس ثمتقدم إلى القرب من مدينة ساغناق واحتلها، ثم التقى بقوة توختامش خان أو التقى بها قب ذلك ثم احتل مدينة ساغناق، ثم توجه إلى منطقة ساوران (إسبيجاب) وحاصرها، وكانت في هذه المنطقة قوات كبيرة جدا بقيادة تيمور خواجه من قوات تيمور بك، ومن جهة ثانية سمع الخبر هذا عمر شيخ ميرزا وقائد حامية سمرقند وفي الحال توجهوا جميعا صوب طاشكند واجتمعوا فيها ، ثمتوجهوا إلى المناطق الشمالية، وعندما سمع الخبر قمرالدين بك وجنود توختامش خانتركوا ساوران محاصرة وذهبوا إلى الجنوب فتقابل الجيشان العدوان في الشمال الشرقي من مدينة أتراز (طراز) في موقع يسمى جولك، وصارت حرب شرسة من الصباح إلى الغروب ، وفي المساء انهزم شيخ عمر ميرزا هزيمة شديدة وتشتت جنوده فهرب إلى سمرقند، وفي الوقت نفسه هاجم أنغاتور بك وادي فرغانة واستولى على مدن عدة ، وحاصر أنديجان حاضرة فرغانة، والحال هذه كان عمر شيخ ميرزا في طريقه إلى سمرقند بجنوده وسمع خبر محاصرة أنديجان فأرسل بعض جنوده إلى سمرقند وأخذ أكثرهم معه وغير طريقه إلى وادي فرغانة، فتصادم مع أنغاتور بك وانهزممنه هزيمة منكرة وتفرقت جنوده فأخذ معه بعض الجنود وهرب إلى جبال منطقة أنديجان كما هو محاصر فيها، وبهذه الغلبة استولى أنغاتور بك على جميع وادي فرغانة، وأما قمرالدين بك بعد غلبته في حرب ساوران وموقع جولك فاستولى على كل من ساوران وجولك وأتراز

وطاشكند ثم توجه إلى بخارى والتقى فيها بوحدة توختامش خان الأولى وهجموا على بخارى وحاصروها، وكانت أسوار وحصون مدينة بخارى محكمة ومنيعة وكانت فيها قوات كبيرة، ولذا طات الحصار عليها ، وبالتالي نقصت مؤن عساكر آلتون أوردو وجنود آل جاغاتاي خان.

ولم يزل تيمور بك في الحرب بإيران مع مظفرشاه جلاير ، وعندما سمع خبر ما جرى في سهل فرغانة وطاشكند أجرى مصالحة مع غريمه مظفرشاه بعدم الاعتداء على بعضهم وتحرك مسرعا إلى تركستان الغربية، ووصل تيمور بك بجنوده إلى ضفاف سير دريا ، ومن جهة أخرى ومنذ أن سمع باقتراب تيمور بك إلى تركستان الغربية تحركجنود آلتون أردو وجنود آل جاغاتاي خان مسرعين إلى سمرقند لتأمين انفسهم مواقع استراتيجية وأغذية وأرزاق تكفيهم ، ولكن استحكامات مدينةسمرقند وقواهما العسكرية لمتكن وفق ما تخيلوا ، بل كانت متفوقة جدا، ولذا ولنفاد مؤنهم واقتراب تيمور بك بقواته المدهشة إلى ضفاف سير دريا تركت قوات توختامش خان تركستان الغربية ورجعت إلى منطقة خوارزم، وأما قمرالدين بك و أنغاتور بكفخافوا على انفسهم وجنودهم من الهلاك إذا التقوا مع تيمور بك وجنوده فانسحبوا بروية وانتظام إلى تركستان الشرقية.

الاختلاف في الرأي في تركستان الشرقية ووفاة قمرالدين بك...

وفي هذه الحرب الأخيرة علم أهالي تركستان الشرقية أن تيمور بك يملك قوة جبارة وبنتيجة الحرب هذه وبتأثيره عليهم قال أركان الدولة: إن الحروب والعداوة مع تيمور بك لا تفيد شيئا ، بل تجلب على تركستان الشرقية وبالا ونهاية، وإن الصداقة وإنشاء علاقات طيبة معه يمكن معه حماية دولتنا وأمتناوهذا أصلح لنا، ولكن قمر الدين بك المجرب والداهية في السياسة يرى عكس ذلك حيث يقول: إن قصد تيمور بك الاستيلاء فقط، وإن العلاقات الطيبة والصداقة لا تكون مانعا من الاستيلاء الذي هوهدف تيمور بك ، فلا ينفع في الأمر الصداقة والتملق، وبناء عليه يجب علينا المقاومة والحرب إذا اقتضى الأمر والتيقظ والاستعداد للدفاع، وبه نحمي ديارنا وأمتنا وسلامة شعوبنا، ولكن عامة الناس الذين ملوا الحروب والمقاومة تدنى فيهم الحماس لهذه الفكرة واستحكم فيهم الخلاف، فأخذوا جانب الصلح والصداقة وقل المتحمسون لفكرة قمرالدين بك الذي كان يرفض هذه الفكرة وبكل جدية وعدم الاقتناع ، وفي عام ٧٩٠هـ الموافق عام ١٣٨٨م توفي قمر الدين بك بداء الاستسقاءوقسم خضر خواجه أوغلان خان البلاد بين الحكام المحليين، فخوتان وياركند وكاشغر واوج كانت من نصيب أمير الأمراء خداواد خان ، واما منطقة إسسيق كول فمن نصيب الأمير جهانشاه بن قمر الدين بك، جاء في كتاب ستانلي بول: غن خضر خواجه أوغلان خان جلس على عرش البلاد عام ٧٩١هـ، وهذا مجرد تخمين لا أصل له من الصحة.

تعرض تيمور بك على تركستان الشرقية...

وبعد تلك الحروب والحوادث المؤلمة أعلن تيمور بك الحرب على آلتون أوردو ورئيسها توختامش خان وطرده من منطقة خوارزم فأمن نفسه من هجماته، وأخذ هذا المر سنتين كاملتين، ثم توجه إلى تركستان الشرقية لينتقم منها عام ٧٩١ هـ الموافق عام ١٣٨٨م وأخذ معه كل قواته العسكرية، وتحرك خضر خواجه أوغلان خان من آلماليق بجميع قواته والتقى الجمعان بالقرب من إسسيق كول ، وبعد حروب دامية تغلب تيمور بك على خضر خواجه أوغلان خان فجمع جنوده وعاد إلى آلماليقفطارده تيمور بك ولحق به بالقرب من آلماليق وصارت معركة حامية ، وفي النتيجة اهزم خضر خواجه أوغلان خان للمرة الثانية فترك آلماليق وهرب مع جنوده إلى مراعي يولدوز في الجنوب الشرقي من مدينة آلماليق، ودخل تيمور بك مدينة آلماليق وأضرم فيها النار وأحرقها ثم تركها قاعا صفصفا تذروه الرياح، ثم توجه تيمور بك إلى مراعي يلدوز وجرت معركة بينهما للمرة الثالثة وانهزم خضر خواجه أوغلان خان فاخذ من تبقى من جنوده واجتاز جبال خان تنغري ونزل في مدينة كوجار، ومكث تيمور بك في يولدوز أياما ثم تحرك عائدا إلى سمرقند، ولكن تيمور بك هدم وأحرق كل المدن والقرى التي كانت فيما بين آلماليق إلى هر سير دريا وشتت الهالي العزل والبرياء حتى وصل إلى سمرقند.

ثم أرسل تيمور بك ابنه عمر شيخ ميرزا بقسم من قواته العسكرية إلى ولاية كاشغر عن طريق قاراقول (تورغات الحالية) فقام كوبلوك بك والي كاشغر بمقاومة حادة ، غير انه انهزم فدخل عمر شيخ ميرزا مدينة كاشغر ثم أحرقها فعاد إلى أنديجان، وبهذا الاعتداء على تركستان الشرقية لصالح تيمور بك امتلك تيمور بك موقعا لا يمكن الحصول عليه إلا بحروب دامية عدة.

وكان تيمور بك يريد غزو تركستان الشرقية من بعد غزوة يولدوز ، ولكن بلغه خبر توختامش خان بأنه يجهز جيشا في منطقة خوارزم فرأى وجوده في عاصمته سمرقند وعاد إليها مسرعا، وسرعان ما شرع بقتال توختامش خان فور وصوله إلى سمرقند، ونتيجة لهذه الحروب لسنين عديدة تدنت قوة وصلابة تركستان الشرقية بحيث لا تقوى للتعرض على حدود دولة تيمور بك.

إجراءات خضر خواجه خان...

وإن خضر خواجه خان علم أو فكر في أن اتخاذه أي مدينة في شمال البلاد عاصمة لملكه بعد تلك الحروب الغير متكافئة تجعلها أمام خطر دائم على الدولة ، فاختار مدينة جاليش(قاراشهر) لكون موقعها في وسط البلاد موقعا فريدا خالما عاصمة لملكه ورتب تشكيلات الدولة كلها من جديد ونظم الدوائر الحكومية وجلس فيها، وكان موقع المدينة إستراتيجية من الناحية العسكرية، وجعل شئون المدن الستة وإدارتها في يد أمير الأمراء خداواد خان وعين أحد رجاله قائدا عاما للدفاع ، وفي منطقة إسسيق كول جنوبا وعلى

حدود فرغانة عين الأمير جهانشاه دوغلات بقوة كافية، وأما منطقة إسسيق كول وكوكجه دنغيز وبحيرة بالقاش ونهر جو ونهر إيلي في السهل الذي بينها عين أنغاتور بك مع فرقة عسكرية قوية لحماية الحدود والدفاع عن المنطقة.

ومن هذه القوة الدفاعية والحربية المرابطة على الساحة الممتدة من مدينة كاشغر إلى بحيرة بالقاش تخوف تيمور بك بك، ولا سيما أن هذه القوات بقيادة وتحت إمرة أنغاتور بك، وكان تيمور بك على حذر من هذه القوة بقيادة أنغاتور بك، لذا وبعد رجوعه من محاربة توختامش خان جهز تيمور بك قوة عسكرية قوامها عشرون ألف جندي بقيادة كل من الأمير سليمان شاه وخداواد حسيني وأرسلهم إلى الهجوم على قوات أنغاتور بك وعلى طول جبهاته، ولكن أنغاتور بك تجنب القتال وعاد من جبهة الحدود وانسحب إلى منطقة قاراتال الجنوب من بحيرة كوكجه دينيز (بحيرة بالقاش) فاتجهت قوات تيمور بك إلى جهة قاراتال، ولكنها عادت هي أيضا إلى مواقعها.

والحال هذه اقتنع تيمور بك بأن حكومة تركستان الشرقية ليست لديها قوة كافية لغزو تركستان الغربية وليست عندها نية بذلك وأن تركستان الشرقية راغبة في الصلح فقط، فانشغل تيمور بك بفتوحاته الغربية في آلتون أوردو والعراق والهند والشام وسهل أناضول، ولم يتعرض على تركستان الشرقية، ومضت اثنا عشر عاما بكل هدوء وطمأنينة، ولكننا لا نعرف هل كانت الدولتان عقدتا اتفاقية هدنة أو صلحا في تلك الفترة الماضية، ولكن

الذي نعرفه ان مبعوثين ترددوا بين الدولتين واحترموا بعضهم بعضا في المناسبات الرسمية وغير الرسمية.

وفي هذه الفترة لم يفتر خضر خواجه خان وأركان دولته ، بل انشغلوا في تعمير البلاد وبنائها وتطويرها وأصلاح ما دمرته الحروب وعلى يد تيمور بك وأعادوا تنظيم القوة العسكرية أقوى مما كانت عليه ، وكان الأويغور لم يقبلوا كلهم الدين الإسلامي حتى ذلك الوقت وكانوا يعتقدون في

الديانة البوذية، وكانت دولة الأويغور إديقوت قد استفادت من استشهاد إلياس خواجه خان وأعلنت استقلالها، فقام خضر خواجه خان بغزو دولة الأويغور إديقوت مرات عديدة حتى قتل إديقوت.

وفي عام ٨٠٠ هـ الموافق عام ١٣٩٧م أسلم الأويغور طوعا أو كرها، وأما أقاليم قمول وباركول التي كانت أويغورية حتى عام ٧٧٤ هـ الموافق عام ١٣٧٢م فأدخلت تحت سيادة الصين، فأرسل خضر خواجه خان جيشا للهجوم عليها وطارت الصينيين منها فهربوا منها إلى داخل الصين، وكان هذا الهجوم عام ٨٠٠ هـ الموافق عام ١٣٩٧م، وإن خضر خواجه خان عندما طرد الصينيين من هذه البلاد سماها منطقة طرفان، وكلمة طرفان تعني بلد البساتين في لهجة المغول،، وبنى المدينة هذه التي هي طرفان اليوم، وجعلها حاضرة تلك المدن التي تتبعها، ومنح خضر خواجه خان لهذه المدينة امتيازا خاصا حيث عين فيها أميرا من أمراء الأسرة الحاكمة حاكما عليها، وبهذا

صارت أمر تعيين أمير من أمراء الأسرة المالكة في طرفان عرفا خانا بها حتى استيلاء المغول عليها.

وفي عام ٧٩٩ هـ الموافق عام ١٣٩٧م أرسل تيمور بك مبعوثه غياث الدين تورخان على رأس بعثة ملكية لخضر خواجه خان تخطب يد ابنته تيكل خانم لحفيد تيمور بك اسكندر ميرزا بن عمر شيخ ميرزا فقبل خضر خواجه خان الخطبة، وبعد مراسم غاية فيلا الابهة والعظمة الملكية جهز ابنته تيكل خانم وأرسلها إلى سمرقند في حاشية ملكية فارهة، واستقبلها تيمور بك بنفسه بحفاوة بالغة وترحيب حار وأجرى في سمرقند مراسم الزواج ذي تكلفة باهظة وعقد القارن وزف العروسة إلى الأمير إسكندر ميرزا، أورد كتاب تاريخ رشيدي دوغلات وكتاب روضة الصفاء هذه التكاليف الباهظة بكل تفاصيلها.

وفي عام ٨٠٠ هـ الموافق عام ١٣٩٧م قام خضر خواجه خان بإرسال وفد إلى سمرقند لبلاط تيمور بك يعرض عليه عقد اتفاقية عدم الاعتداء بينهما، ولكن تيمور بك لم يعط جوابا كافيا بل سكت عنه، ومن يومها صار الطرفان ينتبه ويحافظ على حدود بلاده بجيدة كافية، فحدود تركستان الشرقية أحكمها القائد أنغاتور بك بجيوشه بينما أحكم الحدود في تركستان الغربية حفيد تيمور بك محمد ميرزا خان ابن ابنه جهانكير ميرزاخان.

وفاة تيمور بك...

حينما عاد تيمور بك من فتح منطقة الأناضول عام ٨٠٧ هـ الموافق عام ١٤٠٤م عاد إلى سمرقند واستراح فيها ثلاثة أشهر فقط ثم عاود الكرة، وفي هذه المرة إلى مناطق الشرق من العالم، وجهز جيشا قوامه مائتين ألف فارس ، وكان الوقت شتاء وتحرك بها نحو الشرق، وكان تيمور بك سريعا في كل حركاته، وفي الطريق جمد كثير من الرجال والحيوانات من البرد القارس، وبالرغمذلك كان يتقدم ويتقدم حتى اجتاح نهر سير دريا واجتاز منطقة متجمدة هناك ووصل إلى مدينة أتراز (طراز)، وفي الشرق من مدينة أتراز كان نزول الثلج كثيفا وغزيرا ، فلم يتمكن من عبورها واضطر للمكوث في أتراز حتى يأتي فصل الربيع، وكان لتيمور بك برنامج كالآتي:

أولا: يتحرك تيمور بك بمائتي جندي قاصدا الطريق الذي سلك فيه جنكيزخان المغولي وهو النهار السبعة وآلتاي فمنغوليا ، ثم يتحرك قاصدا الصين.

ثانيا: يتحركحفيده أولوغ بك في اتجاه تركستان الشرقية ويسيطر على كل من منطقة إسسيق كول وضواحيها ومنطقة إيلي وبش باليق وطرفان حتى حدود الصين غربا ، وهذه المناطق مناطق الشمال والشرق من تركستان الشرقية.

ثالثا : يتحرك حفيده الثاني إبراهيم ميرزا من سمرقند قاصدا المدن الستة وولاية جاليش

(قاراشهر) عاصمة خضر خواجه خان، وكانوا مأمورين بذلك من طرف تيمور بك.

وأما خضر خواجه خان فلا ندري مع الأسف ما هي التدابير التي اتخذها مقابل هذا البرنامج التيموري، ولكن إرادة الله العليا بدد كل خطط تيمور بك دفعة واحدة وذلك أن تيمور بك توفي في ١٧من شعبان عام ٨٠٧ هـ الموافق عام ١٤٠٥م في مدينة أترار،وبدأ بين أولاده الصراع الدامي والنزاع على العرش، فتفرقت تلك الجموع من أفراد جيش تيمور بك،وبهذا نجت تركستان الشرقية من الكابوس الأسود التي غيم على سمائها منذ خمسة وثلاثين عاما وتنفست الصعداء واستراح البلاد والعباد.

محمد خان ملكا على البلاد...

وفي عام ١٤١٨م توفي خضر خواجه خان وخلفه ابنه محمد خان ملكا على البلاد وجلس على عرش أبيه، ومحمد خان هذا سعى لتقوية الجيش بحيث أصبح جيشه يستطيع الدفاع عن البلاد من أي

عدو يعتدي عليها، وكان محمد خان كعبر جبال خان تنغري (تيانشان) ويصيف في أيام الصيف في مدينة آتباشي التي عمرها وطورها حتى اتخذها عاصمة ثانية له، وفي زمن محمد خان كان يحكم شاه رخ بن تيمور بك على تركستان الغربية وأفغانستان وقسما من بلاد إيران، وفي مقابل محمد خان أقام شاه رخ ابنه أولوغ ميرزا بك في مدينة أنديجان بقوة كافية ، ولم يكن محمد

خان على علاقة طيبة مع شاه رخ ميرزا، وكان محمد خان يريد توسعة رقعة بلاده بضم منطقة شرق سير دريا ومنها طاشكند وأتراز وطالاس وينتزعها من أولاد تيمور بك ويرصد الفرصة لذلك، وكان لا يتردد في تحريض أهاليها على الثورة والعصيان، وبتأثير هذا التحريض قام والي أتراز الأمير شيخ نورالدين في عام ٨١١ هـ الموافق عام ١٤٠٨م بعصيان شديد المراس، فقام محمد خان بإرسال أخيه شمع جهان خان بكثير من الجنود لمساعدة شيخ نورالدين بك، ولكن قبل وصول شمع جهان خان إلى أتراز أنهى شاه رخ هذا العصيان بصورة كاملة، وكان شمع جهان خان في أطراف منطقةطلاس فعاد بجنوده إلى تركستان الشرقية.

ولكن بسبب هذه الحركة العسكرية استولى محمد خان على منطقةطلاس بدون قتال فيها وضمها إلى تركستان الشرقية، ومحمد خان هذا دفع تركستان الشرقية إلى التقدم والمدنية في كل مرافق الحياة وبنى في المدن الستة كثيرا من الجوامع والمدارس الدينية، ومن ضمنها مدرسة يشل في مدينة قارغاليق لم تزل باقية حتى اليوم باسم الملك محمد خان، ثم توفي محمد خان عام ٨١٨ هـ الموافق عام ١٤١٥م.

شمع جهان خان ملكا على البلاد...

بعد وفاة محمد خان خلفه أخوه شمع جهان خان على عرش البلاد ملكا ، وكانت سياسة شمع جهان خان سياسة إصلاحية في جميع نواحي البلاد شرقا

وغربا والتركيز على مركزية الحكم، وبالتالي تقصير النفوذ الزائدة على أمراء البلاد والخانية الصغيرة فيها، ونتيجة لسعيه هذا نزل الأمير خداواد خان وصفته أمير الأمراء الذي كان له نفوذ قوي في البلاد ، نزل هو الآخر إلى رتبة والي كالولاة الآخرين، وكذلك أولاد المرحوم محمد خان الأمراء قبلوا طاعة عمهم شمع جهان خان.

وكانت هذه السياسة ثقيلة على الأمراء والولاة الذين تعودوا على النفوذ والامتيازات والاستبداد منذ زمن بعيد، وفي عام ٨٢١ هـ الموافق عام ١٤١٢م قام في البلاد عصيان على شمع جهان خان برآسة حفيد محمد خان أويس أوغلان (ابن شير علي أوغلان) والأمير خداواد خان وغيرهممن الأمراء

والولاة، وبنتيجة هذا العصيان استشهد شمع جهان خان، وكان شمع جهان خان عين ابنه الكبير نقش جهان خان ملكا على منطقة طرفان وضم إليها ولاية جاليش (قاراشهر)في حياته، ولكن لا نعلم تاريخ ولاية نقش جهان خان ولا تاريخ وفاته ، ويقول بارتولد: "إن نقش جهان خان كان من أكابر الملوك في بلاد تركستان الشرقية"، ولكنه في الحقيقة استطا ع بالكاد أن يحافظ على منطقة طرفان وقراشهر بعدوفاة شمع جهان خان وسك النقود باسمه وأعلن استقلاله في هذه المنطقة، وكان يصدر الفرمانات بصفة ملكية، فبناء على تلك الآثار كان اعتقاد بارتولد.

شير محمد خان ملكا على البلاد...

وبعدما لستشهد شمع جهان خان دخل ابنه شير محمد خان في مجادلات ومناوشات مع اويس أوغلان وحصت حرب بينهما دامت ثلاث سنوات وأخيرا تغلب شير محمد خان على أويس أوغلان وانهزم الأخير شر هزيمة ، وجلس شير محمد خان ملكا على البلاد وذلك عام ٨٢٣هـ ، وقد استغل أولوغ بك ميرزا من القلاقل في تركستان الشرقية وداهم الحدود القريبة منها واستولى على مدينة طلاس وضواحيها.

وعند جلوس شير محمد خان على عرش البلاد جهز جيشا بقيادة الأمير خداواد خان وصدر افسلام وأرسله إلى الحدود الشمالية،وإن خداوادخان تغلب على جنودأولوغ بك واستردبعض الأراضي المغتصبة،وفي عام ٨٢٤ هـ الموافق عام ١٤٢١م قام أولوغ بك بتجهيز جيش كبير واجتاز نهر سير دريا للهجوم على تركستان الشرقية،وكذلك شير محمد خان جهز جميع قواته العسكرية وتقدم نحو منطقة الحدود بينهما وعسكر قبال معسكر أولوغ بك استعدادا للقتال ، ولكن شير محمد خان أرسل مبعوثا إلى معسكر أولوغ بك يعرض عقد اتفاق بينهما فأجاب أولوغ بك بالإيجاب ودعا شير محمد خان لملاقاته وعقد الاتفاق بحضور العاهلين في حفل،فأجاب شير محمد خان وذهب برجاله إلى خيمة أولوغ بك فقام الأخير بالترحيب وحسن الوفادة وجلساناقشان بنود الاتفاق المزمع عقده،ولكن طال بهم الوقت وجاء المساء وتكلف شيرمحمدخان بالمبيت هناك، ولكنه خاف على نفسه من سوء النية

وباعذار واهية عاد ليلا إلى معسكره خفية،وفي صباح الغد أرسل أولوغ بك مبعوثه إلى خيمة شير محمد خان يطلب التفاهم في بنود الاتفاق الذي تحت البحث فأجاب شير محمد خان لهذا الطلب وحضر لخيمة أولوغ بك فعقدوا الاتفاقية وكتبوا بنودها ووقعوه، فعاد الزعيمان بجنودهما إلى بلادهماسالمين، وكان شير محمد خان مستعدا للقتال قبلا .

الحرب بين شير محمد خان وأولوغ بك...

عمل شير محمد خان وأولوغ بك بالمعاهدة لمدة أربع سنوات كاملة، ولكن بعد هذه المدة نقضت المعاهدة وألغيت ، وذلك بالسبب الذي نذكره كالآتي: إن ابن أحد قادة أولوغ بك واسمه علي تكريت تحول من أولوغ بك إلى جانب شير محمد خان وطلب حمايته، فأرسل ألوغ ميرزا مبعوثا إلى شير محمد خان يطلب إعادة الهارب إليه، ورفض شير محمد خان هذا الطلب وحبس مبعوث أولوغ بك أرسلان خان، وللمرة الثانية أرسل أولوغ بك مبعوثا آخر إلى شير محمد خان مكررا طلبه السابق قائلا: "وفي حالة عدم إجابة الطلب الحرب بيننا"، وبالرغم ذلك رد شير محمد خان المبعوث الثاني وقال في جوابه: "إني أرد الجواب في فصل الربيع " ، ومنذ سمع الجواب جهز جيشا عظيما أرسله إلى ضفاف نهر سير دريا وسمرقند وأنديجان ، وأما شير محمد خان فارسل جيشا كبيرا بقيادة كل من خضر خواجه خان والأمير جهانشاه وأمير الأمراء خداواد خان وصدر الإسلام وملك الإسلام ، وكانت هذه القوات

تتوارد الواحدة تلو الأخرى إلى حدود البلاد الشمالية الغربية ، وعندما علم أولوغ بك هذه الجوابات العملية تحرك من مدينة سمرقند إلى مدينة طاشكند، وحيال هذه التحركات أرسل أبوه شاه رخ تعليماته بعدم الاقتتال، ولكن أولوغ بك كان غاضبا فلم يلتفت إلى تعليمات إبيه ومضى في طريقه إلى طاشكند، وفي تاريخ ٢٧ من الربيع الأول عام ٨٢٨ هـ الموافق عام ١٤٢٥ م وصل أولوغ بك إلى طاشكند، وبالمقابل تحرك شير محمد خان من يلماليق ووصل إلى مدينة آتباشي في الجنوب الغربي من منطقة إسسيق كول ، وكانت بالقرب منها مراعي تسمى كش على إحدى روافد سير دريا وهذا الرافد تسمى سكري دريا، واتخذ كش معسكرا لجنوده، وأرسل جهانشاه إلى منطقة طلاس وإسسيق كول وأرسل صدر لإسلام وملك الإسلام إلى شمال طلاس وبالشرق منه منطقة أورتا كول، وبهذا أحكم كل الجهات التي يمكن لأولوغ بك الهجوم عليها ومنها، وتحرك أولوغ بك ميرزا من مدينة طاشكند بتعبئة حربية كاملة، وفي حدود منطقة طالاس وصل الأمير جهانشاه بجنوده وحصلت حرب دامية وشرسة، وخسر الطرفان الألوف من رجالهما، ثم قام الأمير جهانشاه ونشر قواته على الجبال التي في الجنوب من طلاس وعسكر فيها، وكانت هذه الحركة من جهانشاه خافية على أولوغ بك فقد ظن

أن الأمير انسحب لينضم إلى معسكر خضر خواجه خان والأمير خداواد خان، وبهذا الخيال أرسل أولوغ بك قسما من جنوده مقدما ثم تحرك بنفسه بجميع قواته، وأما الفرقة المتقدمة ففاجأ قوات خضر خواجه خان وهاجم

عليها بغتة وبعد حروب دامية أسرت قوات أولوغ بك خضر خواجه خان فأرسله أولوغ بك إلى سمرقند، وبعد ذلك جمع أولوغ بك كل قواته وتقدم عن طريق أريق سو وهي آقسو الآن إلى الشرق لقتال خداواد خان، وعند وصوله لمنطقة آلش التي تقع في الضفة الغربية من نهر جو، صادف جنوده كمينا حصدت أكثرهم ثم اختفت، واجتاز أولوغ بك المنطقة بخسائر كبيرة ووصل إلى منطقة قوش بولاق ، والمنطقة كانت قريبة من معسكر خداواد خان فاستطاع أولوغ بك من محاصرة قوات خداواد خان، فدافع خداواد خان وجنوده دفاعا شديدا لكنه اضطر إلى التسليم فاستسلم وأرسله أولوغ بك هو الآخر إلى سمرقند، وعندما تصادم أولوغ بك مع كل من خداواد خان وخضر خواجه خان كان صدر الإسلام وملك الإسلام في موقعهم بعد تحركهممن أورتا كول، فتقدموا عبر الشمال ووصلوا إلى ضفاف نهر جو واجتازوا من ، ثم وصلوا إلى نهر آق قياش وعسكروا على ضفافه، وفي تقديرنا تقع هذا الموقع في وسط بين كاستك وآلماآتا، ولكن أولوغ بك ما كان يعلم تقدمهم هذا ، بل كان يظن أنهم رجعوا إلى بلادهم هاربين ، أو أنهم لم يزالوا في أورتا كول فلم يهتم بهم، ولذا أراد أولوغ بك أن يداهم معسكر شير محمد خان بغتة وبشكل فجائي وتقدم مسرعا إلى الجنوب ، ولكن صدر الإسلام وملك الإسلام كانا عالمين بتحركات أولوغ بك فتقدما مسرعين إلى الجنوب من طرف الشرق لنهر جو واجتازوا إسسيق كول من من على ضفافها وزحفوا جنوبا حتى وصلوا لمعسكر شير محمد خان وانضموا إليه،

وكأنهمتقدموا جنوبا وسبقوا أولوغ بك مارين من أمامه، وبهذا الانضمام زادت قوات شير محمد خان إلى ثلاث أضعافها، وبعد هذه التحركات العسكرية الخاطفة والماهرة مع بقي أولوغ بك في حيرة بالغة ودهشة متناية بعد ما علم بما جرى ، فأرسل أياد خفية لاستجلاء الموقف، ولكن الأيادي خابت وخسرت حيث أفادوا بأنهم لم يلتقوا أحدا من الأعداء ، وكان شير محمد خان قد نبه الجيش بعدم ظهورهم للعيان ليلا ونهارا، وفي النهاية طوق شير محمد خان وجيشه على شكل نصف دائرة معسكر أولوغ بك ، وسرعان ما طوقه كاملا وبقي أولوغ بك وجنوده محاصرين لمدة يوم وليلة حتى اضطر للقتال بنفسه وخسر كثيرا من رجاله، وبدأ في أولوغ بك اليأس ، ولكن انفرجت الأزمة بخروجه من الحصار ، وفي هذا الوقت جاء خبر وصول جهانشاه بجنوده من خلف أولوغ بك فاندهش وقال أين المفر؟ حيث إن وجود جهانشاه في طريق عودة أولوغ بك جلب عليه

حرجا كبيرا فطفق يلتمس الهرب وقسم جنوده إلى ثلاثة أقسام وأرسل الفرق الثلاث إلى مدينةطاشكند وكل فرقة في طريق آخر ، وبكل حيطة وحذر عاد أولوغ بك إلى بلاده في ظروف قاهرة ، وفي طريق العودة قابل الأمير جهانشاه إحدى فرق أولوغ بك وصد الطريق عليها وسحقهم عن بكرة أبيهم، وكانت هذه الفرقة أخذت الطريق الشمالي إلى طاشكند، ونجا من هذه المذبحة اثنان من قواد أولوغ بك وهما محمد بالاس وإسكندر بك حيث هربا إلى جهة أولوغ بك.

وبالخلاصة إن أولوغ بك خسر في هذه المعارك أكثر أفراد قواته العسكرية في هزيمة ساحقة، ووصل إلى سمرقند في العاشر من شعبان عام ٨٦٨ هـ الموافق عام ١٤٢٥م .

وقد ذكرنا في السابق أن شاه رخ والد أولوغ بك لم يكن راضيا من هذه الحركات منذ الوهلة الأولى ونصح ابنه بذلك ومنعه من الحرب ، والآن نذكر أنه بنتيجة الحرب وبسبب الهزيمة غضب شاه رخ على ابنه أولوغ بك غضبا شديدا وتحرك من عاصمته هرات قاصدا سمرقند لتأديب ابنه، ولكن عند وصوله سمرقند قام آل كورجان كلهم بالشفاعة على أولوغ بك من والده فعفا عنه، واعاد كلا من خداواد خان و خضر خواجه خان إلى تركستان الشرقية بكل إعزاز واحترام، فحضر خضر خواجه خان إلى بلاده وأما خداواد خان لكبر سنه أراد أن يحج وبعد أداء الفريضة توفي بمكة المكرمة ودفن فيها وعمر خمسةوسبعين عاما.

وفاة شير محمد خان وجلوس أويس خان على عرش البلاد...

بعد غلبة شير محمد خان على خصمه أولوغ بك في الحروب التي وقعت بينهما لا نعلم شيئا عن نشاطه في هذه الفترة ، وشير محمد خان توفي عام ٨٢٨ هـ الموافق عام ١٤٢٥م وخلفه عدوه أويس خان وكانت فترة حكمه عشر سنوات كاملة، ولكن لا نملك معلومات بنشاطه في فترةحكمه ، غير انه كانت له علاقات ودية مع آل كورجان (أولاد تيمور بك)، ومن جهة

ثانية نعلم أن أويس خان زوج إحدى بناته من الأمير عبدالعزيز ميرزا بن أولوغ بك وصارت بينهما قرابةومصاهرة.

وفي عام ٨٣١ هـ الموافق عام ١٤٢٧م حدثت انقلابات في عهد أويس خان ولا نعلم على يد من؟ وهذه الانقلابات كانت شرسة للغاية دامت ثمانية سنوات ،وفي عام ٨٣٨ هـ الموافق عام ١٤٣٤م استشهد أويس خان ولكن لا نعلم على يد من استشهد هذا الرجل؟ غير أن من كتاب تاريخ رشيدي دوغلات وكتاب بابرنامة يفهم أن أويس خان استشهد على يد ابنه يونس خان.

إيسن بوغا خان الثالث ملكا على البلاد...

بدأ الابنان لأويس بوغا خان وهما إيسن بوغا خان ويونس خان الصراع على العرش ، وبعد حروب دامية جرت بينهما أخذ الأهالي وجمع من الأمراء طرف إيسن بوغا خان دون يونس خان فبقي الأخير وحده وأخذ كل خلصائه بالإضافة إلى تومن بك منطقة نارين ابرزن بك وتومن بك منطقة طالاس ميرك تركمن على رأس المجموعة وأخذ معه ثلاثة آلاف أسرة وهرب إلى تركستان الغربية إلى حماية أولوغ بك وطلب مساعدته ضد أخيه إيسن بوغا خان، ولكن أولوغ بك جرده هو وعائلته عن المجموعة وطرده إلى جهة العراق، وفرق رجاله إلى شتى بقاع البلادوأوقعوهم في ذل ومهانة ، وبعد هذه الواقعة علم إيسن بوغا خان أنه تخلص من عدوه وأعلن نفسه خانا على البلاد، وهو ثالث رجل يحمل هذا الاسم من آل جاغاتاي خان ويجلس على العرش.

فبدأ إيسن بوغا خان يعمر البلاد التي تهدمت من جراء الحروب والانقلابات وأوجد علاقات طيبة مع آل كورجان وزاد عدد قواته العسكرية ، وكان هناك في زمانه قبائل قالموق تركية الأصل ، وكانت تحت يدهم مناطق آلتاي وإيميل وزارغالانتو (قويدو) وزيغالانتو(أولاستاي) قد حصلت على قوة عسكرية وحصلت على استقلالها ، وفي ذات الوقت بدؤوا يهددون كلا من إيلي ويته سووباركول ويتعرضون عليها، فأعلن إيسن بوغا خان الحرب عليهم وتغلب عليهم وأرغمهم على دفع إتاوات له وأدخلهم في طاعته.

وكذلك كانت هناك قبائل أوزبك في زمانه جعلت تحت يدها كلا من بحيرة آرال ووسطنهر توبول وآرتش مناطق واسعة وأسسوادولةخاصة لهم، تغلب عليهم إيسن بوغا خان وصد هجومهم المحتمل على تركستان الشرقية ، ثمحارب مع خان أوزبك أبو الخير خان كما حاربه قبائل قازاق ، ولكن القازاق انهزموا وتغلب عليهم أبو الخير خان أوزبك فانسحب القازاق وزعماؤهم جاني جان بك وأحمد جان بك إلى الشرق فأخذهم إيسن بوغا خان تحت حمايته وأقطع لهم أرضا من آخر روافد سير دريا ، ولكن كان هناك أمراء مغول خاضعين لسلطانه منح لهم حرية واسعة وبسبب ذلك لحق الناس ظلم عظيم.

إيسن بوغا خان يستولى على منطقة فرغانة..

بعد وفاة شاه رخ ميرزا بدات الصراع الداخلي بين آل كورجان الأمراء فاستفاد إيسن بوغا خان من هذه الخلافات الداخلية واستولى على بعض المناطق القريبة من الحدود وبدون قتال، وفي عام ٨٥٢ هـ الموافق عام ١٤٤٩م حدثت وقائع مؤلمة ودامية بين أولوغ بك وبين ابنه عبداللطيف ميرزا، هذه الأحداث المفجعة مشهورة في كتب التاريخ ، فقام إيسن بوغا خان بالاستيلاء على فرغانة ، وبعد فترة وجيزة من الهجوم عليها استولى مدينةخوجند بعد استيلائه على أوزكند ثم وادي الفرغانة كلها، ولكن أهاليها كانوا متعودين على العدل والإنصاف في زمن أولوغ بك ، غير أن قواد إيسن بوغا خان ظلمواهم وتجبروا عليهم وبدأ الناس يثيرون الشغب والثورات وبالخاص أهالي أنديجان حاربوا إيسن بوغا خان زمنا طويلا، وبهذا السبب اعتقل إيسن بوغا خان كثيرا من اهالي أنديجان وسحبهم إلى تركستان الشرقية،وكانت الظروف مهيئة لسيطرة إيسن بوغا خان على تركستان الغربية كلها في وقت محدد ، غير ان الأهالي أشغلوا إيسن بوغا خان بثوراتهم وانقلاباتهم، وانشغل إيسن بوغا خان نفسه بإخماد ثورة أهل فرغانة وسعى في ذلك سعيا حثيثا، وفي هذه المدة قضى أبو سعيد ميرزا من آل كورجان على أعدائه وأنهى الاضطرابات الداخلية وسيطر على الحكم بنجاح، وسمى نفسه سلطانا مخالفا بذلك تقاليد آل كورجان.

قام السلطان أبو سعيد ميرزا عام ٨٥٥ هـ الموافق عام ١٤٥١م للقضاء على حكومة إيسن بوغا خان في منطقة فرغانة واعلن الحرب عليه، وفي معركة وقعت في قصبة أشفرة بالقرب من ولاية مرغينان وبمساعدة الهالي تغلب السلطان أبو سعيد ميرزا على قوات إيسن بوغا خان ، وفي عام ٨٥٦ هـ الموافق عام ١٤٥٣م وقعت معركة في مدينة انديجان تغلب السلطان أبو سعيد ميرزا فيها على إيسن بوغا خان فترك الأخير منطقة فرغانة وانسحب إلى تركستان الشرقية ، وفي عام ٨٦٦ هـ الموافق عام ١٤٦١م عين إيسن بوغا خان ابنه دوست محمد خان واليا على ولاية طرفان، واستولى على ولايتي آقسو وكوجار وانتزعهما محمد حيدر دوغلات وجعلهما في يد ابنه دوست محمد خان، وجعل محمد حيدر ميرزا تحت إمرة دوست محمد خان، وبالخلاصة صار دوست محمد خان واليا عاما على كل من ولاية طرفان والمدن الستة وبش باليق.

يونس خان ملكا على البلاد...

كان السلطان أبو سعيد ميرزا دائم الحذر من مهاجمة إيسن بوغا خان على تركستان الغربية وفي نظره كان علاج هذه المشكلة تكمن في إثارة عصيان في تركستان الشرقية أو انقلاب داخلي، وكان يسعى لذلك، وبإثارته قام أمثال حاجي بك ومعه عدد من الأمراء والقواد العسكريين ، ولكن هذه الانقلابات كانت بسيطة لقوات إيسن بوغا خان وقد أخمدها في حينه، ولم يستطع هذه الانقلابات في إضعاف قوته، وأخيرا في عام ٨٦٦ هـ وجد السلطان أبو

سعيد ميرزا مخرجا لآماله وأمانيه وهووجود يونس خان أخو إيسن بوغا خان في جهة العراق منذ عشرين عاما منفيا من عنده ومن عند اخيه قبلا ، فبحث عنه في إيران ووجده فاستقدمه إلى سمرقند واحترمه كثيرا وقال له: " إن بين آل جاغاتاي خان وآل كورجان عداوة منذ زمن بعيد وهذه العداوة تسسبت في حروب دامية، ونحن الآن نفكر في إزالة هذه الجفوة بين الطرفين ونريد أن نعترف بكونكم خانا على آل جاغاتاي ونوجد بيننا وبينكم صداقة حميمة، ونحن مستعدون لمساعدتكم في إعادتكم عرش آبائكم، فاستجاب يونس خان لهذا العرض السخي وفرح كثيرا وأقسم بالله على هذه الصداقة والود بينهما وشكره، ثم جهز أبو سعيد ميرزا جيشا قوامه الآلاف من الفرسان ودفع عبر طريق أوزكند إلى تركستان الشرقية ، وفي ذات الوقت كان هناك في الحدودحاجي بك والد زوجة يونس خان وزميل حاجي بك من الأمراء العاصين على إيسن بوغا خان ينتظرون وصول يونس خان فأقاموا له مراسم ذات هيبة وأجلسوه على لباد أبيض وبايعوه ملكا على تركستان الشرقية وأعلنوا ذلك على الملأ.

ومنذ ذلك اليوم بدأت حروب دامية بين الخوين إيسن بوغا خان وبين خصمه وأخيه يونس خان، فهرب الأخير إلى تركستان الغربية وبالذات إلى سمرقند، فجهز أبو سعيد ميرزا جيشا كبيرا وأرسله إلى تركستان الشرقية فتحارب الأخوان سنين عديدة، وفي عام ٨٧٠ هـ الموافق عام ١٤٧٥م تغلب يونس خان على إيسن بوغا خان بصورة كاملة حيث استولى على

المناطق الشمالية من جبال خان تنغري واستولى على العاصمة آلماليق، وليست لدينا المعلومات عن مصير إيسن بوغا خان منذ ذلك التاريخ، وأما دوست محمد خان وملك دوغلات القديم محمد حيدر ميرزا الذين يسيطرون على كل من كوجار وأوج فأعلنوا طاعتهم ليونس خان ، وبهذا وقعت منطقة تركستان الشرقية تماما في يد يونس خان

فتقلد يونس خان حسب تقاليد زمانه صفة السلطان مثل آل كورجان ، وأما صلته وصداقته مع السلطان أبو سعيدميرزا فكانت ممتازة سب الاتفاق الذي كان بينهما بل أشدحباوصداقة ومودة مما كان.

وفي عام ٨٧٢ هـ الموافق عام ١٤٧٢م استولى أبو بكر ميرزا دوغلات على ولايتي خوتان وياركند واعلن استقلاله، ثم صارت بين السلطان أبو سعيد ميرزا ويونس بك علاقةمصاهرة حيث زوج السلطان يونس خان ثلاثة من بناته الأميرات من ثلاث أبناء أبو سعيد ميرزا وهن كما يلي:

الأميرة مهرنجار خانم من الأمير أحمد ميرزا ، والأميرة قوتلوق نجار خانم من الأمير عمر شيخ ميرزا، والأميرة سلطان نجار خانم من المير محمود ميرزا ، وجرت مراسيم الزواج هذه بكل أبهة وعظمة ملكية وبكل بذخ ، وبهذه المصاهرة قويت العلاقة بين الأسرتين أكثر مما كان.

وفي عام ٨٨٧ هـ الموافق عام ١٤٨٧م توفي الأمير دوست محمد خان وخلفه أخوه كجك سلطان واليا عاما على كل من ولايتي طرفان وأوج وكوجار.

ثم توفي السلطان أبو سعيد ميرزا وانقسكت مملكته إلى ثلاثة أقسام فتولى ابنه الكبير أحمد ميرزا سمرقند وبخارى وعمر شيخ ميرزا منطقة فرغانة ومحمود ميرزا طخارستان وبلخ وأعلنوا استقلالهم في مناطقهم ، وكما لم يكونوا متفقين مع بعضهم لم تدم صداقتهممع صهرهم يونس خان كما كانت في عهد أبيهم ولم يراعوها ، واستنادا على هذه الحالة ولكل الاحتمالات أخذ يونس خان جيشا كافيا ورابط حول بحيرة إسسيق كول استعدادا للرد ، وكان كجك سلطان مشغولا في دفاع البلاد ضد طغيان قواتى قالموق البوذيين في الشمال ، وكانت ولاية كاشغر في يد محمد حيدر دوغلات ، وكانت ولايتا ياركند وخوتان تحت إدارة أبي بكر ميرزا مستقلا بذاته.

محاربات يونس خان...

وفي عام ٨٧٨ هـ الموافق عام ١٤٧٨م تعرض عمر شيخ ميرزا على منطقةنارين في تركستان الشرقية ، وكان عمر شيخ ميرزا حاكما على منطقة فرغانة، فتحرك السلطان يونس خان بجيش كبير إلى منطقة نارين في حدود فرغانة وصارت معركة حامية على ضفاف نهر تكه سكرير تغلب السلطان يونس خان على عمر شيخ ميرزا وأسره وتفرقت جنوده فنصح يونس خان على صهره عمر شيخ ميرزا وعقد اتفاقية صلح وعدم الاعتداء على البعض وودعه إلى فرغانة سالما، ثم عاد يونس خان إلى آلماليق ، وبعد هذه الواقعة

تحسنت علاقات يونس خان مع عمر شيخ ميرزا يوما بعد يوم حيث اطمأن يونس خان على الحدود الغربية لبلاده واهتم بالفتوحات في جهات أخرى.

وفي عام ٨٧٩ هـ الموافق عام ١٤٧٤م تحرك السلطان يونس خان بثلاثين ألف جندي من عاصمته آلماليق إلى أوج (آقسو الحالية) وأتى إلى أوج حاكم مدينة كاشغر محمد حيدر ميرزا وسلم على السلطان يونس خان واستأذنه في التقدم إلى أبي بكر ميرزا وطلب مساعدته، فتقدم يونس خان إلى ولاية كاشغر وأخذ معه محمد حيدر ميرزا دوغلات ومعه عشرون ألف مقاتل ، فأصبحت جيوش السلطان يونس خان خمسون ألف مقاتل في مقابل اثنتا عشر ألف مقاتل الذي في يد أبي بكر ميرزا ، غير أن قوات أبي بكر ميرزا كانت ذو مهارة فائقة على أساليب الحروب وأصول القتال وكانوا مجهزين بأسلحة جديدة وجيدة ، بينما كان معظم قوات يونس خان خليطا من المغول والقرغيز الذين تعودوا على السلب والنهب والسرقة، وفوق ذلك كان أبو بكر ميرزا قد أعد القواعد والاستحكامات الدفاعية المنيعة بالقرب من مدينة ياركند تبعد عنها بثمانية عشر ميلا في الغرب منها منطقة كوك رباط ، ومنذ وصول السلطان يونس خان إلى كوك رباط بدأت المناوشات بشراسة وانهزم السلطان يونس خان وتفرقت جنوده ، فقرر العودة إلى كاشغر مضطرا ،وفي كاشغر لم يستطع من تجميع قواته فذهب إلى أوج ، فعاد محمد حيدر دوغلات إلى كاشغر وهدمها وهرب مع جميع قواته إلى أوجولحق سيده السلطان يونس خان هناك وبقيت ولاية كاشغر في يد ابي بكر ميرزا.

وأما الكلام عن أبي بكر ميرزا فتأتي في باب (تاريخ دوغلات) من هذا الكتاب، وبعد هذا إلى وفاته لم يجد السلطان يونس خان فرصة للقتال مع أبي بكر ميرزا حيث إن خانية أوزبك وخانية قازاق قد تقوت يوما بعد يوم، وداهم القازاق السهول الممتدة من ضفاف نهري سير دريا وجو دريا، وبالخلاصة: إن الشمال من منطقة تركستان الشرقية وعلى امتداد حدودها الممتدة كانت مستوطنة لهم ومزدحمة من تلكم القبائل، فلذا كان السلطان يونس خان مشغولا بحدود البلاد الشمالية والشمالية الغربية وهي بانتسكي الآن ، وكانوا خطرا جسيما على تركستان الشرقية ، وكان اكثر قوات السلطان يونس خان معه في شمال البلاد وكان مضطرا لذلك.

وقد استولى قبائل القازاق على ولايتي آلتاي وإيميل ، وكانوا يتعرضون على منطقة إيلي ويته سووبش باليق وباركول ، ولذا قام السلطان يونس خان بأمر كجك بك حاكم ولاية طرفان وضمه أكثر عدد من جنوده وأمره بأن يهاجم على قبائل القالموق، وفي عام ٨٨٥ هـ الموافق عام ١٤٩٠م طرد كجك بك جميع الفلول المتبقية من قبائل القالموق وطهر البلاد منهم.

السلطان يونس خان يتخذ طاشكند عاصمة له...

ومنذ أن تحسنت علاقة يونس خان مع صهره عمر شيخ ميرزا تردد الطرفان لزيارة بعضهم بعضا، وكان بين عمر شيخ ميرزا وأخيه السلطان أحمد نزاع في منطقة طاشكند وولاية شاه رخية التي تقع في الضفة الشماليةمن نهر

سير دريا، والشاه رخية هي فناكت يقابلها جنوبا مدينة خوجند ، وكانت شاه رخية مدينة كبيرة تقع بين طاشكند ومدينة خوجند ، وعلى كل حال كانت هاتان المدينتان في يد عمر شيخ ميرزا ، والشاه رخية لم تبق لها الأثر هذه الأيام.

وفي عام ٨٨٨ هـ الموافق عام ١٤٨٤م ولد لعمر شيخ ميرزا من زوجته قوتلوق نحار خانم بنت السلطان يونس خان فدعا صهره لوليمة تقام لهذه المناسبة السعيدة فقدمالسلطان يونس خان بكل حواشيه وخدمه إلى منطقة فرغانة وبمراسيم ذات أبهة ملكية أقيمت الحفلة الكريمة، فسمى السلطان يونس خان المولود بابر ثم سماه مرشد الصوفية في زمانه خواجه عبيدالله أحرار سماه ظهورالدين محمد ، وهذا المولود ظهورالدين محمد بابر هوفاتح الهند الشهير ظهير الدين محمد بابر شاه، وبهذه المناسبة أهدى عمر شيخ ميرزا صهره يونس خان مدينة طاشكند موضوع النزاع ومدينة شاه رخية ، فقبل السلطان يونس خان هذه الهدية من صهره وتسلم هاتين المنطقتين وجعل طاشكند عاصمة له وسكن فيها.

وفي عام ٨٩٠ هـ الموافق عام ١٤٨٥م توفي كجك سلطان وكان واليا عاما على كل مدن طرفان وبش باليق وجاليش وكوجار وأوج، ثم عين السلطان يونس خان ابنه الثاني أحمد خان واليا عاما على تلكم المدن والولايات، وكان أحمد خان دخل في حروب عدة مع قبائل قالماوق وتغلب عليهم بصورة قاطعة وأرغمهم للدخول في طاعته وعلى أن يدفعوا غتاوات

كبيرة سنوية، ولكون أحمد هان عدوا لدودا لهم سموه آلاجي خان تعني الملك الطويل ، وكان رجلا طويل القامة، وكان أحمد خان من جهته يحب هذا اللقب حيث اشتهر به بين عامة الناس ، وبعد مرور الوقت قال الناس آلاجه خان تحريفا.

مساهمتان من يونس خان للمدنية...

في ذلك الوقت كانت دولا وحكومات وقبائل يقاتل بعضهم بعضا ويأسرون الأسرى ويبيعونهم في الأسواق ، وكانوا يجوبون بهم العالم ويبيعونهم عبيدا ومملوكين فمنع السلطان يونس خان من بيع وشراء الإنسان كعبد، وبعث إلى آل كورجان من حكام إيران وأفغانستان وتركستان الغربية بلاغا [...]ا مصدقا من المرشد الديني الشيخ خواجه عبيدالله أحرار يحثهم لعتق [...]ين العبيد في بلدانهم ، ونتيجة لهذا الأمر والبلاغ الديني تحرر الآلاف من [...]س المسلمة من قيد العبودية والظلم.

والأمر الثاني : إن مناطق وادي إيلي ويته سو ونهر جو وولاية طلاس وعلى ضفاف إسسيق كول وغيرها كثير كانت مليئة بالعمران والتمدن وبها أكثر من مدينة وقرية قد دمرت عن ىىخرها من جراء مداهمة جنكيزخان وأولاده، وكان هذه المناطق والبلدان سوق جيش له وطريق حرب ساخنة ودموية، وبالتلي تعرضت هذه المناطق للحروب والدمار في عهد تيمور بك وأولاده فكانت اتون حرب ونار ودمار وهدم وتخريب ولم يبق أثرا من تلكم

المدن والقرى المزدحمة بالناس سابقا، وحكام جاغاتاي كذلك في حروبهم وقتال بعضهم البعض ، فتعود الناس على الغارات والسلب والنهب وعاشوا عيشة الرحل والبداوة والشقاوة، فسعى السلطان يونس خان سعيا حثيثا في جلبهم إلى المدينة والتمدن وذلك بجمعهم في المدن وتعميرها وإنشاء القرى والبلديات ، ولكن خاب ظنه في سعيه هذا وأخفق.

ولأجل تعمير البلاد فكر في ترحيلهم إلى مدن مزدهرة ومتمدنة فجمع الآف الأسر منهم ورحلهم قسرا إلى طاشكند، وإذا ما تعودوا على المدينة أعادهم إلى بلدانهم ، ورويدا رويدا ألف الناس وسكنوا في المدن القديمة وعمروها ، وسكن بعضهم مدينة طاشكند ولو أن بعضهم هربوا إلا أن الكثرة الكاثرة بقوا في المدن وعلى يدهم عمرت المدن القديمة وعاد مجدهم السالف ، ومن هذه المدن المعمرة آلماآتا وتوقماق وقاراقول.

محمود خان ملكا على البلاد...

في عام ٨٩٢ هـ الموافق عام ١٤٨٧م توفي السلطان يونس خان وخلفه ابنه الكبر محمود خان وجلس على عرش أبيه، وكان الابن هذا وليا لعهده ، وفي زمن جلوس محمود خان على عرش البلاد كان الوقت مناسبا لرجل محنك ماهر ان يؤسس في كل من تركستان الشرقية و تركستان الغربية إمبراطورية تركية كبيرة ، وكان الظروف ملائما لتوسيع رقعة بلاده شرقا وغربا، وذلك باستثناء ولايتي خوتان وياركند التي يحكمها السلطان أبو

بكر ميرزا كان الناس في دعة ورفاهية وأمن، ولو أن أبا بكر ميرزا كان مخالفا في وسط المنطقة إلا أنه كان بالإمكان تجنيد أكبر عدد من شباب تركستان الشرقية، وكان آل كورجان من الأمراء في جميع مناطق تركستان الغربية يعيشون كحكام مستقلين في مناطقهم بل كل واحد في مدينة ، بل كانوا يعيشون عيشة الانحطاط والاضمحلال، وأما السلطان محمود خان

فكان لائقا للاستفادة من هذه الفرصة الأكيدة، كتب ظهير الدين بابرشاه يقول: "إن أبي يعني السلطان محمود خان لم يكن رجلا عسكريا، بل كان مجردا من السلوك العسكرية" (يقول أبي احتراما حيث إن أباه السلطان عمر شيخ ميرزا كما سبق)، وكتب مؤلف تاريخ رشيدي حيدر ميرزا دوغلات في تاريخه: "كان السلطان محمود خان أميرا غير لائق للسيادة والملك وإن ملك السلطة والجاه جاهزة في طبق من ذهب، ولم يعرف قدرها، وأن السلطان محمود خان ترك الشخصيات المعتمدة عند أبيه وبدلهم بأصدقائه الشباب ، وبسوء إدارتهم بعد عن السلطان محمود خان أصحاب القرار والكلمة النافذة وذهبوا إلى طرق شتى، ولميول السلطان محمود خان للهو واللعب وعدم تدبيره للأمور وقعت حوادث مفجعة ، وكثير هذه الواقعات الأليمة، ومن هذه الأحداث سقوط سلطنته وانهيار دولته وموته أو استشهاده على يد أعدائه بسبب سوء تدبيره.

وإن حفيد أبي الخير خان حاكم أوزبكستان محمد شيباني خان ويقال له شاهي بك ويقال شاه بخت بك أيضا صار مغلوبا أو غير مطلوب في بلده

وغير مرغوب، فهرب إلى والي بخارى المعين من قبل السلطان أحمد ميرزا خان عبدالعلي خان ترخان وانقاد إلى خدمته ، ثم بعد حين جمع حوله بعض الأوزبك ورفع عصا العصيان على عبدالعلي ترخان خان والي بخارى ، ولكنه انهزم منه فهرب إلى السلطان محمود خان في تركستان الشرقية ، ولكون محمد شيباني خان من الأسرة الجنكيزية قبل السلطان محمود خان لجوءه إليه وأدخله في صحبته، وكان شيباني خان ناطقا فذا يتكلم في السياسة والإدارة والشؤون العسكرية، وفي أثناء الكلام قال شيباني خان للسلطان محمود خان: " إن حكام ىئل كورجان في تدهور مخيف حيث يعيشون حياة الانحلال والانحطاط ، لو تفل لي مولانا السلطان ومنح لي بعض الجنود وفرمانا بذلك لهجمت على بلادهم واستوليت على أكثر المدن فتتوسع بذلك ملك مولانا السلطان" فقبل السلطان محمود هذا الكلام فورا.

ففي عام ٨٩٣ هـ الموافق عام ١٤٨٨م جهز السلطان محمود خان جيشا لا بأس به وأمده بالمال واللوازمات الأخرى وأرسله إلى منطقة الشرق الشمال من مدينة طاشكند وهي كلا من أتراز وساوران وتركستان لغزوها حسب طاقته القتالية، وكانت هذه المدن والمناطق محكومة من قبل السلطان أحمد ميرزا ، وكان محمد فريد ترخان حاكما عليها، فحارب شيباني خان محمد فريد ترخان ينازعه المناطق المذكورة وتغلب شيباني خان على محمد فريد ترخان واستولى على تلك المدن ، فمنحه السلطان محمود خان منطقة تركستان ومنح لأخيه محمود شيباني خان منطقة ساوران وعينهم حكاما عليها.

وفي عام ٨٩٥ هـ الموافق عام ١٤٩٠م هاجم حاكم قبائل القازاق براندوق خان على مدينة تركستان وتغلب على شيباني خان واستولى على المدينة ، ولكن أخوه محمود شيباني خان أرسل إمدادات لأخيه شيباني خان ليحارب براندوق خان وفعلا تغلب جنود محمود خان على براندوق خان القازاق واستعاد المدينة ومنحها لأخيه شيباني خان كما كانت، ثم بدأ شيباني خان يلحق كل الوزبك يأتي أو يهرب إليه وكون جيشا قويا ، وبالتالي بدأ يتحرش بالمناطق القريبةمنه، وكان شيباني خان حاكما على منطقة تركستان وقائدا عسكريا من قبل السلطان محمود خان ، وقد أمضى شيباني خان ما يزيد عن عشر سنوات في خدمته هذه، وأما الواقعات التي حدثت بعد ذلك فتأتي في حينه.

محاربات السلطان محمود خان مع آل كورجان (آل تيمور بك)...

في عام ٨٩٦ هـ الموافق عام ١٤٨٩م قام احمد ميرزا خان بحركة عسكرية واجتاز نهر سير دريا وهاجم منطقة بالغرب الجنوبي من منطقة طاشكند، فقام السلطان محمود خان لصد هذا الهجوم عن ملكه ودارت معركة بين الطرفين بالقرب من نهر جرجيق وانهزم أحمد ميرزا بك وغرق كير من جنوده في النهر ، وكانت هذه الجنود بقيادة أحد قواده العسكريين يسمى درويش بك، وبهذا عاد السلطان أحمد ميرزا بك إلى بلاده ، وكان حاكم فرغانة عمر شيخ ميرزا يتحرش تارة على ملك أخيه السلطان أحمد ميرزا خان وتارة على أخ زوجته السلطان محمود خان ويلحق بهم خسائر فادحة ، ولذا

في عام ٨٩٩ هـ الموافق عام ١٤٩٣م كون كل من السلطان محمود خان والسلطان أحمد ميرزا بك كونوا اتحاد فيما بينهم ليحاربا معا عمر شيخ ميرزا، وعندما انهزم الخير يقتسمان ملكهبينهما على أن يكون مجرى نهر سير دريا فاصلا بينهما ، وهذا التقسيم يكون في منطقة فرغانة التي يحكمها عمر ميرزا خان.

وبهذا الاتفاق والتفاهم الذي بين الطرفين هاجم السلطان محمود خانمن الشمال والسلطان أحمد ميرزا من الغرب، وعندما داهمت القوات على منطقة فرغانة صادف أن سقط عمر شيخ ميرزا من على سطح قصره وتوفي بجروحه هذه وخلفه ابنه بابر ميرزا خان حاكما على فرغانة وكان عمره اثنتا عشرة ربيعا.

ولكن خصومه أقرباؤه حيث إن السلطان أحمد ميرزا خان عمه، والسلطان محمود خان خاله، فرجا بابر ميرزا من كليهما السماح والعفو عما بدا من أبيه عمر شيخ ميرزا ، ولكنهم لم يقبلوا رجاءه فاستولى أحمد ميرزا على آراتوبا وخوجند ومرغينان ، واتجه إلى مدينة أنديجان ، وأما السلطان محمود خان فاستولى على مدينة كاسان ثم حاصر عاصمة عمر شيخ ميرزا مدينة آخسي (نمنكان).

وأما بابر ميرزا القاصر الذي في طينته الشجاعة وفي دمه قطرات عسكرية وبالرغم من صغر سنه وقلة جنوده فأظهر أمام أعدائه شجاعة خارقة حيث قرر الدفاع مهما كلف الأمر ، وبالمقابل أبدى أمراؤه وجنوده بسالة لا نظير

له، فدافع بابر ميرزا عن بلده دفاعا مستميتا بالقرب من مدينة انديجان حيث حاصرها السلطان أحمد ميرزا خان فتصادم جنود بابر ميرزا مع جيش السلطان أحمد ميرزا فتغلب جنود بابر ميرزا على خصمه وردهم على اعقابهم حيث عاد السلطان أحمد ميرزا من حيث أتى ، وكانت معركتهم على ضفاف نهر قارا دريا بالقرب من مدينة أنديجان، وخسر السلطان أحمد ميرزا كثيرا من جنوده وخيوله حيث غرق معظمها في النهر.

وبعد هذه الواقعة أرسل السلطان أحمد ميرزا رسولا إلى ابن أخيه القاصر بابر ميرزا وطلب الصلح وعاد إلى بلاده، وأما قوات بابر ميرزا في مدينة نمنكان فسجلت شجاعة فائقة في الدفاع عن المدينة أمام قوات السلطان محمود خان ، ولكن بعد معركة آق دريا استطاع بابر ميرزا خان إرسال إمدادات إلى نمنكان فعاد السلطان محمود خان إلى كاسان، وهناك مرض مرضا شديدا فعاد أدراجه إلى مدينة طاشكند.

ومنذ رجوع السلطان أحمد ميرزا من جراء هزيمته في منطقة أنديجان وقبيل وصوله إلى سمرقند توفي السلطان أحمد ميرزا وخلفه باي سنقر ميرزا حاكما. وفي عام ٩٠٠ هـ الموافق عام ١٤٩٥م قام أحمد خان (من رجال السلطان محمود خان) لانتزاع سمرقند وبخارى من قبضة باي سنقر وتقدم إلى القتال، فجمع باي سنقر من طرفه كل قواته وخرج من مدينة سمرقند إلى ظهرها ، وبالقرب منها وقعت معركة، ولكن حيدر كوكلداش قائد قوات السلطان محمود خان وأكثر من ألف من رجاله الذين كانوا في المقدمة ابيدوا عن بكرة

أبيهم، وبهذا السبب فتر عزم السلطان محمود خان فسحب جنوده من أرض المعركة بهدوء ونظام إلى مدينة شاه رخية، وكانت مدينة أورتوبا وضواحيها محكومة من قبل باي سنقر فاستولى عليها السلطان محمود خان ، وكانت اورتوبا حاضرة الإقليم فعين عليها محمد حسين ميرزا دوغلات ابن حاكم مدينة كاشغر سابقا حيدر ميرزا دوغلات ، وأما السلطان محمود خان فانشغل في شاه رخية بتجنيد جيوش وترتيبها، وعلى قول بابر ميرزا كان السلطان قاصدا غزو منطقة فرغانة في تجنيده هذا، ولكن بابر ميرزا بادر بزيارة السلطان محمود خان وكأنه يجهل نيته وأرسل طلبا لزيارته لأنه بمثابة والده، فقبل السلطان محمود خان طلبه هذا وأخذ بابر ميرزا قليلا من رجاله وزاره في شاه رخية وقابل السلطان محمود وأقام في ضيافته يومين ، وخلال اليومين هذا اثره بكلام منطقي وغيره من كونه عدوا إلى مساعد له وصديق حميم ، وبهذه المعاملة الطيبة رضي السلطان محمود خان ببقاء بابر ميرزا خان حاكما على منطقة فرغانة على أقل تقدير ، ثم عاد السلطان محمود خان إلى مدينة طاشكند.

وفي عام ٩٠٢ هـ الموافق عام ١٤٨٧مسقطت مدينة سمرقند بيد بابر ميرزا وعندها هرب أعيانها كل من أحمد بك تنبل وأوزون حسن قاراموقلوق وزملاؤهم إلى وادي فرغانة، وأقاموا عصيانا فيها وأعلنوا جهانكير ميرزا أخ بابر ميرزا حاكما على البلاد، فتحرك بابر ميرزا من سمرقند قاصدا فرغانة لتاديب العصة فتقدم حاكم سمرقند السابق إلى سمرقند واحتلها، وبهذا رأى

بابر ميرزا نفسه بين العدوين وأقام في خوجند وطلب مساعدة من السلطان محمود خان ضد أحمد بك تنبل، فقدم السلطان محمود بك إلى خوجند ومعه جيش قوامه ستة آلاف رجل واتحد مع بابر ميرزا وهجم على مدينة آخسي واحتلها، فطلب العصة صلحامن السلطان محمود خان، فقبل السلطان محمود الصلح دون رضا من بابر ميرزا وانسحب من ميدان المعركة، وقال لبابر ميرزا: "أنا أضمن لك كلا من سمرقند وبخارى على ان تبقى منطقة فرغانة ملكا لأخيك جهانكير ميرزا" وكان هذا القول تسليا له، وعاد السلطان إلى طاشكند، وحسب ما كتبه الملك بابر : في الحقيقة كان السلطان محمود يريد الاستيلاء على فرغانة لنفسه. وبهذه الصورة بقي بابر ميرزا في مدينة خوجند ، وفي هذه السنةبالذات في أواخر رمضان المبارك نوى بابر ميرزا أن يستولي على سمرقند ، فأرسل رسولا إلى السلطان محمود خان يطلب مساعدته في الأمر ، فتقدم السلطان محمود خان ببعض جنوده إلى سمرقند ، ولكن جل جنوده كان مع ابنه محمد سلطان خان الشهير بسلطانم، وكان معه ستة آلاف مقاتل يأتي من ورائه، والحال هذه بلغه خبر خيانة محمد شيباني خان فأراد الرجوع مضطرا إلى طاشكند، وكذلك أمر بعودة سلطانم من الطريق ، واضطر بابر ميرزا أيضا إلى خوجند.

محمد شيباني خان يخون السلطان محمود خان...

حصل شيباني خان على قوة لا باس بها، ومنذ سنة تقريبا كان يتعرض على مناطق بخارى وسمرقند ، ولكنه دام في وده وصداقته للسلطان محمود خان وواظب عليها، ولأجل ذلك ما كان هذا السلطان المغرور يهتم به ولا يلقي نظرة عليه ولا يحذره، وحينما تحرك السلطان وابنه سلطانم قاصدين سمرقند كما أسلفنا بدأ شيباني خان بنفسه قاصدا طاشكند حيث لمتبق فيها قوة عسكرية وأرسل أخاه محمود شيباني خان من أوره توبا إلى سايرام.

وكان السلطان محمود خان يتهيأ للسفر من أوره توبا إلى سمرقند، في الحال بلغ الخبر للسلطان، فبدل اتجاهه من سمرقند إلى طاشكند ووصل مدينةطاشكند قبل وصول شيباني خان وبدأ في ترتيب تأديب محمد شيباني خان وبأمر من أبيه عاد سلطانم كذلك من الطريق ، وكان قد اقترب من سمرقند ، ولما بلغ الخبر لشيباني خان عاد أدراجه إلى الوراء وكتب للسلطان عذرا أقبح من الفعل ، وحسب ما كتب حيدر ميرزا دوغلات في متابه تاريخ رشيدي كان مضمون كتاب العذر هكذا: " حضرة السلطان عبدكم العاصي تقلد على رأسه هيبة تاجكم الكريم وتوجه إلىطاشكند لحفظ الأمن وسلامة العباد، وحينما علمت استقرار سلطانكم المعظم في عرينه عدت إلى مأموريتي منطقة تركستان" وكتب محمد شيباني خان إلى أخيه محمود شيباني خان يقول فيه: " إنني علمت أن السلطان عاد إلى طاشكند ، وأن عدت فانت ترجع الان ولا تعمل شيئا في سايرام وغيرها" ولكن محمود شيباني خان قد دخل سايرام

واعتقل حاكمه أحمد بك وقتله، وفي هذه الحالة وصل جنود السلطان محمود خان المرسلة إلى سايرام وتغلب جنود السلطان على محمود شيباني خان وقبضوا عليه وأتوا به إلى حضرة السلطان محمود خان، فأراد السلطان محمود خان تأديب محمد شيباني خان وأخاه محمود الشيباني تأديبا صارما ويأمن من خطرهما ، ولكن كان في بلاط السلطان محمود خان أصدقاء لمحمد شيباني خان تشفعوا فيه واعتذروا، فقبل السلطان شفاعتهم وعفا عنه وعن أخيه محمود شيباني وأرسله إلى أخيه في تركستان.

علاقة السلطان محمود مع بابر ميرزا..

في عام ٩٠٣ هـ الموافق عام ١٤٩٨م أتى بابر ميرزا إلى طاشكند وطلب من السلطان محمد خان مساعدة في استيلائه على منطقة فرغانة ، فالسلطان محمود خان أرفقه كلا من سيد محمد ميرزا دوغلات وأيوب بك ومعهم ثمانمائة جندي وودعه ، فبدأ بابر ميرزا بهذه القوة الصغيرة يتحرش على ولاية مرغينان من هنا وهناكقادما من خوجند ، ولم تنفع هذه القوة الصغيرة ولم تحقق شيئا، فأعاد بابر ميرزا هذه القوة إلى طاشكند ، فبدأ بابر ميرزا يتيقن بأنه لا يجدي ولا يجني فائدة ولا يحقق هدفه بمساعدة السلطان محمود خان، فنشر رجال أمناء بين شعوب فرغانة للدعاية له من جهة ، وأرسل في طلب المساعدة من السلطان محمود من جهة أخرى.

وكانت اهللي فرغانة تكره احمد بك تنبل لظلمه فتأثروا بدعاية رجال بابر ميرزا حتى الرجال المخلصين لأحمد بك تنبل تأثروا بها ، ومن جهة ثانية أخذ بابر ميرزا إلى جانبه الشخص الذي عين

حاكما لمرغينان، وفي عام ٩٠٤ هـ الموافق عام ١٤٩٨م ةبفضل طاعة الحاكم المذكور استولى على مدينة مرغينان بصورة مفاجئة، والحال هذه أتى من طرف السلطان ممود خان بند علي وحيدر كوكلداش وحاجي بك كقواد عسكريين وشاركوا في فتوحات بابر ميرزا وكانت معهم قوات كافية ، وسرعان ما توجه بابر ميرزا إلى العمق من فرغانة واستولى على كل المناطق ما عدا أوزكنت وأوش ، وكان هجومهم من مدينة أنديجان ، ونتيجة لهذه الحروب أخذ القادة العسكريون الذين أتوا من طرف السلطان محمود أخذوا بعض الغنائم وبتحريض من بعض الأمراء نزع بابر ميرزا هذه الغنائم منهم، وبهذا السبب عاد العسكريون إلى مدينة طاشكند، وكذلك السلطان محمود خان غضب من بابر ميرزا لهذا السبب ، وبعودة القوات العسكرية المساعدة إلى طاشكند لم يستطع بابر ميرزا أن يتغلب على أحمد تنبل بصورة نهائية حيث بقيت ولايتا أوش وأوزكند في يد أحمد تنبل وامتد القتال بينهما سنة كاملة ، وأخيرا وجد أحمد تنبل شخصا اسمه تلبه وكانت له قرابة بعيدة مع السلطان محمود خان ، وبواسطة هذا الشخص عرض طاعته للسلطان للسلطان محمود خان وطلب مساعدة منه ضد بابر ميرزا.

وفي عام ٩٠٥ هـ الموافق عام ١٤٩٩م أرسل السلطان محمود خان ابنه سلطانم بستة آلاف جندي لمساعدة أحمد تنبل خان، وكان السلطان يقول لتلبه بك: أخي.

وتوجه سلطانم بجنوده إلى ولاية كاسان وتغلب على جنود بابر ميرزا واستولى عليها، وعندما بلغ الخبر لبابر ميرزا قام بتجهيز قوة ضاربة لصد هذا الهجوم ولتأكيد عزمه هذا تحرك قاصدا كاسان ، ولكن لما بلغ خبر بابر ميرزا لسلطانم ترك منطقةكاسان وعاد إلى بلاده.

محاربة كاشغر واستيلاء أبو بكر ميرزا على ولاية أوج...

كان السلطان محمود خان بالوجه الذي ذكرناه مشغولا بشئون تركستان الغربية وكان يتدخل ضد بعض التحرشات والانقلابات والاختلافات التي تقع فيها ، وكان يمضي معظم أوقاته في قصره المنيف في عيشة راضية ورفاهية حالمة ، وكان أخوه آلاجه خان مشغولا بحركته ضد قبائل قالموق وتحرشاتهم المتتالية حتى أسكتهم بصورة كاملة واطمأن من عصيانهم حيث حصل على طاعتهم وقال الآن جاء دور أبي بكر ميرزا ، حيث لا يقبل المركزية ويحكم ولايتي كاشغر وياركند ويعلن استقلاله فيهما.

وفي عام ٩٠٥ هـ الموافق عام ١٥٠٠م توجه ىلاجي خان بجنوده قاصدا ولايتي كاشغر وياركند ودارت بين الطرفين معارك ودمرت مدينة كاشغر التي عمرت حديثا ، وأخيرا انهزم آلاجي خان وعاد بجنوده إلى طرفان، وتعقبه أبو

بكر ميرزا واستولى على مدينة أوج (آقسو الحالية)وأما التفصيلات الباقية فنذكرها في فصل موجز تاريخ دوغلات في كتابنا هذا.

إقدامات السلطان محمود خان ضد محمد شيباني خان...

تقوت قوات محمد شيباني خان بمرور الوقت وأصبح يتحرش ببعض المناطق ليفتح أمامه فتوحات مستقبلية لنفسه، ففي عام ٩٠٥ هـ الموافق عام ١٤٩٩م محمد شيباني خان على بخارى واحتلها بثورة مفاجئة، وإذا نظرنا إلى وضعه وموقفه فإنه يمكن القول بأن محمد شيباني خان إذا حصل على قوة ضاربة يكون خطرا على كل مناطق تركستان برمتها، وأما السلطان محمود خان فإنه وإن كان يعلم وضع محمد شيباني خان فلم يتخذ أي إجراء ضده، بل عامله بالاستخفاف واللامبالاة، وقبل أن يشرع محمد شيباني خان في استلاء سمرقند قام السلطان محمود خان بإرسال قواده محمد حسين ميرزا خان دوغلات وخان ميرزا وتحت يدهم قوات كثيرة بنية احتلال سمرقند ودعا بابر ميرزا إلى مشاركته في حملته هذه، وقال له وعدا : "إذا استولينا على سمرقند سنوجه حملتنا على بخارى ، وبعدها تكون هذه الأقاليم لك تحت حكمك" ، فقام بابر ميرزا بألفين من جنوده وتوجه إلى سمرقند، وعندما قربت هذه القوات إلى سمرقند طلب حاكم سمرقند علي ميرزا مساعدة من محمد شيباني خان ، فتحرك محمد شيباني خان من بخارى قاصدا سمرقند ، وعند وصول محمد شيباني خان وجنوده سمرقند قبض على علي ميرزا حاكم سمرقند وحبسه

وبكل يسر وسهولة استولى على سمرقند، والحال هذه لم يستطع بابر ميرزا ومحمد حسين ميرزا الهجوم على سمرقند وتوقفا في مدينة كش يشل شهر، وكانوا يأملون أن تأتي قوات من السلطان محمود خان ، وطال مكوثهم في مدينةكش لستة أشهر وزيادة وخاب أملهم، ولنقص التغذية أخذ كل من محمد حسين ميرزا وخان ميرزا جنودهم وعادوا إلى طاشكند، وأما بابر ميرزا فقد تفرقت جنوده ولم يبق معه إلا مائتين وأربعين رجلا فقط، وعلم محمد شيباني خان بهذا الوضع هذا واطمأن وأبقى في سمرقند حوالي ستمائة جندي وعاد إلى بخارى بجنوده، وفي أثناء ذلك اتفق بابر ميرزا مع أهل سمرقند وبمساعدتهم استطاع بابر ميرزا اقتحام مدينة سمرقند بهذه القوة الصغيرة، ولكنه رأى نفسه محاصرا في داخل المدينة ، وطلب مساعدة من السلطان محمود خان فأرسل السلطان محمود خان ألف وخمسمائة جندي بقيادة السيد محمد ميرزا دوغلات، وبهذه القوة استطاع بابر ميرزا من التخلص من الحصار ، ولكنه بهذه القوة البسيطة حارب محمد شيباني خان ، غير أنه انهزم شر هزيمة وتفرقت جنود السلطان محمود خان وعادوا إلى طاشكند ، وأما بابر ميرزا فدخل بقوته الصغيرة مدينة سمرقند وبقي محاصرا فيها، وبعد شهرين من الحصار استطاع أن يهرب منها ليلا ويصل إلى منطقة أورتوبا وفي هذه الفترة استولى أحمد بك تنبل على جميع مناطق فرغانة واتحد مع محمد شيباني خان.

وأما بابر ميرزا فقدم إلى طاشكند لحضرة السلطان محمود خان بهذا البؤس والهزيمة فعينه السلطان محمود خان حاكما على منطقة أوره توبا ، وعندما أتى

بابر ميرزا لأوره توبا امتنع حاكمها محمد حسين دوغلات عن ترك البلاد لبابر ميرزا، وبهذا عاد بابر ميرزا إلى طاشكند ثانية، وبعد مدة وجيزة جاء أحمد للك تنبل إلى أوره توبا وبهجوم كاسح واستولى عليها، وطرد محمد حسين ميرزا دوغلات إلى خارج المنطقة ، وبهذه الصورة برز للعيان عدوان شريكان محمد شيباني خان وأحمد بك تنبل ضد السلطان محمود خان وقد اتفقا سابقا.

شيباني خان يستولي على طاشكند:

بينما محمد شيباني خان وأحمد بك تنبل اتحدا وتقوت صداقتهم واتحادهم يوما بعد يوم برزت في الأفق عداوتهما للسلطان محمود خان ويمكنهما العدوان السافر والعلني عليه لتفوق قواتهما عليه، ولما بلغ الخبر لأحمد آلاجي خان حاكم ولاية طرفان أناب ابنه منصور خان عن نفسه في ولاية طرفان وتقدم قاصدا طاشكند ، وذلك عام ٩٠٨ هـ الموافق عام ١٥٠٢م وفور وصوله طاشكند كان يسعي في إنهاء هذا العدوان ، وكان خطته أولا الهجوم على فرغانة والقضاء على أحمد تنبل ثم التوجه إلى سمرقند لإنهاء محمد شيباني خان وإعطاء الخاتمة لوجود الأزبك في تركستان كلها، وكان معهم بابر ميرزا بقواته، فثلاثتهم السلطان محمود خان وأحمد آلاجي خان وبابر ميرزا كان معهم قرابة ثلاثين ألف مقاتل وتوجهوا إلى فرغانة وهزموا قوات أحمد بك تنبل في كل منطقة دخلوها إلا مدينة أنديجان حيث حاصروا قوات تنبل فيها.

وعندما توجه السلطان محمود خان ورفاقه إلى فرغانة عرض أحمد بك تنبل إلى محمد شيباني خان الطاعة وطلب منه مساعدة عسكرية، وعندما انتصر السلطان محمود خان وحلفاؤه في فرغانة وحاصروا قوات تنبل في أنديجان وكادوا أن ينتصروا فيهاوصلت قوات محمد شيباني خان لمساعدة احمد بك تنبل إلى ولاية أوره توبا، ولما بلغ الخبر إلى السلطان محمود خان اتفق مع حلفئه على ترك الحصار في انديجان والقتال مع قوات محمد شيباني خان وفعلا توجهوا إلى ولاية ميرغينان، ثم إلى خوجند وكانوا على استعداد للحرب، وفجأة جاءهم خبر مداهمة قوات محمد شيباني خان من الغرب وقوات أحمد بك تنبل من الشرق ويكون أول هجومهم ولاية خوجند، وقد اقتربت هذه القوات ووصلت على مشارف خوجند، ففكر السلطان محمود خان وحلفاؤه أن بقاءهم في خوجند خطر عليهم فتركوا خوجند واتجهوا نحومدينة شاه رخية بعد اجتياز نهر سير دريا، وأرادوا ان يجعلوا آخسي ميدان حرب ، وأرسلوا بابر ميرزا بقسم من الجنود إلى آخسي.

ولكن كان محمد شيباني خان ماهرا في فنون الحرب وإدارة الجنود ودربهم تدريبات عالية، وفجأةداهمت قواته آخسي ، وكان السلطان محمود خان وأحمد آلاجي خان وأتباعهم نائمين في إحدى البساتين ، وبهذه المداهمة الحربية أسر محمد شيباني خان السلطان محمود خان وأحمد آلاجي خان وأبناءهم المراء ، وكانت البستان خارج المدينة ، وأما أحمد بك تنبل في هجومه المباغت على آخسي فحارب ودافع دفاع المستميت ليلا ونهارا ، وبالمقابل كانت قوات بابر

ميرزا تحارب بشدة ، وعندما بلغ أسر السلطان محمود خان وآلاجي خان وأبنائه من قبل محمد شيباني خان اندهش الجنود وتفرقوا ، فهرب بابر ميرزا من المدينة ونجا، ومنذ أسر محمد شيباني خان السلطان محمود خان ومن معهم تفرقت جنود السلطان محمود خان وآلاجي خان.

وأما محمد شيباني خان بعد هذا الانتصار فأخذ السلاطين وأولادهم معهم وتوجه فورا إلى مدينة طاشكند ، وكان في مدينة طاشكند ابن السلطان محمود خان سلطانم نيابة عن والده، ولما بلغه الخبر أخذ كل أفراد أسرته والخزائن واتجه إلى تركستان الشرقية ووقف في طريقه إليها على ضفاف بحيرة إسسيق كول ، وأما بابر ميرزا منذ هربه من مدينة آخسي فجاهد واجتهد في جمع بعض قواته ، وأخيرا جمع حوالي مائتين أو ثلاثمائة رجل وذهب بهم إلى جبال أسفرة في جنوب فرغانة ، ولكنه أجهد نفسه كثيرا وتعب وأمضى فيها سنة كاملة، ثم توجه إلى مدينة كابل عن طريق قاراتكين.

تحرر السلاطين من الأسر، ووفاة آلاجي خان، وانقلاب في تركستان الشرقية...

بعدما احتل محمد شيباني خان كلا من طاشكند ومنطقة فرغانة قال للسلطان محمود خان وأحمد آلاجي خان وأولادهما: " إني أسرتكم، ولكني ملكت أرضا ومساحة كبيرة ، وقد أكلت عيشكم وملحكم ، ولأجل هذا لم أقتلكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء ردا لإحسانكم إلى في الماضي"، ففك أسر السلاطين ، وتوجه هؤلاء إلى تركستان الشرقية واجتمعوا على ضفاف إسيق

كول وسكنوا فيها، ثم فكروا في عدم صلاحية المنطقة (شمال جبال خان نتغري) على حياتهم فقرروا الانتقال إلى أوج (آقسو) فحرضوا أهاليها على الثورة والانقلاب ضد واليها أبي بكر ميرزا، وبمساعدة الهاليس دخلوا أوج وجعلوها عاصمة لهم ، وبعد ذلك مرض أحمد آلاجي خان في أوج وتوفي عام ٩٠٩ هـ الموافق عام ١٥٠٥م ، وفي رواية عن موت أحمد آلاجي خان تقول المصادر : إن أحمد آلاجي خان تأثر كثيرا من وقوعه في الأسر على يد خدمه وفقدانه سلطانه وملكه وتعرضه للذل والمهانة، فمات متأثرا بذلك. وبعد وفاة أحمد آلاجي خان منح السلطان محمود خان لابنه أي ابن آلاجي خان الأمير منصور خان كل المناطق التي كان يحكمها أبوه واليا عاما، وبعد ذلك اخذ السلطان محمود خان كل أفراد عائلته وأمراءه وخلصاءه وجنوده وانتقل إلى الشمال من ملكه لحماية القبائل القاطين في الشمال في منطقة إسسق كول ويته سو من التأثر بنفوذ محمد شيباني خان، وفي الحال هذه جاء أبو بكر ميرزا واستولى على الولايات الثلاث خوتان وكاشغر وياركند، وعندما أتى السلطان محمود خان إلى الشمال عين الابن الصغير لآلاجي خان الأمير خليل سلطان على منطقة إسسيق كول واليا عليها ، وكان سلطان يرابط في يته سو، واما السلطان محمود خان فكان في لهوه ولعبه ينتقل من مرعى إلى مرعى ويمارس هواية القنص والتتره ويترك شئون إدارة البلاد على بعض السذج من خلصائه ممن لا دراية لهم بهذه الأمور ، ولذا صار منصور خان يحول وجهه من السلطان محمود خان ويعلن استقلاله، وبهذا انفصلت

أجزاء منبتة من تركستان الشرقية عن حكم السلطان محمود خان وهي المدن الستة ومنطقة طرفان وبش باليق ، وبقيت تحت يده كل من منطقة الشمال من جبال خان تنغري والتي تتميز بقلة السكان وقلة المحاصيل الزراعية.

وفي عام ٩١٣ هـ الموافق عام ١٥٠٧م أعلن خليل سلطان والي منطقة يته سو وأخوه سعيد خان استقلالهم ، وأما الأمراء المحليين الاخرين فبقوا في اللامركزية والقلاقل والعصيان ، وحيال هذه الحالة المورية سعى السلطان محمود خان لإخماد تلك العصيان ولمدة سنة كاملة وخاض مع سعيد سلطان حروب إقليمية ولعدة مرات وانهزم منه مرات عديدة، ولكون السلطان محمود خان محبا للراحة واللعب لم يكن لديه من رجال يعتمد عليهم في أمور الدولة وشئون البلاد إداريا.

استشهاد السلطان محمود خان...

وإذا كان السلطان محمود خان رجلا إداريا كان بالإمكان غخماد تلك العصيان ، وإذا كاله قدرة إدارية لكانت الانقلابات الداخلية قد إخمدت وأمن البلاد شر التدهور والزوال، ولكن السلطان محمود

خان نغصته العصيان والقلاقل في عيشته وراحة أفراد أسرته فسئم الحياة وسط هذه القلاقل وأراد الخروج عن البلاد، فقال بعض خلصائه له: "تذهب إلى محمد شيباني خان تلقى تكريما منه وتعيش تحت كنفه في راحة وطمأنينة" وإن هؤلاء الخلصاء تضجروا من حياة القلق هذه من جهة ، ومن جهة اخرى تألموا ولضع السلطان المؤلم، وفي عام ٩١٤ هـ الموافق عام ١٥٠٨م قرر

السلطان محمود خان الذهاب إلى محمد شيباني خان وترك تركستان الشرقية على ما هي عليه، ولكن ابنه الكبير حاول منع والده من نيته هذه ونصحه بعدم الذهاب إلى محمد شيباني خان وقال:"إنه ظالم ومصاص الدماء وله جبروت وعناد" ولكن السلطان محمود خان لم يأخذ بنصيحة ابنه وأخذ أسرته وأربعة من أولاده أو خمسة وذهب قاصدا محمد شيباني خان ، وكان بمعية السلطان محمد حسين ميرزا دوغلات ونفر من خواصه، وكان ذهابه إلى فرغانة بصفة لاجئ، ودخل فرغانة ثم وصل إلى خوجند ، ومنذ بلغ الخبر محمد شيباني خان أرسل رجالا وأمرهم بقتل السلطان محمود خان وأبنائه، فقبض هؤلاء الرجال على السلطان محمود خان وأبنائه الخمسة وساقوهم إلى ضفاف سير دريا وذبحوهم فاستشهدوا.

ومنذ رحيل السلطان محمود خان من تركستان الشرقية قام ابنه بمحاربة سعيد سلطان وخليل سلطان وبعد معارك دامية انهزم منهم وترك مواقعه الحربية ، ولم يكن يعلم باستشهاد أبيه وإخوانه هناك، بل كانت هناك إشاعات بأن محمد شيباني خان رحب بالسلطان وطمأنه، فسلطانم هو الآخر ترك البلاد وذهب إلى طاشكند هو الآخر، وفور قدومه قبض عليه رجال محمد شيباني خان وقتله، وفي الأصل كان سبب ذلة السلطان محمود خان وأبنائه كان عصيان سعيد خان وخليل سلطان وضغطهما على السلطان محمود خان، وعندما سمع الأمير منصور خان في طرفان تأثر كثيرا وأراد أن يأخذ بثأر السلطان محمود خان من إخوانه سعيد خان وخليل سلطان وذهب إلى بش

باليق ثم إلى ولاية يته سو حيث كان الخونة هناك وحاربهم وتغلب عليهم وطاردهم حتى أخرجهم من سته سو، ولم يترك مطاردتهم حتى وصلوا إلى مدينة آلماآتا وهناك وقع قتال عنيف وتفرقت جنودهم هناك وهرب سعيد خان بقليل من رجاله إلى منطقة نارين جنوبا واختفى في صحراء قاحلة ، وأما الحالة التي بعدها فنوردها في فصل يختص سعيد خان وسلطنته.

وأما خليل سلطان فهرب إلى الغرب ، ولكنه قبض عليه فما بين طاشكند وأترار من قبل رجال محمد شيباني خان الذي ساقه إلى نهر سير دريا وغطسهفيها حيا وقتله غرقا، وهكذا انتهت حركة سعيد خان وخليل سلطان وعاد منصور خان إلى طرفان، وبقيت منطقة يته سو دون حكم وكذلك منطقة إسسيق كول، وكان هناك قبائل القرغيز مقهورين ومطرودين من حكام القازاق الذين كانوا على مرتفعات سيبريا، فهؤلاء المدرودون القرغيز استوطنوا في هذه المناطق وقهروا وظلموا أهاليها وبسطوا سيطرتهم عليهم عدوانا وظلما، وأوقعوهم فيهم خسائر كبيرة.

انهيار دولة جاغاتاي في تركستان الشرقية...

إلى عهد السلطان محمود خان وعهود من قبله من الملوك الجاغاتايين الذين داموا منذ ثلاثمائة سنة كاملة يقال لهم عهود المغول حيث إنهم ينتمون إلى أصول مغولية فضلا عن حكمهم وإدارتهم البلاد بما يشبه طريقة حكم المغول تماما، وكذلك تشكيلاتهم ومراسيمهم، وكذلك تشكل هذه الحكومات اكثرية مغولية منهم الأداريون والعسكريون ، وإن المسلمين كذلك يتبعون تلك

النظم والتقاليد المغولية في الحكم والإدارة والتشكيل الحكومي والخدمات والمراسيم السلطانية ، وذلك حتى استشهاد السلطان محمود خان، والتي تغيرت من نمطها المغولي الأمور الدينية والاجتماعية ، ولكنها تغير بسيط لا يكاد تكون كامل التغيير، وبعد شهادة السلطان محمود خان بثمانية سنوات أسس السلطان سعيد خان سلطنته على أن يكون الملك أو السلطان من آل جاغاتاي، وأما الإداريون والعسكريون فمن أهل تركستان الشرقية، والإداريون ونتشكيلاتهم والمراسيم الرسمية وأمور المعيشة والمعارف العمومية فتدار حسب عادات وتقاليد المدنيين التركستانيين والروح الإسلامية والنظام الإسلامي البحت، ويختلف عن تقاليد وعادات المغول القديمة.

وبهذه المناسبة نستطيع القول إنه انتهت دولة المغول الجاغاتايية ، ولذا ومنذ تأسست دولة السلطان سعيد خان حتى أحداث آفاق خواجه نقول إنها دولة محلـية في تركـستان الشرقية من الصميم، ولذا نذكر في كتابنا هذا بعض الفـوارق العلمـية والاجتماعـية والـسياسية وما يتعلق بها من معلومات ومطالعات.

الحالة الاجتماعية والتشكيلات الإدارية في تركستان الشرقية في عهود دولة جاغاتاي:

ظهر لأول وهلة أن استيلاء جنكيزخان على بلاد تركستان الشرقية خلصت الناس من ظلم واستبداد كوجلوك خان ومن تخريباته، ومن هذه الجهة قلنا إن استيلاء جنكيزخان على تركستان الشرقية صان الأمة من دمار محقق، ولكن إذا نظرنا نظرة تعمق وشمول فإن الاستيلاء هذا خلص الناس من

الدمار ، كما أنه في نفس الوقت وضع الناس في محنة وخطر مخيف أيضا، حيث إن كوجلوك حان وإن كان ظالما ومستبدا وسفاكا للدماء إلا أن شعب تركستان الشرقية إذا اتحدت عليه وتكتلت كان بإمكانهم التعلب عليه ، لأن كوجلوك لم تكن قوة عسكرية كافية.

ولكن استيلاء جنكيزخان على تركستان الشرقية خلف عليهم حكومات قاهرة منذ استيلائه حتى استشهاد السلطان محمود خان الفترة التي دامت ثلاثمائة عام كامل، وعاشت تركستان الشرقية في محنة دائمة وخسرت مكتسباتها الحضارية عبر القرون، وبالمقابل لم تنل تركستان الشرقية من آل جاغاتاي أي فائدة أو استقرار تذكر بالنسبة لما فقدته، إنمنطقة الشمال من سلسلة جبال خان تنغري وبها منطقة بحيرة إسسيق كول ومضواحيها وطلاس وإيلي ويته سو وإيميل وآلتاي كانت على الدوام مناطق حرب وجبهة مفتوحة للمغول ، وكانت أيضا ساحة صراع ونزاع مسلح بين آل جاغاتاي أنفسهم.

وفيعهد تيمور بك وأولاده كانت هناك جبهات متحاربة والقتل والتدمير ، وصارت تلك المناطق مستوطنات للصعاليك المغول الهاربة، وبهذا الوجه المزري لعبادالله صارت المناطق المأهولة والمدن العامرة أراض جرداء قاحلة ومراعي وعشب الحيوانات ، وكانت قبل ذلك في هذه المناطق أكثر من مائة مدينة آهلةبالسكان قد دمرت كلها ولم يبق منها أثر، في عهد دولة المغول صارت المناطق المذكورة في قمة الخسارة والفناء والدمار والذل.

وأما جنوب تركستان الشرقية فكانت آمنة مطمئنة من حيث الحياة والاستقرار المعيشة نعني المدن الستة وطرفان وبش باليق كانت مناطق استقرار وتعمير، غير أن الأهالي عاشوا في الفقر لأن الضرائب بسطت مخالبها من كل جانب وانتهت فيها المدنيات المتوارثة من عهود القاراخانيين والقاراخيطايين وفقد الناس سعادتهم ورفاهيتهم في حياتهم.

ولمتكن هذا الضنا والضنك في تركستان الشرقية من عداوة المغول للنظام وسوء إدارتهم، حيث إنهم أصحاب (ياسا) قانون جنكيزخان، وكانت إدارتهم وتشكيلاتهم الحكومية مطابقة للأصول المدنية المتقدمة حيث يجعلون نصب أعينهم رفاه الشعب وسعادة الأمة بحكمة وروية، وفي أيام السلم والسلام والأمان كان المغول يعملون أشياء مفيدة للناس وللأمة المغولية.

وأما المعاناة في تركستان الشرقية فكانت من جراء المخالفات والانقلابات بين الأسر المغولية من حكام وأمراء حيث كانوا دائمي الاختلاف فيما بينهم ونزاعات أسرية.

وأما من حيث نظام الأمة أو القانون المغولي (يلسا) فبين كل شيء حياة الأمة وحقوق الراعي والرعية، وهناك كثير من كتب تاريخ المغول والتاريخ العام قد أتى بنصوص القانون المغولي (ياسا) وأصوله.

والآن نذكر حالة الشعوب الاجتماعية والمدنية في جنوب تركستان الشرقية في هذه العهود، ونأتي على التشكيلات الإدارية لدولة جاغاتاي.

الحالة الاجتماعية:

كانت سياسة جنكيزخان وأولاده أن يترك الناس أحرارا ولا سيما المغلوبين منهم في العلم والدين والديانة والأدب والاجتماع، ولكنهم ما كانوا يرعونها لينموها أو يعملوا لازدهارها، ولذا أصلحت أهالي تركستان الشرقية ما دمرته عهد كوجلوك خان من مؤسسات علمية وأدبية بجهودهم الخاصة، وذلك في عهد المغول، ولأجل هذا تباطأت الإصلاحات وأصلحت رويدا رويدا ، لأن الناس ما كنوا يملكون وفرة من المال والحرية، حيث إن الإصلاحات هذه اعتمدتا أصلا شجاعة الأمة ومكابدتها وجهادها، وهذا البطء طبيعي للغاية، وعلى كل حال فإن أهالي تركستان الشرقية أهل علم وأدب وهم مواريثهم من آبائهم وأجدادهم حافظوا على تلك التراث وأصلحوا تلك المؤسسات بجهودهم حفاظا على الإرث القديم وهو ديدنهم وسجيتهم.

وكانت الأمةالتركستانية الشرقية توقد المشاعل العلمية والدبية في المدارس والمكاتب التي ورثتها من أجدادهم ومن سبقوها، توقد المشاعل رغم كبر سنها وتهدم أساسها وقدم بنيانها وذلك في عهود جنكيزخان وأولاده.

ثم وبعد حين برز في صفوف الناس من به همة وحمية في تلك المؤسسات فقام بعض الأثرياء من الشعب والعلماء والأدباء منهم ببناء المدارس والمعاهد العلمية والمكتبات، بالإضافة إلى عهد توغلوق تيمور خان حيث أسلم ودخل في دين الإسلام عقيدة وأسلوب حياة فاكتسبت الحياة العلمية في تركستان

الشرقية قوة، لأنه اهتم بالناحية العلمية والأدبية والتقدم في كافة المسلمين، وجعل الأمراء وحكام المناطق الصغار يبنون العديد من المدارس ويجعلوا لهل المدارس أوقافا في كل بلدة وقرية، كما استقدم العلماء الكبار واستعملهم في وظائف التعليم، ونتيجة لهذه المساعي الكريمة برزت في تركستان الشرقية علماء أجلة في فترة قصيرة وانتشر الأساتذة منها إلى باقي البلدان في العالم، وملا عبد الرحمن جامي وعلي شير بك نوايي كانا من تلاميذ مولانا الشخ سعدالدين الكاشغري، وهذا معلوم من مؤلفاقم أنفسهم. وكانت مدن كاشغر وخوتان وكوجار تعد من أكبر المراكز العلمية في ذلك الوقت، وفي تركستان الغربية ازدهرت العلوم والآداب في عهد تيمور بك وأولاده، وهذا معروف للجميع، وفي تلك الأزمنة كانت خلافات سياسية فيما بين حكام منطقة تركستان الشرقية والغربية ، إلا أن هذه الخلافات لم تكن مانعا ولم تقطع وشيجة العلم والأدب والمعرفة والاجتماع بين المنطقتين المتجاورتين، ولذا كانت منطقة تركستان الكبرى وحدة متماسكة في حكم بلد واحد على المستوى العلمي.

وفي تلك الأيام كانت الأمة الإسلامية في كل أقطارها يستعملون اللغة العربية ، وكذلك الناس في تركستان الشرقية بجانب لغتهم التركية والفارسية وواللغة التركية والفارسية كانتا في درجة متساوية وكان الشعراء يقرضون الشعر بكلتي اللغتين، ولم تصل إلينا من الكتب ودواوين الشعراء التي ألفت في تركستان الشرقية آنذاك إلا النذر اليسير ، فأمثال كتاب صراح اللغـــات

(باللغة الفارسية) وسيرة النبي (باللغة التركية) وحاشية شمس البازغة (ألفه صاحبه حضرت سلام الكاشغري باللغة العربية) وتاريخ رشيدي (باللغة الفارسية) نماذج من تأليفات علماء تركستان الشرقية، ولم أر مع الأسف الدواوين الشعرية لشعراء تركستان الشرقية في تلك الحقبة، فمن شعراء تركستان الشرقية الشاعر أحمد بك حاجي، ذكره الملك بابر وتحدث عنه كثيرا، وقال أنه شاعر ند لعلي شير بك نوايي، وكان السلطان محمود خان آخر سلاطين آل جاغاتاي شاعرا ، ومن المؤكد وجود شعراء آخرين.

إن تركستان الشرقية كانت منذ القدم منبع مدنية وفي مقدمة مناطق الأتراك في العالم، وهذا معلوم من التاريخ ، وإن الحكام المغول كما اتبعوا محكوميهم في الدين والمدنية والثقافة في البلاد الأخرى اتبع حكام المغول ورجال الدولة في تركستان الشرقية محكوميهم وقبلوا في وقت قصير ثقافة الشعب وحضارتهم وآدابهم فتركوا الشعب في وقت السلم يتقدمون في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة بما يوافق طبيعتهم وملكاتهم وساعدتهم الدولة كثيرا، وكانت هذه المساعدات تعطي ثمارها في وقت قصير جدا حيث يسعى الناس سعيا حثيثا إلى العلم، ولكن زمن السلم والآمان كان قصير أيضا ، ولذا كان التقدم يتوقف عند مرحلة معينة يصل إلى القمة، أو يتراجع إلى الوراء.

وفي المناطق التي يكثر فيه زمن الأمن والسلام من مثل منطقة الجنوب في تركستان الشرقية منها المدن الستة ومنطقة طرفان ازدهرت الصناعات

اليدوية حسب أثبتته الاكتشافات الأثرية، وبالمقابل كانت المناطق الشمالية أسواقا لتلك المنتجات الصناعية في منطقة الجنوب حيث تراكمت في الشمال جنود المغول وقبائل القيرغيز واللاجؤن القازاق والقرغيز المستوطنون فيها ولم تكن لديهم صناعات، فكانت هذه القبائل المختلفة خير زبائن لمصنوعات تركستان الشرقية، ولذا ازدهرت الصناعة واندفع الناس لصناعات مختلفة وأتقنوها، ومن مصنوعاتهم المنسوجات الحريرية والقطنية والوبر والمنسوجات الصوفية والسجاد ، وكذلك الأثاث المترلي والآلات الحربية والورق، وكانوا يبيعون هذه المنتجات في أسواق الشمال، وأما التجارة الخارجية فكانت تقتصر على أيام السلم والأمان الداخلي والإقليمي، وكذلك كانت التجارة الخارجية تزدهر حينا وتنكمش حينا آخر، وأما في أوقات السلم والأمان كانت التجارة الخارجية مفيدة جدا حيث يكسب تجار تركستان الشرقية مكاسب هائلة حيث كانت تركستان الشرقية حلقة وصل بين الشرق والغرب وكانت التجارة بين تركستان الشرقية والهند عديمة في ذلك الوقت الموغل في القدم ، وذلك أن طرف تيبت وسلسلة جبال بامير لم تكن فيها حكومة والذهاب إليها يمثل خطورة، وأما التجارة الداخلية بين تركستان الشرقية و تركستان الغربية فكانت سائدة وكذلك بين الجنوب والشمال، وكانت التجارة الداخلية تتوقف أو تتعثر بسبب المصادمات في الشمال ويتعذر مرور القوافل التجارية ويلقى التجارة خسارة كبيرة.

التشكيلات الإدارية:

كان نظام الإدارة لدى الحكام الجاغاتايين تقسم الشعوب التي يحكمونها على أربعة أصناف ويكلف كل صنف بنوع وظيمة معينة كما يلي:

١- تومن : عبارة عن مجموعة من الناس العوام الخاضعين لدفع الرسوم والضرائب المالية لخزانة الدولة مجموعهم يبلغ عشرة آلاف نفس تقريبا، وهذه المجموعة المتواجدة في ولاية أومقاطعة يدفع كل فرد منهم ضريبة مالية معلومة لخزينة الدولة سنويا، وكان لهم تومن بك (رئيس ألف نفس) يعينه ملك البلاد على أن يجمع تومن بك هذه الأموال ويدفعها لخزينة الملك.

٢- قوجين: تعني المجموعة المقيدون في ديوان التجنيد ، وكانوا معفيين من الضرائب، كما كانوا على استعداد تام في أي وقت لتجنيد الحكومة لهم في سلك الجيش، وأما استدعائهم وإرسالهم إلى جهة فما كن من اختصاص تومن بك في جنوب تركستان الشرقية أو رئيس القبيلة في شمال البلاد.

٣- أويماق: وهي في لهجة تركستان الشرقية آيماق تعني نبلاء البلاد وكان هؤلاء من النبلاء وأعيان البلاد ذوو الحسب والنسب والثراء، الذين لهم امتيازات على مستوى البلد أو القرية أو قبيلة أو سلالة،وهؤلاء معفوون من الضرائب، ولكنهم يجمعون الأموال من أتباعهم ويؤدونها إلى خزينة الملك أو نائبه في جباية هذه الأموال.

٤-أصحاب المناصب الشرعية: وهم من نظار الأوقاف والمدرسين والخطباء، معظم هؤلاء كانوا من أقارب الحكام وأصدقائهم ومن أبناء النبلاء الذين تقل فيهم الجدارة واللياقة، كما أنه كان بإمكان من ينال شهرة أو يتفوق ويبرز الحصول على هذه المناصب.

وكان هذه التشكيلات الإدارية خاصة ببلاد يحكمها الخان او الملك بنفسه مباشرة، وأما الخانيات ذاتية الحكم فلم تشملها النظام السابق ، فكانت الضرائب تجبى من المواطنين في هذه الخانيات المستقلة بواسطة تومن باشي بلك وهو بدوره يضعها في خزينة الدولة، أما الأصناف الثلاثة الباقية وجباية الضرائب منهم أو عدمها فكانت في اختيار الحكام المحيين، وكانت طبيعة التنظيمات الإدارية لهذه الأصناف الثلاثة تختلف في كل ولاية ذات استقلال داخلي.

الفصل الثالث

الموجز في تاريخ حكام دوغلات في المدن الستة..

في فصل استيلاء جنكيزخان على تركستان الشرقية ألمحنا لأول حاكم دوغلات وهو مانغلاي سويا كان دوغلاتا، وكان من قبيلة الأويغور وكان من أقرب المقربين لجنكيزخان، وأما القول الذي يقول إن دوغلات أو آل دوغلات قبيلة مغولية فرواية مغلوطة وغير لائقة بالرواية، بل إنه ظن فاحش، وإن مانغلاي سويا تولى الحكم في المدن الستة عام ٦١٥ هـ الموافق عام ١٢١٨م ، ودام هذا الحكم في أولاد مانغلاي سويا حتى عام ٩٢١ هـ .

(انظر الخريطة رقم ١٧) ومع الأسف ليس لدينا لالمعلومات الكافية في تاريخ دوغلات بعد وفاة مانغلاي سويا حتى عام ٧٠٠ هـ الموافق عام ١٣٠٠م العام الذي تولى فيه بايدار خان الحكم، لا ندري كم من خانات تولى الحكم وما هي وقائعهم، وكانت عاصمة حكام دوغلات مدينة كوجار ، وأما في عهودهم الوسطى والأخيرة فنقلوا عاصمتهم إلى مدينة كاشغر.

والذي اشتهر من حكام دوغلات بايدار خان في كتب التاريخ كلها، وكان في الأول تابعا لقايدو خان الذي عين من قبل أوكتاي خان لحكم تركستان الشرقية / ومنذ عام ٧٠٦ هـ الموافق عام ١٣٠٦م أعلن بايدر خان الحرب على جافار خان بن قايدو خان، بينما أعطى مساعدة كبيرة لدواي ججن خان من آل جاغاتاي خان ، وإن سقوط تركستان الشرقية

للمرة الثانية على يد جاغاتاي خان كان بسبب شجاعة بايدر خان وجهوده، ولأجل ذلك أعطى دواي ججن خان منطقة إسسيق كول ومنطقة يته سو مكافأة لبايدر خان، وبهذا توسعت دولة تركستان الشرقية على ضعفين من مساحتها السابقة، وكانت هذه التوسعة على حساب آل دوغلات في الشرق، ولا نعرف تاريخ وفاة بايدر خان، وقد خلفه ابنه تولك بك ولا ندري أيضا من خصوص تولك بك هذا.

وبعد تولك بك تولى فولاجي خان أمر البلاد ، وكان فولاجي خان أخا صغيرا لتولك بك خان، ومنذ اعتلاء فولاجي بك خان على أمر البلاد تفوقت اقتدار حكومة آل دوغلات من حيث القدرة وتفوق النفوذ ، وكان بيد حكومة فولاجي خان هذه تتويج خانات محافظات الدولة من آل جاغاتاي خان واغتيال خان آخر ، وكذلك أمور الحرب والصلح وغير ذلك كل الأمور العظيمة التي تحدد مصير ومستقبل تركستان الشرقية كان بأيديهم، وكان فولاجي خان يسعى لتجنب الصراعات وإراقة الدماء التي تقع في تركستان الغربية ومن ثم تشكيل دولة مستقلة جاغاتايية، ولذا كان تتويج إيسن بوغا خان ملكا على عرش البلاد عام ٧٣٠ هـ من سعي واجتهاد فولاجي خان هذا، وكان العامل الأساسي في تتويج توغلوق تيمور خان عام ٧٤٨ هـ الموافق عام ١٣٤٤م كان هو فولاجي خان، ثم تعيينه بمنصب أمير الأمراء وإسلامه عام ٧٥٢هـ ووفاته قد مر بيان كل ذلك عند الكلام على توغلوق تيمور خان، و تعيين ابنه خداواد خان في هذا المنصب بعد وفاة

فولاجي خان ووقائع قمرالدين بك سبق لنا بيانه، والجدير بالذكر أن الأسماء قمر الدين وشمس الدين وشيخ دولت ليست أسماؤهم الأصلية وإنما هي أسماء بالطريقة الإسلامية تسموا بها بعد إسلامهم.

وكان قمرالدين مخالفا على الذين يقولون إن تركستان الشرقية يجب أن تكون تحت حكم وسيادة أولاد جنكيزخان ويقول: قد ولى الزمان الأول ، والآن بدأ عهد جيج وأن تستقل البلاد بحكومة محلية مستقلة، ولذلك قام قمرالدين بك بانقلاب عام ٧٦٨هـ ضد إلياس خواجهوبسعيه وجهاده وحده استولى على جزء كبير من تركستان الشرقية إن لم تكن كلها، وذلك أن خداواد خان يثير الثورات ويقوم بانقلابات في الداخل ، بينما تيمور بك يقوم بهجمات شرسة آنا بعد آن من خارج البلاد ، ولذا لم يوفق قمرالدين بك في الاستيلاء على كل أجزاء تركستان الشرقية، ولكنه كافح وجاهد ودافع عن البلاد عن ذلك الفاتح القاهر الذي تيمور بك طيلة حياته وصار أكبر بطل في تاريخ تركستان الشرقية حيث لم تصل في عهده رجل من رجال تيمور بك إلى تركستان الشرقية، ونحن ذكرنا وقائعه في فصل خاص به، وكانت عاصمة قمرالدين بك مدينة كاشغر وكل مدن وولايات خوتان وياركند وأوج وإسسيق كول وضواحيها تقع في يد وحكم قمرالدين خان ، وكان أخوه شمس الدين خان حاكما في إسسيق كول وضواحيها، وكان أخوه الثاني شيخ دولت خان في يته سو، وكان خداواد خان الذي نال أمير الأمراء

من آل جاغاتاي. حاكما في ولاية كوجار وضواحيها ، ولم يكن في حياة قمرالدين بك نفوذ أو سلطة على آل دوغلات.

وفي عام ٧٩١ هـ الموافق عام ١٣٨٨م توفي قمرالدين خان ، وبعد وفاته منح خضر خواجه أوغلان لخداواد خان حاكمية المدن الستة، وبهذا توسعت رقعة حكم خداواد خان توسعا كبيرا، وبهذا أصبح خداواد خان أكبر حاكم في آل دوغلات وحصل على قدرة ونفوذ، وحافظ على تلك المناصب العالية حتى عام ٨٢٨ هـ الموافق عام ١٤٢٦م، ووقع أسيرا في يد أولوغ ميرزا خان ، وكان في تركستان

الغربية ثم أطلق سراحه فأراد أن يحج في عام ٨٣٠ هـ الموافق عام ١٤٢٧ م وأدي فريضة الحج ثم توفي في مكة المكرمةودفن فيها.

وبعد وفاة ٦٣٩٥٨٢*١خداواد خان انقسمت دولة آل دوغلات إلى قسمين: قسم عبارة عن أوج وكوجار وقاراشهر ونهرها العظيم كان يحكمها ابن خداواد خان الكبير محمد شاه خان، والقسم الثاني ولاية كاشغر وياركند وخوتان وضواحيها يحكمها سيد أحمد خان الابن الثاني لخداواد خان.

مع الأسف لم تكن لدينا معلومات عن وقائع هذين الملكين ولا عن تاريخ وفاتهما، وكانت والدته سيد أحمد خان نصل نسبها إلى السادة العلوية فحمل أولادها لقب السيد ومنهم أحمد خان هذا، ولو أننا لا نعلم تاريخ وفاة السيد أحمد خان هذا إلا أننا نؤكد أن حكمنه لم تدم أكثر من سنتين أو ثلاثة فقط، وبعد وفاة السيد أحمد خان خلفه ابنه السيد علي ميرزا حاكما على بلدان

كاشغر وخوتان وياركند، وفي الوقت نفسه ظهرت فتنة أويس خان في ولاية كوجار ، والفتنة هذه دامت لمدة تسع سنوات ، فالسيد علي ميرزا خان اغتنم هذه الفرصة وقام بالزحف على ولايات كوجار وقاراشهر وأوج وهزم عمه محمد شاه خان واستولى على كل تلك الولايات فأصبح ملكا على منطقة تركستان الشرقية بالكامل، واتخذ مدينة كاشغر عاصمة لدولة آل دوغلات ولقب نفسه بأمير كبير وأسس في المدن الستة دولة مستقلة.

وفي عهد أمير كبير السيد علي ميرزا خان حصلت المدن الستة كامل حصتها من الأمن والازدهار والتمدن وتفوقت في العلوم ولاجتماع ووصلت إلى القمة، وفي عهده ايضا بنيت المدارس والجوامع برزت في كاشغر وخوتان وأوج وولايات كوجار عمارات وطرق واسعة وبساتين غناء، وحفرت أنهر اصطناعية في شتى بقاع البلاد لري الأراضي الزراعية وكثرت الأراضي المنبتة ذات حاصلات زراعية كبيرة، وبالخلاصة: ازدهرت البلاد وعاشت عهدا جديدا ذاخرا بالعطاء والنماء ، وفي عهد السيد أمير كبير علي خان هذا ازدهرت مدينة كاشغر حيث أنه أدخل المدينة بين فرعين من نهرها العظيم من غربها وشرقها، وكان هذا الفرع من بناء السيد أمير كبير علي لتزين المدينة بجمال أخاذ حتى أصبحت مدينة كاشغر عروسة المدن في الشرق الإسلامي جمالا وعظمة.

وفي عام ٨٤٨ هـ الموافق عام م توفي السيد أمير كبير علي ميرزا خان ، وفي شجرة في كتاب(دول إسلامية) ذكر أن تاريخ وفاته عام ٨٦٢ هـ الموافق عام ١٤٥٧م، ولعله سهو.

وكان لسيد أمير كبير علي ميرزا خان ابنان كبيرهما سانسيز ميرزا وصغيرهما محمد حيدر ميرزا، خلفه ابنه الكبير سانسيز ميرزا ملكا على البلاد وتقلد لقب أمير كبير ، ولا ندري مدة احتفاظه بحكم البلاد أو أنه انقاد لأويس خا، ولكن المؤكد أن المدن الستة لم تتجزأ مدة حياته وكانت تحت حكمه وسيادته، وحكم أمير كبير سانسيز ميرزا البلاد سبع سنوات كاملة وتوفي عام ٨٥٥ هـ الموافق عام ١٤٥١م، وأما ما ذكره كتاب (دول إسلامية) من أنه عام ٨٦٩ هـ الموافق عام ١٤٦٤م فخطأ، وكان لسانسيز ميرزا ابنان توءمان وكانوا عند وفاة أبيهما في عشر سنوات من عمرهما فكانا قاصرين، ولذا خلفه أخوه محمد حيدر ملكا على البلاد ، وعلى الطريقة الموروثة في تقاليد الأتراك تزوج محمد حيدر ميرزا من أرملة أخيه أم أبي بكر ميرزا وعمر ميرزا.

وكان محمد حيدر ميرزا شخصية ضعيفة يميل إلى التصوف وكان رجلا خاملا لا يعرف شيئا عن الأمور العسكرية والإدارية، فاغتنم متربصه إيسن بوغا خان عدم لياقته للحكم والإدارة فبسط بشكل أو آخر نفوذه على المدن الستة بشكل منتظم ومؤكد، وترك أو فصل الإداريين في حكم البلاد وجاء مكانهم بإداريين مغول في منصب تومن بك وغيرها من المناصب،وفي عام

٨٦٦ هـ الموافق عام ١٤٥٩م نزع كلا من أوج وكوجار من محمد حيدر ميرزا وجعل حكمها لابنه دوست محمد خان الذي كان واليا على ولاية طرفان، وبعد هذا جعل إيسن بوغا خان محمد حيدر ميرزا تابعا لدوست محمد خان .

وكان دوست محمد خان يتظاهر بجولة السياحة ويرصد طيلة إقامته في مدينة كاشغر الشئون الإدارية والعسكرية في المدينة ، وشيئا فشيئا يغير كوادر افدارة ويعين شخصيات مغولية محل الإداريين المحليين ، وكان يفعل نفس الشيء في ولايات خوتان ويارطند ، وبمرور الوقت أصبحت الولايات الثلاث ولاية خاصة لسيادة دوست محمد خان ، وبالتأكيد أصبحت البلاد تحت نفوذ آل دوغلات كمدينة واحدة.

وكانت المدن الستة منذ عهد السيد علي ميرزا خان في عيشة راضية وعدل وسلام ، غير أنها في عهد دوست محمد خان أصبحت تحت جبروت المغول وبطشهم واستبدادهم.

وفيما بين عامي ٨٦٠-٨٧١ هـ الموافق عاي ١٤٥٥-١٤٦٦م قامت بينإيسن بوغا خان وبين يونس خان نزاعات وصدامات حربية ، وبهذه المناسبة طغى الإطاريون وتومن بك من المغول على الأهالي وبلغ ظلمهم ذروتها بشكل إضرام النار والسلب والنهب في المجتمع ، وخسرت الأمة في المدن الستة خسارة فادحة ، ولكن محمد حيدر ميرزا ما كان يحرك ساكنا حيال هذه المظالم، غير أن ابنه غير الصلب وابن أخيه أبا بكر ميرزا حاول جاهدا لإيجاد

وسيلة لإنقاذ الشعب من هذا الظلم، ولم تكن هذه الوسلة إلا الهمة والتضحية.

السلطان أبو بكر ميرزا دوغلات يؤسس دولة مستقلة في المدن الستة..

كان الأمير أبو بكر ميرزا في تربية زوج أمه وعمه حيدر ميرزا خان من أيام طفولته وهو قاصر، وكان أميرا ذكيا منذ صغره وله همة عالية، ولما كبر زاد خلقه الفاضلة وسخاؤه وأصبح فتى مثاليا للغاية، وبواسطة هذه الخلق الحسنة والأدب الرفيع والجود أخذ إلى جانبه صفوة من الشباب أترابه وضمن طاعتهم له، وكان صاحب فضل عليهم لكونه أميرا ، وقد وصف أخلاقه الفاضلة في شبابه خصمه وابن اخيه حيدر ميرزا كورجان في كتابه تاريخ رشيدي في صفحة رقم ٤١٧ حيث وصفه وصفا مفصلا. وعندما وصل دوست محمد خان إلى كاشغر تعجب من أخلاقه الفاضلة وهمته العالية فأحبه وأخذه معه إلى طرفان،ومكث أبوبكر ميرزا عند دوست محمد خان سنتين أو ثلاثة وزوجه دوست محمد خان من أخته ثم أذن له بالذهاب إلى مدينة كاشغر بصحبة زوجته.

وكان الأمير ابو بكر ميرزا طيلة إقامته في طرفان يفكر في خلاص الأهالي من ظلم واستبداد المغول ، ولأجل أن يجمع لنفسه نفرا ممن يوافقه في فكرته ويبارك قصده وهدفه عاد من مدينة طرفان إلى كاشغر وسعى فيها حثيثا لهذه الفكرةوجمع لنفسه بعض الشباب المتحمسين في الفمرة ، ولكن زوج أمه

وعمه محمد حيدر ميرزا كان يخالف الخيار العسكري فلم يتمكن من فعل شيء في مدينة كاشغر فذهب إلى مدينة ياركند ولم تكن فيها فوة تقاومه فاحتل المدينة وجمع لنفسه في مدينة ياركندرجالا متحمسين في الأمر ، وكانت مدينة ياركند ىنذاك عبارة عن قصبة صغيرة وقد تهدمت العمران والبيوت، فكافح وناضل لأجل فكرته وغايته كفاحا مريرا جتى جمع آلافا من الرجال المعجبين به ودربهم تدريبا عسكريا، وكان في مدينة كاشغر كثرة من المغول الإداريين والعسكريين، ولكن أبو بكر ميرزا قد أخذ لنفسه شكل الاستقلال، وعندما غضب منه عمه وزوج أمه محمد حيدر ميرزا جهز جيشا كبيرا ليقضي به على أبي بكر ميرزا في ياركند، وتقدم محمد ميرزا قاصدا مدينة ياركند فدافع أبو بكر ميرزا برجاله الأشاوس عن المدينة ، وقبل وصول محمد حيدر ميرزا ورجاله البالغ عددهم ثلاثون ألف فارس .مدينة ياركند قام أبو بكر ميرزا بالاستعداد اللازم وأقام في الطريق كمائن كثيرة وبدأ يضرب مقدمة محمد حيدر ميرزا بهجمات شبه منتظمة مما كبده خسائر فادحة، وبعد حروب عديدة تمكن من هزيمة قوات محمد حيدر ميرزا فرجع محمد حيدر ميرزا قلقا إلى مدينة كاشغر. وبعد هذه الأحداث استولى أبو بكر ميرزا على مدينة خوتان وزادت قواته زيادة كبيرة، ثم بنى أبو بكر ميرزا مدينة ياركند من جديد وينى حولها الأسوار العريضة فأصبحت المدينة قلعة عسكرية حصينة ، وإن السور المقامة حول المدينة القديمة حاليا هو الذي بناه لأبو بكر ميرزا ، وكانت القصور والحدائق والعمارات التي بناها أبو بكر ميرزا في مدينة ياركند

غاية في العظمة والأبهة والجمال، ذكر ذلك حيدر ميرزا كورجان في كتابه تاريخ رشيدي بالتفصيل.

وكان أبو بكر ميرزا عمل شيئا كثيرا في ولايتي خوتان وياركند للإصلاح الداخلي ورفاهية الشعب وبهجتهم وسرورهم منها القانون الذي أصدره وألزم كل مأمور بالعمل طبقا لهذا القانون، ومن جهة أخرى ولأجل صد هجمات السلطان يونس خان ومحمد حيدر ميرزا جند شبانا كثيرين من ولاية خوتان وياركند ودربهم تدريبا عسكريا وجهزهم تجهيزا كاملا، وكانوا على استعداد تام ودائم لصد أي عدوان غاشم على البلاد.

وباستقلال أبي بكر ميرزا في ولايتي خوتان وياركند تأثرت تجارة الهالي مع المدن المجاورة وتوقفت مردودها عن الناس، ولمعالجة هذا الأمر قرر أبو بكر ميرزا في فتح آفاق تعوض خسارة الناس ، وكان قراره منطقة تيبت (لاداخ وبالتستان)، وفي عام ٨٧٧ هـ الموافق عام ١٤٧٢م جهز جيشا كبيرا وأرسله إلى جهة لاداخ التيبت من طريق قصبة لاداخ وفتح هذا الجيش كلا من مناطق نوبرا ومار يول (هي الآن منطقة لاداخ) وبالتستان حتى وصل إلى حدود كشمير، وكانت المنطقة في ذلك الوقت محكومة من قبل السلطان زين العابدين خان الذي يدعي أن بالتستان كانت تحت سيادته فحارب السلطان قوات أبي بكر ميرزا، ولكن جنود ابي بكر ميرزا دافع عن بالتستان وتصادممع قوات السلطان زين العابدين خان وهزمها شر هزيمة ثم طاردها حتى وصل إلى ضواحي مدينة سرنجار ، وعندها تحرك السلطان زين العابدين بجنود

كثيرة إلى سرينجار وحدث قتال شديد وتغلبت قوات السلطان على قوات الأتراك وطاردتهم حتى مدينة بالتستان، وأما نوبرا ومار يول في منطقة لاداخ فكانت تحت حكم أبي بكر ميرزا حتى وفاته، وبفتح طريق لاداخ سهلت التجارة بيننا وبين الهند واستفاد تجار تركستان الشرقية من هذا الطريق ولا سيما تجار خوتان وياركند.

وكان النشاط التجاري بين الأتراك والهند رابحة جدا، واستفاد الناس من التجارة وترددهم ذهابا وإيابا من وإلى ولايتي ياركند وخوتان وحتى الآن، وازدهرت منفعة الناس الاقتصادية التي لم تر منذ زمن نشاطا اقتصاديا مثل هذا وزادت تقدم البلاد ودامت مدة كبيرة.

كما فلنا ووضحنا سابقا وفي عام ٨٧٩ هـ الموافق عام ١٤٧٤م قام كل من سلطان يونس خان ومحمد حيدر ميرزا بهجوم عسكري قوامه خمسون ألف مقاتل إلى أبي بكر ميرزا ، ولكن هذه القوة الكبيرة انهزمت امام دفاع أبي بكر ميرزا وعادا إلى بلادهما، ثم ترك محمد حيدر ميرزا مدينة بل ولاية كاشغر بعد ان هدمها وخربها وفر هاربا من البلاد.

وكان أبو بكر ميرزا طارده حتى مدينة كاشغر واستولى على المدينة دون قتال ، وكانت مدينة كاشغر في الشرق الشمالي من نهر تومن تركها انقاضا وبنى المدينة في الضفة الغربية من النهر وأحاط المدينة بسور سميك من جميع جوانبها، إن السور المقام الآن حول مدينة كاشغر هو الذي بناه أبو بكر ميرزا ،وبعد استيلاء أبو بكر ميرزا على مدينة كاشغر منح لنفسه لقب السلطان

جريا على عادات الملوك في زمانه، وبعد هذا اطمأن السلطان أبو بكر ميرزا من هجمات السلطان يونس خان ، وكما قلنا سابقا إن السلطان يونس خان كان مضطرا على عدم تجزئة جنوده وبالتالي البقاء في منطقة الشمال دون تحرك.

وفي عام ٨٨١ هـ الموافق عام ١٤٧٦م قام السلطان أبو بكر ميرزا بإرسال جيش على ناحية بدخشان عن طريق تاغدوم باش (سريق قول) واحتل الجيش منطقة سريغ جوبان وهي واخان الان ، ومن ثم تحرك إلى بدخشان وأخضع الحكام المحليين في هذه المنطقة على قبول تبعيتهم للسلطان ودفع إتاوات سنوية بمقدار محدد، وبقي حكومة بدخشان تابعا للسلطان أبي بكر ميرزا حتى عام ٩١٠ هـ الموافق عام ١٥٠٤م، وفي العام نفسه دخلت بدخشان في تبعية الملك بابر بادشاه.

وفي عام ٨٨١ هـ الموافق عام ١٤٩٤م سمع السلطان أبو بكر ميرزا أن بابر بادشاه في الثانية عشر من عمره صار حاكما لعموم فرغانة أراد أن يغزو فرغانة ووصلت جيوشه إلى مدينة اوزكند وحاصرها، ولكن بابر بادشاه كان معه قوة لا بأس بها فقاوم بابر ميرزا السلطان مقاومة شديدةفنتهى المر إلى صلح بين الجانبين فعاد السلطان ابو بكر ميرزا إلى بلاده كاشغر، وفي عام ٩٠٥ هـ الموافق عام ١٤٩٩م حسب ما قلنا سابقا قام أحمد آلاجي خان بالهجوم على ولاية كاشغر ولكنه انهزم وعاد إلى بلاده طرفان، فتعقبه السلطان أبو بكر ميرزا واحتل مدينة أوج (آقسو الحالية)، ثم تقدم إلى منطقة باي

واحتلها هي الأخرى وبنى على الطريق المؤدي إلى باي في الجنوب والشضمال قلاعا حصينة واستحكامات عسكرية عظيمة، وفي شعاب جبال خانتغري الشمالية بنى كذلك طرقا جبليةوعليها قلاع وحصون حربية متشابكة واستحكامات عسكرية، وجعل في تلك الحصون والقلاع عدد كافيا من الجنود من قبل السلطان أبي بكر ميرزا ، وبهذه الصورة اطمأن السلطان عن غزو آلاجي خان والسلطان محمود خان.

وفي عام ٩٠٩ هـ الموافق عام ١٥٠٣م قام كل من آلاجي خان و السلطان محمود خان بتحريض أهالي أوج على الثورة على حكم أبي بكر ميرزا ، وقام الأهالي بالثورة وقتلوا حاكم ولاية أوج والجنود الموجودين فيها من جنود أبي بكر ميرزا، وكذلك وقعت أحداث مفجعة تضر بالأمن ، وبعد وفاة آلاجي خان وعودة السلطان محمود خان إلى الشمال عاد السلطان أبو بكر ميرزا إلى اوج واحتلها، ولأجل تأديب الأهالي المخدوعين أجبر أكثرهم على الانتقال من أوج إلى مدن كاشغر وياركند وخوتان.

وبعد استشهاد السلطان محمود خان وهروب سعيد خان من الساحةبقيت المناطق الشمالية دون حكومة ولا سلطة ولا جنود، وجاءت قبائل القازاق من مرتفعات سيبريا ومعهم قبائل الأوزبك ومن الشمال قبائل القيرغيز جاءوا واستوطنوا على ضفاف بحيرة إسسيق كول، منهم القرغيز بالذات استوطنوا بالجنوب من إسسيق كول، وشكلوا عصابات للنهب والسلب في المراعي الموجودة في شمال مدينة كاشغر وأوج وأوقعوا بأهالي هذه المراعي خسائر

فادحة، فأرسل إليها السلطان أبو بكر ميرزا جنودا مرة بعد مرة وقهرهم الجنود هذه قبائل القيرغيز وطردهم من تلكم المراعي، وهؤلاء الهاربون من قبائل القيرغيز ذهبوا إلى الشرق وطلبوا من الأمير منصور خان أرضا يعيشون عليها فأعطاهم منصور خان مناطق الجبال في كل من كوجار ومنطقة إيلي، وبهذه الصورة أصبح معظم أجزاء تركستان الشرقية تابعةللسلطان أبو بكر ميرزا، منها الغرب والجنوب من ضفاف بحيرة إسسيق كول وفي الغرب وادي فرغانة ، كل هذه المساحة الرحبة له أيضا.

وفي عام ٩١٦ هـ الموافق عام ١٥١٦م قتل محمد شيباني خان في يد إسماعيل الصفوي (شاه إيران) في مدينة مرو، بهذا السبب تشتت جموع قبائل الأوزبك ، فاغتنم أبو بكر ميرزا هذه الفرصة وقام بغزو فرغانة وساق جيوشه عن طريق آتباشي ووصل بجيوشه إلى مدينة أوزكند، وفي أطراف المدينة تقابل مع جاني بك خان الأوزبك وتغلب عليه واحتل أوزكند، ثم تقدم قاصدا أوش واحتلها هي الأخرى، وفي هذه الفترة من الزمن قام المتطرفون من آل جاغاتاي وكورجان وتغلبوا على جاني بك خان وطردوه من الفرغانة، ومن جهة أخرى قام بابر ميرزا شاه بالهجوم على بخارى وأرسل سعيد خان بن آلاجي خان بجنود كثيفة إلى مساعدة أهل فرغانة ، فقام سعيد خان بجمع أهل فرغانة الثوريين وكون منهم قوة وجاء بهم إلى مدينة أنديجان، وكان هذا التحرك من سعيد خان في فرغانة عائقا جديدا في خطة استيلاء السلطان أبو بكر ميرزا على وادي فرغانة فضلا من محمد شيباني خان ، ولكنه عزم نزع

فرغانة من يد سعيد خان وتقدم بجيوشه عليها، وفي ظاهر مدينة أنديجان في قصبة توتلوق في الشرق منها دارت معركة حامية الوطيس، وبعد عدة معارك قام بعض قواد السلطان أبو بكر ميرزا بخيانته فتمكن سعيد خان من أسر أربعة أو خمسة آلاف من قوات السلطان أبو بكر ميرزا وقتل معظمهم ، وبهذا تفرقت قوات السلطان ومني بهزيمة منكرة فرجع إلى مدينة ياركند عام ٩١٧ هـ الموافق عام ١٠١٧م.

اختلال عقل السلطان أبو بكر ميرزا...

ومنذ أن انهزم السلطان أبو بكر ميرزا في حرب توتلوق وعاد منها إلى ياركند بعد الهزيمة اختل عقله وعتلت طبيعته وارتكب كثيرا من الظلم وسفك الدماء في صفوة من رجاله الموثوقين والمخلصين فيه ومن أقرب الناس إليه ظانا أنهم يغدرون به يخونونه ويقصدون به السوء، وكان يعذبهم عذابا قاسياويقتلهم واحدا بعد آخر ، وكذلك أولادهم وأقاربهم يقتلهم ويصادر أموالهم ، وقد قتل ابن أخته خان سلطان خانم بالتجويع، وقتل أخاه محمد شاه بتسميره من الصدر على الحائط، وعند إيابه من محاربة توتلوق أجرى القتل العام على أهالي مدينة أوزكند باتهامهم بإضمار السوء عليه، وبهذا القتل العام مات أكثر من ثلاثة آلاف مسلم، وفي مدينة ياركند قتل اثنان من أبنائه باتهامهما بسوء النية عليه، وفي المراعي التي بين كاشغر وفرغانة أباد جميع أهاليها باتهامهم بانحياز إلى سعيدخان، وكذلك جرد كلا من مير ولي بك أكبر قواده وأمين خزانته شاهدانة كوكلداش باتهامهما بالتخابر مع الأعداء في حرب توتلوق

بسبب وشاية فجردهم من أملاكهم ، وبهذه الصورة وبشكل جنوني فاضح والظلم الفاحش قل في جانبه رجال الدولة المخلصين كما ابتعد الشعب عنه، فضعف إلى درجة أنه لا يستطيع الوقوف في وجه أي عدو يهاجمه.

انهيار دولة دوغلات في تركستان الشرقية...

عندما استولى السلطان سعيد خان على وادي فرغانة جلس حاكما ثلاث سنوات فقط حيث تغلب عليه الأوزبك في عام ٩٢٠ هـ الموافق عام ١٥١٤م فترك فرغانة وانتقل منها إلى بحيرة إسسيق كول من الجنوب ، وكان يفكر أن تكون المناطق الشمالية من تركستان الشرقية مكانا آمنا له ويمضي بقية عمره فيها، وكان مع السلطان سعيد خان كل من السيد محمد ميرزا ابن محمد حيدر ميرزا حاكم مدينة كاشغر سابقا والذي هرب من أبي بكر ميرزا وحفيد محمد حيدر ميرزا السيد حيدر ميرزا (مؤلف تاريخ رشيدي)، وكان هؤلاء من كبار رجال السلطان سعيد خان، وكانوا يأملون دائما الانتقام من السلطان أبي بكر ميرزا لهزيمته لهم في الماضي، وبهذا السبب حرضوا السلطان سعيد خان على الهجوم على المدن الستة في تركستان الشرقية،وكانوا يعلمون اختلال عقل السلطان أبي بكر ميرزا وضعف قوته العسكرية وفقدانه رجال الحرب والإدارة الأكفاء، وتآكل أسس دولته، وكانت هذه الأحوال تعطي لسعيد خان الأمل والحماس في غزو المدن الستة ، وأخيرا وفي أول عام ٩٢١ هـ الموافق عام ١٥١٥م قرر السلطان سعيد خان الزحف إلى ولاية كاشغرعن طريق آتباشي (مدينة بالشمال من آرتوج)، وعندما بلغ الخبر إلى

السلطان أبي بكر ميرزا تحرك من مدينة ياركند قاصدا مدينة كاشغر واستحكم سور المدينة وأمن الجنود بأرزاقهم بكمية كبيرة وجعل قيادة جيشه ليوسف بك ومير ولي بك وشاهدانة كوكلداش ، وكان عدد الجيش ألف فارس وأربعة عشر ألف رجالة، ثم أتى إلى ينكحصار واستحكم سورها وجعل فيها جنودا كافية وجعل قيادتها إلى أمين دورغا وابنه لعل بك وأوصاهم بالدفاع عن المدينة ، ثم عاد إلى ياركند وبدأ فيها أيضا بجمع مقاتلين، ومن جهة ثانية أتى السلطان سعيد خان إلى بلدة آرتوج وجلس فيها أياما عدة وجمع منها أربعة آلاف جندي وأكثر ، وأضافه إلى قواته الأصلية ثم زحف إلى مدينة كاشغر بعد احتلاله بلدة آرتوج وقاتله جنود أبو بكر ميرزا في تل أوج بورخان[1] ودارت فيها معركة دامية وأخيرا تغلب السلطان سعيد خان على جنود أبو بكر ميرزا وهربوا من ميدان المعركة، فتقدم السلطان سعيد خان إلى مدينة كاشغر واجتاز نهر تومن ونزل في بستان ساغانتوق ، وكانت مصيف السلطان أبي بكر ميرزا ، والحال هذه تقدم يوسف بك من مدينة كاشغر بجنوده وصارت معركة حامية بين الطرفين وكان دفاع يوسف بك شديدا جدا فتغلب على السلطان سعيد خان وهرب الأخير إلى بلدة توقوزاق ومكث فيها يومين أو ثلاثة حيث هجم على ينكحصار ، ولكن حاميها دورغا ولعل بك دافعا عن المدينة دفاع المستميت وكانوا محاصرين في مدينة ينكحصار ودام

---

[1]- أوج بورخان : تعني المعابد البوذية الثلاثة، وهي أطلال معبد قديم، يسميها الشعب الآن أوج مروان.

حصار المدينة شهرين وزيادة ، وكان دفاع أمين دورغا شديدا جدا إلا أنهم كانوا محاصرين ولم تصلهم الإمدادات لا من ياركند ولا من كاشغر.

ومن جهة ثانية كانت قوات سعيد خان في ازدياد يوما بعد يوم الأمر الذي زاد من آمال السلطان سعيد خان حيث قوى الحصار المضروب على ينكحصار بتغيير مجرى الأنهر حول المدينة حيث صبها إلى داخل المدينة فتصدعات سور المدينة وأخذت شروخا هائلة من هنا وهناك فحصل السلطان سعيد خان على فجوات كبيرة يمكن العبور منها إلى داخل المدينة فأجبر أمين دورغا على الاستسلام، وفي غرة شهر رجب من هذه السنة احتل السلطان سعيد خان مدينة ينكحصار بينما كان السلطان أبو بكر ميرزا في هذه الفترة مشغولا بجمع جنود من ياركند وخوتان تأهبا للحرب ، ولكن الجنود الذين يجمعهم السلطان ماكانوا مؤهلين للحرب، وإنما كانوا من الفلاحين والحرفيين، ولم يكن عنده قواد مهرة يدربهم وكذلك التوقيت أيضا كانت حرجة ، وعلى كل فقد خرج السلطان أبو بكر ميرزا بجنوده هذه قاصدا ينكحصار وكاشغر، ولكن في اليوم هذا بلغه الخبر بأن السلطان سعيد خان قد احتل مدينة ينكحصار، وهذا الخبر المؤسف ضرب ضربة قاضية في معنويات الجنود وأشاع فيهم الرعب والخوف على مصيرهم، وبالتالي كان الخبر مؤلما للسلطان أبي بكر ميرزا نفسه وأصابه بيأس كبير فعاد بجنوده إلى مدينة ياركند، ومن جهة السلطان سعيد خان علم هو الآخر بوضع السلطان أبو بكر ميرزا من الناحية العسكرية والنفسية ، ففي منتصف شهر رجب المذكور تحرك من ينكحصار

قاصدا مدينة كاشغر، وكانت المدينة في شبه حصار عسكري ومن الداخل يقاوم القادة يوسف بك وشاهدانة كوكلداش ، وكانت الحصار دامت أربعة أشهر وزيادة وضاق الهالي بهذا الحصار ، ومن جهة أخرى سقوط ينكحصار ورجوع السلطان أبو بكر ميرزا من الطريق إلى ياركند وغيرها من الأحداث المؤلمة أجبر القادة المذكورين إلى تسليم مدينة كاشغر للسلطان سعيد خان، وقد وجد تفرق في صفوف جنود السلطان أبو بكر ميرزا في مدينة ياركند نفسها، وكان تسليم كاشغر لسعيد خان بطريقة سلمية دون قتال.

وأما السلطان سعيد خان فبعد سيطرته على مدينة كاشغر اتجه إلى مدينة ياركند فورا، وعندما سمع السلطان أبو بكر ميرزا زحف سعيد خان ترك السلطنة لابنه جهانكير ميرزا وأجلسه في عرشه نيابة عنه وفوض إليه أمر الجنود وكل شيء في الدولة وأخذ هو معه بعض الجنود والأموال ورحل إلى منطقة خوتان، واستعد جهانكير ميرزا لقتال سعيد خان في حالة قدومه إلى ياركند، ولكن باقتراب سعيد خان

إلى ياركند ثار الأهالي وأحدثوا هيجان فأضعف روح الدفاع لدى الناس، فقام جهانكير ميرزا بأخذ ما يمكن أخذه من الخزينة ومخازن الأرزاق وترك الباقي للناس ينتهبون ما فيها وأخذ جنوده واتجه إلى بلدة سانجو واختار فيها منطقة جبلية منيعة واستقر فيها هو وجنوده، وأتى سعيد خانإلى مدينة ياركند ودخلها دون قتال ، وفي الحال قام يأمر ثمانية من قواده وهم دايم علي بك وبك محمد وقارا قولاق ميزا وحاجي ميرزا وسلطان علي ميرزا ونظر ميرزا

وقنبر ميرزا وعلي تاغاي أمرهم بأن يلحقوا السلطان أبو بكر ميرزا في منطقة خوتان، ومنذ أن وصضلوا هم إلى القرب من منطقةخوتان ترك السلطان أبو بكر ميرزا منطقة خوتان وهرب إلى جبال قارانغو تاغ فأراد القواد أن يبقى علي بك وبك محمد بجنودهما ويذهب الستة الباقون إلى جبال قارانغو تاغ، وعندما سمع السلطان أبو بكر ميرزا هذا الخبر سكب كل مدخراته من الذهب والجواهر من على جسر كولا كوبروك، وكانت في أكثر من ثلاثين خرجا من الذهب والفضة والجواهر، وأخذ بدلا عنها الحبوب والرزقا المتنوعة وأخذ معه رجاله المخلصين وهرب إلى منطقة تيبت، وتمثل السلطان أبو بكر ميرزا في محنته هذه القول المأثور: " القمح والشعير طعم، الؤلؤ والمرجان حجارة" وعندما وصل السلطان إلى تيبت كثر أعداؤه من عدة جهات فصعب عليه المكوث في تيبت كما صعب عليه العبور إلى الهند من هناك، فقرر السلطان أبو بكر ميرزا العودة إلى ياركند وقال في نفسه:"مهما كلفني الأمر أعود إلى ياركند وأسلم نفسي لسعيد خان هناك، وتحرك من تيبت إلى ياركند فبلغ الخبر إلى سعيد خان فرحب به وأرسل إليه هيئة لاستقباله في الطريق ، وأما سيد محمد ميرزا فأراد أن يرسل أشخاصا باسمه لاستقبال أبي بكر ميرزا من حيث أنه أخوه من أمه فاستأذن لذلك من سعيد خان فأذن له واختار له عددا من رجاله وضمهم في هيئة الاستقبال من طرف سعيد خان، ومن الاحتمالات القوية أن يكون سيد محمد ميرزا أوصى وأوعز لرجاله بقتل السلطان أبي بكر ميرزا سرا في أقرب فرصة، فذهبوا إلى مقدم السلطان أبي بكر ميرزا

واستقبلوه بالرحب والسعة وأعطوه خطاب الأمان من طرف السلطان سعيد خان فاطمأن به أبو بكر ميرزا وسر كثيرا به كثيرا وشكره ، وتحركت موكب السلطان أبو بكر ميرزا برفقة الهيئة، وفي أحد الليالي كان السلطان أبو بكر ميرزا وحاشيته نائمين في خيمتهم فدخل رجال السيد محمد ميرزا فذبحوه فاستشهد، كان هذا الحادث عام ٩٢١ هـ الموافق عام ١٥١٥م.

وبهذه الصورة انتهت دولة آل دوغلات في تركستان الشرقية ، وكان الأمير جهانكير ميرزا ابن السلطان أبو بكر ميرزا في منطقة سانجو ببعض قواته يتأهب للقتال، ولكن السلطان سعيد خان أرسل مبعوثا إليه يطلب الاستسلام، وكان السلطان سعيد خان له صلة قرابة مع الأمير جهانكير ميرزا من جهة الأم، فضلا عن ذلك كانت أخت السلطان سعيد خان في نكاحه ، وثقة منه لهذه القرابة استسلم جهانكير ميرزا لسعيد خان فرحب به الأخير واعزه وعامله معاملة طيبة، وفيما بعد أصبح من أقرب المقربين لسعيد خان وحصل على بعض التنفوذ، ولكن بعد مدة قتل على يد مجهول، وهناك شكوك حول تورط السيد محمد ميرزا في عملية القتل هذه، وكان بقي للسلطان أبو بكر ميرزا ابنان على قيد الحياة الأول تورانجير ميرزا، أشيع انه غرق في النهر، وفي الحقيقة قتله رجال السيد محمد ميرزا، والثاني باستانجير ميرزا رأى كل هذه الحوادث المؤلمة فهرب إلى طاشكند ولجأ إلى كنف سيونجك خان الأوزبكي.

التشكيلات الإدارية لسلطان أبي بكر ميرزا..

بالرغم أن السلطان أبو بكر ميرزا ينتمي إلى آل جاغاتاي إلا انه يختلف عنها في التنظيم الإداري حيث كان تنظيمه في غاية الإتقان بدءا من الإدارة التنظيمية للشئون العدلية فكانت تعتمد على فتاوى علماء الدين، وفي الشئون الإدارية عموما أصدر السلطان أبو بكر ميرزا قوانين غجرائية في صور منسقة، وعلى من لا يراعي هذه القوانين عقوبات صارمة حسب النظم واللوائح التفسيرية، ولكل دائرة كوادر عملية يواظب عليها قانونيا، وبالخلاصة كانت الشئون الإدارية على مسئولية الإداريين أمام الملك، بما يشبه الآن في الشئون الإدارية ومسئولية ذلك على المدراء ورؤساء الأقسام أمام مركز الدولة، وأما الإداريون والحكام في المدن والقرى فلا يتدخل العسكريون في شئون الناس العوام أو في إدارة الأمور في تلك المدن والقرى والأرياف، ولعدم تدخلهم كان الناس في غاية الراحة والطمأنينة في حياهم العامة والخاصة ، وكانت الدولة توجد عملا مناسبا لكل سجين وأسير، وكان إعاشتهم ترتب من قبل خزينة الدولة، وكان الرجال يشغل في التعمير والصناعة الثقيلة وفي المعادن وحفريات المدن القديمة والبائدة، أما النساء المجرمات أو الأسيرات فكانت يشغلن في الأعمال التي تناسب المرأة من الحياكة والغزل والنسيج، وفي الحفريات التي أجراها السلطان أبو بكر ميرزا اكتشف أطلال مدينة اسمها

قريق ووجد كمية كبيرة جدا من الذهب والجواهر، وحفر أنقاض مدينة قديمة في خوتان وحصل على خزائن فيها كميات هائلة من الثروة والدفائن، ونحن نذكر قسما من بين هذه الخزائن مما يزين صفحة التاريخ ، وهذا القسم ذكره حيدر ميرزا مؤلف تاريخ رشيدي حيث ذكر أنه رآها بعينه فقال: "اكتشفوا وحصلوا من بين هذه

الأنقاض الخربة ٢٧ زيرا كبيرة من الخزف، ومن حيث كبر حجمها إذا دخل فيها رجل لا يظهر منها رأسه ، وفي كل زير منها إبريق كبير من البرونز بمقدار ذراع ونصف الذراع طولا وكلها كانت مليئة بالذهب الخام، وجوانب الإبريق من الخارج ممتلئة حتى فتحة الزير بسبائك الفضة التي تزن الواحدة منها خمسمائة مثقال، وعلى كل إبريق كتبت عبارة :" لزواج ابن قومار خاتون" ولا ندري من هي قومار خاتون وفي أي فترة عاشت، وقد احتفظ بهذه الثروة كلها السلطان أبو بكر ميرزا في خزانة الدولة في مدينة ياركند ، ونتيجة لهجوم سعيد خان على ياركند فقدت كلها".

وكان السلطان أبو بكر ميرزا يهتم بالزراعة والمزارعين اهتماما كبيرا ، ومن حيث البناء والعمران ذكر حيدر ميرزا دوغلات في كتابه تاريخ رشيد أن السلطان أبو بكر ميرزا بنى أكثر من اثنتا عشرة ألف عمارة وبستان، وكانت أكثرها في مدينة ياركند، وحفر العديد من الأنهار الصناعية والجداول لري الأراضي الزراعية في البلاد، وإن أسوار كل من مدينة كاشغر وياركند القديمة التي بقيت إلى يومنا هذا من آثار هذا الرجل، وقد ذكر السيد حيدر دوغلات

مساحة هذه المدن وارتفاع السور وسمكه، وكذلك قصر أرجي في مدينة ياركند التي بنيت على مساحة كبيرة تبلغ مائة دونم.

وكان السلطان أبو بكر ميرزا يحتاط كثيرا على الثغور لأمن البلاد، خصوصاً إذا دخل البلاد شخصيات ينتمي إلى آل جاغاتاي وآل كورجان الذين يبحثون عن الجاه كان يراقبهم ويقيد تحركاتهم ولا يسمح لهم بمغادرة البلاد، وإن اشتبه في أحدهم قتلهم أو حبسهم مدى الحياة، وليقظته هذه لم تحدث أي اضطرابات أو ثورات داخلية طوال ثمانية وأربعين عاما من حكمه.

تسمية أوزبك وقازاق ومن أين جاءت..

إن أقوام الترك التي عرفت بهذا الاسم وإن لم يكونوا من الذين يعيشون في داخل حدود تركستان الشرقية،ولا يعنينا قضاياهم بالدرجة الكبيرة لكونهم من سكان تركستان الغربية وشمال جبال خانتغري، إلا أن تاريخنا مشترك وتتداخل مع تاريخهم باعتبار كونهم من جيراننا الذين يقيمون في البلدان المجاورة للتركستان الشرقية من الغرب والشمال، وأيضا لكونهم أقرباءنا، وترد في كتابنا هذا ذكرهم كثيرا ، ولأجل أن يفهم قراؤنا الكرام أصل هذه الأسماء وأن لا يغيب عنهم حقيقة تاريخية مهمة رأيت من اللازم ذكر منشأ هذين الاسمين وذكر تاريخ الأتراك الذين يعرفون بهذين الاسمين بإيجاز.

أوزبك...

إن بعض المحققين في أوربا ومن تبعهم من المؤرخين الشرقيين كتبوا أن اسم الأوزبك اسم عرقي للأقوام الذين سكنوا بتركستان الغربية وأنها قبيلة معروفة منذ القدم باسم الأوزبك، ظنا منهم بأن خانيات الأوزبك في فرغانة وبخارى وخيوة كانت تمثل أصل شعوب هذه المنطقة، كما أن أهالي هذه المناطق

يذكرون لاسم الأوزبك معاني مختلفة لا أصل لها، ولكن كل هذه محض ظنون وتخمين لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

إن اسم الأوزبك ليس كلمة أنتوغرافية، وليس اسما لبطن من بطون الترك كما انه ليس اسما أو لقبا قديما لشعوب تركستان الغربية، إذ أن شعوب تركستان الشرقية وتركستان الغربية منذ العهود الأولي من التاريخ وحتى عهد استيلاء المغول عرفوا باسم الترك فقط، ولم يعرفوا باسم الأوزبك أو القازاق كأسماء للقبائل، وهذا واضح ومعلوم من الكتب التاريخية والأدبية القديمة، إن الأتراك الذين هم شعوب منطقة بخارى وسمرقند عرفوا فيما قبل الإسلام وبعدها باسم سوغداق وسوغوت (يكتبها العرب بالصغد) وهذا الاسم أيضا ليست اسما لقبيلة، وإنما هي أتت من المنطقة التي يسكن فيها هذه الشعوب، فإن نهر زرفشان التي تروي مناطق بخارى وسمرقند كان اسمه الصغد، كذلك كان يعرف هذه المناطق

بهذا الاسم أيضا، ومنذ القدم كان يعرف أهالي تركستان الشرقية والغربية كل مجموعة منهم باسم المكان الذي يسكنون فيه، وما زالوا كذلك حتى الآن.

إن اسم الأوزبك لقب التصقت بشعب تركستان الغربية لصفة عارضة منذ عهد قريب، وإن الأتراك الذين سكنوا في آسيا الوسطى ومنذ حكم جنكيزخان عليها أو ابنه الثاني جاغاتاي خان وأولاده على تركستان الغربية والشرقية عرفت باسم أمة جاغاتاي، وكذلك المناطق التي يحكمها الابن الأكبر

لجنكيزخان جوجي خان من صحراء قبجاق ومنطقة روس (خانية آلتون أردا) عرفت بشعب جوجي، وكذلك المناطق التي يحكمها ابن جوجي خان باتوخان حتى آلتون أوردا في عهده وزمانه عرفت بأمة باتوخان آل باتوخان بين عامي ٥٥-١٢٢٤م ، ومثل ذلك أمة بركة خان في زمانه فيما بين عامي ١٢٢٤-١٢٦٦م، تسمت باسم آل بركة خان (أمة آل بركة) ، وفي عهد أوزبك خان الشيباني عرفت مناطقه بأمة أوزبك خان آل أوزبك خان فيما بين عامي ١٣١٢-١٣٤٠م فمنذ هذا التاريخ لازمهم اسم الأوزبك.

ومنذ عهد تيمور كثرت العلاقات السياسية والحروب بين آلتون أوردا وبين دول كل من تركستان الغربية والشرقية، وبعد أن اكتسب الروس قوة هزموا دولة آلتون أوردا فنزح بعض رجال آلتون أوردا إلى المناطق القريبة من تركستان وأسسوا الدول هناك، ولذا كثرت علاقة الحرب والتصالح بشكل اكثر من ذي قبل بين هذه الدول وبين دول تركستان الغربيةوالشرقية، وفي هذه الفترة كان يتردد في تركستان بكثرة عبارات مثل: "حدث حرب مع الأوزبك" و"انهزم الأوزبك" و"جاء الرسول من الأوزبك" و"ذهب الرسول إلى الأوزبك".

وفي عام ٩٠٦ هـ الموافق عام ١٥٠٠م وكام ذكرنا سابقا بدأ محمد شيباني خان الاستيلاء على تركستان الغربية ثم استولى عليها أخيرا حيث أسس دولة الأوزبك الشهيرة، وبعد مدة تجزأت هذه الدولة عدة أجزاء ، وبقايا هذه الدولة في بخارى وفرغانة وخيوة دامت حتى استيلاء الروس عليها

في زماننا، فكلمة الأوزبك التي هي لقب لحكام تلك الدول والخانيات أصبحت فيما بع اسما لعموم شعوب تركستان الغربية، وذلك على عادة الحكام المغول الذين حكموا تلك المناطق ، وبهذا ترك استخدام أسماءهم التركية، كما ترك استعمال اسم أتراك جاغاتاي التي استعملت منذ استيلاء المغول حتى سقوط إمبراطورية كورجان، وعرفوا باسم الأوزبك التي جاءت من الخارج واشتهروا بها في زماننا هذه.

القازاق..

كلمة قازاق ليست اسما لهؤلاء القوام الرحل من الأتراك في آسيا الوسطى، أي ليست كلمة قازاق اسما انتوغرافيا لهذه القبائل الرحل، وإنهم منذ القدم كانوا يقطنون في صحراء قبجاق وهي الشرق من أوربا وبداية مرتفعات سيبريا وبحر الخزر وعلى ضفاف بحيرة آرال وعلى امتداد نهر آرتش وتوبل، وكانت ولم تزل هناك مراعي للعشب الخضراء وكانوا ولم يزالوا يعيشون على رعي الغنم ، ومنهم أيضا القبائل الرحل في الشمال من تركستان الشرقية وهم كثرة كاثرة تعد بالملايين على مئات من المراعي المعطاء، وكانت كلمة قازاق من قبل الحكام عليهم الذين جاؤوا من غير ديارهم، فلقبهم هذا التصقت بهم منذ عهد قريب وجديد ، فكلمة قازاق مثل كلمة أوزبك ألقاب جاءت لهم من خارج ديارهم لأمر عارض.

وإليكم كتب تبين ذلك، أولا كتاب تاريخ الترك (ترك تاريخي) لعاصم نجيب افندي ، وكتاب عمدة التواريخ لحاجي عبدالغفار قريملي ، وكتاب مستفاد الأخبار لشهاب الدين المرجاني وكتاب تلفيق الأخبار لمراد رمزي بك وغير ذلك من كتب التواريخ للمؤرخين التتار الأتراك، وقد اتفق هؤلاء المؤرخين وأيدوا بالوثائق القيمة بأن دخول القبائل التي تسكن في المناطق المذكورة من قبائل نايمان وجيرات وقونغرات وأويات وباجانك آلاج وأرغون وجاباس وقابا وباشقر وجواش وجريش وجكل وبسمل وقارلوق وغيرها من مئات القبائل التركية ، بأن دخول هذه القبائل تحت مظلة لقب القازاق كانت بسبب الأحداث والوقائع التالية:

عندما ضعفت دولة آلتون أوردا وحدث خلافات في آل جوجان نزح أمراء وانسحبوا من صحراء قبجاق وعصوا ملكهم، وبعدوا عن الصحراء ومن المدن المركزية في مرتفعات سيبريا، وبدؤوا يعلنون استقلالهم ، فهؤلاء العصاة سمتهم الحكومات المركزية بأنهم قازاق أي النهابون، وعلى رواية كتاب تلفيق الأخبار إنكلمة قازاق تحريف لكلمة قاجاق تعني الهاربون مثلهم مثل الصعاليك في اللغة العربية، وبمرور الوقت ورويدا رويداكثر هؤلاء العصاة الباغون في ذلك الوقت وانتشرت كلمة القازاق اسما أو لقبا لهم وأتباعهم، ثم سمي بالقازاق كل من تبع لحكومة العصاة هذه من أفراد القبائل التركية، وبعد حين من الزمن انتشرت كلمة القازاق وبدأ هذا اللفظ يطلق في العادة على السكان المسلمين الأتراك في المساحات الكبيرة من المراعي

اللامتناهية بدءا من شرق أوربا إلى ضفاف نهر ياما (يني سي) سواء خضعوا لحكومة العصاة أم لا.

وفي عام ٩٠٠ هـ الموافق عام ١٥٢٣م تقريبا قام ثلاثة من الأمراء من أولاد توقا تيمور خان بن جوجي خان وهم أحمد كداي خان وبراندوق خان وقاسمخان بتوحيد القبائل التركية في صحراء قبجاق وأسسوا دولة المسنوطنين، وهذه الدولة فقدت استقلالها باستيلاء الروس عليها عام ١١٤٢ هـ الموافق عام ١٧٣٠م ، وهذه الدولة معروفة ومشهورة باسم دولة القازاق في التاريخ التركستاني وباسم تيومن جارليقي في التاريخ الأوربي.

الدولة السعيدية في تركستان الشرقية..

بعد استشهاد السلطان محمود خان لم يبق في تركستان الشرقية من يحكمها من آل جاغاتاي وبهذا الاسم الكبير، بل كان في المدن الستة السلطان أبو بكر دوغلات حاكما لها في الجنوب الغربي منها، ومن مدينة أو ولاية كوجار حتى مدينة قمول وبش باليق ووادي إيلي العليا (غولجا الان) يحكمها ابن آلاجي خان السلطان منصور خان الوالي العام مستقلا بها، وفي منطقة بحيرة إسسيق كول وسته سو يعيش فيها الأتراك الرحل دون حكومة ولا إدارة، وقد دامت البلاد بهذا الزضع قرابة ثمانيةسنوات.

كما أسلفنا في بابه السابق إن السلطان أبو بكر ميرزا استشهد في طريقه عائدا من نيبن إلى ياركند عام ٩٢١هـ، وقد سبق أن طارد بل طرد سعيد خان السلطان أبو بكر ميرزا من مدينة ياركتند واستولى عليها، ومن ثم أقام مؤتمرا إقليميا في مدينة ياركند على نمط الأتراك قديما، وذلك بحضور كل من أتباعه من الجنود والإداريين وأهالي مدينة ياركند وأعيانها وجلس هو على لباد أبيض وأعلن نفسه خانا على عموم أقاليم تركستان الشرقية.

وكانت هذه الدولة الفتية بالحقيقة تحمل صفة الحكومة المحلية الوحيدة عرفا وحياة أمة، ول١١ كتبها التاريخ إنها دولة سعيدية ولم يكتب دولة جاغاتايية أو

دولة آل كورجان، وبعد المؤتمر جلس السلطان سعيد خان على عرش البلاد في قصره العظيم بياركند ملكا على البلاد ولقبوه بالسلطان سعيد خان.

ترجمة السلطان سعيد خان..

ولكون السلطان سعيد خان مؤسس الدولة السعيدية الوطنية في تركستان الشرقية التي دامت ١٧٠ عاما فلا بد من ذكر ترجمته السعيدة، كانت ولادته عام ٨٩٢هـ ونحن نأتي بها حسب معلوماتنا المتصلة به، غير ان معاصريه وأقرب المقربين إليه السيد حيدر ميرزا دوغلات في كتابه تاريخ رشيدي يكتب بالتفصيل والبيان الشيق، ونحن نأتي بذلك مختصرا ونقدمها للقراء الكرام:

السلطان سعيد خان حفيد أحمد آلاجي خان ، فهو ابن السلطان يونس خان الابن الثالث لأحمد آلاجي خان المذكور ، كانت ولادته عام ٨٩٢ هـ الموافق عام ١٤٨٧م تربى في كنف والده إلى أن بلغ السادسة عشرة من عمره ، وعندما ذهب أحمد آلاجي خان إلى مدينة طاشكند عام ٩٠٨ هـ الموافق عام ١٥٠٢م كان سعيد بمعية جده هذا، وعندما وقع الملوك في أسر محمد شيباني خان في نفس السنة كان السلطان سعيد خان اشترك مع بابر ميرزا في موقعة آخسي ، وفي هذه الموقعة سقط السلطان سعيد خان جريحا ووقع أسيرا في يد أحمد بك تنبل، وبقي في سجن آخسي سنة كاملة في مهانة ومشقة، وفي

السنة الثانية أتى جاني بك خان أوزبك خانا على فرغانة وفك أسر السلطان سعيد خان ووضعه في الإقامة الجبرية، وفي هذا الأثناء كان يحاول دائما الهرب إلى تركستان الشرقية خفية وأنه حصل على ١٨ من خلصائه وكانوا مسلحين وفوارس ، وفي فرصة ما هرب برجاله قاصدا تركستان الشرقية ووصل إلى نارين، ثم رحل إلى ضفاف بحيرة إسسيق كول لدى السلطان محمود خان وخدمه مدة من الزمن بجي وإخلاص، ولكنه تحفظ على السلطان محمود خان ميله إلى اللهو واللعب وترف العيش واللامبالاة التي تسببت في تدهور شئون الدولة وأمور الحكم والعباد، وكان السلطان سعيد خان يفكر في معالجة هذه الأمور ثم تيقن أن الإصلاح لا يمكن بالسلطان محمود خان لطبيعته المجونية، وكان السلطان سعيد خان مؤثرا جدا في وضع البلاد والعباد ، وأخيرا قرر في إسقاط السلطان محمود خان من العرش، إذ لا يمكن إصلاح ما فسد دون إسقاطه من العرش، فأراد أن يبتعد عن السلطان محمود خان ليعمل شيئا فاستأذنه أن يذهب إلى منطقة يته سو ، ولكن السلطان محمود خان لم يأذن له، وسعى السلطان سعيد خان حفية لجمع الرجال ليساعدوه فحصل على ما يويد عن مائتي فارس بسلاحهم في تجميعه هذا، وفي فرصة هرب مع رجاله من السلطان محمود خان فطارده السلطان محمود خان بجنوده حتى لحقوه وحاربوا معه فأصيب سعيد خان بجروح بالغة ووقع اسيرا على يد جنود السلطان محمود خان فأتوا به إلى السلطان محمود خان حيث وضعه في السجن لمدة سنتين، ولكنه استفاد من اللامبالاة التي في طبيعة السلطان محمود

خان حيث جمع حوله من يساعده خفية وسعى سعيا دءوبا على مدى السنتين في السجن لتجميع قوة كثيرة، وفي عام ٩١٣ هـ الموافق عام ١٥٩٧م استطاع أن يهرب هو ورجاله ووصل إلى يته سو حيث كان هناك أخوه الصغير خليل سلطان وكان الأخير واليا عليها، واتحد السلطان سعيد خان مع اخيه في الحكم ، وفي نفس السنة اعلن سعيد خان نفسه خانا أي ملكا على البلاد وبدأ الحرب على السلطان محمود خان لإسقاطه عن العرش، فتغلب سعيد خان على السلطان محمود خان وانهزم الأخير ثم هرب إلى منطقة فرغانة ثم استشهد هناك ، وبهذا أصبحت منطقة يته سو التي تقع في الشمال من جبال خان تنغري وكذلك بحيرة إسسيق كول وعموم جهاتها ملكا لسعيد خان.

ولكن الوضع لم يدم كذلك حيث لقي سعيد بك هجوما من أخيه منصور خان ووقعت حروب في منطقة يته سو وآلماآتا وغيرها من المناطق الشمالية فانهزم سعيد خان في تلك الحروب وتفرقت رجاله وجنوده فاختفى هو في صحراء نارين ، ولكن لم يطب له المقام فيها فجمع لنفسه نفرا قليلا وذهب بهم إلى المدن الستة ووصل إلى ضفاف نهر تاريم حيث قبائل دولان (الأويغور الصفر) وكان قصده في منطقة دولان جمع جنود كافية منهم ، غير أنهم عادوه وقتلوتا بعض رجاله وأضمروا له السوءوأسروا بعض رجاله، فضلا عن تجندهم له ومساعدته ، فهرب سعيد خان بنفسه فارسا إلى صحراء تارين، فوجد هناك أناسا من رجاله السابقين وزوجته هائمين هنا وهناك، وكان

عددهم أربعون أو خمسون رجلا، واتجه بهم إلى مرعى نائية ، وفي الطريق صادف أن التقى برجال السلطان أبو بكر ميرزا فحارب مع جنود السلطان أبو بكر ميرزا ولكنه انهزم وهرب ونجا منهم، ولم يبق لديه من رجاله إلا ستة أنفار فقط، فبقي سعيد خان في خوف دائم من الشرق منصور خان ومن الجنوب أبو بكر ميرزا ومن الغرب خانية أوزبك ويخاف أن يهاجموا عليه أو يأسروه ويقتلوه مع رجاله الستة، وضاقت به الأرض بما رحبت، وفي الأخير فكر في ان يجتاز منطقة فرغانة خفية فذهب إلى أفغانستان حيث بابر شاه ويستأمنه، فتحرك قاصدا فرغانة ، وعندما وصل إلى مدينة أنديجان عرف السلطان أنه سعيد خان ورجاله الهاربين، فقبض عليه حاكم فرغانة المعين من قبل الأوزبك وحبسه مع رجاله الستة ، ولكن كان هذا الحاكم يعرف سعيد خان ويكن له الود والصداقة سرا ، فبعد أيام من حبسه أطلق الحاكم سراحه وسراح رجاله وودعهم كهاربين خفية أيضا، فذهب سعيد خان برجاله إلى منطقة قاراتكين ولم يمكث فيها فذهب إلى بدخشان فأمنه حاكم بدخشان ميرزا خان، وأقام في ضيافة ميرزا خان أياما ثم ساعدهم ميرزا خان في السفر إلى كابل، وفي شهر شعبان من عام ٩١٥ هـ الموافق عام ١٥٠٩م وصل سعيد خان مدينة كابل ونزل ضيفا لبابر شاه فأعزه وأكرمه كثيرا وجلس سعيد خان ورجاله الستة قرابة سنتين في ضيافة بابر ميرزا شاه في كابل، وكان سعيد خان دائم الاتصال برجاله وأصدقائه مراسلة، وكانت هناك في وسط

آسيا رجال ينتمون إلى آل كورجان وآل جاغاتاي خان وآل دوغلات وكان يراسلهم سرا ويدعوهم لتأييده وينتظر فرصة مواتية.

وفي عام ٩١٦ هـ الموافق عام ١٥٣٠م تحرك السلطان بابر ميرزاقاصدا الهجوم على فرغانة حيث قتل محمد شيباني خان في مرو على يد شاه إسماعيل خان فتفرقت كلمة الأوزبك وتشتتوا فاستفاد بابر ميرزا من هذا الوضع المؤلم في نفوس الأوزبك فقصد فرغانة ، وكان سعيد خان في حملة بابر ميرزا هذه ووصل بابر ميرزا ومعه سعيد خان إلى مدينة قوندوز ، وجاءهم خبر رجال سعيد خان أنهم انتصروا على أوزبك ، وجاء أيضا مبعوثهم يطلب مساعدة بابر ميرزا شاه لهم، فقام بابر ميرزا بإرسال سعيد خان يرافقه جنود بابر ميرزا شاه إلى فرغانة ، وجاء سعيد خان بالجنود إلى فرغانة واحتلها، وهزم السلطان أبا بكر ميرزا في موقعة قوتلوق.

ثم دارت رحى الحرب حيث قام سعيد خان من وادي فرغانة وبابر ميرزا شاه من سمرقند يهاجمون الأوزبك ويريدون إخراج أمة الأوزبك من تركستان الغربية وعملوا المستحيل من أجل ذلك، وكان طرف الأوزبك ضعيفا وبدا أن الغلبة لبابر ميرزا شاه، بيد أنهم لم يستطيعوا إخراج الأوزبك من تركستان الغربية كما كان قصدهم حتى عام ٩١٨ هـ الموافق عام ١٥١٢م، حيث التفوق والغلبة كان لبابر ميرزا شاه.

وفي هذا التاريخ تحرك سعيد خان لانتزاع مدينة طاشكند من أيدي الأوزبك ، ولكنه انهزم فعاد إلى فرغانة حيث إن سيونجك خان قام بالدفاع عنها بشدة وباستماتة.

وفي أثناء ذلك انهزم بابر ميرزا شاه من ملك الأوزبك عبيد خان فترك تركستان الغربية ، وكان بابر ميرزا شاه معينا ومساعدا لسعيد خان كما قلنا، فلما ترك بابر ميرزا شاه تركستان الغربية ورحل إلى أفغانستان لمدينة كابل، بقيت مشاكل وادي فرغانة والأوزبك وذذ على رأس سعيد خان، وفي الحال هذه هاجم سيونجك خان على وادي فرغانة، وكان سعيد خان يهاجم سيونجك خان من الخلف ويدافع عن الأمام، وأخيرا تغلب سعيد خان على سيونجك خان وأجبره على الهرب، وبعد هذه الواقعة تركت أمة الأوزبك خلافاتهم الداخلية وانضموا في صفوف سيونجك خان يساعدونه حيث وصل من القوة إلى درجة يمكنه أن يضرب أي قوة في ساحة الأتراك، فأيقن سعيد خان بأنه لا يقوى على تلك الجموع فذهب إلى عدو سيونجك خان ملك القازاق قاسم خان واتحد معه ، وكانت القازاق برئاسة قاسم خان، فذهب سعيد خان إلى الشمال لملاقاة قاسم خان بنفسه في صحراء قبجاق وعقد معه معاهدة تحالف عسكري ضد الأوزبك ، ففي خريف عام ٩١٩ هـ الموافق عام التقى سعيد خان بقاسم خان وعقد معه تحالف عسكري بينهما وقررا أن يهاجما على الأوزبك في الربيع القادم ثم عاد سعيد خان إلى بلده ، وفي الربيع حدث قلاقل في الغرب من قبجاق الأمر الذي أجبر قاسم خان إلى الذهاب

إلى غرب قبجاق لإخماد الثورة، فلم يستطع المجيء إلى تركستان الغربية ، ولما بلغ الخبر لسيونجك خان جهز جيشا كبيرا لغزو فرغانة ، وفي عام ٩٢٠ هـ الموافق عام ١٥١٤م تحرك سونجك خان من عاصمته طاشكند إلى وادي فرغانة بجيوشه الكثيف فعلم سعيد خان بالمر ففكر هو وقادته إن لقاء سيةنجك خان وبهذه القوة الغازية تعني الهزيمة وتجرهم من قوتهم حتما، فقرروا مغادرة فرغانة والتوجه إلى تركستان الشرقية عن طريق أوزكند، وأخذ سعيد خان معه كل المنتمين لآل جاغاتاي وآل كورجان ودوغلات ومعهم جنودهم البالغ عشرة آلاف رجل، ووصلوا إلى تركستان الشرقية في شهر ربيع الول عام ٩٢٠ هـ الموافق عام ١٥٠٧م وكان اول قدومهم إلى منطقة نارين، ثم وحسب بياننا في فصل السلطان أبو بكر ميرزا هاجم السلطان سعيد خان مدينة كاشغر ثم ينكحصار ثم احتل كاشغر وياركند.

ونرى من مجريات الأمور مع السلطان سعيد خان فيما بين عامي ٩٠٨- ٩٢٠ هـ الموافق عام ١٥٠٢-١٥١٥م مدة اثنتي عشرة سنة ذاق فيها السلطان سعيد خان أنواع التقلبات والثورات والسجن والتوقيف والتهديد بالقتل والمطاردة وإطلاق السراح والغربة في الأدغال والأحراش وكلها مجاهدة ونضال وكفاح يلقاها كل بطل مغوار ومن به طموح وهمة عالية لتأسيس دولة وتعمير الأرض وإسعاد العباد والبلاد، وكان السلطان سعيد خان هذا الشجاع الذي لا يكل ولا يتعب وهذا الصامد الذي لا يلين وهذا القهر الذي لا يذوب وهذا الصابر الذي لا يفتر عزمه وهذا الصنديد الذي لا

يخاف عدوه وهذا القاهر الذي لا ينكس رأسه، وهذه من صفات الدهاء وطبيعة العظماء وعزائم الزعماء ، ولذا دام فضله في زمانه.

وبعد احتلال السلطان سعيد خان مدينة ياركند بسبعة أيام أقام مؤتمرا ضخما على مستوى البلاد وأعلن نفسه في خانا ملكا على البلاد كلها، وكان يومه الثلاثين من شهر رجب عام ٩٢٠ هـ الموافق عام ١٥١٤م واتخذ مدينة ياركند عامة تركستان الشرقية وعين مساعده الأيمن والكبير محمد ميرزا وزيرا عاما وواليا لمدينة كاشغر ، وبهذه الصورة أصبح السلطان سعيد خان ملكا على كل من مدينة ياركند وكاشغر وخوتان وأوج وحح وضواحيها ويته سو ، ثم عين السلطان سعيد خان حاكما على كل مدينة وولاية وقائدا عسكريا والمأمورين الإداريين.

وأما مناطق كوجار إلى ولاية قمول وبش باليق وولاية غولجا على امتدادها فكانت تابعة لمنصور خان الأخ الأكبر لسعيد خان، وما كان منصور خان لدولة أخيه الصغير السلطان سعيد خان عاصمتها مدينة ياركند ، بل كان له عداوة السلطان سعيد خان ، وأما السلطان سعيد خان فما كان يكن عداوة لأخيه ، بل كان يداريه آخذا جانب الصلح والود بين الطرفين ، وكان السلطان سعيد خان يود إمالة أخيه منصور خان لسيادته وسلطانه بطريق الصلح ولو بعد حين.

وكانت من سياسة السلطان سعيد خان أن ينعم الشعب رفاهية وسعادة في حياته ويريد الأمن والمان في رعيته الذين حرموا منذ مدة من الأمن والمان

والاستقرار، وكان رفاهية الشعب وأمانهم أهم لديه من أي شيء آخر ، وكان يسعى دائما لتحقيق ذلك، وكان الصلح أفضل لديه من الحرب وأرجح كفة، وكان قصده في تأسيس دولته هذه أن يعيش الناس في عزو وحرية وأمان ، ولم يكن قصده الفتوحات وبسط النفوذ إلى مساحات أوسع ، وكان يعلن قصده ومرامه هذا على الناس علنا مرارا وتكرارا حتى يكون الناس على علم بذلك.

بيعة منصور خان للسلطان سعيد خان...

منذ أن استولى السلطان سعيد خان على مدينة ياركند وجلس على عرش الدولة قام منصور خان

بتولية أخيه أمين خواجه خان على مدينة كوجار وجعل معه جل قواته العسكرية ، وكان مع أمين خواجه سلطان أمر بأن يدافع عن البلد إذا هاجم السلطان سعيد خان البلاد، ولم يتحرك السلطان سعيد خان بالحرب ولا بالصلح على المستوى الرسمي حتى أواخر عام ٩٢١ هـ الموافق عام ١٥١٥ م، ولكنه كان يسعى سرا بجلب أخيه أمين خواجه سلطان إلى طرفه، وكان أمين خواجه سلطان يظهر الاحترام لكلا أخويه الأكبر منه سعيد خان ومنصور خان، وأخيرا قام أمين خواجه سلطانومعه بعض الأمراء القريبين بزيارة مدينة ياركند، وهنا اعترف بالسلطان سعيد خان على أنه رمز البلاد وأكبر ملك فيها فرحب به السلطان سعيد خان وبمن معه وعينه حاكما

لولايتي أوج وكوجار، وأعطاه هدايا كثيرة وللأمراء أيضا حيث منحهم هدايا ثمينة ورتبا ومناصب وإنهم عرفوا واعترفوا بأنهم تابعون للسلطان سعيد خان ، وعلى هذا ودعهم السلطان سعيد خان ، وبهذا انشق عن منصور خان أقرب وأوثق رجاله إلى طرف السلطان سعيد خان، ومنذ هذه الواقعة بدأ السلطان سعيد خان طريق المصالحة مع أخيه منصور خان حيث أرسل إليه مبعوثا يدعوه إلى الاتفاق والوحدة السياسية بينهما، وبعد عدة اتصالات بينهما عن طريق المبعوثين اتفقا أن يلتقي الإخوان على الحب والصداقة وأن يتم الأمور بطيب خاطر ، وتعين أن يكون اللقاء قي منطقة بين أوج وقصبة باي ، وبموجب هذا الاتفاق تحرك السلطان سعيد خان بجميع وزرائه ومعه جنود كثيرة من مدينة ياركند للقاء أخيه منصور خان في ظاهر مدينة باي شرقا ووصل السلطان سعيد خان في شهر محرم عام ٩٢٢ هـ الموافق عام ١٥١٦م مدينة أوج، بينما وصل منصور خان ومعه أركان دولته وجنوده إلى قصبة باي، وكان منصور خان في تخوف من أخيه السلطان سعيد خان حيث يخاف أن ينتقم منه لهزيمته منه في موقعة سته سو وآلماآتا فطلب من السلطان سعيد خان أن يرهنه مجموعة من رجاله لدى منصور خان وأرسل رسولا بهذا الشرط، فقبله السلطان سعيد خان هذا متبادلة من كلا الطرفين، فاختار السلطان سعيد خان مجموعة من أركان دولته برئاسة صهره حيدر ميرزا دوغلات كورجان وعدة نساء من الأسرة الملكية، وكذلك اختار منصور خان رجالا من أركاندولته برئاسة وزيره جبار بردي بك ومعهم نساء من السرة الملكية أيضاوأرسلهم إلى

حضور السلطان سعيد خان كماى أرسل السلطان سعيد خان رهينته إلى منصور خان.

وبعد ذلك قررا أن يكون اللقاء في صحراء بين منطقة جام وآباد وأن يكون جنود الطرفين على بعد يرى كل طرف الطرف الثاني مستعدين لأي طارئ ، وأن يلتقي الأخوان ومع كل منهما ثلاثون رجلا ويسلم بعضهم بعضا عند اللقاء، وقررا وقت اللقاء وساعته ، وأن يكون المكان مهيئا بنص خيام ملكية، فقام السلطان سعيد خان بنضب خيمتين خيمة للقاء وجعل فيها كرسيين ملكيين بل عرشان لهذا الغرض ، وكان الخيام مهيبا ذو عظمة فاخرة، وفي يوم اللقاء تحرك منصور خان من مدينة باي إلى مكان اللقاء ووصل إليه وجلس في العرش المعد له ، وبعد ساعة وصل موكب السلطان سعيد خان وجلس في العرش المعد له ، وعند ذلك وحسب ما جرى به العادة سلما على بعضهما البعض ضمن الأول المرعية في ذلك الوقت، وبعد السلام عادا إلى عرشيهما فبدأ السلطان سعيد خان بالكلام بهذه المناسبة فقال: "كانت هناك آلام وعذاب نتيجة الاختلاف تذيبها هذه الجلسة العذبة بالمحبة والاتحاد" فجاوبه منصور خان قائلا:"ولو أني أكبر منكم سنا إلا أنكم أكبر مني رتبة ومقاما فأنتم بمثابة أب لي " وبهذه الجمل القليلة والعذبة التي تحمل المعاني الكبيرة افتتح المجلس الأخوي الكبير بالمحبة والإخلاص والود الصميم واحترام متبادل ، وبدأت مذاكرة جدول أعمال اللقاء، وبادئ ذي بدء اعترف منصور خان لأخيه السلطان سعيد خان أنه الخاقان والملك الأعظم في سائر

أرجاء تركستان الشرقية بدون منازع، ومن حيث السياسة عهد منصور خان عهدا بالوفاء والإخلاص هو وأولاده وبتبعية السلطان سعيد خان، وكان العهد هذا باليمين بالله العظيم ، ومن طرف السلطان سعيد خان أنه أكد سيادة منصور خان من منطقة أوج وكوجار وغولجا وقمول على امتدادها واليا عاما بكل امتيازات الولاية والسلطة غير العادية، وأن تكون هذه المناطق لمنصور خان وأولاده من بعده، وليس للسلطان سعيد خان حق العزل والنصب على منصور خان وأولاده ، وكذلك أولاد السلطان سعيد خان ليس لهم حق ذلك، وكذلك العسكريون والشئون العسكرية والإدارية وماليالها تكون من اختصاص منصور خان وأولاده من بعده فهم مستقلون فيما ذكر أعلاه ، وكان عهد السلطان سعيد خان يمينا بالله العظيم لا يعدل عنها ولا يخون فيها، وفي المساء ودع الأخوان بعضهم بعضا وعادا إلى معسكرهما ، وبعد يوم واحد رجع السلطان سعيد خان إلى مدينة أوج ومنصور خان إلى مدينة طرفان، وبالخلاصة بقي منصور خان مستقلا بنفسه استقلالا تاما ، غير أنه تابع لسيادة السلطان سعيد خان صاحب الدولة اسما فقط، وبهذه الصورة أصبحت دولة السلطان سعيد خان في مساحة شاسعة غربا قمة جبال بامير وحدود فرغانة ونهر جو ، وشمالا بحيرة كوكجه (بالقاش) وجبال تاروتاي ، وشرقا منغوليا وحدود الصين ، وجنوبا الهند. (انظر الخريطة رقم ١٨).

الأحداث التي حدثت فيما بين عامي ٩٢٣-٩٢٦ هـ..

في ربيع عام ٩٢٣ هـ الموافق عام ١٥١٧م تحرك السلطان سعيد خان متجها إلى الشمال واجتاز جبال خان تنغري وكان معه جيش وعتاد حرب كثيرة ، وكان في نيته الاصتياف على ضفاف بحيرة إسسيق كول، وإذا أحس ضعفا في قوة الأوزبك كان نيته الزحف إلى فرغانة ، وأمضى هناك معظم أيامه في السياحة والقنص وقد قرب إلى حدود فرغانة واستكشف على قوات الأوزبك في فرغانة فعلم أن الأوزبك جهزوا جيشا كبيرا في وادي فرغانة فلم يتعرض على فرغانةوأمضى معظم أيامه بالسياحة هنا وهناك وببعض الإصلاحات اللازمة في تلك المناطق حتى جاء الخريف فعاد إلى عاصمة مملكته مدينة ياركند.

وفي صيف عام ٩٢٤ هـ الموافق عام ١٥١٨م قام السلطان سعيد خان بزيارة خوتان وتفقدها ، وكان أهالي جرجن وجرقليف وتاريم وهم الأويغور الصفر كانوا في بداوتهم كما هو حال أحفادهم الآن يشتغلون برعي الأغنام والفلاحة في حياة شبه ارتحال ولم يقبلوا حتى ذلك الوقت دين الإسلام وكانوا في ديانتهم البوذية ولم يعرفوا أن هناك ملكا على البلاد ولم يطيعوا السلطان سعيد خان ، ومنذ وصول السلطان سعيد خان إلى خوتان أرسل جنود لغزو جرجن وغيرها من المناطق الآهلة بالسكان ويدعوهم إلى دين الإسلام ، ولكن قبل وصول المفرزة إليها ترك الأهالي مدينتهم وقريتهم ونزحوا عن البلاد

قاصدين الجبال النائية، ولما لم تجد الجنود أناسا في تلك المناطق أخذوا أموالا كثيرة كغنيمة ورجعوا إلى خوتان دون التعرض لأي خطر.

وكانت هناك في الشمال من جبال خان تنغري وبالذات بلدة نارين وبارسقان (قاراقول في شرق بحيرة إسسيق كول حاليا) وفي المراعي تلك كانت قبائل قيرغيز، وكان السلطان سعيد خان عين محمد قرغيز بك واليا عليهم، علم السلطان سعيد خان أن محمد قرغيز هذا أنشأ صداقات وعلاقات مع الأوزبك، فاهتم السلطان سعيد خان بهذا الخبر وترك قضاء فصل الخريف في خوتان وعاد رأسا إلى أوج ثم اجتاز جبل خان تنغري عن طريق بيدل آرت ووصل إلى بارسقان واعتقل قيرغيز بك وعددا من رجاله وأمرائه وصادر أموالهم ، وبهذه الصورة جعل قبائل القرغيز لا يحيد عن طاعة السلطان سعيد خان حيث أدبهم تأديبا يزجرهم، وجاء فصل الشتاء فعاد إلى مدينة ياركند وبصحبته قيرغيز بك ورجاله كأسرى حرب.

في عهد السلطان أبو بكر ميرزا كانت بامير وسريغ جويان (واخان)وشغنان تابعة لدولة أبو بكر ميرزا تركستان الشرقية ، وبعد وفاة السلطان أبو بكر ميرزا احتلها حاكم بدخشان ميرزا خان، وبعد مدة طلب السلطان سعيد خان من ميرزا إعادة تلك المناطق إلى دولته تركستان الشرقية ، ولكن ميرزا خان رفض الطلب هذا، فجهز السلطان سعيد خان جيشا كبيرا وتحرك به إلى بدخشان ، ولما وصل السلطان سعيد خان إلى سريغ جويان أرسل ميرزا خان مبعوثا إلى السلطان سعيد خان وصالحه وأعاد تلك المناطق إلى تركستان

الشرقية وسلمها إلى السلطان سعيد خان، فعين السلطان سعيد خان حاكما على هذه المناطق والإداريين ، وكان ذلك عام ٩٢٥ هـ الموافق عام ١٥١٩ م من قبله وعاد بجيوشه إلى العاصمة مدينة ياركند.

وفي عام ٩٢٦ هـ تحرك السلطان سعيد خان قاصدا أوج وطلب من منصور خان الحضور إليها فحضر الأخير إلى أوج وتلاقى الأخوان ثانية وبحثا بعض الأمور في المنطقة ، ثم عاد السلطان سعيد خان إلى عاصمته مدينة ياركند ، وكان السلطان سعيد خان في رحلته هذه يريد أن يرى أمورا معينة في منطقة أوج.

الأحداث فيما بين عامي ٩٢٧-٩٣١هـ..

بعد ما أسس السلطان سعيد خان دولته في تركستان الشرقية كانت في منطقة يته سو وحح ووادي إيلي السفلى قبائل بدوية رحل ، ولإدارة هؤلاء عين السلطان سعيد خان بعض الحكام منهم بعض الأوزبك، ولكن هؤلاء البد لا ينقادون على حاكم أوزعيم ويعيشون بدون رئاسة ولا إدارة ولا حكومة، وكان زعماؤهم ألعن في الشر من رعاياهم، في بعض الحيان كانوا يغيرون ممالك الأوزبك وقازاق وحينا ينشئون علاقات معهم تضر بمصالح الدولة وسياستها ، وبناء عليه أوجب السلطان سعيد خان تحسين إدارتهم وتصحيح أوضاعهم ، ولأجل ذلك يجب عليه ان يعين واليا عاما عليهم ويجعل هناك حاميةعسكرية، فأرسل السلطان سعيد خان ابنه اغلكبير عبدالرشيد سلطان

واليا عاما عليها ورافقه جنودا تكفي لإدارة البلاد وحفظ الأمن والاستقرار، وكانت الجنود التي برفقة عبدالرشيد سلطان كبيرا نسبيا، وأرسل السلطان سعيد خان الأمير تاغاي مديرا عاما على تلك المناطق لإدارة تلك القبائل الرحل بصفة مساعد الوالي للشئون الإدارية وعفا عن القرغيز محمد بك وأرسله بصفة مساعد أمير مساعدا أيضا، واتخذ عبدالرشيد سلطان المنطقة الغربية من بحيرة إسسيق كول في قصبة قوجقار باشي مركزا له.

وفي عهد السلطان محمود خان كانت مناطق إيميل وآلتاي وأهاليها القالماق كانت تابعة لآل جاغاتاي وكان عليهم إتاوات سنوية يؤدونها لخزينة السلطان محمود خان، وبعد استشهاد السلطان محمود خان صاروا يعيشون أحرارا مستقلين.

وأما السلطان سعيد خان فأمر ابنه عبدالرشيد سلطان بالإغارة على قبائل القالماق بجنود كثيرة وذلك عام ٩٢٩ هـ الموافق عام ١٥٢٣م فتجهزعبدالرشيد سلطان لغزوهم وانتصر عليهم وأخضع القلماق لطاعة السلطان سعيد خان وفرض عليهم إتاوات سنوية تدفعها لخزانة دولة السلطان سعيد خان.

كان السلطان سعيد خان لسنوات عدة يمضي فصل الصيف بجانب حوض جادر كول بمنطقة طرغات، وحسب العادة التي تعود عليها جاء إلى طرغات عام ٩٣١ هـ الموافق عام ١٥٢٤م، وفي يوم كان يمارس القنص على ضفاف بحيرة إسسيق كول بلغه خبر عصيان القالماق وتعرضهم على الشمال من

منطقة يته سو ، فجهز جيشا بقيادته وذهب إلى يته سو وهجم على القالماق وهزمهم شر هزيمة ثم طاردهم من خلفهم حتى وصل إلى ضفاف نهر آرتش في منطقة بالار، وعندها وصل خبر وفاة نلم الأوزبك سيونجك خان وأن الأوزبك في قتال فيما بينهم من أجل العرش ، وفي الحال رجع السلطان سعيد خان ووصل إلى منطقة قاراقول فأصدر أمره إلى نائبه في العاصمة مدينة ياركند الأمير الكبير سيد محمد ميرزا بأن يهاجم بكل قواته العسكرية على مدينة أوش، وأما السلطان سعيد خان نفسه فأتى إلى قوشقار باشي وجمع كل قواته العسكرية هناك وهجم على أوزكند واحتلها، ثمزحف على مدينة أوش واجتمع مع السيد محمد ميرزا وبدأ الحرب حول قلعة بادو التي تقع في الوسط بين أوش وأنديجان واحتل القلعة ، وهذه القلعة مشهورة في كتب التاريخ والملاحم.

وبينما يزحف السلطان سعيد خان في وادي فرغانة إلى الأمام مشكلا الخطر على الأوزبك اتحد الأوزبك جميعا وجمعوا شتاقم وتجهزوا بمائة ألف مقاتل وزحفوا على مدينة أنديجان، وكان عدد جيوش السلطان سعيد خان خمسة وعشرين ألف مقاتل ، وهذا عدد قليل بالنسبة لمائة ألف مقاتل فسلم السلطان سعيد خان مدينتي أنديجان وأوش بدون إراقة دماء وعاد بجيوشه إلى تركستان الشرقية .

ضياع الجزء الشمالي من تركستان الشرقية:

كانت قبائل منغيت القازاق تعصي على ملكهم طاهر خانفانهزم طاهر خان في عام ٩٣٢ هـ الموافق عام ١٥٢٥م وهرب من العصاة ومعه آلاف الأسر القازاقية ، وكان الفصل شتاء ووصل إلى منطقة قوشقار باشي التي تحكمه عبدالشريد خان واستأمنهوطلب منه مساعدة ضد قبال المنغيت، ولكن عبدالرشيد سلطان رحب به وأعطاهم أرضا ومراعي لمعيشتهم ولم يقدم له مساعدة عسكرية، فتفاهم طاهر خان مع قبائل القرغيز الذين تعرضوا للتأديب على يد السلطان سعيد خان مرات عديدة تفاهممعهم طاهر خان سرا، وفي عام ٩٣٣ هـ الموافق عام ١٥٢٦م هاجم طاهر

خان ومعه حلفاؤه من قبائل القيرغيز على قوجقار باشي مركز عبدالرشيد سلطان وانهزم الأخير في هذه الهجمة المباغتة وهرب إلى منطقة آت باشي، فسمع الخبر السلطان سعيد خان وتحرك هو بجنوده من مدينة ياركند قاصدا آت باشي، فلما سمع طاهر خان ذلك هرب هو وحلفاؤه إلى الشرق من منطقة إيلي واستقر في مراعي كونكس، فأرسل السلطان سعيد خان جنودا إلى كونكس وانتصر عليهم وطردهم من هناك إلى مكان أبعد منها وأخذوا معهم أكثر من مائة رأس غنم من المواشي كغنيمة وعادوا إلى آت باشي غانمين، وجمع السلطان سعيد خان كل قبائل القيرغيز من منطقة إيلي وبحيرة إسسيق كول إلى منطقة آت باشي وأسكنهم فيها.

ومنذ تأسيس السلطان سعيد خان دولته في تركستان الشرقية كان يفكر في تأمين جنود كافية في منطقة الشمال من تركستان الشرقية حيث القازاق وقيرغيز الرحل الذين لا يمكن ضبطهم ولا ينقادون لحكومة إلا بجنود كثيرة، الأمر الذي يتطلب تأمين جنود مكثفة من حيث الأرزاق الواردة من جنوب تركستان الشرقية، وهذا يكلف تكاليف باهظة، ومنطقة الشمال لم تكن آنذاك منطقة زراعية بل كان كلها مراعي عشبية لتربية الأغنام فيها، ويسكن فيها القازاق والقيرغيز الرحل هذا من جهة، ومن جهة اخرى كانت المناطق الشمالي لتركستان الشرقية محاطة بدولتي القازاق وقيرغيز اللتان تتربصان بتركستان الشرقية، لذا يترتب علينا تحمل التكاليف الزائدة من حيث الجنود وتأميناهم بأهم حاصلات الجنوب وشبابه، ولم تكن في الشمال مدن منذ القدم ولا بقايا حضارة قديمة ولا زراعة كما أسلفنا، وكانت الأراضي كلها أوأكثرها رملية ومراعي العشب ، وكان سكانها تالبدو الرحل كما قلنا فيهم غلظة وقسوة، لذا لم تكن منها واردات لخزينة الدولة.

وكانت الدولة تكلف كثيرا في تأمين الجنود المقيمين فيها من خزانتها تكاليف باهظة توردها من المدن الستة منطقة الجنوب من تركستان الشرقية، كما أن قبائل القيرغيز تأخذ جانب قبائل القازاق قرابتهم عرقيا، ويشكلون بذلك خطر على دولة تركستان الشرقية ، كما ان القيرغيز يشكلون الأكثرية في الشمال كلها، فأخذ السلطان سعيد خان بتجارب إحدى عشرة عاما من الحكم ، وفي النتيجة قرر السلطان سعيد خان ترك مناطق الشمال

كلها على حالها لعدم الفائدة من السيطرة عليها اقتصاديا، فأخذ جنوده والقادة العسكريين والكوادر الإداريين وعاد إلى مدينة ياركند، وبهذا انفصل أعز جزء من بلاد تركستان الشرقية عن دولة السلطان سعيد خان وهي منطقة بحيرة إسسيق كول وضواحيها ومنطقة يته سو وما حولها.

وبعد ذلك أتى طاهر خان إلى آت باشي وأخذ معه قبائل القيرغيز الذين أتى بهم السلطان سعيد خان أخذهم طاهر خان إلى منطقة كونجاس ، وهذه أول مرة تنفصل فيها مناطق الشمال عن تركستان الشرقية ، ومن هذا التاريه بدأ استيطان القازاق والقيرغيز في هذه المناطق لأول مرة، أما انتشارهم إلى مرتفعات بامير وسريغ قول وسائر المراعي في تركستان الشرقية فكان بعد هذا التاريخ.

الزحف إلى بلورستان وبدخشان..

المناطق التي تطلق عليها اسم كانجوت وكلكيت وجنرال كانت في السابق يقال لها بلورستان، وكان أهالي هذه الوديان يعبدون الأصنام ، وفي عام ٩٣٤ هـ الموافق عام ١٥٢٧م جهز السلطان سعيد خان جيشا كبيرا بقيادة ابنه عبدالرشيد سلطان وصهره حيدر ميرزا كورجان وأرسلهم إلى بلورستان وأمرهم بغزوها، فغزاها القادة بجنودهم قرابة ستة أشهر وهم في الوديان يغزون ويدعون الأهالي إلى الإسلام ، وبعد ذلك أخذوا خمسين ألفا منهم

كأسرى حرب ورجعوا إلى مدينة ياركند عن طريق واخان، وبيعت هذه الأسرى كلها كعبيد اشتراهم أثرياء البلاد.

ومنذ سنين عديدة كان حاكم بدخشان ميرزا خان يعيش تحت حماية بابر ميرزا شاه خوفا من هجمات الأوزبك، وكان بابر ميرزا شاه أقام أخاه ناصر ميرزا وشخصا آخر من آل كورجان وكثيرا من الجنود لحماية بدخشان.

وفي عام ٩٣٤ هـ الموافق عام ١٥٢٧م دعا جميع جنوده وقادته إلى الهند ولم تبق في بدخشان جندي واحد، فيئس ميرزا خان من حماية بدخشان وطلب حماية من السلطان سعيد خان الذي كان يتمنى وينتظر مثل هذه الفرصة، ففي عام ٩٣٥هـ أناب ابنه عبدالشريد سلطان في عاصمة ياركند وأخذ معه دنودا كثيرة وزحف قاصدا بدخشان ، وعندما وصل السلطان سعيد خان إلى منطقة سريغ جوبان بلغه الخبر بأن بابر ميرزا شاه أرسل ابنه هندال ميرزا بجنود كثيفة لحماية بدخشان ، فندم السلطان سعيد خان من زحفه هذا ، وجاء فصل الشتاء القارص ولم يتمكن من الرجوع إلى عاصمته ياركند ، ومن جهة اخرى كانت منطقة سريغ جوبان قرية صغيرة آخذة بالجفاف ولا يمكن أن تكون مشتى للجنود وللسلطان، ولذا أرسل السلطان سعيد خان مبعوثا لهندال ميرزا يقول : " إننا نمضي الشتاء في بدخشان وعند أول الربيع القادم نرجع إلى تركستان الشرقية" فخال هندال ميرزا بأنه مكيدة من السلطان سعيد خان ولم يرض بالطلب فزحف السلطان سعيد خان عنادا إلى بدخشان، وكان هندال ميرزا جمع جنوده في قلعة ظفر (رستاق الحالية) ونزل السلطان

سعيد خان خارج القلعة ، وحتى يمضي الشتاء ويأتي الربيع بقي هندال ميرزا وجنوده في داخل القلعة والسلطان سعيد خان خارج القلعة، وفي الربيع أرسل السلطان سعيد خان مبعوثه إلى بابر ميرزا يخبره بأن مجيئه هذا لم يمن عدوانيا ، وعاد السلطان سعيد خان بجنوده إلى تركستان الشرقية ، وأما بابر ميرزا شاه فاستدعى ابنه هندال

ميرزا من بدخشان وأرسل إليها سليمان شاه ميرزا وأحد رجال آل جاغاتاي خان، وبهذه المعاملة الحسنة والمجاملة الأخلاقية جعل بدخشان منطقة محايدة .

تولية العهد لعبد الرشيد سلطان وفتح تيبت وكشمير..

وفي عام ٩٣٦ هـ الموافق عام ١٥٢٩م عين السلطان سعيد خان ابنه الأكبر عبدالرشيد سلطان على ولاية عهده من بعده، وفي هذه السنة عزل السلطان سعيد خان أخاه أمين خواجه سلطان من ولايته على أوج وعين ابنه الأكبر عبدالرشيد سلطان بدلا عنه وأرسله إليها.

وكانت منطقة غربي التيبت وهي منطقة لاداخ الآن وبالتستان كانت من عهد أبي بكر ميرزا تابعة لتركستان الشرقية ، وبعد السلطان أبو بكر ميرزا بقيت في تنازع البكوات في كل من يدعي رئاستها ، وبمعنى آخر بقيت بدون رئاسة، وأما خانية كشمير فبقي الاسم ملكية فقط، وهناك كانت إمارات

جك ولها أمراء عديدون مستقلون، حتى إن مدينة سرينجار يحكمها عدة أمراء، وبهذه الصورة بقيت منطقة كشمير ضعيفة مترهلة.

وكان كل من الأمير الكبير سيد محمد ميرزا وحيدر ميرزا كورجان يشوقون السلطان سعيد خان لفتح غربي التيبت ومطقة كشمير وضمها لتركستان الشرقية، وكان عبدالرشيد سلطان وأمير تاغ ومن معهما يخالفون هذا الرأي قائلين إن الطريق بين تلك المناطق وبين تركستان الشرقية صعب للغاية وكلها مناطق جبلية وليس لها منافع وإيرادات ، ولأسباب أخر كانوا ينصحون السلطان سعيد خان بعدم الزحف إليها قطعيا، ولكن أهل الرأي الأول لكونهم دائما لدى السلطان سعيد خان أثروا عليه، وفي شهر ذي الحجة من عام ٩٣٨ هـ جهز السلطان سعيد خان جيشا تعداده ألين فارس تحت قيادة حيدر ميرزا وإسكندر سلطان الابن الصغير للسلطان سعيد خان، أرسلهم عن طريق سانجو إلى غربي التيبت منطقة لاداخ، هي نوبرا وماريول قديما، وأما السلطان سعيد خان فأخذ معه ثلاثة آلاف جندي وأراد أن يزحف إلى منطقة كشمير، غير أنه أتى إلى منطقة خوتان وزحف منها إلى جبال بولور، ومن طريق بولور هذا كان قصده الوصول إلى دولبة منطقة في شمال تيبت تعني جانغ تانغ.

وأما إسكندر سلطان وحيدر ميرزا فلما توجهوا بالهجوم على وادي نوبرا فتحوها قسرا ، وأما منطقة ماريول (لاداخ) فرضي أهلها بالاستسلام بدون حرب، وأما السلطان سعيد خان فعرف عدم إمكانية الوصول إلى منطقة دولبة

عن طريق قولور فعاد من بولور إلى خوتان، فاتخذ طريق سانجو وأراد أن يلتقي بالفوج الأول، وفي الطريق إلى وادي نوبرا تعرض السلطان سعيد خان لموجة من الهواء الفاسد واعتلت صحته بصورة خطيرة وعندما وصل إلى نوبرا تحسنت صحته، فاستدعى إسكندر سلطان وحيدر ميرزا وسائر الأمراء من ماريول إلى نوبرا فأتى هؤلاء إلى نوبرا فعزم السلطان سعيد خان إلى مجلس يتشاورون في الأعمال التي نريدها فيما بعد الآن فتشاوروا وقرروا في مجلسهم ما يلي:

أن يتحرك السلطان سعيد خان بألف من جنوده قاصدا بالتستان عن طريق نوبرا الذي لا يكون فيه الهواء الفاسدوالعقبات ، وبعد فتحها يأتي إلى كشمير وأما إسكندر سلطان وحيدر ميرزا فيكون معهما أربعة آلاف جندي يتحركان إلى كشمير عن طريق لاداخ ويهاجموا على كشمير مباشرة ، وبموجب هذا القرار أمر السلطان سعيد خان كلا من إسكندر سلطان وحيدر ميرزا بأربعة آلاف جندي للهجوم على كشمير ، وأما السلطان سعيد خان فتحرك بألف جندي قاصدا بالتستان ، وكان الفصل خريفا وعبر هجمات حربية على مدى شهرين احتل السلطان سعيد خان منطقة بالتستان احتلالا كاملا.

وأما إسكندر سلطان وحيدر ميرزا دوغلات فتوجهوا بأربعة ىلاف جندي قاصدين كشمير وفتحوا في الطريق إليها جزءا من تيبت ومنطقة بالتو ، وزحفزا إلى الأمام وبدون عائق واجتازوا عقبة كشمير، وكان حكام كشمير متهيئين للقتال في منطقة آتليق بوغاز بجنودهم ، وكانت آتليق بوغاز مضيقا

صعبا، ففكر قادة الأتراك في أن تنقسم الجنود إلى قسمين: قسم بقيادة تومن بهادر وتحت قيادته أربعمائة فارس، والقسم الثاني تحت قيادة حيدر ميرزا دوغلات يجتاح أحد الجبال القريبة من المضيق وينحدر إلى كشمير مباشرة ليصد الكشميريين عن طريق الرجعة ، فحمل تومن بهادر ليلا على معسكر الكشميريين هجوما كاسحا ردهم وأبعدهم عن المضيق، وعندئذ تصادم القوات الهاربة من المضيق بالجنود الأتراك أمامهم ومن خلفهم من المضيق فأبيدت كل الجنود الكشميريين دفعة واحدة، فتحرك جنود الأتراك إلى اتجاه مدينة كشمير ، وبعد ليلة واحدة وصل الجنود الأتراك إلى المدينة وكانت ليلتهم تلك في بلدة سرينجار في الطريق إلى مدينة كشمير، فهرب حكام كشمير والأهالي والجنود من المدينة ، وقدترك الأهالي المدينة وهربوا إلى الجبال والغابات والأدغال وجزر الأنهار ، وبهذا السبب دخل إسكندر سلطان بجنوده في شهر جمادى الثانية عام ٩٣٩ هـ الموافق عام ١٥٣٢م بلدة سرينجار ونزل في قصر راجدان (قصر الحكومة في لغة الكشميريين)، وبهذا تم السيطرة على عاصمة كشمير ، ولكن الكشميريون من الشعب والجنود والحكام لم يستسلموا ، بل دافعوا صامدين في أماكنهم النائية، ولأجل أن يحارب الأتراك مع الكشميريين الصامدين كانوا يحتاجون إلى حيلة بارعة لإخراجهم مخابئهم لمواجهة قوات الأتراك، فتحرك إسكندر سلطان من مدينة سريجار وقدم إلى منطقة كامراج وعسكر فيها ، وكان يرسل مفرزة صغيرة إلى مكامن الكشميريين ويهاجموهم ، وإذا صد الكشميريون الهجوم تراجع الأتراك

وهربوا ، وذلك ليبرهنوا أن التراك جبناء وضعفاء، فنفذ المفرزة هذه الحيلة هنا وهناك، وأخيرا فقرر الكشميريون أن يتخذوا مركزا لهم ويجتمعوا فيها ويهاجموا الأتراك هجمة مباغتة، وهذه النتيجة جاءت بعد تحركات المفرزة لمدة شهر كامل، فبدأ الكشميريونبمهاجمة التراك فتظاهر الأتراك أيضا بالخوف وهربوا من مواجهة الكشميريين حتى يطوقوهم كحلقة مفرغة، وهاجم الأتراك الكشميريين هجوما من كل جانب وقتلوهم تقتيلا رهيبا وعلى راسهم ملكهم الملك علي وامراء المناطق ، ووصل عدد القتلى ألوفا من الكشميريين.

ونـــرى في كتب تاريخ كشمير أن حصيلة القتلى من الكشميريين في هذه المعـــركة كانـــت أكثـــر من ألف قتيل، وأن هذه المعركة كانت كافية لإبادة الكـــشميريين في ذلـــك الـــوقت ، ولكن الفارين من المعركة والهاربين منها اســـتحكموا في مخابـــئهم كمـــا كانت ولم يحقق الحرب هدفها في اصتئصال المقاومـــة، فبقـــيت المـــدن والعمـــران في يد الأتراك، بينما الجبال والغابات والأدغال والوديان في يد الكشميريين حتى فصل الربيع وبعده الصيف حيث بـــدات الحـــرب ، وكان الكشميريون دائما في الضعف والهزيمة، ولكن لمتانة اســـتحكاماتهم لم يـــشتتوا بل بقوا متماسكين، ثم بدأ المحاربون التراك بضرب اســـتحكامات الكشميريين هنا وهناك، ولكنهم ضحوا كثيرا حيث كثر قتلى الأتـــراك فتفرقت كلماتهم في القتال أو الصلح ، وكان من يؤيد الصلح أكثر ممن يؤيد القتال حتى النهاية، والحال هذه أرسل حكامةكشمير مبعوثا يريدون الصلح فقبل التراك الصلح وعقدوا صلحا كالآتي:

١- أن تبقى حكومة كشمير مثلما كانت في يد الكشميريين.

٢-أن تكون الخطبة والاسم في النقود المتداولة باسم السلطان سعيد خان.

٣-أن ترسل أوتدفع الكشميرجزءا من مالياقما من خزانتها إلى ياركند لخزانة السلطان سعيدخان.

٤-أن يزوج حاكم كشمير محمد شاه ابنته من ابن السلطان سعيد خان إسكندر سلطان.

وبعد توقيع هذه المعاهدة زار حاكم كشمير محمد شاه الأمير إسكندر سلطان في دار إقامته في كشمير، وكذلك إسكندر سلطان وأمراؤه المقربون زاروا محمد شاه في مقر حكومته، وفي هذه الزيارات قدم كل طرف منهما للطرف الآخر هدايا ملكية قيمة.

وأما السلطان سعيد خان فكان في منطقة تيبت وبالتستان ، وإلى ان يفتحها السلطان سعيد خان جاء فصل الشتاء ونزل الثلج بغزارة على الطريق من بالتستان وكشمير، فتعذر عبور الخيول منها وإليها، الأمر الذي اضطر معه السلطان سعيد خان للمقام ببالتستان فصل الشتاء كله، وفي الربيع رأى السلطان سعيد خان المعاهدة الموقعة بين الطرفين ووافق عليها ، ولم يأت إلى كشمير بل سلك طريق ماريول (لاداخ)، ومن منطقة لاداخ أصدر السلطان سعيد خان أمره بأن يأتي إسكندر سلطان والأمراء والجنود غلى منطقة بالتستان (تيبت) وتحرك إسكندر

سلطان والأمراء والجنود حسب أوامر والده إلى تيبت ووجدوا في الطريق مناطق لم تفتح ففتحوها، ثم انتقلوا إلى قلعة باشكا (بازجو) مركز لاداخ في ذلك الوقت ، حيث التقوا مع السلطان سعيد خان.

وفاة السلطان سعيد خان..

وإن السلطان سعيد خان عين حكاما لمنطقة بالتستان وتيبت وعين إداريين وأبقى فيها جنودا يكفي الحاجة، وأما مدينة لهاسا قبلة البوذيين وهي أورسنغ ودولبة وهي جانغ تانغ ومنطقة كوكو ففوض فتح هذه المناطق لابنه إسكندر سلطان وحيدر ميرزا دوغلات وأمر أن تتجه قوة عسكرية قوامها ألف فارس لغزو شرق تيبت ، وبتاريخ السادس من ذي الحجة عام ٩٣٩ هـ الموافق عام ١٥٣٣م غادر السلطان سعيد خان باسكا وذهب إلى قلعة هوندر عبر نوبرا وصلى فيها صلاة عيد الأضحى ثم غادرها متجها إلى مدينة ياركند، وكانت هوندر مركز منطقة نوبرا ، وفي وديان جبال ديسنغ وقاراقورم تعرض السلطان سعيد خان لموجات الهواء الفاسد ومرض مرضا شديدا ، وفي مرضه هذا توفي السلطان سعيد خان في الطريق، فحمل الأمراء جسده إلى ياركند ودفنوه في بستان قصره المنيف قصر أرك وبقي قصر الأرك إلى الآن مرقدا للسطان وأولاده تسمى آلتون مزار حسب عادة التراك ، وقد كتب مؤلف تاريخ رشيدي حيدر ميرزا دوغلات تواريخ

وفتوحات السلطان سعيد خان بأسلوب ضاف وبكل المشاهد بالتفصيل.

وكان السلطان سعيد خان حليما وزعيما وسياسيا بارعا ومتدينا ورعا ومحبا للعلماء، كما كان عادلا، وكان لا يرغب في الراحة وبحبوحة العيش ويمضي أوقات فراغه في القنص والسياحة ، وكان يحب الغزوات والفتوحات، وكان لا يرغب في وشاية الواشين وينفر طبيعته من سفك الدماء.

وإن إسكندر سلطان ميرزا ابن سعيد خان وحيدر ميرزا دوغلات بعدما وادعوا السلطان سعيد خان من قلعة باسكا انقسموا قسمين قاصدين منطقة أورسنغ أو أوتسنغ (لهاسا) وفي اثناء ذلك تغلبوا على أهالي تيبت المدافعين عنها وزحفوا إليها قدما حث تعرض المقاتلون التراك لهجمات المقاتلين الهنود وهم ألوف مؤلفة من أجناس الهنود الذين أتوا للدفاع عن قبلتهم المقدسة (معبد بوذا)، وبعدما تغلب عليهم بدؤوا زحفهم إلى الأمام وعلى ضفاف نهر ستلج افترق إسكندر سلطان إلى الشرق منها ، وتقدم حيدر ميرزا بقسم من جنود الأتراك قاصدين لهاسا ، وكان عدد جيوش حيدر ميرزا ٩٠٠ رجلمن الفرسان فتعرضوا لموجات الهواء الفاسد وبدأ الفرسان يقل عددهم حيث إن أفراسهم يموتون من الهواء الفاسد إلى درجة أن ثمانين في المائة من الخيول نفقت وبدأ الفرسان يمشون على الأقدام هذا من جهة، ومن

جهة أخرى جاءهم الخبر بأن لهاسا فيها قوة كبيرة فغير حيدر ميرزا خط سيره إلى وديان نائية من مدينة لهاسا، وشن هجوما على القرويين والبويين في أطراف لهاسا ، وغنم حيدر ميرزا مائة ألف شاة وعشرين ألف كيبك (قوتاز) ومئات من فرس التيبت قصير القامة ومئات الأسرى ، وفي أول عام ٩٤٠ هـ الموافق عام ١٥٣٣م لحق حيدر ميرزا بغنائمه تلك إلى إسكندر سلطان فأتوا إلى منطقة لاداخ.

سلطان عبد الرشيد خان ملكا على البلاد..

وعندما توفي السلطان سعيد خان ودفن كان ابنه عبدالرشيد سلطان في ولاية أوج (آقسو) وبعد دفن السلطان سعيد خان قدم الأمير كبير السيد محمد ميرزا من ولاية كاشغر ، وبعد مراسم العزاء للفقيد جمع السيد محمد ميرزا الأمير الكبير جميع الأمراء وآل السلطان سعيد خان كلهم في مجلس عام وجعلهم يعترفون به بالأمير الكبير وصدقوا بها، ثم جعل الأمراء والأهالي كلهم بأنهم تحت سيادته وسلطانه، وكان بعض المخلصين للبيت اللكي لا يرضون بهذا الأمر ، وقد كتبوا بتفصيلات المؤامرة إلى عبدالرشيد سلطان أولا بأول، فقدم الأخير من ولاية أوج إلى العاصمة ياركند وخرجت جمهرة من الناس لاستقبال عبدالرشيد سلطان إلى ظاهر المدينة، وكان الأخير قد عين أناسا من حاشيته لقتل الأمير الكبير السيد محمد ميرزا في معمعة الاستقبال ودقت ساعة الصفر

وقد قدم عبدالرشيد سلطان، وتقدم الأمير الكبير السيد محمد ميرزا من مدينة ياركند ، وعندما اقترب لحضرة عبدالرشيد سلطان ترجل من حصانه وسلم عليه ، وعندما كان جموع المستقبلين في الساحة العامة نفذ الأشخاص المكلفون مهمة قتل السيد محمد ميرزا الأمير الكبير ومعاونه السيد علي، ثم توجه السلطان عبدالرشيدخان إلى مقبرة والده ودعا له بالسعادة الأخروية ثم عاد ودخل سراي الدولة قصر السلطنة، وبالسراي استقبل المعزين ، وبعد أداء التعازي ونهاية المراسم حضر السلطان إلى مهرجان تنصيبه ملكا على تركستان الشرقية والتيبت عاصمتها مدينة ياركند، وفي ذلك في اليوم الأول من شهر محرم عام ٩٤٠ هـ الموافق عام ١٥٣٤م، وأجلسوه على لباد أبيض حسب عادة الأتراك قديما وبايعوه فردا فردا ، وصادر السلطان عبدالرشيد خان أملاك السيد محمد ميرزا واعتقل أولاده ، ثم عين الأمير علي تاغاي واليا على ولاية كاشغر بصفة الأمير الكبير، وأما ولاية طرفان فكانت على يد منصور خان بقيت على حالها تابعة لسيادة ياركند، وعين إسكندر سلطان واليا على تيبت وسرح الجنود الذين هناك وأرسل إليها من عنده جنودا كافية، ولكن عودة الجنود القدامى جعلت في عامة أهل للتيبت بلبلة وتجمعوا فيما بينهم وقاموا بعصيان هنا وهناك في منطقة تيبت، ثم قاموا بعصيان عام موحد في سائر أنحاء التيبت ، ولم يكن لإسكندر سلطان جنود كافية لقتالهم فاضطر لترك

تيبت حيث عاد الأمير إسكندر سلطان بما لديه من رجال وجنود إلى مدينة ياركند، ولكن حيدر ميرزا دوغلات خاف من غضب السلطان عبدالرشيد خان إذا هو عاد إلى مدينة ياركند فأخذ طريق وادي بوسكام وذهب إلى بدخشان ومنها استأمن بادشاه هامايون بن بابر شاه ، وبالخلاصة إن التيبت التي قضى على حياة السلطان سعيد خان لم يدم حكم السلطان فيها غير سنة واحدة فقط.

عذرنا للقراء الكرام:

إن أهم جزء في تاريخ تركستان الشرقية هو تاريخ الدولة السعيدية ، وإن منبع هذا الجزء من التاريخ نجده في كتاب تاريخ رشيدي لحيدر محمد ميرزا دوغلات، ولكن فيما يتعلق بالفترة من جلوس السلطان عبدالرشيد خان في عرش تركستان الشرقية حتى استيلاء الصين عليها لا نجد في كتاب تاريخ رشيدي إلا ذيول ملحقة في آخر الكتاب فيها معلومات تذكر من حين لآخر، ولهذا السبب أنا مضطر لذكر الأحداث المتعلقة بعبدالرشيد خان حتى جلوس عبدالله خان على العرش بإيجاز شديد، وأرجو أن يتم سد هذا الفراغ فيما بعد إن وجد مصادر موثوقة إنشاء الله، ولا يكفي المصادر الموثوقة الموجودة بين يدي لبيان الأحداث المتعلقة بالفترة فيما بين جلوس عبدالله خان حتى الوقت الحاضر أي من عام ١٠٤٨-١٣٥٩ هـ الموافق عام ١٦٣٠-١٩٤٠م بتفصيل كما

أريدها، ولذا أجدني مضطرا بالتصريح باقتناعي بصحة هذه الأحداث بإيجاز أحيانا وبالتفصيل أحيانا أخرى، و لذا أقدم اعتذاري للقراء الكرام بشأن تقصيري الاضطراري في هذا الخصوص.

الأحداث التي وقعت فيما بين عامي ٩٤٠-١٠٤٨ هـ الموافق عامي ١٥٣٣-١٦٣٠م:

عندما جلس السلطان عبدالرشيد خان على عرش البلاد كانت سائر مدن ولايات تركستان الشرقية ما عدا آلتاي وإيميل كانت في قبضة السلطان عبدالرشيد خان، وكانت تعرف بالدولة السعيدية ، وكان الأهالي والقاطنون فيها في رغد من العيش والأمان والرفاهية وفي غاية الاستقرار الاجتماعي السعيد، وفي عام ٩٥٠هـ الموافق عام ١٥٣٤م توفي والي ولاية طرفان منصور خان وخلفه ابنه شاه خان واليا عاما فيها، وفي عام ٩٧٨ هـ الموافق عام ١٥٤٠م توفي السلطان عبدالرشيد خان وخلفه ابنه شجاع الدين أحمد خان ملكا على البلاد ، وفي هذه السنة نفسها توفي والي ولاية طرفان شاه خان ، وبعد شجاع الدين أحمد خان خان تولى الحكم عبدالكريم خان ، وبعد وفاته تولى الحكم محمد خان وبعده تولى عبداللطيف خان ، وعبر هذه السنوات وهي تسعة وخمسون عاما التي مضت في عهود هؤلاء الأربعة

الأخيرين ليست لدينا معلومات عن خصوصياتهم والأحداث التي وقعت في عهودهم،

وكذلك ليست لدينا معلومات عن تواريخ جلوسهم العرش وتواريخ وفاتهم، ولكن السلطان عبداللطيف خان توفي في عام ١٠٣٧ هـ الموافق عام ١٦٢٧م ، وفي هذه الفترة كان عبدالرحيم خان بن السلطان عبدالرشيد خان واليا عاما على طرفان، غير أن عبدالرحيم خان أعلن استقلاله فانقسم البلاد إلى قسمين، وتعتبر هذا التقسيم تقسيم الدولة السعيدية في تركستان الشرقية إلى قسمين.

وبعد وفاة السلطان عبداللطيف خان وقعت بين أولاده صراع على العرش الذي جرهم إلى حروب دامية بينهم طالت مدة عشر سنوات ، وكانت الحروب التي وقعت فيما بينهم حربا شرسة مدمرة، ولكن الله تعالى قيض لهم شخصية حازمة وهو عبدالله خان بن المرحوم عبدالرحيم خان الوالي العام لولاية طرفان ، وتغلب عبدالله خان عليهم جميعا وجلس على عرش البلاد في مدينة ياركند فاستتب الأمن في البلاد .

دور عبدالله خان في ملكه..

جلس عبدالله خان على عرش البلاد في العاصمة ياركند ١٠٤٨ هـ الموافق عام ١٦٣٨م وأعلن نفسه ملكا على البلاد وجعل عبدالله خان هذا إدارة كل ولاية من ولايات المدن الستة وطرفان وبش باليق وغولجا تحت إدارته المباشرة مخضعا كل تلك الولايات للدولة السعيدية، ولم تكن في البلاد ولاية او حكومة مستقلة عن الدولة السعيدية، وبهذه الصورة أصبحت الشئون العسكرية والمالية والإدارية مركزية وتحت إدارة موحدة ، وبهذا أصبحت الدولة ذات قوة وأمنت البلاد من الفتن، ولا سيما القوات العسكرية ازدادت فوق العادة، وبدأ عبدالله خان يفكر في إخضاع بعض الحكومات الصغيرة في الشمال والغرب وجمع قوة عسكرية في كل من ولاية كاشغر وأوج (آقسو) ثم فكر في الزحف إلى طاشكند ووادي فرغانة، وسمع الخبر ملك خوقند وملك طاشكند فعرضوا لعبدالله خان الطاعة على أن يرسولوا إلى ياركند إتاوات سنوية وأن يذكروا اسم عبدالله خان في خطبة الجمعة ، وبهذه الصورة أصبحت أجزاء مهمة من تركستان الغربية تابعة للدولة السعيدية في تركستان الشرقية.

وأجرى عبدالله خان تعميرات في المدن التي تهدمت أثناء الحروب السابقة ، وكذلك تعميرات في الطرق والكباري والقصور والمدارس

والجامعات وطرق القوافل التجارية والمساجد على طول البلاد وعرضها.

وفوق هذا قام عبدالله خان ببناء مدرسة كبيرة في كل من مدينة كاشغر وياركند وخوتان تعرف باسم خانليق مدرسة (أي المدرسة الملكية) وأوقف لهذه المدارس قرى كاملة يصرف ريعها لهذه المدارس ، وحتى الآن توجد تلك المدارس بأسمائها ، وسعى عبدالله خان في تعمير المدن وازدهار الزراعة فيها سعيا حثيثا وحفر المجاري والجداول لري الأراضي الزراعية في البلاد، وعمل الأنهر الصناعية للري والصرف ، وبنى مدينة جريا فيما بين مدينتي خوتان وكريا، وكذلك الأنهر الصناعية الأربعة التي في خوتان وكذلك المصرف المائي لتقسيمه المنتظم (سو نوبتي) ترجع الفضل فيها إلى عبدالله خان هذا.

وفي عام ١٠٧٥ هـ الموافق عام ١٦٦٤م قام القاطنون في جبال جرجن وكريا الغير مسلمين بتعرض على المدن والقرى القريبة منهم بالإغارة عليها ومن جملتها مدينة كريا وأجروا في الأهالي قتلا عاما وخربوا مدينة كريا بالسلب والنهب، ولما بلغ الخبر لعبدالله خان تحرك من العاصمة ياركند فورا إلى مدينة كريا، وزحف على سريغ الأويغور المخالفين وتغلب عليهم وتعقب فلولهم الهاربة إلى الجبال وأجرى فيهم قتلا عاما أينما وجدوا وحيثما كانوا ، واصدر أمرا بإهدار دمهم وأرسل جنودا لتعقبهم، فقضى جنود السلطان عبدالله خان عليهم تماما

ورجعوا إلى كريا بعد ما خلا جبال وقرى جرجن وكريا من الأويغور الصفر.

وفي عهد عبدالله خان قويت شوكة قالموق بصورة مدهشة وتغلب على قبائل القازاق ، ثم في حوالي عام ١٠٧٠ هـ الموافق عام ١٦٥٩ م قاموا بالهجوم على مدينة غولجا وبش باليق وتغلبوا على جنود عبدالله خان واحتلوا تلك المناطق ، وكان هزيمة قوات عبدالله خان خزيمة منكرة، ثم وقعت مصادمات حربية بين الطرفين حتى وقعت ولاية طرفان وقمول بيد قبائل القالماق، وليست لدينا معلومات كافية في تفصيل واقعات الحروب هذه ، ونتيجة لهذه الحروب الشرسة انفصلت أهم أجزاء تركستان الشرقية عن الوطن الأم فلم تعد في يد الدولة السعيدية إلا المدن الستة ، وبهذا ضعفت قوة عبدالله خان العسكرية والاقتصادية.

وفي عهد عبدالله خان هذا كان تصادم الخانيات المنقسمة في تركستان الغربية على أشدها ، وكانت بعضهم يغير على بلاد بعضهم ويدمرها تدميرا بشعا، وبفقدان الأمن هذا في تركستان الغربية كان الأهالي يهاجرون إلى تركستان الشرقية كالسيل الجارف، وكانت مروءة عبدالله خان تتغشاهم بالرحمة والأمان ويقطع عبدالله خان لهم الأراضي وغيرها من المساعدات ، وكان بين المهاجرين من تسمى بالسيد تورة، وكان في ذلك الوقت سوق المروجين بمن يعرف بالسيد

والثورة سوقا رائجا في جميع انحاء العالم الإسلامي وهم السادة الصوفيون والمتصوفون والدراويش، هذا الأمر يعرفه دارسو التاريخ، فمال إليهم عبدالله خان حيث يشاورهم في أمور الدولة وشئون الحكم ويعتمد على استخاراتهم واستشاراتهم وحسب ميولهم تسير أمور الدولة ، وكان عبدالله خان يحترم هذه الفئة احتراما زائدا ثم دخل عبدالله خان في عهدهم ، وكذلك رجاله المخلصين وأركان دولته مريدون لهذه الفئة، وكان عوام الناس يعتقدون في علو مكانة هذه الفئة على الإنسان العادي ، وبهذه الصورة زاد نفوذهم وتفوق على سائر النفوذ في الدولة حيث أصبح نفوذ الصوفيين خطرا على الدولة والبلاد والعباد بعد وفاة عبدالله خان ، وربما تنهار الدولة السعيدية برمتها حيث تلقى الدولة دولة تركستان الشرقية وأهاليها مهانة وذلا في نفوذ المتصوفين لم تر على مدى التاريخ كله، ونأتي الآن لتفصيلات ذلك فيما يلي حسب ما لدينا من معلومات.

سقوط عبدالله خان عن العرش...

قد عين عبدالله خان أحد أبنائه وهو يولبارس خان واليا لولاية كاشغر ، وكان يولبارس خان هذا ظالما وشريرا للغاية ، فأراد عبدالله خان عزله من الولاية أو تصفيته جسديا، وعلم يولبارس خان بنية أبيه وقام ابعصيان على أبيه، فقام عبدالله خان بالزحف العسكري لتأديبه

وانهزم جيش عبدالله خان أمام مقاومة ابنه، ثم أعاد الكرة على يولبارس خان فتصادم الجيشان تصادما عنيفا وانهزم جيش عبدالله خان للمرة الثانية انهزاما شديداوذلك عام ١٠٨٧ هـ الموافق عام ١٦٦٧م، فلم يتحمل عبدالله خان هذا الجفاء من ابنه ففكر في ترك البلاد والتروح إلى الهند وجعل ابنه الصغير عبدالمؤمن خان نائبا عنه في البلاد وأخذ معه خلصاءه وذهب بهم إلى الهند، ولما سمع أوزنكزيب عالمكير خبر نزوح عبدالله خان أصدر أمره إلى حاكم كشمير مبارز خان باستقبال القادم واحترامه ويرسله إلى دهلي ، فقدم عبدالله خان إلى كشمير واستقبله مبارز خان استقبالا كريما يليق بجلال قدره واستراح الأخير في مدينة كشمير عدة أيام ثم وادعه مبارز خان إلى دهلي العاصمة فاستقبله ملك الهند أوزنكريب عالمكير استقبال الفاتحين وفوق العادة وأنزله مترلة الملوك ، ثم أراد عبدالله خان أداء فريضة الحج وسافر إلى الحرمين الشريفين وحج ثم عاد إلى الهند، فقال له أوزنكريب عالمكير : "سيدي عبدالله أنا متأثر جدا من جفاء ابنكم عليكم فانا ابنكم أيضا فأرجو أن تقيموا عندي ولا ترجعوا إلى وطنكم وترونني في مقام ابنكم وستروني وفيا بكم" فسر عبدالله خان بتكريم الملك عالمكير وأقام في الهند ، وفي عام ١٠٨٠ هـ الموافق عام ١٠٦٦٩م أراد عبدالله خان أن يصيف في كشمير ووافته أجله هناك في كشمير ودفه فيها، وعندما نزح عبدالله خان من البلاد تغلب يولبارس خان على أخيه عبد المؤمن خان وأتى إلى

ياركند وأعلن نفسه ملكا على البلاد ، وكانت مدة حكمه سنتين حيث قتل في عام ١٠٨١ هـ الموافق عام ١٦٧٠م ، وكانت مدة حكمه مليئة بالظلم والاستبداد ، وفي كتاب تاريخ رشيدي يذكر مؤلفه حيدر ميرزا دةغلات أن كلا من حجاج بن يوسف الثقفي وضحاك يخجلان من تلكم المظالم في عهد يولبارس خان هذا.

إسماعيل خان ملكا على البلاد وآفاق خواجه يكفر بالنعمة...

لم يتحمل الأهالي بظلم يولبارس خان فقاموا بثورة عارمة حيث قتل يولبارس خان على يد الثوار من الأهالي ، ثم جلس على العرش أخوه إسماعيل خان ملكا على العرش فجعل يبسط الأمن والأمان في البلاد والعباد، وكما سبق أن قلنا سابقا ان المهاجرين من تركستان الغربية كان فيهم متصوفون الدراويش فحصلوا على نفوذ قوية في البلاد ، وكان فيهم المدعو هداية الله خوجة كان له نفوذ فائقة، وعندما قتل يولبارس خان طمع هداية الله خوجة في الملك وسعى سعيا حثيثا ، وفي عام ١٠٧٨هـ الموافق عام ١٦٧٦م وبمساعدة مريديه الجهلة قام بعصيان علني صاحب نعمته ملك البلاد إسماعيل خان وحاصر العاصمة ياركند ، وبمساعدة مريديه في داخل المدينة انتصر ودخل المدينة وأسر الملك إسماعيل خان وأعلن نفسه ملكا على البلاد، ولم تدم حكومة آفاق خواجه كثيرا بل لم تتعد ثلاثة أو اربعة أشهر حيث قام محمد أمين

خان من آل سعيد خان بجمع جنود كثيرة واغار علىى العاصمة ياركند وتغلب على آفاق خواجة واحتلها وخلص العاصمة من قبضته ، ولكن الأخير أخذ الأسير إسماعيل خان ونفرا من رجاله وهرب إلى وادي إيلي حيث القالموق كالدان قونتاجي واستأمنه ثم طلب منه مساعدة ضد محمد أمين خان في مدينة ياركند، وكان هذا الطلب يوافق هوى كالدان قونتاجي الذي كان يتطلع إلى احتلال المدن الستة الجنوبية.

انهيار الدولة السعيدية القومية...

إن طلب هداية الله خواجه من كالدان قونتاجي المساعدة ضد محمد أمين خان وقع هوى في نفس قونتاجي كما قلنا ، ولكنه كان يخاف من شدة دفاع أهالي المدن الستة المسلمين ، ولو تمكن من احتلالها فإنها لا يدوم طويلا بسبب مقامة المسلمين ، وأما الأمر بالنسبة لهداية الله إيشان فمختلف، حيث إنه شيخ المسلمين الذين هم الأكثرية في البلاد ، ولذا احترم كالدان هداية الله إيشان احتراما كثيرا ومنحه لقب آفاق وهي لقب شرف في القالماق.

وفي عام ١٠٩٠ هـ الموافق عام ١٦٧٩م تحرك كالدان قونتاجي وهداية الله إيشان، في المقدمة تحرك كالدان قونتاجي ومعه ستون ألف جندي من القالماق متجها إلى المدن الستة ، ودافع محمد أمين خان عن بلاده وأوقف المعتدين خارج مدينة آقسو، ولكن بدعاية من هداية الله

إيشان قام مريدوه من مدينة كاشغر وياركند بانقلابات وقلاقل الأمر الذي أجبر محمد أمين خان للعودة إلى مدينة ياركند ، وزحف كالدان قونتاجي إلى مدينتي آقسو وكاشغر واحتلها بدون مقاومة، وأجرى كالدان قونتاجي القتل العام في الكوادر الإداريين في البلاد، ثم زحف كالدان قونتاجي إلى مدينة ياركند ومحمد أمين خان يدافع عنها دفاع المستميت من داخل الأسوار حتى يئس كالدان قونتاجي من فتح المدينة ولكن مريدو هداية الله إيشان كانت بكثرة في داخل المدينة الأمر الذي زاد من أمل كالدان قونتاجي في فتح المدينة ، ومن جهة أخرى قام مريدو هداية الله إيشان بانقلاب من داخل المدينة وبتظاهرات عارمة وفتحوا باب المدينة مرحبين بشيخهم هداية الله إيشان ، ولكن الأمر كان مغايرا حيث دخل المدينة أول ما دخل الجنود القالماق ، وبهذه الصورة انهارت الدولة السعيدية التي عاشت مائة وسبعين عاما.

انت الدولة السعيدية تعد في زمانه أكبر دولة في آسيا الوسطى حيث إن تركستان الغربية انقسمت إلى دويلات صغيرة وخانيات متعددة لأوزبك وقبائل القازاق وقالماق ومنها الإمارات الصغيرة، والحال هذه دامت مدة، وأما المنطقة التي تعتبر تركستان الشرقية الآن ما عدا آلتاي وإيميل فكانت تابعة للدولة السعيدية ، وكانت الدولة السعيدية دولة ملكية كبيرة ، وكانت مدينة ياركند مركزها العام وعاصمتها الإدارية، لكن الإدارة الداخلية كانت تنقسم إلى إدارتين مستقلتين: الأولى في مدينة ياركند ببلاط الملك تشمل المدن الستة ما عدا مدينة كوجا، كانت تابعة لإدارة البلاط الملكي بياركند، وكانت تعيين الولاة على المدن والولايات مرجعها هذه الإدارة الملكية، وكذلك عزلهم، ومن اختصاص هذه الإدارة الشئون المالية والضرائب والعائدات التي ترد الخزانة العامة للدولة ، وأما الإدارةى الثانية فكانت في مدينة طرفان تشمل كلا من ولاية طرفان وكذلك المدن الممتدة من كوجا وقمول وبش باليق وغولجا ، وكل الشئون الداخلية لهذه المدن والولايات ترجع إلى هذه الإدارة في مدينة طرفان ، وهناك الوالي العام لتلك البلاد ، وكذلك الشئون الإدارية والمالية والضرائب والعائدات لهذه الإدارة تدفع لخزانة الدولة عن طريق الإدارة هذه ، وكلا هذين الإدارتين تتشابهان في تركيبها القانوني والإداري وفي الإجراءات، وأما

الشئون العدلية والعقوبات الشرعية مثل الحدود والقصاص فكانت في أيدي العلماء حيث توجد محاكم شرعية في كل بلدة وقرية وقصبة وبجانبها السجون، وأما شئون الأمن والشرط المحلية فكانت فيها دوائر خاصة تسمى بكاتوالليق وشحنليك حسب اصطلاح تركستان الغربية، وأما رئيس الأمن العام فيسمى ميرشب، وكان شئون هذه الإدارة منتظما جدا، وكانت العائدات من مثل الضرائب على الحاصلات الزراعية تفرض على الدونم وحسب خصوبة الأرض وكذلك على المواشي كذا رأس من الغنم أو الشاة، وكانت ضرائبها تسمى برؤوس العشب ، وكل عذع الضرائب تسمى في الوساط الشعبية وحسب نطقهم (ألوان) ولكن ضرائب المحصولات الزراعية تسمى العشر حسب الشريعة الإسلامية ، وأما إيرادات الزكاة الشرعية والعشر من المحصولات الزراعية فكانت جبايتها من اختصاص المأمورين الذين يعينون من قبل الولاة والحكام في المدن والقرى وتوضع هذه الإيرادات في خزانة الدولة، وكانت في دولة جاغاتاي خان حسب تصنيف مراتب الشعب تصنيفا عادلا، وهذا التصنيف من بقايا تلك العادات المرعية منذ القدم.

وكان على شخصية الملك أن يقوم بسياحة جهة من أطراف ملكه العريض ليتفقد أحوال الرعية ويفتش عن إدارهم وشئون الأمة الاجتماعية وأن يصدر أوامره حسب مشاهداته الشخصية، ويضع

نصب عينيه مصلحة المجتمع وشئونها الحياتية، وكان أكثر الملوك آنذاك يرى هذا الأمر كفريضة واجبة عليه في صالح الأمة والدولة.

وكانت الشئون العسكرية في الدولة السعيدية ضعيفة ، بل لم تكن مثل ما كانت سابقا ذي شأن عظيم، وذلك أن الدولة السعيدية لم تكن مهيمنة على أطرافها من حيث السعة والعظمة ، بل كانت دولة مسالمة يكفيها الأمن والأمان والحياة الآمنة للأمة وببساطة، ولم يكن في جوارها حكومات كبيرة ، بل كانت جيرانها من الخانيات والإمارات الصغيرة ، وفي الشرق كانت الإمبراطورية الصينية ذات شأن عظيم ، ولكنها في زمن الدولة السعيدية كان عهد منغ قد ضعفت ولم تملك قوة تتعرض بها على سيادة تركستان الشرقية ، ولم يكن في الاحتمال ذلك، ولهذا السبب يكفي للدولة السعيدية جيش قليل العدد نسبيا بحيث يؤمن أمن البلاد وسلامتها، وأما من حيث عدد الجنود في الولايات والمراكز فنوعان: في العاصمة ياركند كانت هناك عدة آلاف من الجنود تحت إمرة الخان نفسه، وأما في الولايات فكانت هناك جنود تكفي لأمن الولاية وسلامتها ، وكانت هذه الفئة من الجنود تابعة للإدارة العسكرية في العاصمة ، وإذا ظهر انقلاب أو قلاقل في منطقة ما يرسل إليها جنود العاصمة ياركند وحسب الحاجة لإخماد تلك الحركة، وأما في ولاية طرفان فكانت هناك عدة آلاف جندي تابعة لإدارة الوالي العام، وكانت هناك في الشمال قبائل القالماق تثير القلاقل

والاضطرابات، وكذلك من شعوب كوكو في الجنوب من منطقة طرفان يقومون بهجمات عدائية، وكان إخماد هذه الحركات من واجبات جنود ولاية طرفان.

ولكن هناك خصائص في زمن عبدالله خان حيث قويت فيه قبائل القالماق وشكلت خطرا على تركستان الشرقية، ولذا اهتم السلطان عبدالله خان بالشئون العسكرية من حيث عدد الجنود والعدة بحيث يكون الجنود سندا قويا لاستقامة ومتانة الدولة السعيدية آنذاك، وبكثرة جنود السلطان عبدالله خان وتفوقهم في القتال وعظمتهم في الهجمات أخذ عبدالله خان كلا من خانية طاشكند وخانية قوقند تحت حمايته، غير أن جنود السلطان عبدالله خان ضعفت في مقابل ازدياد قوة القالماق وانكسرت شوكتها بمرور الوقت ، وبهذا السبب انهزمت جنود السلطان عبدالله خان أمام زحف ابنه ثم انهارت الدولة بسبب الضعف في القوة العسكرية للدولة السعيدية.

الأحوال الاقتصادية:

في عهد الدولة السعيدية تحسنت الحالة الاقتصادية في البلاد ووصلت إلى مستوى العهود القاراخانية السابقة ، وكان ذلك بسبب الأمن والأمان الذي استتب في البلاد ، وبذلك كثرت الثروة ونمت نموا مضطردا إلى غاية الرقى حيث اكتشفت طرق التجارة الداخلية وزادت عطاءاتها ، وكانت الأسواق في المدن والقرى مزدحمة والناس يندفعون

للبيع والشراء والأسواق عامرة بالمال وعروض التجارة ، وأما في التجارة الخارجية فكانت تركستان الشرقية في قمة التجارة العالمية التي كانت في يد أهالي تركستان الشرقية ، وأما الصين والعند فكانت في ذروة الصناعة العالمية، وكان أهالي تركستان الشرقية يجوبون الصين والهند في قوافلها التجارية بالخامات الصناعية حيث إن تجار تركستان الشرقية يأتون إلى الصين بالذهب والجواهر والأحجار الكريمة من مثل اليشم والأقمشة القطنية ومنها قماش الخام وجكمن والوبر والصوف والجلود والسجاد ويرجعون منها بالأقمشة الحريرية والأطباق الصينية المصنوعة من الخزف، ويأتون من الهند بالبهارات وصباغ والعطور ومنسوجات كشميرية، وأما تجارتهم مع تركستان الغربية وأفغانستان وإيران فكانت تشمل الخامات وجكمن والسجاد والحديد والنحاس والصناعات الصينية ومن البهائم الفرس ، وكانوا ياتون منها بمختلف العروض التجارية المناسبة.

وأما التقدم الزراعي في البلاد فكانت من اهتمام الدولة حيث حولت مساحة كبيرة من الأرض البور إلى أراضي خصبة وحفر الأنهر الصناعية والجداول بغرض الري والصرف وحفر الآبار الارتوازية من سفوح الجبال لسقيا الأرض الزراعية ولا سيما في ولايتي طرفان وكوجار وكثرت الأيدي العاملة واتسعت العمران في المدن والقرى وعمرت الخراب منها ، وقد عملت الدولة السعيدية الشيء الكثير في

تشجيع الزراعة وتطويرها فأقامت السدود على الوديان والشعب للاستفادة من المياه الجارفة المهدرة هنا وهناك وبنى على مصباتها مقابض الري والصرف الاصطناعي ، وبهذا الجهد العظيم من الدولة قد أينعت ثمارها مبكرا في زمن الدولة السعيدية، وقد بنيت كثير من المدن والقرى والأرياف في عهد هذه الدولة، وللمثال بنيت فيما بين خوتان وكريا بلدان هانجوي وجيريا وجلخمار وقاراقير وغيرها من القصبات ، وفي ضواحيها من الأرياف بالمئات والألوف، وكذلك بلدان على أطراف مدينة قوما وقارغيليق وقصبة مركيت وبلدة مارالباشي وكلفين وأوجتورفان وآقسو آباد وينكحصار في بلدة كوجار وشهيار وفيض آباد في ولاية كاشغر وغيرها من القصبات في ضواحيها وأرياف لا حصر لها، وكل هذه الإنجازات بقيت لنا من عهد الدولة السعيدية وعمرت أكثرها من البلدان التي خربتها الحروب والكوارث الطبيعية ، وكان أهالي تركستان الشرقية أمة صناعية منذ الأزل ، وكانوا متقدمين فيها، ولذا ولأن الدولة السعيدية هيئت لهم ظروف الأمن والأمان والرفاهية ازدهرت الصناعة في عهدها وتقدمت إلى أرقى مستوى في التقدم وأخذت قدما راسخا فيها، ولو أن المعمار الذي بقي حتى زماننا هذه كان ضئيلا جدا في حكم العدم في بعض المناطق، إلا أننا نرى في البقية التي وصلت سالمة إلى يومنا هذا ما تنبئنا أن المعمار في صناعة الهندسة والرونق المعماري كانت متقدمة جدا ، وكذلك صناعة

النقش والفسيفساء تبرهن على وجودها الراقي والأصيل في ذاتها ولم تتأخر عن مثيلاتها في مختلف بقاع العالم، ولكنها تنقص في خام البناء حيث أجدادنا لا يستعملون الحجر ، وكانوا يبنون بالآجر الحمر وبالطوب الطيني القديم ، ولأجل ذلك يعمد أعداؤنا بهدم البناء أيا كان بسهولة تامة حيث لا يشمل البناء على حجارة قط، وبالرغم ذلك وصلت إلى زماننا هذا بعض الأضرحة والمساجد والقباب وبوابات الجوامع الكبيرة وبعض المدارس، وذلك البقاء لم يكن لكونها بنايات ذات تقدير وإنما لكبر واتساع مساحتها مع جودة الصناعة القديمة، ولو كانت بخامات لينة هينة.

وأما بالنسبة للأثاث المترلية التي بقيت ووصلت إلى عهدنا هذا تجدونها في أيدي الناس بكثرة وبوفرة ، وهذه أثاثات المترلية إما من خام الحديد أو النحاس أو خام الفضة وغيرها، ونرى فيها الجودة والإتقان في التصميم والصناعة وبنقوشها النادرة والشيقة في نفس الوقت، وأما الصناعة المعدنية فترقت في زمانها تلك بفضل اهتمام الدولة حيث تدر دخلا كريما لخزانة الدولة، وحظيت هذه الصناعة من جراء النظرة الكريمة من الدولة ولكونها تحت غدارة ونظارة الدولة من مثل معدن الحديد في مدينة ينكحصار ومعدن النحاس في ولاية كوجا ، وهناك معادن في خوتان وكريا وجرجن التي تنتج الحديد والنحاس والذهب تؤمن حاجة البلاد إليهاويتاجر بالباقي في خارج البلاد ، وغير

ذلك من صناعات يدوية مثل الصباغة بالذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة مثل اليشم وكذلك صناعة السجاد وصناعة الحرير الطبيعي وصناعة الأنطاع ، وتلكم الصناعات ازدهرت في عهد الدولة السعيدية في غاية الرقى والإتقان، وهذه الصناعات اليدوية أيضا تكفي حاجة البلاد وتصدر الفائض إلى الخارج فضلا عن صناع مهرة أتوا إلى تركستان الشرقية من خارج البلاد مما أدى إلى تنوع الصناعات المزدهرة، وكان أكثر الصناع الذين يأتون إلى البلاد من الهند والكشمير وأفاغنستان وتركستان الغربية.

المعارف والآداب:

ومعلوم لدينا ان المعارف والتعليم والتربية ازدهرت في العهد الميمون للدولة السعيدية حسب الأصول المرعية في ذلك الوقت حيث لم ير مثله قبل ذلك التاريخ، وكان يدرس في المدارس العلوم الدينية باللغة التركية الدارجة آنذاك وكذلك اللغة العربية واللغة الفارسية ، وكان علماؤنا يهتمون باللغة العربية ولذلك كانوا يعلمون في المدارس كتب التراث باللغة العربية مثل الصرف والنحو والفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والفلسفة وغيرها من العلوم العربية والإسلامية، وأما الكتب الفارسية من مثل كتب الأخلاق والأدب فكان العلماء يبعدون اللغة التركية عن منهج التعليم ، وكان هذا خطأ منهم في العهد

السعيدي ، وكانت هناك مدارس كثيرة في المدن الرسمية والقرى والقصبات كانت فيها الكتاتيب لتحفيظ القرءن الكريم وتجويده، وكانت هذه الكتاتيب تبنى من قبل الأمراء والحكام والأثرياء والموسرين من عامة الشعب، وكانوا يوقفون لهذه المدارس أوقاف تدر منها غلات كثيرة ، وكل هذه الأوقاف أراضي زراعية خصبة، وهذه الأراضي الموقوفة بكثرة إيراداتها وضخامة حجمها برهان قاطع على ازدهار وتقدم المعارف العامة في البلاد بدرجة فوق العادة ، وفي عهد الدولة السعيدية نشطت المدارس العلمية كثيرا وأنجبت فطاحل العلماء الأجلاء، وقد ذكر حيدر ميرزا دوغلات في كتابه تاريخ رشيدي فئة كبيرة من العلماء ، وكذا ذكرهم في ذيل الكتاب وعرفهم فردا فردا حسب معايير علمية، وإذا جئنا في الأدب والأدبيات كانت النهضة الأدبية باللغة العربية والفارسية أخذت اهتماما كافيا في المدارس ، وبرز في الطلبة من يقرض الشعر في هاتين اللغتين بجانب لغتهم التركية التي أخذت رواجها ورونقها وهذا معلوم للجميع، نرى في اللغة التركية عددا من الرواد من مثل نوبتي وهو ختاني نرى كثيرا من نسخ ديوانه المسمى بديوان نوبتي مخطوطا ، وقد ذكر حيدر ميرزا دوغلات في تاريخ رشيدي عددا من رواد الشعر في زمانه باللغة التركية كما ذكر عددا منهم في ذيل الكتاب ومنهم فرقتي وذليلي ، ومع الأسف لم يصادفني غير ديوان نوبتي حتى الان ، وبالنظر الجاد لديوان نوبتي نرى

فيه صفات الرواد المنصف المتصوف الذي دأبه الحقيقة وصدق الرواية والروية، يشبه للرائد الفضولي وعلي شير نوايي في السلاسة وسعة البال ، وكانت هناك كتب مخطوطة باقية حتى الآن من عهد الدولة السعيدية ، ومن المخطوطات القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام باللغتين العربية والفارسية ودواوين الشعر باللغات الثلاث كتبها الكتاب من تركستان الشرقية برغم كثرتها، وعندما يأتي الواحد على تلك المخطوطات ويرى الصدر منها مزينة بألوان زاهية مزودة برسومات وأشكال تذهب بالأبصار، ولهذا نقول إن الكتابة كصناعة وعلم ازدهرت كثيرا ، وبأقل تقدير تواكبت تطور الكتابة والعلوم في تركستان الشرقية التطورات العلمية في مختلف بقاع العالم.

الحالة الاجتماعية والاتجاهات في عامة الناس:

في العصور الوسطى اعتلت الطرق الصوفية في الأقطار الإسلامية كلها وبدون استثناء وازدهرت وعمت في الناس كلهم تأثيرؤ مشايخ التصوف شرقا وغربا وقد سجله التاريخ، ولكن التصوف في تركستان الشرقية أخذ شأوا كبيرا وحيزا ومساحة أكبر وأوسع وفوق ما يألفه الناس، وكان على رأسهمالحكام والملوك والأمراء وأركان الدولة والوزراء والأمناء وأعيان البلاد، وعامة الناس يتبعون الطرق ومشايخ الصوفية، ولكن المشايخ قلما يوجد فيهم من له علم ومعرفة وفقه في

الشريعة، بل كان أكثرهم دجالون وكذابون وجهلة، وكانوا يسمون أنفسهم بالمرشدين والإرشاد بريء منهم ، غير أن واحدا من ألف يعلمون مريديهم مبادئ الدين إذا وجد، وكان قصدهم كلهم أن يجلبوا العوام إلى ساحتهم وخانقاهم وليس لهم من الدين شيء ولا مسلكا راشدا يرشدون إليه، ويتكلمون عن كرامات كاذبة ويوهمون الناس بالرقى الروحاني المزيف وكان الرياء شعارهم، وبهذه الطريقة يربطون الناس العوام لمقاصدهم الدنيوية ومصالحهم الذاتية، وبهذا الأسلوب ينجذب الناس العوام وهم الأكثرية إلى تلكم الدجالين وينسون أمور دينهم ويشكون في عقيدهم ويسلكون مسالك الإلحاد، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اعتقدوا أن سعادة الدنيا والآخرة في يد هؤلاء المرشدين المهلكين وحسب اختيارهم نسوا الله ورسوله، وتركوا أمر رهم ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعملوا لرضا مرشديهم الكذابين وأفدوا كل شيء لشيوخ الطرق الصوفية ، ومن جهة ثالثة نسوا خصوصيات أجدادهم الأتراك والوطنية وحفظ الرتاث والعادات والتقاليد، وكأهم ليس لهم شعور وإحساس، وهؤلاء الدجالون كانوا في منازعات يائسة مع بعضهم البعض ، وكان فيهم النفاق والحسد والبغضاء والعداوة، وهذه السلبيات سرت إلى مريديهم الجهلة وفقدت فيهم الحب والود والصداقة والوفاء والوحدة الدينية، وبهذه الصورة تدهورت معنويات أهالي تركستان الشرقية وكأهم يعدون أنفسهم للوقوع فيما بعد أسيرة الذل والمهانة في يد الأجانب لمدة طويلة.

الفصل السادس

استيلاء القالماق على تركستان الشرقية ..

بعد استشهاد محمد أمين خان دخلت تركستان الشرقية كلها تحت احتلال القالماق، وكان كالدان قونتاجي يخاف من صعوبة السيطرة على تركستان الشرقية المسلمة وحكمها من المثنيين القالماق، فعين هداية الله إيشان آباق خواجه واليا عاما على المدن الستة وأقام في مدينة كاشغر ، وأما في باقي الولايات والمدن فعين فيها من اقرباء هداية الله إيشان وكانوا يسمون أنفسهم خواجه، وأقام برفقة هداية الله إيشان هيئة إدارية من كوادر القالماق وعدة آلاف من أفراد الجيش القالماقي، وفي سائر المدن والولايات أيضا كوادر قالماقية وعددا كافيا من الجنود القالماق ، ثم بعد ذلك عاد كالدان قونتاجي إلى ولاية إيلي، وبهذه الصورة بدأ أهالي تركستان الشرقية حياتهم تحت استبداد وظلم القالماق والخواجات، بالوجه الذي نذكره، وهاتان الظلم والاستبداد لم يسبق أن عاش فيهما أحد في التاريخ كله، وكان فيهما هلاكهم ونهايتهم، وكان هداية الله إيشان نفسه وسائر الخواجات التابعين له في سائر المدن والولايات كانوا يحملون صفة الرئاسة اسما فقط، وسائر الشئون الإدارية كانت بيد إدارة الكوادر القالماقية وحسب آرائهم، وإن هداية الله إيشان نفسه وسائر الخواجات فقدوا العزة والمنعة التي كانوا عاشوا فيها في عهد الدولة السعيدية الراحلة وضاع نفوذهم في الرعية ، ومع ذلك أصبحوا

يتملقون على القالماق لحفظ مكانتهم الموهومة ولا يعرفون ذلك ، والحالة هذه دامت حتى عام ١١٠٢هـ حيث توفي هداية الله إيشان الشهير بآباق خواجه.

الموجز في تاريخ القالماق..

أصل القالماق قبيلة كبيرة سكنت في وديان جبال آلتاي قديما يقال لها (أويرات)، ويكتبها الصينيون (آيلون) ويكتبها الأويغور (القالموق)، ولا ندري لماذا يقول لهم التركستانيون القالماق، ولا ندري سببا لذلك، وهذه القبيلة التي عرفت بأربع أسماء قالماق ، وقالموق ، وأويرات وآيلون لا نعرف تاريخها القديمة جدا، ولكنهم تبعووا جنكيزخان حتى وفاته ثم تبعوا أوكتاي خان بن جنكيزخان، وبعد موت أبناء جنكيزخان تبعوا لقوبلاي خان حفيد جنكيزخان أو ابن حفيده ، وقوبلاي خان هو موحد الصين قاطبة في القرن الثالث عشر، وبعد قوبلاي خان تبعوا لزمرة قاآن التي أبعدت عن داخل الصين وهم الذين أسسوا دولتهم في منغوليا الداخلية، ومنذ عام ٨٠٠ هـ الموافق عام ١٣٩٧م خرجت قبائل القالماق من سيادة المغول الداخلية ثم بعد ذلك صاروا يتعرضون على أطراف أرضهم القديمة ويتعرضون أحيانا على أطراف تركستان الشرقية ، وفي إحدى حملاتهم على منغوليا الداخلية كسبوا الحرب لصالحهم وأسسوا فيها دولة باسمهم في منغوليا الداخلية ، وكانوا يتعرضون على حدود الصين حيث استولوا على ولايتين تابعتين للتركستان الشرقية وهما آلتاي وإيميل (جوجك الحالية).

وفي عام ٨٥٤ هـ الموافق عام ١٤٤٩م تقاتلت قبائل القالماق مع إمبراطورية الصين وأسرت إمبراطور الصين في هذه المعارك وحاصروا مدينة بكين ثم تصالحوا مع الإمبراطور وخضع الأخير لدفع إتاوات سنوية لحكومة القالماق ففكوا أسره وتركوا الصين وانسحبوا منها نهائيا.

وفي عام ٨٦٠ هـ الموافق عام ١٤٥٤م استولى ملك القالماق على منطقة منغوليا كلها وأعلن نفسه قاآنا عليها، واسم الملك هذا آيسن خان، ودامت سلطة آيسن خان سنة واحدة حيث قاتله المغول وتغلبوا عليه وقتلوه، وبهذا تخلصت قوات القالماق وانكسرت شوكتها وضاعت المدن التي احتلوها وبقيت في أيديهم موطنهم الأصلي، وفي عام ٨٨٥ هـ الموافق عام أغار عليهم الوالي لعموم منطقة طرفان وهزمهم شر هزيمة وطردهم من منطقة إيكي أوكوز وإيميل، وفي عام ٨٨٨ هـ الموافق عام ١٤٨٣م ضاع عليهم استقلالهم وتشردوا ، ومن ثم استأمنوا قاآن المغول دايان خان وأطاعوه جبرا ، ومع ذلك مثل ما قلنا سابقا كانت قبائل القالماق يعتدون على بعض مناطق تركستان الشرقية ويجرون فيها أعمال النهب والسلب، وفي عام ٩٠٠ هـ الموافق عام ١٥٩٤م قام أحمد آلاجي خان بقهر قبائل القالماق وتغلب علىهم وفرض عليهم إتاوات سنوية لخزانة الدولة التركستانية الشرقية، وحينما تفككت دولة المغول في منغوليا وأخذت شكل طوائف الملوك استقلت قبائل القالماق وأسسوا دولة ملكية ، ومنذ عام ١٠٠٠ هـ بدأت دولة القالماق تتقوى وتتماسك ، وفي عام ١٠٦٩ هـ الموافق عام ١٦٥٨م تحركت دولة

القالماق إلى الغرب وتحاربت مع قبائل القازاق وتغلبت عليهم واستولت على ضفاف نهر آرتش وتوبل وما بينهما من سهول وهي موطن القازاق قديما ، ولكن لم يدم هذا الاحتلال حيث ارتدت قبائل القازاق وتوجهوا نحو موطنهم الأصلية وطردوا قبائل القالماق من أراضيهم ، وفي عام ١٠٧٠ هـ الموافق عام ١٦٨٩م بدأت قبائل القالماق بالهجوم على تركستان الشرقية، وبالوجه الذي قلناه سابقا تقاتلت قبائل القالماق بجيوش عبدالله خان وتغلبت عليها فاستولت على منطقة إيلي وبش باليق وولاية طرفان، بينما قام التبتيون البوذيون المبشرون بديانتهم في أوساط القالماق والمغول ليتركوا ديانتهم الشامانية ، وفعلا تركت قبائل القالماق الديانة الشامانية وقبلوا الديانة البوذية بدلا عنها، وإن واحدا من أمراء القالماق واسمه كالدان ذهب إلى مدينة لاهاسا في التيبت وتعلم الديانة البوذية ولها فرقتان وهما: أصحاب الرداء الحمراء، وأصحاب الرداء الصفراء، فاختار كالدان طائفة الرداء الصفراء ثم عاد إلى بلده وجمع الأهالي على مذهب أصحاب الرداء الصفراء وصار مذهبا لقالماق، وبالخلاصة بينما كان كالدان أحد أمرائهم تقلد صفة شيخ القالماق البوذية في بلاده.

ثم أصبح كالدان في عام ١٠٨٦ هـ الموافق عام ١٦٧٤م ملكا لبلاده وتقلد لنفسه لقب قونتاجي وأسس دولة قوية في بلاده ، أضف إلى ذلك أنه أخذ كلا من إيلي وإيميل وإيكي أوكوز حتى ولاية طرفان تحت سيادته وسلطانه، وفي مدينة غولجا بنى مدينة سماها كورة أي المعبد واتخذها عاصمة

لملكه ، ثم استولى كالدان قونتاجي على منطقة تيبت وأخذ كبير البوذيين من طائفة الرداء الصفراء تحت حمايته وخلعه لقب دالاي لاما ، ولم تزل مشيخة الرداء الصفراء هي المرجع الديني للبوذيين في منطقة تيبت.وفي عام ١٠٩٠ هـ الموافق عام ١٦٧٩م هاجم كالدان قونتاجي المدن الستة في تركستان الشرقية كما أسلفنا سابقا، واحتلها بمساعدة مريدي هداية الله إيشان آباق خواجه، وعين كالدان قونتاجي هداية الله إيشان واليا عاما على المدن الستة ، ثم احتل كالدان قونتاجي عام ١١٠٠ هـ الموافق عام ١٦٨٨م منطقة منغوليا كلها، (انظر الخريطة رقم ١٩) ثم بدأ كالدان قونتاجي حربا مع إمبراطور الصين كاي شي، وفي عام ١١٠٩ هـ الموافق عام ١٦٩٦م نالت به هزيمة نكراء من جيوش الصين وضاعت عنه منطقة منغوليا كلها وولاية القمول وباركول واستولى عليها الصين ، وفي نفس السنة مات كالدان قونتاجي وخلفه حفيده رابدان خان ملكا على البلاد، وكانت في يده كلا من ولاية طرفان وولاية إيلي وإيميل وآلتاي، غير أن رابدان قبل سيادة الصين وتبع لها ودفع إتاوات سنوية لخزانة الصين ، غير ان هذه المناطق سلمت من استيلاء الصين عليها، ولكن المدن الستة تخلصت من قبضة القالماق ودخلت تحت سيادة الخواجات الذين كانوا تحت سلطة أهالي كانجوت، علما بأن الخواجات انقسموا بعد وفاة هداية الله إيشان إلى قسمين، القسم الأول آق تاغليقيون أي أهل الجبل الأبيض، والقسم الثاني قاراتاغلقيون أي أهل الجبل

الأسود، كان الأولون في الحكم إبان عهد كالدان قونتاجي، والطائفة الثانية خرجت على الطائفة الأولى، وسوف نأتي في تفصيل ذلك في بابه فيما بعد.

وفي عام ١١٢٠ هـ الموافق عام ١٧٠٨م تقوى رابدان قونتاجي بقوة عسكرية زائدة عن حاجته وحارب مع الصين وتغلب عليها واسترد المدن والولايات مثل منغوليا وولاية قمول وباركول ، وفي عام ١١٣٠ هـ الموافق عام ١٧١٨م بدأ رابدان قونتاجي حربا على التيبت وتغلب على من فيها من الجنود الصينيين واستولى عليها عنوة، وكانت الصين قد استولت على التيبت وسلبت معبد البوذا من دالاي لاما ونصبت تاشي لاما رئيسا على معبد التيبت ، فأخذ رابدان قونتاجي معبد التيبت وأجلس فيه دالاي لاما كما كان، ولكن الصين لم تسكت على هزيمتها وأرسلت جنودا كثيرة وقوة ضاربة تغلبت على رابدان قونتاجي واستردت منطقة التيبت إلى سلطانها، غير أن رابدان استطاع أن يحافظ على سلطانه فيما عدا التيبت وقوى دولته من الناحية العسكرية في مواجهة هيمنة الصين عليها إلى إن وافاه الأجل المحتوم.

وبعد وفاة رابدان جلس ابنه على عرش البلاد ، وفي عام ١١٤٤ئ ١٧٣١م أعلن الابن هذا حربا على الصين وتغلب عليه وأجبره على دفع افتاوات السنوية له، وبعد وفاة ابن رابدان وقعت نزاعات فيما بين الأمراء كان أبرزهم دوانسي بك وأمور سينا بك وصارت الحروب على اشدها بين الاثنين ، وأخيرا تغلب دوانسي بك على أخيه آمورسينا بك وانهزم الأخير وهرب، فأعلن دوانسي بك نفسه ملكا على البلاد، وعندما هرب آمور سينا

بك هرب إلى الصين وطلب مساعدة من إمبراطور الصين جي آن لونغ فأجاب الأخير إلى طلب الأمير الهارب ورافقه جنودا كثيرة ، وبهذه القوة الصينية تغلب آمور سينا بك على أخيه وغريمه دوانسي بك وقضى عليه فجلس على عرش البلاد ملكا عليها، وبعد نهاية الجنود الصينيين أبوا أن يرجعوا إلى بلادهم الصين ، بل إنهم أرادوا أن يستولوا على البلاد، وفي عام ١٧٥٧م اضطر آمور سينا بك أن يخوض الحرب مع الجنود الصينيين وتغلب عليهم وأبادهم جميعا، ولكن قائدا من قولاد الصين نجا من المذبحة مع نفر من أعوانه وهرب إلى الصين ، وعندما وصل إلى العاصمة بيكين ذكر لإمبراطور الصين جي آن لونغ ما وقع لهم، وكان اسم هذا القائد جاوخو، فأرسل الإمبراطور جي آن لونغ جاوخو هذا مع جنود كثيرة إلى ولاية إيلي وأمره أن يجري قتلا عاما في بلاد القالماق وإيلي وآلتاي وإيميل والغرب من المنغوليا حالة انتصاره، فجاء جاوخو إلى ولايةإيلي وانتصر على آمور سينا بك الذي هرب إلى سيبريا، فأجرى جاو خو قتلا عاما في الأهالي كلها وهم أبرياء وأرسل الباقين إلى الصين، وهدم البيوت والقلاع فأصبحت البلاد قاعا صفصفا وصارت كل البلاد صحراء قاحلة، وبهذه الصورة انهارت دولة القالماق عام ١١٧٢ هـ الموافق عام ١٧٥٧م ولم تزل قبائل القالماق حتى الآن في أسر وعبودية الصين.

ومنذ استيلاء كالدان قونتاجي على تركستان الشرقية بدأت قبائل القالماق تهاجر إليها كالسيل الجارف وتسكن في مناطق الجبال فيها والوديان المعشوشبة

الخضراء، واستولى هؤلاء المستوطنون على المراعي واغتصبوها من أصحابها من مثل قاراشهر وبش باليق وطرفان وقمول وولاية إيلي ، وإن تلك الولايات والمدن تتخللها جبال ووديان استولى عليها القالماق ولا سيما المراعي، فأكثر أهاليها الساكنين فيها الآن من القالماق.

الصراع بين أولاد آباق خواجه..

بعد وفاة آباق خواجه عين كالدان قونتاجي أحد أبناء آباق خواجه واليا عاما على المدن الستة في تركستان الشرقية، وأما الشئون الإدارية في البلاد فكانت في أيدي الكوادر القالماقية كما كانت، واستمرت الخواجات في مسلكهم السابق أصحاب الكرامات الكاذبة والاتجار بها وإراق الناس في الأوهام والخرافات والضلال والظلام وتبقى الشئون الإدارية للبلاد بيد القالماق العسكريين يظلمون الناس ويخربون البلاد، وكان الأهالي يقومون بثورات حينا بعد حين، ولكنها تبوء بالفشل بسبب نفوذ الخواجات وسطوة الجنود القالماق، وفي كل مرة يسقط زعماء الثورات من العلماء والأعيان ونبلاء القوم شهدا للبطش والاستبداد والأهالي من القتل العام، وفير أثناء ذلك هرب أرسلان خان بن إسماعيل خان إلى الهند وطلب مساعدة من الشاه أوزنجريت عالمكير ضد القالماق والخواجات ولم يقبل ملك الهند طلب أرسلان خان هذا.

ومات كالدان قونتاجي وبموته ضعفت دولة القالماق فقام بعض من اولاد آباق خواجه للخلاص من قبضة القالماق وأعلن نفسه ملكا على البلاد، ولكن

بعضهم أي بعض أولاد آباق خواجه اتحد مع القالماق وحارب الملك وهزمه ، فهرب الخواجة إلى جبال بامير وحصل على مساعدة من قبائل كانجوت الذين سكنوا في جبال بامير من أصل تبتي، وهجم بهم على مدينة كاشغر واحتلها ، ولكن حربا نشبت بين الفريقين ودامت أربع سنوات حتى تراشقوا بالألقاب على بعضهم وقالوا لفئة الخواجة الذين اتحدوا مع القالماق آق تاغليق أي فرقة الجبل الأبيض، وعلى الفئة الذين أخذوا مساعدة من قبائل كانجوت قاراتاغليق أي فرقة الجبل الأسود، والفرقتين كلهم من الخواجات ولكل فرقة دعايات وافتراءات على الأخرى بحيث تقول : إن الفرقة المخالفة على غير حق ، فيجب قتلها وقتل أفرادها ومن تبعها، وإن واحدا من الفرقة يقتل أخاه من الفرقة الثانية أو أباه أو لابنه ، وكانوا يقولون إن هذا هو الجهاد في سبيل الله ، والناس العوام يتبعون هذا أو ذاك بعقية يوهمونها الخواجات على أتباعهم ، وكان الناس يموتون ظلما وعدوانا وبهتانا وبغير حق، وحينما انتصرت طائفة الجبال الأبيض كانت المدن والقرى تقع تحت أقدام القالماق بالظلم والاستبداد، وإذا انتصرت طائفة الجبال الأسود عانى الناس من ظلم قبائل الكانجوت وظلمهم ونهبهم وسلبهم، وفي بعض الأحيان يكون هناك حاكم أو ينحاز إلى هذه الطائفة أو تلك على حسب المصالح والحسابات، وكانوا مولعين في سفك الدم، وحينا يكون في المدينة حاكمان من الطائفتين ويتناصر الاثنان كلا لفرقتهم المنسوب إليها كما وقع ذلك في مدينة خوتان فيما بين

يعقوب خواجه ويونس خواجه ، وكان تصادمهما سببا في حدوث قتل عام على أهالي خوتان ولعدة مرات، وهي قصة مشهورة.

ومنذ عام ١١١٤ هـ الموافق عام ١٧٠٢م تغلبت طائفة الجبل الأسود وبسطت نفوذها على سائر البلدان في تركستان الشرقية ، وأما طائفة الجبل الأبيض فأبيدت والناجون من حد السيف ومنهم دانيال خواجة هربوا إلى والاية إيلي واستأمنوا من رابدان قونتاجي ، ولكن الطائفة المنتصرة وهي طائفة الجبل الأسود الحاكمة كانت تدير شئونهم بمساعدة قبائل كانجوت وتحت أمرهم وحمايتهم، وفي ذلك الوقت اغتصب قبائل كانجوت كلا من وادي سريغ قول وأكسام وجبال ياركند وقارغيليق حتى جبال سانجو من أهاليها الوطنيين واستوطنوا فيها وبنوا عليها قلاعا منيعة لحماية أنفسهم ولتخزين ما نهبوه من الناس حيث كانوا يغيرون على الأماكن المأهولة ويهربون إلى قلاعهم ، ولم يزل بقايا القلاع تلك حتى الآن ، وكانوا يغيرون على خوتان وقارغاليق وياركند.

وفي عام ١١٣٥ هـ الموافق عام ١٧٢٢م تقوى رابدان قونتاجي عسكريا وأرسل ابن دانيال خواجة وهو برهان خواجة مع كثير من الجنود القالماق إلى ولاية كوجا واختلها وأسس هناك حكومة لطائفة الجبل الأبيض،وكانت كل مدن كاشغر وياركند وخوتان في يد طائفة الجبل الأسود،وكانتا تتقاتلان في أغل الأحيان،وأخيرا تغلبت طائفة الجبل الأبيض وهزمت طائفة الجبل الأسود فانتهت نهائيا،واحتلت طائفة الجبل الأبيض المدن السة كلها، ولكن ابن

رابدان أعطى مدينة كوجالخواجة سي بك من أهل كوجا،وخواجة سي بك هذا قد خدم في البلد لصالح قبائل القالماق، ولذا كان العطاء مكافأة له ، وعين برهان خواجة على ولاية خوتان وأخاه واليا على ولاية كاشغر، وكان برهان خواجه بعيدا عن التربية الإسلامية وفوق ذلك كان رجلا جاهلا، وكانت نشأته نشأة القالماق، واتخذ في ولايته هذا تقاليد صينية حيث أرغم الأهالي بالسجود عليه مثله مثل أباطرة الصين،وفرض الإعدام على كل من خالف وأنكر ذلك، وكان يفعل أمثال ذلك من العادات والتقاليد المجحفة والظالمة نثل المجانين،ولذلك كان أهالي خوتان يقولون عليه وعلى أسرته برهان خواجة المجنون.

تركستان الشرقية في عهد آباق خواجة وأولاده...

في عهد آباق خواجةوأولاده ابتليت تركستان الشرقية بالبلايا والموبقات،وتفصيل ذلك يحتاج إلى كتاب خاص ولايسع لها كتابنا الموجزهذا،ولأجل ذلك نورد هنا بعض الخلاصات وليست التفاصيل في ذلك.

في عهد آباق خواجة وأولاده كانت الشئون الإدارية في أيدي القالماق فلا يمكنه ولا لمن يحكم باسمه أو ينوب عنه أن يعمل شيئا ولا يقدر عليه، وأما القالماق وهم قوم رحل لا يستقر بهم مكان ومشاغبون أهل الكر والفر وبعيدون عن المدنية والحضارة إلى درجة الصفر، وكأنهم خلقوا للغزوات وهم أهل الغزو والنهب والسلب،وفي الزمان ذاك وهم مقابل قوم آمنين ألفوا في

حياهم على الأمن والأمان وعيشة راضية ووصلوا إلى المدنية في ذروها، ولكنهم نسوا الغزو والجهاد وضيعوا وحدهم الداخلية وإنهم أهالي تركستان الشرقية،فيصعب على القالماقإدارة هذه الأمة المتقدمة إلا بالظلم والاستبداد،وزد على ذلك أن القالماق في غاية التعصب لديانتهم البوذية أوجبوا على أنفسهم عداوة المسلمين أينما كانوا،لذلك لم يألوا جهدا في تعذيب أهالي تركستان الشرقية،وهؤلاء القالماق يهدمون المؤسسات الدينية والعلمية،وكان هذا التهديم من أولى واجبات مذهبهم التعصبي بل إحدى فرائضهم،وكانوا يقتلون ابرياء بمحظ اختيارهم، وبتهديد السلاح يتعرضون على الأعراض وينتهكون الحرمات ويسلبون الأموال، وهذه الدنائة كلها كانت من واجبهم الديني وعاداهم الطبيعية،وكان آباق خواجة لا يهمه شيء من المظالم هذه، وكان شغله الشاغل سلب ما بقي من أموال الناس بالدعاء والكرامات الكاذبة والتصوف المزيف والحيل وإشباع الناس السذج بالأوهام حتى يترلهم إلى درجة العبودية له ويطيعوه، ومن جهة ثانية يتملق على القالماق ليحافظ على مكانته كحاكم في البلاد ، وبذلك نعرف أن آباق خواجة هذا ضحى بحياة ومقدرات الملايين من المسلمين وأهدر كرامتهم لأجل منصبه ومنفعته الشخصية فهو خائن عندالله وعند الناس.

وأما في عهد أولاد آباق خواجة والذين هم في الحكم والحكومة فسلكوا مسلك أبيهم، فضلا عن أهم انقسموا فيمابينهم وتقاتلوا وفرقوا أمة تركستان الشرقية الواحدة إلى طائفتين مثلهم، وكانت طائفتا الخواجات في حاجة

لمساعدة من الخارج وتأتيهم المساعدات من القالماق وإمارة كانجوت في الجنوب وهم أناس همج متوحشون ليس عندهم من المدنية شيء، فخيانات الخواجات ممقوتة مقتا شديدلا وليست في الدنيا خيانة أكبر من هذه الخيانة، وكانت كلا الطرفين المساعدتين من القالماق وإمارة كانجوت تدينان بالديانة البوذية رغم أنهما متباعدتين إحداهما في شمال البلاد وثانيتهما في جنوبها،وكلاهما تتميزان بعداوة الإسلام والمسلمين،ولذا كانوا حريصتين على إيذاء المسلمين بقتلهم وسلبهم ونهبهم، وقد جاءت الحواجات بهاتين الطائفتين من القالماق وكانجوت لمصلحتهم الذاتية وسلطتهما على المسلمين في تركستان الشرقية زيادة على تسليط أنفسهم ، وكان آبف خواجة وأولاده يعادون العلماء والعلموالمعرفة فغنهم بأنفسهم أو بأنياب أسيادهم القالماق وكانجوت أبادهم وأمحاهم عن الوجود في تركستان الشرقية،حيث إن إفهام الناس العوام بعدم صلاحية الخواجات للحكم من واجب العلماء والمنبوذين من اهل البلاد،وكذلك تحريض الناس على الثورات ضدهم لا يأتي إلا ممن له علم ومعرفة وثقافة،وهؤلاء العلماء العارفون بالأموركانوا قادرين لتحريض الناس بمقاومة العناصر الدخيلة والخونة،وبذلك طغت على تركستان الشرقية وسعادة أهلها ورغد عيشهاورفاهيتها واقتصادها المزدهر الآخذة بالقلوب والأفئدة في عهدالدولة السعيدية هذه الطغمة البشعة الظالمة الفاسدة القرن وبعض قرن.

وانهارت مدنية تركستان الشرقيةومعارفها الذاتية كهشيم تذروه الرياح أوكماوقعت جمرة على كومة القطن، وأينعت في البلاد فروع الفقر وجذوعها وعم الجهل في الأمة وتدهورت معارف الخلق إلى الحضيض حيث إن من يدرس كتاب(المبين)كان يعتبر عالما كبيرا في عهد آباق خواجة وأولاده.

ودامت عهد آباق خواجة وأولاده اثنتين وثمانون عاما يعد عهد الدمع والدماء والسلب وإضرام النار، ونال تركستان الشرقيةوأهلها الهلاك والفناء الدائمان، المهالك الذي لم ير التاريخ مثله من الشؤم والرزالة،ولإزالة هذه المهلكةوالذل والرذالة من على رؤوس الناس يقوم الناس بثمرات وانقلابات تارة بعدة أخرى ولتخليص الوطن والأهالي من ظلم وجبروت الخواجات وأسيادهم القالماق وكانجوت ولكن أكثرية الاهالي من الناس الجهلة السذج يندفعون ويتراجعون من جراء دعاية الخواجات وحاميهم فيخالفون الوطنيين الأحرار ويرون في القالماق وكانجوت قوة لا ترد، ولذا تعطي أكثر الانقلابات تأثيرا معاكسا حيث تؤدي إلى نتائج مؤداها القتل العام وتخريب المدن والقرى والبلاد بشكل مدهش لا يمكن أن يتحملها الأهالي.

الباب السادس

دور استيلاء الصين على تركستان الشرقية

المبحث الأول

حملة الصين الأولى على تركستان الشرقية..

منذ ما تخلصت تركستان الشرقية من احتلال الصين عام ١٣٤ هـ الموافق عام ٧٥٢م وعاشت البلاد مطمئنة ألفا وست سنوات حتى عام ١١٧٢ هـ الموافق عام ١٧٥٨م حيث بدأ تعرض الصين على تركستان الشرقية، فنذكر هنا ملابسات الاستيلاء هذه وما تخللت هذه الفترة هي مائة وأربعة وسبعون عاما من ثورات عامة ولأربع مرات ضد هذا الاحتلال الغاشم وأحداثها.

من حيث لم تفلح قيام تركستان الشرقية ضد مظالم القالماق وكانجوت والخواجات كانت الأهالي في حيرة تامة في أمر خلاص البلاد من الظلم والاستبداد من هؤلاء الأقوام الظلمة ، ولم يكن قلايلا هم الذين فكروا وقالوا إن خلاص البلاد والعباد من هذه البلايا لا يكون إلا أن يساعدنا طرف ثالث أقوى من أعدائنا وأن تشد من أزرنا، وعندما وصل الأمر إلى برهان خواجة وبالذات في عهده الأخير بدأ القالماق وكانجوت والخواجات في قتل الأبرياء من أثرياء البلاد وأعيانها واستولوا على عقاراتهم وأموالهم، وفي أثناء ذلك بدأ الصين وعلى رأسه الإمبراطور جي آن لونغ التدخل في شئون دولة القالماق

وصراعاتهم كما أسلفنا، فكان هناك نفر من أعيان البلاد هربوا من ظلم برهان خواجة وعددهم عشرة أنفار واقتربوا من حدود الصين شرقا وأوضحوا لحرس الحدود الصينيين أنهم ذاهبون إلى الصين طالبين مساعدة ضد القالماق وكاتجوت والخواجات، ثم غنهم وصلوا إلى بيكين وقبلهم إمبراطور الصين جي آن لونغ في حضرته وأخذ الأخير معلومات كافية عن القالماق وقواته والخواجات كما اخذ معلومات كافية عن تركستان الشرقية وحالة اهلها، ثم وعدهم أن يخلص تركستان الشرقية وأهلها من ظلم القالماق والخواجات ، واحترمهم وأنزلهم منزلا كريما ومنح إياهم نفقات المعيشة وجلسوا هناك ثلاث أو أربع سنوات.

وفي عام ١١٧١ هـ الموافق عام ١٧٥٨م أرسل جي آن لونغ قائده العسكري جاوخوين بجنود كثيرة إلى تركستان الشرقية وأرفقهم هؤلاء الرجال العشرة ، وكان جاوخوين يحارب آمور سينا بك في منطقة إيلي وصارت حرب بين جاوخوين وآمورسينابك وانتصر جاوخوين على آمورسينا بك واحتل ولاية إيلي وأجرى فيها قتلا عاما ، وفي أثناء ذلك أرسل الرجال العشرة نفرا من الناس إلى منطقة المدن الستة وولاية طرفان يذكرون محاسن الصين وعطفهم وحنانهم وأنهم جاؤوا إلى البلاد لمجرد مساعدتنا في الخلاص من القالماق والخواجات فتأثر الناس بهذه الدعايات، وبهذا الاعتبار قام خوجاسي بك حاكم كوجا بهجمة ليلية وألقى القبض على أفراد القالماق والخواجات في البلد وأخذهم إلى ولاية إيلي لدى جاوخوين أسرى، علما بأن خوجاسي بك

قد قدم خدمات لصالح القالماق سابقا فحصل على منصب الحاكم مكافأة له على خدماته، ومن جهة ثانية كانت أهالي كوجا وطرفان عملوا لصالح جاوخوني في بلدهم ولذا احتل جاوخوني هذه البلدان دون قتال، وفي عام ١١٧٢ هـ الموافق عام ١٧٥٧م وصل بالقرب من مدينة كاشغر ، ولكن الخواجات ومريديهم في كاشغر وياركند قاوموا ، غير الهم الهزموا أمام جيوش جاوخوني وقتل أكثرهم، فهرب الخواجات والبقية من مريديهم طائفة الجبل الأبيض إلى تركستان الغربية ، ولكن برهان خواجة وثمانية من اتباعه هبروا إلى بدخشان عن طريق سريغ قول ، ثم إن جاوخوني احتل مدينتي ياركند وخوتان بدول قتال يذكر، ثم أرسل جاوخوني نفرا من أعيان البلاد برئاسة خواجة سي بك وخوش كجك بك الخوتاني إلى أمير بدخشان يطلب منه برهان خواجة ورفاقه ، وأرسل كذلك جنودا كثيرة إلى حدود بدخشان فخاف أمير بدخشان على بلاده من بطش جاوخوني فسلم برهان خواجة ورفاقه إلى البكوات المرسلة إليه فقطع البكوات رؤوس برهان خواجة ورفاقه وقدموه إلى جاوخوني، وبعد إتمام الأمور عاد جاوخوني إلى إيلي وجعلها عاصمة له وأعلن نفسه واليا على عموم تركستان الشرقية ، وبهذه المناسبة أطلق الصينيون على هذه المنطقة اسم إيليخو تعني وادي إيلي أو نهر إيلي.

الفصل الأول

المظالم التي وقعت على شعب تركستان الشرقية في الفترة من الاحتلال الصيني حتى عام ١٣٣٢هـ..

وإن استيلاء الصين على تركستان الشرقية هذه المرة لمصداق المثل العام التي تقول كالمستجيرمن الرمضاء بالنار، حيث إن البلاد كان يتمنى الخلاص من البلاء فإذا هي ترى مصيرها المحتوم.

فمثلما ذكرنا في السابق فإنه بعد استيلاء الصين على تركستان الشرقية عين جي آن لونغ قائده جاوخوين واليا عاما على تركستان الشرقية بدون قيد أو شرط، ومنحه رتبة جانغ جونغ ، وإن جاوخوين قسم البلاد كلها على ستة وثلاثين مقاطعة أو ولاية وعين لكل مقاطعة آمبانا أي حاكما، وبهذا صبحت كل شئون تركستان الشرقية خاضعة للصينيين حكما وإدارة، ووضع لكل مدينة جنودا كافية وجعل منطقة إيلي مركزا رئيسيا وعاصمة ، وفي منطقة كورة المدينة بنى بجانبها مدينة له وجلس فيها، ولا ندري ماذا سماها الصينيون ، ولكن الأهالي سموا هذه المدينةى مدينة جنفن، ونرى الآن خرابات هذه المدينة فيما بين كورة وإيلي غولجا، وكانت مساحة تركستان الشرقية في ذلك الوقت أكبر وأوسع حيث إن منطقة إيلي كولاية كانت تمتد إلى بحيرة بالقاش وشرق بحيرة إسسيق كول بإضافة يته سو إليها ، وكانت هذه المناطق داخلة فيها. (انظر الخريطة رقم ٢٠).

والصينيون بنوا الدوائر الحكومية ومباني الجمارك وغيرها من المؤسسات حسب الأصول المعمارية في الصين، ومن أجلذلك هدموا الأبنية التاريخية القديمة في البلاد من الجوامع والمدارس والحمامات ، واستعملوا الأخشاب المستخرجة والطوب والأحجار من المباني القديمة في إقامة مبانيهم التي ينشئونها وهدموا كثيرا من المباني المدرسية وبنوا على أرضها معابد بوذية وصادروا من الأهالي ما اختاروا من الأبنية وجعلوها مساكن للجنود ، والباقي منها أسكنوا المهاجرين الصينيين وأعدموا الأعيان بإلصاق التهم وصادروا أموالهم وعقاراتهم، كان ذلك هو الشغل الشاغل لجواخوين دائما، وبسبب هذه المظالم هرب الناس إلى كل من فرغانة والهند وبدخشان ، وكانت الضرائب المفروضة على الأهالي باهظة للغاية ، وكانت على رأس كل فرد من الهالي ضريبة يقول لها الناس ضريبة الرأس ، ومن الأراضي الزراعية سواء زرعت أم لم تزرع يؤخذ منها ضريبة نقدية وعينية ، وكذلك التبن والحطب في كل عام، وفوق هذا كله كانت هناك ضرائب فوق العادة على حسب الظروف والطوارئ، وعلى كل حيوان أليف يؤخذ كل سنة مقدارا معينا من النقود، وكانت هناك ضريبة على المراعي ، وعلى كل مبيع من المنقول وغير المنقول ضريبة بمقدار خمسين في المائة إلى ثلاثين في المائة باسم الجمارك.

وكانت التجارة عامة بيد الصينيين والأهالي محرومون من التجارة بتاتا، وعلى كل مسافر من بلد إلى بلد ولو ليوم واحد رسوم نقدية ويلزم الحصول

على تصريح خاص بالسفر، وكانت هذه المظالم قد فرضت على الشعب في السنين الأولى من الاحتلال الصيني بحيث زودت على مر السنين شيئا فشيئا.

وبعد تمام الاحتلال والسيطرة الصينية على تركستان الشرقية دعا الإمبراطور جي آن لونغ الأشخاص الذين ذهبوا إليه في البداية وهم عشرة أشخاص دعاهم إلى بيكين واستقبلهم في ديوانه وأراد أن يكافأهم على خدماهم السابقة وسأل عن مراتبهم في ديارهم ووسط مجتمعهم فقالوا له مقامهم ومراتبهم ، وعندما سمع منهم مراتبهم منحهم ألقاب أولاها آروانغ والثانية جنغ وانغ والثالثة وانغ والرابعة جونغ، وأعطاهم المهمر كل على حسب مراتبه ، وهذه الألقاب ضمنت لهم امتيازات خاصة لهم ولأولادهم في عهد مانشور الذين لهم هذه الألقاب رفعوا إلى مراتب الأمراء، وبهذه الألقاب يدخلون على الإمبراطور وبدون استئذان، ولهؤلاء السادة السيادة الكاملة ولا سلطان عليهم من حاكم أو والي، وهؤلاء يذهبون في كل سنة أو سنتين لزيارة الإمبراطور الصيني في بيكين، وإن لهم ولأولادهم وأزواجهم معاشات شهرية بصورة دائمة ، ولأصحاب هذه الألقاب حق تعيين ولي العهد من بعده باسم تايجي ، ولهؤلاء تمليك بلد أو قرية أو قصبة أو عدة قصبات ، أما القاطنون في هذه البلدة أو القصبة فيعتبرون عبيدا لأصحاب هذه الألقاب، وكان يقال لهذه الألقاب جلدولوغ بصفة منصب ، وفوق هذا وبأمر من الإمبراطور الصيني بنيت معابد بوذية في البوابة الشرقية لبلاد تركستان الشرقية بقصبة أوشاق تال وأقيم فيها هياكل تلكم البكوات ذوي الألقاب السابقة، وعلى

كل مسافر يمر من هذه البوابة ذهابا وإيابا عليه أن يقدم التحية لهياكل هؤلاء السادة تعظيما لهم ، وبرغم هذه الامتيازات لهؤلاء البكوات لم يكن حق التدخل في شئون الحكومة ، غير أن هذه الامتيازات تعني شيئين الأول: إنها مكافآت لهم على خدماتهم ، الثاني: تقسم الأمة إلى فئة أرسطقراطية وفئة دنيا وتعويد الأمة على هذا الوضع، بهذا استحكم سيطرة الصين على البلاد.

وبهذه السياسة نجح الصينيون إلى درجة كبيرة جدا، وبعد ان عاد البكوات من بيكين بهذه الامتيازات هرع الناس إلى خدمة الحكومة، بل إلى خدمة الصين بجد وغخلاص طمعا في الامتيازات، وإن حكومة الصين من طرفها تمنح مختلف الامتيازات واللقاب على المخلصين في خدمتها وتعطي الصين بلدا أو قرية مع ساكنيها عبيدا لهم، وبمرور الوقت بل في وقت قصير كثرت المنح واللقاب وأصبحت الحقول الزراعية وآلاف المواشي والذين يعملون فيها ملكا لصحاب الألقاب، وقل من له أرض زراعية حرة، وبرغم ذلك تحصل الضرائب الزراعية وضرائب الماشية إلى جيوبهم، فبدأ الناس يهربون من البلاد لعدم تحملهم الضرائب المتراكمة عليهم، وأصحاب اللقاب ليس عليهم ضرائب ، وإن بعض القلة يتملقون بل يركعون ويسجدون لأصحاب الألقاب ويطلب أن يؤخذ أرضه ومواشيه على أن يبقى هونفسه عبدا أو أجيرا لديه ليحمي نفسه من الموت والجوع ، وكذلك حالة رعاة الأغنام الأحرار بدؤوا يهربون إلى الخارج تاركين أرضهم ومواشيهم لعدم قدرتهم على سداد الضرائب ، وبهذا أصبحت الأرض والمراعي والأغنام والأنعام ملكا لأصحاب

الامتياز ولأولادهم وأحبائهم وأقربائهم، وإن زراع الأراضي والرعاة صاروا خدما لهم بل عبيدا لهم، وبهذا أيضا أصبحت الأمة التركستانية مقسمة على صنفين: الصنف الول هم أصحاب الامتياز الشرفاء، الصنف الثاني الصغار أو الدمى، وكان لأعيان وأصحاب اللقاب الحقوق الكاملة من جميع الوجوه بجانب الزراع والرعاة الذين ليس لهم أي حق يذكر.

وفيما بعد انقسمت أصحاب اللقاب إلى قسمين: القسم الأول الذين لهم ولاية العهد، وهم لا يدفعون للحكومة أية ضرائب، والقسم الثاني الذين ليس لهم صفة ولاية العهد فهم خاضعون لدفع الضرائب من عقار وأراضي والخدم والمحصولات الزراعية ورعاة الأغنام بشكل نقود أو حبوب عينية ، وإذا باع أصحاب الألقاب أرضا أو حيوانات يبيع معهم المزارعون والرعاة، وكانوا على حق تام على من حولهم من المزارعين والرعاة ويستعملونهم كيفما شاؤوا، وأما الصغار فلا حق لهم ولا حقوق ، وإنهم يعيشون تحت أيدي أصحاب الألقاب وظلمهم واستبدادهم أو تحت ظلهم ورحمتهم ليحافظوا على حياتهم، وكان أصحاب الألقاب يعتقدون أن هذا العز الذي ينعمون فيه هو من تفضل الصين وإحسانها لهم، لذالك كانوا يخلصون للصين ويخدمونها ويتفتنون في إرضائها، وبهذه الصورة أصبحت أصحاب الألقاب والامتيازات عبيدا للصين، وصغار المزارعين والرعاة بدورهم عبيدا لهؤلاء العبيد أصحاب الألقاب، وبالتالي أصبح الجميع عبيدا للصينيين ، فالأمة التركستانية عبيد على درجات متفاوتة.

ولدعم سيطرة الصين على تركستان الشرقية هناك أمر آخرلا وهو أن الصينيين نقلوا إليها قبائل جنفن واستوطن هؤلاء فيها بالآلاف، وهؤلاء الجنفن من أصل تركي وذلك كالآتي: إن أويغور الشرق عندما كانت لهم دولة في منغوليا فيما بين عامي ١٢٦-٢٢٥ هـ الموافق عامي٧٤٤- ٨٤٠م حيث انهارت عام ٨٤٠م فخرج جزء منهم إلى شمال ولاية كانسو في داخل سور الصين جنوبا وخارج السد شمالا واستوطنوا فيها ، وبمرور الوقت نسوا قوميتهم التركية وحضارتهم وثقافتهم وتصينوا ، وكانوا يقولون نحن من الصين، وكانوا قوما محاربين، وكان الصينيون يقول لهم إنهم جي آن فانغ يعني الأويغور المتوحشون ، ويقول لهم التركستانيون جنفن ، وإن حكومة الصين هجرت منهم أكثر من مائة ألف أسرة إلى تركستان الشرقية وبالخاص أسكنهم في مناطق قليلة السكان مثل منطقة إيلي ويته سو وبش باليق، وإن دولة الصين منح لهم امتيازات واسعة جدا في هذه الديار ، وكانت الحكومة الصينية تمدهم بمساعدات كثيرة، وإذا اعتدى أحد منهم على أحد المسلمين لم تعاقب على ذلك، وقد عاش هؤلاء الجنفن في الماضي في أشد الأرض قحطا وجفافا في الصين وتعودوا على شظف العيش والفقر والحرمان، وعندما سمعوا ما في هذه البلاد من الخير والرفاهية والنعم هاجروا إلى تركستان الشرقية كالسيل الجارف، وكذلك الصينيون بدؤوا يهاجرون إلى تركستان الشرقية ، وبهذا أصبح الصينيون في تركستان الشرقية جمعا وقوة مدهشة آخذة في ازدياد، ولتعمير كل من إيلي ويته سو وبش باليق لم تكف لجاوخوين جماعات

جنفن ومن هاجر إلى البلاد من الصينيين ، بل زاد عليهم مائة ألف أسرة عاملة من المدن الستة وطرفان فهجرهم إلى ولاية إيلي ويته سو وأسكنهم مختلطين بين جنفن والصينيين ، وعمر بهم هذه المدن ثم صنفهم كل مائة عائلة على حدة ومختلط الأجناس في وحدة مميزة باسم كبير منهم مثل جليل يوز وطرفان يوز ، وكلمة يوز تعني المائة في لغة تركستان الشرقية.

وعلى كل وحدة مائة تعمير قرية كاملة وبكل مميزاتها، وسمى جاوخوني هذه الوحدات باسم تارانجي، وهي تعني في اللغة التركستانية المزارع (انظر: ديوان لغات الترك) وقد كتب المؤرخ الروسي رادلوف إن كلمة تارانجي اسم قبيلة من الأتراك ، وهذا الكلام غير صحيح ، بل هذا من إغواء روسيا على قومنا وقبائلنا ، وإلى الآن تعرف تلك التجمعات باسم تارانجي منسوبة إلى وحدهم المئوية مثل طرفان يوز وعبدالرحمن يوز وكبك يوز وغيرها، وإنهم معروفون حتى الآن بما عمروه من بلدان وقرى في ولاية غولجا.

وهناك أشياء فعلها الصين لتصين أهالي تركستان الشرقية فلم توفق فيها، منها أن الصين طالبت بتغيير أزياء وملابس ذوي اللقاب بالأزياء الصينية، وأن يلبس هؤلاء مرؤوسيهم الجلباب الضيق والطويل باللون الأسود ، غير أنهم قبلوا ذلك حفاظا على مناصبهم وألقابهم وامتيازاتهم بأن يكونوا في قيافة الصينيين ، ثم عمد الصين إلى منع صلاة الجمعة والعيدين والصلوات الخمس جماعة ، وكذلك منع التعليم الإسلامي في الكتاتيب والمدارس بل منعت الدروس الدينية والعقدية وأجبرت الهالي على أن يسجدوا الأصنام ، وبالنسبة

للأطفال أجبرهم للدراسة في المدارس الصينية وأن يتربوا تربية صينية بشرب الخمر وتعاطي الأفيون وأكل الخنزير وأن يتعودوا عليها منذ صغرهم ، ومن أمثال ذلك من السياسات المنافية والمعادية للإسلام والمسلمين، ولكن الأهالي لم يتجاوبوا مع هذه السياسات الجائرة والمجحفة وأصروا على أن يحافظوا على تعاليم دينهم الإسلامي الحنيف وعادات وتقاليد المسلمين الأتراك والتي عليها ولدوا وبها عاشوا وتربوا ، ورفضوا كل سياسة لتصيينهم وتذويب هويتهم ، وكانت هذه الوقفة من ذوى اللقاب السادة ومن جموع الشعب ولم يسكتوا حيال هذه السياسات الجائرة ، بل قاموا ببعض الثورات وانتفاضات شعبية ، وهذه التحركات المناهضة للصين دامت حتى نهاية عهد جي آن لونغ حيث نزل من عرش البلاد، وكان عهد جي آن لونغ الذي دام ستين عاما عهد قوة متنامية وازدياد مضطرد في القوة العسكرية الصينية، ولذلك استطاعت الصين أن تحكم قبضتها على تركستان الشرقية وتمادى في سياساتها الجائرة التي ذكرناها آنفا.

وفي عام ١٢١٢ هـ الموافق عام ١٧٩٦م تنازل جي آن لونغ عن عرش بلاده لابنه جياجينغ، وبعد تنازله هذا بسنة واحدة مات الإمبراطور جي آن لونغ ، وفي الوقت نفسه قام ثورة في منطقة جيهلي ضد ملكية آل مانشو ، وكانت هذه الثورة تعرف بثورة تايينغ، وبعد وقت قصير تسرت هذه الثورة إلى ولاية شانتونغ وخونان وكانسو، وبسبب هذه الثورات قلت نسبة الجنود المتواجدين في تركستان الشرقية ، ولكن أهالي تركستان الشرقية لم يستفيدوا من هذه الفرصة السانحة ، وذلك أن أصحاب السلطات في البلاد كانوا

موالين للصين ، وكان إخلاص أصحاب الألقاب للصين ليس لها حدود، وكانوا مستعدين لاحتواء كل ثورة قد يقوم في البلد.

وإن إمبراطور الصين الجديد قام بإخماد الثورة في الصين إلى حد ما ، وأثناء هذه الثورة وإخمادها نفدت ما في خزانة الصين ، ولهذا أمر جياجنغ ببيع كل العقارات التابعة لدولة الصين، وكانت في تركستان الشرقية عقارات وضعت الحكومة الصينية يدها عليها من جوامع ومدارس ومباني الأوقاف

فابتاع بعضها ذوو الألقاب والمناصب ثم أعادوها كما كانت جوامع ومدارس وكتاتيب، وكذلك الأراضي الوقفية أعادوها إلى ما كانت عليه وضبطوا صكوكها باسمها ، وإن بعض هذه العقارات اشتراها جماعة جنفن والصينيون المستوطنون، ولذا سجلت الأوقاف والمؤسسات الإسلامية بأسماء أصحابها الجدد في هذا العهد من الحكم الصيني، غير أن هذه المؤسسات والأملاك كانت في الأصل أوقافا منذ الدول الإسلامية الوطنية الحرة في تركستان الشرقية، فتبدلت أسماء أصحابها للأسباب التي ذكرناها.

وإن إمبراطور الصين جينغ جانغ أو كياليانغ لم يستطع غخماد ثورة الداخل في الصين ، ولهذا السبب بدات حكومة الصين تضعف ، ولو أصحاب المناصب يخفون هذا الوضع عن الناس إلا أن عامة الشعب عرفوا ضعف الصين، فلذلك كانوا يرون أنفسهم متجهين إلى أفق الحرية واستعد بعض الأطراف المعنية لإشعال ثورة تحريرية، وبدأت استعداداتهم تكتمل يوما بعد يوم.

الفصل الثاني

الثورة العامة الأولى في تركستان الشرقية ضد حكم الصين...

في عام ١٢٣٠ هـ الموافق عام ١٨١٥م قام ثورة عامة في سائر ولايات تركستان الشرقية، وفي أكثر الولايات قام طبقة العوام من الأهالي بقتل الصينيين والجنفن وبعض أصحاب الألقاب وأعلنوا استقلال بلادهم كل فئة في منطقته على حدة ، ومع الأسف لم يستطيعوا أن يتحدوا جميعا، فتارة يحاربون الصينيين وتارة يحارب بعضهم بعضا، واغتنم هذه الفرصة ملك فرغانة عمرخان ، وكان قصده احتلال جزء من تركستان الشرقية، واختار لهذه المهمة السيد جهانكير خان من أحفاد آباق خواجة الذين يعيشون في سهول فرغانة وأرسله برفقة جنود كثيرة إلى كاشغر وذلك عام ١٢٣٢ هـ الموافق عام ١٨١٦م، فوصل جهانكير خوجة إلى مدينة كاشغر واتحد مع المناضلين والثوار فيها وكذلك مع ثوار مدينة ياركند ، ثم رويدا رويدا قضى على رؤساء الثوار الوطنيين، ثم أعلن نفسه ملكا على البلاد، وفي عام ١٢٣٢ هـ الموافق عام ١٨١٦م استولى جهانكير خوجة على ولاية آقسو ، وكانت البقية من الولايات كما كانت تحت أيدي الثوار الوطنيين.

ولكن ولايات إيلي وبش باليق (أورومجي الحالية) وكذلك ولاية طرفان كانت مليئة بالصينيين والجنفن، وكانت قاراشهر مليئة بأهاليها القالماق المنحازين إلى الصينيين، ولذا استطاع الصينيون والجنفن إخماد الثورات في هذه الولايات في أقل وقت ممكن، ومع الأسف أبادوا المسلمين من سكانها.

وفي عام ١٢٣٦ هـ الموافق عام ١٨١٨م مات إمبراطور الصين جياجنغ وخلفه ابنه راوجوانغ في العرش، وأرسل هذا الإمبراطور الجديد كثيرا من الجنود إلى تركستان الشرقية واستولت هؤلاء الجنود الصينيون على ولاية كوجا ، وهناك تصدى لهم جهانكير خوجة وخاض معهم معارك دامية ولعدة مرات، وأخيرا وفي عام ١٢٤٠ هـ الموافق عام ١٨٢٤م وقع جهانكير خوجة أسيرا بيد الصينيين فأرسلوه إلى بيكين ، وفي عام ١٢٤١ هـ الموافق عام ١٨٢٥م قتله الإمبارطور الصيني أوجووانغ فاستشهد في بيكين، وخلف جهانكير خوجة ابنه ملكا على البلاد، وبرغم هذه الحداث لم يتمكن الصينيون التقدم إلى أبعد من مدينة كوجا حيث إن أهالي دافعوا عن بلادهم بقوة وصلابة لبيحافظوا

على استقلالهم، ولعدم استتباب الأمن في داخل الصين من جراء الاضطرابات والثورات فيها لم تتمكن الصين من إرسال قوات كبيرة إلى تركستان الشرقية، وكانت كل من ولاية كاشغر وولاية ياركندوآقسو تحت سيادة ابن جهانكير خوجة، وكانت ولاية خوتان تحت سيادة الشيخ عبدالرحمن آخون وكان شخصية فذة وحكيمة.

وعلى إثر الثورات الداخلية برزت فيما بين الصين وبريطانيا حرب الأفيون وذلك عام ١٢٥٥ هـ الموافق عام ١٨٤٠م ، وبسبب ذلك نقص عدد الجنود الصينيين في تركستان الشرقية، فاغتنم الأهالي هذه الفرصة وقام ثورة في كل ولاية من ولايات تركستان الشرقية وتحررت ومعظم الولايات ولم تبق

في يد الصينيين إلا ولايتي إيلي وأوروممجي، وبالرغم من هذا الوضع الجيد لم يتحد التركستانيون فيما بينهم.

وانتهت حرب الأفيون بين الصين والإنجليز في عام ١٢٦٤ هـ الموافق عام ١٨٤٦م بموجب مفاوضات جرت بينهما، ثم أرسل الإمبراطور الصيني داجوانغ قرابة مائة ألف جندي صيني إلى تركستان الشرقية فاستولى هؤلاء الجنود على ولايتي طرفان وقاراشهر، ثم جندوا من شباب جنفن في أوروممجي وقبائل القالماق من ولايتي إيلي وقاراشهر فزحفوا على المدن الستة.

الفصل الثالث

استيلاء الصين على تركستان الشرقية للمرة الثانية...

حينما وصل جنود الصين إلى حدود ومشارف ولاية آقسو انسحب ملك البلاد ابن جهانكير خوجة من مدينة كاشغر حيث أخذ خزينة الدولة والعتاد الحربي وهرب إلى وادي فرغانة بآلاف من أتباعه مما أحدث رعبا واضطرابا شديدا بين الناس، ومن استطاع الهجرة هاجر إلى فرغانة والهند وأفغانستان ، وذلك أن ولاية كاشغر وآقسو وياركند لم توجد فيها قوة تقف في وجه القوات الصينية المحتلة، فاحتل الصينيون تلك الولايات بدون مقاومة ، ثم اتجهت إلى ولاية خوتان، وكان بها الملك عبدالرحمن باشا خان فخاض حروبا طاحنة مقاوما الصينيين حتى استشهد رحمه الله ، وبهذا استولى الصينيون على ولاية خوتان، وقد برزت في البلاد ثورات وانتفاضات عدة كما ذكرنا حيث عاشت البلاد التي تقع بين مدينتي خوتان وآقسو مستقلة ولمدة ٣٦ سنة.

وحينما اكتملت للصينيين احتلال البلاد هذه المرة أعادت الصين اساليبها السابقة حيث بحثت عن أولاد أصحاب الألقاب السابقة وأعاد إليهم مناصب وامتيازات آبائهم، وكذلك الذين خدموا الصينيين منحوهم ألقاب ومناصب جديدة ، وبهذا تجددت في البلاد تلكم المناصب والألقاب التي زالت نتيجة الثورات الأهلية المسلحة، وأوجد في البلاد طبقة أصحاب المناصب والنبلاء وطبقة الفقراء والضعفاء والأيتام، وفي هذه المرة ولقوة عقيدة الإيمان في قلوب الأهالي لم تمنع الصين تعليم العلوم الشرعية في المدارس والمعاهد الهلية ولم

تتعرض على الشئون الدينية، وعينت على عدد من المدن والولايات الصينيين واليا باسم آمبان، وعين على كل مدينة أحد اصحاب الألقاب النبلاء وأقربائهم واليا عليها ومن مخلصين لها حاكما إداريا، وعين من الأهالي قضاة ومفتين وأعطى الأهالي حرية في شئونهم الدينية وتركهم على الشريعة الإسلامية في الشئون العدلية، ولكن ولتمكين حكم الصين في البلاد أبقت الصين جنودا كثيرة في تركستان الشرقية، وكانت أصحاب المناصب العليا مسرورين جدا من حكم الصين حيث كانوا عيونا على تحرك الناس والأهالي الوطنيين الأحرار خدمة للصين بكل حب وإخلاص ، وهذا الاحتلال أظهرت قبائل القالماق خدمات كبيرة لصالح الصين في التجنيد العسكري ، ولذا منحت الصين لرؤساء القبائل منهم منصب وانغ أي المتصرف منحة من الإمبراطور الصيني في بيكين حتى أصبح عدد الوانغ في تركستان الشرقية من قبائل القالماق عشرين نفرا.

وفي عام ١٢٦٨ هـ الموافق عام ١٨٥٠م توفي الإمبراطور الصيني داو جوانغ وخلفه في العرش ابنه هين فونغ ، وفي عام ١٢٦٩ هـ الموافق عام ١٨٥٢م برز في ولايات خونان وخوبيه وانخوي الصينية الثورة الشهيرة باسم تايبينغ ، وبهذا السبب ضعفت القوات الصينية في تركستان الشرقية ، ثم ظهرت وقامت ثورات قبلية وقومية هنا وهناك حيث عاش حكم الصين هذه المرة ستة سنوات فقط.

الفصل الرابع

الثورة العامة الثانية في تركستان الشرقية..

في عام ١٢٧٠ هـ الموافق عام ١٨٥٣م قامت ثورات في كل منطقة من مناطق وولايات تركستان الشرقية ودامت أربع سنوات، وبعد حروب طاحنة وطويلة انتصرت فيالق المجاهدين الوطنيين وتحررت كل البلدان التي بين خوتان وولاية طرفان حيث تطهرت مناطق الجنوب هذا من الاحتلال الصيني البغيض، ولكن المجاهدين حتى هذه المرة لم يتحدوا ولم يشكلوا جبهة موحدة، وفي هذه اثناء قام ملك فرغانة شير علي خان بإرسال ولي خان تورة من أسرة جهانكير خوجة بقدر من الجنود إلى ولاية كاشغر ، ثم قدم إليها بنفسه بخمس أو ستة آلاف جندي لطموحه في بلاد تركستان الشرقية، حيث كان الجنود الصينيون محاصرين في المدينةالجدديدة بكاشغر، ولما قدم شير علي خان إلى مدينة كاشغر قبض على أثرياء البلد وسلب أموالهم وقتل بعضهم بأنهم منحازين للصينيين وسلب من المجاهدين الغنائم التي في حوزتهم فضلا عن تقديم المساعدة لهم ومؤازرتهم، ولذا كره الشعب شير علي خان، ولهذا السبب قر شير علي خان الذهاب إلى فرغانة في نهاية ستة أشهر فقط ، وبعد رحيل شير علي خان أعلن ولي خان تورة نفسه ملكا على البلاد ، ولم تزل مدينة كاشغر الجديدة محاصرة من قبل المجاهدين من الأهالي، واستسلم الصينيون شريطة الإبقاء على حياتهم ، ولكن ولي خان تورة نكث عهده وقتلهم جميعا شيوخا

وأطفالا ونساء، وكانت هذه الثورة اتسمت بالفوضى وتفرق الكلمة بصورة أسوأ مما سبق، لذا لم تدم أكثر من خمسة أعوام.

وفي عام ١٢٧٥ هـ الموافق عام ١٨٥٨م أرسل إمبراطور الصين جنودا كثيرة إلى تركستان الشرقية فزحفت بلدا بلدا حتى اقتربت إلى مدينة كاشغر فقام ولي خان تورة وهرب إلى فرغانة مع أعوانه ومعه الخزينة، فدخل الجنود الصينيون مدينة كاشغر وأجروا فيها قتلا عاما في يومين وقبضوا على ىلاف الأسر وأرسلوهم إلى داخل الصين ، ثم زحف الجنود الصينيون إلى مدينة ياركند واحتلوها، ثم زحفوا إلى ولاية خوتان، وكان المجاهدون في خوتان لم يقتلوا الصينيين ومن في طرفهم من الحكام وأحسنوا معاملة الباقين منهم، ولهذا لم يحدث الجنود الصينيون في خوتان قتلا عاما ولم يسلبوا ولم ينهبوا ، وفي هذا الاحتلال استخدم الصينيون سياساقم السابقة ولم يتعرضوا للشئون الدينية في البلاد ولم يتعدوا

وخففوا الضرائب على المسلمين من اهل خوتان، وأما الحكام فعينوا الأشخاص الذين لهم تاريخ في خدمة الصين.

وإن تسفير وتهجير الآلاف المؤلفة من أهالي كاشغر واستعبادهم وتجريدهم من عقيدتهم ودينهم كان سفك دماء المستأمنين من الصينيين من قبل شير علي خان وولي خان تورة في مدينة كاشغر، ولتقديم الاعتذار والعزاء أرسل شير علي خان وفدا يحمل هدايا ثمينة لإمبراطور الصين طالبا منه أطلاق سراح المسلمين من أهالي كاشغر والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم، فوافق إمبراطور

الصين التماس شير علي خان فأعاد الأسرى إلى مدينة كاشغر ، وذلك عام ١٢٧٨ هـ الموافق عام ١٨٦١م.

وفي أثناء حرب الأفيون الثاني بين الصين وافنجليز والفرانسيين عام ١٢٧٧ هـ الموافق عام ١٨٥٩م تقلصت سيطرة الصين وتواجدها العسكري في تركستان الشرقية من جراء هذا الحرب، وفي هذا الأثناء وبينما الحرب قائمة لم تنته بعد ظهرت ثورة تايبينغ في الصين من جديد واستولى الثوار على مدينة تنجين التي بالقرب من مدينة بيكين، وفضلا عن ذلك قام المدعو تاون سو من مسلمي الصين بثورة في يوننان وسيطر عليها وتسمى باسم السلطان سليمان وأعلن استقلال يوننان عن الصين ، ونتيجة لهذه الثورات في الصين لم تبق في تركستان الشرقية قوة صينية تذكر ، وأما بلاد تركستان الشرقية فتولى إدارتها عناصر من الجنفن والمستوطنين الصينيين والعملاء من الأهالي وهم البكوات وأصحاب الامتيازات السابقة، ولو أن جماعة جنفن والمستوطنين الصينيين جمعوا أفرادا من شباهم وبشكل كاف وجندوهم إلا ان الحكومة الصينية ما كانت تستطيع إمدادهم عسكريا، وهذا الوضع كان معلوما للأهالي، ولهذه الأسباب أدت إلى تقوية جانب الثوار في ثورتهم العامة كما يلي.

الفصل الخامس

الأحوال العامة في تركستان الشرقية فيما بين عامي ١٨١٥-١٨٦٣م..

كلنا ندري أن أهالي تركستان الشرقية يريدون في ثوراتهم هذه أن يتحرروا من الاحتلال الصيني وأن يعيشوا أحرارا بعزة وكرامة كسائر الشعوب الحرة، ولكن مع الأسف لم تكن في المجاهدين اتحدا وتنظيم قوي، ولذا لم يصلوا إلى هدفهم المنشود بل وقعوا ثانية تحت الاحتلال، غير أن الثورة الولى والثانية لمتكن غير ذي فائدة بالكامل، بل لها مزايا وفوائد مادية ومعنوية، أما الفائدة المادية: فإن الصيينيين كانوا قسموا الناس إلى طبقتين طبقة عليا ودنيا، وكان هناك فقراء معدومين ومغلوبين على أمرهم عاشوا في الذل والمهانة وكانوا كادحين للغير، وأصبحت أجزاء من الأراضي الزراعية مجدبة وصحراء قاحلة، وكانت التجارة بيد الصينيين ، وكان الصينيون يأتون بالخزف الصيني وأمشة الحريرية إلى تركستان الشرقية ويبيعوها مقابل الذهب والفضة والجواهر ، وبهذا الشكل من التجارة كانت تسكب الثروات التركستانية في جيوب الصينيين ويبقى التركستانيون أو يصبحوا في فقر مدقع وعلى الدوام.

وفوق هذا أن المهاجرين الصينيين فتحوا محلات الرهن في كل مدينة وبلدة وفي كل حي يأخذ الأشياء من المحتاج مقابل ثمن بخس رهنا يزيد فائضها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر ، وإن لم يسدد الناس الضرائب الحكومية لعجزهم عن الحصول على ما يكفيهم من المحاصيل كانوا يرهنون حاجياتهم في هذه

المحلات الربوية ، ومن أينلهم ما يفك الرهن به، وفي حالة عدم تمكنهم من تسديد هذا القرض الربوي يذهب بيوتهم أو أراضيهم لتسديد القرض الربوي مع فائدته ، وبهذه الصورة تبددت ثروة الشعب بصورة مدهشة.

وفي الاستيلاء الول أجرى الصين سياسة تهجير الصينيين إلى تركستان الشرقية بصورة مكثفة وتصيين الأهالي ، وكانت هذه السياسة والإجراءات في غاية التعسف، وإن الصينيين عمدوا إلى تصيين الأرض والناس مع في البلدان القريبة من الصين مثل ولاية قمول وباركول إلى البلاد الممتدة إلى طرفان وأورومجي وأسكنوا فيها الصينيين المهاجرين بكثافة ونزعوا من الأهالي أراضيهم الزراعية وأعطوها للمهاجرين الصينيين، كما ارغموا الأهالي إلى التصيين وترك بلادهم بحد السيف والضرب ، وفي مدة قصيرة أصبحت البلدان التي قلت تعداد الأهالي فيها ما عدا قمول وباركول وطرفان أصبحت بلدانا للصينيين الغير مسلمين والمسلمين منهم، وأما البلدان التي لها تعداد كثير صار الأهالي المسلمون الأتراك

تشكل نسبة ٤٠٪ والصينيون ٦٠٪ ، وكذلك في باقي مدن تركستان الشرقية بدأ يزداد عدد الجنفن والصينيين باستمرار، وفي سائر البلاد التركستانية تمادى الصينيون في تصيين الأهالي بالوجه الذي ذكرناه سابقا.

وفي الثورة العامة الأولى زالت الفروق بين الأهالي أي بين الطبقتين طبقة أصحاب الألقاب والنبلاء وطبقة الفقراء والمحرومين، وقد قتل أكثر أصحاب الألقاب وهرب الباقون تاركين مزارعهم ومراعيهم ومواشيهم التي اقتسمها

الفقراء وأصبحوا أصحاب ضيعة وزراعة، وخرجت التجارة من أيدي الصينيين، والذي يملك رأس المال يشتغل بالتجارة حرا وبدون قيد ، وزالت المحلات الربوية التي كانت للصينيين وأصبحت الأملاك العامة يستفيد منها عامة الناس من أموال منقولة وغير منقولة وسلمت هذه القطاع العام من الضياع حيث تعد من ضروريات حياتهم ، وأما طائفة الجنفن والصينيون المهاجرون فقتلوا وهربوا إلى بلادهم فقل عددهم في تركستان الشرقية نتيجة لهذه الثورات وانعدمت حركة التصيين تماما، وبهذا انشغل الناس بشئون حياتهم ومصالحهم الخاصة وإعمار البلاد بكل همة ونشاط، وبقيت الثروة الوطنية في جيوب المواطنين فاغتنوا، وتخلصت تركستان الشرقية من الاحتلال الصين وأصبحت بلادا تركية إسلامية خالصة كما كانت قبل الاحتلال الصيني لها، وما دام هؤلاء أتراكا مسلمين رفضوا التصيين والإبعاد عن الدين الإسلامي فبقيت البلاد بلادا تركية إسلامية لا يحيد عنها ، وأما فوائد الثورة المعنوية فأثناء الاحتلال الصيني للبلاد انعدم التعليم الديني والأدبي في البلاد أو كاد، فمنذ تطهير المجاهدين بلادهم من الصينيين وأذنابهم صرفوا هممهم الأولى في جلب الأساتذة من البلدان الإسلامية وفتح المدارس والمعاهد التعليمية بشكل واسع ونشر العلوم والمعارف فأتوا بالأساتذة والعلماء من بخارى وفرغانة وأفغانستان والهند، منهم الأستاذ عبدالله آخون الكولابي من كولاب الذي نظم الدراسة في الكتاتيب والمدارس ، وكذلك المقرئ القندوزي الشيخ قاري عبدالله الذي علم القرآن بالتجويد لعموم طلبته وألف كتابا في علم

التجويد باللغة التركستانية ، ولجل خدماتهم الجليلة يأتي ذكرهم في الأوساط العامة والخاصة وحتى الان.

وبهذه الصورة وفي مدة وجيزة برزت في البلاد فحول العلماء في الدين والفلسفة وعلوم أخرى باللغة العربية والفارسية والتركية المحلية، وأصبحت مدينة ياركند وكاشغر وخوتان مراكز علمية وثقافية في وقت كان أهل العلم والمعرفة في الندرة والقلة بحيث لا تلقى واحدا من الألف عارفا بالكتابة والقراءة، وكان الهالي غاطسين في الجهل والظلام ، وبعد الثورة بوقت قصير برز في الوجوه علماء وأدباء وشعراء فحول حتى عمت العلوم والمعرفة في المدن والقرى النائية وصارت اهلها يقرؤون ويكتبون ، وكان ترسن بك المؤلف الكبير وأمثاله من الرجال، وأمثال آخون آغاجا من افنات صارت معلمات ومدرسات ومنهم الشعراء والشاعرات.

وكان هناك من رجال العلم والقلم ثلاثة باسم نياز آخونوم أحدهم ياركندي والثاني قاراقاشي والثالث تاغي من ولاية خوتان، وبجانب علمهم كانوا شعراء فحول ، ونحن نجد كثيرا من آثارهم وأشعارهم في أيدي الناس حتى اليوم.

هذا، ونقول إن الثورات الثلاثة التي قام بها الأهالي في تركستان الشرقية ضد الاحتلال الصيني لم تتمخض عنه الاستقلال التام والمطلوب، إلا أنها أعطت فرصة لإنماء التعليم والتربية التي قصدوها من ضمن مقاصدهم

وحصلوا على جل سعادة كانوا يرنوا إليها من خلال ثوراقم التي تسببت لهذه النتيجة المعقولة.

ولأجل أن الاحتلال الصيني الثاني والثالث لم يدم طويلار فلم يتمكن الصينيون من طمس معالم النهضة الفتية التي حصل الشعب عليها في فترات تخلصهم من الاحتلال الصيني نتيجة ثوراقم المتكررة ، وان هذه الفوائد بقيت كما كانت وصارت، وإن كان قدر للاحتلال الصين البقاء لمدة أطول لقام بالتصيين بشكل أقبح وأبشع مما كان.

وإن شعب تركستان الشرقية المسلم كانى ينوي القيام بثورة شاملة ضد الصين عقب احتلالها الثالث، غير أن ذوي اللقاب والنبلاء المحسوبين للصين كانوا في رصد مستمر لاتجاهات وتحركات الشعب، والوطنيون الأحرار ما كانوا يعيرون لهؤلاء الأذناب أي اهتمام نظرا لقلة عدد هؤلاء، إلا أنه في الاحتلال الثالث كان حجم القوات الصينية كبيرة نسبيا مما جعل الاحتلال تستمر، وكان الناس ينتظرون ضعف قوة الصين.

الفصل السادس

الثورة العامة الثالثة في تركستان الشرقية...

في عام ١٢٧٨ هـ اشتدت الثورة في ولايتي تايبنغ ويوننا في داخل الصين بحيث لا تستطيع الصين أن تلفت إلى تركستان الشرقية فاغتنم أهالي تركستان الشرقية هذه الفرصة وقاموا بثورات في خمس أماكن في البلاد واحدا بعد آخر ، ففي منطقة إيلي ويته سو قام اتحاد تارانجي وتونكان (المسلمون الصينيون) بثورة عامة في عام ١٢٧٩ هـ الموافق عام ١٨٦٢م وكانت هذه الثورة ذات شأن عظيم وتأثير هائل، وقد اباد الثوار الصينيين كلهم وعلى رأسهم جانغ جونغ ومجموعة من الجنفن وأعلنوا استقلالهم.

وفي ولاية كوجار قام اتحاد الأهالي الأتراك وتونكان (المسلمون الصينيون) بثورة ، وكانت الثورة يراسها المرجع الديني راشدالدين خان ويقودها، وبعد حروب ومصادمات دامية استولى الثوار بعد تحريرهم ولاية كوجا على قاراشهر وطرفان وممم أورومجي وولاية قمول وباركول حتى حدود الصين وذلك عام ١٢٨٠ هـ الموافق عام ١٨٦٣م.

وفي هذه السنة قامت ثورة عارمة وشاملة في مدينة خوتان بقيادة المرشد الديني ومفتي ولاية خوتان الشيخ حبيب الله حاجم وأبناءه عبدالرحمن آخون وغبراهيم خان وخاضوا عدة معارك دامية وحرروا مدينة خوتان بعد ان حاصروا الصينيين من كل جانب، وبعد عدة أيام عرض الصينيون المحاصرون أن يسلموا الخزانة والأسلحة للثوار المسلمين على أن يسمح هم بالإجلاء من

البلاد إلى الصين سالمين، فاجيب لطلبهم هذا فأجلس الهالي الشيخ حبيب الله على اللباد البيض واختاروه ملكا على البلاد، ثم فتح الثوار مدينة قوما من جهة الغرب وممم كريا من الشرق وكذلك جرجن وضموها إلى ولاية خوتان.

أيضا في هذه السنة قامت ثورة في ولاية كاشغر بقيادة صديق بك واستولى الثوار على مدينة كاشغر ومدينة ينكحصار وفيض آبادوحاصروا الصينيين في داخل سور مدينة كاشغر الجديدة.

وفي نفس السنة قامت ثورة عارمة في مدينة ياركند وكان فيها جمهور غفير من طائفة التونكان (المسلمون الصينيون) أعلنت الأخيرة الجهاد على الصينيين حفاظا على حياتهم بجانب الأهالي الأتراك الذين اشتركوا في هذه الثورة صغيرهم وكبيرهم ، وكان الجانب الجنوبي من مدينة ياركند مركزا رئيسيا للحاكم الصيني والوالي وهم الخان والآمبان، ولذا كانت القوات الصيني كثيفة فيه، وحاصر الثوار لأكثر من شهرين والنصف حتى فتحوه عنوة بالقوة وقتلوا من فيه من خان وآمبان وأذنابهم الصينيين وفتحوا ابواب المدينة ثم اختاروا أو انتخبوا الشيخ عبدالرحمن حضرت ملكا على البلاد.

فهكذا قامت هذه الثورات الخمس في خمس مدن مهمة دون أن تكون بينها تنسيق واتصال وترابط.

(انظر الخريطة رقم ٢١).

وكانت هذه الثورات في معناها الصحيح كيانات ثورية مستقلة بذاتها ولم تكن هناك وحدة فيما بينها ، وإن كل وحدة ثورية تحتل منطقتها كوحدة

منفصلة وتعلن استقلالها بها، وبسبب ذلك وجدت في تركستان الشرقية خمس حكومات مستقلة بذاتها ، ومن أسباب عدم اتحادهم في دولة واحدة وجود عدة عناصر متباينة لا تتفق ولا تتوافق أمزجتها وطبيعتها بغيرها من هذه الوحدات او تلك القبائل ، غير ان الثورات في ذاتها وقدرتها وغرضها وغايتها تباينت وتفاوتت، ومع ذلك نقول إن العناصر المتباينة والمشكلة من أناس ليسوا من بلادنا ولهم أهداف وغايات وإرادات ومصالح مختلفة كما كان قادة الثورة مختلفين، فلا بد من فحص تلك العناصر وأهدافهم التي أدت اختلافها وتباينها إلى عدم حدوث الوحدة فيما بينهم، لذا نأتي ببيانات عن كنه الاختلافات في كل كيان ثوري وعند بعض الشخصيات القيادية في الثورات وعن أغراض الدخلاء فيها ومقاصد ومصالحهم المتباينة والمختلفة ، نأتي بها تحت عناوين مختلفة لكل وحدة ثورية، وعن عواقب هؤلاء الأشخاص وما آلت إليه وما عانته، وذلك حسب ما لدينا من معلومات وروايات متعينة ومتواترة.

ثورة إيلي ويته سو..

كانت في ولاية إيلي ويته سو مستوطنون أتوا من مختلف ولايات تركستان الشرقية من أمثال الأتراك الذين سموا باسم تارانجي ، والصينيون البوذيين والصينيون المسلمون (تونكان) القادمون من الصين، ونسبة كثافة هذه الطوائف كانت كالآتي:

كانت نسبة التارانجي ٧٠٪ ، و١٠٪ تونكان، وتالباقون من الجنفن ، وكانت الأخيرة صاحبة امتياز كبير من الحكومة الصينية ، وكانت انتماؤهم أشد إلى الصين، وكانت الصين تعتمد عليهم، وكانوا مسلحين وكأنهم جنود ، ولكن التارانجي بحال كونهم من أهل البلاد المسلمين كان يقع عليهم عبء كبير لمعاناتهم من ظلم الصين التي تعتبرهم مستخدمين وعمال مسخرين، وأما فئة التونكان من مسلمي الصين ولكونهم عصاة ثوار في داخل الصين ثم طردوا منها ولكونهم مسلمين فكانوا تحت مراقبة الصينيين، وكان التونكان يكرهون الصينيين والجنفن وتنتقرب إلى الأهالي وينضمون إلهم ويميلون إليهم، وذلا كان يلحق بها المظالم ونظرات الاحتقار ، الأمر الذي أدى إلى معاداة التونكان للصينيين والجنفن ومشاركتهم لأهل البلاد في ثوراتهم ضد الوجود الصيني.

وكانت هذان العنصران يشكلان ٨٠٪ من السكان ولهم وضعهم الخاص ووزنهم الثقيل في وطنهم، ففي عام ١٢٧٩ هـ الموافق عام ١٨٦١م اتحدت فئة تارانجي الأتراك مع المسلمين الصينيين التونكان الذين كانوا في ولاية إيلي ويته سو وقاموا بثورة ضد الصين، وفي البداية قاموا بالثورة في الوديان الجبلية على شكل قنص الجنود الصينيين هنا وهناك وتوجيه الضربات لهم، فكسبوا أسلحة كثيرة ثم بدؤوا بضرب المدن ودامت حروبهم هذه سنة وزيادة حتى كسبوا وانتصروا في المعارك كلها وتغلبوا على الصينيين حيث احتلوا وسيطروا على مدينة جنفن التي هي مركز جانغ جونغ ، فكانت انتصاراتم متوجة بهذه الغلبة الساحقة، وهدموا مدينة جنفن وأجروا فيها قتلا

عاما على الصينيين في المدينة ، ونجد آثار هذه المدينة في هذه الأيام فيما بين حاضرة كورة ومدينة غولجا حاضرة إيلي.

وتقول الروايات إن عدد القتلى من الصينيين والجنفن في هذه المدينة ثمانون ألفا، وبهذا الانتصار المؤزر انتهى حكم الصين في ولايتي إيلي ويته سو وكل ملحقاتها، ولأن الثوار في ولايتي إيلي ويته سو نجحوا في ثورتهم في هاتين المنطقتين اللتين تعتبران مركز الصينيين والجنفن المستوطنين كما أنها تعتبر مركز الوالي العام الصين، فكانت ثورتهم في هذه الولاية لها أهميتها بالمقارنة مع باقي الثورات في مناطق أخرى في تركستان الشرقية، غير ان الثوار المنتصرين الأتراك والتونكان واتحادهما في الثورة كان محل إعجاب ، لأن العنصر التركي والتونكان بينهم تنافر منذ القدم، وبعد انتصارهم وسحق العدو والقضاء عليه نشبت بينهما مهاترات وفتن فضاعت عليهم ثورتهم ومكاسبهم التاريخية وذلك كالآتي:

كانت هناك أسلحة كثيرة اغتنموها من الصينيين ، وبعد انتهاء المعركة بدأت التونكان في الاستيلاء على الأسلحة كلها دون حلفائهم الأتراك، وبدون موافقة من الأتراك نصبت التونكان أحدهم حاكما على البلاد وأسسوا حكومة محلية بالصورة والشكل والطراز الصيني مما يعني بقاء البلاد كمستعمرة صينية، وذلك بدون أي اعتبار للأتراك أصحاب البلاد الذين بدؤوا بالثورة وأشعلوا فتيلها، وكأن التونكان هم اصحاب البلاد الأصلاء، فاستحوذوا واستأثروا بالأسلحة والحكم والإدارة كلها، وكان الأتراك

الترانجي غير راضين بجشع التونكان هذه، لأن البلاد بلادهم وهم الأكثرية فيجب أن يكون الحاكم العام منهم وكذلك الغنائم تكون لهم، كما يجب أن لا يضم تشكيل الحكومة أي عناصر صينية، بل تكون تشكيل الحكومة على حسب الشريعة الإسلامية، وحق الإخوة التونكان في المشاركة محفوظ، وبهذه المقاصد النيرة انفصل الأتراك التارانجيون من التونكان وأسسوا حكومة محلية إسلامية ونصب أحدهم خانا على البلاد حسب عادة الأتراك.

وبهذا الانفصال وبسببه وقعت عدة معارك دامية بين الطرفين مما أدي إلى إضعاف قوة الطرفين واستنزافها، وأخيرا بقيت ولاية إيلي ومدينة غولجا بيد التونكان، وأسفل إيلي ويته سو بيد الأتراك التارانجيون، وبسبب هذا الشقاق ايضا لم يغزوا ولم يفتحوا بلدا آخر حتى عام ١٢٨٦ هـ الموافق عام ١٨٦٩م التي غزا فيها يعقوب بك ولاية إيلي ومدينة غولجا ، وكان هناك أرتاك تحت إدارة التونكان ، وبمساعدة هؤلاء استطاع يعقوب بك أن يفتح ولاية إيلي التي كانت تحت إدارة التونكان، وأما حكومة تارانجي التي كانت تسيطر على إيلي الأدنى ويته سو فاستسلمت ليعقوب بك على أن تدفع ليعقوب بك إتاوات سنوية فبقيت حكومتهم كما كانت، ولكنها في طاعة يعقوب بك بالاتفاق، ولكن لم تستمر الأحال على هذا، فقد استولى التونكان على ولاية إيلي وحاضرتها غولجا في عام ١٢٨٨ هـ الموافق عام ١٧٧١م وبالتالي أعلنت حكومة التارانجي التراك استقلالها ، ثم تبعت حكومة التونكان لحكومة تارانجي، وإن حكومة التارانجي دافعت عن استقلالها عندما أغار عليها

الصينيون عام ١٢٩٤ هـ الموافق عام ١٨٧٧، وفي عام ١٢٩٧ هـ الموافق عام ١٨٨٠م استولى عليها روسيا القيصرية فانهارت بذلك دولة التارانجي.

ثورة ولاية كوجا..

في عام ١٢٨٠هـ شكل وجهاء ونبلاء البلد تنظيمات سرية فهؤلاء النبلاء كما أشرنا في باب توغلوق تيمور خان إلى ذكر مولانا ارشدالدين خان كانوا من سلالة هذا الشيخ ومن أرباب التصوف من أحفاده في كوجا، وكان في ولاية كوجا مئات الألوف من الأسر التونكانية ، وكانوا أوفياء مخلصين للصينيين وكانوا مسلحين، ومن جهة أخرى كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفية ويخلصون لأربابها، فجذبتهم التنظيم السري إلى صفوفها بحكمة وروية ، ثم بدؤوا ثورتهم في ساعة الصفر في إحدى الليالي المظلمة وهاجموا أفراد الجيش الصيني ومواقعهم وحاصروهم حصار مطبقا، وفي اليوم التالي اتفقوا أن يجلسوا مرشدهم الشيخ أرشدالدين خان ملكا على البلاد فأجلسوه على لباد أبيض حسب الطريقة التركية وبايعوه وقلدوه لقب خان خوجة لكونه كبيرا في السن وشيخا كبيرا من أرباب الطرق الصوفية، ولكن هذا الشيخ كان بعيدا عن عالم السياسة وقيادة الجيوش وإدارة شئون الدولة، كان أبيض القلب ولم يكن عنده خبرة كافية للسيادة والإدارة ، غير أنه كان وحيدا متميزا بينهم إماما وشيخا ذو شعبيةجماهيرية ومكانة مرموقة في الأوساط كلها.

وبعد مراسم تنصيب الملك بدأ المجاهدون الهجوم على مدينة كوجا عبر سورها المحيط بها ، وبعد عدة هجمات دامية استولى المجاهدون الثوار على سور المدينة وأوقعوا ضربات للصينيين وأبادوهم بالكامل، وفتح المجاهدون مدينة كوجا وضواحيها فتحا كاملا، ثم جهز خوجة خان جيشا كبيرا بقيادة أخيه جمال الدين خوجة وأمرهم بالهجوم على مدينة آقسو، وجهز جيشا آخر قوامه ألفان وخمسمائة مقاتل تحت قيادة ابن اخيه إسحاق خوجة وأرسلهم إلى الشرق لفتح مدينتي كورلا وقاراشهر ، وفي أثناء ذلك جمع العداء أكثر من خمسة آلاف جندي من منطقة تاريم وقاراشهر ولوب ، وبالرغم من كثرة عدد العدو وتفوق سلاحهم شد إسحاق خوجة عزمه على الهجوم على مدينة كورلا بهجوم كاسح وشامل وحاصر الأعداء حصارا شديدا ، وفي أثناء ذلك جاء لإمداده السيد إسلام خلفت بسبعمائة من القناصين المهرة ومعهم أسلحتهم حتى وصلت عدد قوات إسحاق خوجة أكثر من ستة آلاف مجاهد ، ففتحوا مدينة كورلا، كما انضمت فرق المجاهدين القادمين من مناطق بوكور وينكحصار وكورلا لمساعدة إسحاق خوجة إلى صف قوات إسحاق خوجة، وبالخلاصة تجمعت لدى إسحاق خوجة أكثر من عشرة آلاف مجاهد فهاجم بها على مدينة قاراشهر ، وكانت في مدينة قاراشهر أكثر من ستة آلاف جندي صيني وعندهم كميات كبيرة من المدافع ، وبالتالي كانت نهر مدينة قاراشهر تشكل عائقا يصعب اجتيازه إلى جهة المدينة، فوضع إسحاق خوجة على ضفاف النهر من جهة المدينة قناصين والرماة وأمرهم بتراشق السهام ليغطي

بهذه الحركة عبور جيشه من النهر إلى جهة المدينة ، ولكن الجنود الصينيين أحكموا سيطرتهم على الضفة المقابلة ودافعوا عن المدينة دفاع المستميت، ولم يتمكن المجاهدون من عبور النهر، ومن جهة أخرى بأن هناك إمدادات قادمة للصينيين من قاراشهر وأوروكجي وطرفان ، ولكسر شوكة الصينيين فكر إسحاق خوجة في الانتقال إلى جهة الشرق من مدينة قاراشهر ليسد طريق الإمدادات الآتية من الشرق فأبقى ما يقارب ألفا من المجاهدين على ضفة النهر لإشغال العدو بالرمي والتراشق ورجع بكل قواته إلى الخلف وأخذ دورانا من ضفاف بحيرة بالقاش حتى وصل إلى منطقة أربعين كيلومترا من شرق مدينة قاراشهروسد طريق أورومجي وطرفان إلى قاراشهر واستعد للهجوم من جهة الشرق ، وهذه المرة كانت مركز إسحاق خواجة بلدة أوشاق تال، وعندها جاءت الخبار بأن عشرة ىهلاف جندي صيني بكل أسلحتهم وصلوا إلى أوشاق تال وهم غافلون عن إسحاق خوجة، فاقترب منهم إسحاق خوجة وهاجمهم على حين غفلة منهم فهزمهم هزيمة نكراء وقتل اكثر الجنود الصينيين بالسيف وهرب القليل منهم إلى مدينة قاراشهر، وكان الجيش الصيني خليطا من الصينيين والقالماق، وانتهى الهجوم وانتصر إسحاق خوجة في ساعات قليلة وقد قتل قائد الجيش الصيني في المعركة واستولى إسحاق خوجة على دفاترهم وخرائطهم والأوامر التي كانت بحوزتهم، وهذه الوثائق وجدت بجيب القائد الصيني القتيل، وكانت فيها تفصيلات عن حجم المساعدات والإمدادات العسكرية ووحداتها وتاريخ يوم وصولهم إلى أوشاق

تال، ولما علم إسحاق خوجة هذه المعلومات التفصيلية أبقى جزءا من قواته في أوشباق تال وأخذ معه جنودا كثيرة إلى الوادي الأحمر في قاراقيزيل، وكانت هذه الوديان وسط جبلين شامخين فأخفى الجنود في الجبال من الناحيتين وانتظر وصول الإمدادات الصينية من أورومجي، وفي غضون خمسة أو ستة أيام أمضاها جنود إسحاق خوجة في مخابئهم هذه تم القضاء على كل افمدادات الآتية من اورومجي قضاء تاما بتطويقها بين الجبلين ، واغتنم إسحاق خوجة أسلحة وأموالا كثيرة، واطمأن عن عدم وصول الإمدادات للعدو من أورومجي فاتجه بجنوده إلى جهة قاراشهر ، وكانت الجنود الصينيون قد تمركزوا في بلدة جوقور على بعد عشرة كيلومترات من مدينة قاراشهر ، وكان المركز مليئا بالجنود والمواد الحربية وأسلحة لا حصر لها، وكانت في مركزهم هذا خطوط دفاعات ومدافع على طول الجبهة، وعندما وصل إسحاق خوجة إلى بلدة جوقور بدأت معركة حربية ساخنة وصدام دامي وشرس ، غير أن الآلات الحربية والمدافع لدى العدو كانت كثيرة مما خسر إسحاق خوجة ألفا من أفضل رجاله الأشاوس ، وعندها بدأ جيش المجاهدين يتقهقر ويهرب من ميدان المعركة، ولكن إسحاق خوجة لشدة عزمه أصدر أمره باقتحام مائة من فرسانه مواقع مدافع العدو فاستشهد منهم من استشهد والباقون هاجموا على مواقع المدافع والذخائر وأضرموا النار فيها حتى تطايرت مدافعهم بمن عليها من الجنود الصينيين أشلاء مبعثرة، وبهذا اضطربت صفوف العدو، وعندما رأى المجاهدون هذه الحالة مالوا كلهم على صفوف العداء مهاجمين وانهزم

الجنود الصينيون ولقوا هزيمة نكراء وبدؤوا يهربون إلى مدينة قاراشهر ، فغنم المجاهدون الأموال والأسلحة وفي مقدمتها المدافع والبنادق والخيول وعربات النقل العسكري.

ثم شرع إسحاق خوجة بالهجوم على مدينة قاراشهر وحاصرها من كل جانب ، وفي هذا الثناء وصلت له إمدادات ومساعدات عسكرية من مندينة كوجا وما جاورها من البلدان ، وقد وصلت المساعدات إلى ضفاف نره قاراشهر، وبأمر من إسحاق خوجة تحركت هذه الإمدادات نحو مدينة قاراشهر ، وبعد حصار دامت اثنا عشرة يوما هاجم إسحاق خوجة على داخل المدينة حيث أضرم النار في ابواب المدينة وفتح ثغورا في أسوار المدينة وقتل كل الجنود الصينيين وأسر الباقين منهم وغنم المجاهدون مغانمكثيرة من مدينة قاراشهر، وقد أورد المؤرخ ملا موسى سايرامي في كتابه تاريخ أمينية معلومات وافية، وكان موقع مدينة قاراشهر موقعالا فريدا إستراتيجيا لا مثيل له، وكان فتح إسحاق خوجة مدينة قاراشهر قد سهل له فتح كل من أورومجي وطرفان ، وفي الحقيقة تمكن إسحاق خوجة من فتح كل من مدينة أورومجي وولاية طرفان بعد أن فتح مدينة قاراشهر، حيث هاجم إسحاق خوجة في عام ١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٦٤م البلدان الواقعة في شرق البلاد وفتح ولاية طرفان، تحقق هذا الفتح بمساعدة أهالي طرفان برمتهم بمالهم ودمائهم الطاهرة، وعندها جاءت الدور لفتح مدينة أورومجي، وكان الناس في أورومجي فريقان، فريق الصينيين الذي يهيمن على البلاد، وفريق المسلمين

الأتراك من أهل البلاد، وكان المسلمون ينتظرون هذا الفتح، وقد يسر الله تعالى إسحاق خوجة فتح مدينة أورومجي تيسيرا، حيث بينما بقيت المدينة محاصرة لمدة شهرين من طرف المجاهدين، ثم اتجه إسحاق خوجة إلى فتح مون بالقرب من أورومجي وهي كوجنغ وجمسا وقطبي ومناس وشيخو حيث دارت هناك معارك دامية بين الصينيين والمجاهدين ، وجدير بالذكر إن إخواننا التونكان مسلمو الصين ساعدوا إسحاق خوجة ورحبوا به كفاتح إسلامي ، ولأجل ذلك عين إسحاق خوجة شيخا كريما من التونكان وهو الشيخ يوسف لورينجا على مدينة أورومجي كمات عين عددا من التونكان على تلك المناطق المفتوحة وأبقى جنودا كافية كحاميات لها.

ثم اتجه إسحاق خوجة إلى فتح مدينة قومول وباركول اللتين تشكلان ثغورا ذات أهمية ، فقسم جنوده إلى فرقتين فرقة تتجه إلى باركزل وعليها قيادات أكفاء ، والفرقة الثانية بقيادة إسحاق خوجة نفسه تتجه إلى فتح مدينة قومول ، وأما الفرقة الأولى فوصلت إلى مدينة باركول وحاصرتها أياما عدة ثم فتحتها فتحا مبينا ، وأما مدينة قومول فكانت هناك قلعة ذات سور عظيم تمركز فيها القوات الصينية ، وكانت لديهم عتاد حربي متقدم ولديهم أرزاق مخزونة ، وبالتالي تمدهم حاكم المدينة جينغ وانغ رغم إظهاره الطاعة إسحاق خوجة، وكانت أسوار القلعة بها استحكامات ومراكز عسكرية متقدمة وهي في صالح الصينيين ، ولكن إسحاق خوجة طوق القالعة بحصار تام ، ولكن الحصار طالت مدتها ومضت أيام وشهور فأخذ إسحاق خوجة تحت إمرته كل

الملحقات من البلدان حتى وصل الأمر إلى فتح أو قاب قوسين أو أدنى منه، ولكن تعليمات وصلت إلى إسحاق خوجة يدعوه إلى الحضور لمدينة كوجا ، وبعد ذهاب إسحاق خوجة تآكل الجنود الأتراك وبالإمدادات التي تصل للصينيين تغلب الصينيون على الأتراك وأهل البلاد فبقيت مدينة قمول تابعة للصين ، غير أن فتوحات إسحاق خوجة أوصلت قواته الدفاعية والهجومية إلى حدود منطقة كانسو شرقا وهي الحدود الفاصلة بين تركستان الشرقية والصين.

بينما صارت منطقة كوجا من حدودها الغربية إلى حدودها الشرقية أصبحت قوة قتالية بجهاد الجنود الأتراك المحلية داخلة فيها كل البلدان والقصبات والإمارات ومقاطعاتها، ولأجل هذا كانت لمنطقة كوجا أهميتها البالغة والمنفذة، وفي رأي المنصفين والعسكريين كانت حكومة كوجا قابضة على شئون البلاد شرقا وغربا،حيث تظل البلاد تحت راية منطقة كوجا دون غيرها،ولا يشك فيه أحد ولا ريب فيه.

ولكن حكومة كوجا في سيرها اللامبالي وغرورها البالغ أوجدت في الإدارة ثغرات ونتجت أمورا عكسيا ما كانت يلزمها، ثم أعقبت فاجعة لا خير فيها بينما لم تفتح مدينة قمول الجديدة، ففي عام ١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٦٤م قام السيد خان خوجة بإصدار فرمان على كل من مجاهدي كاشغر وخوتان وياركند وإداراتها بأن يطيعوا جميعا لحكومة كوجا بدون شرط أو قيد وأن يسلموا لها الإسلحة والأموال ، وفي حال عدم الإذعان لهذا الفرمان تكون

لحكومة كوجا أن ترسل عليهم قوة عسكرية تنفذ عليهم عقوبات صارمة، وكان هذا القرار بمثابة تحقير وإنكار لحقوق هؤلاء المجاهدين كلا في موطنه ومكتسباته الجهادية.

وكانت الإجراءات التعسفية تجرح العمق الغائر في نفوسهم ، وكان ذلك بطبيعة القرار هذا، وبأعصار هذا القرار أو مثيلاتها لم يستطع المجاهدون فتح القلعة المدينة الجديدة في منطقة قمول، فبقيت في يد اصينيين.

وليس لدينا معلومات عن جواب السيد عبدالرحمن خان حضرت حاكم ولاية ياركنغير أن الذي نعرفه هو أنه لم يطع ولم يعمل بمضمون الفرمان هذا، وبرزت في الساحة اختلافات فيما بين المجاهدين الأحرار في مراكزهم .

إعلان راشد الدين خوجة الحرب على مجاهدي كاشغر وياركند وخوتان...

إن راشدالدين خوجة حاكم ولاية كوجا ارتكب خطأ جديدا ضد حكام مدينة كاشغر وياركند وخوتان عندما برزت في الساحة امتناع حكام تلك المدن من تنفيذ الفرمان السابق، حيث أعلن راشداليدن خوجة حربا عليهم بتحريض فئة التونكان وغيرهم من المرتزقة التي تلتف حول حكومته، حيث أرسل أخاه جمال الدين خوجة على رأس جيش كبير إلى ولاية كاشغر ، وكان على رأس المجاهدين في ولاية كاشغر السيد صديق بك الذي طلب من حاكم فرغانة سعيد سلطان خان وفي رواية ثانية من ملك فرعانة خدايرخان مساعدة

لمقاومة جمال الدين خوجة، وبينما لم تصل المساعدات بعد من فرغانة وصل جمال الدين خوجة إلى ولاية كاشغر فلم يستطع صديق بك المقاومة فأخلى مدينة كاشغر وتنحى إلى بلدة تاشملق مسقط رأسه وجمع جنوده فيها مترقبا أي حادث يحدث، وجمال الدين حوجة احتل مدينة كاشغر بدون أي مقاومة وبعد وقت قصير وصلت أو اقتربت جيوش فرغانة إلى ولاية كاشغر، وظن جمال الدين خوجة أن جيوش فرغانة المساعدة لصديق بك كثيرة العدد فاخلى المدينة وعاد بجنوده إلى مدينة كوجا فرجع صديق بك من بلدة تاشملق إلى مدينة كاشغر، ولكن خان خوجة أرسل كلا من جمال الدين خوجة وحامدالدين خان على رأش جيش كبير إلى مدينة ياركند وإذا انتصروا فيها فليقدموا إلى كل من خوتان وكاشغر، غير أن رجال الفرغانة يعقوب بك قد وصل برجاله إلى مدينة ياركند وتمركز خارج المدينة وبدأ يلعب ببعض الحيل في السيطرة على ياركند وكان رجاله في حدود أربعمائة فارس، وعندما اقترب جمال الدين خان وزميله حامدالدين خان إلى مدينة ياركند اتفق يعقوب بك مع أهل ياركند بما يحقق مراميه فيما بعد ورجع برجاله إلى مدينة كاشغر، وقد سبق أن أرسل مفرزة من جنوده إلى مشارف مدينة كاشغر واتجه هو بكثرة من جنوده إلى مدينة ياركند، لذا تعجل يعقوب بك بالرجوع إلى مدينة كاشغر، وفي رواية إن حكومة ياركند طلبت مساعدة من فيلق فرغانة قبلا، ولذا قدم يعقوب بك إلى ياركند، واستنادا لهذه الرواية قام جمال الدين خان بالقبض على عبدالرحمن خان حضرت حاكم ياركند وأسره ، ولكن موسى

سايرامي صاحب تاريخ أمينية يقول : إن يعقوب بك قدم بمحض إرادته إلى مدينة ياركند للاستيلاء عليها.

ولما قدم جمال الدين خان إلى مدينة ياركند وجد من يسانده من أمثال التونكان ونياز بك معهم فاستولى جمال الدين خوجة على مدينة ياركند وأسر حاكمه عبدالرحمن حضرت مع أبنائه وأرسلهم إلى مدينة كوجا ، ولكن التونكان كانوا يحبون عبدالرحمن حضرت وبشفاعة منهم أعاده إلى مدينة ياركند

واحترمه وفرض عليه إقامة جبرية، وبهذه الصورة سقطت مدينة ياركند في طاعة حكومة كوجا، ثم أرسل جمال الدين خوجة أربعة آلاف فارس من جنوده إلى ولاية خوتان وكان على رأسهم أحد الخونة المارقين الوالغين من إناء الصين، وكانت أفراد هذه الفرقة من التونكان من أهل مدينة ياركند وأكثرهم من أهل كوجا، ولما سمع حاجي بادشاه ملك خوتان خبر قدوم جمال الدين خوجة أرسل ابنه وأمين دولته عبدالرحمن بادشاه إلى منطقة بيالما تبعد أربعين ميلا عن إيلجا عاصمة خوتان ، وكانت في جهة الغرب منها، وكان عبدالرحمن بادشاه يقود مفرزة كبيرة من المقاتلين من أهل خوتان ، ودارت رحى الحرب في بيالما بين عبدالرحمن بادشاه وبين جنود جمال الدين خوجة ، وكانت ضراوة الحرب على أشدها نهارة وليلة واحدة حيث استشهد السيد عبدالرحمن بادشاه فثار جنود البادشاه وعزموا على دحر قوات التونكان وجاهدوا جهاد الأبطال وهزموهم شر هزيمة وقتلوهم وطردوا الباقينإلى أبعد

من بلدة قوما غربا ، وكانت الحصيلة في هذه المعركة أن أبيدت أكثر فئات التونكان وهرب الباقون إلى مدينة ياركند مطرودين ومغلوبين ، فهذه حصيلة غرور حكومة كوجا وعساكرها.

وبهذه الهزيمة انكسرت عزيمة جمال الدين خان الذي كان يعتزم غزو مدينة كاشغر، وبهذه الهزيمة حزن خان خوجة حاكم كوجا وتأسف من هزيمة رجاله جمال الدين وحامدالدين الذين يعتمد عليهم خان خوجة في غروره ، ورأى أن رجاله غير لائقين لمثل هذه الشئون، ومن جهة ثانية خاف خان خوجة كثيرا من تزايد قوات فرغانة في مدينة كاشغر ، ولأجل هذا استدعى بطله المغوار إسحاق خوجة خان من ولاية قمول فقال إسحاق خوجة خان إن ترك قلعة قمول الجديدة أو المدينة الجديدة بدون فتحها تهدد أمن وسلامة بلداننا جميعا، ولذا لا يمكنني المجيئ أو الرجوع إلى مدينة كوجا ، وإن الفرغانيين وأهل خوتان لم ولن يعرضوا أمن البلاد وسلامتها للخطر، ولكن خان خوجة لم يقبل عذر إسحاق خوجة وأصر أن يعود فورا إلى مدينة كوجا فاضطر إسحاق خوجة خان أن يبقى في ولاية قمول جنودا كافية تحت رأس أخيه الشقيق ورجع إلى كوجا.

وبأمر من خان خوجة قاد إسحاق خوجة عشرة آلاف مقاتل لغزو أهل فرغانة في مدينة كاشغر، ولما سمع الخبر بزرك خان تورة زعيم أهل فرغانة وملكهم في ولاية كاشغر أراد ان يترك مدينة كاشغر ويعود إلى بلاده ، ولكن قائد جيشه يعقوب بك لم يصوب رأي بزرك خان تورة وقال: إذا واجهنا

الغزو ودخلنا فيه وهزمنا فعندها نعود إلى فرغانة ، وكان تعداد جيشه أربعمائة فارس، فلملم جيشه وانسحب أو ابتعد إلى بلدة خان إريق التي تبعد عن مدينة كاشغر بسبعة وثلاثين ميلا إلى الشرق واستعد للقتال، ودارت رحى الحرب بين الطرفين في هذه البلدة نهارا وانهزم أهل فرغانة شر هزيمة ، ولكن يعقوب بك اختفى في إحدى الطرقات الجانبية مع رجاله القريبين له ، وفي الليل باغت برجاله جنود كوجا النائمين، وبهذا الهجوم المباغت هلك الألوف من جيش كوجا وأسر الباقون في يد يعقوب بك وهرب بعضهم إلى بلادهم ، وإن إسحاق خوجة لم يستطع لم شمل جنوده واضطر أن يعود إلى بلدة مارالباشي ، ولكنه لم يمكث فيها بل قفل راجعا إلى مدينة كوجا.

وإن الهزيمة التي منيت بها جيش كوجا حطمت كرامة حكومة كوجا ومنعتها وأضاعت هيبتها، وفي مدينة ياركند تغلب الأهالي والنقاتلون المحليون على جيش الغرباء في تالمدينة وشردهم وطردهم من مدينة ياركند وتوابعها وأعادوا عبدالرحمن حضرت إلى عرش البلاد وأعلنوا استقلالها، فكانت معركة خان إريق بداية النهاية لحكومة خان خوجة في كوجا وغيرها من البلدان، وأما الأمر بالنسبة لإسحاق خوجة فلبسالته وسداد رأيه وقوة عزيمته اشتهرت شخصيته وحاز على محبة أهالي تركستان الشرقية، وكان إسحاق خوجة في الحقيقة بطلا دونه الأبطال، ولعلو مقامه عند الناس الذي كان يحسده عليها أبناء خان خوجة وإخوانهم انتظروا فرصة تتاح لهم بالوقيعة بينه وبين خان خوجة ، فكانت هزيمة خان إريق أفضل فرصة لهم وإنهم يخشونه ويعدون عليه

بعض هفواته ويسمعونها إلى خان خوجة، وصدق خان خوجة وشايات الحساد في حق إسحاق خوجة فجرده عن كل صلاحياته وأقامه في مدينة آقسو على عمل ما، وأبعده عن مدينة كوجا، حيث نزلت هذه الشخصية العظيمة بعد كل الخدمات الجليلة والفتوحات العظيمة لحياة في غربة في بلدة من مدينة آقسو، وفوق ذلك كان يهدده الحاسدون باغتياله.

وعندمتا علم يعقوب بك حالة إسحاق خوجة المزرية وجد يعقوب بك فرصة حرمان حكومة كوجا من قائده المغوار إسحاق خوجة غأرسل إليه رسولا بمكتوب يقول فيه اعتزازه به ويدعوه إلى مدينة كاشغر وفيه يجد الدفء والأمان فقبل إسحاق خوجة عرضه ودعوته إلى كاشغر فأتى إليه فأكرمه يعقوب بك وأنزله مكانة مرموقة محترمة ومنح له سكنا وبستانا وارفة الظلال وأقامه فيها ، ولعل إسحاق خوجة أراد أن يوصل نفسه غلى بر الأمان لدى حضرة يعقوب بك وأن يهرب من مدينة آقسو إلى مدينة كاشغر حيث بلاط يعقوب بك.

وكان السبب في ذلك حساده وحاقدوه جمال الدين خوجة وحامدالدين خوجة وإنهم لم يستطيعوا إنجاز عشر معشار ما انجزه وحققه إسحاق خوجة ، وكانوا ميالين إلى الراخة والعيش الرغد وغير لائقين للحكم والإدارة ، وكانوا لا يفكرون في المستقبل القريب ولا البعيد حيث بدأ الحساد في اليأس من

حكم مدينة كاشغر و مدينة خوتان وياركند، بل خافوا على تعرض الأعداء لأمن وسلامة كوجا ، وبالتالي لم يفعلوا شيئا في استعدادهم للدفاع عن بلدهم

كوجا، وبالخلاصة ضاعت على حكومة كوجا هيبتها وقواها المعنوية المكتسبة في أول أيامها السابقة، وبدل أن تحكم كاشغر وياركند وخوتان أصبحت كوجا تتعرض لمفاجآت مؤلمة وغزو مرتقب من تلكم الولايات حيث إنها لم تتخذ إجراءات للدفاع عن نفسها، وبهذه الصورة ضاعت على كوجا قوتها العسكرية ومعنوياتها الهائلة وهيبتها القديمة، وأما مدينة أورومجي التي تقع خلف مدينة طرفان فأعلنت طائفة التونكان فيها استقلالهم.

وأما ولاية قمول الباسلة فبقيت في يد القوات الصينية المتزايدة كمركز لهم وسوق جيش متقدمة، وكذلك عاد إلى كوجا أخو إسحاق خوجة.

عاقبة مجاهدي ولاية كوجا..

أصبحت كوجا كما أسلفنا في دوامة الانحطاط وسوء الإدارة ودامت بها هذا الضعف إلى أن استولى عليها يعقوب بك.

وفي عام ١٢٨٤ هـ الموافق عام ١٨٦٧م توجه يعقوب بك إلى ولاية كوجا (كما نذكره في باب يعقوب بك) وبقوة عيسكرية وحيل مبيتة احتل يعقوب بك كوجا وأعدم ملك كوجا راشدالدين خان خوجة مع عدد من أبنائه الكبار في مدينة كوجا وألقى القبض على الإداريين في حكومة كوجا وأرسلهم إلى ولاية كاشغر وياركند فاستشهد هؤلاء هناك بكثير من العذاب والظلم.

وبهذه الصورة انهارت ولاية كوجا حتى مدينة كورلا غربا لبساط يعقوب بك وإدارته القاسية ، واحتلت طائفة التونكان مديني قاراشهر وطرفان.

ماهية حكومة كوجا..

كان ملك ولاية كوجا راشدالدين خوجة رجلا صوفيا وله أتباعه ومريديه ، وكانت له في الأهالي مكانة مرموقة في زمانه الأول، وكان مريدوه أهل البلاد الأتراكوطائفة التونكان المستوطنون فيها ، ولم يفكر راشدالدين خوجة في أن طائفة التونكان طفيليون في البلد من أصول أجنبية ، بل فكر في أنهم مسلمون وفي حوزتهم بعض الأسلحة فلمشاركتهم عسكريا في حركته أشركهم في الحكم وإدارة

البلاد، وفعلا كانت طائفة التونكان مسلحين في زمن بدء الثورة ، ولكن شكل الثوار الأتراك كثرة كاثرة في جيش الثورة على الصينيين ، ومع ذلك كان راشدالدين خوجة لا يعمل شيئا ولا يصدر قرارا إلا بمشورة التونكان، وبالتالي كانت هناك فئة ضالة من الأمراء الأتراك الذين قدموا خدمات للصينيين المحتلين، وبنفاق منهم أعلنوا طاعة راشدالدين خوجة الذي أعطاهم صلاحيات وجعلهم في صفوف الكوادر الوطنيين ولهم شرف عظيم ووظائف عالية ، وكانوا فئة يكرهها الأهالي الأتراك ، وإن راشدالدين خان خوجة يشركهم في الأمورالعسكرية والسياسية ويأخذ رأيهم فيها، وأصبحت الإدارة الحكومية في عهد راشدالدين خان خوجة آخذة شكل وصفة الإدارة الصينية

القديمة التي كانت في البلاد من عهود الصينيين المحتلين، وفي تنفيذ إدارته هذه كان خان خوجة يعتمد عليهم فلذا يتخذ في تنفيذها شكلا مغايرا للأصول الإسلامية وعادات الأتراك أهل البلاد ويستبد بها، ولم يكن في حكومة خان خوجة قوانين ونظم يرجع إليها الإداريون ، وما كان خان خوجة رجلا يعرف عن السياسة وليس له خبرة، وكان رجلا ساذجا يصدق كل ما قيل في حضرته من أناس غير جديرين في أمور إدارة الدولة الإسلامية، حتى إنه لم يكن يعلم شيئا يحدث خارج بلاطه السلطاني، وكان من السهل عليه تغيير رأيه وتفكيره بأتفه الأسباب، وكان يدير كل أموره عن طريق أبنائه وإخوته ومستشاريهم من التونكان والبكوات ومشيئتهم.

في بداية الثورة العامة في تركستان الشرقية اعتبر المجاهدون في عموم كل تركستان الشرقية اعتبروا حكومة كوجا في المقام الأول بحيث يجب احترامه والطاعة له ، وعندما كشفت الأحداث الأخيرة ما خفي عليهم من نوايا واتجاه راشدالدين خانة خوجة تردد المجاهدون كلهم في طاعتهم لكوجا وملكها خان خوجة ، ولو أن راشدالدين خوجة الذي علم هذا التردد فيهم استمع لآراء هؤلاء الثوار وأمانيهم وآمالهم وحاورهم بروح الإخوة والصداقة وسلك طريق تقرير مصير البلاد والعباد بمشاركتهم واحترمهم وقدرهم حق تقدير كمجاهدين لكان ذلكمنه سياسة حكيمة، وكان بالإمكان حينذاك توحيد تركستان الشرقية كلها تحت رايته وإنقاذ البلاد من المصائب مثل فواجع يعقوب بك الدامية والاحتلال الصيني الغاشم، إذ كان هذا هو هدف

المجاهدين الآخرين وغايتهم، ولكن هذا الرجل الساذج بدلا من أن يفعل ذلك وبتحرض التونكان والبكوات أصدر أوامره التهديدية للمجاهدين وأعلن الحرب عليهم فيما بعد مما رفع ترددهم إلى مستوى النفرة والعداوة، فنتج عنه حروب داخلية وضعف في

القوة وتساقط الحكومات المحلية الواحدة تلو الأخرى، وهذه الأبيات باللغة التركية التي أثرت من ذلك العهد تعكس تلك الحوادث المؤلمة والعواقب الوخيمة:

آمل أن أكون أنت وأنت تأمل أن تكون أن أكـــون أنا وتكـــون أنت
أيضـــا لكني صـــرت أنا وأنت أنت صـــرت أنت فـــلا أنا كنـــت ولا كنـــت أنت

ثورة خوتان..

كان المفتي حبيب الله حاجم سليا لأسرة كريمة ومن نبلاء ولاية خوتان كما كان مرجعا في العلوم الدينية وعلامة له الإفتاء في ولاية خوتان من أدناها إلى أقصاها ، وعندما كان عمره يناهز السبعين قد أفضى إليه أبناؤه عبدالرحمن آخون وإبراهيم خان عزمهم على الثورة على الاحتلال الصيني، فسر حبيب الله حاجم بهذا العزم الأكيد والنير من أبنائه وبشرهم بالفوز والنجاح، وعندما اكتمل نصاب العزم هذا شكل الشيخ جمعا من الفدائيين في بلدة بولاق التي تبعد ١٧ ميلا بالجانب الشمالي الغربي منها وحصلوا على كمية قليلة من

الموارد التي تشبه الأسلحة، وعدد الفدائيين يزيد عن مائتين، وفي عام ١٢٨٠ هـ الموافق عام ١٨٦٣م بدؤوا بهجومهم على بلدة زوا وكانت بها حامية صينية ، وكان هجوم المجاهدين مباغتا وبدون إنذار فتغلبوا على الصينيين وقتلوهم واستولوا على أسلتهم، وعندما حالفهم الحظ بدؤوا هجوما على مدينة إيلجا حاضرة خوتان حيث كان هناك خلق كثير من أهل البلاد وكان في أيديهم الفؤوس والهراوات وأصبح تعداد المقاتلين أكثر من ثلاثين ألف إلى أرعين ألف مقاتل، وقد تصدى لهم جنود الاحتلال في ظاهر المدينة ولكنهم انهزموا بل أبيدوا عن بكرة ابيهم واحتل المجاهدون مدينة إيلجا الخوتان، وقبل ذلك حاصر المجاهدون الصينيين الموجودين داخل سور المدينة لأيام عدة حتى عجز الصينيون عن الدفاع عن أنفسهم فاستسلموا ففتح المجاهدون المدينة، ثم أسلم أكثر من أربعة آلاف صيني وأعلنوا إسلامهم ودخلوا مساجد لالمدينة مع جموع المجاهدين الأتراك، ثم اجتمع المجاهدون وأجمعوا على أن ينصبوا الشيخ حبيب الله حاجم مفتي الخوتان ووالد قائد المجاهدين ملكا على البلاد بأن أجلسوه على لباد أبيض حسب عادات الأتراك وبايعوه بيعة الإسلام ولقبوه بحاجي بادشاه أي الملك الحاج، ثم فتح المجاهدون بلدان وقرى ولاية خوتان من الغرب مدينة قوما إلى الشرق جرجن وجرقليق، وعين حضرة الملك حاجي بادشاه ابنه عبدتالرحمن وزيرا لدولته وقلده لقب صدر الصدور ، وكان الناس يقولون له عبدالرحمن باشا.

ثم إن الناس الذين لم يشاركوا في الثورة وجلسوا في بيوتهم حسدوا على الشيخ حضرة الملك حاجي بادشاه وقاموا بانقلاب فاشل، وكان هؤلاء الانقلابيون من نبلاء البلد فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر إلى ولاية ياركند، وفي عام ١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٦٤م جاء إلى الملك حاجي بادشاه فرمان من خان خوجة كما ذكرنا سالفا يأمره بإطاعة حكومة كوجا وتسليم الخزانة لحكومة كوجا أيضا كما سبق بيانه ، ولكن حضرة ملك شاه أجاب عن هذا الفرمان بشرط أن لا يكون طائفة التونكان وأمراء المحافظات سابقا في الحكومة، وأن تبقى حكومة خوتان حكومة قائمة بذاتها تابعة لحكومة كوجا ، غير أن خان خوجة أرسل جنودا لتأديب حكومة خوتان وبغزوها وتنفيذ فرمان خان خوجة، وكان ذلك في عام ١٨٦٥م، واستعد ملك شاه حضرت للدفاع عن حكومة خوتان وترابها من الاعتداء عليه ، وكان صدر الصدور عبدالرحمن شاه قائدا لهذه القوة العسكرية ، ولكنه استشهد في موقعة بيالما وكاد أن ينهزم جنود خان خوجة ، ولكنهم أوقفوا القتال وبدؤوا ينسحبون إلى ولاية ياركند ، غير أن ملك شاه حضرت أرسل جنودا إلى منطقة ياركند وضبطوا مداخل ومخارج ولاية ياركند، وخلف صدر الصدور في قيادتهأخوه إبراهيم خان في قيادته، وفيعام١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٨٥م وبالتحديد في أواخر هذا العام أرسل ملك شاه حضرت وفدا برئاسة ابنه إبراهيم خان إلى منطقة فرغانة وبالذات إلى خدايارخان وعقد الوفد اتفاقية صداقة بين حكومة خوتان وحكومة فرغانة، وكان آنذاك بزرك خان تورة

وقائده يعقوب بك في ولاية كاشغر ، فارسل خدايار خان أوامره إليها يوصي لصالح حكومة ملك شاه حضرت وولاية خوتان ومراعاة بنود اتفاقية الصداقة ، وفي ذلك الوقت بالذات أرسل ملك شاه وفدا إلى خان خوجة ومكتوبا مع الوفد يقول فيه: "إن الغاية من جهادنا تحرير كافة البلاد من احتلال الكفرة، فكان من الضروري لتحقيق ذلك اتحادنا وإزالة مادة النفاق والخلاف من بيننا، ولكنكم أعطيتم شئون الدولة وجيش الإسلام إلى التونكان وإلى البكوات الذين خدموا الصينيين في الماضي، فأما التونكان فصينيون وطائفة معادية لنا بطبيعتهم، وأما البكوات فمنافقون وخونة، وفي ساعة العسرة تصبح هاتان الطائفتان أعداء لنا في الداخل، وقد بينت بنية مخلصة هذه الحقيقة في رسالتي إليكم سابقا، غير أنكم وبتحريض من أهل النفاق أجبتم رسالتي تلك بإرسال أربعة أو خمسة آلاف من التونكان للهجوم علي، وبسبب ذلك هلك عدة آلاف من المسلمين وأريق دماؤهم، فالمسئولية عن هذه الدماء تقع على عاتقكم وحدكم، وعلى كل حال عفا الله عما سلف ومضى، وأنا أسعى مرة أخرى للاتحاد وتقوية الإسلام، فإذا كنتم تريدون أن تكونوا ملكا على جميع البلاد أبعدوا هاتين الطائفتين الضارتين

وتجروا شئون الحكم والإدارة على أساس من العدل وطبقا للشريعة الإسلامية، فأنا مستعد لأبايعكم بهذا الشرط، وفي حال عدم قبولكم شرطي هذا فأنا أرجو أن نكون أصدقاء ويدا واحدة في مواجهة العدو المشترك، والسلام عليكم".

فها هو مضمون الرسالة، ولكن أرشدالدين خان خوجة لم يفكر في مضمون الرسالة بل ألقى القبض على الوفد الذي حمل الرسالة وسجنهم في منطقة سايرام، وكان خان خوجة هناك في استجمامه، ووسمهم بالحقارة والذل والمهانة فبقي هؤلاء محبوسين حتى وفاة خان خوجة حيث نجوا من الحبس الجائر ورجعوا إلى خوتان.

وفي عام ١٢٨٢ هـ الموافق عام ١٨٦٥م أعلنت ولاية ياركند الاستقلال للمرة الثانية برآسة عبدالرحمن حضرت ، ولكن أقرباءه المخلصين في خوتان قاموا بانقلاب ضد ملك شاه حضرت ، وكان قصدهم إطاحة حكومة خوتان وضمها إلى ولاية ياركند، غير ان ملك شاه حضرت تغلب عليهم وألقى القبض عليهم وصادر أملاكهم وعقاراتهم.

عاقبة مجاهدي ولاية خوتان...

في عام ١٢٨٢ هـ الموافق عام ١٨٦٦م وفي أواخر هذه السنة احتل يعقوب بك مدينة ياركند وعزل بزرك خان تورة عن الرآسة وأصبح حاكما للبلاد وتقلد صفة آتاليق غازي تعني أبو الغزاة، ثم أرسل وفدا إلى ولاية خوتان لعقد معاهدة صداقة وحسن الجوار والاحترام المتبادل بين البلدين والاعتراف بسيادة واستقلال الطرف الآخر، فسر حاجي بادشاه ملك بلاد الخوتان بهذا الطلب ونظم اتفاقا بالمعنى المطلوب والمذكور، وبهذه الصورة لاحت في الأفق بوادر الأمن والأمان للبلاد والعباد، وكان حاجي بادشاه

سعيدا جدا بهذه الاتفاقية لكونها مبنيا على مفهوم الإسلام السمح، ولكن في حقيقة الأمر كانت الاتفاقية لونا من ألوان المكر والخداع لاحتواء ولاية خوتان واحتلالها وإنهاء استقلالها، ولأن يعقوب بك كان يعرف جيدا الحب الشديد من أهل خوتان لملكهم الذي أرسخ دعائم العدل بين العباد فكان يعلم جيدا أنه من الصعب احتلال خوتان بالحرب، فلجأ إلى المكر والخداع.

وبعد تلك المعاهدة كثرت بين الطرفين تبادل الوفود تحمل رسائل الصداقة والمحبة بين الزعيمين وفي الوفود شخصيات مرموقة ذوو علم وأدب والعلماء الكبار، وفي عام ١٢٨٣ هـ الموافق عام ١٨٦٧م أشاع آتاليق غازي يعقوب بك وأوهم الناس بانه يريد زيارة ضرائح العظماء والأولياء في بلاد خوتان وزيارة ملك شاه حضرت في مدينة إيلجا بخوتان واستعد للسفر ومعه ألف جندي وسافر متجها إلى خوتان، لكنه جهز اثنتا عشرة ألف جندي وفرقهم على خطوط ومحاور وأفواج بحيث تذهب فرقة بعد فرقة متعللين بأسباب مختلفة، وأرسل يعقوب بك مكتوبا إلى ملك شاه حضرت يخبره فيه أنه أراد أن يزور ولاية خوتان وأضرحة الأولياء فيها وزيارة الوالد حاجي بادشاه، فاستعد الأخير لاستقبال ضيفه يعقوب بك ونصب سرادقه، ولكن الملك شاه كان يرتابه الشكوك من هذه الزيارة واتخذ احتياطات حيث أرسل ابنه صدرالدين شاه بكثير من جنوده إلى ظاهر المدينة وأمره بالدفاع عن المدينة إذا بدر من يعقوب بك نوايا سيئة، وباستعداد تام خرج إبراهيم خان إلى منطقة بيالما بجنوده حسب توجيهات والده، وأتى يعقوب بك ونزل في بيالما فاستقبله صدر

الدين إبراهيم خان استقبالا لا يليق بعظمة شاه، فقال له يعقوب بك بانه ليس لديه أي نوايا سيئة ، وإنما أتى هنا لزيارة الوالد المبارك ملك شاه حضرت لعظمة شأنه وكريم شخصيته ولتقوية العلاقة بين كاشغر وخوتان، وحلف الأيمان المغلظة ثم قال: "إذا لم ير الوالد ملك شاه حضرت زيارتي ودخولي المدينة مناسبا فإني أغتنم هذه الفرصة لفرؤيته في منطقة زاوا ثم رجع من حيث أتى وقدم لإبراهيم خان هدايا قيمة وفيها ما لا عين رأت من أثواب حريرية وغيرها، فرأى صدرالدين إبراهيم حسن نوايا يعقوب بك وصدقه في صداقته فعاد بأتباعه إلى مدينة خوتان وأخبر والده الشيخ حاجي بادشاه ما سمع ورأى وأن يعقوب بك حلف الأيمان المغلظة بصفاء نيته ونبل مقصده.

غير أن حاجي بادشاه تردد في أمره ولم يزل يتردد بشأن يعقوب بك ولكنه قرر أن يقابل يعقوب بك في منطقة زاوا برغبة من إبراهيم خان وأتباعه من اركان دولته، وفي يوم غد أبقى جزءا من قواته بجانب صدرالدين خان في المدينة وأخذ معه جنودا كثيرة واتجه صوب زاوا للقاء يعقوب بك واستقباله فيها، ولما سمع يعقوب بك بقدوم حاجي بادشاه أخذ معه نفرا من خلصائه وتقدم لاستقبال حاجي بادشاه، وعندما اقترب من حاجي بادشاه ترجل من حصانه هو وخلصاؤه الذين معه وقبل رحله ورجل حاجي بادشاه ، غير ان الأخير ترجل من حصانه واستقبله استقبالا حارا حسب المراسيم المعتادة في مثل هذه المناسبات، ثم توجه يعقوب بك إلى خيمته المنيفة ونزل حاجي بادشاه في الخيمة الملكية التي أعدت له، وبعد ذلك قام حاجي بادشاه بزيارة يعقوب

بك في خيمته المهيبة في وسط معسكره ، وكان بمعية حاجي بادشاه مئتا رجل جيث أبقى جنوده الباقين في معسكره وأمرهم بان يستعدوا لكل طارئ قد يحدث، فرحب يعقوب بك في خيمته الخاصة بحاجي بادشاه مع قليل من رجاله ورحب بالباقي في خيم

متباعدة متعللا بضيق الخيمة الرئيسة، ثم جاء وقت الغداء ، وعندما بدأ حاجي بادشاه بتناول الغداء قبض عليه رجال يعقوب بك بمن معه وشد أطرافه بحقارة بالغة ، ثم كتب كتابا باسم حاجي بادشاه يقول فيه ما مضمونه:"نحن بخير، ولكن جلستنا طال مع عظمة السلطان يعقوب بك وربما يطول أكثر ، فعليكم بالرحيل إلى مدينة خوتان وتزينوها، وعلى صدرالدين إبراهيم خان وأعيان البلاد استقبالنا غدا مع ضيفي العزيز آتاليق غازي" وختمه بخاتم حاجي بادشاه، فلما رأى الجنود هذا الفرمان رجعوا إلى المدينة، وفي الليل قيد يعقوب بك حاجي بادشاه بسلاسل الحديد والأغلال وأجلسه في عربة جرداء عن البساط وأرسله إلى مدينة كاشغر، ثم اتجه هو وجنوده إلى مدينة خوتان، وكان صدرالدين إبراهيم خان آتيا لتفقد والده، وعندما سأل عن والده قال له يعقوب بك إن فضيلة الوالد قادم من ورائنا فاذهبوا إليه، وعندما صار صادرالدين إبراهيم خان وراء يعقوب بك ألقى رجاله القبض على صدر الصدور إبراهيم خان وأتباعه وغيبوه عن الأنظار مكبلين، وبعد ذلك سير يعقوب بك ألفين من رجاله بقيادة أحد قواده إلى مدينة خوتان، وكان الشعب قد خرج أفواجا لمشاهدة مواكب الملك والضيف، ولكنهم

كانوا في حيرة وتعجب من حضور يعقوب بك وجنوده وتأخر ملكهم حاجي بادشاه، وما كان أحد يعلم عن أسر حاجب بادشاه وإبراهيم خان شيئا وما كان أحد يتخيل ذلك، إذ كانوا يعتقدون باستحالة الخيانة والغدر من مسلم حلف الأيمان المغلظة باسم العظيم ممسكا بالمصحف الكتاب المقدس، وبهذه الصورة بدأ جنود يعقوب بك يدخلون المدينة ويقومون بانتزاع أسلحة جنود خوتان وبأعمال النهب والسلب فيها، وعندما شاهد أهالي خوتان هذه التطورات عرفوا أن يعقوب بك خان وغدر فبدؤوا يتظاهرون ويهاجمون جنود يعقوب بك ويقتلون من يصادفهم من جنود فرغانة ويصرخون قائلين:" ماذا عملتم بحاجي بادشاه ايها اللصوص " ودام تظاهراتهم وانتفاضاتهم يومين أريق خلالهما الدماء بصورة مفزعة، ونحن نورد تفاصيل هذا الهجوم والتظاهرات والقتل العام فيما يلي ضمن أحداث يعقوب بك ، والحاصل إن يعقوب بك استولى على خوتان بثمن غال هو دينه وإنسانيته، وفور عودته مباشرة ألحق حاجي بادشاه بالشهداء.

وبهذه الصورة ذهب حاجي بادشاه وأبناءه وأكثر ملكه وأكثر من أربعين ألفا من الوطنيين الخوتانيين ضحية لغدر وخيانة يعقوب بك، وسقط استقلال خوتان وأصبح ولاية من ولايات دولة يعقوب بك التي أسست على الظلم والخيانة.

كانت سياسة حاجي بادشاه تعتمد على الشريعة الإسلامية ، وفوق ذلك كان شعاره تركستان الشرقية للتركستانيين الشرقيين، وكان حاجي بادشاه لديه عزم وتصميم كامل وعناية قصوى بشعاره هذا، ولذا ما كان يقبل تدخل ومشاركة طائفة التونكان وأهل فرغانة في إدارة شئون البلاد، وكان يقول إن اشتراك هذه الطائفة للأعمال خطر على سلامة البلاد والإدارة الإسلامية، وبتمسكه بهذه الآراء كان اختلاف حاجي بادشاه مع راشدالدين خان خوجة كما أسلفنا.

وكان ينكر على مجاهدي كاشغر طلب المساعدة العسكرية والحماية من حكومة فرغانة وإدخال جنود فرغانيين إلى البلاد ، وان ذلك كان خطأ فادحا، وكان حاجي بادشاه يجهر بذلك في مجلسه، ثم بعد حين وبعد التجارب اتضح أن أفكار حاجي بادشاه بهذا الشأن كانت صائبة تماما، وكان حاجي بادشاه يريد ان يمحى من البلاد كل مظاهر الفساد مثل ظاهرة الرشوة والمحسوبية والسلب والنهب والسرقة وغير ذلك، وكان لكل إجراءاته الإدارية نظم وقونين سلبا وإيجابا ونافذة، وكل مسئول عسكري أو إداري إذا حاد عن حدود القادون والنظام كان مسئولا أمام حاجي بادشاه، وكان يجازيهم بأشد العقوبات، وكان رحمه الله مسئولا عن كل صغيرة وكبيرة في البلاد من أدناها إلى أقصاها، ولا يمكن لأي إداري أن يعمل شيئا برأيه الخاص ، وكانت الحالة الاقتصادية ضعيفة في البلاد آنذاك، وأما مصاريف الحكومة

فتتحملها معادن الذهب التي كانت كلها تحت تصرف الدولة ، وكانت الحكومة تجبي العشر من الحاصلات الزراعية والزكاة من عروض التجارة وإيجارات المراعي من الموسرين، ولم تكن حكومة حاجي بادشاه تفرض على الناس غير ما تقدم من الطرق المشروعة في الشريعة، وأما الزكاة فكانت تصرف للفقراء من الناس ، وقد أسست حكومة حاجي بادشاه أحياء بشكل بلدات صغيرة يسكن فيها الشحاذون من فقراء الأمة، وكانت هذه الأحياء تسمى حارة الفقراء ، وكانت هناك دورا لليتام والأرامل ، وكذلك دور المسنين والعجزة من الناس تصرف لهم لدولة من إيرادها الخاص، وكان ساكنوها من المعوقين وكبار السن ممن لا عائلة لهم ، وكان حاجي بادشاه يعطيهم من الزكاة والعشر ويكسيهم مرتين في السنة، وفي الشتاء يطعمهم بغداء ساخن مرة يوميا، ولأجل قلة الموارد في الخزانة خفض عدد الكوادر والموظفين على أقل عدد ممكن وبأدنى معاشات يكفيهم ولا يزيد، وأما الجنود فيأكلون ويشربون ويلبسون ولا يزيد عددهم عن الحاجة القصوى ، وكانت الشئون الدينية والعدلية طبقا للشريعة الإسلامية، وكان حاجي بادشاه يهتم بها حتى تكون أمور الدولة وقوانينها

ولوائحها مطابقة للشريعة، وكان يرصد الطرق الصوفية ويمنع ما يصدر منهم من المخالفة للكتاب والسنة ولا يسمح لهم باي بدعة، وكان يسوي مراكزهم مثل ما يسمى خانقاه.

وأما الحدود الشرعية والقصاص فكان معمولا في عهده، ومن يسعى بالفساد في المجتمع أعدم، وقد ترسخت في البلاد الفساد من العهود المظلمة مثل السرقة والنهب والسلب ، وكان المتلبسون بهذه الجنايات يجازون بضربهم بالمدافع أو الإعدام شنقا على مرأى من الملأ.

وبهذه افجراءات الحسنة عاشت ولاية خوتان في عهد حاجي بادشاه عهدا ذهبيا ذاخرا خيرا لم يكن له مثيل من قبل، وكان حاجي بادشاه يصرف ما فاض من خزانة الدولة من معاشات ومصاريف الحكومة في التسليح العسكري وصناعة العتاد الحربي وما أشبه ذلك.

ونتيجة لهذا الإنفاق السخي للمجمع الصناعي لإنتاج الأدوات الحربية في ولاية خوتان تم إنتاج ثمانية أو عشرة مدافع كبيرة وأكثر من ثلاثين مدفعية متوسطة وألوفا من البنادق ، غير ان هذا العتاد الحربي لم تف بحاجة البلاد الضرورية ، وكان رحمه الله ينظر بأشد الكراهية والاحتقار للمرابين في البلد ، ولأجل ذلك كان يجازيهم باشد العقوبات ويفرض عليهم إتاوات باهظة لكسر شوكتهم وقهرهم .

سبحان من له الكمال، كان رحمه الله يحمل بين جنبيه أو آرائه عيبين أولهما: أنه كان لا يريد أن يجند جنودا كثيرة ، كان يقول : إذا عم الرخاء والعدل في الشعب فسيحب الشعب آنذاك دولته وحكومته، وإذا لزم الالتجنيد ياتي الشعب باختيارهم ويلتحم بحكومتهم فلا لزوم للكثرة من الجنود وإعاشتهم التي تتطلب فرض ضرائب باهظة فتثقل كاهل الشعب ، وكان يصر على رأيه

هذا، وقد أصدر فرمانا بأن يتم التجنيد في حالة الطوارئ فقط، وفي العادة يسجلهم في السجل العسكري ويعطي لهم عصا غليظا أو سيف يحتفظون به في بيوهم، والعيب الثاني: أنه كان سريع الغضب ، وكان يحكم بإعمال السيف لأي سبب بل لأتفه الأشياء، وكان يحذر الموظفين بعدم ارتكاب أي أخطاء في شئون الدولة حتى أنهم كانوا يعيشون بين الموت والحياة ويفقدون ثقتهم بانفسهم ، وكان جزاء الإعدام والقتل يكثر في غدارة شئون البلاد وأمورها الأمنية، ولذا كاد أن يفقد من يقف بجانبه رغم حاجته إليهم.

عاقبة ثورة كاشغر..

كان صديق بك من سكان محافظة ينكحصار في قصبة آقتو ، وكان له نفوذ قوي بين سكان المحافظة جمع حوله قناصي المحافظة ونفذ هجوما على مدينة كاشغر حيث انضم إليه الآلاف من أهل البلاد ، وفي رواية أن أصله كان من قبائل القبجاق، وكان القناصون الذين تجمعوا حوله من قصبة آقتو وينكحصار وقصبة تاشمليق، وصار له هؤلاء قوة لا باس بها، فاحتل صديق بك مدينة كاشغر و مدينة كاشغر الجديدة وفيض آباد ، وقد احتلها صديق بك بعد عدة معارك دامية إلا ان مدينة كاشغر الجديدة تحصن بها الصنيون وكان معهم أرزاق ومؤن وعتاد حربية وقوة لا باس بها، فحاصر صديق بك المدينة الجديدة ولكنه لم يتمكن من فتحها ودام الحصار لمدة سنة وزيادة والصينيون داخل الأسوار.

وفي هذه الثناء كما اسلفنا سابقا أتى إلى كاشغر واقترب منها المقاتلون من كوجار ولم يستطع صديق بك مقاومتهم والدفاع عن مدينة كاشغر فجمع كل قواته وانسحب إلى قصبة تاشملق ، فاحتل مقاتلوا كوجا مدينة كاشغر دون مقاومة، فارسل صديق بك وفدا إلى فرغانة أي إلى سعيد سلطان أو خدايارخان يطلب المساعدة العسكرية، فارسل الخير أربعمائة جندي برآسة بزرك خان تورة بن المرحوم جهانكير خوجة، وقاد هذا الجيش يعقوب بك، وكان يعقوب بك هذا سجينا لدى خدايارخان بسبب خطأ صدر منه، وكان لبزركخان علاقة حميمة مع يعقوب بك هذا، فطلب بزرك خان تورة من خدايارخان إطلاق سراحه واصطحابه قائدا ، وكان يعقوب بك يخاف أنه سيعدم عقابا لخطئه، فأرسل إلى بزرك خان ان يشفع فيه لدى خدايارخان وأن يأخذه إلى كاشغر وأرسل بذلك التماسا له، فشفع له بزرك خان واصطحبه إلى كاشغر، وعندما تحرك جنود فرغانة إلى ولاية كاشغر اعتقد صديق وأتباعه ان المساعدة التي تأتي من فرغانة مساعدة كبيرة واستعدوا لاستقبالها، ومنذ أن وصلت قوات فرغانة الأربعمائة فارس بقيادة بزرك خان تورة ويعقوب بك قام الأخير بمحاسبة صديق بك واستلام الغنائم والأسلحة الذي في يد قوات صديق بك، بل استعد يعقوب بك لتصفية صديق بك جسديا.

وعندما احس صديق بك بالمر عرف أن الوافدين الفرغانيين أتوا لاحتلال البلاد، فاخذ صديق بك جنوده ورحل إلى قصبة ىقتو واستعد هناك لمحاربة أهل فرغانة ، ولكن يعقوب بك أعطى رشوة كبيرة لبعض رجال صديق بك

فاغتالوه فاستشهد صديق بك في مسقط رأسه وشتت قوات صديق بك وأصبحت مدينة كاشغر ويكحصار وفيض آباد في يد بزرك خان تورة الذي أعلن نفسه حاكما عاما للبلاد باسم خدايارخان ملك فرغانة آنذاك.

عاقبة ثورة ياركند..

كانت في مدينة ياركند ألوف من طائفة التونكان (المسلمون الصينيون) وكانوا قد استوطنوا فيها منذ أمد، ولكونهم يخدمون مصالح الصين كانت في أيديهم الأسلحة والعتاد الحربي ويعيشون عيشة المواطنين، وعندما اندلعت الثورات في كل ولاية من ولايات تركستان الشرقية عرفت طائفة التونكان أن رياح الثورة آتية إلى مدينة ياركند، وفي هذه الحالة تكون حياتنا في خطر فيجب أن نواكب الثوار فنبدأ من الآن استعمال السلاح والقيام بالثورة ، وكانت ولاية ياركند إلى حدود ولاية خوتان محكومة من قبل صيني اسمه خان آمبال فقام التونكان وجمع كبير من التراك الياركنديين بثورة ضد خان امبال، وكانت ثورتهم هذه تحمل شعار الجهاد في سبيل الله، فانضم إليهم كل الياركنديين أو اكثرهم ففتح الثوار بهذه القوة العظيمة مدينة ياركند القديمة، وأما المدينة الجديدة فتحصن الصينيون في داخل أسوارها ومعهم زادهم وعتادهم وهم ألوف مؤلفة، وكان خان آمبال معهم فاستعدوا للدفاع عن المدينة الجديدة، وحاصر الثوار المدينة قرابة شهرين وزيادة ، ثم حفر الثوار تحت سور المدينة من هنا وهناك، ووضعوا فيها بارودا بمقدار كبير وأضرموا فيها النيران فانهارت السور من عدة جهات ، ودخل الثوار المدينة الجديدة

وفتحوها ، وكانت هذه المواد البارودية شديدة الانفجار حتى انهارت عدة عمارات وبيوت الإداريين منهم خان آمبال، حيث انفجرت عليه البارود هو ونسائه وأطفاله وقتل أولف من الصينيين في المدينة ، وقبل هذا فتح الثوار مدينة بوسكام وقارغاليق ، وبعد فتح مدينة ياركند الجديدة مثلما قلنا سابقا عرف التونكان أن الحكومة بيد الأتراك المسلمين من أهل البلاد لكثرة عددهم بالنسبة لعدد طائفة التونكان، وكان هناك شيخ من شيوخ التصوف يسمى عبدالرحمن الشيخ فانتخبوه رئيسا أو ملكا للبلاد وباتفاق التراك والتونكان ، وكان عبدالرحمن هذا يلقب بالجددي، وكانت الشئون الإدارية بيد التراك وعلى رأسهم ملكهم عبدالرحمن الجددي والشئون العسكرية بيد التونكان.

ودامت استقلال حكومة ياركند أقل من سنة حيث احتلها ثوار كوجا قسرا ، لأن القوات العسكرية في مدينة ياركند من التونكان، وكذلك كان معظم قوات كوجا كان من التونكان أيضا، وكان التعصب العرقي لدى التونكان شديدا جدا، وبذلك تآلف التونكان في ياركند مع التونكان القادمين من كوجا، وعبدالرحمن حضرت وإن كان قرر في البداية الدفاع عن المدينة إلا أنه أرغم على تسليمها

بسبب خيانة التونكان الذين في يده، فقام جمال الدين خوجة بإلقاء القبض على عبدالرحمن حضرت وعلى أبنائه وبعض أقاربه وقيدهم وارسلهم إلى مدينة كوجا كأسرى حرب.

غير ان طائفة التونكان في مدينة ياركند والتونكان من مقاتلي كوجا طلبوا إعادقم إلى مدينة ياركند حيث إنهم ليسوا مذنبين فأعيدوا إلى مدينة ياركند وأطلق سراحهم ووضعوا تحت الإقامة الجبرية ، ثم حارب مقاتلوا كوجا في معركة بيالما وقصبة خانى إريق وانهزموا في هذين المعركتين، وبالتالي ضعفت قوهم في مدينة ياركند أيضا، فعرف المقاتلون الياركنديون هذه الحالة من لضعف في صفوف مقاتلي كوجا فاغتنموا هذه الفرصة وتغلبوا على مقاتلي كوجا وطردوهم من مدينة ياركند ، ثم أعلنوا استقلال بلادهم ياركند مرة ثانية، ودام هذا الاستقلال ثمانية اشهر فقط.

وفي منتصف عام ١٢٨٢ هـ الموافق عام ١٨٦٦م اتجه بزرك خان تورة وقائده يعقوب بك بكل جنودهم وقواهم إلى مدينة ياركند ، وكان بزرك خان تورة حاكما عاما على ولاية كاشغر ، ولكن الشيخ عبدالرحمن حضرت وجميع اتباعه تصدوا لهجمات الغزاة الفرغانيين ، ولكن الياركنديين عجزوا عن صد الهجوم ، وفي الحقيقة كان الياركنديون يدافعون عن مدينتهم بكل قواهم ويلقي بالفرغانيين هزيمة منكرة ، وأخيرا فكر يعقوب بك أنه عاجز عن فتح مدينة ياركند وفكر بالرجوع إلى مدينة كاشغر ، ولكن ياركند سقطت في يد يعقوب بك وجنوده كما يلي:

كان هناك نياز بك وعاشور بك وأمثالهم ممن يعملون لدى خان آمبان كحرس أو كبوابين، وبعد سقوط أسيادهم عملوا كمترجمين بين التونكان ،

وفي ظل حكومة عبدالرحمن حضرت بحكم مهارتهم وتملقهم استفاد عبدالرحمن حضرت منهم وزادت محبته لتونكان وتزايد قدره لديهم.

ومن جهتهم اطلعوا على أسرار الحكومة لاستشارته لهم، وكانوا في المدينة غي خدمة عبدالرحمن حضرت ومن المقربين غليه ، أما في خارج المدينة كانوا يترقبون ليعقوب بك طمعا في مناصب عالية فزودوا يعقوب بك بما يدور في المدينة من التطورات، وفي يوم من الأيام قرر المقاتلون في مدينة ياركند أن يهاجموا ليلا على معسكر يعقوب بك ويشبعوهم قتلا وضربا، وبهذه الطريقة يطردون الفرغانيين من مدينة ياركند ، وإن هذا الخبر قد وصل غلى يعقوب بك عن طريق نياز وعاشور ، وفي الليللة التي هاجم فيها المقاتلون على معسكر يعقوب بك أخلى المعسكر واختبأ بجنوده خارج المعسكر، ولما خرج المقاتلون الياركنديون من المدينة وجدوا المعسكر خاليا من الفرغانيين ويعقوب بك فطوقهم الفرغانيون من كل جانب وعرضوهم لنيران البنادق وقتلوهم عن آخرهم، وقد صدوا الطرق المؤدية إلى المدينة

وقطعوا خط رجعة الياركنديين إلى مدينة ياركند وقتلوهم عن آخرهم ولم ينج أحد منهم، ودخل قوات يعقوب بك مدينة ياركند وبدؤوا بقتل من يتعرض لهم وقد أطفأوا مصابيخ المعسكر ، وإن يعقوب بك عرض الباقين من التونكان والأتراك على قيد الحياة على القتل العام، ولكنه أبقى الشيخ عبد الرحمن حضرت وأسرته سالمين وجعلوا الأسرة تحت المراقبة ، وبهذه الصورة سقط استقلال مدينة ياركند ووقعت تحت سلطان يعقوب بك.

استيلاء الروس على مدن التركستانية الشرقية على الحدود الشمالية...

بدأت روسيا تتعرض على المناطق جبال أورال في الغرب من بحر يني سي وفي الجنوب من بحيرة بالقاش وتارباغاتاي وجنوب سيبريا وهي مناطق قبائل قازاق وخانياقم وذلك عام ١٠٥٦ هـ الموافق عام ١٦٤٥م، فقامت خانية القازاق وقبائلهم الكثيرة بالدفاع عن مناطقهم بكل ضراوة وبسالة ، ولكن تلك المناطق فيها عدة خانيات قازاقية الأمر الذي سهل لروسيا القيصرية أن تلتهمهم الواحدة تلو الخرى ، وذلك أن تلكم الخانيات لم تكن متحدة في الدفاع، وفي بداية هذا الاحتلال كانت خانية منطقة أورال ومنطقة توفول كانت خانية بزعامة السيد أبو الخير خان حيث قبل عام ١١٤٢ هـ الموافق عام ١٧٩٦م حماية روسيا القيصرية على خانيته، ولكن الخانيات في الشرق والجنوب قاومت تعرض روسيا القيصرية بكل ما لديها من قوة وبسالة حيث إنها حافظت على استقلالها حتى عام ١٢١٢ هـ الموافق عام ١٧٩٦م حيث فقدت استقلالها لعدم اتحادها في جبهة واحدة وتكرر هجمات روسيا المتتالية على تلك المناطق ، وإنها أجبرت في تلك السنة على الخضوع لقبول حماية روسيا واحتلالها على منطقة الشرق من قازاقستان وجنوبها ، وبهذا امتدت نفوذ روسيا القيصرية على مناطق حدود تركستان الشرقية من مثل تارباغاتاي وبحيرة بالقاش وبحر أورال ، وكانت هذه المناطق حدودا دوليا لمنطقة تركستان الشرقية من الشمال ، غير أن احتلال الروس كان لفظا فقط ، وكانت الخانيات القازاقية آنذاك حرة في نفوذ سلطانها كلا في منطقتها

المنفصلة ، وزد على ذلك أن هذه المناطق كانت تتعرض على مناطق نفوذ وسلطان روسيا في أراضيها وتشن هجوما على ملحقات روسيا، ومنها خانية تتار وعاصمتها قازان، وهذا الوضع دام حتى عام ١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٦٤م ، وهذا هو نفوذ روسيا القيصرية الذي كتبت عنه صحف أوربا آنذاك حيث قالت إن روسيا القيصرية مدت نفوذها إلى جنوب سيبريا إقليم تومن جار.

وبهذه الحركة الاستعمارية من روسيا القيصرية في جنوب سيبريا بأكملها غير ان قبائل القازاق برمتها لن تخضع لروسيا القيصرية حتى عام ١٢١٢ هـ الموافق عام ١٧٩٧م حيث لم تمكن القازاق روسيا القيصرية من احتلال تلك المناطق الآهلة بالسكان القازاق ، ومن جهة أخرى كانت روسيا القيصرية لا تكف عن التطلع إلى تركستان الشرقية واحتلالها وتجتهد في سبيل ذلك، ولذا سعت روسيا القيصرية لفصم عرى الصداقة والقرابة بين قبائل القازاق التي تسكن في السهل الممتد من جنوب سيبريا والأتراك الذين في تركستان الغربية ، وكانت قبائل القازاق أبطالا ومغاوير شديدو المراس وقويو الشكيمة ، وكانت روسيا تخاف من اتحادهما وتعاونهما، وكانت في تركستان الغربية ثلاث حكومات باسم خانات وهي خانية بخارى وخانية فرغانة وخانية خيوة ، ولأجل ذلك أرادت وعملت روسيا القيصرية بالتهام ضحيتها الواحدة بعد الأخرى ، ففي عام ١٢٧٣ هـ الموافق عام ١٨٥٦م فتحت روسيا جبهة

فيما بين سير دريا وبين بحيرة بالقاش ، وكانت هناك ثلاث ولايات تعيش حرة بنفسها برئاسة القازاقي السيد ساري خان ودامت الحرب هذه تسعة سنوات.

وكانت في المنطقة أيضا ولاية آق ملا ومنطقة تركستان ، وكانتا مستقلتين ، ولكن ساري خان توفي وخلفه أبناؤه تايجاق تورة وصديق تورة وجعفر تورة فهؤلاء دافعوا عن بلادهم ببسالة فائقة، وفي عام ١٢٨١ هـ الموافق عام ١٨٦٥م توفي تايجاق تورة وووقع جعفر تورة أسيرا بيد الروس وبقي أمر الدفاع على صديق تورة ، ولكنه انهزم أمام زحف جحافل روسيا في موقعة جمكند ، ودامت هذه الحروب سنة كاملة حيث تغلب عليه الروس نهائيا ، ثم هرب إلى تركستان الشرقية عن طريق جبل بامير حيث أنضم إلى يعقوب بك في مدينة كاشغر ، وهكذذا سقطت منطقتا أورال وتركستان حتى سواحل وضفاف سيردريا وجو دريا فيما عدا طاشقند وتالاس في يد روسيا القيصرية.

ولم تطتف روسيا القيصرية بذلك بل تقدمت إلى الجنوب من منطقة بحيرة إسسيق كول والشمال منها وعبر جبال بامير على سواحلها الشمالية الغربية ، ثم أحتلت جزءا من شمال تركستان الشرقية ، ثم تعرضت روسيا القيصرية على حكومة فرغانة وحاربت معها عام ١٢٨٣ هـ الموافق عام ١٨٦٦م وتغلبت عليها واحتلت مدينة طاشكند وولاية تالاس الشرقية ، وفي عام ١٢٨٤هـ حاربت مع حكومة إمارة بخارى واحتلت مدينة سمرقند ، وفي عام ١٢٨٦هـ أمحت حكومة فرغانة من الخريطة واحتلتها، ومع ذلك احتلت روسيا القيصرية مناطق شمال تركستان الشرقية.

الفصل السابع

وقائع يعقوب بك ، واحتلال الصين تركستان الشرقية مرة أخرى..

إن الكتاب والمؤرخين الذين درسوا من بعيد تاريخ الأحداث التي وقعت في عهد يعقوب بك الذي عرف بلقب بدولت وآتاليق غازي في تركستان الشرقية، قد وصفوه بأنه مناصل تركستان الشرقية وحاكمها القومي، وهذه مغالطة وتخمين خاطئ، والحقيقة أن يعقوب بك كان أصله من فرغانة، وكان وزيرا أو قائدا عسكريا لدى بلاط قوقند أو واليا لمنطقة بحيرة أورال ،وبسبب خيانته لملك قوقند ألقي القبض عليه وسجنه في مدينة قوقند،وكان له صداقة مع بزرك خان تورة ، وحينما اختير الأخير لقيادة جيش المساعدة لثوار مدينة كاشغر في تركستان الشرقية تحت قيادة صديق بك ،استنجد يعقوب بك بصديقه بزرك خان تورة بان يتوسط الخير لدى بلاط قوقند للعفو عنه ويطلب سراحه ففعل صديقه ذلك وتشفع له فنجا من السجن ،ثم طلب منه اصطحابه إلى مدينة كاشغر فأخذه معه بأمر من بلاط قوقند.

وكان يعقوب بك ماهرا في السياسة وتكتيكاتها وعنده إلمام بالشئون العسكرية والكر والفر ، وكان بزرك خان تورة يدير أموره بمشورة يعقوب بك ، وكان بزرك خان تورة في سفره إلى مدينة كاشغر بأربعمائة فارس ، وقبل أن يصل بزرك خان إلى مدينة كاشغر عين يعقوب بك قائدا لجنوده ، وبمشورة يعقوب بك قضى بزرك خان تورة على صديق بك قائد ثورة كاشغر وأعلن نفسه ملكا على ولاية كاشغر ، وكان بزرك خان تورة مولعا بالراحة

وبه حماقة وليس به لياقة بالملك وشئونه، وكان له فقرابة بآباق خوجة هداية الله إيشان ، وكان خدايرخان ملك فرغانة يظن أن أهل كاشغر لا يزالون يحارمون هداية الله إيشان وأقاربه ، لذا أرسل بزرك خان تورة إلى مدينة كاشغر واستخدمه كآلة يضم بها ولاية كاشغر إلى ملكه ، ولولا وجود يعقوب بك معه لما كان بزرك خان تورة ليمكث في مدينة كاشغر ولهرب راجعا إلى فرغانة في ظرف شهر أو اقل.

ترك بزرك خان تورة شئون البلاد إلى يعقوب بك، ولزم قصره المنيف يشرب ويسكر ويلعب ويلهو، وكان يعقوب بك منذ توجهه إلى ولاية كاشغر من فرغانة سعى سعيا دؤوبا لجذب الجنود إلى طرفه وينفق عليهم بسخاء ، وما كان يعلم بزرك خان تورة بهذا الأمر ، وبمرور الوقت لم يبق لبزرك خان تورة غير اسم الملك أو الحاكم العام فقط وله المراسيم المعتادة، والحاكم الفعلي كان يعقوب بك في الحقيقة.

وفي اواخر عام ١٢٨١هـ تغلب يعقوب بك على إسحاق خوجة وجعله يهرب إلى كوجا بجنوده المهزومين ، فقام يعقوب بك بإرسال جنود إلى مارالباشي واستولى على الاستحكامات الصطناعية والعوازل الطبيعية كمراكز للجنود، وبهذا استولى يعقوب بك على ملتقى طرق كاشغر وآقسو وياركند كخطوة عسكرية مهمة، وب سقطت على كوجا طرق حركتها الحربية ، وفي السنة التالية أي عام ١٢٨٢ هـ الموافق عام ١٨٦٥م استولى يعقوب بك على مدينة ياركند.

يعقوب بك حاكما عاما على البلاد...

وعندما عاد يعقوب بك إلى مدينة كاشغر بع استيلائه على مدينة ياركند عمل لعزل بزرك خان تورة عن الرئاسة فأعطاه أربعة آلاف دينار ذهبا وودعه إلى الهند لأداء فريضة الحج، وكان ذلك ذريعة لطرده نهائيا، فاعلن نفسه حاكما عاما على البلاد وقلد نفسه صفة آتاليق غازي وأرسل إلى خدايارخان ملك فرغانة بيعته مع هدايا قيمة، وقال لخدايارخان : إن بزرك خان تورة فعل كذا وكذا من الجنايات، وفي الحقيقة هذه الجنايات لم يفعلها بزرك خان تورة ، وهذه الوشايات والشكاوى كتبت باسم أهل فرغانة الذين معه وباسم أهالي ولاية كاشغر ، وقبل خدايارخان بيعة يعقوب بك وأصدر أمره الكريم بأن يحكم يعقوب بك باسم خانية قوقند كلا من ولايتي كاشغر وخوتان وخلع عليه بلقب آتاليق غازي وختم أمره هذا بختم إمارة قوقند وزود يعقوب بك بختم رسمي منه، وبعد ان صار يعقوب بك حاكما عاما على البلاد اتخذ التدابير اللازمة للاستيلاء على كل من ولايتي خوتان وكوجا ، وأخذ هذا الأمر من تفكيره الكثير، وكان أولى تفكيره أن يستولى على أغنى منطقة في البلاد وهي ولاية خوتان، ولكن يعقوب بك كان يعرف يقينا بسالة أهالي خوتان وأنهم يعرفون فنون الحرب وأساليب الكر والفرويضحون بالغالي والنفيس والرخيص لأجل وطنهم وحمايتها من الأعداء ، وكذلك كان يعقوب بك يعرف محبة أهل خوتان لحاجي بادشاه أكثر من حبهم لأنفسهم وأبنائهم.

وبالتالي كان يعقوب بك يعتقد بأنه لا يمكن الاستيلاء على ولاية خوتان بالحرب مهما بلغت ضراوتها وخسارتها ففكر في الحيل والمكر والخداع الذي قد يعتمد عليه للاستيلاء على خوتان، ففكر يعقوب بك في فخ قد يقع فيه حضرت حاجي بادشاه ويجعل أهل خوتان في غفلة من ألاعيبه ومكره فيصيدهم أولا ثم يصيد الباقي، وفي أول تفكيره كان ذو مكر وخيانة ، ولذا أعمل تفكيره في ادعاء مصالحة بين الطرفين ثم يبدأ مكره وغدره، فتوقف يعقوب بك في عقد اتفاقية المصالحة حيث إن حاجي بادشاه أصبح يصدق يعقوب بك في أقواله ويأمنه، وعندما علم يعقوب بك ذلك فرح فرحا كثيرا وعلم أنه وفق في حساباته وخيانته المبيتة.

سفر يعقوب بك إلى خوتان...

في عام ١٢٨٣ هـ الموافق عام ١٨٦٥م أذيع من قبل يعقوب بك أنه يريد السياحة في ياركند وضواحيها وسير كثيرا من جنوده صوب مدينة ياركند، ثم وصل يعقوب بك إلى مدينة ياركند، وأذيع قبله أيضا أنه يريد زيارة حاجي بادشاه في خوتان ، وحسب ما قلناه سابقا بدأ يعقوب بك يستعمل كل الحيل والغدر والخيانة في هذه السياحة الغادرة الماكرة حتى أن يعقوب بك كما قلنا أيسر حاجي بتاادشاه وحاشيته وابنه في غفلة من اهل خوتان ، وسرعان ما احتل مدينة إيلجة خوتان، وعندما اشتبك جنود يعقوب بك بالهالي وجنود حاجي بادشاه وأجرى في المدينة سلبا نهبا علم أهل خوتان أن حاجي بادشاه وقع في الفخ الذي نصبه يعقوب بك فقام الأهالي بتسليح أنفسهم بأي شيء

كان وبدؤوا يهاجمون يعقوب بك ويصرخون أين ملكنا يا خائن وغدار! وراحوا يضربون الأجانب ويقتلون الأوزبك أتباع يعقوب بك حتى دخلوا إلى السراي قصر الحكومة محاورين ومحتجين في زحفهم هذا حتى أن يعقوب بك خاف من ثورتهم هذا فصاح قائلا اضربوا اقتلوا! ، ولم يكتف بذلك بل أجرى في المدينة قتلا عاما رغم ثورة الأهالي وهيجانهم واندفاعهم إلى قصر الحكومة، ودارت القتال في ضراوة حتى ساعة متاخرة من الليل حيث تفرق الأهالي لعدم وجود من ينظم صفوفهم ويرشدهم في قتالهم هذا، غير أن الأوزبك بدؤوا يسحبون الأهالي من بيوتهم رجالا ونساء وأطفالا ويقتلونهم ، وزاد ععد القتلى أكثر من عشرة آلاف مواطن من أهل خوتان، ومن أقرباء وعيال حاجب بادشاه سبعين شخصا قتلوا رميا إلى الآبار ودمر عليهم الآبار في إيلجا وبعضهم على قيد الحياة.

وفي اليوم التالي أرسل يعقوب بك نياز بك كما سلف ذكره حاكما عاما على مدينة قاراقاش ومعه كثير من الجنود ، قيل إن عدد الجنود ستمائة فارس، وعندما وصل نياز بك إلى مدينة قاراقاش نزل في قصر الحكومة مع جنوده ، ولكن الحال لم تهدأ بل قام الهالي في اللللي بغارة على مدينة قاراقاش وقتلوا الجنود الأوزبك وأسروا نياز بك حيا، غير أن نياز بك استخدم حيلة ماكرة وهرب من قبضة المجاهدين.

وبعد أن استعاد الأهالي مدينة قاراقاش هاجموا مدينة إيلجة خوتان غيظا وغضبا وانتقاما على قتلاهم، ولكن عندما وصل المجاهدون حرة بالاماس

واجهوا جنود يعقوب بك ووقع بين الطرفين حرب دامي، وكانت هناك مجاهدون من إيلجة ، وفي هذه المعركة قتل الثوار كثيرا من جنود يعقوب بك رغم قلة سلاح الثوار ، وفي الحال وصلت قوة مساندة من يعقوب بك من مدينة إيلجة حيث شتت شمل الثوار القاراقاشيين فهربوا إلى مدينتهم قاراقاش ، وعقب هزيمتهم هذا أمر يعقوب بك جنوده بإجراء القتل العام في مدينة قاراقاش ولمدة يوم وليلة، فتكبت قاراقاش وضواحيها من جراء القتل العام هذا خسائر فادحة في الأرواح حيث أبيدت أهلها عن بكرة أبيهم وبدون استثناء إلا أن بعضا من الأهالي نجوا بأنفسهم بدفع دراهم للجنود المجرمين من جنود يعقوب بك الأوزبكي، وبالمقابل تعرض من لا يملك الدراهم للعذاب الأليم حتى قتل صبرا، وبعد أن أجرى القتل العام في المدينة انتشر جنود يعقوب بك في القرى والأرياف يقتلون ويسلبون وينهبون الأهالي دون رحمة، غير أن الأهالي لجؤوا إلى الصحارى والرياف البعيدة الأمر الذي قلل منهم القتلى ، ولكن الأوزبك نهبوا البيوت وسلبوا الأموال وأخذوا ما يمكن أخذه كغنيمة، ثم أضرموا النار في البيوت الاهلة والخالية على حد سواء، وبعد نهاية القتل العام في مدينة قاراقاش إلى أكثر من عشرين ألف ثائر من كل من يورونقاش وسامبولا ولوب وجيريا وهاجموا على مدينة إيلجة خوتان وكان في أيديهم العصي والرماح وتغلبوا على جنود يعقوب بك وأفزعوهم ودخلوا المدينة ، ولكن يعقوب بك وفق في جمع جنوده المتناثرة خارج المدينة واستطاعى ان يحاصر الثوار داخل سور المدينة ، ولعدم وجود أسلحة كافية

في أيدي الثوار ووجود كل الأسلحة بيد جنود يعقوب بك تغلب يعقوب بك عليهم فهرب بعضهم من الحصار وبقي من بقي حتى أعدمهم يعقوب بك عن بكرة أبيهم وعددهم أكثر من عشرة آلاف ثائر، حيث إن المقاتلين ليس لديهم إلا العصي والرماح ، وقيل إن هؤلاء العشرة آلاف أسروا في يد يعقوب بك فعذبهم يعقوب بك بأشد العذاب حتى ماتوا ودفنهم يعقوب بك في خندق المدينة.

وحسب علمنا من المعمرين الذين كانوا في هذه المجازر أن أكثر من أربعين ألف خوتاني ماتوا شهداء واستشهدوا في هذه الفاجعة الكبرى ، ولم يهدأ أهالي خوتان بذلك بل أضرموا نار الثأر والانتقام في كثير من بلدان ولاية خوتان ولمرات عديدة مقاومين احتلال يعقوب بك، وكان يعقوب بك يعاقب الثائرين وغير الثائرين في اي منطقة دون تفرقة وبوحشية ويجري فيهم قتلا عاما وفيهم الأطفال والشيوخ والنساء، ولإخماد ثورة الأهالي في خوتان مكث يعقوب بك في خوتان خمسة أشهر وزيادة ، وفي هذا الأثناء ألقى القبض على كل من له شعور وطني ونزعة ثورية وقتلهم بوحشية ظالمة، وأخيرا رأى الأهالي موتا ودمارا ودماء في كل ركن وزاوية في بلدهم فركنوا إلى الصمت حتى تقلصت همساتهم فيما بينهم خوفا من شدة بطش يعقوب بك ووحشيته هو وجنوده وعملائه، فاطمأن يعقوب بك وعمد إلى الرحيل إلى مدينة كاشغر فعين عميله الخائن نياز بك الذي نشأ على خيانة أمته وبلده حاكما عاما على ولاية خوتان

وأبقى لديه عدة آلاف من جنوده الفرغانيين، واستولى على خزانة خوتان من الذهب والفضة وأخذها معه إلى مدينة كاشغر .

سفر يعقوب بك إلى كوجا...

بعد أن عاد يعقوب بك من ولاية خوتان إلى مدينة كاشغر فكر في الاستيلاء على ولاية كوجا بحيلة ومكر وخيانة، وكانت الحيلة مبنية على ان ولاية قمول تحت الاحتلال الصيني ، وكل من به عقل يعرف أن احتلال الصين على ولاية قمول تعني تحويلها إلى معسكر هام يجول إليها الصين ما استطاع من قوة عسكرية يهاجم بها على عموم تركستان الشرقية، ولكن يعقوب بك أراد أن يبني حيلته على هذا الأساس فبعث يعقوب بك مبعوثا إلى راشدالدين خوجة ملك ولاية كوجا يقول إن الاحتلال الصين لولاية قمول خطر علينا جميعا ، وإن رد هذا الخطر عنا واجب إقليمي علينا جميعا لسلامة وطننا الطاهر، ولذا يجب علينا أن نتعاون تعاون عسكري فيما بيننا ونرد كيد الصين إلى نحرها ، ولو أنكم لا تشاركون في رد هذا العدوان عسكريا فعلى القل تسمحوا لنا بالعبور من أراضيكم إلى ولاية قمول.

ولم يكتف أو ينتظر يعقوب بك إلى جواب ملك كوجا بل عمد إلى الزحف إلى ولاية كوجا بجميع جنوده ، إلا ان راشدالدين خان خوجة علم أن يعقوب بك ما أرسل المبعوث إلا لأمر فيه خطر علينا فاستنفر جميع قواته العسكرية وأرسله إلى ضفاف نهر آقسو وأمرهم في حالة اقتراب يعقوب بك بعدم

السماح ليعقوب بك بعبور النهر ومواجهتهم، وما أن اقترب يعقوب بك من ضفاف النهر حتى رد جنود راشدالدين خنا خوجة بالقوة حيث دافعوا عن أرضهم بالمدافع، ولم يستطع يعقوب بك العبور من النهر ففكر في حيلة حيث أرسل إلى جنود راشدالدين خان خوجة مكتوبا يقول فيه: إني أتيت لمهاجمة الصينيين ومحاربتهم في مدينة قمول ، ولم آت هنا إلا بموافقة سيدي وأبي ومرشدي راشدالدين خوجة، وليس لديه أية نوايا سيئة تجاه كوجا وسلطان الشيخ راشدالدين خوجة، وحلف الأيمان المغلظة، غير أن جنود راشدالدين خوجة لم يأمنوا جانب يعقوب بك، ولكن يعقوب بك بعد عدة أسابيع قاد

قسما من جنوده إلى معبر آمن من النهر جنوبا وحاصر بجنوده هذا جنود رلاشدالدين خوجة حصارا كاملا، غير ان جنود راشدالدين خوجة حاربوا ببسالة حتى تمكنوا من فك حصار يعقوب بك ودخلوا مدينة آقسو، ولكن يعقوب بك لم يعطهم أمانا بل حاربهم في مدينة آقسو حتى أجلاهم من المدينة ، وعندما سمع راشدالدين خوجة هذا الخبر أرسل إمدادات كبيرة لجنوده وأمرهم بالعتصام ظاهر مدينة باي على بعد من العدو وبالمقاومة، وعندما دخل يعقوب بك مدينة آقسو أرسل مكتوبا لراشدالدين خان خوجة يحلف فيه بأنه ليس لديه أيةنوايا عدوانية تجاه كوجا وأراضيها ، وإنما كل قصده العبور إلى جهة القمول لصد هجوم الصينيين الوشيك على أراضي تركستان الشرقية، وأنه عازم على طرد الصينيين من أراضي قمول والاستراحة من أذاهم وعدوانهم وحماية أوطاننا من احتلالهم، وكان هذا المكتوب بمثابة تعهد منه

بعدم التعرض لسيادة كوجا وسلامة أراضيها ، غير أن راشد الدين خان خوجة فهم من المكتوب أنه في حالة رفضه هذا الطلب سيكون هو وجنوده عرضة للحرب، لذا أجاب راشدالدين خوجة بمكتوب يقول فيه: إنه لا ينوي منع السلطان من العبور إلى ولاية قمول ، فعليه أن يمر إلى قمول دون أن يطأ أرض كوجا، وأنه مستعد لعدم التعرض في مروره هذا من خارج مدينة كوجا ومساعدته إذا لزم في جهاده لطرد الصينيين من ولاية قمول، وكان راشدالدين خوجة يعلم ان جنوده قد ينهزم عند الصدام وقد يتفوق يعقوب بك على جنود كوجا، وأعاد راشدالدين خوجة قواته من منطقة باي وجمع جيشه داخل مدينة كوجا استعدادا لأي شيء يحدث، غير أن يعقوب بك دخل في نطاق ولاية كوجا ، وبالذات نزل في منطقة دولت باغ وأرسل راشدالدين خان خوجة ضيافة مكلفة ليعقوب بك وجنوده وعلفا لجوادهم تكفي ثلاثة أيام ، وكانت منطقة دولت باغ تبعد عن مدينة كوجا بثلاثة أميال شمالا، وإن رجال راشدالدين خوجة الذين حملوا مؤن الضيافة بقوا هناك لحين حلول الظلام، فدس يعقوب بك ما يقارب أربعمائة من رجاله وألبسهم زي أهالي كوجا فاختلط الحابل بالنابل ليلا ودخلوا مع رجال راشدالدين خان خوجة إلى مدينة كوجا مع أسلحتهم ، وفي جنح من الليل هاجم يعقوب بك على مدينة كوجا وفتح رجاله الذين أرسلهم قبلا أبواب سور المدينة ليعقوب بك ، ولما رأى جنود راشدالدين خان خوجة جنود يعقوب بك وكك نفسه هرعوا ودخل في قلوبهم الرعب فبدؤوا يهربون ، ولما علم راشدالدين خوجة

بالأمر صباحا فضل الدفاع والنضال على الاستسلام وأخذ معه مائة من فرسانه وبدأ الكفاح بقتل كل من يتسلل سور المدينة بقصد الوصول إلى قلاع السور، وبعد أن قتل راشدالدين خان ورجاله أكثر من مائة أوزبكيا منجنود يعقوب بك استشهد

راشدالدين خان خوجة وفرسانه المائة جميعا في هذه المواجهة الغير متكافأة، وكان عددا من أبنائه من بين الشهداء، وأسر يعقوب بك عددا من أبناء وأقارب راشدالدين خان خوجة وأرسلوهم إلى مدينتي كاشغر وياركند ثم قتلهم بالتدريج، وبعد أن سقطت ولاية كوجا بهذه الطريقة بيد يعقوب بك تقدم يعقوب بك صوب جنوب ولاية كورلا شرقا ، وعندما علم تونكان مدينة أوروموجي بذلك احتلوا مدينة طرفان وضواحيها دفاعا عن أنفسهم من زحف يعقوب بك ، فرحب أهالي طرفان بالتونكان وشكلوا مع التونكان جيشا مؤلفا من التونكان والأتراك للردع وتقدموا إلى منطقة قاراشهر ليصدوا الطريق أمام يعقوب بك وجنوده، وفكر يعقوب بك أنه سينهزم إلى دخل في معركة فاصلة لتفوق قوات التونكان والأتراك المحليين، فعرض عليهم صلحا بأن تكون منطقة باش أرجن وفي رواية أن يكون نهر قاراشهر حدا فاصلا بين يعقوب بك وأهل البلاد ومعهم فرق تونكانية، فقبل زعيم التونكان الحاج يوسف لوريغا هذا العرض ، وبعد توقيع المعاهدة عاد يعقوب بك إلى مدينة كاشغر.

ازدياد قوة يعقوب بك..

وبينما انشغل يعقوب بك بلقب الغازي بتقل المسلمين الأبرياء في تركستان الشرقية في عام ١٢٨٣ هـ الموافق عام ١٨٦٥م هزم الجنرال الروسي جيرنيف الملك خدايارخان واحتل مدينة طاشكند، وعقب هذه الحداث أخذ كثير من أهالي طاشكند ووادي فرغانة يهاجر إلى تركستان الشرقية ، وكان اكثرهم مسلحين فاستقبلهم يعقوب بك مرحبا وضمهم إلى قواته وحاشيته وقلد لأهل العلم منهم منناصب القضاء الشرعي ولأعياهم ولاية وحكم المدن والقرى في تركستان الشرقية ، ومنهم رؤساء أركان الجيش ، والشباب منهم انخرطوا في صفوف الجيش بدون استثناء، وأما ولاة الإمارات فكانوا جميعا من هؤلاء المهاجرين ما عدا والي ولاية خوتان نياز بك الخائن، فزادت قوة يعقوب بك مائة بالمائة، علما بأن يعقوب بك جند شباب تركستان الشرقية جبرا وقسرا فتكونت لديه ثمانون ألف جندي وزيادة، ثم بدأ في الاستعداد للاستيلاء على أورومجي وطرفان وغولجا ، ولكن يعقوب بك إلى هذه الساعة كان يعتبر نفسه يعمل في حكومة قوقند وتابعا لملكها.

يعقوب بك يستولي على كل من طرفان وأورومجي ويحتلها...

في عام ١٢٨٥هـ أغارت طائفة التونكان الذين كانوا في طرفان على مدينةكورلا واحتلوها ، ثم أعادت الكرة على منطقة كوجا وعاثوا فيها فسادا ونهبا وسلبا وقتلا وأسروا من كوجا أكثر من مائتي من الرجال وأخذوهم كغنيمة ، ثم عادوا إلى مدينة كورلا ، ولما سمع يعقوب بك هذه الحادثة اعتبر التونكان ناقضين للعهد وخارقين للمعاهدة التي أبرمت ووقعها التونكان، وبهذا صادف يعقوب بك مبررا قويا لغزو طرفان وأورومجي فساق جيشا كبيرا لغزوها وبدأ رحلته إلى كوجا ثم جاوزها إلى كورلا ومكث فيها ما يقارب خمسة أشهر لتجميع قواته هناك، ففي عام ١٢٨٦هـ هاجم يعقوب بك على ولاية قاراشهر وقتل كل من فيها من التونكان عن آخرهم، ثم توجه إلى ولاية طرفان وقد وصل إليها التونكان بكثرة بالغة ووقع بين يعقوب بك وبين التونكان حرب لا هوادة فيه ، وفي إحدى الليالي وفق رجال يعقوب بك في إحاطة قوات التونكان من كل جانب وقتل أكثر طائفة التونكان وهرب الباقون ، ولكن الهاربين تعرضوا للجفاف لمسافة ثلاثة أيام ولياليها فماتوا عطشا ولم يبق منهم إلا نفر قليل وصلوا إلى مدينةطرفان.

وعندما وصل الهاربون وسمع طائفة التونكان بما أصاب إخوانهم في طرفان أصابهم الذعر وأخلوا مدينة طرفان وهربوا إلى مدينةأورومجي ، واحتل يعقوب بك مدينة طرفان بدون إطلاق رصاصة واحدة ، وقضى يعقوب بك على بقية التونكان عن بكرة أبيهم ، ثم توجه يعقوب بك إلى منطقة أورومجي ودارت

رحى الحرب هناك بمصادمات دامية عدة تغلب يعقوب بك في آخرها على اعدائه التونكان واحتل مدينة أوروجي.

وبعد هذه الهزيمة النكراء الواقعة على طائفة التونكان نقلوا مركزهم إلى مدينة ماناس ، ولكن يعقوب بك تعقب أثرهم خطوة بخطوة واحتل مدن ماناس وشيخو وأجرى فيها قتلا عاما على فلول التونكان فيها، غير أن بعضا من فلول التونكان هربوا إلى جميسا وكوجينغ وأطراف ولاية قمول وبعضهم إلى داخل الصين مثل مناطق دجونخوانغ وأنشي، وبهذه الصورة احتل يعقوب بك من حدود قمول إلى حدود غولجا وهي منطقة شاسعة الأطراف، ثم اتجه يعقوب بك إلى منطقة غولجا حاضرة ولاية إيلي، وكانت غولجا تحت سيطرة التونكان وكانوا يظلمون الأتراك أهل البلاد، وبمساعدة التراك من أهل البلاد يعقوب بك على فئة التونكان واحتل منطقة إيلي برمتها، إلا ان منطقة إيلي السفلى مثل يته سو كانت بيد تارانجى الأتراك أرسلت هذه الفئة مبعوثا إلى يعقوب بك تعرض السلم وتبعية يعقوب بك

فقبل يعقوب بك العرض هذا من قبلهم وبيعتهم ، ولكن يعقوب بك اشترط عليهم إتاوات سنوية فقبلوا ذلك مع حكم ذاتي تحت تبعية دولة يعقوب بك، وكان هؤلاء مقاتلين أشداء ولذلك قبل يعقوب بك بيعتهم واكتفى بعدم التصادم الدموي معهم.

وكان في خلد يعقوب بك الصلح مع حكومة الصين ولذا لم يهاجم ولاية قمول ، وبهذا السبب أيضا انسحب ولم يقاتل الهاربين من التونكان إلى أطراف

قمول، وكان ذلك خطأ كبيرا من يعقوب بك حيث إن الهاربين إلى أطراف قمول من التونكان صارت لبنة أولى لاحتلال الصيني على تركستان الشرقية.

وبهذه الصورة أصبحت جبال بامير ومراعي آلاي غربا ومن جهة منطقة إيلي بحيرة إسسيق كول وآلماآتا ، وفي الشمال بحيرة بالقاش وتاروتاي وجنوب آلتاي المراعي المعشوشبة وفي الشرق منطقة باركول وأورومجي وولاية قمول وتتوسطهما صحراء شامو ، وفي الجنوب قارانغو تاغ كيونلون وسلسلة جبال الذهب وقاراقورم الشرق، هذه الأطراف الشاسعة أصبحت تابعة لسيادة يعقوب بك ، غير أن منطقة آلتاي وجوجك كانتا تعتبران جزءا من منغوليا وتعاني من احتلال الصين لها، وكذلك قمول وباركول بقيتا تحت الاحتلال الصيني، وأما منطقة سته سو وإيلي السفلى فكانت تابعى ليعقوب بك. (انظر الخريطة رقم ٢١).

يعقوب بك يعلن استقلاله ويلقب ببدولت..

بعد أن صار يعقوب بك حاكما على البلاد كانت حكومته حكومةمستقلة في الحقيقة، وكان يعقوب بك حرا في تصرفاته ولم يراجع حكومة فرغانة في أمور دولته ولم يكن مسئولا لديها، ولكنه كان يعتبر نفسه في الظاهر تابعة لحكومة قوقند ويحترمها.

وبينما كان يعقوب بك منشغلا في الاستيلاء على منطقة إيلي وصلت حكومة فرغانة إلى أشد حالات الضعف ولاضمحلال حيث قبلت سيادة

روسيا القيصرية على تخوم فرغانة ، وبعد أن عاد يعقوب بك من غزواته في الشمال والشرق ومن منطقة إيلي بالذات أعلن أن بلاده غير مرتبطة بحكومة فرغانة وأنها حرةمستقلة بذاتها بكل وجه من الوجوه وأنها دولة مستقلة، وكانت لقبه السابق آتاليق غازي ينبئ بتبعيته لفرغانة ، ولذا لقب نفسه بلقب بدولت، ثم عين السيد أحمد جامادار وكان هندي الأصل عينه حاكما على مدينة كاشغر ونقل يعقوب بك عاصمة دولته إلى مدينة آقسو.

ومنذ ذلك التاريخ أراد يعقوب بك زيادة قواته العسكرية فأسس مصانع وورش لصناعة البنادق والرصاص وأنبيبها والذخائر، وفرض على الشباب الخدمة العسكرية الإجبارية ، وكانت لديه جنود كافية لحراسة الحدود والمدن والقرى والحفاظ على الأمن، إلا أن يعقوب بك أراد تكوين جيش قوي للدفاع فتكونت لديه ثمانون ألف جندي داهز على القتال واتخذ لها نظاما وقوانين للانضباط كمثيلاتها في الدول المتقدمة ولها تدريبات ومناورات ، وكان الناس يقولون لهذه التدريبات العسكرية تدريبات الفرنج ، ولتقوية نطاقه الداخلي عين يعقوب بك لكل مأمورية ومحافظة رجلا فرغانيا سواء كان هذا الرجل لائقا لهذه المكانة أو غير لائق، واهتم بالمهاجرين وإعاشتهم وفرض على الهالي ضرائب باهظة من الحبوب والمواشي وحتى الحطب والتبن وعلف الحيوانات للخيول، ولكثرة هذه الضرائب بدأ المزارعون ترك أراضيهم الزراعية والهروب إلى خارج البلاد وتدنت قيمة العروض التجارية وقلت

المواد الاستهلاكية فأصبحت التجارة راكدة ، ولهذا ارتفعت قيمة المواد الغذائية فأصبحت مشاكل الأفراد مشاكل عويصة يصعب حلها.

يعقوب بك يمد جسور العلاقات إلى الدول الأجنبية...

ففي عام ١٨٧٠م أرسل يعقوب بك هيئة سياسية إلى الآستانة إسطانبول لدى السلطان عبدالعزيز يبلغه بأن دولة يعقوب بك هذه تابعة للسلطان العثماني وطلب منه أن يعتبر تركستان الشرقية دولة مستقلة ذات سيادة دولة ملكية إسلامية، فرحب السلطان العثماني عبدالعزيز بهذه الهيئة وقبل بمثول الهيئة التركستانية بين يديه وأمر أن يخطب باسمه في تركستان الشرقية كخليفة للمسلمين في خطب الجمعة والجماعات وفي المناسبات الرسمية، ومنح ليعقوب بك لقب أمير المسلمين، ونفذ يعقوب بك هذا الأمر وأصدر أمره بذكر اسم الخليفة السلطان عبدالعزيز على المنابر، وأما الدراهم التي نقش عليها اسم السلطان عبدالعزيز فما زالت في أيدي الناس إلى اليوم.

ثم أرسل يعقوب بك ميعوثيه إلى كل من روسيا القيصرية والهند فاترفت حكومتا انكلترا وروسيا باستقلال تركستان الشرقية، وعقد يعقوب بك اتفاقية التجارة مع الهند، وفي العام التالي جاءت إلى البلاد من قبل انجلترا وروسيا سفراء معتمدين، واشترى يعقوب بك من الهند أربعة آلاف بندقية بخرطوش وعشرين ألف بندقية عادية كمية كبيرة من الذخائر والعتاد الحربي.

وحكومة الصين نظرا لطبيعة سياساتها هي وحدها التي لم تعترف باستقلال تركستان الشرقية،غير أن كونغ نائب الإمبراطور الصيني القاصر تونغشي أعلن رسميا أن الصين لن ترسل قوات عسكرية إلى تركستان الشرقية حفاظا على شعور الدولة العثمانية وانجلترا وروسيا،وكانت الصين في تلك الأيام تتعرض للاضطرابات داخلية بالإضافة لضغوط الدول الأوروبية،وكان غائبا عن يعقوب بك حقيقة سياسة النفاق التي تنتهجها الصين في مثل هذه الظروف،فقد كان يعقوب بك يعتقد بأن الصين ستعترف حتما باستقلال تركستان الشرقية بعد اعتراف ثلاثة من الدول الكبرى فلم يأخذ الحيطة تجاه ذلك.

طائفة التونكان تحتل ثانية كلا من ولاية أورومجي ومدينة غولجا..

في عام ١٨٧١م تجمعت طائفة التونكان الهاربين إلى الشرق من أورومجي وإلى منطقة دونخوانغ وأغارت إلى أورومجي واحتلتها، وبهذا الاحتلال قطعت الطرق الموصلة فيما بين غولجا وبين المدن الستة، وكانت حوض تاريم أو وادي تاريم بملحقاتها تعرف قديما بالمدن الستة، وكانت تلك الطرق دائما تعج بالمعونات الحربية بين المنطقتين، وبهذا الاحتلال أيضا اتفقت طائفة التونكان في منطقة إيلي بطائفة التونكان في أورومجي وبمساعدة الأخير احتل طائفة التونكان في الشمال على منطقة إيلي وحاضرتها مدينة غولجا، وكانت هناك منطقة شاسعة فيما بين ولايتي أورومجي وإيلي تسمى يته سو، وبهذا الاحتلال التونكاني خرجت تلك المناطق الثلاثة الهامة من سلطان يعقوب بك ، فقام

يعقوب بك بإرسال ابنه الكبير حق قولي بك ومعه جنود كثيرة إلى مدينة أوروممجي فتغلب حق قولي بك على طائفة التونكان واستعاد أوروممجي من أيديهم،ولكن الأخير أعاد الكرة وبهجوم كاسح استعادت مدينة اوروممجي من حق قولي بك، فقام يعقوب بك بنفسه واتجه نحو أوروممجي بجميع جنوده البالة عددها ثمانون الفا عام ١٢٩٠ هـ الموافق عام ١٨٧٣م ووصل إلى مدينة طرفان، وما أن وصل يعقوب بك إلى طرفان طلبت طائفة التونكان صلحا بين الطرفين حتى أن يوسف لورينجا أتى بنفسه إلى طرفان ومثل بين يدي يعقوب بك في بلاطه المهيب وعرض عليه شروطا معقولة وهي ان تحكم طائفة التونكان ولاية أوروممجي بحكم محلي ذاتي باسم يعقوب بك وأن تدفع غتاوات سنوية لخزانة يعقوب بك فقبل يعقوب بك عرض زعيمهم هذا وعاد إلى آقسو ، ولكن يعقوب بك عين السيد حكيم خان تورة حاكما على طرفان وأبقى بجانبه ابنه بك قولي بكومعه جنود كثيرة.

الصين تتعرض لتركستان الشرقية:

وكانت هناك في داخل الصين ثورة يوننا ، غير ان حكومة الصين تغلبت عليها وأخمدت الثورات بقتل السلطان سليمان (تاونسو) بعد أن وقع أسيرا، فتشتت الثوار في يوننا ، فترك أربعة أو خمسة آلاف من الثوار يوننان بقيادة زعيم آخر اسمه داخو أي الأسد الكبير ورحلوا إلى منطقة كانسو ، فجمع داخو هناك عدة آلاف من من طائفة التونكان هناك فقام بثورة خطيرة في

كانسو، وفي خلال سنتين حدث في كانسو حروب مرعبة خربت فيها العديد من المدن.

وفي عام ١٢٩٠ هـ الموافق عام ١٨٧٣م بلغ الإمبراطور تونغشي سن الرشد واستلم مقاليد المور في الصين وجهز جيشا كبيرا قوامه أربعمائة ألف جندي وأرسلهم إلى منطقة كانسو فانهزم داخو وجنوده أمامهم في عام ١٨٧٥م فهرب داخو بجنوده إلى داخل تركستان الشرقية فطاردهم الجنود الصينيون حتى دخلوا أو وصلوا إلى منطقة قمول المتآخمة للصين، ولما سمع يعقوب بك هذا الخبر أخذ معه جميع جنوده وقدم إلى مدينة كورلا واستدعى حكيم خان تورة من مدينة طرفان وجعله حاكما في مدينة آقسو نائبا عنه ، وأرسل إلى طرفان جيوشا كثيرة وسحب ابنه حق قولي بك من مدينة طرفان وفوضه أمر الاستحكامات العسكرية في عقبة دوانجين دون أورومجي ، وفي هذا الأثناء قدم داخو إلى أورومجي فاستأمن يعقوب بك لنفسه فأمنه يعقوب بك.

وكان مع داخو ما يقارب ستمائة من رجاله فقدم داخو من أورومجي إلى مدينةكورلا وقابل يعقوب بك الذي أصدر أمره الكريم بأن يقيموا في مدينة آقسو، وفي أثناء ذلك عرضت طائفة التونكان في أورومجي ولاءها لقائد الصين زوزونغ تانغ وذلك ميلا منهم لأصلهم الصيني ، وبهذا السبب قدم زوزونغ تانغ إلى مدينة أوروكجي دون مقاومة ، وعندما استقر زوزونغ تانغ في مدينة أورومجي أرسل مبعوثا إلى يعقوب بك يطلب منه تسليم داخو ورجاله إليه

وقال لدينا أمر من الإمبراطور تونغشي بعدم المساس بسيادة تركستان الشرقية بشرط تسليم داخو، ولكن يعقوب بك رفض تسليم داخو ورجاله إلى زوزونغ تانغ وأرسل مبعوثا يطبب من زوزونغ تانغ التمهيد لعقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار مع حكومة الصين، فأعلن زوزونغ تانغ الحرب على دولة يعقوب بك ووصل إلى عقبة دوانجينغ ، ولكن يعقوب بك لم يرد الحرب وأصدر أمره على ابنه حق قولي بك بالانسحاب إلى مدينة طرفان بجنوده وترك دوانجينغ باستحكاماته الدفاعية خالية من الجنود فتقدم جنود الصين بقيادة زوزونغ تانغ إلى ولاية طرفان ، ورغم ذلك لم يقبل يعقوب بك الحرب مع الصين وأمر ابنه بك قولي بك القدوم إلى مدينة كورلا بجنوده وأخلى مدينة طرفان.

وإن سبب عدم دخول يعقوب بك في الحرب مع الصين أن روسيا القيصرية قد أتمت احتلالها على عموم تركستان الغربية وهي تتطلع لاحتلال تركستان الشرقية، فخاف يعقوب بك من هجوم روسيا القيصرية على تركستان الشرقية إن تشاغل بالحرب مع الصين، ولو أن يعقوب بك ما كان يخاف هذه الورطة لما تردد في الحرب مع الصين وما كان يبالي بقوة الصين، ولذا كان يعتقد بضرورة عقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار مع الصين.

وأرسل يعقوب بك وللمرة الثانية مبعوثا إلى زوزونغ تانغ عرض فيه أن يسعى لدى الإمبراطور الصيني لإبرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار وتشكيل جبهة موحدة أمام هجمات روسيا القيصرية على تركستان الغربية وزحفها

تجاهنا ، وإذا لم يتيسر ذلك فسنضطر لمحاربة الصين والدفاع عن بلادنا، فقبل زوزونغ تانغ هذا العرض واقترح أن يبعث يعقوب بك مبعوثين مفوضين إلى إمبراطور الصين ويعقد هؤلاء المفوضون معاهدة مع الإمبراطور الصيني وتعهد بعدم الدخول في مواجهات عسكرية مع يعقوب بك حتى يعود المبعوثين من الصين.

وفاة يعقوب بك وحدوث ثورات في داخل تركستان الشرقية...

وفي أثناء ذلك قام كل من والي ولاية خوتان نياز بك وأمين الخزانة عاشور بك بالتخابر مع زوزونغ تانغ يحرضانه على حرب يعقوب بك ويبديان استعدادهما لتقديم المساعدة اللازمة في حالة وقوع الحرب، وقد أحس يعقوب بك بمثل هذه التخابرات المضادة عليه ولم يتأكد منها تماما، وإن هؤلاء الخونة علموا بأنه يكزون بين الصين وبين يعقوب بك معاهدة صداقة وحسن الجوار ، وهذه المعاهدة لو تمت فستكون كارثة عليهم، فأعطيا طاهي يعقوب بك مبلغا كبيرا من المال أو وعداهبذلك ليسقي يعقوب بك سما ، وبهذا السم مات يعقوب بك في ظرف ساعة واحدة، وكانت وفاته عام ١٢٩٣ هـ الموافق عام ١٨٧٦م بسبب سم سقاه الطاهي بالتآمر مع نياز بك وعاشور بك، وعاشور هذا ربيب يعقوب بك من أصل تونكاني ، ولم يكن ليعقوب بك ولي عهد أي لم يعلن ذلك، وعندما توفي يعقوب بك أعلن ابنه بك قولي بك نفسه خلفا لأبيه، وفي هذه الظروف الحالكة قام حكيم خان تورة وادعى بأنه

ولي للعهد وأعلن ذلك على الملأ وأعلن حربا على بك قولي بك، وكان ليعقوب بك ابن آخر اسمه

حق قولي بك وكان واليا على كاشغر ، وبالتالي أعلن حق قولي بك الاستقلال في مدينة كاشغر ، وبحيلة هرب نياز بك خفية إلى خوتان وأعلن استقلاله فيها، وفي هذا الوقت العصيب ركز بك قولي بك اهتمامه على خلافة أبيه دون أن يلتفت بموت أبيه، وبدأ يحارب منافسيه ولم يهتم قط بالصينيين في ولاية طرفان ، فأخذ بك قولي بك جسد والده وجميع قواته الموالية له واتجه إلى ولاية كوجا ، وكان كل قصده خلافة أبيه وأن تكون عرش يعقوب بك له وحده، وعندما استعد بك قولي بك إلى الانتقال إلى كوجا أخذ عاشور بك جميع الخزانة وهرب بها إلى الصينيين، فلما وصل بك قولي بك إلى كوجا أمر عامل حكيم خان تورة حاكم ولاية كوجا أن يدافع عن كوجا في حالة حدوث غارة صينية عليها، وأبقى لديه قسما من جنوده ثم اتجه إلى آقسو وتغلب على حكيم خان تورة في ولاية ىقسو واحتلها وهرب حكيم خان تورة إلى فرغانة واستأمن الروس لنفسه، وتحرك بك قولي بك إلى ولاية كاشغر وكان هناك أخوه حق قولي بك واستعد الأخير لقتال أخيه فتصادم الخوان وانهزم حق قولي بكومات شهيدا وتشتت جنوده، ودخل بك قولي بك إلى ولاية كاشغر ودفن جثة أبيه في إحدى مقابر مدينة كاشغر بسرية تامة وبمراسيم معتادة، ثم توجه بك قولي بك إلى ولاية خوتان للسيطرة عليها، وعندما غادر نياز بك وهرب من مدينة كورلا إلى ولاية خوتان قتل كل

كوادر الأوزبك الذين كانوا تحت إمرته، وجند الكثير من شباب خوتان واستعد للقتال مع بك قولي بك إذا واجهه، ولكن هذه المرة وعندما علم أن بك قولي بك متجه نحو الخوتان جمع كل جنوده في منطقة زاوا كمعسكر متقدم وجبهة متقدمة ، وعندما وصل بك قولي بك إللاى منطقة بيالما أخذ نياز بك معه مائتين من جنوده بصورة خفية وعاد إلى إيلجة ليلا وأخذ خزانة البلد ، وكانت الخزانة مدفونة باحد البساتين ، أخذها محملة على الخيول والبغال وهرب بها إلى منطقة كريا، وفي يوم غد وصل بك قولي بك إلى منطقة زاوا واعترضه في طريقه جنود نياز بك وحدث صدام عنيف ودامي بين الطرفين، وعندما سمع جنود نياز بك بهروبه أمس مساء إلى منطقة كريا سلم بعض الجنود أنفسهم إلى بك قولي بك وبعضهم ذهب إلى بيوتهم وقراهم فتشتتوا، وسيطر بك قولي بك على ولاية خوتان دون مقاومة تذكر ، وأن نياز بك منذ هروبه نحو كريا داوم السير غير أنه لم يدخل كريا ولا مدينة جرجن وجرقليق ، وإنما عبر الفيافي والصحراء القاحلة حتى وصل إلى مدينة كورلا شرقا، وقد وصل إلى منطقة كورلا قائد صيني اسمه جوويه ليوجن تانغ، فقام نياز بك بزيارة ليوجن تانغ وقدم له تلك الخزائن هدية له وقال فيها إنه احتفظ بهذه الثروة التي جمعها طوال عمره لتكون بمثابة رمز لصداقته نحو الصين.

وبعد وفاة يعقوب بك وحدوث انقلابات في أرجاء تركستان الشرقية كما أسلفنا تنبهت الصين على أن سقوط تركستان الشرقية في يده صار وشيكا فأصبحت تتابع أحداث تركستان الشرقية خطوة بخطوة، ومن جهة ثانية كان الفرغانيون الأوزبك الذين بجانب بك قولي بك وحكيم خان تورة كانوا مسلحين وهم يسافرون من تركستان الشرقية إلى فرغانة بأسلحتهم ، وأما الجنود من شباب الأهالي فشتتوا وصاروا يهربون إلى بيوتهم وبيوت أقاربهم تاركين السلاح مما سهل دخول زوزونغ تانغ إلى المدن الستة.

وبعد أن علم زوزونغ تانغ الوضع المتدهر في البلد قرر أن يستولي على جميع أجزاء تركستان الشرقية، وفي عام ١٢٩٣ هـ الموافق عام ١٨٧٦م توفي إمبراطور الصين تونغشي وخلفه ابنه القاصر كانغ شوي، وكانت أمه تدير شئون الحكم والبلاد وصية على ابنها الطفل، ولذا تأخر احتلال زوزونغ تانغ على تركستان الشرقية بعض الوقت.

وفي عام ١٢٩٤ هـ الموافق عام ١٨٧٧م كان زوزونغ تانغ في مدينة طرفان أرسل قائده جوويه ليوجن تانغ بقسم من جنوده إلى المدن الستة ، وعندما تقدم بك قولي بك إلى ولاية خوتان لم يكن يعلم أن زوزونغ تانغ أرسل قائده إلى المدن الستة ، وبينما كان بك قولي بك مشغولا بتنظيم شئون البلاد سمع بقدوم ليوجن تانغ إلى مدينة قاراشهر فحزم بك قولي بك حقائبه وأخذ بعض جيوشه وعاد إلى ولاية كاشغر ، وأثناء عودة بك قولي بك إلى

مدينة كاشغر احتل ليوجن تاغ مدينة كورلا، وأثناء ذلك هرب نياز بك وعاشور بك وأحمد بك الخوتاني ومحمود بك كاشغري وابن وانغ الكوجاري وىخرون ممن خدم وأخلص للصينيين من الخونة المارقين وأذناب الصين، كل هؤلاء هربوا إلى ليوجن تانغ في مندينة كورلا، وحرص ليوجن تانغ على الإسراع باحتلال المدن الستة فذهب إلى ولاية كوجا ، وكان هناك عامل خان من قبل بك قولي بك واليا عليها، وعندما وصل ليوجن تانغ إلى كوجا لم يطلق رصاصة واحدة وإنما اخذ نفسه ورجاله الأوزبك ورحل إلى فرغانة، وبهذه الصورة احتل ليوجن تانغ كلا من كوجا وآقسو بدون مقاومة، ثم توجه ليوجن تانغ إلى ولاية كاشغر.

ولكن بك قولي بك أخذ يستعد للقتال والدفاع على بعد عدة أميال من مدينة كاشغر بكل رجاله وأسلحته وعتاده الحربي، وقدم ليوجن تانغ إلى القرب من عسكر بك قولي بك وووقع معركة دامية بين

الطرفين، غير ان بك قولي بك أخذ نفرا من خلصائه والخزانة وهرب ليلا إلى فرغانة، وأما الذين بقوا في جبهة القتال من الجنود فما كانوا يعلمون بأمر هروب بك قولي بك إلى فرغانة، ودارت رحى الحرب وطيسة، وكانت في مدينة كاشغر ما بين أربعة أو خمسة آلاف صيني من الذين أسلموا على يد يعقوب بك ولهم أحيائهم الخاصة بهم وكانوا تحت رعاية يعقوب بك منعمين بالأمن والسلام ورغد العيش، وعندما علم هؤلاء بهروب بك قولي بك شهروا أسلحتهم التي كانوا يحتفظون بها وبدؤوا يقومون في المدينة بأعمال النهب

والسلب متعرضين للأهالي الامنين، وقرر هؤلاء أن يفتحوا أبواب المدينة للصينيين المحتلين بقيادة ليوجن تانغ، ولذا حارب هؤلاء مع الجنود المسلمين الموجودين في المدينة وانقلبوا عليهم، وهذه الحادثة أثر على معنويات الجنود الموجودين في الجبهة وأحدث فيهم الاضطراب فقتل منهم من قتل وهرب منهم من هرب وأسر منهم من أسر، وأكثرهم قتلوا أو أسروا.

وبعد ذلك احتل ليوجن تانغ مدينة كاشغر وبعدها احتل ولايات خوتان وياركند بغاية السهولة.

وبهذه الصورة العجيبة والغريبة عام ١٢٩٤ هـ الموافق عام ١٨٧٧م فقدت تركستان الشرقية استقلالها ووقعت تحت الاحتلال الصيني الغاشم.

استبداد يعقوب بك...

في عهد يعقوب بك كان كل الشئون الإدارية والعسكرية باختياره هو ، وكل رأي أو فكر أو أمر كان منوطا إلى يعقوب بك وحده ولم يكن له مشاور أو وزير، وبدل أن يتخذ مجلسا يضم مشتشارين من أصحاب الرأي والمشورة والخبرة للتشاور في المهمات كان يقول: "إن الاستشارة تنبئ عن عدم لياقة الشخص لأي منصب مهيب وهو دليل على عدم كفائته ووجود النقص فيه، وهذا لا يليق بأمثاله من أصحاب السلطة"، ن يقول مثل هذا الكلام في كل مناسبة، وكان يقول : إذا اصطفى الله شخصا للحكم بين عباده فمن حق ذلك الشخص أن يدير كل الشئون والأمور بمحض اختياره وأن يمسك بزمام كل أر بيده، وهو حق خالص له منحه الله إياه" وكلمات يعقوب بك هذه

كانت تتواتر عنه، غير ان يعقوب بك لا يعلم شيئا عن التاريخ وعن السياسة ناهيك عن الشئون الاجتماعية ، بل كان شخصا غارقا في أوحال الجهل المطبق ، وكان يفرط في التشبث برأيه الخاص دون غيره، وإن أهم الشئون في إدارة الحكومة والدولة لا يعلمها أقرب المقربين إليه حتى يصدر منه فرمانا بشأنها، وكان أحسن والي عنده من ينفذ ما يصدر منه بحذافيره دون نقصان أو زيادة، وكان يعقوب بك يكره النقد والنقاد مهما

كان مهما من الأمور في دولته من أمثال ضياء الدين قاضي وأكمل خان تورة والشيخ إبراهيم قاضي الخوتاني ، غير أن هؤلاء الثلاثة احتفظوا بحياتهم لقوة شعبيتهم لدى الناس ولعلو شأنهم في العلم، ومع ذلك كان هؤلاء يفضلون دولة وقوة يعقوب بك وسيادته، وكم من أمثال هؤلاء أنهى يعقوب بك حياتهم ووارى جثمانهم ، ومع ذلك كان هؤلاء الثلاثة في نظر يعقوب بك عناصر فاسدة ومخربة، وبالخلاصة كان يعقوب بك يعتمد في الشئون كلها على رأيه الخاص ويكره من ينتقده أو يبدي له رأيا مخالفا لرأيه وإرادته أيا كان كان مستبدا إلى أقصى حد.

تنظيم يعقوب بك الإدارية...

إن تنظيم الإدارة في عهد يعقوب بك كان مبنية على عدم اعتبار شعوب تركستان الشرقية وتركستان الغربية أمة واحدة، وما كان يعقوب بك يعتبر حكومته حكومة تركستان الشرقية القومية، بل كان اعتبار تركستان الشرقية مستعمرة وشعبها أمة أسيرة ليس لها حرية ولا حقوق أساسا لتنظيماته

الإدارية، فكان يعين الولاة والحكام من الفرغانيين، غير ان أمثال نياز بك وعاشور بك من المرتزقة الذين خانوا أمتهم ووطنهم حصلوا على بعض المناصب العالية مقربين من يعقوب بك مكافأة لهم مقابل تملقهم الكاذب ليعقوب بك، وإن هؤلاء الخونة لا يرقون إلى مراتب قيادية من الدرجة الأولى، وإنما هم مأمورون من الدرجة الرابعة والخامسة ولهم مطلق الحرية في إذلال الناس وظلم الرعية والاستبداد فيهم من غير حق شرعي، وأما المهاجرون من تركستان الغربية فاحتلوا مناصب عالية ورفيعة في دولة يعقوب بك، كما ان أراضيهم وتجاراتهم معفية عن الضرائب والجمارك، وأما في المحاكم فكانت أقوال المهاجرين حجة ونافذة ، وفي المقابل كان أهالي تركستان الشرقية محرومون من كل الحقوق صغيرها وكبيرها ، وبالتالي كانوا يتعرضون للظلم والاحتقار وسوف ترون هذا الاحتقار في الصفحات التالية.

ولمتكن التشكيلات الإدارية حسب نظم وقوانين مثلها مثل خانية فرغانة تعمها الفوضى ، وفي عموم البلاد المحكومة من قبل يعقوب بك مثل كاشغر وخوتان وياركند وآقسو وطرفان وكوجا وكورلا كانت الولاة من الفرغانيين غير أن واحدا أو اثنين من الأهالي الخونة المأجورين لصالح يعقوب بك من أمثال نياز بك وعاشور بك، وكان الوالي يسمى بدادخاه وكانت صلاحية دادخاه كبيرة في العرض والطول ولهم مطلق الحرية، غير أن دادخاه هذا كان كمأمور مستقل، وكانت التعيين والعزل والتبديل داخل منطقة ولايته من اختصاصه الخاص ، وأن العاملين والمأمورين في المنطقة صغيرا أو كبيرا يعتمد

على تعيينه هو، إلا إذا عين أو أرسل يعقوب بك شخصا في منصب إداري أو عسكري فما كان من حق الوالي اعتراض طريقه.

وكذلك القصاص والحدود كان بيد الوالي، وأمور العدل وإن كانت تبدو في ظاهرها أنها موكلة للقضاة الشرعيين إلا أنهم في الحقيقة كانوا مضطرين للانصياع لأوامر يعقوب بك وولاته، بمعنى أن توافه الأمور التي لا تتعلق بمصالح الولاة كانت تسير بمقتضى الشريعة دون تدخل منهم.

وكان أهم أمر في حياة يعقوب بك جباية الإتاوات والضرائب الحومية وجمع الأموال السلطانية، وقد فرض إتاوات على المحاصيل الزراعية حسب مساحة الراضي الزراعية بحساب جريب وحسب المحاصيل الغلات ، ولكن عند ماية يجبى بحسب اختيار الولاة دون التفات بمقدار الغلات المحصولة وكميتها ساحة الأرض، لأن هذه الجبايات وتقديرها وإن كانت من اختصاص يعقوب بك نفسه دون غيره ، إلا أن زيادة الإتاوات وقلتها كانت موكولة إلى الولاة والحكام، وما كان يعقوب بك يعرف بمقدار ما في خزانة ولاية من الولايات، وكان يعقوب بك يأمر واليه بأن يرسل إلى خزانة كذا من الفضة أو الذهب أو المؤن الغذائية أو شيئا آخر، وكان الوالي مضطرا لتجهيز المطلوب فطريقته الخاصة وإرسالها في الموعد المحدد له، وفوق ذلك كان الولاة يأتون لتقديم الهدايا إلى الدولة في كل ستة أشهر أو سنة وكانوا يقدمونها بأنفسهم أو بالنيابة عنهم، وكان مقدار هذه الهدايا والإتاوات مقررة من قبل يعقوب بك كما أسلفنا، وأي وال يدفع زيادة على ما قرر له كان يحظى بحب يعقوب

بك، ولذا كان الولاة في تسابق في زيادة الإتاوات والهدايا تقربا ليعقوب بك، وكان ثقل هذه الإتاوات والضرائب يقع على عاتق الأهالي المزارعين والتجار والباعة الصغار، حتى إن أكثرهم لم يتمكنوا من دفع الإتاوات المفروضة عليهم، وأخيرا بدأ الهالي المغلوبون على أمرهم يهربون من بلد إلى بلد لإيجاد مخرج له من ورطته هذا، ولتوفير الإتاوات هذه بدأ الولاة ببيع المراعي المشاع بين الأهالي ويحدث البيع هذا بصورة إجبارية ، وفي هذه الحملة باع نياز بك والي خوتان مراعي البلد لثلاث مرات متتالية ، وكانت ضرائب السلع التجارية تزيد عن الربح حتى دفع التجار من رأس مالهم وهربوا من المدن إلى الأرياف، وأما المهاجرون الأوزبك فكانوا معفيين من الضرائب والجمارك ويزاولون البيع والشراء بكل هدوء وراحة البال.

وإذا مات احد كانت الدولة تحصي تركته فتأخذ الدولة نصفه أو ثلثه باسم تركانة إلى خزانة الدولة، وإذا ما قصر الولاة في الإتاوات والهدايا أو قصروا في تجنيد الشباب كانوا مسئولين أمام يعقوب بك

مباشرة، وكان عقوبة ذلك حرمانه من منصبه وطرده من البلاط، وبالعكس الولاة الذين يظلمون الناس ما كان يساءل أمام يعقوب بك عن ظلمهم هذا.

وأما الشكوى ضد الولاة والحكام فما كانت تصل غلى يعقوب بك وإن يعقوب بك هذا ليس في قامسه التظلم وليس له أذن صاغية للمظالم التي تقع على الرعية، وكان يعقوب بك وولاته الأقربين يبنون عمارات مهيبة ويصرفون لها مصاريف باهظة لتخليد أسمائهم على مدى الأيام، وكانت من

جملتها ضرائح لا أصل لها، ولكن هذه المصاريف لم تكن من خزانة الدولة ولا من مالياتها بل كانت تجبى بشكل ضرائب من الأهالي وتؤخذ منهم مواد البناء من الخشب والحجر والآجر والرغام وغيرها ، وكانوا يجبرون الناس على العمل الشاق في بناء هذه العمارات تحت سياط وبدون أجر وإعاشة.

ولو كانت هذه التعميرات في مصلحة الناس العامة مثل الكباري والجامعات والمدارس وشق الطرق وحفر مقابر للمسلمين لكانت اتعابها ونفقاتها من الضرائب والإتاوات والعمل بدون أجر ، غير أن أكثر تلك التعميرات ضرائح موهومة وقصور للأمراء والولاة وحدائق الوزراء وبيوتهم ، وإن بعض تلك العمران هدمها الصينيون والبعض الآخر مهملة على شكل أطلال خربة.

وكان يعقوب بك لا يتوج إلى العلوم والصناعة غير ان المتوافر منها مثل الكتاتيب الأهلية القديمة كانت تؤدي رسالتها بشكل ضعيف لا يرقى إلى مستوى التقدم العلمي في ومانه، وليس ليعقوب بك ولا لولاته خدمات تذكر لرفع المستوى العلمي للبلاد.

مكانة يعقوب بك في صفحة التاريخ...

لم يحارب يعقوب بك مع أي عدو لتركستان الشرقية ، بل إنه حارب كل حروبه مع المقاتلين الأحرار وملوك الطوائف الوطنية، وأما قتاله مع أشقائه في الدين والعقيدة وهم رجال مسلمون ومواطنون من تركستان الشرقية، غير أنه سل سيفهوخاض غمار الحرب معهم لأجل رفعة شأنه وسمو شوكة دولته وعلو

نفسه وصون حياته في العز والسيادة والقيادة ، وهذه الأمور قد كشفناها في الأبواب السابقة، وقد علمتم من هو يعقوب بك؟

ولكن إقدامات يعقوب بك في حروبه وكفاحه ومكره في وجه ملوك وأقاليم خمسة متفرقة أنتجت انصهارهم في بوتقة واحدة كدولة ذات سيادة وأنهت حالة الخوف من الضعف الذي تسسها تفرق هؤلاء هذا في الداخل، أما في الخارج فعرفت تركستان الشرقية اسما لمملكة عظيمة ذات حكومة تعرفها

الجميع واعترفت بها كثيرا من الدول الكبرى وخاصة الدولة العثمانية في شخص السلطان عبدالعزيز وصارت لهذه الدولة جيش يزيد قوامه عن ثمانين ألفا.

وأما من الناحية السياسية فهذه النتائج يمكن أن يخفف من شناعة الحكم الذي يحكم به التاريخ عليه بسبب سفكه الدماء ويقلل من المآخذ التي يؤخذ عليه، ولو أن يعقوب بك أحسن إدارة الدولة ونظر إلى الأهالي كمواطنين في درجة واحدة مع الأوزبك ولم يستبد في شئون البلاد لكانت حصة يعقوب بك من الحسنات في داخل الدولة أحسن من ذلك ورضي الأهالي عنه، وبالتالي يقدمون على التضحية، ولانمحى من صفحة التاريخ كل عيوبه ومظالمه وشطحاته الغير مرضية، وفوق ذلك لكان من العباقرة الموهوبين والقادة الملهمين والملوك العظام وحاكم دولة وطنية لتركستان الشرقية، غير أن يعقوب بك أسس دولته على سلطة أجنبية وينظر إلى مواطني البلاد على أنهم

أجانب بالنسبة للمهاجرين الأوزبك، ولو أن يعقوب بك شارك أهل البلاد شعورهم الوطني والقومي وقوى فيهم إحساسهم وتطلعهم للاستقلال ورسخ بذلك دعائم دولته لجعل البلاد مستعدة للتضحية والنضال والكفاح ضد أي عدو خارجي ولحافظ على استقلال البلاد بصورة دائمة، ولو كان فعل يعقوب بك كل ذلك لأصبح بطلا قوميا في صفحة التاريخ هيأ للشعب الاستقلال والحرية ولخلد اسمه في التاريخ، ولكن يعقوب بك أسس دولته على قواعد هشة من الاستبداد المفرط وغياب القانون في الداخل والنظر إلى أهل البلاد على أنهم أجانب، ووضع الخونة الأشرار الذين لا يهمهم إلا مصالحهم مع أن يعقوب بك لديه العلم بخيانتهم للأمة في مناصب رفيعة ويمنحهم سلطات واسعة لمجرد أنهم متملقون للأوزبك صارفا النظر عن كل ما يرتكبونه من مظالم بشعة في حق الأمة، بل بدا يعقوب بك وكأنه يسمح لهم ويأمرهم بمثل هذه المظالم، بهذه السياسات جعل يعقوب بك الشعب يسأم من دولته، كما أن يعقوب بك بسفكه الدماء بغير حق وقسوته وظلمه وبسوء إدارته وجه ضربة لروح الوطنية والاستقلال لدى الشعب مما أدى إلى ضعف دولته الشديدة بحيث لا يستطيع الاستمرار والبقاء.

وأخطر ما ارتكبه يعقوب بك هو أنه لو صد هجوم الصين الاختبارية التي كانت تعاني حالة ضعف ولا تستطيع توجيه حملة حقيقية جادة نحو تركستان الشرقية، ولو كان صد بقواته هذا الهجوم الضعيف من الصين فما كان هناك شك في تحرر تركستان الشرقية من الاحتلال الصيني إلى الأبد، ولكن يعقوب

بك تمسك بشدة بما يجول في خاطره هو وحده من نظرة وتقييم تقوم على مجرد الاحتمالات فبدلا من أن يطرد الصينيين بقوة السلاح رفض التماسات ابنه بك قولي بك والقائد العام مير أحمد ومن معهما الذين ما كان عندهم شك في قدرتهم وإمكانية صد هجمات الصين رفض يعقوب بك بصورة قاطعة التماساتهم للوقوف في وجه الصين، وسمح للقوات الصينية بالبقاء داخل تركستان الشرقية بحجة أنه سيعقد الصلح مع الصينيين، والصينيون بدورهم استفادوا من هذه المدة واتفقوا مع الخونة والمنافقين في تركستان الشرقية، واغتيل يعقوب بك بالسم نتيجة لهذا الاتفاق، وإن الصين التي كانت ترصد الوضع عن قرب استفادت من الصراعات الداخلية وحققت نتائج ما كانت تحلم بها واحتلت تركستان الشرقية، وبهذه الصورة قضى استبداد يعقوب بك الأعمى على استقلال دولة اعترفت بها الدول الكبرى.

وهذه الملحوظات لو أخذت بعين الاعتبار لا يحكم التاريخ لصالح يعقوب بك ولا يعطي له مكانة طيبة، وقد قضى يعقوب بك على المجاهدين الوطنيين الذين وإن كانوا يتصارعون ولا يتحدون فيما بينهم إلا أنهم كانوا على استعداد للوقوف في وجه العدو الخارجي مما جعلهم بظلمه واستبداده في حالة من الضعف والفقر مجردين عن الأسلحة والاتحاد، فحرمهم بذلك من وضع جيد وهو استعدادهم للدفاع عن استقلال بلادهم ، لذا يبوؤه التاريخ مكانة سيئة.

وبهذه المهالك الأليمة كانت الصين آمل قوة واكثر ضعفا من تفاخم الازمات التى لاتحتملها مهلكة بعد مهلكة نقمة وبلاء اصبحت الصين عاجزة عن تنفيذ مخططاتها الجبانة على حياة تركستان الشرقية. وبهذا الاسباب تنفس اهالى تركستان الشرقية تنفس السعداء حينا من الوقت, وهذا ماكتبته جملة المحررين الصينين فى ذلك الوقت.

ولكن اهالى تركستان الشرقية لم يكن يعرف تلك المهالك والبلاياء التى طوقت الصين من اقصاها الى ادناها. غير ان الحاكم العام الصيني فى تركستان الشرقية فى ذلك الآونة يجمع جنودا من الصينين الذى جاءوا من داخل الصين واستوطنوا فى المناطق الشرقية من مثل قمول وباركول واروبجى واكتسبوا اكثرية فى تلك المناطق واجبرهم الى الإنخراط فى الجندية حتى يبرز فى نظر الاهالى جنود كثيرة فى كل المدينة. وبهذ الاساليب الماكرة وتارة تقوم حكومة الصين فى تنفيذ تلك المخططات الجبانة على التركستانيين غير ان الاهالى كانوا متماسكين فى قوميتهم ودينهم وعقيدتهم. وبهذا ينخضل (جونجانك) الحاكم العام الصين يرخى سبل تنفيذ المخططات الممقوتة. ويختار سبل المدارات مع المواطنين الاتراك.

وبالخلاصة هذا مانعلمه فى عدم تنفيذ الصين المخططات الجبانة على اهالى تركستان الشرقية بسبب تلكم الثورات الداخلية فى الصين. وتزعزع اركان عرش الامبراطورية الصينية وان الصينين رأوا

أمام أعينهم ان اهالى تركستان يفدى وينادى بارواحهم فى سبيل دينهم وعقيدتهم وشريعتهم السمحاء ويضحى بارواحهم اذا جاءت ساعة الصفر.

(السياسة الاقتصادية فى عهد امبراطورية مانجوفى تركستان الشرقية)

فى عام ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨ من الميلاد مات امبراطور كونكشى وخلفه طفل فى الثالثة من عمر وهو ابن احد الامراء البيت المالكة وهو الامير توان وابنه الطفل اسمه خانتونك فويى. واختير هذا الطفل بالاجماع, وهوالآن[1] امبراطور منشور تحت حماية اليابان, وكان يتولى شئون البلاد رئيس الوزرآء آنذاك يوان شى كاى بالوكالة. وكانت خزانة الدولة آنذاك مفلسة من جراء الحروب والانقلابات والثورات الداخلية, ولمعالجة هذا الوضع اصدر يوان شى كاى بنكنوتات الورقية كثيرة وان فئات من بنكنوتات هذه للتداول فى التركستان الشرقية, فى غاية من رداءة الورقة تنبئ منها غاية الافلاس والجبن والظلم او كانت الفئات تلك معبرا للافلاس والظلم والاستبداد. حيث ان الفئات هذه لم تكن مثل البنكنوتات المتداولة

[1] ذكر المؤلف هذا الكلام فى حوالى عام ١٩٤٠ من الميلاد.

فى سائر الدول من حيث الضمان المالى اوكسندات بنكية معتمدة غير ان هذه الفئات الورقية الصينية كانت تستند اساسا على مدى قدرة الحكم ظلما واستبدادا وحيث ان اذا لم يقبلها احدما كان جزاء الاعدام او جزآت مالية باهضة او بحبس طويل الأمد. وكانت دوائر المالية الحكومية لاتقبل تبديلها بالذهب او الفضة اوالنيكل من النقود المعتبرة. ولكن تقبلها الدوائر الجمركية والضرائب بشرط ان تكون جديدة. وكانت الفئة المتداولة منها فى تركستان الشرقية تساوى الواحدة منها عشرة مثقالا من الفضة, ونحن لا نعرف كمية الاصدارات منها ولكن الغالب ان المتداولة منها فى تركستان الشرقية تكفى لقيمة كل كمية ذهب وفضة المتداولة فى ايدى الناس. ومنذ ان وضعت الحكومة هذه الفئات للتداول فى تركستان حرصت ان تجمع الذهب والفضة التى فى ايدى الناس وترسل اى كمية منها أولا بأول الى داخل الصين كغنيمة مباحة طارئة.

ومنذ احتلال الصين التركستان الشرقية قبضت فى يدها كل مكامن الذهب وكل من يعمل فى مهود الذهب من العمال كان عليه أخذ رخصة يعمله هذا بشروط ان يدفع كمية من الذهب عقب كل شهر ويأخذ بدله كمية من النقود ذوى النفوذ بنكنوت لايكفى لمصرفه الشهرى ولا يمكنه الاعتذار بعدم حصوله على الذهب فى المقرر فى المدة المعينة فعليه احضار كمية الذهب المفروض عليه فى

الشهر. وبالتالى منعت الحكومة تداول الذهب والفضة بين الاهالى بيعا وشراء منعا باتا ويجازى من يخالف ذلك.

واذا علم الحكومة ان فلانا باع ذهبا كذا او فضة كذا او اشتراهما تقوم الحكومة بمصادرة المبيع ذهبا او فضة وفوق ذلك وتفرض عليه عقوبة شديدة. وبهذا الصورة نقصت كمية الذهب والفضة التى كانت ولم تزل اساس الثروة فى المجتمع الانسانى العام, نقصت نقصا مدهشا فى تركستان الشرقية. وكان عمال المعادن للذهب والفضة او المشتغلين بها كانوا اثرياء واصحاب ثروة مالية تحولت كلها الى اوراق البنكنوت خرقة بالية, واصبحوا أصحابها مفلسين ومديونين وقد تركوا اعمالهم. وبعد ثلاث سنوات من تلكم البنكنوت الغير المستند جاءت الى الصين حكومة جمهورية والغيت هذا البنكنوت دون عوض وتبديل. فاصبحت الامة محرومين من مالياتهم القليلة والكثيرة بل فى خسارة العمر كله.

تعداد النفوس ولاول مرة فى تركستان الشرقية

فى عام ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨ من الميلاد اصبحت الامبراطورية الصينية برأسة يوانشى كاى فرمانا لكل الولاة فى الصين ان تجروا تعداد للسكان ويسجلون ونحن لانعلم كيف اجري العمل

فى داخل الصين. واما فى التركستان الشرقية أخذ التعداد منحا فى غاية الغرابة والعجب حيث جرى تسجيل واحد من عشرة انفس فى جميع مناطق تركستان الشرقية الامر الذى لم نر مثله فى سائر الحكومات فى العالم وفى الواقع وقبل ستة اشهر من بدء التعداد وصلت شائعات فى المجتمع التركستانى انه سيجرى تعداد فى البلاد لفرصة كذا و كذا وكان الناس تعودوا ان كل حديث او جديد يكون من طرف الصين فيه وبال على المجتمع, وانهم لايعرفون عن التعداد شيئا فخافوا على انفسهم من التعداد المرتقب وخانوا على ابنائهم ومستقبلهم. حيث ان الصين اذا احدثت شيئا كانت تراعى مصالحها فقط دون غيره ولاتبالون من تبعات هذا الحدث على الشعب فكان من حقهم الخوف من التعداد هذا وانهم لايعرفون هل هذا فائدتهم او فى ضررهم. هذا ومن جهة ثانية الموظفون فى الحكومة اعتادوا ان يفرض على الناس امرا ايجابا كان او سلبا فى مغذاها يقبلون بل يطلبون رشاوى باهضة وان لم تكن باهضة وهى فى التعداد كثيرة فيرجون ماسيكون عليهم فى الاحتمالات وان شائعات من هذا القبيل تكثر قبل ان يجرى التعداد او غير التعداد من الشئون. وذلك من مثل شائعات بعض الموظفين من الصين وغير الصينين لمن يعرفه ان حكومة الصين تنوى فى التعداد هذا وتسجيل الفرد ذكرا كان ام انثى امر خطير للغاية يجب الحذر منه يقول هذا من باب

الصداقة والثقة. وهم كذابون لو صدقوا, ويمكن ان يجندوا الشبان ايا كانت مترلتهم ومكانهم فى المجتمع كذا و كذا و كذا وان الشبان يجندون فى داخل الصين وان الصغار من الاولاد والبنات يدرسون فى المدارس الحكومية الصينية ليترك الناس مدارسهم الاسلامية الاهلية ويربوهم الصينيون كفرة ملحدين. وتفرض على كل رأس ضريبة متنامية وان هذه الفرية تشيع من افواه الناس باضافة احياء سيئة ومصادر السيئة سيئ فيرى الناس فى التعداد اسواء الاحتمالات واخوفها هالكة مهلكة تنفرها الناس ولاتقترب وينكرها ولاتعترف وانها سيئة من سيئات الحكومة وقذرة من قذراة الصين وحكومتها.

وانى اقول جازما فى التعداد هذا ان تسعة من كل عشرة بقيت خارج التعداد ويمكن ان يكون التعداد واصوله يختلف عن ما رأيناه فى تركستان الشرقية. وبناء عليه يمكن ان تبقى ثمانون شخصا من كل مائة خارج التعداد جزما بدون شبه. وفى عام ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩ من الميلاد اعلنت حكومة الصين تعداد التركستان الشرقية انه مليون ونصف مليون نسمة, ولكنا نرى السياح من السياح الاجانب فى تركستان الشرقية وهم من اوربا وامريكا قالوا ان تخمين تعداد تركستان الشرقية لايقل عن ثلاثة عشر مليونا وبعضهم قالوا بخمسة عشرة مليونا وبعضهم بعشرين مليونا وهم خبراء ومتخصصون. فهناك فرق كبير جدا فيما بين التعداد الذى

اجزته الصين وبين تخمينات المتخصصين الاجانب وهم خبراء فى هذه الشئون. ونحن الآن نرجع الى الوراء قليلا وكما قلنا ان الاشاعة فى التعداد فى تركستان الشرقية اعمى النفوس ومنح للافئدة كآبة. بدئ التعداد فى تركستان الشرقية ومنذ البداية تهرب الناس عن دفتر التعداد وداروا حائمين على ان يتخذوا ذريعة للابتعاد عن سجل التعداد و لم يجدوا اسهل طريق فى الابتعاد هذا تقدم رشاوى للموظفين الحكومين لحماية انفسهم واهليهم واولادهم من تهلكة التعداد بقدر الامكان. وبطريقة الرشاوى هذا نسلمت العوائل من دفتر التعداد او قل اكثر العدد فى العائلة بقى دون القيد فى دفتر التعداد.

واني اقول لكم مثالا فى الابتعاد عن دفتر التعداد اقول كنت انا آنذاك فى تسعة العوام من عمرى وفى العائلة نحن ١٢ نفرا الوالدين واولادها. وكنت فى الصف السادس الابتدائى كنت اقرأ واكتب سعى والدى رحمه الله فى عدم تسجيل العائلة كلها فى دفتر التعداد ولكن الوالد لكونه معروفا لدى الجميع مايمكن ابتعاد العائلة كلها من دفتر التعداد بل كان عليه ان يسجل ثلاثة او اربع من افراد العائلة. وأتى فى بيتنا محافظ البلدة بنفسه وسلم على الوالد ثم جلس وكتب عن عائلتنا ثلاثا منهم الوالد نفسه وان تسعة من افراد العائلة بقيت خارج التعداد وانا ممن بقى منهم ولى اربعة اخوان بقينا خارج الدفتر. واعرف عائلة لها قرابة لنا يعيشون فى دائرة مغلقة وهم

خمسون نفرا نحت من التعداد او من سجل القيد بفضل رشوة بسيط ومن مثل هذه الوقائع كثير جدا فى مخيلتى لاحاجة هنا لذكره, وانتهى ذلك التعداد فى وقته تلك بستة اشهر قمرية. الامر الذى ينتهى فى زماننا التعداد فى منطقة من مثل تركستان الشرقية لايأخذ ثلاثة ايام فقط.

(تشكيل حكومة تركستان الشرقية فى عهد امبراطورية مانجو[1])

كان فى عهد مانجو ان الولاة فى المقاطعات يمثلون الامبراطور الصين واقرب المقربين اليه. بمثابة نواب عن الامبراطور نفسه يسمون بـــ جانجونك تعنى القائد العام. وكانت لهم امتيازات لاحدود لها ولهم مطلق الحرية فى ادارة شئون المقاطعات فهم حكام ليس عليهم مسئوليات وكل اجرآت الحكومة كان بمحض اختياره وآماله. وكانت التركستان الشرقية منقسمين لسبع مقاطعات وعليهم سبع من ذوات صفات جانجونك القائد العام. ويسمون المقاطعة بـــ تاو وكانت ولايتى ختن و كاشغر تاوًا واحدة تعنى مقاطعة واحدة. وكانت كل مقاطعة تحت ادارة وال واحد (القائد العام) وكانت

---

[1] فى كتب التاريخ والمصادر الصينية تأتى أسماء خمس سلالات واكثره التى تربعت على العرش امبراطورية الصين قديما, وهى تانك وسونك ويَوونْ ومينك وجين. السلالة الخامسة هنا هى سلالة جين وهى سلالة مانجو التى نحن بصدده الآن. تربعت عرش الصين عام ٦٢٥ من الميلاد حتى عام ١٩١١ من الميلاد وان هذه السلالات المتتالية قديما كانت الواحدة منها تحكم الصين بقرون عدة ثم تنهار وتمتلكها التالية ولكنها انقرضت منذ عام ١٩١١م وهم قوميات مختلفة التى تعيش فى الصين حتى الآن. (المترجم)

الصين تسمى الوالى بـــ دُوْته يْ وتحت كل وال ثلاثة من وكلاءه وعلى ثلاث درجات متفاوتة, يقال للاول شَنْ خواه وللثانى شَنْ وللثالث جينا وفى كل ولايه ذات والٍ مدير أمن تحت عنوان ليونك وبهذه الطريقة كانت كل شئون البلاد من أمنية واجتماعية ومالية وعدلية منوطة على تلكم الولاة ومن ينوب عنه من الوكلاء ومدير الامن العام. وكانت لهم صلاحيات معتمدة ومخولة يديرون شئون البلاد باختيارهم الخاصة.

واما الشئون العسكرية كانت لـــ جانجونك فرقة محافظ ومرفقتين من عسكريين ذو رتب عالية مثل فوته ى وهو معاونة لجانجونك ثم قائد الفرقة باسم تى ته ى ثم القائد بصفة آلآى باسم جينك ته ى ثم المنك باشى شه ته ى ثم الضباط الكبار ويقال لهم توكلونك ثم الضباط الصغار يقال لهم فوكن وسه وكن.

وكان هؤلاء الموظفون من المدنيين والعسكرين يلزم عليهم ان يكونوا من البوذيين الصينين. واما الاهالى الاتراك ومسلم الصين تونكان محرومين من تلك الوظائف. واما فى الارياف كان الاداريون فيها يسمح لهم اى للاتراك والتونكان ان يتقلدوا الوظائف الحكومية فى قراهم يسمون بك وميرآب اى الامير ومراقب الصرف والري.

واما الخارج التشكيلات الحكومية كانت هناك قضاة ومفتى وهم الرواد والأئمة فى شئون الدين والشريعة. واما من حيث القانون

ماكانت لهم امتيازات واختيارات ولاجل ذلك كانوا يديرون شئون الاهالى الدينية والشريعة لمحظ اداراتهم وارادتهم الخاصة بهم وتأتى منهم مظالم وضغوط وتكليفات قد يفسد شئونهم حتى فى الدين والشريعة والعقيدة. وكانت لهم ما ارادوا من مصالحة وفوائد وواردات غير منتظمة.

ومن المسلم ان الموظفين المذكورين المدنيين والعسكريين فى تنفيذ ماورد عليهم من تعليمات وتفويضات بما يرون جانبا من مصلحتهم المراد حصولهم عليهم بأى ضغط وظلم وضرب ونهب والتوقيف وليس للمظلومين من يسئل عن ظلامتهم بل ان الذى يشتكى للوالى فى مظالمه من فلان وفلان يسجن ويضرب ويعاقب بالاعدام تارة أخرى فعلى المظلومين أن يتحملوا مظالمهم بانفسهم ويسكتوا عليه.

٤- فصل

(التركستان الشرقية فى عهد الجمهورية فى الصين)

فى عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١١ من الميلاد غلبت ثورة حزب الشباب الصينى على الامبراطورية الصينية والاقطاع وأسست حكومة جمهورية وفعلا.. استفادت الاهالى فى داخل الصين وهذا ليس فيه شك. واما فى تركستان الشرقية اصاب الاهالى بالعكس

والحرمان وهذا ليس فيه شك ايضا. وذلك من وجهة نظر سين يات سين مؤسس الجمهورية حيث ان الأخير فى نظرياته حيال تركستان الشرقية لم تكن اخف وطئة من سياسة الامبراطورية من حيث إمحاء نا يسمى تركستان الشرقية من حيث الحرية والدين والعقيدة والوطن, هذا من جهة ومن جهة ثانية قام جانكونك الصينى تعنى الحاكم العام الصينى فى بلاد تركستان الشرقية رفض الانضياع لحكومة جمهورية الصين الحديثة وذلك بعد عامين من اعلان الجمهورية فى الصين عموما, ونكّد وظلم على اهالى تركستان الشرقية اشد عما كانت تلكم المظالم فى عهد الامبراطورية الصينية قديما. حيث ان الاهالى لم يُحسن قط، ان النظام الذى حدث بعد الجمهورية اختلف بل كان الظلم والحرمان والامحاء هو صورة وشكل ومضمونة, غير ان هناك بعض الصفات تغيرت وبعض الأسماء تبدلت, وهنا نحن نذكر بعض النظريات التى نظمها ابو الصين سين يات سين حيال تركستان الشرقية واهلها المسلمين الاتراك. وهذه النظريات المنظمة بالنص اخذناها بصورة وأخرى من داخل حكومة الجمهورية ونذكرها هنا بالنص الكامل أى كامل المخططات ونذكر أيضا عدم تنفيذ تلكم المخططات واسباب تأخر تنفيذ ذلك فى حينه حتى الآن.

١) البند الاول تهجير الصينين بصورة مكثفة الى تركستان الشرقية (شنجيانك) وتوطينهم فيها وفى كل مدنها وقراها.

٢) البند الثانى تربية كل اولاد (سنكيانج) تركستان الشرقية فى المدارس الصينية وتربيتهم تربية بثقافة صينية وان تفرض الجمهورية على كل الدارس التركستانية سيطرتها وتحولها الى مدارس ومعاهد صينية ان يفرض الحكومة سيطرتها على كل الاوقاف الاهلية من اراض وعقار وتصادرها مصادرة تامة وتنفق ربحها للدارس الصينية الحكومية.

٣) منذ البداية تكريس الخط والاملاء باللغة الصينية البحتةوكذلك التعليم وشئون المعارف والمسجلات تكون باللغة الصينية.

٤) استنادا على النظم والقوانين الجمهورية الصينية ان يعين وكيل واحد او نائب من كل ولاية فى تركستان الشرقية يمثل ولايته فى برلمان الجمهورية الصينية بصفة نائب فى مجلس البرلمان الصينى وان يشكل فى مدينة اورمجى مجلس نواب عن الولايات كلها وكل نائب يوكل وينوب عن ولايته بل عن محافظته (شَنْ) ويشترط على النواب فى كلا المجلسين ان يكون النائب حكما بقراءة وكتابة اللغة الصينية ويكون تعيين النائب عن طريق الانتخابات.

ونرى من هذه النظم والقوانيين الجمهورية فى الصين منذ تلك الآونة لا خير لصالح تركستان الشرقية لاجملة ولاتفصيلا.

ونعلم من هذا ان جمهورية الصين منذ ذلك الوقت وقبله تريد ان تكون تركستان الشرقية بلدا صينيا (وانها جزء لايتجزؤ من الصين) بتهجير الصينين بصورة مكثفة, وتريد الصين ان تكون تركستان الشرقية مملكة مستملكة صينية بحتة او ان تكون تركستان الشرقية ولاية من ولاية الصين الداخلية.

وان تنفيذ هذه النظريات الجمهورية تستند اولاً وقبل كل شيئ لتماسك الاهالى وانسجامهم مع حكومة جمهورية الصين وان لاتفوق النائمون من سيادتهم او ان يرحبوا بها كحكومة موحدة جمهورية والجمهورية فى عمرها الثانى فى ذلك الوقت لم تكتسب اصالة ووضوحا ورسوخا فى اقدامها بعد، حيث تثير الاهالى انقلابات هنا وهناك وثورات متنامية مباغطة من المدن والقرى. هذا من جهة ومن جهة ثانية ان جانجونك الحاكم العام الصينى لم ينصاع الى اوامر وتوجيهات جمهورية الصين فى الداخل بل اعلن ان (سنكيانج) منطقة خارج حدود الصين مستقلا بذلك وبهذا السبب لم ينفذ تلكم المخططات او ان بعض بنود المخطط تخبت منذ بدء بلا اجراء وان بعض الآخر لم ينفذ قط فى تركستان الشرقية فى حينه.

وان بعضها قيل انما نفذ, نفذ فى افواه الناس واشيع عنها اوامر واقوال أخرى ولكن الحقيقة غير ذلك بانما لم تنفذ قط كما اسلفنا واليكم ببعض مآل بعض البنود منها:

اولاً: لتنفيذ البند الاول من المخطط الصين قامت الجمهورية بترحيل وقتل سكان منطقة تاوخو التابعة لولاية كانسو فى الجنوب الشرقى منها وهم من مسلم الصين العصاة مئات العوائل نقلتها الى منطقة او ولاية قاراشهر وفى محافظة لها واسكنتهم فيها قهرا وكانت هناك قبائل من فئة قالموق ولهم اراض واسعة فالجمهورية طردتهم منها واسكنت المهاجرين فيها غصبا. ولكن هذا التهجير الصينى توقف بذلك لاسباب لانعلمها ونعتقد ان التوقف هذا كان لعدم فرصة الحكومة الجمهورية فى داخل الصين لأسباب ثانية وكان ذلك التهجير فى السنة الثانية للتجمهر (منكوى) تعنى الجمهورية.

وبخصوص اجراء وتنفيذ البند الثانى من الخطط الاجرامى صدرت تعليمات من الجمهورية الصينية بان تبنى مدارس صينية فى المدن والقرى وارسلت لذلك لجانا عدة من داخل الصين الى تركستان الشرقية وان اللجان المذكورة مع التشاور الحاكم العام جانجونك والولاة والمحافظين, بدأت فى بناء تلكم المدارس المزمع اقامتها فى المدن والقرى وجمعت او فرضت أمر جمع مواد البناء من خشب وطوب وحجر على ذمة الاهالى جبرا فتحمل الاهالى ذلك

وجمعوا لهم مااردوا وبنت اللجان المدارس فى كره متزايد من الاهالى, وعندما جاءت ظروف تسجيل الطلاب للمدارس هذه اعلن الاهالى النكران لهذه الامر وامتنعوا تسجيل ابنائهم فيها, ولكن اللجان لجئت الى القضاة المفتيين والأئمة وخطباء المساجد على ان يدعوا الناس بقبول الامر الواقع ويرغبوهم فيه ثم فرض على هؤلاء أمرا باجبارالناس فى تسجيل اولادهم وان يأتى كل فرد من هؤلاء القضاة والمفتين بمائة اطفال كل واحد منهم، واذا لم ينفذ الأمر و لم يأتوا بالاطفال تجرد من وظائفهم ويسجن وعليهم غرامة باهضة. ومنذ البداية تجرؤوا وتجاسروا لتنفيذ الأمر والفرمانات هذه خوفا على وظائفهم انهم عجزوا عن تنفيذ هذا الأمر لشدة مخالفة الناس على هذا المخطط الاجرامى, غير ان الامر لم ينته بهذا حيث ان الاهالى بدؤوا يرشوا الموظفين الحكومية المناط عليهم الأمر, خوفا على اطفالهم من تربية صينية فى مدارسها. وحصل الموظفون الحكوميون سوقا رائجا حيث تجنبوا من تسجيل اطفال آبآئهم الذين بذلوا الرشوة او قدروا لدفع الرشوة وسجلوا اطفال من عجزوا عن دفع الرشوة وهكذا انتهى بالسوق الرائج والكاسد معا, وبالنتيجة ان مدارس المدن إنتهت من واحد الى خمسة اطفال فقط واما القرى والقصاب وفى عدة قصبات مجتمعة جمعت مدرسة واحدة مليئة فقط. ومن جهة ثانية عانت الجمهورية وحكومتها فى تركستان الشرقية

امرين الاول: عدم تمكن مصاريف المدارس من اوقاف المسلمين لشدة امتناع الناس عنه. والثانية: عدم المعلمين فى تلكم المدارس حيث امتناع الشباب التعلم عن لغة الصينية فضلا عن تعلمها فى المدارس. ولهذه الاسباب آنفة الذكر لم تنفذ ولله الحمد البند الثانى من المخطط الاجرامى فبقيت هذه المدارس خالية وبعضها شبه خالية فضلا عن طفل او طفلة تعلم فيها حرفا واحدا ثم اقفلت بعد حين, حيث تناسيت المدارس تلك جميعها واصبحت خيالا بعد حين. وقيل ان بعضها اى بعض هذه المدارس بقيت واحدة او اثنين فى المدن او فى القرى, حيث جاءت عليها تعليمات مخطط تقول ان مالايقل عن عشرين طالبا او طالبة يدرسون فى هذه المدارس بالخط والاملاء الصينى لأجل ان يصبحوا مترجمين وكتاب فيما بعد.

واما فى اجراء تنفيذ البند الرابع من المخطط لم يشرع فى تنفيذه الا متأخرا وذلك ان فرمانا صدر فى السنة الخامسة من الجمهورية ان يأتى نواب البرلمان الصين من تركستان الشرقية نفرا من كل ولاية وتأسس فى اروبجى ايضا مجلس البرلمان مصغرة, ونأتى فى بيان ذلك فى باب انتخاب نواب البرلمان فى تركستان الشرقية فى هذا الكتاب.

(حكومتان ونصف حكومة فى تركستان الشرقية)

فى بداية انهيار الامبراطورية فى الصين وبداية عهد الجمهورية كانت فى داخل الصين امتيازات خارقة لصالح دول اوربا وهذا الأمر معلوم للجميع, وقبل سنوات قليلة من عهد الجمهورية فى الصين كانت فى تركستان الشرقية امتيازات فوق العادة لكل من روسيا وبريطانيا حيث ان السفراء المعتمدين ورعاياهما تتمتع بامتيازات خارقة فى تركستان الشرقية حيث ان الامتيازات الممنوحة لهاتين الدولتين تعد من عجب العجائب لم تكن مثلها فى الاعراف الدولية فى العالم كله بين دولة واخرى, ولذا قال بعض المثقفين فى تركستان ان فى تركستان الشرقية حكومتان ونصف حكومة فى ذلك الوقت حيث ان القنصل البريطانى دولة والنائب العام للقنصل الروس حكومة وحكومة جانجونك الحاكم العام الصينى نصف حكومة, ولو ان الكلام فيه بعض المبالغات الا انه فى الحقيقة كان قريبا للصواب من حيث المضمون والمراد.

وان تلكم القناصل الاجنبية لم تكن عندهم الرعاية لانظمة الصين فضلا عن رعايتهم الاعراف الدولية السائد, بل يعملون بمحظ إختيارهم واهوائهم حسب مصالحهم الشخصية وكانت بمعية القنصل الروسى جنود خاصة ومربض للمدافع الميدانية وكذلك القنصل البريطانى كانت لها فى البلد كثير من رعاياه. وكانت لها نفوذ فى البلد متساوية ولايرد اعمالهم ولا اقوالهم حتى من جهة الحاكم العام

الصينى جانجونك ولامن جناب الولاة فى المدن والقرى وبالعكس للقناصل حق رد كلام الحاكم العام الصينى وولاة المدن وفى الولاية. وللقناصل نواب فى كل مدينة وقرية باسم آقسقال لهم صلاحيات كبيرة ومعتمدة من قنصلياتهم, وكانوا يصدرون بطاقات رعوية لمن يشاء من التركستانيين او يختارونها هم فيكونون من رعايا الصين اوالروس. وان القناصل او من ينوب عنهم يفصل فى دعاوى وقضايا تلكم الرعايا دون محاكم البلد, واذا حصلت خصومة فيما بين رعية روسية او رعية بريطانية وبين اهل البلاد كانت القنصلية تفصل قضاياهم فى صالح رعايهم. واذا حصلت مثل هذه الدعاوى لدى المحاكم الشرعية فى البلد كانت القضاة ملزمين باحالة الدعوى الى قنصلية ذلك الاجنبى وكذلك القضاة الصينية. وكانت الرعايا الروس وبريطانيا غير ملزمين بالجمارك فى عروضهم التجارية وفى بعض المواقف كانوا يدفعون نصف قيمة المنصوص عليها فى نظم الجمارك. واذا وقعت طلبات لدى القضاة الشرعية القضاء الصينين جانجونك مثلا كانوا ملزمين بايجاب الطلب فى الحال وفى حالة التأخير كانوا يلقون من الاجنبى اهانة وحقارة وربما فصل عن مناصبهم. وكانت رعايا الاجنبى مسموحين بهم شراء اراض وعقارات فى اى بلد كان وباى صورة كانت. واما دعاوى شفعة من الاهالى فى العقارات التى اشتراها الاجنبى لااحد يستمع عليها وان الاجنبى اى رعايا الروس

وبريطانيا لما يمتلك العقار والاراضى كانوا يدفعون الرسوم المفروضة عليها وان سائر الإتاوات كانت معفية عنهم. واذا جئنا فى اى الاراضى والبساتين المملوكة للاجنبى لها السقيا والصرف والرى واما اراضى الاهالى وبستانهم يموتون بعطش وهم اى الاجانب لايبالون عليها اى على جيرانهم. وكانت رعايا الروس وبريطانيا الاجانب يعتدون على الاهالى بالاهانة والضرب واذا اشتكوهم الى الجهات المختصة لايستمعون الى شكاويهم.... حتى واحدا او اكثر من أهالى تركستان الشرقية اذا صادف او وقعت عليه مسئولية, او ان احدا من التركستانيين لم يستطع رى اراضيه او ان احدا عليه ان ينتقم من غريمه كان عليه ان يذهب الى معتمدى احد القنصلية الروس او بريطانيا ويقدم له حفنة من المال وتقدم نفسه له من عجز او غرامة كان المعتمد يصدر له بطاقة هواية ان من رعايا حكومة الروس او بريطانيا, فيكسب من تلكم الامتيازات, فلايجرء احد ان يعتدى عليه فتعتلى هامته شامخة الى السماء وان هذه الامتيازات الغير المحدودة لم تزل باقية حتى أواخر الحرب الكون الاولى حيث انهارت الامبراطورية الروسية قيصر وبقيت بريطانيا وقنصلياتها كما كانت فى تركستان الشرقية. ومنذ ان هرب روسيا القيصرية هانت الرعوية الروسية فبدؤ رعايا الروس يتملقون ويرشون الموظفين الصين فى تركستان الشرقية للحصول على رعوية الصينية, ومنذ ذلك توقف من رعايا الروس فى

تركستان الشرقية الامتياز وصاروا يراعون الاعراف الدولية فى حدود معلومة ولايتجاسرون التعدى على احد من اهالى تركستان الشرقية, ثم انحصرت امتيازات قنصلية بريطانيا فى فصل دعاوى رعاياها فى القنصلية فقط وألغيت سائر امتيازاتها فى تركستان الشرقية هذا بالنسبة لرعايا بريطانيا فقط. ثم بعد حين نزلت اعتبارات المعتدين (آقسقال لر) وصاروا يعملون لصالح القنصلية بصفة مخبرين فقط. وبهذه الواقع انتهت الحكومتان الاجنبيتان فى تركستان الشرقية وتكمل نصف حكومة بحكومة واحدة.

(جمعية قاراسيج – كوله نخوى–)

بعد التأسيس الجمهورية فى الصين سعت حكومة الجمهورية لتحديث الجيش الذى فى تركستان الشرقية لجعله جنودا عصريا من حيث التربية والنظم العصرية, ولاجل هذا ارسلت الى تركستان الشرقية ضابطا متعلما بتربية منكباشى اسمه يانك. وجاء يانغ هذا الى منطقة كورة التى عرفت بانها منطقة عسكرية فى ولاية إيلى فى

الجنوب الغربى منها. ويانغ جد واجتهد حسب مالديه من معلومات عسكرية حديثة ونظم الجيش تنظيما اساسيا وجلب للجيش اسلحة حديثة فصارت لديه قوة عسكرية لايستهان به من حيث التربية والتنظيم والاسلحة الحديثة ثم تطرق الى شئون أخرى مدنية حكومية وصار يتدخل فى شئون ادارة البلاد تركستان الشرقية باحتوائه الحاكم العام جانجونك الصينى وبرز اسم يانك تونك يعنى القائد يانك وان جانجونك فعل هذا برأى يانك تونك وفى اثناء ذلك جاء الى البلاد حاكم عام ثانى اسمه يوأن داخو بدلا عن جانجونك الاول وكان يوأن داخو مرسلا من قبل حكومة الجمهورية فى الصين ولكنه منذ قدومه الى تركستان الشرقية نحا نحو الامبراطورية القديمة المنتهية فى الصين مخالفا بذلك نهج الجمهورية الحديثة وحام حوله من به ميول لتشكيل الحكومة على انماط الامبراطورية القديمة, وعين يوأن داخو هؤلاء الناس رؤسا فى الدوائر المدنية والعسكرية وقالوا ان الحكومة تابعة لمركز حكومة الجمهورية فى الصين لفظا ولكنهم فى شئون الادارة والامور العسكرية ليسوا كذلك. وابدى يوأن داخو معارضته فى كل شيئ ينم الى الجمهورية الحديثة فحصل جفاء وفجوة فيما بين جانجونك الجديد يوأن داخو وبين القائد يانك تونك وفى احدى الليالى هجم يانك تونك على سراى الحكومة ورئيسها جانجونك وبدأ الاقتتال بين الطرفين وانهزم جانجونك وانتصر عليه

يانك تونك بجنوده المنظمة, فهرب يوأن داخو مع عدد من رجاله من إيلى وخرج من هذه المنطقة منطقة إيلى ثم أخذ طريقه الى داخل الصين عن طريق ولاية قمول. ولكن البلاد تركستان الشرقية كانت مليئة من الذين يختارون النهج القديم الامبراطورية بوجود من يختار الجديد الجمهورية. ولكن الاكثرية هم الفئة الاولى الامبراطوريين وان الاكثرية هذه اعلن حربا على يانك تونك بقيادة قائد عسكرى فى ولاية اورمجى اسمه فوته ى وصارت حرب بين الطرفين فى منطقة جينك الواقعة فى الحدود بين منطقة إيلى وولاية اورمجى ودامت الحرب لمدة ستة اشهر بالكامل.

وانهزم يانك تونك امام الكثرة الكاثرة وهرب الى ولاية كاشغر عن طريق منطقة موزآرت وأخذ يانك تونك يدور فى منطقة وادى تارم يجول ويصول يدعوا الناس لطرفه وحزبه وكانت هناك صينيون ومسلم الصين المستوطنون لبوا لدعوته وشكلوا حزبا[1] باسم (جمعية إخوان الامتياز) كوله خوى او كوله نخوى وذلك فى غرض تصفية جسدية وكانت الجمعية فى عموم مدن تركستان الشرقية وكان اعضاء الجمعية يلفون رأسهم بقماش أسود ولذا قيل لهم

[1] كانت المسئلة فى علمنا وكما كتبته جريدة الشرق الاوسط عام ١٩٩٥م كانت الحزب حزبا جمهوريا اسسها الجمهوريون فى الصين كوسيلة من وسائل تصفية الامبراطورية الصينية تصفية الجيوب والهارب بمنهم وكانت حزبا سرية يتعارف الاعضاء فيها بموجب شفرة معلومة لديهم ويوصى باسرارها يرمون من الكلام العادى وكانت مثل هذه الجمعيات فى اليابان ابان احتلالها تايوان فيما بين الحربين. (المترجم)

قاراسيج جمعيتى قاراسلله ليك لر. وتقول الروايات ان اعضاء هذه الجمعية اشغلوا مدنا من آلته شَهَرْ تعنى المدن الستة وفى بعضها اضطر الولاة بمحاربتهم وكذلك المحافظون. وكانت مقاصد الجمعية تطبيق قوانين ونظم الجمهورية الصينية فى تركستان الشرقية بحضافيرها وترك انماط الامبراطوريين وفصلهم عن وظائفهم غير ان بعض اعضاء الجمعية ضغطوا واعدموا بعض الاعيان والاغنياء وسلبوا ونهبوا وبثوا فى البلاد فسادا مريرا وجلب الى صفوفهم الصعاليك من الصينين ومن اهل البلاد اللصوص والقمارين واصحاب المسالك الفاسدة. ولذا تلقى الناس هذه الجمعية بانها جمعية السلب والنهب وباتوا ينفرون عنها وفى عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤ من الميلاد هرب يانك تونك من مدينة كاشغر الى وادى فرغانة حيث لم يوفق فى تدبير شئونه لوصول المطاردين له من جنود مدينة اوروبجى الامر الذى ذوب الجنود فى مجتمع وادى تارم ولكن هذه الجنود قتلوا كل الذين انتموا الى تلكم الجمعية قتلا لا هوادة فيه وبقيت بلاد تركستان الشرقية على يد المستبدين من الصين الذين اذاقوهم المرة من عهد الامبراطورية فى الصين قديما.

(استيقاظ وطنى فى تركستان الشرقية)

ان الغفلة التى عمت فى عالمنا الاسلامى الكبير كانت فى اتساعها حتى عام ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٣ من الميلاد وفى دوامها المستمر, وكانت التعليم والتربية فى مكاتب ومدارس البلاد يستمر فى منهجها القديم وكل قديم على قدمه ولم تمتد اليها يد الاصلاح والتجديد حيسما يقتضيه الزمان والمكان وليس له وجود له البتة, وكان علماءنا ومن فى صنفهم يصرون ان النهج القديم لايمكن بل لايصلح تجديده وتحديثه بل تبديله وكان هذا مايفهمونه هم ومن فى فلكهم. واما الذين يفهمون ان نهج التعليم والتربية منذ الاسلام الاول وحتى الآن قد تبدل كثيرا بل المرات تلو المرات فهذا الصنف من الفاهمين كان قليلا جدا وكذلك الذين يعرفون اسباب ذلك. وكان التركستانيون يستمعون تحديث وترقيات العلوم والمعرفة والذين بدلوا المناهج والبرامج وطوروا علومهم وصناعاتهم وترقياتهم بلغت شئونا كبيرا يسمعون هذا الكلام بوجل وخطورة.

وان بعض المغفلين منهم كانوا يقولون ان تغيير النهج والتحديث فى العلوم والفنون غير ممكن فى تركستان الشرقية, وهم يعرفون اسباب وتاريخ المنهج الحديث فى غير ملتنا وأمتنا المنكوبة. ونحن نقول ان أية ملة أو أمة تعتقد وتقدس القديم المبلد، وتركه يساوى ترك الايمان والعقيدة، وترى كل حديث وجديد كفرا ونقمة وانه مخالف للاسلام والانسانية ويخالف للاعراف ومباعد لسنن

ماقبلنا ومن ثم جهلهم وعجزهم وكسالتهم وترى كل رذيلة كمالا ومنهاجا وهّاجا, فاصحاب هذه الرؤيا فى الحقيقة لاترقية لهم ولاسعادة, ونقول ايضا ان انسان تركستان الشرقية ماكانوا كلهم مغفلين, بل كان من صنف العلماء والمثقفين من كان بهم ثقافة عالية وقابليات لاتهزم, وهم يحسون ان الشعب التركستانى لايقل علما وفهما ورقيا, من سائر الشعوب الارض فى عالمنا الكبير ويعلمون ايضا ويحسون ان الشعب التركستانى تأخر كثيرا عن ركب الانسانية المتفاهمة, وان الشعب التركستانى قليلوا البخت وبهم مركب النحس ولذا كان المثقفون منهم متألمون وملتاعون, وكذا كانوا يفكرون فى تخلص هذالشعب من كبوته هذه وجموده.

وأخيرا كان منهم الشيخ العلامة عبدالقادر بن عبدالوارث الارطوجى الكاشغرى وان هذا العالم الكبير قام عام ١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٧ من الميلاد قام بجولة حول العالم الاسلامى الكبير ومنه تركيا ومصر والشام حيث علم عن كثب حالة الترقيات العلمية والفنية والصناعية فى تلكم الاقطار المتقدم, ثم عاد الى البلاد حاملا معه الاصلاحات فى المناهج الاسلامية فى العلوم والتربية والتعليم واساليبها المتقدم واسبابها واصولها. تأسس عدة معاهد علمية فى مدينة كاشغر وغيرها من المدن, والف كتابا فى مناهج متقدمة ورغب صنف التجار والموسرين من عامة الشعب رغبهم فى طباع تلكم

الكتب الحديثة وفعلا قاموا بذلك الواجب, وسمى الشيخ معاهده العلمية بـــ (مطلع الهدايت) لاول ما اسسها فى مدينة كاشغر فمدينة ختن الجا وبلدة ارطوج ومدينة كوجا وتورفان. وكانت هذه المدارس والمعاهد تحتوى المناهج العصرية الحديثة آنذآك فى تركستان الشرقية, واسس معهدا للمعلمين على منهج واصول حديثة وشيقة وتقبلها الاهالى بشوق وطمأنينة و لم يخالفه احد وجلب لبعض هذه المدارس معلمين من تركيا, ومن امثال الاستاذ احمد كمال بك واسماعيل حقى بك وان مناهج الشيخ لم تكن قاصرة لتعليم الاطفال فقط, بل تعدى الى صنف الشباب والاحداث الموهبة, وشبانا مثقفين ممن لم يعاصر النهج الحديث وان هذه الشبان اوجدوا صلات متينة مع المعلمين والاساتذة فى ازدياد تثقيفهم وتعليمهم الاصول الحديثة. وكان منهج الشيخ عبدالقادر الكاشغرى ملهما ونبراسا لكل حديث وجديد شيق مقننا بالاسلام والعقيدة الصحيحة وكان يدير بعض هذه المدارس نفسه ويشرف عليها. وكان ديدنة الشيخ فى مشاويره هذه الدين والعلم والوطن وكان مثقفونا يتلقن دروسا من الاساتذة الاتراك معرفة كثيرة وعلوما تنم بالعلم والوطن وتحريرها. وكان المثقفون فى نصب اعين الشيخ ليلا ونهارا وبهذالتحديث والجديد النافع استيقظ كثير من المثقفين وشبه المثقفين من شبابنا آنذآك لخدمة الوطن والمواطنين. وقبل هذ المنهج كل الناس وسجلوا فيها اولادهم

بقوة وذوقة و لم يخالفها احد, وبهذا الحديث التأريخى الهام فى بلادنا استيقظ الناس كثيرا وفتحوا عيونهم على الدنيا حولهم وفى عالمنا الاسلامى الكبير, وصاروا يفكرون فى الدين والوطن وتحريره وصارت محاملهم غاضة بالمباحثين والمفكرين ينشدون الخير لدينهم ووطنهم. غير ان حكومة الصين المركزية كانت لاتريد لتركستان الشرقية اى تقدم وخير وسعادة . واصبح الناس يتكلم عن هذه النية المبيتة للصين وكانوا يتكلمون عن بعد عدم اقتراب الموسرين والأعيان والاغنياء انهم لايقبلون الى مثل هذا الخير الواجب ويشتكون منهم ويتحاورن فى مشقاتهم هذه وفى محافلهم وانديتهم.

ومن طرف ذلك قامت نخبة من الناس الخيرين يرجون بالمزيد من هذه المعاهد والمدارس التثقيفية والتعلمية الممتازة فى كل مدن البلاد مشرقها ومغربها جنوبها وشمالها. وصاروا يبلغون أمنياتهم وآمآنيهم هذه للناس وتوعيتهم بها. وفكروا فى تأسيس مراكز للنشريات وبهذا الصدد قاموا بتأسيس مطبعة فى كل من مدينة كاشغر ومدينة غولجا. ولإقامة جمعيات وطنية نشروا تبليغات وتوصيات بين الناس. وان بعضا من الاصلاحات هذه كتبها ونشرها الاستاذ احمد كمال ايل قولى بك فى مذكراته المسماة بـ الخواطر فى طريق تركستان والصين, وكانت الكتابة هذه بالتفصيل.

وبالخلاصة وحتى نهاية العام الثالث من جمهورية الصين سكتت حكومة الصين على هذه الاستيقاظ والصحوة القومية حيث ان الافراد الصينية والمقربون اليهم كانوا مشغولين بـــ جمعية اخوان الامتياز كوله نخوى.

ولكن حكومة الصين والصينيون كانوا يرون هذه الاصلاحات بانها يقظة قومية وانها خطر على مصالحهم في تركستان الشرقية. ولكن الصينيون ومن فى فلكهم قضوا على حركة كوله نخوى ووصلوا الى سدنة الحكم فى تركستان الشرقية بالشكل الامبراطورى القديم التى من عندها تشبثوا فى مابينهم ان هذه الاصلاحات يجب ان تموت فى مهدها وانها خطر علينا, وكانت هذه الشائعات كشرارة شر وكنار فى الهشيم فشوقه الميالون الى الصين الى تدمن هذه الاصلاحات ومراكزها وتخدمها من الآن وشبثوا بها اسيادهم الصينين الذين ماكانوا مطمئنين بها غير ان تشبث أذنابهم شجعوهم فى القضاء على حركة الاصلاحات الفتية. ففى أواخر عام ١٣٣٣هـــ الموافق ١٩١٤ من الميلاد قفلت الحكومة الصينية مدارس الاصلاحات كلها من المدن والقرى فى عموم تركستان الشرقية, واحالت طلبة تلكم المدارس النجيبين منهم الى المدارس الصينية وافسدت مرئياتهم ومعالمهم.

والذى تكلموا عن مدارس الاصلاح حبست بعضهم وكافؤوا بعضهم بالجزآت وكسرت بعض المطابع والبعض الآخر منها صادروا.

وبهذه الحركة الظالمة قضت الحكومة الصينية على آمال وآمانى آهآلى تركستان الشرقية التى هى اى الاصلاحات كانت محط امانيهم وآمآلهم وركنتهم ركونا لايتحرك فماتت تلكم الاصلاحات التى قاربت قطوفها دانية, غير ان يقظ الامة بقيت باقية لاتحيد والمثل يقول" لايمكن ان تنوم اليقظ". ونحن نؤمن ان سعادة تركستان ورفاهيتها لايمكن الا اذا تحرت من ربقة الاستعمار الصينى البغيضين وان اليقظ الناس وحبهم لتحرير وطنهم وتراب ملتهم يضمرونه فى خيالهم ولايبوحون به جهارا حيث ان الظلم والاستبداد البغيض كبلتهم، ولاجل ذلك ان التركستان واهلها متخلفون ومتأخرون من ركب الحضارة والرقى والازدهار.

(المحاكمة)

واذا نظرنا بعين الانصاف والعدالة لما جاز لنا ان نقول ان تأخر تركستان الشرقية وتخلفها من سبب ظلم واستبداد الصين وحكومتها الجائرة. حيث ان الصين هى العدو لتركستان الشرقية منذ ثلاثة الاف سنة. ولايهم الصين ان تنقلب التركستان الى خرابة

وهذا طبيعى حيث ان الصين كافئت وجاهدت فى تخريب تركستان الشرقية منذ الاول كما ذكرناها سابقا فى هذا الكتاب. وان الصين تعمل اعمال التخريب فى تركستان الشرقية فى الحال والمستقبل وهذا لايخفى على من به قطفة وذرة ذكاة, واذا فكرنا ان الصين (سوف) تكون صديقة لتركستان الشرقية لايمكن ذلك لأن الصين أمة محتلفة ومتأخرة بين امم الارض كلها والفاقد لايعطى. وانها فى حاجة ماسة فى ترقية نفسها واصلاحها وتقدمها, فاذا كانت الصين فى حالتها هذه من اين لها ان تفيد شيئا لتركستان الشرقية. واذا فكرنا بهذه الطريقة تبقى مسئولية التخلف والتأخر العبودية تقع المسئولية على اهل تركستان نفسها حيث ان سعادة امة ورخائها وتحررها وانمائها تنبع من نفسها وتسعى لسعادة نفسها بنفسها وانها كلها واجبة على الاهالى اصلاحا وتوجيها, ولتأمين هذه السعادة يجب عليهم ان تكافحوا وتجاهدوا وتكابدوا وان يزيل كل عوائقهم فى اسعاد تحرير انفسهم بنفسهم وبارادتهم وصلابتهم صلابة لاتلين, وان اى مشكلة او محنة يجب عليهم دهرها وتدميرها وتفتبت صخورها الصلدة كواجب حتمى, وهذه الصلابة لايتأتى الا بالاتفاق والتضامن والاعتصام بحبل الله وروح الوطن وواجب المواطنة الصالحة لاجل يومه وغده وهذه هى وظيفة مقدسة على رقابهم هل هم فعلواها واقدموا اليها؟؟ الجواب الف كلا وان بعضا منهم جدوا واجتهدوا

وكافئوا لاجل اسعاد انفسهم واولادهم وبناتهم فقط ليس الا, مع الاسف الشديد ولو ان هذا البعض جدوا واجتهدوا لاسعاد انفسهم واولادهم بشكل ابتدائى اوبجزء للتحسن ولابتدائية هذا الجد وضعفه وقفوا دون اى امانة ولوبسيط وتركوا جدهم ومصابرتهم. بينما تجدهم متأثرين فى ضمائرهم ووجدانهم ولاترى منهم جدا ومثابرة ووحدة ولا ادنى حركة لمستقبلهم.

وكان هذا أسباب التقصير عن واجبهم نحو تحرير تركستان الشرقية وكانت تركستان الشرقية واهلها منذ مدة كبيرة وقعت تحت الأسر والقسر الصينى البعيد ولم تكن فيما بينهم تقارب واتحادهم حتى أنهم بعدوا عن ديانتهم الاصلية كمسلمين فلاتجد فيهم الوطنية والاخلاص لأهلها وهم مجردون عن تلكم الخصوصيات ولم يكونوا مثل ابهاتهم الاتراك الذين كانوا من طبيعتهم الايجابيات وليست سلبيات. وكانوا مشبعين بتعليمات الاسلام كدين مقدس وكانوا يحبون الدين والوطن واهل الوطن. وكانوا يفدون بانفسهم لاجل تلكم المقدسات والآن قد ترأسهم من هم خواء نفسهم من تلك الخصوصيات الايجابية, وبخلاء وعجزة وخوافون بحيث يصدون الناس من الاقتراب الى تلكم الخصوصيات الايجابية. ولاجل ذلك اهتم الناس بل كل واحد منهم اهتم بما يخص لانفسهم ولو كان الامر أمرا تافها وبسيطا للغاية, ولا تجد فيهم النداء والتضحية وعمل جاء،

وبهذه السلبيات انهم يتمنون الجنة وسعادة الاخرة من لاشيئ بل بالمجان!! وتعودوا على ذلك اكثرهم بل كثرة الكاثرة منهم.

والخلاصة انهم اى اهل التركستان الشرقية بقوا فى ظلام دامس بل فى ظلام هالك وقد قرروا انهم سيصدمون على كل الزلة والبلاء ويقولون انها قضاء الله وقدره يجب علينا الصبر كما رضينا ببلواه, وبهذا انهم تعودوا ان يعيشوا هكذا دون امل او مجرد رجاء وانهم محكومون بل معدمون وهم فى وجودهم هذا.

هل تأملون من مثل هذا الشعب بل من بعضهم بدون علم ودراية ومن غير دعم ومساعدة ومن دون تجربة ان تعمل البعض هذا؟ ويكف غير واحد منهم بل نخبة من المثقفين ان ينتشلوهم من ورطتهم وبلائهم هذا هل تأملون ذلك؟.

وان هذه النخبة من المثقفين تستطيع من يؤمنهم مساعدتهم وفلاحهم, وبالخاصة ان النخبة هذه لم تدخل تحت التنظيم والتربية الجادة وان هذه النخبة فقط استيقظوا هل هى تكفى بتأمين جمعاء.

وان اهل التركستان الشرقية عندما تعرضت لبعض الظلم تركوا واجباتهم الوطنية والقبلية وخضعوا لحكم الصينى الجائر وحطو برقابهم الارض امام تسخير الصين عليهم, فهل يقبل التاريخ عذرهم هذا؟ وهل يقبلها العقل؟ ومن النتائج الميدانية نرى ذلك البعض من المثقفين والذين يدعون الوطنية واهم واهم. نراهم فى الميدان ان تلكم

الخصائص النورانية كانت فى افواههم فقط دون حناجرهم ناهيك عن قلوبهم وفعالهم فى الميدان العامة.

والامر هذا, نرى ونقول ان فى تركستان الشرقية كلها كان المثقفون قلة بحيث نعدهم باصابع يد واحدة او اقل الذين هم كانوا فى الطريق الجاد المستقيم وأنهم فعلوا مافعلوا ولكن اليد الواحدة لاتصفق. وان حتى هذه الفئة القليلة لم يستطع ان ينجز عملا يخصهم لانفسهم دون صالح او مصلحة غيرهم, والسبب انهم ماكانوا مظفرين من جهة دينية او من جهة وطنية وانهم محرومون من الدعم كليا, ولم يكونوا يملكون مالا او جاه, هذا من جهة ومن جهة ثانية تقابلهم فئة لها دعم من الوجهة الدينية ومن اهل البلاد وطنيا مترادفتة مع الحكومة الصينية والصينين ولهم ثرواتهم ويسرهم وكانت هذه العناصر الاخيرة تتغلب على المثقفين بقلبهم وعدم نفوذهم.

وفى تركستان الشرقية التى تتسع مساحتها بمليون وستمائة الف كيلو مترا مربعا وذات خمسة عشر مليون نسمة. بهذا الكبير من المملكة وبهذا لنفوس الكثيرة الامر الذى يعنى بحياتهم وحمايتهم وتحريرها من الصين وادارة شئونها ليس امرا هينا ولايسرا بحد ذاته اليس كذلك؟ وبالخلاصة ان الذين كانوا يقولون اننا وطنيون ونريد استقلال بلادنا واسعاد مستقبلها اذا هم اخلصوا فى خدمتهم هذه, حيث ان الاتحاد كان جزءا من هذا الواجب المقدس ولم يتحدوا ولم

يتصفوا بهذه الصفات ولم يرتقوا اليها واذا اتحدوا وتظافروا وترابطوا لكان ممكنا نجاحهم وفلاح امتهم وتحرير ديارهم من الاجانب حينذاك.

واذا كان المثقفون ولو انهم قليلون بالنسبة لمخالفيهم لو انهم اتحدوا وعرفوا الصبر والمصابرة والمساعدة لغاية مقصودة وسعوا الى تحقيق مقاصدهم بكل تضحية واخلاص لكان تذليل العقبات وتجنب المخالفين اوالجر الى صفوفهم ميول الطبقة النائلين نحن على رأس الحكومة لكان على الامكان عمل شيئ كبير وهو اسعاد الآخرين من اهل البلاد. ونحن نقول وقد قلنا مرارا امة الوطن لايتخلص من خصومها الا بتوحيد الفكر ووحدة النصر وقدسيته ثم الصبر والثبات وغيرها من الرموز النيرة مجتمعة يمكن ان ننير الطريق ونفتح الابواب المغلقة اليس كذلك؟ فأين هم المثابرون والصابرون والفدائيون فأين هم الرءوس الذى اينعت والتى عندها نجنى الثمار ونعيش فى ربوع خالد ونعيم ساخن! وقبل هذا كان من الممكن ان نميل تلك الرؤوس الى صفنا من صفوف المخالفين سواء كانت من الاهالى او من الحكومة فى تركستان الشرقية. واذا كانت امتنا مثل الامم الحرة فى مصر والشام وفلسطين فى جهادهم ووحدتهم ومثابرتهم ولو عشر معشار هذه الصفات فى امتنا فى الوطنية وجهادها وهم متحدون ومثابرون لتحققت سعادة تركستان الشرقية دون شك وريب, حيث

ان الصين فى تلكم الايام ماستطاعت ان تدير نفسها من اجل الضعف والتفكك فلا كان لها المقاومة اوالتقابل على امة فيهم فدائيون ومضحون لتحرير امتهم وبلادهم, ولاجل فقدان الوحدة وعدم الثبات الامر الذى جلب الينا الذل والضعف, ولاجل ان هناك فى المقابل دولة تهددنا وتمزقنا نامت عيون رؤسائنا واقطابنا من الخوف والوجل.

والآن ان تهديدات فرنسا وبريطانيا على شعوب مصر والشام وفلسطين كانت تهديدات واقعة ومميتة, وبالمقابل ان تهديد الصين علينا لاشيئ ولاعشر معشار تهديدات فرنسا وانكليز على مصر والشام وفلسطين والعراق جميعا. والنسبة بيننا وبين الصين وبين مصر وعراق والشام وفلسطين من تلكم الدول الاوربية والنسبة واحد فى المليون فقط لاغير.

وان المحنة التى حاقت على تركستان الشرقية فى الوقت الحاضر وآلت اليه تركستان سببها التفرقة وعدم الاتحاد وضعف وغفلة الامة اصحاب الحقوق الشرعية وليست لديهم غيرة ومنعة.

هيهات هيهات ياامتنا العزيز اعتبروا عن ماضيكم وانظروا على أمم الارض فى غيرتهم وهم يفدون نفسهم ونفيسهم لاسعاد أمتهم واولادهم، اتركوا الجبن والحزن وتشبثوا بالآمآل وتكون لكم

غيرة وحمية واتحدوا فيما بينكم واتركوا الغفلة والاتكال والكسل. اما انتم اناس مثل امم الارض قاطبة وجاهدوا فى الله حق جهاده.

(فــقدان نــفوذ جــمــهورية الصين من التركستان الشرقية)

وعندما انتهت او اسكتت حركة جمعية مايسمى كوله نخوى جمعية اخوان الامتياز. وصفيت البلاد من انقلاباتهم بدأ الصينيون فى كل من منطقة اورمجى ووادى إيلى بحاضرتها غولجا بدؤا يناقشون بعضهم بعضا فى نزاع للحكم وذلك ان كل واحد من الفريقين يدعى ان يكون الحكم تعنى منصب الحاكم العام فى طرفهم, ودامت هذه التراعات اشهرا عدة ثم تحدى لهم صينى واحد اسمه يانك زينك شين حيث تغلب على الفريقين باعلان نفسه حاكما عاما وكانت الغلبة له بمساعدة مسلم الصين فئة التونكان لكونها الاكثرية ولديهم اسلحتهم وكان المساعدون له من سكان مدينة اورمجى فاتخذها عاصمة له.

وكانت حكومة الصين المركزية فى بكين مشغولة مناوشات وقعت فى داخل الصين حيث لم يكن لديها وقت كاف لمعالجة شئون تركستان الشرقية فتوقف نفوذها من البلاد تركستان الشرقية. فاغتنم

هذه الفرصة الحاكم العام (يانك زينك شين) وطلب من حكومة الصين المركزية ان تصدق حاكميته على منطقة تركستان الشرقية. وقال يانك انه بصفته هذه يحكم البلاد تحت حماية حكومة المركزية فى بكين. ولاجل ان تحفظ الصين المركزية ماء وجهها صدقت على حاكمية يانك فى تركستان الشرقية وكان التصديق دون قيد اوشرط من قبل حكومة الصين المركزية.

ولكن الصينين الذين فى منطقة إيلى لم يسكتوا وقاموا بمناوشات ضد يانك وعندما كثرت هذه المناوشات عين يانك احد مقربيه قائدا عاما (جنك جوسى) على الجنود واقام وجنوده فى مركز كوره احدى منطقة إيلى منعا لمناوشات المنشقين فى منطقة إيلى.

وفى اثناء حرب الكون عام ١٩١٨م — عام ١٩١٤م دخلت الصين فى الحرب من جهة ومن جهة ثانية هناك فى الصين نزاعات سياسية بين الحزب الجمهورى وحزب كوميندانك وضعفت الصين ضعفا شاذا, وعندها استفاد يانك من هذه الفرصة فسك أذنه عن اى تعليمات ترد من داخل الصين, وحكم البلاد حكما دكتاتوريا امبراطورية واستبد بالبلاد وحينا من الوقت تغير بعض اساليب الحكم تغيرا بسيطا لاسباب وقتية ولكن وبعد حين تمسك يانك بدكتاتورية واستبد بالحكم كما كان, ودامت الاحوال بهذه المنوال حتى اغتيل يانك زينك شين. عام ١٩٢٨م وخلفه صنوه جينك شورين فى سدنة

الحكم حتى عام ١٩٣١ انه لعبت ثورة عارمة فى عموم مناطق تركستان الشرقية.

(يانك زينك شنك فى تشكيل سياسة)

كان يانك ذو افكار سيئة من ذوى استبداد ومزاج امبراطورى وقد تنقل من منصب الحاكم اى المحافظ ومن منصب الوالى يساوى الامير وكان عمره عن تولية منصب الحاكم العام قد تجاوز الستين وقد تعود على الظلم والاستبداد وكان رجلا حريصا للغنى الفاحش.

ولنمائه وتدرجه فى المناصب الادارية كانت له خلفيات فى الادارة السياسية, وكان يستطيع ان يسايس كما فعل فى سياسة حكمه فى تركستان الشرقية وسياسته فى تسايس حكومة الصين المركزية. الامر الذى اخفى فى الحكم الفترة فيما بين عام ١٩١١م — ١٩٢٨م فسوف نأتى بقرائنا الكرام الى تلكم الفترة فى حكم سياسة يانك.

كان يانك يعرف جيدا ان اهالى تركستان الشرقية ليس لهم علاقة فيما عداهم من المسلمين وغير المسلمين, ويعرف ايضا ان المثقفين منهم قليل جدا. وبهذا السبب يمكننا التحكم فى رقابهم بمجرد فسحهم فى التجارة والشئون الدينية والتسامح فى بعض الجزئيات من الامور وتراعى بعض شئونهم الخاصة. وبهذا كما قلنا يمكن لنا التحكم فيهم كيفما نشاء.

ولذا دئب يانك فى بادئ الامر من حكمه ان فسح للاهالى شئون دينهم وانهم يفتحون المدارس والمعاهد الدينية ويفتح الجوامع والمساجد للمصلين منهم, ويسمح الادارة اوقافهم كما كانوا سابقا ويدرسون الدين والعقيدة فى مكاتبهم ومدارسهم وان يانك اعلن ذلك للملأ.

وبالتالى ان يانك وحكومته تحترم القضاء الشرعى ويسمح للقضاة الشرعين لمزاولة اعمالهم القضائية. وكان ليانك فرمانا بان يكون الفصل فى كل قضية من قبل القضاة الشرعين مطابقا للشريعة الاسلامية وان الولاة الصينين والحكام منهم ليس لهم حق فى نقض حكم الشريعة الاسلامية الذى صدر من المحاكم الشرعية.

وفى الشئون التجارية لاى شخص من الاهالى له حق مزاولة التجارة وتسويق بضاعته وبيعه وشراء والسفر بها الى اى بلد آخر مسموح لهم بشرط الغاء الرسوم الجمركية لبضاعة.

ومما قال يانك بالنسبة للصينين المقيمين فى البلاد, ان البلاد برمتها بلد اسلامى واهلها مسلمون فلايجوز للاقلية الصينية ان يكون لهم حق شرعى فى البلاد فوق حق المواطنية فقط. ولو كان مثل هذاالاعلان الأخير لايلتفت اليه فى حينه.

ولكن يانك لايقر لأحد من الاهالى الاقتراب لشيئ من الشئون الادارية فى الحكومة. ولكنه تساوى بين الصينين والاهالى فى امور مدنية وقضاء جنائية لايفرق بينهما فى الحكم.

وان يانك هذا اعاد صفات "وانك" و"كونك" الى اصحابها كما كان قديما وان هذه الصفات لما عادت الى اصحابها صرفوا لهم معاشاتهم المتأخرة, وعين بعضهم فى وظائف حكومية من وظائف مدنية او عسكرية. وبهذه الطريقة ربطهم يانك الى ملكه وميوله. واما الذين درسو فى المدارس الصينية عينهم فى وظائف صغيرة فى الحكومة وقررلهم رواتب بسيطة.

وكان يانك زنك شينك هذا يرضى المشايخ الدينية وصنف الاغنياء والاعيان بالتودد اليهم وبسماع كلمتهم. ولم يكن هؤلاء الاصناف والاعيان والمشايخ قد لمسوا بأقل انصاف ورعاية من حكومة الصين فقط فيما مضى من اعمارهم, فاهم بهذه الرخوة من يانك قالوا انه الحاكم المسلم المنصف. ولكن المثقفين من الاهالى وهم

قلة كانوا يقولون ان سياسة يانك هذا فى صالح نفسه وان هذه الاساليب من الحكم مضرة ومهلكة على تركستان واهلها.

ولهذا كانوا اى المثقفون يفكرون فى التخلص منه ومن حكومنه غير انهم كما قلنا سابقا غير مرة ان المثقفين كانوا قلة لاحول لهم ولاقوة حتى ينشروا الوعى هذا لعامة الشعب ومع ذلك كانت فكرة المثقفين خطرا على حياتهم وهم واقعون تحت انظار الاعيان والاغنياء فلايمكنهم البوح بافكارهم للغير اطلاقا ويخافون على ارواحهم.

وان العوام وقد يتحملون الإتاوات والضرائب الثقيلة من الحكومة ويتحملون ظلم المأمورين وسيطرتهم المؤلمة ولم يتقدموا بشكاويهم ولايتظلمون الى الجهات العليا لأن شكواهم اذا لم يوافقوا عليها الاعيان والاغنياء والاذناب لايلتفت اليها فى الجهات العليا فلاتفيد دون من شكاويهم اذاشتكوا.

وان حكومة الصين لاجل ان يكسبوا طاعة ورضا اهالى تركستان الشرقية وليغطوا فطانتهم برضا الاعيان والمشايخ والاغنياء منهم حسب مافصلناها فى السطور السابقة.

وكان من سياسة يانك ايضا ان يكسب يانك رضاء الحكومة المركزية للصين كان يقول دائما ويذكر يانك انه لايحيد من طاعة واتباع الحكومة المركزية وكان يانك ينفذ بعض تعليمات

الحكومة المركزية واوامرها اذا ما تعارت تلكم التعليمات على مصالحه الخاصة فى البلاد. وفى الحقيقة كانت حكومة يانك تابعة لحكومة الصين المركزية ليس الا.

وكان يقبل يانك وينفذ بعض مراسم الجمهورية الصين فى المناسبات من حيث ان يانك اذا لم يقبل اوامر وتعليمات جمهورية الصين المركزية كان يجب عليه اعلان الاستقلال عن الصين المركزية. وفى هذه الحالة كان عليه ان يملك قوة عسكرية هائلة وعليه واجبات أخرى.

ولايكفى عدد الصينين المهاجرين فى البلاد فى اعداد قوة عسكرية هائلة فى حالة اعلان يانك استقلال البلاد عن الصين المركزية. واما تجنيد ابناء الاتراك كان خطرا حيث ان الاتراك اهل البلاد اذا تملك السلاح كان يستعملها ضد يانك زنك شين, وهذا الامر لاريب فيه وكان الاتراك حينذاك يكسر شوكة الصين المهاجرين ويأتى على خاتمه.

وكان يانك زنك شينك يريد ان يجمع له ولنفسه فقط ثروة تركستان الشرقية وان التجنيد يكلف مبالغ طائلة وكان يخاف عليها اى المصاريف الكبير ويخالف فرصه ومقاصده.

وبهذه الاسباب الذى ذكرنا حرص يانك لاعلان تابعيته للصين المركزية بصورة اجبارية.غير ان. يانك أهمل الوفاء من تعليمات

واوامر الصين المركزية, والذى نفذه من التعليمات الصادرة اليه ثلاثة اوامر فقط.

ان يرسل يانك نوابا الى مجلس البرلمان الصينى فى بكين.

ان يفتح مجلسا شورية فى منطقة تركستان الشرقية (سينكيانج)

ان يؤسس فى البلاد تلغرافا لاسلكية ومصانع للسلع الاستهلاكية.

غير ان تنفيذ الثلاثة المذكورة نفذت بصورة تخدم لمصالح يانك نفسه ونحن نأتى به بذكره مفصلا فى بابه.

وان حكومة الصين المركزية تكاد ترضى عن يانك وحكومته وسياسته وتعرف ألاعبه. وتعرف ان يانك يحكم البلاد بحكم دكتاتورى وانه حكمه تخالف مراسيم وتعليمات جمهورية الصينية تمام المخالفة, وان يانك يحكم البلاد بحكم استقلالى غير ان الجمهورية الصينية ارادت ان يحفظ ماء وجهها. وثانية ان حكومة يانك تحفظ منطقة سنكيانج تركستان الشرقية بانها حمية صينية وتابعة لها, ولذا عاملته جمهورية الصين المركزية وكانها لم تعرف شيئا. فليكن يانك دكتاتوريا لاينفذ تعليمات الجمهورية ولامراسيمها.

(الانتخاب فى تركستان الشرقية)

ارسلت جمهورية الصين أمرا الى يانك زينك شينك بان يهتم بمراسيم وتعليمات الجمهورية الفتية. وان ترسل حكومة تركستان الشرقية سنكيانج سبعة نواب برلمانية مختارة من سبعة ولايات آنذآك فى تركستان الشرقية نائبا واحدا من كل ولاية وان تفتح حكومة تركستان الشرقية مجلسا برلمانيا وبصفة مستشارية فى الحكومة وان تختار من كل محافظ نائبا واحدا.

وانى أرى ان أوصف وأبين صفة أو ماهية ماتختاره حكومة تركستان الشرقية فى تلكم المجالس والبرلمان الصينى. وذلك ان المختارين من ولاية تركستان ومجلس المستشارين فى تركستان والبرلمانيين الموفدون الى بكين لمجلس البرلمان الجمهورى (كومن داخوى) كان الواجب على رئيس الحكومة وولاته ان يتدخل فى اختيار بل فى انتخاب تلكم المستشارين والبرلمانيين وان الشعب برأيه الخاص وبكامل حريته وارادته ينتخب تلكم الاشخاص وان الحاكم العام بدور يعرفهم للمركز الجمهورى الصينى ويرسلونهم الى برلمان الصين الجمهورية. وان النواب يقوم بدورهم بتقديم مطالب جمهور الشعب فى تركستان الشرقية التى فى مصالح الشعب التركستانى. وان أى اجراء يكون من قبل الحكومة لغير صالح الشعب يرفضه البرلمانيون والمستشارين من الحكومة يرد هذا الاجراء او يعلقه من غير اجراء

وان يقوم المستشارون بسن قوانين تصلح وتخدم للشعب ويرد عاداتهم وتضرهم اوالامر الذى ليس شعورهم كشعب حر سواء كان الامر اوالقانون اداريا اوسياسيا اوعسكريا بعد أن وافق عليه جانجونك الحاكم العام. وبهذه القوانين يستطيع البرلمانيون اوالمستشاريون بمراقبة جانجونك وحكومة، هل اجراءتهم سليمة او غير سليمة وعند عدم صاحية الاجراءت واى اجراء مخالفا لما سنواه وأقر بها جانجونك فللبرلمانيين والمستشارين الرفض او تعليق ذلك الاجراء وعدم تنفيذه.

ولكن هذه الشكليات من اختبار برلمانيين وتأسيس مجالس المستشارين فى نظر جمهورية الصين كانت الغوية ليوهم العالم ان تركستان الشرقية حكومة تابعة لجمهورية الصين وان فيها اى فى تركستان الشرقية حكومة برلمانية ولها نواب فى برلمان الصين يمثلون شعبهم ويقدمون مطالبه ويردون مضاره وماهو فى غير مصلحته.

وان مصداقية البرلمان فى العالم ان يكون النواب احرارا ومختارين من الأمة وانه يحاسب المخالفين على القانون والنظام ولو كان هذا المخالف رئيسا للحكومة او رئيس دولة وان يقدم النواب شكاويهم ضده ويطالب فى حقه سيادة القانون والنظام وللنواب ولو كان نائبا واحدا ان يطالب عزل الرئيس عن منصبه الرئيسى, وان يجازى حسبما يقتضيه القانون من سجن وغرامة او بكليهما معا. غير ان النواب من تركستان الشرقية آنذآك فى برلمان الصينى ليسوا الا

نماذج واشكال لايلتفت اليه حيث ان تأسيس جمهورية فى كل دول العالم ينبنى على اساس الديموقراطية ادارة حقوق الانسان و احترام مقاصده ومرامه الادارة التى تشكلت بهذه الصورة (البرلمان الحر) وتشكيلاته.

واما تركستان الشرقية (سنكيانج) سواء كان القصد فى نوابها تبغى مقاصد متماثلة الجمهورية الصين المركزية اومقاصد ومرامى يانك لم تكن ان تبغى النواب ممثلين عن شعوبهم كما هو المعروف من تمثيل الأمة فى برلمانهم حسب مايقتضيه قانون البرلمان الدولية فى عصبة الأمم (المنظمة الدولية).

كما قلنا سابقا ان جمهورية الصين لم تكن قاصدة فى جلب النواب من تركستان الشرقية الى برلمان الصين ان تبرز تركستان الشرقية شعبا متقدمة ولأأمتا لتمثيل الشعب فى تركستان الشرقية كشعب حر. بل ليوهم دول العالم ان فى سنكيانج حكومة وشعبا تنتمى الى جمهورية الصين ويمثلهم نوابهم فى برلمان الصين فقط لاغير. وان لهم مجالس للمستشارين ولنواب نواب الشعب التركستانى. ولعل يانك يجيد فى هذه الألعوبة مايفيده وفق معايره المضللة, حيث ان نفذ تعليمات جمهورية الصين وفق مقتضى ثاره الحالمة ان هذه التعليمات ان لم تكن نافعة له لاتكون ضارة عليه وهذا مايراد فى الانتخاب بتركستان الشرقية بالوجه المقلوب والمغلوب. واما حكومة الصين او

جمهورية الصين ولاجل ان يانك يقبل تنفيذ التعليمات جعلت كل الخلفيات المتعلقة بالأمر الى مايراه يانك حسب اساليب يانك بالاجرات. غير ان جمهورية الصين الحكومة المركزية فى بكين آنذآك ارسلت بعثة لمراقبة الانتخابات فى تركستان الشرقية. الا ان حكومة يانك لم تعرف الشعب عن كيفية الانتخاب والشعب جاهل عنه و لم تعلمهم قوانين الانتخاب بمايجوز ومالايجوز. وكان الشعب جاهلا عن كون النائب البرلمانى رجلا او امرأة يختاره الشعب بكل حريته ويحمله مطالبه بما يرتضى به.

وبالخلاصة ان حكومة يانك لم تعرف حبى هذه اللحظة بحقوق الشعب و لم تحترمها قط.

حيث ان يانك بصفته رئيسا لحكومة تركستان الشرقية اختار نفرا من محبى الصين قلبا وقالبا وهم عباد المناصب والجاه ولايعرفون الحكم والحكومة وناهيك عن الانتخاب ومراميه ومقاصده وصفة النائب البرلمانى وصلاحياته ووزنه فى نظر عامة الشعب, والشعب لايراهم ولايعرفونهم وهم فى واد والشعب فى واد آخر.

غير ان يانك أخذ توقيعات بعض الاعيان والاغنياء وغلبة القوم على منشور ينم عن شئون الانتخاب ومراميه ومقاصده و لم يعلن المنشور. وكان هؤلاء النفر الذين اختارهم يانك لبرلمان الصين

من تبيع مقتدرات ملته وامته ووطنه بمقابل منصب ووظيفة اولمنفعة شخصية زائلة.

واوصاهم يانك بان يكونوا مخلصين له ويمدحونه ويقولون فى الصين وبرلمانها ان الشعب راض عن حكومة يانك وعن ادارته للبلاد وان يرضوا بالمفيد اليه من القرارات ويرفضوا مالايستريح اليه يانك ويعارض اسلوبه ووعدهم بالمناصب الراقية عند عودتهم من الصين.

وبهذ الصورة والشكل ارسل يانك سبعة انفار من سبع ولايات فى تركستان الشرقية آنذآك, ارسلهم يانك الى برلمان الصين الجمهورية بصفتهم نواب شعب تركستان, وفى الحقيقة كانوا يمثلون يانك فقط لاغير حيث ان الشعب لايعرفهم, وعملوا حسب توصية يانك ولصالح يانك. وبالمناسبة اسوق للقراء الكرام قول احد البرلمانيين عن كنه خدماتهم هناك فى الصين حينما واجهــه فى مدينة كوجا.

فى عام ١٩٣٠ من الميلاد قابلت السيد عبدالله بك نائب مدينة آقسو وهو كوجارى سألت منه كيف قمتم بعملكم هناك فى برلمان جمهورية الصين؟ وكان السيد عبدالله غير راض عن حكومة اورمجى قال لى: ان البرلمانيون التركستانيين فى الصين لم يعملوا شيئا لصالح وطنهم وأمتهم اطلاقا, حيث ان يانك زنك شينك زودنا

بتعليمات شخصية اولا ان نمدحه ونحمد اليه, ثانيا ان ننشر فى الصين محاسنه ولو لم تكن له محاسن, وثالثا نقول ان شعبنا راض عن حكومة وادارة يانك ورابعا ان نرسل الى يانك نسخة من كل قرارات او لوائح تمت بصلة الى تركستان الشرقية اولا باول وان نرد كل قرار او لائحة غير مصلحة يانك. وللمثال يقول السيد عبدالله مرة، صدر قرار جمهورى بأن تمد الى تركستان الشرقية السكك الحديدية وكان ذلك فى غير مصلحة يانك فعملنا جهدنا بالرد او بالرفض وبعد جهد جهيد استطعنا ان نرفضه رسميا و لم نرضه.

ومرة جاءت الى البرلمان وثيقة تقول فى شئون ادارة تركستان الشرقية (سنكيانج) نرى ادارات الشئون الادارية والمالية وبعض الشئون العسكرية نستعمل فيها من ابناء تركستان الشرقية. وكان قصد جمهورية الصين من هذه الوثيقة ان تفتح بين يانك وبين شعوب المنطقة وان ينبذ نفوذ يانك عن هذه المنطقة رويدا رويدا وان تفصل الادارة المالية والشئون العسكرية من ادارة يانك وان تجعل تركستان الشرقية منطقة نفوذ صينى بحتة بمركزها بكين. وبالتالى تكون لها حكم ذاتى فقلنا فى شأن هذه الوثيقة ان شعبنا غير متحضرة وليس فيهم من يشغل هذه الادارات فليس لدينا من هم يليقون بملئى هذه الوظائف وان حكومة يانك وادارته تسر شعبنا وهم راض عنه وشعبنا لايريد حكما ذاتية بل يفضل ان يبقى تحت

سيادة حكومة الصين. وبهذا الرد صرنا اضحوكة فى برلمان الصين حيث ضحك البرلمانيون وصفحوا سخرية علينا وعلى جوابنا برد الحكم الذاتى.

وبالمناسبة نقول ايضا ان البرلمانيين التركستانيين الذين ذهبوا وارسلوا الى الصين كانوا يمثلون السلع التجارية تباع وتشترى وبالحقيقة ايضا كانوا هم الذين باعوا للصين أمتهم ووطنهم واليكم بعض البيانات فى هذالصدد. كان فى اورمجى مجلس استشارى نسميه بعضا مجلس ولاية وان المستشارين لم ينتخبوا قط ولاهم يعرفون الاحلامين لشعبهم بل انهم لايعرفون الشعب والشعب لايعرفهم. ناهيك من الانتخاب وقوانينه واصوله, غير ان يانك كان يأمر لبعض الوجهاء والاغنياء وعندهم بمنزلة الامراء. نقول لهم بك. كان يأمرهم ان يعينوا من يحبونه مستشارا او نائبا فى مجلس الولاية. فهؤلاء الاعيان يختارون فى فلككهم واقاربهم فى هذا المنصب ولكن ايضا بامر من يانك يأتون نفرا من الاعيان فى سراى الولاية فى كل مدينة ويعلمهم بان فلانا وفلانا تعينوا فى منصب نائب او المستشار فى مجلس الحكومة بمجلس المستشارين ثم يأخذ تواقيعهم بانهم انتخبوهم او اختاروهم فى هذه المناصب. وعادة يكون هذه الاشخاص من الذين يرتادون مدينة اورمجى حاضرة البلد لشئونهم الخاصة كمثل تجارة او غير ذلك.

وكان الوكلاء أو قل النواب والمستشارون ماكانوا يعرفون اسم الوظيفة ولاهم سمعوا ذلك ولايعرفون ماهو (بين الملل) خلق آراء, ولايعلم شيئا من الكونترول (كوزله ش), وكان شعارهم بهذه الامور المنوطة بهم ومسئولياتها وتعريفها كان واجب حكومة الصين نفسها. وقبل ذلك نقول نحن من طرفنا ان الوكلاء النواب والمستشارين ماكانت عليهم وظيفة يعملون بها ويعرفونها, وكل مافى الامر ان الرئيس يانك كان يدعوهم للاجتماع فى شهر او شهرين مرة واحدة ويلقى عليهم خطابا من سفهاء القول من هنا وهناك ويقول لهم ان لدينا كذا من مذكرات ترسلها الى الحكومة المركزية فى بكين وذلك بخصوص زيد او بكر ثم يأخذهم تواقيعهم على تلكم المذكرات ان وجدت.

وبالخلاصة ان مجلس النواب والاستشارين فى منطقة (سنكيانج) آنذآك كانت بعيدة كل البعد عن المجالس النواب والاستشارين فى العالم بل كانوا مجرد برتوكولات هادئة.

المصانع ومراكز التلغراف اللاسلكية فى تركستان الشرقية

آنذآك فى العقد الثالث بالقرن العشرين

عملت وكافحت الصين الجمهورية آنذآك فى تأسيس مصانع عديدة ومختلفة وكافحت فيها وعملت ايضا او بنت مراكز تلغراف اللاسلكية فى مختلف المدن فى داخل الصين, وذلك لتحسين الاقتصاد الصينى فى انحاء بلادها. ومن هذا القبيل ارسلت لرئيس تركستان الشرقية يانزنك شينك مذكرات عديدة بالمناسبة وغير المناسبة تعطى فيها تعليمات لبناء مصانع عديدة لمصنوعات محلية وكذلك بناء مراكز تلغراف اللاسلكية فى البلد. ولكن لم تجد فى يانك اذنا صاغية لمثل هذه التعليمات والمذكرات, وكان اهل البلاد يزجرون ويشكون من قلة الوارد من مصنوعات الغير من عدم التصنيع فى البلاد رغم توافر الخامات اللازمة لذلك. ومن حيث تكرار المذكرات الواردة الى يانك من حكومة جمهورية الصين المركزية ببكين وتذمر الناس فى البلاد قام يانك بتاريخ ١٩٢٥ من الميلاد بدعوة الموسرين لتأسيس شركة تجارية فى البلاد شركة وطنية وساهم فيها الموسرون وسائر اصحاب الحرف ولكن هذه الشركة لم تعش اكثر من عام واحد حيث وجد المساهمون ان ما ساهم به من الاموال دخل فى خصوصيات وجيبه الخاص فاعتبرو مساهماتهم كضريبة ثمينة الاموال اليوم فى يد يانك وغدا فى يد صينى آخر وهكذا دواليك فضربوا شركاتهم فيها وراء الحائط والسلام ختام.

وكثير من الموسرين قد أخذو الحيطة من دعوة يانك للإكتتاب وابتعدوا عنها وعنده عمد يانك باصدار اوامر الى المحافظين ان يدعوا الموسرين قسرا للإكتتاب فى شراء اسهم الشركة ولو بسهم او نصف سهم حتى جمعوا مليفا من المال. واسس به مصنع نسيج فى مدينة اورمجى تبلغ طاقة المصنع الى دفع ثمانين مكيكا, وان نسيج الخام المصنوع فى هذه المصنع كان بما يشبه الجافتة (خاسه) يستعملونه فى صناعة حياكه القمصان والسراويل وبطانة لبعض الأثواب والجكتات.

وكان كل المصنوع من هذا المصنع الى مخازن الحكومة واستعملتها, واما قيمة الاسهم التى تجمعت منها رأسمال المصنع ضاعت على المساهمين مثلما فكروا هم فى بداية الامر.

وكانت جمهورية الصين المركزية مهتمة فى تأسيس مراكز تلغراف اللاسلكية ليسهل اتصال مدن تركستان الشرقية بالخارج واليها وبين المدن والولايات فى داخل تركستان الشرقية, وقد عملت جمهورية الصين هذه التلغرافات فى داخل الصين فى حينه. ولكن يانك يانك افتعل فى الأمر اعذارا داهية ولم يفعلها فى تركستان, وكان يانك يخاف ان يصرف جزءا من خزانة تركستان الى هذا المشروع العظيم فى حينه، واخيرا قامت الجمهورية الصين هذه التلغرافات بكل تكاليفها فى تركستان فاقامت تلغرافين الاثنتين

الواحد فى ولاية اروبجى عاصمة تركستان الشرقية والآخر فى ولاية كاشغر, واقيمت هذه التلغرافات فى تركستان عام ١٩٢٦ من الميلاد.

خيانة يانك زينك شينك فى مدنية وإقتصاد تركستان

ولاعتقاد يانك ان التعليم والرقى المدنية بالذات فى اهالى تركستان العامل الاساسى لانفصال تركستان عن الصين, او ان يانك كان رجلا عديم التمدن متخلف الخصال ومتعصبا للقديم والتخلف. ولأجل هذا كان يخالف ويمنع كل خطوة تقدم البلاد الى ادنى تمدن واقل اعتبار ويسوق افكاره الرديئة ويبسط افكار التخلف بعكس مايتطلبه الاهالى فى تركستان الشرقية. وكان منعه هذا باساليب شتى بالقوة وبدعوة مضادة, مثله ان يانك كسر المطابع التى كانت فى العهد الذى قبله والمدارس الاهلية التى كانت قبل مجيئه الحكم. واما من يقول ان العالم تمدن وتركستاننا فى تخلف مستمر كان يانك يتهمه بصاحب الافكار المهدمة وبالشيوعية ويعدمه او يسجنه على مدى الطويل, وكان يمنع تأسيس مراكز للجرائد والمجلات الاهلية بل كان يمنع دخول اى جريدة او مجلة ترد من خارج البلاد. وكانت مراقبة الوارد من البوسة او الخارج عنها كانت المراقبة بشديدة للغاية. واذا بدا من الاهالى ان يبعث اولاده الى خارج البلاد لتحصيل العلم

يعتبره خيانة على الحكومة ويجازى بأشد العقوبات, وكان جزاء من تعلم فى الخارج علما او صناعة كان جزاءه الاعدام او يحبسه او يجعله فى اقامة جبرية. وكان يانك حجر عثيرة على كل عمل يقوم بها الاهالى للتعليم والصناعة وسائر الثقافات والترقيات يقضى عليها باساليبه الخاصة ويردها بالرد القاسى, وكان يانك يرى كل التعليمات والفرمانات التى تأتى من جمهورية الصين المركزية بخصوص تأسيس مدارس ومكاتب تعلمية لينتقل الأهالى من حياة التخلف والاندثار ولتعلم اولاد الاهالى التصنيع وترقى البلاد. يراها يانك شؤما على حاكميته او ضررا على مقدارات جيوبه الخاصة. وكانت الجمورية تأمر بانشاء مؤسسات بصفة جمعيات فى الاداب والفنون ومصانع لصناعة حاجيات الناس اليومية واقامة مراكز المعارف العامة وانشاء الطرق والكبارى وسك الحديد وماشبه ذلك يراها يانك شؤما عليه وعلى الجمهورية الصينية وبلاء عليها فلا يلتفت اليها ولاينفذ تعليماتها.

ولهذا بقى الناس فى تركستان (آنذآك) جاهلين رضا يعين وكان يانك عدوا لكل جديد نافع. ويقول لسان حاله ان هذه الأمور تسبب لتسهيل ثورة الاهالى على الصين وحكومته, فيانك حبيب التخلف والضياع وهو عدو التمدن والترقى والتعليم العام. ويقول ايضا (لسان حاله)اذا انفذنا هذه التعليمات جبرا على الأهالى

فى مالهم والعمل فى تنفيذ المشروعات تلك قد نكون سببا فى ثورتهم علينا او ان الأهالى هذا ارحم واحسن فى تنادى الخلافات بيننا فى امور كثيرة, ولايتحملها اقتصاد البلاد.

وبالخلاصة ان يانك فى تعصبه المقيت وحكمه المميت جعل اهالى البلاد فى تخلف دائم بعيدا عن اصول التمدن والرقى فى عصر الصناعات المتقدم والمزدهر فى سائر بلاد العالم الحر. فبقى الناس محرومين من كل خير قاصرين ومقصرين ومقهورين ومعمورين فى الذل والاستبداد وانهم محرومون من ادنى حقوق الانسان من مثل المطابع ومكاتب التعليم والتربية وبعيدون عن كل الحقوق المدنية فى العالم الحر.

وان يانك الذى مافتئ ومافتر بجمع ثروات البلد الى جيبه الخاصة لم يصرف مليما واحدا فى شئون البلاد العامة من مثل الطرق والكبارى والتلفون ومدارس والمستشفيات ولاواحدا منها لم تر النور فى عهده وان هذه الشئون الحياتية اللازمة قد حفيت بها بلدان العالم الحر من أقصاها الى ادناها حتى الارياف النائية فيها. وان يانك حرم منطقة تركستان الشرقية من هذه اللزومات الحياتية واليومية وعشنا شعبا محروما من كل خير قد تمده فى اقصى اقاصى العالم الحر. وان حكومة يانك وحكمه الجائر المخيف وحكومة جمهورية الصين المركزية فوق ما استملكته بلادنا تركستان الشرقية حرمتها من تلكم

الحقوق الشرعية فى وفيرها ليومية وعيشها النحس والشطف وكيف لشعبنا ان يعيش عيشة راضية وبلاده مستملكة وان شعب تركستان الشرقية بقيت جاهلة (آنذآك) ومخلفة وهل بعد هذا خيانة اكبر منها فى دنيا الانسانية المترقية؟

وان يانك زينك شينك بجمعه كل ثروة تركستان الشرقية فى جيبه الخاصة وتحويرها الى مصالحه الخاصة وفى شعبنا فى احقر فقر وحرمان. وان خيانة يانك كثيرة جدا الا اننا نرى من واجب الكتاب هذا ان يذكر خمسة منها بالعدد الى جمهور قرائه.

اصدر ورقة بنكنوت دون مقابل الضمان لذلك وكانت اصداراته بكثرة لاحدلها فى دنيا البنكنوتات فى العالم. ولم تكن هذه الاوراق البنكنوتات خالية من ضمان اقليم أو بمكيالات بنكية او بضمان بنك خاصة مثلا وان يانك بعمله هذا يقصد ماليات الأمة من ذهب وفضة واحجار كريمة التى فى ايد الناس ولم تكن هذه الاوراق المتداولة فى ايدى الناس الا آلة ومصيدة لإيراد ما بيد الناس من الثروة الطبيعية من ذهب وفضة كما قلنا ايرادها الى موارد جيبيه وثراه الخاص المغصوبة استنادا على مايملكه من حكم البلاد (الحاكم العام). ونعد وضع الاوراق هذه فى تداول الاهالى فرض على من لايقبلها او من قال آخذ ذهبا او فضة مقابل سلعتى هذه كان جزائه الاعدام

اوالضرب المميت وحبس غير محدود وعلى مدى حياته, وبهذاه الاجرآت الصارمة وضع اوراقين فى التداول قسرا.

واما مراكز الرسوم الجمركية وسائر الضرائب والإتاوات الحكومية تقبل للاوراق هذه بشرط ان تكون جديدة غير ممروصة.

واما لتالف منها وغير التالف لايتعاملها البدل الحكومتى من ذهب او فضة او مليمات خرده نايكل اطلاقا. ومن ابرز الخيانات والظلم فى هذه الفئة الورقية ماكتبت فيها مايلى ان الحاكم العام المنطقة سنكيانج والوزير المالية يصدران امرا بأن الفئة الواحدة من هذه الاوراق المالية تساوى اربعمائة فلسا (هللة) فضة مسكوكة المتداولة بين الناس وكذلك تقبلها الجمارك وسائر المؤسسات ومن تلاعب لها واصدر نسخا مزيفة يجازى بالاعدام, يوم كذا .... وشهر كذا .... وسنة كذا من الجمهورية وامضائها.

وان هذه اللائحة الاعلانية تعتبر فى حينها ان هذا الاعلان المصاحب بالفئة نفسها سلخ قاطع من جملة الاهالى المعدومين اقتصاديا كلما يملكه من بقايا اقتصادهم وثرواتهم اذا وجدت, ومنذ ان صدر يانك هذه الاوراق الغيرمالية بدأ يشترى من الاهالى الذهب والفضة بهذه الاوراق المالية التى ولدت من غير روح.

ولربما يكون هناك بعض المدخرات فى يد من لم يعرضه للبيع وانعمدت فى الاسواق معروض من الذهب والفضة استعمل يانك حيلا لاستخراج المدخرات تلك حيث عرض يانك فى اسواق البلاد كمية من الذهب والفضة دليلا للوفرة والسيولة فيعرض الناس مدخراتهم ويبيعونها , وعند توفر الذهب والفضة فى الاسواق المحلية كان رجال يانك يشترونها بحد ادنى بحيث يكون مائة مقابل واحد باعه عند انكماش السوق بهذه المادة. وعندما كرر يانك هذه اللعبة ولعدة مرات عرف الناس هذه الحيلة واللعب القسرى فصارعت عندهم المناعة وتمسكوا بمدخراتهم تمسكا واحتياطا. ولكن يانك ورجاله الذين يلعبون باعصاب ومدخرات الناس الإقتصادية قرروا ان يعرفوا قيمة الذهب والفضة زيادة كبيرة فكسرت شوكة المدخرين وصاروا يبيعونها. واشتراها رجال يانك وجمعوا اطنانًا من الذهب والفضة وبعد ذلك إنخفضت قيمة الاوراق المالية المتداولة بحيث تساوى اربع اوراق منها قيمة المسكوك الفضة الواحدة وبهذا الاساليب الجهنمية ذهب الذهب والفضة بمقدار تسعين بالمائة من مدخرات ومالية الشعب الى جيب يانك وبقى الناس بالاوراق المالية التى لاتساوى شيئا.

وعندما صفيت ايدى الناس من مدخراتهم من الذهب والفضة والمجوهرات قام يانك باختلاف حيلة بارعة ولاتكون هذه

الحيلة آخر حيلة له حيث أنه لاعب لاتنتهى. واليكم بيانها, أن الاوراق المالية التى نحن فى ذكرها كانت تمشى فى جميع مدن وقرى البلاد وولايتها بقيمة واحدة حسب مسحوبات السوق المالية فى البيع والشراء فكر يانك كما قلنا بحيلة ثانية وهى وعلى اساس أن السلع التجارية كانت متمركزة فى ولايتين ختن وكاشغر, حيث الصناعة اليدوية للمنتجات الاستهلاكية فى البلاد فاصدر يانك اوراقا مالية تمشى فى منطقتى كاشغر وختن. وان الاصدارات المتداولة لاتمشى فى هاتين الولايتين وتمشى فى سائر بقاع البلاد, التجار الذين يذهبون بتجارتهم الى سائر مدن البلاد شرقا وشمالا من مثل كوجا وتورفان وإيلى واورمجى وجوجك وآلتاى, وانهم يتسوقون ويبيعون بضاعتهم فى تلكم البلاد. وعادة كانوا يأخذون نقودهم بانفسهم ويشترون بها من ولايتى كاشغر وختن بضاعة, ولكن النقود التى بحوزتهم الآن لاتمشى فى ولايتى كاشغر وختن حيث طلباتهم السلع التجارية فشكوا الى يانك حالتهم هذه.

فاصدر يانك فرمان بأن يضع تجار البلاد غيرمدينتى كاشغر وختن نقودهم فى خزانة اورمجى ويستلموها نقودا ميسرة الخاصة لهذه البلاد ففرح التجار بهذالاجراءات ولكنه بعد فترة اصدر فرمانا بأن يأخذ التجار نقودهم ثمانين فى المائة فقط. واما العشرون فى المائة تبقى فى الخزانة كخدمة التحويل وكانت قيمة الحوالة او خدمة الحوالة

تنموا وتزداد مع مرور الايام والأشهر حتى وصلت الى مايقارب الثمانين فى المائة او أقل بقليل. وكان سرور التجار بهذا الاجراء أوّلاً انهم كانوا خائفين على نقودهم معهم طوال سفرهم من أطراف النائية وانهم الآن يحصلون على نقودهم مبدلة التى تمشى فى مدينتى كاشغر وختن. غير انهم خابوا وخسروا عندما أصبحت خدمة الحوالة تزداد ضعيفا وزيادة. ثم إنهم تحابلوا علي انفسهم او رجعوا اليها بان تسعا من فوائدهم يصرفونها مقابل خدمات الحوالة زادت وتزداد شهرا بعد شهر, فتبقى رؤس اموالهم قناة ترد باستمرار الى خزانة يانك. وبهذا تبعدت فوارق الاقيام فى ورقتين كانت ذات اقيام واحدة. وبهذا الاجراء القاتل نمت بل امتلئت ثراء يانك بسرعة فائقة بينما المواطنون الأهالى الأتراك التجار بقوا برزمة كبيرة من الاوراق لاتقابلها شيئ.

وكان التجار من هذه الاختلافات فى ورقتين صدرتا من حكومة واحدة من حيث الجغرافيا هنا بقيمة وهناك بقيمة ثانية. وقالوا ان شيئا من قيمة الفوائد تذهب الى فروقات القيمة لورقتين فى البلاد ولكن هذه الاقيام التحويلية اذ دارت سنة بعد آخر حتى اصمت ان كل مكاسبهم لاتغطى قيمة التحويلية المتزايدة. غير ان الضياع والخسارة كانت من نصيب ايدى العاملة والمزارعين الغلابة, واما المشتغلون فى معادن الذهب والفضة والمجوهرات فى كل من

ختن وجرجن وآلتاى كان لهم رؤس أموالهم ويشتغلون بالمعادن او حول تلك المعادن فى مهودها وكان عليهم فئة محدودة ومعلومة ولكن يانك فرضت عليهم رسومات باهضة ذهبا وفضة اومايعادلها من فئة الأوراق الماليةبالقيمة التى اعلنتها الحكومة.

غير ان المعدنيون من التجار ملزمون بدفع الذهب او الفضة اومايعادلها من الأوراق المالية وذلك اذا حصل المعدنيون الذهب اوالفضة او لم يحصل. فهناك مأمورون الماليون ذو سلطة نافذة يأخذ تلكم الضرائب سواء بالحسن او بطريق الضرب اوالحبس والتعذيب واسقاط السلعة منهم محليا بين التجار, والذين لم يحصلوا الذهب والفضة من تلك المعادن كانوا يستقرضون من أصحابهم وأصدقائهم وزملائهم ويأخذون بالقرض هذا ذهبا او فضة بسعر مرتفع ويدفعونها الى مأمورى المعادن ذوالسلطة النافذة بسعر رخيص ويتحملون الضرر الناتج عن القروض هذه, كى ينقذ نفسهم من الضرب والحبس والاهانة والذل. وكان منهم من يترك هذه الصفة ويترك التجارة فى المعادن ولكن الحكومة تجبرونهم بالبقاء فى مهنة هذا جبرا ولايشطبون اسمائهم من سجلات المعدنين.

وبهذه الطريقة الجائرة أصبح تلكم العناصر المعدنية مفلسين ومهدرين كرامتهم واعتزازهم بانفسهم وصاروا ضحايا يانك

وزبانيته. وأصبح تلكم المهود الذهبية والفضية مصدر ثروة يانك زينك شينك وزبانيته الظالمين.

وكانت الضرائب المفروضة من قبل الصين على المزارعين وأصحاب الاغنام والتجار كانت زائدة بالنسبة للضرائب المثيلات لها فى سائر دول العالم فى حينه بما فيها تجارة الداخل والخارج ولكن يانك كان يزيد هذه الرسوم فى كل يوم وأن هذه الزيادة المطرودة تذهب الى خزانة يانك بصفة دائمة. وكانت الزيادة زيادة باهضة ربما يشاركه اذنابه وزبانيته فى هذه الفوائد الظالمة.

ولكن التجارة والزراعة والصناعات المحلية وتجار المعادنيون تمامًا كانت تدفع الضرائب الباهضة فى حينه يتحملها أصحاب تلك الحرف الذين يحصلون لفائدة ضئيلة من جراء تعبهم ومشقاتهم وعنتهم والذين لم يلتقوا لأى مساعدة من الحكومة وبعيدة عن خدماتها آنذآك. وان عامة الشعب المزارعون والتجار والمهنيون أهل الصناعات اليدوية تعرضوا على تلكم المظالم حيث انمحت منهم حتى اقتصادهم المفتقرة بتلك الحيل والمكر والخيانة والحتيال الجائر. وان يانك جمع تلكم الثرواة الهائلة المغصوبة ليضعها فى حسابه الخاص فى البنوك الأجنبية فى داخل الصين, وعمر يانك عمارات شاهقة وفيلات غناءة وأراضى زراعيه من احسن وانبت الاراضى فاصبح يانك زينك شينك احد مليادرات العالم فى زمنه.

مقتل يانك زينك شينك

فى عام ١٣٤٨ الموافق ١٩٢٨ من الميلاد اغتيل يانك زينك شينك على يد وزير خارجيته بي يولينك. وقد كتب بعض المحررين الأجانب ان يانك اغتيل على يد ديمقراطيين الشباب ولكن القول لايوافق على الحقيقة, والحقيقة ان بي يولينك كان من أشد المتخلفين فكريا ولذا أحبه يانك فجعله مشاورا له وعينه وزيرا للخارجية وكان متعصبا فى آرآء الدكتاتورية القديمة. وفوق ذلك كان بي يولنك من أشد الناس عداوة الى الأهالى البلاد الأتراك المسلمين, وكذا كان بي يولينك لايعجبه مظالم يانك الى اهل البلاد وكان يقول لايكفيهم ذلك وانت متساهل معهم فى كل الأمور. ثم انه ماكان يرضى بحكم يانك بسواسيه الجزآت والغرامات وسائر شئون الإجراء الصينين المهاجرين والاهالى الأتراك المسلمين.

وبهذا الاسباب اسس بي يولينك جمعية سرية مع اقرانه ومحبيه من المتقدمين الصينين وقرر فى جمعيته هذه اغتيال يانك زينك شينك. وفى تنفيذ هذا القرار واقام بي يولينك وليمة مكلفة فى مبنى وزارة الخارجية على شرف يانك ووزراءه ومحبيه حيث قتلهم جميعا وهم على طاولة الغذاء ثم اغار مع معاونيه على مبنى الحكومة المركزية وكان فيه احد السكرتاريين اسمه جين (شورين). ان الأخير حرض

حامية المبنى العسكريين بالقتال ضد يى يولينك واعوانه ودار القتال بين الفريقين فانهزم يى يولينك وقتل مع من معه فاعلن جين نفسه حاكما عاما للبلاد.

دور جين شورين فى الحكومة

وكان في جمعيته يى يولينك شخصا صينياً اسمه جين دالويا, وقد تولى سابقا بعض المناصب العليا من مثل (محافظ) وغيرها وأخيرا عيَّنه يانك سكرتيرا فى المبنى الحكومى العام في أورمجى. وكان جين دالويا حاضرا في بداية الوليمة, ولكن خرج منها لسبب من الأسباب غير أنه كان ملما بقرار الجمعية. فابتدر فى أخذ الحيطة في حالة نشوب القتال عقب الإغتيال وذهب المبنى الحكومى العام, فأخذ زمام الإحتياط في حاله نشوب القتال والمداهمة على المبنى الحكومى العام وأن هذه الواقعات سمعتها من أشخاص موثق بهم أثناء زيارتى لأورمجى في السنة الثانية من الواقعة سمعتها متواترا.

وبعد ما قتل يى يولينك يانك زينك شينك أخذ رجاله العسكريين إلى مبنى الحكومة المركزية, وكان هناك قوة عسكرية ضاربة ومخازن الدولة فأخذ قيادة الجنود المبعثرين قيادة ملزمة, وكان كثير من الجنود دون سلاح فتسلحوا حالا وباشروا لمقاومة يى يولينك ورجاله المداهمين على المبنى وتغلبوا على يى يولينك وعندها

رأى جين ان الأمر قد تتدهور فأخذ قيادة الجيش على عهدته, وأصدر أمره بالقبض على يي يولينك. وبعد ساعة من القتال قُتل رجال يي يولينك وقبض عليه حيا. وكان كثير من رجال المناصب العليا قد قُتلوا في ضيافة يي يولينك فى مبنى الخارجية, وكان جين دالو ذو رتبة صغيرة برغم ذلك ولعدم من هو كفوًا للقيادة العسكرية, تولى جين دالو قيادة الجيش ورياسة الدولة. وتولى الخزينة والسلاح ونثر للجنود عطايا هائلة ليأخذهم إلى جانبه وكان كما قلنا أن حامية المبنى الحكومة العسكرية أقوى وأكثر جيش في ولاية أورمجى وكانت بها الخزانة وطرسانة السلاح المخزونة فيها. ثم ذهب جين دالو مع رجاله الجنود إلى القلعة المدينة التي فيها كثير من الصينيين ذوالأصوات والرأى في الحكومة حيث أخذهم في طرفه يؤيدونه في الحكم والقيادة. ثم دعا الكوادر العسكرية والمدنية في أورمجى وضواحيها من ذو المناصب إلى الإجتماع في مبنى الحكومة المركزية (ياموق). وطرح في الإجتماع إنتخاب الحاكم العام في البلاد وكانوا لايحبذون لإختيار جين دالو في حكم البلاد, لأن رتبته صغيرة ولكن جنود جين دالو خوَّفهم بتهديد السلاح ضدهم فمالوا ورضخوا لإختيار جين دالو لرئاسة العام للحكومة جانجونك وأرسلوا طلبا لحكومة الصين المركزية في مدينة ننكين لموافقة منصب جانكجونك لـــجن دالو. وأن الحكومة المركزية في ننجين تبارك بالمنصب له وأن

جمهورية الصين المركزية كانت تسمى رؤساء ولايتها بـــ جوشى تعنى الوالى العام فأعلنت ننجين أن جين دالو منحت صفة جوشى لـــ جين دالو رئيسا للدولة اوالإقليم . ومن هذا التاريخ إنتفت من منطقة تركستان صفة جانكجونك الحاكم العام.

وان أعداء جين في الصين وفي تركستان الشرقية يلقبونه بـــ شورين تعنى الحقيرة أو الرجل الحقير. وان أصدقائه يلقبون بـــ دوبن تعنى الدكتاتور, ونحن كذلك نسميه بـــ شورين وان شورين هذا يمثل يانك زينك شينك في جميع تصرفاته وإدارته البلاد وقد أعلن ذلك بنفسه. وكان يتسم بالظلم والإستبداد غير أنه لم يكن رجلا سياسيًا يسايس الأمور مثل يانك زينك شينك وليست له قابلية حتى ان أصدقاءه يعترف بقصوره فى السياسة. وان إدارة شورين هذا كان طبق الأصل من إدارة يانك زينك شينك شكلاً وانعكاسا.

وأن شورين هذا ترك الألقاب والصفات القديمة من عهود قديمة وقبل بدلاً عنها الألقاب والصفات الجمهورية في الصين وترون لاحقا بعض الألقاب والصفات البارزة في العهد الجديد عهد شورين.

الألقاب مترجما	من عهد الإمبراطورية وعهد يانك زينك شينك	في عهد الجمهورية في الصين

الوالى	جانكجونك	جوشى
ولاية	دو ته ى	شينك
الإمارة	تى ته ى	جينك جانك
قائد الفرق	شه ته ى	سى جانك
القائد		لو جانك
برتبة الآى		

منذ إعتلاء شورين الحكم في البلاد كان أهميته في الإدارة وبدرجة متفاوفة جمع ثروة لنفسه وكانت هذه الأهمية في جمع المال والثروة مثلها مثل سابقه يانك زينك شينك طابق النعل بالنعل غير أن شورين فوق ذلك فرض إتاوات باسم تونكشوى زيادة من الرسوم الجمركية للتجارة الخارجية. وبهذه الإتاوات زادت مصاريف الجمرك من ١٨% إلى ٢٨ و ٣٠ % وبعد ذلك انشأ عدة مصاريف جمركية في داخل البلاد وتنقل السلع التجارية. وأما الرسوم المعدنية لأصحاب المعادن بقيت كما كانت في عهد يانك زينك شينك, غير أنه طمع في جمع الذهب والفضة البقية في أيدى الناس بكل وسيلة ممكنة وأساليب ملتوية حتى لم تسلم من سطوته زينة وحلي النساء وقد

سمعنا أنه سلب قسرا الحلي من سيدات المجتمع في بعض مناطق تركستان الشرقية.

وفي عهد جين شورين وقعت حكومة الصين المركزية ليد حزب □ومندانك وعلى رأسها الظالم المستبد جانك كايشينك الذى أراد أن يحول تركستان الشرقية بحد ذاتها مرتبطة لحكومة الصين المركزية في ننجين حيث بدأ كايشينك إرسال شباب صينى مثقفين إلى تركستان الشرقية لأسباب واهية وأن يندمج هؤلاء في داخل حكومة تركستان الشرقية رويدا رويدا ترتبط منطقة سنكيانج التركستان الشرقية لحكومة الصين المركزية في ننكين[1].

وأن شورين بدوره سمح بل أوصى بهم ان ينتشروا في كافة الولايات في البلاد وان ينشر للناس محاسن الصين الجمهورية حكمًا ونظامًا وبعد مدة جمع شورين هؤلاء الشباب من المناطق إلى مدينة أورمجى ولم يسمح لهم في العمل في البلاد ولأنهم لم يلقوا ترحيبا واذنا صاغية في بلادهم وان هذه السبب كان خير عذر جين شورين ثم ظفهم في وظائف دونية. وبهذا لم ينج كايشينك في تشبثه هذا, ثم جاء وقت لايرتاح احد في البلاد حيث لايعرفون بل لايقدرون يخمنون اى شيئ يحصل غدا في البلاد انسدت طرق البلاد إلى الصين. وبالعكس بسبب ثورة قمول الباسلة ثم انقطعت الصلة بين جين

---

[1] معذرة للقراء بأننا إستعملها كلمة بيكين مرة أو مرتين أو ثلاثة في ترجمتنا هذه سهوا حيث أن عاصمة الصين آنذآك في مدينة ننجين للإحاطة ـــــــ المترجم

شورين الحكومة في تركستان الشرقية وبين حكومة كايشينك, وبهذا خمّدت وانتفت مخططا كايشينك على تركستان الشرقية.

بالنظر إلى هذين الفصلين ان للروايات هذه أربعة أبطال وهم يانك زينك شينك و يى لوينك, وجين, وجين دالو. وأما مصيرهم كالآتى:

١. يانك زينك شينك قُتل في الضيافة.

٢. يى لوينك قَتل يانك ثم قُتل في مبنى الحكومة المركزية.

٣. جي (شوررين) قاوم رجال يى يولينك وبعدما قُتل يانك أعلن نفسه رئيساً للحكومة عام ١٩٢٩م وكان بها حتى ١٩٣٣ حيث هرب إلى الصين عن طريق جوجك وآلتاى وقدم عيسى يوسف البتكين شكوا ضده في ننكين.

٤. جين دالو ترأس جنود المقاومة في مبنى الحكومة عقب مقتل يانك ونجح في الراية ثم اختير واليا عاما (جوشى)ىِ ولقب بجوشى توفى عام ١٩٣٩ م في أورمجى في عهد سين شى سه ى وأقام له سين شى سه ى ماتمًا عاما في البلاد (المترجم)

الباب الرابع

(الإنقلاب العام الأخير (الرابع) في تركستان الشرقية)

الفصل الأول

(الإنقلاب العام الأخير في تركستان الشرقية)

((تقديم))

الإنقلاب الوطنى في تركستان الشرقية الذى بدأ فيها عام ١٩٣١ من الميلاد واستمر حتى الآن كان إنقلابا في غاية الأهمية في تاريخها. وأن هذا لإنقلاب رمز منير في يقظة ونهضة البلاد وبداية مهمة لرفاه وسعادة شعبنا الباسل وبهذه المناسبة نقول ان كتابة تاريخ هذا الإنقلاب في كتابنا هذا تعطى للكتاب مغزا بارزا وشهرة كبيرة, غير أنى إمتنعت أولاً في كتابة تاريخ الإنقلاب في كتابى لأسباب آتية:

- لكونى عضوا بارزا في الإنقلاب هذا ولى شرف عظيم ولله الحمد والمنة, ولذا كان من الأنسب أن يكتبه واحد غيرى, حيث ان أخطاء صدرت منى ومن غيرى من الزملاء في الإنقلاب يجب أن يكتب حقا وصدقا وهذا الذى تفرضه كتابة التاريخ بأن يكتب ويقر بأخطاءه ويتستر على أخطاء الآخرين وان هذه الأمور الواجب ثقيلة عليَّ من حيث الصداقة وحق الزمالة لأننا خضنا المعارك من خندق واحد ولأن كتابة خطئى تزيدنى ألما ويوغر في ضميرى وكتابة أخطاء الزملاء يجلب عليَّ ألما آخر كأننى آذيتهم.

واني أعلم مارأيته من الواقعات علما ويقينا وأما الواقعات التى لم أرها أعلم من متواتر الروايات غير أن الأخير ربما يكون فيها نقص أو زيادة أو خطأ ما بأبسط الإحتمال.

- بالرغم من لصحباتنا ودمائنا الزكية في الإنقلاب هذا غير أن الإنقلاب لم يعط لمواطنينا الرقاء والسعادة وبالعكس خلف الإنقلاب عليهم نكسة ومهنة وذلا وتخلفا أكثر مما كان قبلا, فلهذا كله تنهز يدى في الكتابة عن هذا الإنقلاب المذكور حيث ان هذه الأحداث حصلت أمام عينى.

- ونحن لانقول ان إنقلاب تركستان انتهى حيث اننا نعيش الآن على ظلمة كأداء هالكة ونأمل أن يوما مشرقا سوف يأتى لنا إن آجلا أو عاجلا. ولذا كنت آمل إن كان إنقلاباتنا تنتتهى في صالحنا سوف نرى كتابا تاريخا كاملاً يحوى كل المكتبات الإنقلابية, وكان ذلك أنسب لتاريخ أمتنا المناضلة.

- وبهذه الأسباب وبالمناسبة كنت أتممت كتابى في فصل حكومة جين شورين وواقعاتها و لم أكتب الواقعات الإنقلابية.

- ولكن بعدما قدمت كتابى بهذالنمط قام المواطنون الموجودون في شبه جزيرة الهند كمهاجرين قام عن طريق جمعية الوحدة التركستانية بطلب منهم يقولون بضرورة كتابة واقعات

الإنقلاب عام ١٩٣١ من الميلاد. وفي أسباب عدم كتابتى عن الإنقلاب المذكور قالوا المضدات التالية:

أولا انه مضت للإنقلاب ثمانية سنوات ماأحد كتب عنه حتى الآن وتقول عدم وجود شخص يكتبه بعد هذالتاريخ أيضا من حيث الحياة وعدم الإنحياز, نحن الأطراف المعنية وليس عندنا شخص مثلك يعرف وقد عاش معه عضوا بارزا في الحملة الإنقلابية. وإذ أنت لاتكتب هذه الوقائع التاريخية وقد تنسى هذه الواقعات التاريخية المهمة.

وان إتيان تاريخ ما وظيفة المؤرخ الضليع في الصنعة هذه من حيث العلم والشمول والصدق المتابع لواقعاته بضبط وبساطة الأمر الذى لا يمانعه أحد.

ونحن نقول أيضا ان الإنقلاب لم ينتهى بعد. ولكن الواقعات التي مرت علينا في غاية العبرة والإعتبار ومهم أيضا لقادم الأيام وان مجريات إنقلابنا حتى الآن ذو فائدة كبيرة بل هى رأسمالنا للمستقبل وانها تجربة لابد منها.

وبناء عليه يجب عليك أن تكتب واقعنا التاريخية في كتابك هذا بل هذا الأمر وظيفة لاتحيد عنها.

فأقول ان كلام إخوانى المواطنين في هذا الموضوع ودلائلهم التى سردوه فيه لأدلة واضحة ولايمكننى الخروج عنه ولايمكننى الرد عليه ولا أجد جوابا للرد عليه أيضا.

وبناء عليه وجب عليّ الإعتماد بكتابة الحق والحقيقة بالنسبة للواقعات التي مرت عليّ والذين رأيته وعلمته وأجعل نفسى محايدا وسط هذه الوقائع. وأما بالنسبة للواقعات التي وقعت ووصلت بى أخبارها بالتواتر وانى أثق فيها لواقعات ثابتة أو أوقن عليها عن وثائق ثابتة وأرجح صمتها في حينه أكتبها أيضا. وأما الواقعات التي قد وقعت وتواترت أخبارها وتقاطعت مدلولها أكتبها بطريق الإختصار حتى لايضيع في طياهًا الحقائق الثابتة.

وأما في حق زملائنا الذين ضحوا وقدموا وتواصوا ببعضهم بعضًا وكان عملهم الذى قدموه لأجل حياة الإنسان التركستانى ووطنهم الغالى لاأضيع من حقوقهم في الذكر شيئا بل أمكن نفسى بهذا الذكر والكتابة في حب واخلاص. واذكر وأكتب كل خطأ صدر منى أو من زملاءه في المعركة بكل تفاصيلها إحقاقا للحق واعترافا بالخطأ على غرار ان الإعتراف بالخطأ فضيلة, وإن لم يكن كذلك تنعدم غاية كتابة التاريخ حقا وصدقا وعدلا. وفوق ذلك أكون قد ضيعت حقيقة الأشياء سلبا أو إيجابا في محل ذكره كما كان. وبالمناسبة أقول اسمحو لى يا إخوانى وزملائى في الخندق ان

تجاسرت وتجاوزت أو أخطأت في الصواب فأرجوا المعذرة حيث انى إنسان مثلكم ولا تزعلوا عنى, وانى أضع نصب عينى اتعاب وضعنا المجاهدين الافذاذ حيث انهم جاهدون في الله حق جهاده, فيجب عليَّ أن أكتب وقائعهم حتى استشهادهم او انهم انتصروا على الأعداء وان لم أفعل أكون قاصرًا في حق التاريخ والحقوق المطلية بالذهب أقصد دمائهم الزكية. ومن حيث مجاهدين غيرى وأخذت واقعاتهم بشكل متواتر حقا وصدقا وأنا واثق بذلك أكتب لب الرواية التى وصلت إليَّ وبرغم ذلك يمكن ان يصدر منى خطأ ما فانى أعتذر عنه وأرجو أن يغفروا لى زلتى, ومع ذلك أنى لاأكتب مثلا بمثل ما يجب من واقعات المجاهدين غيرى أرجو العفو .... بذلك. ثم إنى أطلب عبر بعض أصدقائنا أن يكتب بعض المجاهدين واقعاتهم الحقيقة ولكنهم أظن لكثرة اشغالهم لم يستجيبوا على طلبى ومع الأسف, فانى أواجه تلك الحاجة خارجا عن إرادتى فارجو المعذرة أيضًا.

وألتمس من المجاهدين المذكورين ومن القراء الكرام إكمال النقص الذى صدر منى وان يقبلوا عذرى فيما لم يكن داخل إرادتى وعلمى إدراكى وأطلب ممن له تصحيح في بعض الوجوه في كتابى هذا أن يصححوه فضلاً وكرمًا وأن يزودنى بما لديهم من معلومات حتى نكمله في الطبعة الثانية.

محمد أمين

١٧- ٣ – ١٩٤٠ م

أسباب الإنقلاب

كان الناس يعلم ان الإنقلاب بل إنقلابنا وقع من عدم الرضا على الإستيلاء الجائر على وطننا الحبيب من قبل الصين ظلما وعدوانا. وبرغم ذلك وكان أى من الإنقلابات لإنقلابنا أسباب جانبية فلإنقلابنا الأخير أيضا أسباب جانبية وطنية وبالأولى وبالمناسبة أيضا ولو أن إنقلابنا جاء أساسًا ضد إستيلاء الصين الجائر على بلادنا ومع ذلك يوجد لإنقلابنا أسباب جانبية نذكر بعضها في هذا المقام.

ونحن نبدأ ماتلقاه النظر في أول وهلة وهو كالآتى:

مظالم جين شورين (حيث إن الإنقلاب وقع في عهد جين شورين) وقد سبق أن ذكرنا منها جزءًا كثيرًا كان جين شورين رجلاً متعصبًا للغاية وعدواً للأتراك المسلمين أهل البلاد. ولم تكن له قابلية ولياقة لإدارة البلاد وذلك انعدم التسوى بين الصينيين والأتراك أهل البلاد في الجزآت والغرامات وبعض حقوق المدنية والأحوال الشخصية. ثم إن الولاة والمحافظون والتجار ومحلات الرهن الحرام بدؤو يظلمونهم ظلما فاحشًا و يتجاوزون تجاوزات جائرة, ولهذ السبب ان التظالم التي يقدمونها إلى جين شورين لايلقى تجاوبا منه وان الشباب المثقفين الذين آتوا من داخل الصين يعملون لتصنية تركستان من وجودها التاريخى الوطنى حيث انهم ينفذون وصايا سين يات سين قائد الثورة الصينية ومؤسس الجمهورية عام ١٩١١م. وكان بعضهم شيوعيين حيث ان البعض هذا عملوا وجاهدوا لأن يسلموا مقدرات تركستان الشرقية إلى روسيا البلشفية, وبعد ان علم الأهالى مقاصد هؤلاء الشباب الصينيين بفئتين الإثنين عرف الناس بأنهم غير لائقين لهذا البلد.

والذين لم يعرفوا مقاصد ومرامى أهالى تركستان الشرقية ربما يقولون ان إنقلابنا نشأ لنبذ هذه التظلمات الغير اللائقة بنا,

حيث ان أهل البلاد عرفوا انهم قد يواجهون خطرًا أو أخطارًا داهمة عليهم ليس إلا. هذا قناعتهم ورآهم في إنقلابنا المقدس.

ولكن بعد التحقيق والتمحيص عرف الناس أسبابًا أخرى غير قابلة للخصم والتجاوزة منها ثقل جوانب الإستيلاء الذى دام ستة وخمسين عاما ١٨٧٤ م – ١٩٣١ م وقد ذاق الأهالى سفالة الأسر ورزالته وكانوا يكرهون الصينيين المستوطنين والذين جاءو من الداخل من الموظفين ونظرتهم عليهم بكُرهٍ وريبة. فإذا هم يريدون الخلاص من الذل والإكراه غير انهم كانوا لايعلنون مراميهم ومقاصدهم الرامية إلى الخلاص لايمكنهم عمل شيئٍ إيجابى حيال هذا الإختيار لأسباب تالية:

- أولاً, الدماء التي أريقت في الإنقلاب السابقة وكانهم يرون مظالم يعقوب بك عساها تعود ثانية والخوف من مسجونه.

- وألاعيب الامراء الذين هم في طرف الصين والشخصيات الذين هم أيضًا يحرصون للأمن والأمان في ظل حكومة الصين الجائر وقوتهم ونفوذهم لاتضيع عليهم.

- عدم إمكانية تأسيس وحدة متماسكة وتناغم سياسة رابطة فيما بينهم.

- وأن حكومة الصين تلوح قوتهم بقواتها المزيفة الزائلة في مقابل عدم السلاح بتاتا في أيدى شعبنا في تركستان.

وان هذه الأسباب جميعًا تجير الأهالى للعيش في أحضان الصين الظالمة والمظلمة وأن هذه الأسباب تكفى لبقاء تركستان تحت أيديها ولكن الأحوال في تركستان الشرقية بعدما تبدلت الإمبراطورية الصينية إلى حكومة جمهورية. ولأحوال لم تختلف حيث ان الولاة الصنيين وأصحاب المناصب العليا من الصينيين في تركستان الشرقية لم تأخذ بتعليمات الصين الجمهورية بل أبقوا حكومتهم على الطرز القديم تخلفة إمبراطورية وان هذا الأمر قد عرفها الشعب من أدناها إلى أقصاها, والشعب يعرف أيضًا أنه وقع تحت حكومة نفر من الصينيين غير منصفين يتخبطون بطرًا ودكتاتورية مهيمنة.

ورأى الناس أنفسهم أمام دولة الصين المهيبة محكومين لنفر من المهاجرين الصينيين وضميرهم يؤنبهم بأنهم لم يقوموا بواجبهم الوطنى والدين وفي صالح إقتصادهم وأنهم يحسون خجلا أمام شعوب عالم الحر وكانوا يتلمسون سبلاً إلى رمى هذه الشرزمة اللعينة ويبعدونها من أمام أعينهم.

غير ان إنعدام الإتقان فيما بينهم وتغافل من لهم نفوذ في البلاد من ان يقوموا بالإنقلاب والثورة ضد الصينيين. وبالتالى عدم تجربة الأهالى من مثل هذه الإنتفاضات تـؤجل البدء في الثورة ضد الطغيان هذا من جانب ومن جانب آخر كان الصينيون الذين في أيديهم الحكومة يحسون هذه المغايرة في الشعب ولأجل إستبعاد هذه

الثورة كانوا يتملقون لأهل النفوذ من فئات الشعب ويرضونهم بالمناصب والترتب والألقاب ومن ثم يهتمون كما كانوا بألآعيبهم الجهنمية على حساب شعبنا المغلوب في أمرهم حسبما شاؤوا وأرادوا إلى يوم القيامة أو إلى أبد الآبدين.

وبرغم ذلك كان عدد الذين يعرفون الأهوال أنها منجرفة ومنهارة من شيئ إلى أسوء كان العدد يزداد شيئًا فشيئًا بشكل خفى.

وكان هؤلاء المثقفون وبالأحرى المدركون الوضع وهم في أوربا وكما قلنا كانوا يفكرون في انهاء هذه الشرزمة الصينيين الكوادر والموظفين منهم ولأجل جعل صفوف الأمة في تركستان الشرقية بيدهم بالمناهمة والإتفاق مع حكومة الصين المركزية, ولكن هذه الفكرة أيضًا كانت في حاجة ماسة مع عامة الشعب والمثقفين في معاهدة وحدة تامة.

ولإيجاد مثل هذه الميثاق مسبقا كان يجب ان يكون من شعبنا من يتولى زمام الأمر وان يتفادى في هذا السبيل من مبتغاهم المعيشى الخاصة وان تكون هذه المجموعة بمجموعتها رجالاً ذو تجربة سياسية ومنهم مستشارون يقومون بتشكيلات ضامنة. ومع الأسف ان مثل هؤلاء الناس بصفاتهم المميزة لم تكن موجودة اللهم إلا قليلاً جدًا جدًا, ولكن ولله الحمد والمنة لم يسكت شعبنا ولم يتوانا من

فكرتهم السابقة ولذا قام بعض المفكرين بتقصى الحقائق عن المنورين في البلاد وممن لهم فكرة مماثلة من هنا وهناك وتهيئة العدة والأسباب والسؤال عمن يعرفون أو من عندهم مثل هذه التجاررب والتمحيصات والإختبارات لو كانت هذه التجارب من بداية الأمر باعتبار ان الأمر لأمر جليل فقاموا بمثل هذه الحركات التحررية. منها ما يلى:

- معرفة عدد ومقدار القوات الصينية في تركستان الشرقية.

- معرفة تدخل الدول المجاورة للتركستان الشرقية أو عدم تدخلها في حالة وقوع إنقلابات ثورية في تركستان الشرقية نعنى تدخلهم سياسيًا و عسكريًا.

- تدقيق صلابة أفراد شعبنا في حالة وقوع إنقلاب في البلاد وكيفية استعدادهم للخدمة في الإنقلاب العام ودفع هؤلاء المستعدين إلى السطح ولأنهم مستعدون ومشاطرون لحركتنا الإنقلابية.

- التدقيق في إمكانية تشكيلات متعددة في أرجاء بلادنا أو عدم إمكانية ذلك في تركستان الشرقية في ذلك الوقت خفيةً.

- التدقيق في اختيار أو إمكانية مركز للإنقلاب في حالة وقوع إنقلابنا المزمع القيام بها, مركزًا مناسبًا لذلك.

(هذا ما قمت به) غير انى عرفت عددا من ذوى تلك الصفات وموثوقون بهم فى .... تلك غير أنى أرى ان لامناسبة الآن ذكر أسمائهم.

وبهذه المناسبة ولوجود إستعداد مسبقة الإنقلاب فليكن ان هذا وقته وهذا أسلوبه وهذا مواعده وهؤلاء مستعدون وكل هذه المرئيات إيجابية لا سلبية والعذرة بين الله. قامت ثوراتنا المباركة وإنقلابنا المبارك من مدينة قمول الباسلة, ولكنى أقول أن الأمر أمر الإنقلاب قد قارب تلكم بتلكم المواصفات والشروط وكلها على أحر من جمر في الإندفاع غير أنه قام أى الإنقلاب قبل إستعدادنا الكامل حسب تدقيقاتنا السابقة وعم البلاد من أدناها إلى أقصاها. وعم الإنقلاب كما قلنا من غير تنظيم وعلى إن لم تكن مستعدًا ولا لائقا للقتال. غير أن المنظور عندنا فعل فعلته منذ زمن بعيد ولذا أنظم الشعب إلى القتال والزحف حيث ان مثل هذا الأمر كان متمكنا في قلوب أفراد الشعب وانتهت الفاجعات التى دامت منذ أمد بعيد على حياة ملتنا برغم الظلم والإستبداد الفاحش قد انتهت منذ يوم الإنقلاب وانتهى المقاتلون تلكم الأحداث الدامية مثل القتل العام والمظالم التي لا تنتهي انتهت ولم ييأس شعبنا من ظفرهم وانتصارهم بل افتدوا بأموالهم وأرواحهم منذ الشرارة الأولى للثورة العامة وأن منظورنا السابق في تهيئة الناس ليوم خلاصهم دفعهم إلى الميدان

بالبسالة النادرة وبروح عالية وجسارة توهم الأعداء بالإنقراض وأنه مثل هذه الأحداث وقعت من حيث وطنيتهم وفلاح أمتهم من الهلاك.

١-الفصل الأول

إنقلاب قمول

حكم وتسلط بانك زينك شنك على تركستان الشرقية قرابة ١٧ سنة ثم قُتِلَ على يد فن يا نن الصيني في أورمجي العاصمة ثم جاء على الحكم جين شورين الذي حكم البلاد بالإستبداد والظلم ، مثله مثل سلفه بانك وكانت به جهالة في السياسة، فبدأ انقلاب قمول ضد هذه المظالم الجائرة وإن هذا الإنقلاب -لأسباب ذكرناها في السابق- وقع وعرف بالإنقلاب الوطني بالصفات والشكل.

إن ولاية قمول تقع في الشرق الشمالي من وطننا العزيز تتبعها محافظات تالية: آراتورك ، آزغانه بولاق ، باركول ، تاراتو ، تاشبيلق ، توركول ، خوقونتام ،قورار ، وشريول ، نوم ، نيرين كيه. ومدينة قمول كلها أثنتا عشر محافظة تقع كلها في وادي الجبال ، ومنذ عهد مانجو حتى نهاية عهد يانك أديرت شؤونها وحكومتها بواسطة وآنك (تعنى الحاكم العام أو ولى الأمر). وإن أهالي قمول لعدم استقرارهم في بلدهم من حيث الإيتاوات والضرائب الباهظة

قاموا بهذا الإنقلاب المظفر سنة ١٩١١ من الميلاد. غير أن هذا الإنقلاب في ١٩١١ من الميلاد بقيادة تيمور خليفة بالسلاح والفؤوس والرماح. ولكن هذا الإنقلاب أسكت بالحيل وحروب دموية وخسارة فادحة. وفي ١٩٢٨ م قسم يانك هذه الولاية إلى ثلاث محافظات إدارية بعد ما أنهي عهد الوانغ وكانت إدارة يانك بواسطة رجاله الخاصة وأشخاصه المقربين إليه.

وإن جين شورين بتكتيكه السواد القاتم هجّر إليها آلاف الصينية من إقليم كانسو الذين تشردوا من كارثة الفيضانات بفعل زلزلة وقعت في إقليم كانسو حيث تشرد هؤلاء الصينية من دون مأوي. غير أنه جين شورين سلب أراضى وبيوتاً من الأهالى وأسكن فيها هؤلاء الصينيين المشردين وتملكهم الأراضي المنهوبة والمصادرة. وفرض على الأهالي إعاشتهم إلى إعاشة هؤلاء الصينيين المشردين وغير ذلك من النهب والسلب ، الأمر الذي مكن الأهالي أو أجبرهم على الإنقلاب عام ١٣٥٠ الهجري الموافق عام ١٩٣١ من الميلاد قام الإنقلاب بقيادة صالح بك (سالى) وكان صالح بك هذا من وادي شوبول وكان مراسلاً بين الدوائر الحكومية (دوغا) وكان أول قيامه بالإنقلاب بمعية فرق من رجاله ما بين أربعين أو خمسين رجلاً هجموا على مقر الحاكم الإداري الصيني وقتلوه ورجاله ثم قتلوا الجنود الصينيين من أطراف المدينة وأخذوا بنادقهم وصناديق الذخيرة

الحية وصار في أطراف صالح بك زمرة من رجال المسلمين فيما بين عشية وضحاها. ثم التحق به رجال وشبان من وديان جبل خانه تنكري فتشكلت فيالق عسكرية وإن هذه الحركة أخذت منعطفاً سريع الحركة فأصبحت قوة ضاربة في محيطهم (انظر الخريطة رقم ٢٣) ولإخماد هذه الحركة أرسل جين شورين جنوداً إلى وديان جبل تنكرى تانح وجبال قمول. كانت الوديان تلك مليئة باستحكامات المجاهدين ورجال القناصة منهم فانهزم جنود جين شورين وبخسارة كبيرة من الأرواح انسحب جنود جين شورين إلى مدينة قمول وبهذا الظفر الميمون تأسّد المجاهدون فأخذوا يحتلون كل مداخل ومخارج ووديان جبال قمول واحتلوا كذلك كثيراً من القرى والبلدان المتاخمة لمدينة قمول فلم تبق في يد جين شورين وجنوده إلا مدينة قمول فقط. وإن جين شورين فكر في أن يقابل المجاهدين بضربهم على الصميم وذلك قبل أن ينتشر خبر الإنقلاب إلى عموم تركستان فأمر جنوده بضرب المجاهدين من جهتين : من جهة القمول المدينة ومن جهة باركول من الشمال ودارت رحى الحرب بين الطرفين وانكسر المجاهدون بعض الشيء بقيادة صالح دورغا ولكن مساعدة وصلت للمجاهدين بفوج من المجاهدين بقيادة خوجه نياز حاجى أو كان الأمير من ضمن هذا الفوج من المجاهدين ، فنشط المجاهدون وتقوّي بعضهم لشيء. وكان في خلد الصينيين أن المجاهدين بقيادة صالح

دورغا قد تراجعوا قليلاً وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فكر خوجه نياز حاجى ربما أن الصينيين يهاجمون المجاهدين بغتة فيصير القتال قتلاً عاماً على ولاية قمول في حالة تغلب الصينيين على المجاهدين ، فجمع خوجه نياز حاجى كثيراً من القناصين المهرة فبدأ هجومه المباغت على جنود الصيينين فهرب الصينيون على غير هدي ، تاركين مواقع الهجوم من قبل المسلمين وكان هجوم خوجه نياز حاجى هجوماً من غير انتظام ولكنه بروح قتالية وببسالة. وبعد أن دهر خوجه نياز حاجى الصينيين تمركز بكل مداخل الوديان في استحكامات عسكرية منيعة وأوقف فيها ، أي في المداخل رجالاً قناصين ذوو الخبرة في رمي النار.

وإخفاق كيد الكائدين الصينيين ، وبهذه الأنظمة القتالية ، صد الأعداء. أبعد خوجه نياز حاجى جميع الصينيين من الوديان حيث مساكن رجاله البواسل. وبهذه النصرة المباركة أصبح خوجه نياز حاجى قائداً عاماً للمجاهدين البواسل حيث أدار خوجه نياز حركة الجهاد بشكل متفوق وبإدارة حازمة[1].

---

[1] ولهذه الملحمة الثورية بداية وسبب لم يوردها العلامة القطب الأستاذ محمد أمين بوغرا أعتقد أنه رأي عدم ذكرها مناسباً لسياق الرواية ولا سيما في موسوعته التاريخية هذا فمن استزاد أن يراجع دراما قصة (ليالي تركستان) للكاتب المصري القدير الفذ الأستاذ نجيب الكيلاني طبعة مصر وللقصة ترجمة تركية طبعت في استانبول (المترجم)

وإن جين شورين أرسل جنوداً مساندين ولعدة مرات تصارعوا مع المجاهدين ولكن جنود جين شورين فشلوا بل رجعوا بخسارة كبيرة وانهزموا هزيمة نكراء. وعادوا مقهورين في كل مرة تقابل وتقاتل مع المجاهدين. وقد بقيت مدينة قمول الباسلة وأراضى بسيط قبالها بيد جين شرين. وكان لجين شورين عشرون ألف صيني في هذه المنطقة. وكانت الأراضي المنبتة وأراضى خصبة وصالحة للزراعة في الوديان كلها بقيت في يد خوجه نياز حاجى وبقيت هذه الحالة قرابة عشر أشهر كاملة. وكانت هناك مصادمات صغيرة بين الطرفين ولكن المجاهدين كانوا غالبين وتغلبوا على جنود جين شورين. وكانت هناك في الشرق (غرب الصين) منطقتين: سوجو ودوتكحوامة وكان يحكم عليها ماجوك بيك، منصبه (كاسلك) من فئة التونكان (مسلم الصين) وأتى منهم بعض الضباط إلى طرف خوجه نياز حاجى وقدموا خدماتهم إليه فقبل خوجه نياز عرضهم هذا فخدموا في صفوف المجاهدين وبهذا المناسبة صارت بين ماجوك بيك والفارس خوجه نياز معرفة وصداقة وثيقة في حينه. وكانت الشخصيتان تتبادل فيما بينهما خطابات ودية. وكان ماجوك يك رجلاً عسكرياً طموحاً وفكر في أن ينال من هذا القتال الدائر بين القمول وأورمجي بعض الغنائم إذا شارك مع خوجه نياز حاجى فقدم إلى منطقة قمول بأربعة آلاف جندي من قواته. وقبله خوجه نياز

ورحّب بقدومه وأعانه ببعض جنوده المجاهدين ولكن خوجه نياز حاجى لم يشاركه و لم يتزحزح عن مواقعه المتقدمة. و كان رؤيته هذه سديدة وحكيمة ، حيث إن قدوم ماجويك بيك وجنوده إلى البلاد لم يكن لمساعدة خوجه نياز وجنوده المجاهدين الأتراك. بل كانت نية ماجويك بيك أن يشارك في الإنقلاب هذا وينتصر في بعض الممالك مع قوات جين شورين وأن يحتل بعض المدن ويجمع مقداراً كبيراً من الغنائم والسلاح ثم يعود إلى منطقة كانسو إذا طاوع خوجه نياز حاجى وسمح بذلك وكان زمرة ماجويك بيك ماهرين وبارعين في النهب والسلب وقطع الطريق. وذلك أن ماجويك بيك نفسه في أثناء قدومه البلاد مع جنوده صادف السائح المشهور السويدى "سوين هدين" ورفاقه فسلبهم. ولذلك تجنب خوجه نياز حاجى من صحبته وأن يكون معه في القتال ضد جين شورين. وكان اختيار خوجه نياز أحسن اختيار لا ريب فيه.

قام ماجويك بيك بمساعدة خوجه نياز حاجى وزمرة التونكان الذين في منطقة قمول يتغلب على جنود جين شورين وأبعدهم من ساحة المدينة الخارجية ، دهرهم إلى داخل سور المدينة وأجري السلب والنهب في أوساط المجتمع التركستاني وكذلك استولى على غنائم ، كسبها من الحرب ومن جنود جين شورين حتى اجتمع لديه مال بل أموال كثيرة وأسحلة حربية مجملها على أربعمائة

جمل وعاد بها إلى منطقة سوجو و لم يعط شيئاً من نصيب المجاهدين جنود خوجه نياز حاجى. و لم ير خوجه نياز من ماجويك بيك خيراً فتركه يذهب حيث إن ماجويك بيك نهب وسلب الناس المستأمنين العزل وفعل مظالم كثيرة في أموال الناس وأرواحهم وقال: "لم نر شيئاً من صداقة ماجويك بيك" وتأثّر منه كثيراً وقرر أن لا يصادق معه في المرة الثانية.

وإن خوجه نياز حاجى بنى استحكامات منيعة في جميع الوديان و لم يخرج منها وحافظ عليها وقوّاها بالجنود اللازم وباطشهم فيها. وبعدما ذهب ماجويك بيك إلى سوجو ظن جين شورين أن هذه الفرصة ذهبية في الهزام خوجه نياز حاجى وأرسل إلى منطقة قمول جنوداً كثيرة بقيادة صيني اسمه شين تس شه ي، وبعد تصادمات كثيرة مع المجاهدين وحروب دامية معهم دخل شين إلى واد تحت قيادة خوجه نياز حاجى ، دخلها من جهة منطقة باركول ، والهزم خوجه نياز حاجى فترك قاعدته هذه وأخذ جميع جنوده وانسحب إلى الجبال القريبة من البلد وإلى قممها المتوجة بالثلوج. احتل شين الجبال وبعض الوديان غير أن المجاهدين وقفوا على جنود شين بالمرصاد في أيام الشتاء والبرد القارص بهجوم غير منتظمة ومباغتات شرسة حتى أن جنود شين الهكت قواها الجسمية ، وبخسارة النفوس المتكررة. وغنموا أرزاق ومواد الغذائية من جنود

شين وبهذا السبب ترك جنود شين الجبال ومناطق الوديان الخطرة عليهم حتى إن خوجه نياز حاجى استرد قاعدته القديمة.

وفي تلك الأيام من سنة ١٩٣١ الميلادي وفي شهر ١٢ قام نفر من فئة قازاق بالإنقلاب المحلى بقيادة شخص اسمه بارملا وأشعل الإنقلاب بيوت مدينة باركول بل محافظة باركول وطردوا الصينيين الموجودين في المدينة أي باركول بعد أن قتلوا أكثرهم واحتلوا بيوت الصينيين وقاموا عليهم وأخذوا أموالهم غنيمة. ولكن جين شورين أرسل جنوداً كثيرة ضد بارملا وانهزمت قبائل قازاق بغارة تلكم الجنود الصينيين جنود جين شورين وعوض جين شورين خسارة الصينيين المطرودين عن طريق إتاوات من الأهالي الأتراك أهل البلاد ، ثم اعتقل جين شورين بارملا القازاق وقائد القازاقيين ولكن القازاق الذين قاموا بالإنقلاب ركنوا إلى الجبال وحافظوا فيها على استقلالهم بالحكم الذاتي في الجبال وبعدما انهزم شين أمام المجاهدين بقيادة خوجه نياز حاجى فَقَدَ جين شورين جرأته في الهجوم على معسكر خوجه نياز حاجى ولكنه عمد أن يكثر جنوده في مدينة قمول وباركول بصفة المدافعة عنهما وبالتالى بدأ جنود خوجه نياز حاجى الإغارة على جنود جين شورين حيناً بعد حين ليأخذوا غنائم وأرزاق ومواد غذائية أخرى والأسلحة. ومنذ أواسط ١٩٣٢ من الميلاد تزايدت قوات خوجه نياز حاجى وكثر المجاهدون حتى أصبحت

ولاية قمول بأسرها تابعة لخوجه نياز حاجى وأصبح جين شورين في غاية الخوف من هذه التطورات.

وانتشرت موفقية خوجه نياز حاجى بمبالغات مؤثرة إلى عموم تركستان الشرقية ، وتوجهت آمال الأمة في كل ولايات تركستان إلى طرف خوجه نياز حاجى ببشر وسرور. وطفق جين شورين من هذه الأوضاع المداهمة عليه ، فمدّ يده إلى الإتحاد السوفيتي السابقة واتفق معها على معاهدة صداقة بين الطرفين ووقعها ، وأنه لم يأتنا بنود الإتفاق وإنما كان من بنوده أن يكون في حالة انتهاء الصراع في تركستان الشرقية يكون لرجال روسياً شأنهم كبير في اقتصاد تركستان الشرقية وهذا ما نستطيع أن نقوله الآن. وبمقابل ذلك وعدت روسيا بتزويد جين شورين بطائرات حربية وأسلحة أخرى وذخائر حية وجنود إذا لزم الأمر. وبموجب هذا الإتفاق أمدت روسيا لجيش شورين ست طائرات حربية وقباطنها وأسلحة كبيرة والذخائر وسيارات حربية من نوع جيب. ولو أن جين شورين أرسل هذه الطائرات على سماء منطقة خوجه نياز حاجى لا تجدى لأنها مناطق خوجه نياز كانت مناطق جبلية. ولكن دامت هذه الأحوال إلى أن تحرك خوجه نياز حاجى إلى ولاية تورفان.

ويذكر السيد أمين واحدى في مذكرته (تذكرة الإنقلاب) أن هيئة برئاسة جانك سنك قدم إلى البلاد لملاقاة خوجه نياز حاجى

وقدم له هدية يليق برئاسته ثم قدم له عرضاً بانقياد تركستان الشرقية للإتحاد السوفيتي مثل منغوليا الخارجية دولة تحت حمايتها أي تحت حماية الإتحاد السوفيتي وكانت الهيئة مرسلة من منغوليا الخارجية وعلى أن يكون خوجه نياز حاجى رئيساً لحكومته وأن الإتحاد السوفيتي وعد بمساعدات جمة. ولكن خوجه نياز حاجى لم يهتم بها ولا بأقوالها أي الهيئة.

الفصل الثاني
في انقلاب تورفان

إن خوجه نياز حاجى لم يغتر بالوضع الذي ذكرناه سابقاً حيث إنه كان يعرف عدم قدرته بالتحول إلى جبهة الهجوم وكان يري أن يستمر في قاعدته المعتادة وأن يلم ويجتهد في جمع قوات كبيرة بحيث لا يكون مهزوماً إذا ما تحول من حالة إلى حالة الهجوم وكانت هذه الفكرة أي فكرة خوجه نياز حاجى بغاية الصواب ومطابقة للواقع. وكان في خدمة وإمرة خوجه نياز حاجى ثلاثة من ضباط ماجيك ين وهم ماشي مين ، ومابو ين ، وماجينما لعلهم اختاروا البقاء في قمول على الذهاب والعودة مع ماجيك ين أو أنهم أتوا إلى قمول من ولاية كانسو إلى خدمة ومساعدة خوجه نياز

حاجى وكان معهم مأتين جندي من فئة التونكان. وكانوا هم الثلاثة يعرفون التنظيمات العسكرية والتدريب العسكري فاختارهم خوجه نياز حاجى لتنظيم وتدريب وتعليم جيوشه المجاهدين ، وكانوا يحرضون خوجه نياز حاجى على الخروج إلى ولاية تورفان ولكن خوجه نياز حاجى كان مصمماً في رأيه السابق حتى يحين الوقت ويجمع قدراً كافياً من جنود الإسلام حتى يخرج إلى ولاية تورفان. ولكن الضباط الثلاثة المذكورين ضاقوا صدراً من رأي خوجه نياز حاجى وأعلنوا العصيان عليه وبالتالي أغار خوجه نياز حاجى عليهم وهزمهم وطردهم من جبال ووديان قمول الباسلة غير أنهم لم يرجعوا إلى منطقة كانسو وإنما ذهبوا إلى جهة تورفان حتى وصلوا إلى قصبة جقيتم. وفي هذه القصبة أذاعوا أن خوجه نياز حاجى قادم مع المجاهدين وبكل جنوده المدربين وأن ماشي مين أرسل خطاباً إلى وجهاء تورفان وعلى لسان خوجه نياز حاجى يقول فيه: " أمين باي ومحمود باي (المحيطى) وإبراهيم دورغا يكون معلوماً لديكم نحن قدمنا إليكم ووصلنا الآن منطقة جقيتم ومعنا جنود كثيرة فعليكم أن تتأهبوا لقابل الأيام واستعدوا". وبهذا الخطاب أي الخبر تأهب واستعد أهالي تورفان للثورة العارمة بصدق وهيجان كبير. فقام أهالي مدينة فيجان بلا استعداد للثورة مندفعاً بالحرارة والتصميم وكان فيجان تبعد عن مدينة تورفان بثمانية وثمانين كيلو متراً فقام الأهالي

للثورة مع رجال ماشى مين وانتصروا واحتلوا مدينة فيجان بعد أن قتلوا فيها كل الصينيين جنوداً ومدنيين. وبهذا الخبر قام جين شورين بتجهيز قوة كبيرة من مهاجري روسيا فهم هاجموا على المسلمين المجاهدين وانتصروا عليهم وطردوهم من فيجان. قد تعرض أهالي مدينة فيجان للقتل العام من قبل جنود جين شورين الروس وصار فيها سلباً ونهباً ووسائل التعذيب فهرب ماشي مين برجاله الباقية من القتل إلى منطقة ديغاي مهزومين ومطاردين.

فمنذ قيام ثورة في ولاية قمول تحرك المثقفون والأغنياء في مدينة تورفان منهم حمد الله أعلم ومقصود محيطى ، ومحمود محيطى ، وموصول وعبد الله داملام وغيرهم يتأهبون لمساعدة الثوار في ولاية قمول وهم يشكلون وحدة المصير في هذه الثورة المباركة بصورة مخفية ، وفي مدينة آستانه قام الأهالي باستعداد للإنقلاب ودخلوا الجهاد واحتلوا الآستانه وأخلوها من الصينيين. ومن ثمة قام منصور محيطى الأخ الأكبر لمحمود محيطى ونفر من المثقفين بالتحرك إلى طريق قمول لأن يأتوا خوجه نياز حاجى ووصلوا إلى مدينة لوكجين في الطريق وعرفوا في لوكجين أن القادمين من مدينة قمول نفر قليل من زمرة التورفان وأن خوجه نياز لم يتحرك بعده من قاعدته في ولاية قمول. فندموا على تحركهم قبل الوقت المناسب وقبل تحرك السيد خوجه نياز حاجى من قمول. ولكنهم اعتقدوا أن ماشي مين ورجاله

جاؤوا من لدن السيد خوجه نياز حاجى وأتوا بهم إلى بلدة آستانه واحترموهم على أنهم ينوون الجهاد في سبيل الله.

وفي نفس اليوم توجه ثلاثمائة جندي صيني من تورفان إلى آستانه وفي الطريق يتصادم مع المجاهدين وبفضل مساعدة أهالى آستانه وأهالي قاراخوجه انتصر المجاهدون على الصينيين وغنموا مائة بندق وذخيرة كبيرة. وفي صبيحة اليوم الثاني اجتمع أكثر من ثلاثمائة آلاف جندي من أهالي لوكجين ، وقاراخوجه ، وله بجين ، مورتوق ، وياكخي ، وغيرها من أهالي البلاد وإن ثلاثة آلاف رجل تعتبر قوة لا يستهان بها.

وبهذا أقام أهالي تورفان مع فئة التونكان بضرب كل صيني في مدينة تورفان وضواحيها وصارت فيها حروب دامية وبتاريخ شهر فبراير ١٩٣٣ من الميلاد حرر مجاهدو تورفان مدينتهم من الصينيين الأشرار وإن فئة التونكان بالإعتماد على ماشي مين تسلحوا تسليحاً كاملاً في صباح يوم التالي من فتح مدينة تورفان وإن مجاهدي تونكان من منطقة تورفان كان بقيادة واحد منهم لقّب ب "ساوفي سيلنك". وكان أهل مدينة تورفان غير راضين بهذه القيادة ولكنهم صبروا عليه ولأجل أن لا ينشأ خلاف فيما بينهم وبين فئة التونكان فأطاعوه جبراً وليس برضاهم.

والحالة في تورفان كما ذكرنا تحرك من أورمجي فيلق من جنود جين شورين بقيادة به ي ذيخوي ووصل هذا الفيلق إلى مشارف تورفان ولكن المجاهدين تقدموا أو زحفوا إلى مسافة كيلومترات بعيداً عن مدينة تورفان ودارت فيها رحى الحرب الدامية وكان برفقة فيلق أورمجي ١٢ سيارة محملة بعتاد حربي منها مدافع هاوَن وذخائر ومؤن حربية وأسلحة متقدمة في زمانه. وانهزم به ي ذيخوي وجنوده أمام المجاهدين المسلمين وهرب ببعض جنوده إلى أورمجي ولكن طارده المجاهدون إلى وادي خوكلو حيث داهموه وضربوه ضربة قاضية فبقيت ١٢ عربة عسكرية ومدافع هاون وأسلحة أخرى غنيمة بيد المجاهدين.

وفي هذه المحاربة قتل أحد المجاهدين التورفان قائد فئة التونكان ساوفي سلنيك خطأً يظنه من الأعداء خلفه ماشي مين الذي مضى ذكره بصفة ساوفي سلنيك. وفي المحاربة أيضاً فتح المجاهدون وادي خولكو وممر دوانجنك وبهذه الموفقيات صد المجاهدون الطريق الذي يأتي من أورمجي وقطع بها طريق الإمدادات للعدو من مدينة أورمجي.

أثناء الإنقلابات في منطقة قمول استعد أهالي مدينة توخسون للثورة العامة وكانوا يترقبون الفرصة المتاحة لهم بإذن الله. وعندما بدأت ثورة ولاية تورفان أتى إلى تورفان عشرة أنفار من

مدينة توخسون برئاسة تختي آخون يطلبون توجيهات من قيادة ثورة تورفان التي توصيهم القيام بثورة في مدينة توخسون بكامل استعدادهم ويرافقهم أحد رجال ماشي مين ، وعندما عاد تختي آخون ورفقائه إلى توخسون يقومون بثورة عارمة فيها ومعهم مائتا فارس وبمساعدة من أهل البلد يفتحون توخسون المدينة. ثم يزحف تختي آخون ورجاله مع الذين انضموا إليهم من ضواحي توخسون وبلدة كوموش وعددهم يربو على ستمائة رجل يزحفون لولاية قاراشهر بل مدينة قاراشهر بالذات وينضم إليهم أهل المدينة من المسلمين الأتراك وفئة التونكان يفتحون قاراشهر بعد حروب دامية ولعدة سنوات.

وإما جين شورين في سعيه لإسكات الثورة لم يكفه جنوده فيستنجد من فئة الروس المهاجرين وفئة التونكان عشرات الألوف من كل من أورمجي وغولجا وجوجك وآلتاي. وفي هذه الأثناء بلغ لجين شورين خبر خروج تورفان وتوخسون وقاراشهر ومدينة كورلا من أيدي جين شورين بقيام ثورات في هذه المناطق الآهلة بالسكان المسلمين الأتراك. وعندها يخاف جين شورين على ولاية أورمجي فيصرف جل شؤونه في الدفاع عن أورمجي ويدعو قائده شين زيخوي بالقدوم إلى أورمجي بكل قواته رجالاً وعتاداً حربية. وعندما توجه شين زيخوي بجنوده إلى أورمجي وبغتة وبدون ميعاد يأتي على معسكر

المجاهدين في مدينة فيجان. وكان بصحبة شين زيخوي ٤٠٠٠ جندي وآليات ضخمة في زمانه من مدافع هاون فيهجم شين زيخوي على مدينة فيجان وينتصر ويدخل المدينة ويفتك بالأهالي قسراً ويعرضهم على القتل العام ثم يتوجه إلى مدينة تورفان ويدوس في طريقه على بلدتين له مجين ولوكجين حتى وصل شين زيخوي جنوده إلى مشارف تورفان.

ولكثرة جنود العدو بتنظيماتهم القتالية ينسحب المجاهدون إلى مدينة تورفان وصارت حروب دامية بين المجاهدين وبين شين زيخوي وجنوده ودافع المجاهدون عن مدينة تورفان دفاع المستميت وخسروا عشرة آلاف مجاهد في تلكم المعارك الحامية الدامية ، وانتصر شين زيخوي واسترد مدينة تورفان من المجاهدين.

وفي أواخر عام ١٩٣٣ من الميلاد أخذ ماشي مين من مسلمي الصين الأسلحة التي في قبضة المجاهدين وانسحب إلى مدينة توخسون يريد الوصول إلى ولاية قاراشهر. فمحمود محيطى (محمود سجانك) وأخوه موصول حاجي وطاهر بك وباي عزيزي وأمين حاجي داموللام وبقية من المجاهدين وصلوا إلى مدينة قاراشهر. وأما مقصود محيطى وبصحبته نفر من المجاهدين سلكوا طريق الجبال قاصدين ولاية قمول وبالذات قاصدين خوجه نياز حاجي وبهذه الطريقة سقطت ولاية تورفان وضواحيها بيد الأعداء.

وأما البقية الباقية من الأهالي تعرضوا للسلب والنهب والقتل العام بكل وحشية وجهنمية واستمر القتل العام في مدينة تورفان لعدة أيام حتى أن الصينيين الأعداء سفكوا دماء العزل من العوام حتى النساء والأرامل والأيتام صغيرهم وكبيرهم على حد سواء وأبشع من هذا أن مدينة فيجان لم يبق فيها حي يرزق من الآدميين.

وفي أيام فتح مدينة كورلا بلغ المجاهدين خبر مغلوبية المجاهدين في مدينة تورفان وسقطت المدينة برمتها في يد الصينيين الأعداء ، وأن ماشي مين انسحب إلى قاراشهر مارّاً بمشارف توخسون.

وعندما سمع المجاهدون الشباب من الأهالي الأتراك أن بلدانهم وقعت تحت محنة وتخريب، عادوا بقيادة تختي آخون إلى مدينة توخسون للدفاع عنها وبعد حروب دامية يستشهد قائدهم تختي آخون رحمه الله في ميدان القتال. وفي هذه الأيام بالذات قام من شبان جرجن وجارقلق ولوب يربو عددهم على ألف شاب قاموا وقدموا إلى ولاية تورفان وخاضوا معارك طاحنة كفدائيين وسقطوا في المعركة.

بالنسبة لما قاله السيد خوجه نياز حاجي وعلى رأيه الخاصة تجاه ثورتنا العارمة أنه كان لا يتحرك من قاعدته في جبال قمول حتى يتقوى جيوشه المجاهدين ويجمع عتاداً حربية وأسلحة متقدمة في زمانه

ويستطيع بها دهر أعداء الثورة وكسب استقلال البلاد ولكننا لا نعلم كيف كان تكتب كافة المستقبلية بالنسبة لصالح الثورة على العموم. وحيث إنه كان يقول إذا تمكننا من قوة جبارة نهجم على العدو بشكل منتظم ونضرب العدو من حيث القوة والنصر المبين على ما نسمع ولكن كيف كانت تخطيطاته في المستقبل ؟

وفي ١٩٣٣ وأواخر شهر يناير أسقط جنود جين شورين التي كانت تحت قيادة شين سي سه ي ، أصبحت مدينة ترفان وضواحيها تحت أيديهم. وإن مائتين من قائد كتيبة تونكان والمسلمين انسحب إلى مدينة قاراشهر ماراً بمحاذاة مدينة توخسون ثم سلك نفس المسلك السيد محمود محيطى ورفاقه الأطهار ومن ثمة غادر مقصود محيطى مدينة تورفان ومعه مائتا فارس قاصداً ولاية قمول الباسلة ويشرح الوضع في تورفان إلى حضرة السيد خوجه نياز حاجي ويطلبون منه مساعدة الإستعادة ولاية تورفان من الأعداء. فتأثر خوجه نياز حاجي من الفاجعات التي جاءت على رؤوس قومه وأمته ولم يرض ضميره اليقظ بمنعهم الآن من تحرير أرض ولاية تورفان وهو يعلم أنه لا يملك قوة كافية لدهر العدو أينما كان. لعدم كفاية السلام يحتاج المساعدة من أمته وهم الأخرى لا يملكون شيئاً وحتى الآن ما كان في خَلَدِه قيام ثورة عارمة في ولاية ختن الباسلة ومن ولايات أخرى.

في شهر فبراي ١٩٣٣ من الميلاد تحرك السيد خوجه نياز حاجي من قاعدته المنيعة جبال قمول قاصداً ولاية تورفان وبصحبته السيد قربان وسالى دورغا وصوفي وفاضل آخون وغيرهم وكذلك مقصود محيطى ورجاله المائتان.

وفي الطريق وصل إلى مدينة لوكجين ومكث فيها الأيام قليلة حيث انضم إليه جم غفير من أهالي ولاية تورفان وبالذات قدم إلى لوكجين الشيخ حمد الله آخون مفتي ولاية تورفان وتقابل مع السيد خوجه نياز حاجي وتشاور معه كيفية الحركة القادمة في قابل الأيام وما هي تخطيطاتنا وما متطلباتنا ؟

وعندما بلغ لجين شورين خبر قدوم خوجه نياز حاجي ورفاقه إلى مدينة لوكجين أرسل إلى لوكجين جنوداً من طائفة الروس مسلحين بأسلحة متقدمة في زمانه. ودارت معارك الحرب بين الطرفين في مدينة لوكجين طوال ثلاثة أيام ولياليها وينهزم السيد خوجه نياز حاجى وينسحب إلى منطقة جالقان تاغ. بعد أن استشهد كل من حمد الله أعلم آخونوم ومقصود محيطى وعبد الرقيب قاضى في هذه المعارك الدامية التي سقطت فيها ما يقارب عشرة آلاف مجاهد من المسلمين ، وعلق الأعداء رأس مقصود محيطى المقطوع على سارية من خشب وداروا به في لوكجين ومسقط رأسه

الآستانه وأجري الأعداء قتلاً عاماً في مدينة لوكجين ثم أضرموا النار فيها.

وفي هذه الأيام كانت في أورمجي اضطرابات سياسية أهمها أن جين شورين دفع المهاجرين الروس إلى ميادين القتال مع المهاجرين من فئات أخرى مع المجاهدين الأتراك أهل الثورة العارمة منذ ستة أشهر من دون راحة وأن المهاجرين الروس هؤلاء تذمروا قليلاً فخاف جين شورين على أنهم ربما ينضمون إلى صفوف المجاهدين. فأعادهم إلى أورمجي لأن جنود الصين لا يمكنهم الغلبة على المجاهدين المسلمين. ومن جهة ثانية يحاربهم السيد محمود محيطى في طريق المهاجرين الروس الذين عادوا من تورفان وفيجان ولوكجين إلى أورمجي في منطقة بيانك كو ويسد عليهم الطريق. وفي هذه الأثناء يقابل السيد محمود محيطى بخوجه نياز حاجى[1] الذي قدم من ولاية قمول إلى ولاية تورفان وباتفاق النفرين نحو تخطيط يقررون أن يبدأ المجاهدون القتال على مدينتي گوجيك وموري وبموجب هذا القرار يقدم المجاهدين القتال على كلا المدينتين وإنهم أنهوا قتالهم بفتح موري.

كان ماشي مين (مسلم الصين) قد انسحب إلى قاراشهر في يناير عام ١٩٣٣ من مدينة تورفان. وجمع فيها أكثر من ألف رجل

---

١ تجدون ترجمة خوجه نياز حاجى في كتاب شنجانك تأريخ ماترياللاري ، رقم ٨ ، طبع أورمجي ترجمة وافية من مولده إلى وفاته (المترجم)

من فئة التونكان. وتقوى بهذا القدر من الجيش التونكاني وبدأ يفكر أن في الإمكان تأسيس دولة تونكانية في تركستان الشرقية في ذلك الوقت ويرسل موصول بك أخو الشقيق لمحمود محيطى رئيساً لهيئة يرسلها إلى ماجوك ينغ . يطلبه القدوم إلى تركستان الشرقية وتذهب هذه الهيئة قاصدة كانسو عن طريق دوكخامن (بلدة حدودية في الشمال الشرقي من البلاد). ولكن لا نعرف هل كان هذا الأمر معلوماً لدي محمود محيطى أم لا فهناك روايات مختلفة. وفي ولاية نيسى ينضم إلى الهيئة يولباس بك وفي الأيام هذه كان بين ماجونيغ مين وبين خاله مابوفاك مناوشات حربية وكان ماجوك ينغ يبحث عن مكان يلجأ إليه فاستبشر من قدوم الهيئة وتحرك مسرعاً بتعبئة ألفي فارس وثلاثة آلاف مشاة ، متوجهاً إلى تركستان الشرقية من ولاية كانسو بتاريخ شهر مارس عام ١٩٣٣ من الميلاد. وفي الأيام هذه قد تقلصت قوات الصين من ولاية قمول فاحتل جنود ماجوك ينغ ولاية قمول وصار ينسحب إلى منطقة گوجيك.

ومن ثمة رجع خوجه نياز حاجى إلى الوراء وتوجه لاستقبال ماجوك ينغ التقي الشخصان في موقع ما بين قمول وتورفان واتفقا في شؤون القتال ولكن لا نعرف عن تفاصيل الإتفاق هذا وحقيقته شيئاً. غير أننا سمعنا من مقربي خوجه نياز حاجى أنهما اتفقا على أن يحرر البلاد من حكم جين شورين وأن يساعد ماجوك ينغ خوجه

نياز حاجى وأن يأخذ ماجوك ينغ نصف الأسلحة التي يغتنموها في القتال وأن يأتمر خوجه نياز حاجى ويلزم بأفكار وتخطيطات ماجوك ينغ وكان الإثنان غير تابع البعض للبعض الآخر. ولكن الأخبار التي سيقت إلينا من فئات التونكان أن خوجه نياز حاجى بايع ماجوك ينغ دن قيد أو شرط.

والحاصل أن الإثنين اتحدا وقررا أن يهاجما على گوجيك وجميسا ، المنطقة التي تكون فيها أكثر القوات العسكرية لجين شورين. وبناء على شهادة الشهود أن هناك اتفاق على أن يفتح گوجيك فئات التونكان وأن يفتح جميسا من طرف خوجه نياز حاجى. ولذا قابل جنود ماجوك ينغ في فتح گوجيك طوال اثنتا عشر يوماً وفتحوها وكان فيها عشرون ألف جندي استولى ماجوك ينغ على جميع الأسلحة والعتاد الحربي التي غنمها جنوده، وكان من جنود خوجه نياز حاجى من لا يحمل سلاحاً حتى البندقية ، فطلب خوجه نياز حاجى من ماجوك ينغ من البنادقة نصيبة لتسليح من لم يكن له سلاح ولكن ماجوك ينغ أبى أن يعطيه طلبه.

وكان جميسا تبعد عن گوجيك مسافة ٢٥ كيلومتراً على طرف أورمجي واحتل جنود خوجه نياز حاجى موقعاً ممتازاً بالقرب من مدينة جميسا وحاصرها لعدة أيام حتى قبل جنود جن شورين استسلامها لخوجانياز حاجى وأن يسلم السلاح له ووقف القتال

بين الطرفين فانسحب خوجه نياز حاجى من سور المدينة على أن يسلم جنود جين شورين السلاح صباح غد ولكن المؤلم أن ماجوك ينغ أرسل إلى جميسا عدة سيارات ليحمل السلاح باتفاق مع جنود جين شورين وأخذ السلاح وأتي به إلى گوجيك وكان من حملة السلاح والعتاد الحربي ألف وثمانمائة بندقية وكثيراً من العتاد الحربي وبدون ما يخبر خوجه نياز حاجى ، والأخرى لا يعلم عنها شيئاً.

والخلاصة أن ماجوك ينغ لم ينصف ولم يعدل في الموضوع هذا وفي الصباح علم بالأمر خوجه نياز حاجى وجنوده فزعلوا كثيراً غير أن الأمر أصلاً يوجب الصبر لا غير في ذلك الوقت.

في الأيام التي قدم ماجوك ينغ إلى تركستان الشرقية وللمرة الثانية وقع انقلاب على سيادة جين شورين حيث أنزل من الرئاسة وبتاريخ ١٢ أبريل عام ١٩٣٣ من الميلاد خلفه شنيك سي سه ي دوبن بصفة والى العام العسكري. وسوف نأتي بتفصيلات ذلك ولا سيما واقعات يوم ١٦ أبريل من نفس السنة في باب حوادث أورمجي . وأما بالنسبة لأحوال المجاهدين أن الوقت قد حان للهجوم على أورمجي بعد أن سقطت مدينتا گوجيك وجميسا لأهمية هاتان المدينتان بالنسبة لأورمجي من حيث قربهما من أورمجي.

وكان لماجوك ينغ خطة أن يبتدئ خوجه نياز حاجى بالهجوم إلى ضواحي أورمجي ، وأن يهاجم ماجوك ينغ إلى كل

المناطق في الغرب ماناس و قطبي وسانجى وشيخو وأن ينفرد هو على جميع الغنائم من هذه المدن الغنية وبناء على خطته هذه كلف ماجوك ينغ خوجه نياز حاجى أن يهاجم بلدة فركانك الشرقية من أورمجي ثم يهاجم أورمجي. وكان بلدة فركانك تبعد عن مدينة أورمجي بعشرين كيلومتراً في الشرق الشمالي منها. ولكن خوجه نياز حاجى قال له: "أنا مستعد لهذه المعارك غير أن جنودي ليس لهم سلاح كاف لهذه المعارك أعطوني سلاحاً وعتاداً حربياً كافياً لذلك".

غير أن ماجوك ينغ أعطاه قليلاً من العتاد الحربي و لم يعطه بندقية واحدة. ومن جهة ثانية علم أن ماجوك ينغ يستعد تحمل بنادق وعتاد حربي إلى ولاية كانسو. وبسبب هذه الخيانة ضاقت طاقة المجاهدين الأتراك وهم جنود خوجه نياز حاجى ولكن آمنوا بالواقع المؤلم وشرعوا بالهجوم على فوكانك بينما جنود ماجوك ينغ هجموا على مدن مناس شيخو وقطبي وسانجى وبهجوم كاسح وبمساعدة الأتراك أهل البلاد وفئة تونكان من المستوطنة فتحها كلها. وبهذه الصورة حوصرت مدينة أورمجي من الشرق الشمال والغرب. وفي هذه الأثناء عمل شين سي سه ي بإرسال وفود إلى كل من ماجوك ينغ و خوجه نياز حاجى كلاً على حدة بوعود وشروط سهلة ويدعوهم للتفاوض بين الطرفين : المجاهدين وشين سي سه ي. ويرسل مبعوثاً إثر مبعوث وكان في علم شين شي سه ي أن خلافاً

حصل فيما بين ماجوك ينغ و خوجه نياز حاجى وكان قصد شين أن يفرق بينهما فيما أمكن وأن يصيد واحداً بعد آخر. وفي الحال أرسل شين شى سه ي مبعوثاً لخوجه نياز حاجى أن يفاوض الطرفين شين و خوجه نياز حاجى مفاوضات سلمية بشروط سهلة وميسرة ومقبولة نسبياً.

وكانت هذه النقطة نقطة حساسة للغاية لتقرير مستقبل تركستان الشرقية. وعلى كل كما أسلفنا كان قصد شين شى سه ي أن يفرق بين العدوين على حكومة ورئاسة شين شى سه ي. وأن هذه التفرقة كان أهم من كل شيء سواها عند شين شى سه ي.

وفي الحقيقة كانت التفرقة هذه شيئاً مثيراً للخوف لدي المواطنين المجاهدين في الميدان على مصير ومقدرات تركستان الشرقية نتيجة ثورته المباركة ، وكان السيد خوجه نياز حاجى يري أن الحساب مع ماجوك ينغ على خيانته وكونه غير منصف في غنائم الحرب ولا سيما غنائم السلاح في الوقت الذي يري خوجه نياز حاجى حاجته الملحة للسلاح لجنوده المجاهدين ولكن خوجه نياز حاجى يري أن الحساب مع ماجوك ينغ يكون بعد فتح مدينة أورمجي ولكن الواقع في رأي شين شى سه ي أن الأمر كله بين الرجلين خوجه نياز حاجى وغريمه ماجوك ينغ خداع في خداع. غير أن خوجه نياز حاجى لم يفهم ما فهمه شين فقبل المفاوضات

وأعطي خوجه نياز حاجى قراراً لها وصارت المفاوضات بشروط سهلة على فهم خوجه نياز حاجى. وكانت بنود المفاوضات كما يلي:

[أولاً]: أن يعطي شين شى سه ي لخوجه نياز حاجى عشرين ألف بندقية وعدة ملايين ذخيرة حية (الرصاص) ومليون سركموش بول (سر : نقود فضية ، يشبه بنقد سعودي فضية أثقل منه وزناً) وأن يدفع من النقد المليون ثلثه والبقية بعد أن يطرد خوجه نياز حاجى غريمه ماجوك ينغ من تركستان الشرقية.

[ثانياً]: أن تبقي منطقة ما يسمى آلته شهر (المدن الستة) ولاية قمول وترفان وهي تقع بالجنوب من جبال خانه تنري تبقي في إدارة السيد خوجه نياز حاجى يحكمها تابعة لحكومة الصين المركزية رأساً.

[ثالثاً] : وفي مقابل ذلك يبقي السيد خوجه نياز حاجى صديقاً لجين شورين وعدوّاً لماجوك ينغ وإذا لزم الأمر الحرب فيما بين ماجوك ينغ وخوجه نياز حاجى ، الأخير يحارب الأول وإذا وقع تصادم بين جين شورين وماجوك ينغ يساعد خوجه نياز حاجى لجين شورين ويبقي محايداً بين الطرفين[1].

---

[1] كتبت هذه الإتفاقية قبل شهر أبريل من عام ١٩٣٣ حيث كان جين شورين في الحكم في أورمجي ولكن التصديق صار في شهر يونيو حزيران عام ١٩٣٣ بعد رحيل جين شورين عن أورمجي في أبريل عام ١٩٣٣ من الميلاد، وكان التصديق في منطقة فوكانك (المترجم)

وإن ما كتب في الإتفاقية من أسلحة ونقود انبهر بها السيد خوجه نياز حاجى وكذلك ما اتفق من مساحته أكبر منه، كلها منطقة جنوب تركستان لَشيء عظيم. بتاريخ ٨ حزيران عام ١٩٣٣ من الميلاد وقعت المعاهدة أو الإتفاقية في بلدة شماگو التي تبعد عن مدينة أورمجي بمقدار سبعة أميال تقابل السيد خوجه نياز حاجى ومن ينوب عن شين شى سه ي ووقعا الإتفاقية واستلم السيد خوجه نياز حاجى الأسلحة والنقود التي ذكرت أو حسبما ذكرت في الإتفاقية. ثم خرج السيد خوجه نياز حاجى من ميدان القتال وأتى إلى مدينة تورفان ولكن أشخاصاً من محبي السيد خوجه نياز حاجى لم يرضوا بهذه الإتفاقية غير أن السيد خوجه نياز حاجى صمّم في قبوله الإتفاقية ووقعها كما ذكرنا.

وبعد أن رحل السيد خوجه نياز حاجى إلى ولاية تورفان هاجم قوات ماجوك ينغ على مدينة أورمجي وكان الحرب سجالاً بينه وبين شين شى سه ي يغلب حيناً ويُغْلَبُ أخرى. وكان أهمها أربع مصادمات دامية بين الطرفين ومن جهة ثانية كان ماجوك ينغ مشغولاً بوفود شين شى سه ي ويرسل هو الأخر أي ماجوك ينغ وفوداً إلى شين ويتذاكرون مع بعضهم بعضاً.

وفي هذه الأثناء قام القائد الصيني في منطقة إيلى به ي زيحوي ورقيب شين شي سه ي واسم القائد الصيني جانك بيتون

بصفة سلنيك أي القائد العسكري اتفقا على إطاحة الحكم في أورمجي وعلى رأسها شين شى سه ي وحاصرا مدينة أورمجي بقواهما مجتمعة واحتلا بعض الأحياء من المدينة ودامت هذه المحاصرة شهراً كاملاً وفي الأثناء اتفق شين شى سه س مع الإتحاد السوفيتي بصورة سرية ووقع معاهدة معه (معاهدة عسكرية واقتصادية) وبعد توقيع المعاهدة دخلت البلاد جنود سوفيتية وتغلبت على جنود ماجوك ينغ وألحقته هزيمة نكراء وهرب ماجوك ينغ من ميادين المعركة وصادف في طريق هربه كلاً من مدينة سانجى وقطبي ومناس وشيخو أضرم النار فيها كلها حتى وصل إلى گوجيك. وإن جيوش شين شي سه ي احتلوا المدينة المحروقة وأجروا فيها قتلاً عاماً على الأهالي والأطفال والشيوخ والنساء قتلاً ذريعاً.

ولم يبق أمام ماجوك ينغ إلا أن يعود إلى بلاده كانسو غير أن خاله ماجوفانك قد احتلها وصد عليه طريق العودة. ففكر ماجوك ينغ أن يحارب السيد خوجه نياز حاجى إذا أمكنه ذلك وتوجه حالاً إلى ولاية تورفان حيث السيد خوجه نياز حاجى. وذلك في أواسط شهر آب -أغسطس من عام ١٩٣٣ الميلادي. وشرع في الحال بمحاربة السيد خوجه نياز حاجى وسوف يأتي بيان ذلك في الآتي.

الفصل الثالث

انقلاب ختن

وكيف أتي الإنقلاب

منذ بداية القرن العشرين كانت تركستان الشرقية منعزلة عن العالم الخارجي من حيث الطرق الواصلة إليها ومن الأخبار الموصلة إليها ومتروكة على حالتها. وكانت مستملكة لإمبراطورية الصين من آل مانجو. وكانت الكوادر الصينية ذو المناصب في البلاد كان ويقولون أنهم يحكمون البلاد باسم إمبراطور مانجو. ولكنهم لا يأتمرون بأمر الإمبراطور ولا يمشون بتوجيهاته. بل إن الحكام الصينيين يديرون البلاد ويحكمونها بالإستبداد والدكتاتورية ويجعلون البلاد تحت ظلام الجهل والفقر ومحرومة من أبسط حقوق الإنسان في القرن العشرين وكأنهم عائشون في منتصف الليل الدامس وكأنهم عمياً في النهار منذ أن عرفت اليمين والشمال أو عرفت أمرهما كنت أرى مظالم الصينيين في بلادي تركستان الشرقية وحكومتهم التي تمشى على غير جهة شرعية. وكنت أحس الظلم والرذالة التي وقعت على أمتي وبلادي وقد دفعت تلكم المظالمة إلى القهر وعدم الإستقرار. وعلى إثر ذلك كنت أمضى الليالي من دون رقاد ساهراً متفكّراً تعاسة أمتي وحرمانهم من العدل والإنصاف. وكان قدري صغيراً

عديم العلم والتجربة وكنت فقيراً وكنت لا أجد أحداً أزفّ إليه آهاتي وأقول له آلامي.

وبالخلاصة منذ عمري خمسة عشر ربيعاً كنت أحس مظالم أمتي وشتاء شعبى وذل عشيرتي وفقرهم وكنت أهم وأغتم لأجل بلادي وأهلها وبهذه الأحساس والمشاعر المظلمة التي دفعتني إلى علم التاريخ الذي يتكلم عن بلادي تركستان الشرقية فأجريت البحث عن ذلك التاريخ أطالعه وأحلل مغلقه وأدرس مشاكله ومشقاته غير أنني لم أجد من يعلمني هذا العلم من بلادي.

وبهذه الحالات المؤلمة أتممت تحصيلي وعمرى الثانية والعشرون وبدأت في التدريس وبمرور الأيام حصلت في التدريس اعتباراً واحتراماً من المحيطين بي. ووجدت من الشباب المتعلمين من يفهم كلامي ويزيد أنسي وانسجامي معهم وبمرور الوقت كثر من مثل ذلك الشبان اتخذت منهم أصدقاء ومهتمون بي. وقد حظيت منهم محبة وإخلاصاً واشتغلت واجتهدت من حيث الدين والإجتماع. وقد وفقت في كل هذه الحالات حتى وصلت إلى مرحلة يمكنني أن أفهم على زمرة من طلابي شؤون البلاد ويحبونها ووصلت إلى مركز يمكنني أن أوقظ بينهم المكامن للبلوغ إلى قصدي ومبتغاي آملاً منهم النهوض إلى عمل ما يوقظ الأمة ويهزها إلى النضال لصالح

أمتنا وأرضنا العطاء ، ولمستقبل حياة الناشئ من أطفال تركستان الشرقية.

ولكني كنت لا أعرف شيئاً عن أوضاع بلادي ومعنويات أمتي وكيفية قوة الأعداء وإن معرفة هذه الأشياء تحتاج إلى سفر للسياحة وأخذ العلم والمعرفة من الشيخ محمد مراد (رمزي) حضرة في مدينة جوجك حيث كنت راغباً في أخذ علم التفسير والحديث من مثل هذه المشايخ فقمت وسافرت منه ولاية ختن في شتاء عام ١٣٤٩ هـ الموافق عام ١٩٣٠ من الميلاد ومررت بكل من كوجا ، وكورلا ، وقاراشهر، وتورفان وأورمجي فولاية جوجك. وإيلى وولاية آقسو ، والبلدان المجاورة لها. وامتدت رحلتي هذه ستة أشهر حيث عدت إلى ولاية ختن وعلمت أثناء سفري هذا مختلف أوضاع بلادي الواسعة وشؤون الناس وعاداهم الإجتماعية والمعيشية وقدرهم المالية. وعرفت تلكم الأشياء من على الطبيعة لحد القناعة. ونمت إرادتي وقويت عزيمتي أشد مما كان. ووجدت في عدة مواقع منه البلاد مثقفين ودارسين ذوي عزيمة وشكيمة صادقة وكذلك وجدت الوطنيين القوميين ذوي صلابة ومضاء. ووجدهم قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولكن لم أجد هناك من جد واجتهاد في تأليف القلوب وقيام جمعية وطنية كرسالة توقظ الأمة من ثباهم ولا أعلم هل هناك من به هذه المقدرة وتلكم الخصال الجمة يقود أمته

ويخلصهم من محنتهم أم لا ؟. وهل هناك من يرأس لأمته في شوؤن السياسة وقيادة الجهاد ؟ غير أني وجدت في مدينة غولجا حاضرة ولاية إيلي الشيخ ثابت داملام به فكرة القيام بانقلاب عام في البلاد لتحرير أمته من براثين الأشقياء الصينيين. ومن طرف أيضاً كشفت له سري ومكامن قلبي في هذا الموضوع وأمضينا معاً ليالي عدة في مذاكرة الأمر بشتى وجوهها الإيجاب والسلب وأخيراً جئنا على قرار للإنقلاب المسلح والحال هذه في بلادنا حيال أمتنا المسلمة.

واخترنا منطقة ختن مركزاً رئيسياً لهذا الإنقلاب وعلى رأينا الأساسي لم يكن للخوف محل في قلوبنا من جين شورين حتى من الحكومة الصينية المركزية في ننجين. ولكن كان هناك خوف من تدخل الحكومة الروسية في هذا الإنقلاب. وإن الشيخ ثابت داملام سافر عن طريق روسيا إلى الحج وذلك بتاريخ شهر فبراير عام ١٩٣١ من الميلاد الموافق سنة ١٣٤٩ الهجرية.

وكان من مقاصد السفر أولاً أداء فريضة الحج ثم التدقيق في بلدان آسيا الغربية والبلاد الإسلامية والعربية في ما مدى قابلية الوضع في العالم حيال انقلابنا الذي قررناه في تركستان الشرقية في الأيام القابلة.

وأما ما تحقق بي من سياحتي أنه استقر في رأيي عمل شيئين مهمين:

أولاً: تشكيل وحدة وطنية بصفة ونظام عسكري بصورة مخفية وأن نبادره الآن قبل أن يعرف العدو ما سنقوم به من حركة انقلابية ، وأن ننشر آرائنا بين الناس بصورة سرية للغاية ، وتكون لدينا قوة وحدوية ضاربة في بدايتها المصغرة بحيث يكونوا مستعدين للإنقلاب.

ثانياً: أن كون منطقة ختن مركزاً لهذا الإنقلاب حيث وجدتها صالحة ومناسبة من حيث الوضع الجغرافي وأن نجد فيها من هو مستعد لخوض معركة الإنقلاب ولأني وجدت في الناس هنا ذات معنويات عالية. ولكن شيئاً واحداً يعكر صفو إرادتي ويضعف ما أفكر به من انقلاب. ألا وهو جغرافية وضع البلاد أقصد ختن غير صالحة لحمل السلاح فيها وحتى الآن ، غير أن الوضع كما أسلفت لم يكن مساعداً لذلك ، ولعلاج الوضع هذا المعاكس أن يقوم الإنقلاب في جميع ولايات تركستان الشرقية حيث يضعف حكومة البلاد ذلك الوقت في صد الإنقلابات هذه دفعة واحدة في كل أصقاع البلاد حيث تتشتت قوات الحكومة ولأجل ذلك فكرت في سياحة ثانية قد تكون مخرجاً ذاتية لأفكاري السابقة. بل كان الأمر يتطلب عدة سياحات متممة بعضها بعضاً في سبيل تحقيق الآمال.

وقد مضت سنة ونصف سنة لسياحتي الأولى وإن أسراري بقيت كما كانت في طيات قلبي.

والحال عندما -كما قلت- اندلعت ثورة عارمة في منطقة قمول الباسلة وجاء ١٩٣٢ من الميلاد تسربت أخبار انقلاب قمول إلى المدن الستة وتراكمت كل قوات جين شورين العسكرية إلى ولاية قمول الباسلة و لم يكن في استطاعة حكومة جين شورين أن يقسم قواته إلى هنا وهناك حيث لم يكن لها قوات احتياطية وعند ذلك تقلصت عندي الأفكار العكسية وعرفت أنه سيكون الآن ممكناً تشكيل عدة وحدة وطنية في بعض المدن من المدن الستة (الجنوب من تركستان الشرقية) من حيث أهمية المواقع الإستراتجية.

ثم أني فاتحت بأمر الإنقلاب وفكرتي فيه فاتحت أخي الصغير نور أحمد آخون بتاريخ ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٥١ هجرياً الموافق ٩/١٦ / ١٩٣٢ من الميلاد. فسُرّ أخي بهذا سروراً عظيماً وقبل فكرتي هذه وصار العضو الأول في الحركة الإنقلابية. ثم باشرنا بقبول أعضاء جدد في هذه الوحدة واحداً بعد واحد. وخلال شهر واحد جمعنا في صفوفنا أكثر من خمسين مناضلاً وأسسنا جمعية واحدة للنضال في منطقة ختن وعرفنا أن جمعيتنا هذه لتضم في جنباها عدداً كبيراً من المناضلين ولا شك فيه. وبقيت جمعيتنا بصورة مخفية ثم تبلورت عندنا فكرة تأسيس جمعيات عديدة في كل من مدينة كاشغر ومدينة ياركند وغيرهما من المدن والولايات وأيضاً بصورة مخفية. وقلنا إن تأسيس جمعية في مدينة كاشغر أقرب إلى الواقع من الخيال

فأرسلنا أخي نور أحمد إلى مدينة كاشغر ماراً بياركند ومدن أخرى في الطريق إليها ثم أرسلنا الأخ قربان الله إلى كاشغر أيضاً حيث إن الزميلين هذين قد درسا سابقاً في مدينة كاشغر وكانت لهما صداقات ومعرفة في سائر الطلبة الدارسين في كاشغر وكان سهلاً عليها جلب الطلاب إلى فكرتنا وتأسيس جمعية لهم في مدينة كاشغر وغير ذلك كان منوطاً بهما التحقيق في الأوساط العامة ودراسة قوات الحكومة ولها فرقة هناك.

هل هذا صحيح ؟ وما هي حركات الحكومة وتطلعاتها في مثل هذه الأمور ودراسة وعي الناس العوام في كل منطقة يمرون بها في الطريق ولكنهما لم يتوفقا في تأسيس جمعية الوحدة الوطنية ذات هيكل عسكري كما أسسنا في مدينة ختن (ايلجا) غير أنهما توفقا في سائر الأمور التي أنيطا بها. وعادا من سفرهما هذا موفقين ووصلا إلى منطقة ختن قبل قيام الإنقلاب فيها.

وكان أهم الأمور التي أنيط بهم أي برفاقنا جمع الأسلحة الممكنة وجمع ما يتوفر من نقود لصالح الثورة. وأما سائر الأمور كانت متوزعة بين الرفاق حسب قدرتهم وبالأمر المناسب لهم.

استمرت جمعيتنا في جدها وجهدها الموفق ستة أشهر وزيادة ولكنها توفقت كثيراً في مدينة قاراقاش ومحافظاتها جميعاً بكل أفراد

هذه الأمة تجندت في الخدمة وبدون استثناء وقد تعين على كل فرد منهم مهاماً يليق به وحسب إمكانياته.

وانضم أيضاً من مدينة إيلجا شخصيات مهمة في صفوفنا في الجمعية.

وأما من جهة العدو أنه حتى الآن (ذلك الوقت) لم يستطع أن يطلع على أي حركة أو عمل من جمعيتنا. وفي شهر شوال عام ١٣٥٢ هجرياً استوت مستوانا العسكرية والإتفاق الوطني على قوات العدو الموجود في ولاية ختن من حيث الأفراد ومن حيث السلاح أو قاربت. وأن قواتنا وصلت لمرحلة المقاتلة مع قوات العدو.

ونعود إلى الوراء قليلاً وفي شهر شعبان من ذلك العام وصل إلى ولاية ختن الشيخ ثابت داملام الكمالي، وكان هذا عودته من الحج من تركيا ومصر والهند ، واستمعنا ثمرات وتأثيرات رحلته هذه وقال: أنه قابل عدداً من زعماء تركيا ومصر والهند وتباحث معهم في بروز انقلاب قومي في تركستان الشرقية ولكنه أفصح لهم ما يجول في ظاهرة من تدخل جيران تركستان الشرقية في انقلابها هذا غير أنهم استبعدوا مثل هذه التدخلات ربما قالوا إنهم لا يتخيلون ذلك وإن أنظمة هيئة الأمم المتحدة يحرم مثل هذه التدخلات حيث إنه الإنقلاب المحلي والقومي مسألة داخلية. وقال إنه يفكر دائماً ما قررناه في مدينة غولجا سابقاً بأننا قررنا أن يكون مركز هذا

الإنقلاب منطقة ولاية ختن ولأجل ذلك قدم إلى ختن مباشرة من رحلته هذه.

وفي اليوم التالي قلت له جميع أسراري وما قمنا به حتى الآن فاستبشر الأستاذ الشيخ ثابت داملام وطلب قبول عضويته في جمعيتنا وصار عضواً فيها. فتكفل الشيخ ثابت داملام بتقرير وتدريس تفسير القرآن الكريم طيلة شهر رمضان المبارك وأنه يعمد رأساً في تفسير آيات الجهاد من القرآن الكريم وتحت ستار تفسير القرآن. ونجح الشيخ ثابت رحمه الله في عمله هذا لحث الناس على الجهاد في سبيل الله. وإن هذا العمل لجليل يساعدنا كثيراً في ازديادنا من أعضاء الجمعية.

وبعد انتهاء شهر رمضان الكريم مباشرة انضم إلى صفنا شخصية كريمة وله خدمات جليلة وصيت معروف له في مجتمعنا وهو الشيخ محمد نياز أعلم آخون مفتي ديار ختن آنذاك.

وفي أثناء ذلك زاد عدد الأعضاء في جمعيتنا زيادة كبيرة وإن عشرين بالمائة ٢٠% من أعضاء جمعيتنا كانوا يحملون البندقية أي كانت عندهم البندقية.

والباقية من الأعضاء معهم السيوف ورماح وغير ذلك من العتاد الحربية من مثل الفؤوس والمساحي الزراعية وغير ذلك.

وفي تاريخ خمس شوال عام ١٣٥١ الهجري الموافق اليوم الأول من شهر فبراير عام ١٩٣٣ من الميلاد وجهنا دعوات لجميع أعضاء الجمعية للإجتماع بهم واجتمعنا بهم في اليوم المذكور وقررنا فيه أننا نهاجم مدينة قاراقش يوم ١٦ من شهر فبراير الموافق يوم الخميس وفي يوم الإثنين قبل يوم الخلاص بثلاث أيام اجتمع نخبة من أعضاء الجمعية وعددهم ثمانية عشر رجلاً بايعوا للشيخ محمد نياز اعلم آخون حاكماً عاماً أصالة من أنفسهم ووكالة عن باقي الأعضاء. واخترنا الشيخ ثابت داملام مشاوراً ومساعداً للحاكم العام بجانب شؤون المعارف والعدلية وشؤون الدين وفي هذه الجلسة أكدنا القرار السابق بأن نقوم بفتح مدينة قاراقاش بيوم الخميس القادم كما كان.

وفي نفس يوم الإثنين مساء جاءنا مخبرونا في الدوائر الحكومية أن الحكومة عرفت عن حركتنا ولذا فكرت الحكومة في أن قواهّا العسكرية تكفي لإسكات هذه الحركة القومية أم لا ؟ . غير أنهم عرفوا حامية ولاية ختن لا يكفى لإسكات هذه الحركة فاستدعت قوات إضافية من مدينة (قوما) وإن هذه القوات الإضافية قد تصل في القريب العاجل بل إن هذه القوات تصل يوم الخميس هذا إلى مدينة قاراقاش.

وبهذا الخبر السيئ دعونا عدداً كبيراً من أعضاء الجمعية القريبة من البلد. وبعد مداولات وتبادل آراء قررنا أن يكون هجومنا على مدينة قاراقاش يوم الإثنين القادم قبل يوم وصول القوات الإضافية للحكومة من مدينة قوما- الموافق ١٧ شوال ١٣٥١ الهجري الموافق ١٢/١٣ عام ١٩٣٣ من الميلاد.

فتح مدينتي قاراقاش وإيلجا

ودقت ساعة الصفر الخامسة صباحاً وكان عدد قواتنا من الرجال في هذه الساعة ثمانية وستون رجلاً. وبدون ما أنظر في قلة رجالنا البواسل أصدرت أمري بالهجوم على مدينة قاراقاش في الخامسة صباحاً يوم الإثنين ١٢ فبراير ولأجل هجومنا مباغتاً وكان في غفلة من الحرب دامت حربنا على العدو نصف ساعة فقط. وقد سقطت مدينة قاراقاش في أيدينا ومن خلالها قتل محافظ المدينة الصيني و٣٦ ستة وثلاثون جندياً صينياً وهرب اثنتي عشر منهم إلى مدينة إيلجا. والباقون وقعوا في أسرنا. وفي تمام الساعة السادسة صباحاً عم الهدوء في البلد وانتهي كل شيء. فبهذا وصل إلى قاراقاش عشرة آلاف رجل من ميليشياتنا المناضلة. وفي المساء أرسلنا الف رجل إلى ضفاف نهر قاراقاش على أن يحرسوا طريق إيلجا. ثم أكثر من ألف

رجل بقيادة أخي الكبير عبد الله آخون و الشيخ إسماعيل داملام على منطقة زاوا وأن يحرسوا طريق مدينة قوما وأن يحتلوا بلد زاوا أيضاً ويرتبوا أمورها ، وأن يسدوا الطريق على جنود الصين الذين يأتون من مدينة قوما. واليوم الثلثاء انتهي ونحن مشغولون بضبط وربط شؤون إدارة مدينة قاراقاش وجدولة الأمور القادمة في نضالنا هذا.

وفي المساء أصدرنا أمرنا لرجالنا للإقتراب من مدينة إيلچا. وأما من جهة زاوا استعد رجالنا للهجوم على مفرزة الصين القادمة إلى قاراقاش حسب زعمهم وعلى أن يكون هجوم على الصينيين مباغتة وهم نائمون. ولكن الأعداء احتاطوا قبلاً حيث بدؤوا باستحكامات بطول طريق فيها لما كانوا يتوقعون أي شيء قد يحدث وعندما قرب الأعداء إلى مشارف زاوا تصدي لهم رجالنا وعلى غير قائد حيث بدأ العدو يراشقوهم ويصطادون فيسقط كثير من رجالنا شهداء تشتت قواتنا يميناً وشمالاً ثم هربوا إلى أطراف قاراقاش وهم فزعون خائفون.

ولكن طاردتهم قوات العدو وكانت هناك صحراء قاحلة تزيد قطرها عن ثلاثة وعشرين كيلو مترا فوقعت هناك تصادمات حربية بين الطرفين فسقط هناك من قواتنا قرابة مائتي رجل شهيداً. ولكن قواتنا أخذت استحكامات في منطقتي قوم رباط وتاربوغاز واستعدوا على قتال العدو للمرة الثالثة وفي الساعة الرابعة عصراً

وصلت قوات العدو إلى تاربوغاز وتصادمت القوتان مصادمات عنيفة للغاية. غير أن المواقع الإستراتيجية سقطت في أيدي الأعداء ثم وفي ساعة المساء قامت قواتنا بهجوم كاسح على قوات العدو وهزمتهم وقتلوا من العدو أعداداً كثيرة حتى أجبرتهم إلى الفرار وكانت خسارة العدو أكثر من خسارتنا ورجع البواقى من العدو إلى مدينة قوما شاردين ، و لم تطاردهم قواتنا لأن الوقت كان ليلاً.

وفي يوم الخميس قاربت قواتنا إلى مشارف مدينة إيلجا وبالخاصة منطقة آق تاش وأتى من طرف المدينة مفرزة من جنود العدو ، وهم فرسان محاربة فوقعت حروب دامية بينهم وبين قواتنا في آق تاش وانهزم المجاهدون ورجعوا من ميدان القتال هاربين ولكن العدو لم يطاردهم بل توجه العدو إلى مدينة إيلجا. فرحنا بذلك حيث تكسرت قوات العدو الهجومية وكنا مسرورين بذلك.

ثم بدأنا في محاصرة مدينة إيلجا ولذلك التصدي على قوات العدو الذي قد يأتي من ولاية كاشغر. وفي تاريخ ٢٥ شوال أرسلنا إلى مدينة إيلجا قواتنا الضاربة على مفرزتين الأخيرتين.

وقلنا لهم أن تهاجموا على مدينة إيلجا حيناً من الوقت حتى نطمئن أن قواتاً من الصين قد يأتوا إلى ولاية ختن من ولاية كاشغر أو لا يأتون.

ولذا قلنا فيما بيننا أن يستمر الحصار على مدينة إيلجا زمناً طويلاً ولذا ذهبت إلى منطقة زاوا لأستطلع قدوم قوات صينية من ولاية كاشغر ، وأن أرتب بعض شؤوننا العسكرية. فعرفت أن قوات قد تقلصت ولا تكون هناك قوات صينية في ولاية كاشغر تأتي إلى ولاية ختن وعملت في زاوا لازدياد قوات إضافية لانقلابنا هذا. وكان علمي بعدم قدوم قوات صينية من مدينة كاشغر يوم الأربعاء الأخير من شهر شوال . وعلمت أيضاً أنه لا قوة تذكر للصين خلف مدينة ياركنده العزيزة.

وفي يوم الخميس في الغد عين أخي عبد الله آخون قائداً للقوات المقاتلة لمجاهدي ختن. وكلفناه في قيادة قواتنا المحاصرة في مدينة إيلجا. فذهب عبد الله آخون إلى مسرح عمله في الميدان وقلناله أحكم الحصار وفي اليوم الجمعة انتشر قواتنا الى محلة نورباغ وإلى محلة شورباغ الغربية وبعد القيام ظهراً هاجمتنا قوة صينية على بلدة نورباغ ولديهم مدافع هاون وغيرها من العتاد الحربي الثقيلة ودارت بيننا وبين العدو معارك طاحنة ودامت الحرب الدموية ثلاث ساعات متتالية وتغلبت قواتنا على قوات العدو وهزمتهم هزيمة نكراء مؤلمة. وقتلت قواتنا قائد العدو وكثيراً من جنوده وإن مفرزة قليلة أو صغيرة هربت إلى داخل المدينة (إيلجا) وإن أسلحة قتلاهم ومدافعهم وسائر أسلحتهم وعتادهم الحربي وقعت في أيدي المجاهدين كغنيمة

ثمينة. بعد هزيمة العدو طاردهم المجاهدون إثر هروبهم إلى المدينة وفتحوا مدينة إيلجا القديمة وبلغنا أخينا هذه الإنتصارات ليلاً وإلى منطقة زاوا وقاراقاش. وفي الغد صباحاً أتيت إلى مدينة إيلجا لأدير بنفسي شؤون حصار المدينة. وقد عيننا سلفاً قائداً وثانية آتي منطقة زاوا ولكنهم تقصروا لعدم تجربتهم وقلة حماسهم فعينت أخي الصغير نور الله قائداً لقواتنا في منطقة زاوا.

وفي مدينة إيلجا ومن صباح يوم السبت أحكمت استحكامات الحصار على مدينة إيلجا الجديدة بحيث أحيطت المدينة من كل جهاتها الأربعة. وفي يوم ١٢ من ذي القعدة اتفقنا على وقت القتال مؤقتاً وبدأنا المفاوضات مع عناصر العدو الصينيين وكان ١٢ ذو القعدة توافق ٩ مارس من عام ١٩٣٣ من الميلاد.

ويوم غد الجمعة دخلت هيئة من طرفنا لمناقشات وقف إطلاق النار والمفاوضات وتوقيع المعادة التي تكون بيننا. دخلت الهيئة إلى المدينة الجديدة وفي المساء مساء الجمعة أتاني قائد الفرقة التي حاصرناها في المدينة الجديدة أتاني لاستقبالي واتفق المناضلين على أن تسلم الحكومة مراكزها وأسلحتها والحصون التي عندهم وتسليم المدينة إلينا. ومن طرفنا نضمن على حياتهم وأن نأمن منهم من آمن بالله وأسلم باختياره. ووقعنا المعاهدة بالتمام والسلام. وإن العدو يبدأ من يوم السبت غداً بتسليم الأسلحة والخزينة ومركز الحكومة

وترساناتها إلينا. وأن يسلم من يُسلم منهم لدى مشايخنا العلماء الكرام.

ونحن في الحالة هذه جاءتنا أخبار من كاشغر وياركند وقارغلق وقوما بأن جنوداً صينياً كبيراً قد اتجهت إلى ولاية ختن وكانت الجنود الصينيون بقيادة والى ختن السابق يه ن دوته ي. وفي الحال عمدنا إلى الأسلحة التي تسلمناها من العدو في مدينة إيلجا ختن بتوزيعها إلى مجاهدينا فرداً فرداً ونحن على استعداد لمقابلة القوات المعادية الآتية من جهة ولاية كاشغر وياركند وفي مساء يوم الإثنين جهزنا فرقة عدد أفرادها ستمائة وخمسون رجلاً بقيادة مولوي صبغة الله وأرسلناها إلى منطقة زاوا إضافة إلى قواتنا الموجودة هناك قبلاً.

وفي مساء يوم الثلثاء طلبني أخي نور أحمد قائد قوات الإسلام في زاوا حضوري في ساحة القتال حيث جاءتنا أخبار بأن القوات الصينية الآتية من ولاية كاشغر وياركند قد بدأ وصولها إلى فيالما. وفي صباح يوم الإربعاء توجهت إلى منطقة زاوا. وإن الأعداء قد وصلوا إلى قم رباط. وتصادموا مع جنودنا المرابطة هناك في الوقت الذي أن وصلت إلى زاوا. وفي الحال تحركنا متوجهين إلى قم رباط وقد دارت رحى الحرب على أشدها منذ ساعة أي في الساعة الواحدة صباحاً واستمر القتال في أشدها إلى الخامسة ونصف

والنتيجة تعادل حتى الآن. ومنذ الخامسة والنصف بدأ العدو ينسحب من الميدان ويهرب وإن فرساننا طاردوا العدو من ورائهم إلى منطقة آق لنكر في ظلام الليل عاد رجالنا منتصرين وعدنا جميعاً إلى معسكرنا في منطقة تاربوغاز.

وبهذا عرفنا أن قوات العدو التي تأتي من مدينة كاشغر قد انتهي أمرها وبدأنا أو جاءنا الوقت في البدء في التعرض على العدو نشن الهجوم من طرفنا إن شاء الله. وفي أثناء ذلك انفتحت المدينتان في الشرق من ولاية ختن. وهما جريا وكريا حيث فتحهما أهلوها من دون ما نرسل إليها جنودنا المجاهدين وبايعتا لحكومة ختن الإسلامية.

الهاربون الصينيون من ميدان قم رباط ومعهم قائدهم يه ن دوته ي وصلوا إلى مدينة قوما ولكن مدينة قوما قد قضت على الصينيين الموجودين هناك بالمساعدة مع المجاهدين الأحرار ، حيث إن أهل قوما سمعوا أن أهل الختن المجاهدين قضوا على جميع الصينيين في ولاية ختن فهاجموا وصاحوا بكلمة "الله أكبر" وهجموا على مدينة قوما ليلاً ، ولم يصبح الصباح إلا أن المدينة مفتوحة لديهم ومات الصينيون حيث قتلوا .

وبعد ثلاثة أيام من فتح قوما أتي إليها يه ن دوته ي بجنوده وكان هاربين من قم رباط ، ولكن الأهالي قد سمعوا أن مجاهدي

ختن قضت على الصينيين في البلاد وعندما قدم يه ن دوته ي بنفر من جنوده كذبوا الأهالي الخبر السائد وتركوا المدينة وشردوا إلى الأرياف. غير أن الصينيين دخلوا مدينة قوما وبدؤوا في السلب والنهب والقتل العام. واستشهد من أهالي قوما أكثر من أربعمائة نفس وقيل ٤٥٠ رجلاً ونهب الصينيون المحلات التجارية والبيوت والمدارس ودور العزّاب (سراي).

وفي أثناء ذلك جاءت من مدينة كاشغر مفرزة من جنود قيرغيز مع مدافع هاون وعتاد حربي مارين من مدينة قارغلق. وتوجه مفرزة من جنود قيرغيز إلى مدينة قوما وأما أهالي مدينة قارغلق هجموا على المدينة وفتحوها ثم طاردوا الأعداء من خلفهم ولحقوا بهم في بلدة بش بيليق وصارت هناك حروب دامية وتغلب الأهالي في هجومهم هذا على الأعداء وقتلوا من قتل وأسروا الباقين وأخذوا العتاد الحربي ولوازم أخرى غنيمة لهم. وعندما سمع يه ن دوته ي الأحوال في مدينة قوما تشتتت أفكاره و لم يجد الفرار وأخذ معه الصينيين الفارين من قوما وتوجه رأساً إلى مدينة ياركند عن طريق الجبال غرباً. وفي الطريق أغار الأهالي على هذه المفرزة الكافرة وشتت شمله وجازاه جزاء وفاقاً غير أن يه ن دوته ى أجرى القتل فيهم إذا قدروا وبكل كلفة ومشقة وصلت مفرزة الكفار إلى مدينة

ياركند وقيل أن يه ن دوته ى هذا أضرم النار على القرى والأرياف ودمر عليهم بيوتهم.

وجاءتنا خبر فاجعة قوما فأرسلنا أخي نور أحمد أخون بصحبة مولوي صبغة الله نعني بقيادتها أرسلنا ألف جندي من المجاهدين بتاريخ ٢٨ مارت ١٩٣٣ من الميلاد ليساعدوا المجاهدين في كل من گزما وقارغلق ولكن الأوضاع قد تغيرت حيث إن العدو يه ن دوته ى ومن معه من جنود الصين وصلوا إلى مدينة ياركند في الحين وصلت قوات مساعدة إضافية ليه ن دوته ى من مدينة كاشغر فاجتمعت في ياركند قوات صينية من أهم عناصرهم. ووصل أخي نور أحمد آخون إلى قارغلق في عيد الأضحى المبارك. وفي أثناء ذلك فتح أهالي بلدة فوسكام مدينتهم واجتمع مجاهدو فوسكام مع المجاهدين في مدينة قارغلق ومن ثم توجهوا إلى ضفاف مدينة ياركند. وإن أخي نور أحمد آحون بقي في قارغلق وأرسل جمعاً من المجاهدين إلى مدينة ياركند بقيادة مولوي صبغة الله. ودخلت قواتنا المجاهدون مدينة ياركند من دون مقاومات تذكر وكانت مدينة ياركند القديمة هذه لم تكن خالية نسبياً من قوات العدو الصينية فتصادم الطرفان وصار حروباً دامية وشرسة حتى استشهد مولوى صبغة الله القائد المسلم. وباستشهاد مولوى صبغة الله نشطت قواتنا المجاهدون وحاربت بحماس منقطع النظير حتى تغلبوا على جنود الصين حيث

هربوا مهزومين إلى مدينة ياركند الجديدة وأغلقوا أبواب أسوارها على أنفسهم. وعندما وصل خبر استشهاد مولوى صبغة الله بادر أخوي نور أحمد أخون مع المجاهدين بالرحيل إلى مدينة ياركند وحاصر المدينة الجديدة. وبعد هذه الإنتصارات الإسلامية حيث دخلت قواتنا المجاهدون إلى مدينة ياركند التي كاد أن ينفتح. اخترنا أن تكون مدينة إيلجا (ختن) عاصمة لبلادنا وبتاريخ أول شهر أبريل عام ١٩٣٣ من الميلاد بايعنا الحاكم العام الشيخ محمد أعلم بصفته ملكاً على البلاد فانتقل الشيخ ملك محمد نياز اعلم آخونوم من مدينة قاراقاش إلى مدينة (إيلجا) وفي اليوم التالي وبتاريخ ١١-٤ عام ١٩٣٣ من الميلاد.

وأعلنا على الملأ أن الشيخ محمد نياز اعلم آخونوم ملك على البلاد وكانت مدينة ياركند الجديدة مليئة بالجنود الصينيين لا نعرف كثيراً منهم أي لا نعرف عددهم وكانت سور المدينة سميكة الأضلع وعريضاً من الأساس ومنيعة ، وبها استحكامات عسكرية هامة يصعب التغلب عليها ولذا فكرنا في إرسال جنود من المجاهدين لمساعدة المجاهدين في مدينة ياركند فعينا أخي عبد الله آخون قائداً عاماً لولاية ياركند والمجاهدون تحت قيادته.

فتح مدينة ياركند

منذ وصول نور أحمد آخون مع المجاهدين الألفين إلى مدينة ياركند صارت ولاية ياركند تابعة لحكومة ختن. وقدم كما أسلفنا أخي عبد الله أخون إلى مدينة ياركند بتاريخ ٢ محرم من عام ١٣٥٢ هجرياً الموافق لتاريخ ٢٧ آبريل عام ١٩٣٣ من الميلاد. ومنذ ذلك اليوم شدّد عبد الله آخون حصار مدينة ياركند الجديد وعما ذى قبل. وإن أخواني الإثنين قد منحا من طرف الملك محمد نياز أخونوم صفة الأمير. ثم عرف عبد الله آخون في عامة الناس بشاه منصور ونور أحمد آخون بأمير صاحب وأنا في كتابي هذا أذكرهما أميراً.

ونأتي الآن في ذكر بعض الفئات من قوميان تونكان مسلم الصين وكان في مدينة مارالباشي أحد هذه الفئات اسمه ماجينسا وإن الأخير أرسل المقدّم مارلونك ومعه مائة من رجاله إلى مدينة ياركند والمائة هذا ما كانوا مسلحين بسلاح وقال فيهم ماجينسا إنهم مسلحون من أموالكم يأتون إليكم لمساعدة عسكرية. وفي الحقيقة لم يكن إرسالهم إلى مدينة ياركند بقصد المساعدة بل كانوا بما يشبه الجواسيس. ولأن يشاركوا في غنائم مدينة ياركند. ولكن الأمير عبد الله لم يستقدمهم كجنود لم يسمح لهم بالإنتقال إلى بلد آخر من مدينة تركستان الشرقية بل اعتبرهم جواسيس سرّاً وإنما عاملهم معاملة الإقامة الجبرية واعتبروهم ، وعاملهم ثانية كضيوف حتى إن

الأمير عبد الله لم يسمح لهم بالذهاب إلى مدينة كاشغر. وفي أثناء ذلك جاءتنا خبر وصول تيمور سيجانك إلى مدينة كاشغر بالنصر والظفر فكان علينا أن نباركه ونستقبله كرجل مناضل ومنتصر ، فبعث الأمير عبد الله إلى مدينة كاشغر هيئة تليق بمكانة تيمور سيجانك وقالت الهيئة بعد السلام والتهنئة نريد أن يكون متضامنين ومساعدين على بعض ونعمل بحكمة ولباقة. ولكن تيمور سيجانك فهم المقولة بأن الهيئة تريد المساعدة لحكومة ياركند الإسلامية للمجاهدين بالذات. فجهز تيمور سيجانك ثلاثمائة جندي إسلامي من عنده وأرسله تحت قيادة حافظ تنجانك إلى مدينة ياركند ، وإن هذه الحالات كنا لا نعلمها في ولاية ختن.

حيث إن حصار مدينة ياركند الجديدة استمر كثيراً وأخذ وقتاً طويلاً. والثانية ما كنا نحب أن يحدث ما يقلقنا فيما بيننا وبين المحاربين في ولاية كاشغر ويحدث ما يعكر الصفو بيننا ولذا رأينا من الأنسب أن أذهب أنا أو الشيخ ثابت داملام إلى مدينة ياركند حيث إننا في ختن قلنا إن الأميرين عبد الله عمره ٢٥ سنة والأمير نور أحمد آخون ٢٢ عاماً ولربما هم لصغر سنهم عملوا ما يعكر الصفو ، الأمر الذي يقلقنا من جهة كاشغر. وكان قد صدر مرسوم من الملك محمد نياز اعلم آخون بإسناد وظيفة عالية في حكومة ختن فاستعد الشيخ بتاريخ ٤ صفر الموافق ٢٩-٥-١٩٣٣ م استعد للسفر إلى ياركند

العزيزة. ولكن قبيل وصول الشيخ ثابت إلى مدينة ياركند قد طلب المحاصرون الصينيون في مدينة ياركند الجديدة طلبوا صلحاً فيما بينهم وبين حكومة المجاهدين المسلمين بالشروط الواردة في اتفاقية ختن فتم ذلك الأمر بين الطرفين.

وعند وصول الشيخ ثابت إلى مدينة ياركند رأي أخي عبد الله آخون شاه منصور أن يستقبل الشيخ استقبالاً يليق بمركزه في حكومة ختن فترل الأمير شاه منصور باتباعه من مدينة ياركند إلى ظاهر المدينة وكان برفقة الأمير الضباط الذين في عهدهم حصار مدينة ياركند الجديدة وبهذا السبب بقيت مدينة ياركند القديمة خالية من المسؤولين ، وبقي الجنود المحاصرون على مدينة ياركند القديمة من دون قائد ، ولما رأي الحالة هذه العناصر التونكانية التي سبق ذكرهم فقامت الفئة التونكانية على السلاح فتسلحوا ومن ثمة هربوا إلى مدينة ياركند الجديدة. وتصدي لهم بعض جنود المسلمين واستشهدوا وكان ماجنيسا التونكاني معهم طبعاً فقال الأمير إن له جنوداً كثيرة في مدينة كاشغر وإن مساعدات كبيرة قد تأتي تباعاً إلينا من مدينة كاشغر فلا تقبلوا ولا تطلبوا صلحاً مع المجاهدين فنكث الصينيون الإتفاق فصارت تصادمات بيننا وبينهم من جديد. فتأسد الصينيون وشنوا هجوماً على المجاهدين دون باب الغرب للمدينة تارة ، ثم هجموا على مدينة ياركند القديمة تارة أخرى. ولكن المجاهدين

هزموهم شر هزيمة فلاذوا فراراً إلى داخل سور المدينة الجديدة. ودامت خمسة عشر يوماً حيث عرف الصينيون أن التونكان كذابون. وقد أحكمنا الحصار عليهم حصاراً شديداً ، وقد عان الصينيون أمرين هجومين اللتين شنوها على المجاهدين من قبل باستشهاد بعض المجاهدين. فطلب الصينيون صلحاً وللمرة الثانية على أن يسلم فئة التونكان والصينيون أسلحتهم إلى المجاهدين وأن يسلموا الخزانة بما فيها وأن يرحلوا بلباسهم فقط إلى مدينة كاشغر راكبين خيولهم ، وهكذا بتاريخ ١٧ حزيران عام ١٩٣٣ من الميلاد فتحت مدينة ياركند ويوم غد علمنا أن الصينيين وفئة التونكان يخونوا علينا حيث إنهم في أهبة الإستعداد للرحيل وإنهم أخفوا عنا بعض أقسام الأسلحة والخزانة. وعندما علم ذلك الأمير عبد الله سكت عنها وقال سوف يسير تيمور سيجانك للإحاطة وبتاريخ ثلاثين من شهر حزيران غادر أكثر من ألفين صيني وفئة التونكان قاصدين مدينة كاشغر. ولكن الأمير نور أحمد طاردهم من خلفهم حتى لحق بهم في منطقتي آق رباط وقيزيل ونشبت بين الطرفين مصادمات دامية. وكان بصحبة الأمير أحمد ألف رجل من شبابنا. وكانت القتال في حرة قزيل وبلدة قيزيل بعدها إلى الشمال قتل رجالنا عدداً كبيراً من العدو وأسروا الباقي منهم وهرب من أفراد العدو عدد يسير قليل وهرب. ولكن رجال الأمير نور أحمد لحقهم في بلدة قيزيل وعندها جاءت جنود من

قبل تيمور سيجانك وعددهم أربعمائة فارس وإنهم أتوا إلى هنا لصد العدو القادم إلى ولاية كاشغر وبقي العدو بين جنود كاشغر وجنودنا البواسل وقتلوا الأعداء قتلاً شنيعاً. ولم يبق منهم إلا قائدهم مارولونك وأكثر من مائتي رجل أسرهم المجاهدون وبرغم ذلك هرب منهم ما يقارب مائة رجل وعندما وصل الهاربون إلى مدينة ينكحصار قضى عليهم قائد مدينة ينكحصار أحمد خان تنجانك إلا أن واحداً من فئة التونكان هرب إلى مدينة كاشغر وحكي على ماجينسا ما مضى من الحالات البائسة.

وبهذا انتهى فتح مدينة ياركند بمدينتيها القديمة والحديثة ، وانضمت ولاية ياركند إلى حكومة ولاية ختن الإسلامية المحررة.

الفصل الرابع

في واقعات قاراشهر وكورلا وكوجا وآقسو وكاشغر

كما ذكرنا سابقاً ، ومنذ قدوم ماشي مين إلى مدينة قاراشهر بدأ يجمع الهاربين من الصينيين وفئة التونكان والذين هربوا من قاراشهر الصينيون والجنود الصينيون فر ولاية كورلا ومن مدينتي لوب وجرخلق من الصينيين. وهكذا اجتمع لديه قوى صينية وفي

شهر شوال آخر الشهر هاجم تختي بك على مدينة كورلا وتغلب على الصينيين فيها وحاصرهم خلف سور المدينة وبعد عدة معارك عنيفة ، وهزيمة الصينيين يئس القائد الصيني من النصر وانتحر. وأما جنوده الصينيون تشتتوا من دون قائد وسلموا المدينة إلى المجاهدين المسلمين من جنود تختي بك.

ثم إن ماشي مين أرسل قوة كبيرة تحت قيادتي مالوجانك وشخص اسمه تيمور بك كوجاري من أهل تورغاتي. وقبل أن يصل قوات ماشي مين إلى مدينة كوجا قام الأهالي بثورة جماعية في مدينة كوجا. وذلك بتاريخ ٥-٣-١٩٣٣ الميلادي فاتحد المجاهدون مع قوات ماشي مين وحاربوا الصينيين حتى انهزم الصينيون وفروا من المعركة وتواروا خلف سور المدينة محاصَرين ، وذلك بتاريخ ١٨-٣-١٩٣٣ من الميلاد فتحوا مدينة كوجا. ثم أرسل ماشي مين قرابة ألف جندي من مسلم الصين فئة التونكان بقيادة ماجينسا. ثم قلّد ماشي مين ماجينسا هذا برتبة زيخوي -القائد العام- للجنود المسلمين في ولاية كوجا ثم أصدر ماشي مين أمره إلى زيخوي بالزحف إلى ولاية آقسو وعيّن لمدينة كوجا نبيل الكجاري حاكماً ومحافظاً لها.

وفي أثناء ذلك صارت تأتينا خطابات من ماشي مين ومالوجانك بسفسفات كلامية إلى ولاة ختن وكنا نحن نكتب لهم خطابات في غاية الحيطة والحكمة وكتابات معقولة.

وكانت فئة التونكان تعاملونا دائماً بصفتهم حاسدين ولكن نبيل كوجا يعاملنا معاملة حسنة بالخفية. وبتاريخ ١٩٣٣/٣/٢٨ من الميلاد تحرك ماجينسا قاصداً ولاية آقسو. وعندما وصل ماجينسا إلى منطقة قارايولغون تصدى عليه والى ولاية آقسو ومعه قوات عسكرية. وصارت مصادمات دموية بين القوتين قوات ماجينسا التونكان وقوات ولاية آقسو. كادت قوات تونكان أن تهرب ، شدد قائد قوات آقسو تيمور بك قبضته ووجه عليهم هجوماً كاسحاً فانهزم العسكريون التونكان وهربوا من الميدان خاسرين.

ومن ثمة هرب دوته ي من آقسو إلى منطقة جام التي هناك عشرات المتسوقين الأبرياء في السوق وأجرى فيهم قتلاً عاماً ثم دخل مدينة آقسو ولكنه لم يستقر فيها وذهب إلى منطقة أو بلدة آقسوق وبدأ فيها يجمع قواته العسكرية وتقدم ماجينسا إلى مدينة آقسو واحتلها من دون مقاومة. وبعد يومين هجم إلى مدينة آقسوق.

وفي هذه الحالة خاف دوته ى آقسو (أي واليه) عند حالته هذه وأخذ معه بعض جنوده وهرب إلى ولاية كاشغر وكانت في مدينة أقسوق بعض الصينيين قاموا بالمقاومة قليلاً ثم استسلموا.

وأما أهالي مدينة آقسو اتحدوا تحت قيادة نبيلهم إسماعيل باى واشتركوا في محاربة آقسوق ولهم خدمات يذكر في هذه الحرب التي وقعت في مدينة آقسوق.

وإن ماجينسا من قدومه إلى مشارف ولاية آقسو أرسل مساعديه جوفوگن بتاريخ ٩-٤-١٩٣٣ من الميلاد بمكتوب إلى ولاية ختن. ولما أطلعنا على المكتوب فيه سفسفات من الأقوال منها أنه كم عدد الأسلحة التي عندكم في ولاية ختن وكم في خزينة ختن من الأموال ولم يكن قصد ماجينسا إلا أن يعرف عند طريق مساعديه كيفية أحوالنا في ولاية ختن. وكم من فعاليات من معركتنا المصيرية. ونحن بدورنا كتبنا جواباً في غاية السطحية وأرسلناه على يد هيئتنا العادية المرسلة إليه. وعلى هذا فقط علاقتنا مع زمرة التونكان في انقلابنا هذا.

وبتاريخ ١١-٤-١٩٣٣ من الميلاد أرسل ماجينسا السيد تيمور بك ومعه نفر من الجنود التونكانيين إلى مدينة كاشغر ولكن دوته ى مدينة كاشغر يعنى مادوته ى ، قد انتبه إليه قبلاً فانقسم المحافظون العسكريون إلى قسمين : قسم أرسله إلى ولاية ياركند وقسم أرسله إلى منطقة مارالبشي منطقة جبلية ساهرة وبها استحكامات وسدود طبيعية ذات مواقع استراتيجية العسكرية الهامة لصد الطريق على ماجينسا وجنوده كما أخذ جنوداً من قبائل قيرغيز

من جبال مدينة كاشغر ما يقارب ألف جندي وكلفهم بالمحافظة على وديان وقمم جبال كاشغر من فروع جبال " تومشوق تاغ" المطلة على ولاية كاشغر وبهذه العمليات انسدت مداخل ومخارج ولاية كاشغر على ماجينسا وجنوده.

وكان القائد التركي تيمور بك تحالف مع فئة التونكان. ثم أتت هذه الفئة وتيمور بك أتي منطقة تومشوق تاغ أي منطقة جبال الخشم ، ومن حيث القيادة لفئة التونكان ماجينسا. جاء تيمور بك وفئة التونكان إلى منطقة تومشوق كما بيننا ودارت رحى الحرب كرات ومرات ولم تتوفق هذه القوات بالنجاح الكامل في المنطقة. فتحرك ماجينسا بكل قواته صوب منطقة تومشوق بتاريخ ٥-٥-١٩٣٣ من الميلاد بعد أن عين النبيل إسماعيل باي والياً لولاية آقسو. وعين مالوجانك (التونكان) قائداً محافظاً لها وقبل أن يصل ماجينسا وجنوده إلى تومشوق ثار أهالي مارالباشي وسريغ بويا على الصينيين وطاردوهم من كل مكان وانهزم الصينيون من المجاهدين الأتراك ثم هربوا إلى منطقة مارالباشي. وذلك بتاريخ ١٧-٥-١٩٣٣ من الميلاد. وكان في جنود الصينيين رجال من قبائل قرغيز ، انسحب هؤلاء الرجال من صفوف الجيش الصيني وتوجهوا إلى ولاية كاشغر وذلك بفضل تحريض نبلائهم عثمان على بك وخوش محمد نور وعندما وصل الرجال -نعني القرغيز- إلى مدينة كاشغر هجموا على

من فيها وكان والى مدينة كاشغر يدافع عن المدينة وبعد تصادمات لمدة أسبوع واحد انهزم دوته ى والى المدينة وعجز عن الدفاع بالمدينة ففتح القرغيز مدينة كاشغر القديمة.

وكان ماجينسا في بلدة مارالباشي يصده عن التقدم جنود صينيون وعندما بلغه الخبر أي خبر فتح مدينة كاشغر تشتتت جموع جنود الصينيين وبدؤوا يهربون إلى مناطق شتى ولكن تيمور بك كان عليه بالمرصاد فوقع القائد الصيني وكثير من جنود الصين في أسر تيمور بك القائد التركي.

وبسبب هذا التشتت الصيني تقدم ماجينسا بدون عائق إلى مدينة كاشغر وكانت معه قوة كبيرة فخضعت قبائل القرغيز وقبلت طاعته. وعلى هذا سقطت مدينة كاشغر بيد التونكانيين وقائدهم ماجينسا. فبدأ الأخير محاصرة مدينة كاشغر الجديدة. وكان فيها صينيون ولم يكن لديهم ما يسد جوعهم وليس عندهم إمكانية الدفاع فاستسلموا لقوات ماجينسا.

وبهذه الواقعات وبتأريخ ٢٠-٥- ١٩٣٣ من الميلاد وتقريباً استتبّ الأمن والأمان في ولاية كاشغر وفي أثناء ذلك انضم كثير من أهل مدينة كاشغر ومن فئة الأزبك وقرغيز بالألوف منهم انضموا تحت لواء تيمور بك في مدينة كاشغر طوعاً واختياراً. ومنذ اندلاع الثورة في ولاية تورفان كانت فئة التونكان من العسكريين يقفون

خلف المجاهدين الأتراك أهل البلاد ولكن وقتما تغلب المجاهدون الأتراك تندفع فئة التونكان إلى الأمام في الصين ليأخذوا نصيباً وافراً من الغنائم ولا سيما الأسلحة وكذلك الحكم والإختيارات كان من نصيبهم وأما المجاهدون الأتراك أصحاب البلاد و لم يكن لهم نصيب من تلكم الإمتيازات. ومثال ذلك إن القائد تيمور بك كان له خمسة آلاف جندي وأكثر وكانت رتبته يوزباشي يعني عشر يوزباشي. وأما تيمور بك وأتباعه من الجنود الضباط كانوا لا يرضون بهذا التدني ولكنهم كانوا يصبرون حيناً من الوقت.

وعندما استتب الأمن في ولاية كاشغر أظن خجل فئة التونكان من أنفسهم وهم يعلمون عن مراتب الأتراك المتدنية فرفعوا تيمور بك إلى رتبة منك باشي لوجاك وكذلك بعض الكوادر العسكرية والإدارية منهم حافظ لوجانك وأحمد بك وهمام بك وكجيك آخون وعثمان على وخوش محمد وغيرهم رفعوهم إلى رتبة تنجانك يعني يوزباشي.

ولكن التونكان جعلت خزانة مدينة كاشغر الغنية والأسلحة المكدسة في الترسانات كلها جعلتها من نصيبهم و لم يراعوا حقوق المجاهدين الأتراك وهم أهل البلاد. غير أن الأتراك لم يقبلوا الحرمان هذا وقالوا: إن لنا نصف ما نغتنم ونصف الأسلحة والخزانة كذلك فوقعت مجادلات بني الطرفين وصارت مصادمات حربية فانهزم

التونكان وانسحبوا إلى مدينة كاشغر الحديثة وأغلقوا أبوابها. فقام تيمور بك أن نصّب نفسه حاكماً عاماً أو قائداً عاماً لكل الفيالق العسكرية غير أن تيمور بك رضى بما هو فيه غاية الرضا و لم يتجاسر على الضغط عليهم و لم يسد حصارهم داخل أسوار المدينة الحديثة. وقال: هكذا أكتفي، لأنه منتصر عليهم ولكن فئة التونكان إذا رأي من تيمور بك الشدة في المحاصرة كان مستعدين لتسليم الأسلحة والإستسلام له وكانوا مقرين بذلك.

وأنا بالذات لم أدر ما هو غرض ومقصد تيمور بك بهذا الخصوص؟ غير أننا نذكر فيما يلي ما تفوّه به تيمور بك بهذا الشأن بما هو عليه:

١-قال لي أحد المقربين لتيمور بك سيجانك أنه يقول لفئة التونكان: أسلحة كثيرة في مدينة قاراشهر وإذا ضغطنا عليهم فهناك فئة التونكان كثيرة فيمكن أن يكونوا بلاء علينا.

٢- وفي رواية أخرى يقول تيمور بك سيجانك: إذا اختلفنا مع فئة القرغيز أو مع أهل البلاد في مدينة كاشغر أو اختلفنا مع أهالي ختن وهجموا علينا أتحد مع فئة التونكان هذا وأتغلب على المخالفين.

٣-وفي رواية أخرى أن تيمور بك سيجانك قال لأحد أهل ختن: لا حاجة لنا من محاربة فئة التونكان ولا أحب أن أضع

سلاحي فيهم وإنما هم هناك محاصرون و لم يمض كثير فينتهي أرزاقهم فيضطروا أن يستسلموا إلينا. وأقول إن أخطاء حدْسات تيمور بك سيجانك غلطة كبيرة لا يستند بشيء صحيح وإنما حدْسات معكوسة لا تدخل هذه الحدسات معركة نضالنا في التحرير أي تحرير تركستان الشرقية والرأي في ذلك رأي المدققين في تاريخنا المعاصر بل كانت حدسات تيمور بك سيجانك عوامل عكسيات وإضراراً لنضالنا المقدس الكريم. وفي التالي أكتب الحدسات التي صدرت من حدسات تيمور بك سيجانك في محلاته القادمة في الكتاب.

الفصل الخامس

في انقلاب جوجك وآلتاي وإيلى

كان شريف خان من نبلاء آلتاي من فئة القازاق وكان أحد أمرائهم المحلية وكان شريف درس في صغره اللغة الصينية وبعض البدئيات من العلوم وعندما كبر وصار شاباً تعين حافظاً لولاية آلتاى وملحقاتها فصار له اعتباره المميز وكذلك صيته وسيادته وصداه في مجتمعه وعندما نشبت ثورة باركول شكك جين شورين في كثير من أمراء قازاق ودعاهم إلى أورمجي ثم سجنهم وكان شريف خان من ضمنهم. وبعد ثلاثة أشهر من سجنه هرب شريف خان بحيلة بارعة

ووصل هارباً إلى ولاية آلتاى ووطد نفسه في مجتمعه هناك وقادهم إلى ثورة عارمة واحتل كل محافظات آلتاى ما عدا حاضرة الإقليم سارى سمبا وكانت إدارته متنقلاً في البراري والمراعي وقد تعارض مع والي ولاية آلتاى وتصادم معه بالكلام وعندما قدم ماجوك ينغ إلى تركستان الشرقية للمرة الثانية أرسل أربعمائة من جنوده إلى آلتاى عن طريق ياركند نحن لا نعرف هل إن شريف خان طلب منه ماجوك ينغ مساعدة عسكرية أم لا ؟ فانضم شريف إلى زمرة التونكان جنود ماجوك ينغ وبدأ الهجوم على مدينة ساري سومبا العاصمة وانهزم الوالي وهرب إلى روسيا وبهذا النصر المبين احتل شريف خان ولاية آلتاى بكل ملحقاتها وفي أواخر ١٩٣٣ م أي في أواخر شهر حزيران أعلن شريف خان استقلاله. ثم أرسله شريف خان جمعاً من جنوده القازاق ومائتين من جنود التونكان إلى مشارف جوجك للمحافظة عليها وعلى حدودها (أنظر الخريطة برقم ٢٣).

وعندما وصل جنود شريف خان إلى بلدة دوربونجين (بلدة في ولاية جوجك) ثم توجه شريف على رأس جنود كثيرة إلى ولاية جوجك وعندما وصل شريف خان فقام الناس بثورة عارمة وبعثوا رسولاً إلى جنود شريف خان وطلبوا منه مساعدة عسكرية ، فإذا بجنود شريف يتحرك بالهجوم إلى بلدة دوربونجين وقاومهم الصينيون مقاومة بسيطة ثم أخذوا هاربين إلى مدينة جوجك وفتح الأهالي

مدينة دوربو نجين. وسمع الناس أن شريف خان وجنوده فتحوا بلدة دوربونجين فأعلنوا استنفاراً عاماً وهجموا على الصينيين الذين في مدينة جوجك وكان ذلك الهجوم في جولاي عام ١٩٣٣ من الميلاد وفي رواية في آخر جولاي ، وحاصروا الصينيين في الحصنين الموجودين في طرفي المدينة وأثناء ذلك وصل المجاهدون القازاق وفئة التونكان من دوربونجين وإن الأهالي رأوا القادمين انهزم جنود من قازاق وفئة التونكان وإنهم سائرون من دون قائد ورئيس حيث إنهم لم يروا فيهم شريف خان يقوم مقامه وإن الأهالي في مدينة جوجك أسفوا على ما قاموا به من ثورة وهجوم ولكنهم عادوا من فكرتهم هذه وانضموا مع القادمين من القازاق وفئة التونكان وشددوا حصارهم على الصينيين في القلعتين وبتاريخ ١٢-٨-١٩٣٣ من الميلاد عرض عليهم دوته ى ولوجانك تسليمهم واتفقوا على ذلك غير أن فاجعة وقعت فيهم وهي وصول امدادات من مدينة أورمجي بالسيارات وإن هذه الإمدادات تغلبت على الوطنيين والقازاق وفئة التونكان وأشغلوا المدينة واحتلوها.

ومعلوم للجميع أن شين دوبن تغلب على ماجوك ينغ وأغلق الطريق المؤدي من أورمجي إلى جوجك وعكسه وقد فتح الآن هذا الطريق وكانت قوات أورمجي التي قدمت إلى جوجك مسلحة بمدافع هاون وسلاحاً ذات طلقات مستمرة وسريعة. غير أن

المجاهدين الوطنيين في منطقة جوجك دافعوا عن مدينتهم إلا أن ازدياد القوات المهاجمة تغلبت عليهم وتشتتت جمعهم ثم قامت قوات شين دوبن بالقتل العام في المدينة والبقية الباقية من الأهالي هربوا من المدينة إلى أماكن شتى وبقيت المدينة خالية من الناس وكان مدينة جوجك مدينة جميلة تحولت إلى أطلال بالية وبقيت فيها جثث الشهداء في العراء. وبهذه الأحوال بقيت جوجك أو وقعت في يد شين دوبن وبقي الجهاد المقدس خالياً من النتيجة بالوجه بيننا سابقاً وبتاريخ شهر حزيران عام ١٩٣٣ من الميلاد.

وعندما احتل ماجوك ينغ مدينتي شيخو ومناس انقطعت المواصلات ما بين أورمجي وإيلى وإن قائد القوات الصينية في ولاية إيلى جانك بيون به ي زيخوى أعلن استقلال ولاية إيلىوأعدم أتباع جين شورين من منطقة إيلى واتفق مع فئة التونكان وتارانجي أهل البلاد قلد نفسه صفة خواسليك وأعلن عصياناً على شين تس سه ى. وهكذا صارت أحوال إيلى وانقلاباته الثورية وبالخاصة كانت هذه الأحداث فى إيلى وانقلاباتها بمجرد الإبتعاد عن حكومة أورمجي وأن تكون هناك حكومة صينية لا يتجزأ من الصين فقط ليس إلا.

الفصل السادس

نهاية فئة التونكان من آلته شهر تعنى المدن الستة

إن حكومة حتن الإسلامية منذ نشأتها الأولى كانت حكومة وطنية وانبنت عليها. وكذلك تيمور بك سيجانك انفصاله من فئة التونكان في ولاية كاشغر إنه أسس هناك حكومة وطنية كما ذكرناه في السابق وأنهى نقوذ هذه الفئة الضالة. وأما في ولاية أقسو وكوجا كانت تحت ولاة محليين كانوا واقعين تحت نفوذ فئة التونكان. وكانت قاراشهر ومدينة كورلا واقعتين تحت إمرة وسيادة فئة التونكان عموماً ، وكانت منطقتي لوب وجرغليق قد وقعت فعلاً بيد التونكان.

ومنذ أن اختلف السيد خوجه نياز حاجى مع ماجونغ بك أرسل خطاباً إلى ولاة المناطقة كلها في تركستان الشرقية ، ومنها إلى منطق ختن إليكم خلاصة مضمون ذلك الخطاب:

نحن قمنا بالإنقلاب من مدينة قمول الباسلة لأجل تخليص الناس من الظلم والإستبداد وبفضل هذه الثورة المجيدة خلصنا أهالي تورفان من القتل العام والآن نحن مشغولون بالقضاء على عدونا فئة التونكان. ونحن اتفقنا مع أورمجي في سبيل القضاء على فئة التونكان وإني أصدر إليكم أمري هذا وهو أن تقضوا على كل تونكاني يحمل السلاح في ظهرانيكم ولا ترحموه حيث إن هؤلاء الفئة نصابون وأهل السلب والنهب وليس فيهم من يتصف بالإنصاف وإنهم عدو لأهالينا

وأوطاننا وكذلك أقول لكم أنكم لا تظنوا ظنوناً فاسداً في اتفاقنا مع حكومة أورمجي، وإن هذا الإتفاق اتفاق مؤقت وإن الوطن وطننا ومهما يكن الأمر شائكاً لا نترك البلاد في يد الصينيين.

وإن هذا المكتوب في نظرنا تنبئ ثلاث أشياء:

أولاً: يأمرنا بالقضاء على فئات التونكان أينما كان ويكون.

ثانياً : إن السيد خوجه نياز حاجى يأسف لطلبه مساعدة ماجونغ .

ثالثاً : إن السيد خوجه نياز حاجى يخبر الناس بأنه اتفق مع شين شى سه ى يخبره بالهدوء.

هذا بالنسبة للخطاب الذي وصلنا وأما باقي المكتوبات فيها تغيير ولكن لا تغيير في التشويق في القضاء على فئة التونكان أياً كان. وبهذا المكتوب قام إسماعيل باى ووانك النبيل قضوا على فئة التونكان من بلادهم بالقتل وبالسجن والإبعاد. غير أن وانك بك جهز خمسة آلاف جندي من الوطنيين وهجم على مدينة كورلا وانتصر على فئة التونكان هناك ومن سيادته إلى ضفاف نهر قاراشهر. فقام فئة القالموق بالهجوم على قاراشهر وانتصرت على ماشي مين وأعوانه ثم قتلوه ولكنهم لم يستطيعوا أن يحتلوا مدينة قاراشهر وتعبوا في حرب قاراشهر ثم عادوا إلى مواطنهم جبال قاراشهر وبقيت مدينة قاراشهر

بيد فئة التونكان ثانية ، وبهذه الحالة تكونت في المدن الستة أربع حكومات محلية :

١- وهي حكومة ختن الإسلامية من بلدة جرجن إلى مدينة ياركند.

٢- حكومة كاشغر من مدينة ينكحصار إلى منطقة جبل تومشوق

٣- حكومة آقسو من منطقة تومشوق إلى بلدة باى.

٤- حكومة كوجا من منطقة باى إلى ضفاف نهر قاراشهر

(انظر الخريطة رقم ٢٣)

ومن هذه الحكومات الأربعة حكومة كوجا وانك بك ورئيس حكومة آقسو إسماعيل باى أرسلوا مبعوثاً إلى السيد خوجه نياز حاجى عرضوا عليه طاعتهم وذلك بتاريخ آخر شهر يوليو عام ١٩٣٣ من الميلاد. وكان تيمور بك سيجانك يري في شخصية خوجه نياز حاجى رئيساً للحركة الإنقلابية الثورية في البلاد علناً ولكنه في الحقيقة يرى نفسه قائداً ورئيساً للحركة الإنقلابية الثورية في البلاد وكان يقول : "هو رئيس وأنا أيضاً رئيس". وكان به غروراً وأنانية.

وأما حكومة ختن ترى في شخصية خوجه نياز حاجى شخصية مرموقة يستحق الإحترام لأنه أول من قام وقاد ثورة البلاد العامة وله السبق وله المقابلة الجادة والدموية مع العدو ولكن ختن مع هذا كله لم تعط قرارها في أن خوجه نياز حاجى القائد العام والرئيس في الحركة الثورية في البلاد أم لا ، أي لم تعط قرارها بهذا الموضوع.

وأما حاكم منطقة إيلى وآلتاى نبيل شريف خان لا نعلم طاعته لخوجه نياز حاجى أو أنه أطاعه وفي المسألة روايات عدة من مختلف المصادر التاريخية.

الفصل السابع

حكومة الصين المركزية تقسم تركستان الشرقية إلى ثلاث حصص

حسبما سمعنا أن الحكومة الصينية المركزية كانت في غاية التأثر من انقلاب تركستان الشرقية. ولكنها كانت عاجزة عن إرسال قوة عسكرية إلى تركستان في ذلك الوقت. وإن أهالي

تركستان إذا اتحدوا كانوا حرياً للإستقلال و لم يكن لهم عائق عن ذلك وكان لتركستان الشرقية أن تنسلخ من خريطة الصين وأن تأخذ لنفسها لوناً مغايراً لذلك.

ولذلك كان على حكومة الصين أن تتصور أن تركستان ستنفصل عنها لا محالة ولا رجعة فيه.

ولكن الأمر تغير لغير صالح استقلال تركستان عن الصين.

وذلك كما ذكرنا سابقاً أن خوجه نياز حاجى عقد صلحاً أو قبل صلحاً مع شين شى سه ي. وبهذا صارت النتيجة على ضرر المجاهدين التركستانيين وبهذا أيضاً صار لحكومة الصين المركزية أمل في بقاء تركستان الشرقية في قبضتهم ولذا عمدت حكومة الصين المركزية أو شين شى سه ي اتخاذ قراراً بأن تقسم تركستان الشرقية إلى عدة أجزاء حتى يسهل عليها إدارة البلاد وأن يبقيها في قبضتها إلى النهاية ، وإن حكومة الصين المركزية في تفكيرها وصلت إلى أن تخلق مناسبة بين شين تشى سه ى وخوجه نياز حاجى وجانك بيون بصورة ود ومصالحة وأن يستتب الأمن والأمان في البلاد ويسكت الثوريون المجاهدون. ولأجل ذلك أرسلت حكومة الصين المركزية معاون رئيس أركان الحرب خانك موسوك وتحت رئاسته هيئة سياسية وإن هذه الهيئة وصلت إلى أورمجي بالطائرة وحال وصولها قسمت البلاد إلى ثلاثة أجزاء: جزء مركب من ولايات أورمجي

وجوجك وآلتاى جعلته تحت رئاسة شين تشى سه ى وأن يبقى شين بعنوان دوبن كما كان. والجزء الثاني المناطق الواقعة بجنوب جبل خان تنكرى ولاية ثانية جعلتها تحت رئاسة خوجه نياز حاجى بعنوان (ته ن جانك) وأعطته خاتماً لذلك أي مهراً.

وأما الجزء الثالث تكون ولاية إيلى برئاسة جانك فيو ن تحت عنوان خواسليك يعنى القائد لمنطقة إيلى ، وكما ذكرنا أن الصينيين سموا منطقة أيلى ب" أيلى خوات".

ونحن نرى أن حكومة الصين المركزية لم تعط لخوجه نياز حاجى ولا لشين تشى سه ى رتبة جوشى وإنما أعطتهما رتبة جنـــرال أو قائد ، نفهم من هذا أن نفوذ شين تشى سه ى السياسية تشمل الجزأين معاً من تقسيمها وطبعاً أن هذه اللعبة يفهمها القراء المحترمون.

وطبعاً أن المقصود من هذا التقسيم أن تركستان الشرقية التي بعدت منذ مدة عن نفوذ الصين المركزية تقسم هذه البلاد لثلاثة أجزاء حتى تكون رقباء على بعضها البعض وبصورة أن تفقد القوت المتمركزة في مدينة أورمجي وأن تعيش هذه البلدان التي في ثلاثة أجزاء تعيشها ضعفاء وأن تبقى دائماً تحت نفوذ الصين المركزية ليس إلا ، وبعد هذا التقسيم تعلن الصين المركزية أن ماجوك ينغ لا يملك شيئاً وليس له أي حق في المكتسبات القومية بل الصينية في البلاد هذه وأنه

لص محترف ، فسائر الثلاثة رؤساء ، أن تقضوا على ماجوك ينغ وتطاردوه من تركستان الشرقية.

فإذا طرد ماجوك ينغ من البلاد يجيء وقت تقضى فيه على خوجه نياز حاجى ، فتكون ثورة وانقلاب البلاد التحريرية قد انتهت.

ولأجل هذه الغاية تنظر الصين المركزية لخوجه نياز حاجى وللصينيين الرؤساء رتبة القائد العسكري ، فهذه الألعوبة كذلك معلومة للجميع.

الفصل الثامن

انهيار المناسبة فيما بين قوات ختن وبين تيمور بك سيجانك

الأولى: كانت في ولاية كاشغر فئات أربع ذات قوات عسكرية بأسلحتهم التونكان فهؤلاء التونكان قوة بذاها وكانت بصورة عدو لسائر القوات الثلاثة.

الثانية: قوات تيمور بك سيجانك وجنوده من كوجا وتورفان وكورلا وكاشغر.

الثالثة: قوات فئة القرغيز العسكريون.

الرابعة: القوات الأزبكية العسكريون.

وإن هذه القوات ما عدا فئة التونكان كانت في الظاهر والصورة تابعة لتيمور بك سيجانك ولكنهم وكل واحدة منها على حده كانت منقادة لأوامر رؤسائهم من جنسياهم بشكل من الأشكال. ولم تكن هذه القوات تلتزم بقوانين وأنظمة إدارية بل كانت على هامش الأحداث وكأهم طفيليون. ولهذا السبب كان العقلاء من أهالي كاشغر كانوا يخمّنون أن مثل هذه الفرق العسكرية لا بد يوماً ينشأ فيهم اختلافات طائفية فينشأ السلب والنهب والقتل العام في البلاد على حساب المغلوبين من أهل البلاد. وبالذات وفي الوقت نفسه كان الأهالي في بداية نفرة من حكومة تيمور بك سيجانك غير نظامية وغير قانونية حتى يطمئن الناس ليومهم وغدهم. ومنذ فتح مدينة ياركند من قبل مجاهدي ختن العزيزة كان من أهل كاشغر من يتمنى أن تكون كاشغر تابعة لحكومة ختن الإسلامية التي

تحكم بالنظم والقوانين الإسلامية وكذا كان من علماء ومثقفين من أهل مدينة كاشغر يترددون إلى مدينة ياركند ويطلبون من حكومة ختن أن يأتي الشيخ ثابت داملام إلى ولاية كاشغر بجنود كافية وكم كان هذا التردد من رجال يأتون إلى ياركند خفية وكذلك مثل هذا الترغيب كان من قبل أكابر فئة القرغز وأبدوا استعدادهم لمساعدة مجاهدي ختن إذا لزم الأمر وأرسلوا بعوثهم بخطابات بهذا المعنى.

ولكون الشيخ ثابت داملام من أهل كاشغر كان يستعجل الذهاب إلى كاشغر قبل أن يحدث الكوارث والإقتتال وإن مدينة كاشغر مدينة كبيرة يجب علينا الإحتياط وترتكن مدينة كاشغر إلى السلم حرباً أو صلحاً وتنجو من هذا الفئات المتناثرة وتتقى من التهلكة وأن تنقاد مدينة كاشغر لحكومة ختن الإسلامية وتتقوى مكانة ختن السياسية ، وتسهل عليها بقية الشؤون الإدارية والعسكرية ، وعرض علينا الأمر وأبدى حساسية في الأمر هذا.

وإن ترغيب بعض من أهالي كاشغر وفئة منصفة من قبائل قرغز حبذه في الأمر وإنه رأى هذا الرأي والترغيب عين الصواب ومقتنع به.

ولكن الملك حضرت محمد نياز اعلم آخونوم وأنا بجانبه كنا راغبين في الأمر ولكن القوة العسكرية لتيمور بك سيجانك وقوات تونكان كانت متفوقة علينا ولذا رأينا أن نصبر قليلاً ريثما يكتمل

نواقصنا من القوات الضاربة في مقابل تلك القوات الموجودة في مدينة كاشغر. ولذا منعنا الشيخ ثابت داملام من الإقدام في المسألة ريثما يكتمل نصابنا. ولكن الشيخ ثابت داملام من حيث رغبته الملحة تشبث في رأيه وتنفيذه تشبثاً ملحوظاً حيث وقف في اقتناعه وقفة جامدة وأسرد لنا أوجه القناعة وأساليب الوعود الصادرة من جهات شتى في مدينة كاشغر وأن أهل كاشغر العقلاء والمثقفون منهم والأثرياء من يصوب في تنفيذ الرأي سالف الذكر.

وإن هذه الفئات في مدينة كاشغر فيها نفوذ قوية وإن قوات ملائمة في الفكر في ازدياد دائم. وإن كل أو جل أهل كاشغر منضبطون وموافقون بل تواقون في تنفيذ الخطة. ومن جملة تشبثه في الرأي أن أرسل إلينا رجلاً توسط بينه وبين أهل كاشغر أرسل إلينا على يد الرجل هذا وثائق لا يأتي بها الشك وأخيراً اقتنعنا بل أقنع حكومة ختن الإسلامية. وإن على حكومة ختن أن تعمل عملاً قد لا يليق بها وربما يكون آخره خطأً فاحشاً على حكومة ختن والثورة لم تنته بعد وأصحاب الصراعات والقيادات الثورية لا يكون فيما بينها خلافات قد تكون ضرراً علينا جميعاً. إن قوات عسكرية من حكومة ختن تذهب بقيادة أو رأي ثابت داملام إلى مدينة كاشغر في غاية الحساسية المحدثة للإنشقاق فتبقى تصادم القوتين الوطنيين تكون وصمة عار علينا جميعاً. كان الوقت وقتاً حساساً جداً لا يتحمل مثل

هذا الإنشقاق حيث توجهت بالرأي هذا قوات ختن القوية توجهت إلى ضعف وتدرج دنيء. وإن قوات تيمور بك سيجانك التي يعتمد عليها كلية بدأت تنهار أركانها ويتشتت أفرادها. وإن هذه الإختلافات في الرأي دامت خمسة أشهر وزيادة وأعطت للعدو فرصة ثمينة.

وبتاريخ ١٥-٧- ١٩٣٣ من الميلاد تحرك الشيخ ثابت داملام مع أخي الأمير عبد الله يصحبهما حوالي ٢٥٠٠ جندي تحرك قاصدين مدينة كاشغر ووجهوا خطاباً للسيد تيمور سيجانك يقول فيه: إننا تحركنا قاصدين مدينة كاشغر لمساعدتكم العسكرية وإننا ناوون أن نقضي على فئة التونكان والصينيين في مدينة كاشغر الجديدة وبهذا يستتب الأمن في المدن الستة (آلته شهر). ثم نتجه إلى جهة أورمجي لمساعدة خوجه نياز حاجى في الشمال. وبتاريخ ١٨-٧-١٩٣٣ من الميلاد وصل الشيخ ثابت داملام والأمير عبدالله بجنوده على مدينة ينكحصار. وجدير بالذكر أن نقول أن ثابت داملام ترك خلفه في مدينة ياركند الحافظ ته نجاك بجنوده خمسمائة فارس بسلاحهم. وكان حافظ ته نجاك من أبرز شخصيات تيمور بك رجلاً ذكياً وفاهماً للأوضاع. وإن خطأ هذا الأمر سيأتي بيانه فيما بعد. وبعد أن وطئ أقدام ثابت داملام لمدينة ينكحصار قدم لاستقباله أعيان وأكابر مدينة كاشغر وقدم أيضاً تيمور بك سيجانك

نفسه إلى مدينة ينكحصار لاستقبال الشيخ ثابت داملام وكان مجيء تيمور بك سيجانك بدون أن يأخذ معه جنوده ومحافظيه بل أتى بنفسه راكباً سيارته الرسمية وكان تيمور بك يخاف من سفر ثابت داملام هذا إلى مدينة كاشغر وبهذا الوقت بالذات وطلب منه عدم ذهابه إلى مدينة كاشغر وقال إن القضاء على فئة التونكان من جملة عملي ووظيفتي وأن قواتي العسكرية تكفي للقضاء عليهم وأعطي وعداً بذلك. وقال يجب أن يكون نهر شاه نياز في الشرق من مدينة ينكحصار حداً فاصلاً بين حكومة كاشغر وختن. وقال إذا تحدد حدودنا فيما بيننا وقضيت على فئة التونكان لا يبقى بيننا عائق لاستتباب الأمن فيما بيننا ، ولأجل الفصل في الموضوع أتيت إليكم بنفسى. ورأي الشيخ ثابت داملام في تصميم تيمور بكل في الموضوع يبين عجزه وضعفه وأخيراً صمم الشيخ ثابت داملام في عزمه الذهاب إلى مدينة كاشغر. وقال لتيمور بك سيجانك بعض الأقوال اللازمة في الموضوع. فرأى تيمور بك أن يقبل عذر وأقوال الشيخ ثابت داملام ويتحد معه ومع الأمير عبد الله ضد فئة التونكان والصينيين وقبل أيضاً ذهاب الشيخ ثابت داملام إلى مدينة كاشغر وعاد إليها في يومه. فترجل الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله ومهم جنودهم تحركوا متجهين إلى مدينة كاشغر ليقضوا فيها على فئة التونكان والصينيين الذين هم محاصرون في مدينة كاشغر الجديدة.

وعندما قدم الشيخ ثابت داملام إلى مشارف مدينة كاشغر استقبله الأهالي استقبال الفاتحين بحرارة وبصميم القلب والقالب. وكان ذلك بتاريخ ١٩٣٣/٧/٢١ من الميلاد فدخل ثابت داملام ورفقائه الأمير عبد الله وجنودهما إلى مدينة كاشغر وبعد ما أخذ القادمون استراحاتهم أرسل وفداً إلى مقام تيمور بك سيجانك يدعو فيه أن يهاجم على مدينة كاشغر الجديدة ليفتحوها ويقضوا فيها على فئة التونكان والصينيين الذين في المدينة ، ولكن تيمور بك سيجانك أخر الموضوع من اليوم إلى بعد غد ، وفي أثناء ذلك برز المغرضون في الساحة ليحرضوا تيمور بك ضد الشيخ ثابت داملام وعلى رأس هذا المغرضين حافظ ته نجاك الذي بقى في ياركند ومن أهل مدينة كاشغر. ومن جهة ثانية قام الشيخ ثابت داملام بصحبة من لهم ذو وجهين ويبوح لهم أسراره. ومن جهة ثالثة أبرز الشيخ ثابت داملام وجوهاً فضفاضة ومتعالية على بعض أعيان مدينة كاشغر وعلى أعيان البلاد بعنجهية كلامية فاستغربوا ثابت داملام من ذلك المعاملة الغير اللائقة به. وأما تيمور بك سيجانك بذل عطاآت ثمينة لقواد جيشه وضباطه وأخذهم في طرفه بصميم وأخلاق وهذا ضبط تيمور بك نفسه حيال مختلف الإحتمالات ووزع لهم رتباً ومناصب عالية في الجيش وبهذا وبتاريخ ٢-٨-١٩٣٣ من الميلاد بدأ يبرز تيمور سيجانك على الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله آخون عداوة

مكشوفة. وبهذا طفق الشيخ ثابت داملام يتفقد من لهم وعود سابقة من أهل كاشغر وضباط قرغيز فلم يجدهم إلا نفراً من أفراد قوة قرغيز العسكرية. وقال إن المسألة أصبحت في غير صالحنا حيث إنهم أصبحوا منحازين لطرف تيمور سيجانك.

وإن هذه الوضعية ستوجب على الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله أخون أن يعودا من كاشغر إلى مدينة ياركند ولكنهما عزما لحماية من بهم وعد إخلاص لهما حيناً من الزمن فلزما مدينة كاشغر أو مكثا في مدينة كاشغر يومين اثنين أي تأخرا فيها. وبتاريخ ١٢ ربيع الثاني تحرك تيمور بك بالهجوم على مفرزة قرغيز الذين وعدونا وتعهدوا. وكان هجوم تيمور بك سلب السلاح منهم وحصلت اشتباكات بين الطرفين فأراد الشيخ ثابت داملام مساعدة مفرزة قرغيز التابعين لنا وأعطى أمره بتحرك جنودنا إلى ميدان المعركة وهو أيضاً ركب حصانه وذهب مع الجنود إلى ميدان المعركة. وتصدى علينا تيمور بك وعرضهم على النار وفي هذه المعركة أخذ الأخ بختيار خان قائد فرقة ينكحصار بأكثر رجاله من قبل جنود تيمور سيجانك وفي ذلك الأثناء فر فائد منطقة كريا محمد أمين باى بمائتي فارس من جنوده وأحد قوادنا وهو ابن مرشد الطريقة في ختن وأحد تلاميذي غلام قادر خان فروا إلى جبهة تيمور سيجانك مستسلمين.

وبهذه الطريقة أصاب جنود ختن إصابات بليغة وعادوا إلى معسكرهم.

وفي يوم غد قام تيمور بك بطلب إلى الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله آخون بتسليم أسلحتهم إلى تيمور بك. ولكن الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله تذاكرا فيما بينهم لمدة يومين في تسليم السلاح أو عدم تسليمها.

ولكن بعض قواد تيمور بك وضباط في جنوده من أهل كاشغر الحاسدين على الشيخ ثابت داملام توزعوا في عزوبية مدينة كاشغر وكان هناك نفر من جنودنا فهجموا عليهم وسلبوا من جنودنا سلاحهم. وفي الحالة هذه رأي الأمير عبد الله أن يغادر كاشغر بأي حال من الأحوال قاصداً مدينة ياركند بجنودنا ولكن الشيخ ثابت داملام استرثه وهون عليه وقال : لا يمكننا الخروج سالماً من مدينة كاشغر ويجب علينا الإستسلام إلى تيمور سيجانك واقتنع عبد الله بذلك.

وفي يوم ٨-٨-١٩٣٣ من الميلاد قام الأمير عبد الله بتسليم الأسلحة إلى السيد تيمور بك سيجانك واستلمها. ثم أخذ تيمور الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله تحت إقامة جبرية. أما جيوش العزل من السلاح ، أمر تيمور جنوده أن يسلبوهم بما فيهم حتى القمصان والملابس الأخرى ثم يطردوهم بالإهانة والوحشية.

وطردهم من مدينة كاشغر مذلولين ومضروبين وقتل بعضهم تحت التعذيب وفي طريقهم إلى ينكحصار ثم ياركند مات كثير من جنودنا بالعطش والجوع وهم عرايا من لباسهم.

ومنذ أن بارح الشيخ ثابت داملام والأمير عبد الله بجنودهم مدينة ياركند قام بعض المفتنين بالإيقاع بين حافظ ته نجاك وبين الأمير نور محمد وصارت بسببها مجادلات واشتباكات فأخذ الأمير نور محمد يحبس هؤلاء المعرضين وأعدم أربعة منهم بالشنق وعندما بلغ الخبر للسيد تيمور بك سيجانك أرسل أحد قواده من أهل كاشغر وهو كجيك أخون ته نجاك بثلاثمائة من الجنود إلى مدينة ياركند.

وكانت هذه الواقعة الأليمة في الوقت الذي أظهر تيمور بك عداوة على الأمير عبد الله والشيخ ثابت داملام. وكان كجيك آخون ممن وعد الشيخ ثابت داملام بالخير والمساعدة ورغبه في الذهاب إلى مدينة كاشغر...

ثم إن كجيك آخون غيّر رأيه من الشيخ ثابت داملام إلى طرف تيمور بك سيجانك ومن وصول كجيك آخون ته نجاك إلى مدينة ياركند بدأ حافظ ته نجاك بعداوة الأمير نور أحمد علناً من دون مواراة. وعلى كل حال كان لدى الأمير نور أحمد قوة ضاربة تكفى للتغلب على حافظ ته نجاك وأمثاله. وكان يأتي إلى الأمير نور أحمد

خطابات من الأمير عبد الله في مدينة كاشغر بأن يستسلم لتيمور بك سيجانك ولكن نور أحمد لم يأبئ به حتى إنه قرر أن يقابل حافظ ته نجاك بقوة السلاح ولكن عمل احتياطاً في الأمر بأن نقل الزوائد من الأسلحة والخزينة إلى مدينة قارغلق ومن جملتها مدافع هاون وإن الجنود رأوا بأم أعينهم هذه النقليات وأشيع بينهم أننا نخلي مدينة ياركند وننتقل إلى مدينة قارغلق. ومن طرفنا ارتحل من أطراف مدينة ياركند أكثر من خمسمائة فارس وبدون أمر من الأمير نور أحمد قاصدين مدينة قارغلق وإن الحركة أحدث في صفوف العسكريين ارتباكات وهرج-مرج ، ولما رأي حافظ ته نجاك هذه الحركة بدأ يهجم على معسكراتنا هنا وهناك بالمباغتة. وإن الوضعية في مدينة ياركند انتقلت من سيء إلى أسوأ ، ولزم أن يستسلم الأمير نور أحمد ولكنه بعزمه ورباطة جأشه أجرى محادثات مع حافظ ته نجاك واتفق على أن يسلم الأحصنة والأسلحة لحافظ ته نجاك وأن لا يتعرض حافظ ته نجاك على مال وحياة رجالنا في انسحابهم من أرض ياركند وأن لا يجر جنوده إلى الضفة الشرقية من نهر ياركند. وبهذا الإتفاق وبتاريخ ١٧-٨-١٩٣٣ من الميلاد تم تسليم الأسلحة والأحصنة إلى الحافظ ته نجاك وبعد استلام الأسلحة والأصحنة ، الحافظ ته نجاك نقض عهده وألقى القبض على الأمير نور أحمد ونفراً من المقربين له وأودعهم في السجن. ثم تعرض على جنودنا العزل بالنهب والسلب

حتى ملابسهم وبقوا عرايا. وبرغم ذلك بقى بعض جنودنا في مدينة ياركند بتبديل قيافتهم أو الإنخراط في خدمة حافظ ته نجاك وذلك إنهم أبوا أن يرحلوا إلى ختن بينما قائدهم في السجن في مدينة ياركند.

وإن حافظ ته نجاك هذا تحرك بجنوده إلى قارغلق بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٣٣ من الميلاد وصار مجيء حافظ مفاجعة لمن كانوا موظفين والجنود العزل بل صار وغراً في المدينة فخرج من مدينة قارغلق من فيها من أهل المناصب والإداريين متجهين إلى ختن وفي الغد صباحاً وصل حافظ ته نجاك إلى قارغلق واحتلها بدون مقاومة.

فأنا ذهبت إلى مدينة قاراقاش ثم وصلت إلى زاوا وهناك الجنود العزل الذين أتوا من مدينة ياركند وجمعت الجنود وباقي رجالنا من هنا وهناك والجنود العزل ذهبوا من هناك إلى أهاليهم وبيوتهم . ولكن حافظ لم يتعد قارغلق بل وقف هناك غير أنه أرسله مفرزة من جنوده إلى منطقة قوما وشخصاً بصفة حاكم لها واحتلها. وكان حافظ يطلب امدادات من مدينة كاشغر ويجمع جنوداً استعداداً لغزو ختن لكننا جمعنا قواتنا وأرسلنا إلى منطقة قوما ألفاً وخمسمائة رجل وهم فوارس فتغلب جنودنا على جنود حافظ وأسروا حاكمها ونفراً بقدر ثمان عشرة رجلاً وطردوا الباقين من مدينة قوما واحتلوها وبعد هذه الإرسالية إلى قوما أرسلنا هيئة من

رجالنا إلى حافظ ندعوه إلى التفاوض معنا وإذا لم يوافق حافظ على التفاوض قلنا نحن مستعدون للنضال على آخر رجل من جنودنا. وعندما وصلت هيئتنا إلى "جلاق لنكر " تعرض عليها جنود حافظ ته نجاك وسلبوها ونهبوها وأسروا بعض أعضاء الهيئة وبعضهم نجوا بجلودهم ووصلوا إلى مدينة قوما سالمين.

وكان رئيس الهيئة من ضمن الأسرى فقام حافظ يملى عليه أن قوات حافظ ته نجاك تبلغ عشرين ألف فارس مسلحين بأحدث الأسلحة فأنتم احتلوا مدينة قوما واذهبوا إلى منطقة ختن ومن أمثال هذا من المكاتيب يرسلونها إلى مدينة قوما. إن جنودنا صدقوا الأكاذيب هذا وقالوا إن ألف وخمسمائة رجل لا يمكنه التصدي أو التغلب على عشرين ألف رجل ، ورجعوا إلى قواعدهم.

وفي الحال أنا ذهبت إلى زاوا وجمعت كل قواتنا هناك واستعددت إلى المقاومة الجادة. ومن ثمة أتى حافظ إلى قوما وأرسل إلينا عديدا من الرسالات الكاذبة وفيها تهديدات. وكنت أجاوبه إجابات لائقة. وكانت لنا رجال يعلم في الإستخبارات وكان أخبارهم التي يأتوننا بها مختلفاً في حصر قوات حافظ بك. وأما مكتوبات رئس الهيئة تبعنا يبحث دائماً ويتكلم عن عشرين ألفاً تحت يد حافظ ، وكانت قوات ختن من حيث العدد خمسة آلاف فارس ولكن البندقية أقل من هذا العدد بكثير ولم يكن لدينا عتاد

حربي ثقيل حيث إن جبخاناتنا وبنادقنا والذخيرة الحية كلها استهلكت في مدينتي ياركند وكاشغر.

وبهذا السبب وهو أن قواتنا الضعيفة بالنسبة لقوات حافظ البالغ مقداره عشرين ألف وكلهم مسلحون برزت في الوجود فكرة التصالح مع الجانب الآخر ولذا بعثنا مبعوثاً إلى منطقة زانكوي ولكن حافظ لم يستمع إلى أقوال هيئتنا واستمر في تقدم إلى جهتنا لملاقات عسكرية الغير المتكافئة. وإن رجلاً من رجال **التصوف** وعضو في بعثتنا رغب حافظ في الهجوم على منطقة ختن وكان ابن هذا الرجل غلام قادر الذي خان على الصلح الذي بيننا في مدينة كاشغر.

رغب حافظ بالهجوم على ختن وطبعاً وبهذه الترغيبات أرسل حافظ جنوداً إلى ختن وكان غلام قادر رئيساً لهيئتنا ، وفي هذه الحالة نحن قررنا التسليم ونقلنا جيوشنا إلى مدينة إيلجا وأخلينا بلدة زاوا.

وبتاريخ ٢٩/ ٧ / ١٩٣٣ احتل جنود حافظ بلدة زاوا. وكنت يومها في قاراقاش وفي المساء وصل إلى قاراقاش بعض أعضاء هيئتنا الأولى والثانية وقالوا الحقيقة في قوة جنود حافظ وكان بعض الأعضاء هذا قد فروا من قبضة حافظ. وقال أن كون قوات رجال حافظ عشرين ألفاً كذب ساخر وأن قواته لا تتعدى عن ثلاثة آلاف رجل فقط. وفي أثناء ذلك أتانا بعض رجال استخباراتنا من زاوا

وأكدوا ما قاله أعضاء هيئاتنا وفي الحال تحركت قاصداً إيلجا كأننا أخلينا قاراقاش من جنودنا.

وفي المساء عرضت المسألة على الملك حضرت فأصدر حالاً قراره بالمدافعة وفي الساعة الثانية مساء بدأنا نجمع قواتنا للتحرك إلى زاوا. وتحركت أنا في الخامسة مساء ووصلنا منطقة زاوا صباحاً وهاجمنا قوات حافظ مباغتة ودام الهجوم ثلاث ساعات صباحاً وقد قتلنا ثلثي قوات حافظ وطردنا الباقي من منطقة زاوا ولكن حرباً دامت في منطقة تاربوغاز حيث امتدت الحرب إلى التاسعة بتوقيت الغروب وانهزم العدو شر هزيمة وهربوا إلى منطقة فيالما.

ونتيجة لهذه الواقعات وقف حافظ فى منطقة فيالما و لم يتقدم ثانية وذلك أن حافظ طلب من مدينة كاشغر امدادات كافية فانقلب الأوضاع حيث التخويف صار من جهتنا على مواقع حافظ وأرسلنا إليه تهديدات مدهشة واحداً بعد آخر نخوفه من الهجوم علينا وفي خلال أسبوع واحد أتى لحافظ امدادات عسكرية وليس بقليل وبرغم ذلك لم يجرؤ حافظ للهجوم علينا وبقى في موقف الدفاع فقط. وبتاريخ ٣/ ١٠/ ١٩٣٣ من الميلاد بدأ حافظ يذهب إلى ولاية كاشغر مع جنوده وذلك أن تيمور بك سيجانك قد اغتيل من قبل فئة التونكان في مدينة كاشغر واحتلوا مدينة كاشغر. سوف نأتي بتفصيلاته.

فمنذ سمعنا هذا الخبر سارعنا إلى التحرك لمدينة ياركند ونرتب الإستعدادات لذلك. وبتاريخ ١٠ / ١٠/ ١٩٣٣ من الميلاد بدأت السفر على مدينة ياركند بنفسي مع مجاهدينا، واحتل جنودنا مدينة قوما وقارغلق بدون مقاومة ، غير أننا تعرضنا لمقاومة من طرف ضياء خان أحد أعيان مدينة قارغلق ، متعاطفاً لحافظ ته نجاك ولكنه قتل في المعركة. ويوم ما وصلت إلى قوما قد وصل مجاهدونا إلى بلدة فوسكام القريبة من مدينة ياركند. وحتى هذا الوقت كان أخي نور أحمد محبوساً في مدينة ياركند. وأما أخي الأكبر الأمير عبد الله هرب من سجنه في يوم قتل تيمور بك وسلك طريقاً صحراوياً ووصل إلى ياركند. دخل بيت أحد أصدقائنا وبقى هناك مختفياً.

والأعداء لا يعرفون شيئاً من وجود عبد الله في مدينة ياركند. وعندما سمع جنود حافظ أن جنود ختن المجاهدين وصلوا إلى فوسكام عمدوا لإطلاق سراح أخي نور أحمد خان وضموه إلى هيئة من قبلهم وأرسلوها إلى فوسكام يطلبون صلحاً. ولكن الأخ نور أحمد من ساعة ما وصل وقابل المجاهدين أخذ قيادتهم بيده وبادروا المسيرة إلى فتح ياركند. وقد سبق أن قلنا أن بعض جنودنا في السابق بقى متخفياً في مدينة ياركند وكان عددهم ما يقرب مائة جندي وزيادة عندما وصل خبر قدوم المجاهدين ومعهم أخي نور أحمد قاموا حالاً وتسلحوا وهجموا على مدينة ياركند القديمة وتغلبوا على

الأعداء واحتلوها. والهاربون من جنود حافظ دخلوا مدينة ياركند الجديدة ومن جهة ثانية خرج الأمير عبد الله من مخبئه وأخذ قيادة الجيش بنفسه حالاً. هذا وقدم نور أحمد خان من فوسكام إلى مدينة ياركند بتاريخ ٢١/١٠/ ١٩٣٣ من الميلاد وحاصروا مدينة يكى شهر ياركند الجديدة.

ثم وصلني الخبر هذا وأنا في طريقي ما بين قوما وقارغلق ووصلتها ومكثت فيها أسبوعاً ثم غادرتها إلى بلدة فوسكام. وكان إخواني الإثنين منذ ثلاث أشهر ذاقوا الأمرين بين القتال والسلب والنهب والدماء ثم تخلصوا من هذا المظالم وتقلدوا القيادة والتقيت بهم في مدينة ياركند منتصرين. وإن مدينة ياركند الجديدة بقيت في المحاصرة خمسة عشر يوماً ثم انفتحت بالهجوم الكاسح واستلمنا من جنود حافظ أسلحتهم وعتادهم الحربي ورخّصنا لهم لأي جهة أرادوا وقبضنا على نائب حافظ ته نجاك محمد نياز وابنه ووضعناهما في الحبس.

الفصل التاسع

خوجه نياز حاجى يأتي إلى المدن الستة –آلته شهر– وبيعة ختن له بيعة رسمية

منذ أواخر شهر يوليو عام ١٩٣٣ من الميلاد بدأت الحرب فيما بين خوجه نياز حاجى وبين ماجوك ينغ التونكان ووقعت الحروب تلك في منطقة تورفان ولمدة شهر كامل وكل المصادمات كانت الهزيمة من نصيب خوجه نياز حاجى وفي الأخير وبتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٣٣ من الميلاد اختار خوجه نياز حاجى الإقتتال من منطقة تورفان إلى مدينة قاراشهر ولكن مع الأسف ليس لدينا علم بالتفصيل لهذا الواقعات.

وسحب خوجه نياز حاجى كل جنوده متوجهاً إلى مدينة قاراشهر ولكن النقيب كان بالمرصاد على خوجه نياز حاجى حيث إنه لما وصل إلى منطقة اوشاق تال قامت فئة التونكان الذين كانوا في مدينة قاراشهر قاموا بالمقاومة العنيفة وقاتل جنود خوجه نياز حاجى والتونكان أشد منهم وكان أن ينهزم خوجه نياز حاجى وجنوده ولكن خوجه نياز استجمع قواه العسكرية وهجم على فئة التونكان هجمة كاسحة وانتصر عليهم وتغلب جنود خوجه نياز على غرمائهم وقتل من التونكان خلق كثير والبقية الباقية فروا من ميدان القتال يطاردهم جنود خوجه نياز حاجى حتى وصلوا إلى مدينة قاراشهر وصارت مصادمات عنيفة على بوابة قاراشهر هزمهم خوجه نياز وأجرى القتل فيهم وفتح قاراشهر ودخل خوجه نياز مدينة قاراشهر بعد ما قضى على معظم فئة التونكان وبعد أن احتل

خوجه نياز حاجى مدينة قاراشهر أصدر مرسوماً بمكاتب أرسلها إلى كل من ختن ووانك كوجا وإلى حبه اسماعيل باى في منطقة باى وتيمور سيجانك في مدينة كاشغر يأمر فيها بإتيانهم إلى مدينة قاراشهر بجنودهم ونهاجم سوياً على منطقة تورفان لنقضي على ماجوك ينغ وأن نختم أمور الثورة العامة في ساحة تركستان الشرقية في الوقت الحاضر وفي الحال رأساً.

وأول من أجاب لهذه الدعوة إسماعيل وانك لمدينة كوجا حيث ساق إلى مدينة قاراشهر خمسة آلاف جندي بأسلحتهم ومعهم أتى إلى مدينة قاراشهر. ولا ندرى ما فعله إسماعيل باى بل المعلوم لدينا أن إسماعيل باى كان يقدم مساعدة عسكرية. وأما تيمور بك سيجانك أرسل إلى خوجه نياز حاجى جواباً يقول فيه: إني مشغول الآن في شؤون فتح ولاية ختن فإذا فتحت ختن آتيكم بكل قوتي العسكرية إلى تورفان وكانت حكومة ختن مشغولة بهجوم تيمور بك القادم لا قدّر الله وكنا في موقف الدفاع آنذاك إذا لزم الأمر.

وبعد هروب حافظ من فيالما أرسلنا إلى السيد خوجه نياز حاجى هيئة بمكتوب نستعد فيه لمساعدة الرئيس خوجه نياز حاجى ونحن الآن ندافع عن ولاية ختن من هجمات تيمور سيجانك ونحن حكومة ختن نبايع السيد الرئيس خوجه نياز حاجى بأنه الرئيس

الأوحد لعموم تركستان الشرقية مبايعة رسمية وأرسلنا على يد الهيئة تلك مساعدة مالية قدره مائتي سه ر ذهباً يعني ٩٠٠٠ گرام ذهب هدية من حكومة ختن وفي أواخر شهر جمادى الأولى تحرك السيد خوجه نياز حاجى إلى ولاية تورفان وكان بصحبته كوجا وانك وجنوده وفي الطريق إلى تورفان يرصده ماجوك ينغ فيما بين آيغر بولاية كموش ودارت رحى الحرب بين الطرفين وتغلبت جنود ماجوك ينغ على المجاهدين جيوش السيد خوجه نياز حاجى حيث لحقت الأخير هزيمة نكرة. حيث هرب وانك كوجا تاركاً جنوده في الميدان وقد قتل كثير من جنوده ولذا أحال السيد خوجه نياز حاجى النكسة إلى وانك كوجا نفسه لهروبه من الميدان. وأما الباقون من جنود وانك ماتوا في الطريق إلى كوجا من الجوع والعطش و لم يرجع لكوجا إلا نفر قليل سالمين ومعافى. وعاد السيد خوجه نياز حاجى إلى قاراشهر وترك فيها السيد محمود محيطى وجنوده والسيد خوجه نياز أتى إلى مدينة كورلا. والحال هذه أتى إليه أعيان مدينة كوجا وطلبوه أن يأتي إلى كوجا تاركاً كورلا. وتحرك السيد خوجه نياز حاجى قاصداً مدينة كوجا إجابة لطلب أعيان كوجا وأكابرها ، وذلك بتاريخ ١٩ / ١٠/ ١٩٣٣ من الميلاد. وتقابلت معه هيئة ختن في مدينة كوجا ، وقدمت له هداياها. وبعد أن أتى السيد خوجه نياز حاجى إلى مدينة كوجا ضبط تعلقات وانك بك وجعله تحت

الإقامة الجبرية. وفي خطاب لنا من السيد خوجه نياز حاجى أنه اتخذ مدينة كوجا عاصمة تركستان الشرقية.و الحاصل أن خوجه نياز حاجى في إقامته بمدينة كوجا أرسل بعوثاً وهيئات إلى كل من كاشغر وآقسو وختن ويقول عبر بعثاته أقوالاً متضاربة ومضادات بعضها بعضاً وتكاليف لا طاقة لنا فيها.

الفصل العاشر
في مقتل تيمور بك سيجانك في كاشغر

كما ذكرنا سابقاً أن تيمور بك سيجانك حينما أرسل جنوداً إلى منطقة ختن أمر أيضاً جنوده القرغز إلى الذهاب إلى مدينة ختن. ولكن فئة القرغز من الجنود لم ينفذوا أمره وامتنعوا من الذهاب إلى منطقة ختن العزيزة. وبهذا السبب بدأ تيمور بك سيجانك مضايقته على قائد فئة القرغز عثمان على بك وبتاريخ ٢١-٩-١٩٣٣ من الميلاد انسحب عثمان على بكل جنوده من مدينة كاشغر إلى الجبال فسعى تيمور بك لإعادتهم إلى مدينة كاشغر ولكن دون جدوي .

وبتاريخ ٢٨-٩ أرسل تيمور بك جل جنوده إلى الذهاب إلى الجبال ليعودوا بفئة القرغز وعلى رأسهم عثمان على بك وركب

هو سيارته وذهب بها إلى حديقة الحكومة في منطقة قاراول ليتنـــزه هناك وفي المساء عاد تيمور بكل من البستان وعلم هذه الرحلة فئة التونكان التي في مدينة كاشغر الحديثة فشكلوا زمرة من الفدائيين لترحيل واغتيال تيمور بك سيجانك في حال عودته من الحديقة وكانت هذه المفرزة من التونكان فدائيين في حدود ستين أو سبعين فدائياً من فئة التونكان فتمركزت هذه المفرزة في الطريق واستخفوا في جوانبه وعندما اقتربت سيارة تيمور بك ومع محافظه وسائقه سلطوا عليه النار من جهة وصوب وقتلوه ومحافظه وسائقه وهربوا إلى مدينة كاشغر الحديثة. وبعد ثلاث ساعات من الواقعة هذه هجم ماجينسا على مدينة كاشغر القديم واحتلها بعد أن تغلب على جنود تيمور سيجانك. وفي خلال يوم وليلة بعثت فئة التونكان الذعر في المدينة بالسلب والنهب وعم الذعر في أطراف وضواحي المدينة ، وبهذا بقيت المدينة مدينة كاشغر في يد فئة التونكان وعلى رأسهم قائدهم ماجينسا وبتاريخ ٥ / ١٠/ ١٩٣٣ من الميلاد أتى عثمان على القرغز بكل جنوده إلى مدينة كاشغر وهجم عليها وأخضع الناس فيها وتغلب على فئة التونكان وطردهم من المدينة واحتلها. وأما ماجينسا بقى كما كان محاصراً في مدينة كاشغر الحديثة ومعه جنوده. وأما عثمان بك قرغز أعلن نفسه "سيجانك" (أي القائد العام) بعد الأمير تيمور بك الراحل. وأصدر أمره على جنود تيمور

بك الراحل بإطاعتهم له ومكث في حكمه هذا خمسة عشر يوماً وشدد حصار التونكان في المدينة الحديثة ولكن التونكان دافعت عن أنفسهم ببسالة وتصميم حيث كان لهم استحكامات سابقة مبنية ومنيعة. وفي أثناء ذلك قام عدد من ضباط تيمور بك أمثال حافظ ته نجاك وأحمد آخون وهمدم بك وأمثالهم أخذوا أتباعهم من الجنود وذهبوا متجهين الى مدينة كوجا وقال نحن نذهب إلى خوجه نياز حاجى. وبهذا ضعف جنود عثمان بك سيجانك وضعف تشديده على المحاصرة لمدينة كاشغر الحديثة وفيها تونكانيون.

وفي ولاية عثمان على بك بدأ الشيخ ثابت داملام يبرز من مخبئه وتقارب مع عثمان بك قرغز كصديق حميم وبهذا تجاسر الشيخ ثابت بالتقرب من مجاهدي ختن والمغتربين الأزبك ولهم فئات مختلفة وأسس جمعية سياسية باسم (الإدارة الخوتنية) وكان من مقاصد الجمعية إيجاد تقارب وميول لحكومة ختن وبالتالي تأسيس حكومة إسلامية على غرار حكومة ختن الإسلامية. ولهذا نحن حكومة ختن تحمّلنا جميع مصاريف هذه الجمعية من خزانة الحكومة في ختن. وإن هذه الجمعية تقوت رويداً رويداً حتى أنها أحضرت لقوات عسكرية ، وحتى إن بعض الضباط الذين في صفوف قوات عثمان على صار عضواً في هذه الجمعية لمحبتهم فيها ولكن كان انتساهم لهذه الجمعية بصورة مخفية. وكان من أسباب ترقيات هذه الجمعية لكون

مصاريف الجمعية من خزانة ختن من جهة ، ومن جهة أخرى كون عثمان على ميالاً للراحة والمعيشة وغفلته عن بعض الأمور الحساسة.

وكان عثمان على سيجانك شاباً فطناً ذو عزيمة ومضاء ولكنه كان جاهلاً أمياً ولا يعرف عن أصول الإدارة والعسكرية و لم يكن لائقاً لإدارة البلاد وحكمه. ولذا لم يوفق عثمان على بك سيجانك في إدارة الحكم والعسكرية لأكثر من شهرين وبالتالي كان أكابر ضباطه من مثل ستوالدى جان أزبك ويوسف جان أزبك وأراز بك قرغز وجفك قاضى و عبد الخالق وآدى بك وغيرهم كانوا غير راضين عن إدارة عثمان على بك سيجانك وكانوا ينتقدونه جهاراً وعلناً ومن ثمة صاروا يعلنون عدائهم له. وأما عثمان على بك ومن حيث يعلم أو لا يعلم جمع كل الجنود القرغز الذين معه وأخذ جبخانه ومدافع هاون وسائر الأسلحة التابعة له وهرب معهم أي مع جنوده ، هرب إلى الجبال.

وبعد هروب عثمان على بك ضبط القائد أراز بك قرغز كل الأمور في البلد وأرسل حالاً القائد يوسف جان بجنوده لمطاردة عثمان على بك وإلقاء القبض عليه أو إعدامه وأبدى يوسف بسالة كبيرة في المطاردة والهجوم على فرقة عثمان على بك بشكل فائق وتغلب عليه وقبضه هو والقائد خوش محمد خان وسائر الأسلحة وجبخانه وأسلحة ثقيلة وأتى بها إلى مدينة كاشغر. وكان أكثر جنود

يوسف جان هذا من فئة القرغز وهم ألف فارس. ومن يومها صارت الشؤون الإدارية في عهدة الشيخ ثابت داملام والشؤون العسكرية في عهدة أرازبك القرغز ، وتغير اسم جمعية إدارة ختن إلى جمعية إدارة ولاية كاشغر وصارت الجمعية تشكيلة إدارية لحكومة ولاية كاشغر ثم إن الشيخ ثابت داملام شكل كابينة حكومية وبدون شورى حكومة ختن أو أخذ الرأي من السيد خوجه نياز حاجى. وفي أثناء ذلك عاد للبلاد من المغتربين من الهند وتركيا وبعض من ادعى الثقافة والعمل الإداري أُدخلوا في الشؤون الإدارية والعسكرية وأصبح لهم مشورتهم وإعطاء رأيهم في الأمور المهمة وسائر أوضاع البلاد وصاروا من الحرب أقرب الناس إلى الشيخ ثابت داملام.

وكان أعضاء الكابينة ١٦ رجلاً كوزارة حكومية ثم أعلن ثابت داملام حكومته الإسلامية بتاريخ ١٢ نوفمبر عام ١٩٣٣ من الميلاد وذلك بمراسيم لائقة بالحكومة وكان ثلاث من أعضاء هذه الحكومة من المقاتلين الثوريين ، وأما الباقي رجال مرموقون بالعلم والثقافة وقد ملكوا ثقة وائتمان الناس العاديين في الأمة (هذا بزعم الشيخ ثابت داملام) ولذا لم تعترف لهذه الحكومة حكومة ختن ولم يعترف بها السيد خوجه نياز حاجى برغم أن أعضاء هذه الحكومة استقبلوا السيد خوجه نياز حاجى استقبال الرؤساء الكبار في مدينة

كاشغر فرحب بهم خوجه نياز حاجى ، وكان الشيخ ثابت داملام برئاسة الحكومة.

وإن الشيخ ثابت داملام أصدر ورقة نقدية يكون التعامل بها في جميع بلدان جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية. ولكن هذه الأوراق النقدية لم يجر مفعولها في غير مدينة كاشغر. سوف نأتي بذكر كل مراحل هذه الحكومة في الأبواب التالية.

الفصل الحادي عشر

في حوادث أورومجي والواقعات

في ربيع عام ١٩٣٣ من الميلاد بقيت فقط مدينة أورمجى في قضبة جين شورين وإن فئة التونكان في مدينة گوجيك التي احتلوها واحتلت مدينة جيمسا من قبل مجاهدي السيد خوجه نياز حاجى وأصبحت حالة جين شورين في وضع خطر في أورمجى يتداول الأطراف المعنية في إسقاط جين شورين من منصبه وتأخذ هذه الحركة مسلك الجد والصلة فيما بينهم.

ومنذ مدة أحجم جين شورين عن تجنيد الروس الأبيض المهاجرين في الخدمة العسكرية. ولكن الجنود الصينيين لم يستطيعوا مقاتلة المجاهدين الوطنيين في شتى المعارك الفاصلة ولذا أجبر جين

شورين لقبول الروس الأبيض المهاجرين للخدمة العسكرية وسلمهم بأسلحة اشتراها من الإنكليز.

وفي ربيع ١٩٣٣ من الميلاد برز بين جين شورين والعسكريين الروس عدم الثقة وعلى مر الأيام توسعت هذه الفجوة وإن الروس الأبيض تخوف من تقدم المجاهدين وزيادة قواهم القتالية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن الإتصالات والتقارب بين جين شورين وبين الإتحاد السوفياتى زادت وتقاربت على مدى كبير وطويل. فخافوا على أنفسهم من هذا التحالف المشين بالنسبة لهم ، وفي توسع الفجوة بين جين والعسكريون الروس هناك من يقول إن الأمر لا يخص جين شورين والبلاد فقط بل إن القنصلية السوفيتية لها دور في هذه الشؤون المصيرية بالنسبة لهم.

وللمثال عام ١٩٣١ من الميلاد حينما كانت الحرب سجالاً بين الصين واليابان هربت ثلة من العسكريين المانشوريين إلى الإتحاد السوفيتى هرباً من الجندية في الصين. وفي عام ١٩٣٣ من الميلاد أعاد الإتحاد السوفيتى قسماً من هذه الجنود الصينيين المانشوريين إلى خدمة جين شورين وفي عام ١٩٣٣ من الميلاد نفسه جاء الإتحاد السوفيتى برجل مانشوري إلى رئاسة الجيش وإن هذه الفئة حاربوا في قمول وتورفان تحت رئاسة هذا الرجل وهو شنك زيخوى وكانت الحروب

هذه ضد المجاهدين الثوريين أهل البلاد وكلمة شنك زيخوى اسمه شين تشى سه ي.

واتفق الفئتان العسكريون المانشور والعسكريون الروس الأبيض على أن يميلا إلى فكرة إسقاط جين شورين من منصبه الرئاسية ، ثم تشاور الروس الأبيض بمن هو مخالف لجين شورين من الصينيين واتفقوا جميعاً عمل شيء في إطاحة جين شورين من الرئاسة وبتاريخ ١٢/ ٤/ ١٩٣٣ من الميلاد في مدينة أورمجي (نه نكووه ن) بها أربعمائة جندي صيني وهجم المناوئون سراى الحكومة جانك جونك يامون وفي هذه الهجمة يطلبون من جين شورين أن ينـــزل من الرئاسة. وكان جين شورين يتخيل مثل هذه الحوادث وجمع في سراى الحكومة جانك جونك يامون كثيراً من الجنود واستعد لملاقات أي طارئ وتصادم القوتين في داخل سراى الحكومة بحرب ضروس ومن جنود سراى الحكومة من هم قد ملوا من إدارة جين شورين والعسكريين الروس لم يشتركوا في القتال حيث علم جين شورين أن المعركة خطرة على حياته وحياة أسرته فأرسل إلى المناوئين من يثق به ويطلب من المناوئين إخلاء سبل جين شورين وعائلته وأولاده للخروج من مدينة أورمجي وقبل المناوؤون التكليف هذا وركبوا جين شورين وعائلته في سيارة وأخرجوه من الباب الخلفي لسراى الحكومة.

وأما جنود جين شورين منذ أن سمعوا هروب رئيسهم وقائدهم استسلموا لفئة الروس الأبيض المهاجرين ، وبتاريخ ٢٤- ٤- ١٩٣٣ من الميلاد وصل جين شورين وعائلته إلى مدينة جوجك ورحل منها إلى الإتحاد السوفيتى آنذاك ثم رحل منها إلى داخل الصين.

وعندما هرب جين شورين تأسس في أورمجى كابينة سياسية باسم حماية أمن البلاد وكانت الكابينة كابينة سياسية بصفة عالية. وإن هذه الكابينة أو الهيئة العليا عين وزير المعارف السابق السيد ليونلونك رئيساً للحكومة المركزية في أورمجي وعمره ٨٠ عاماً وعين رئيس الجنود المانشوري دنيك جنك قائداً عاماً للجيش. وأما مهمة الهيئة العليا هذه تأمين أمن البلاد وسلامة أهل البلاد بالأمن والأمان وعدم التعرض لحياة جين شورين ومالياته،وأن يحافظ على سلامة القنصلية الروسية وبهذه المواد الثلاث أعلنتها لصلتها بالوطن والمواطن والحكومة.

وفي هذه الأيام يأتي شين تشى سه ى عائداً هو وجنوده من مدينة تورفان وبتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٣٣ من الميلاد تقلد الهيئة العليا شين تشى سه ى صفة أو رتبة دوبن (كلمة دونه ن تعنى جنرال عسكري أو قائد قوات الحدود العسكرية) وكان هذا التعيين من الهيئة العليا بصفة إجبارية (لعل الهيئة وقعت في يد شين تشى سه ى)

وتتشكل في هذه الآونة حكومة محلية مركبة من ٤٤ عضواً حكومة وطنية موقتة وكان من ضمن أعضاء الحكومة ليونلونك رئيساً للحكومة وكَمركين –بافانكوت– و شين تشى سه ى ونظر بك وانك قمول، حسين باى ، عبد القادر ، آباو ، توكباو ، جانكون.

وتصدر من الحكومة الإعلان رقم ١ فيقول فيه في شؤون السياسة والإقتصاد والمعارف تعترف بحقوق متساوية لجميع القوميات وأن كل أفراد القوميات له حق التصويت في الإنتخابات وبالإمتحان يكلف كل فرد منهم يلحق في الخدمة الحكومية بموجب القانون. أما الشؤون الخارجية تكون من اختصاص الحكومة المركزية في ننجين داخل الصين وكان من ضمن أعضاء الحكومة من يخالف لكون شين تشى سه ى يملك مرتبة دوبن بمحض إرادته ورأيه أو بالنسبة للسياسة المحلية. وفي ذلك الوقت تشكلت فرقة أو هيئة تناوئ على شين تشى سه ى وتنحيه من هذه الرتبة وعلى رأسها رئيس حكوم غولجا جانك بيون وكان أعضاء الهيئة من فئة الروس المهاجرين والصينيين ولهذا السبب قام شين تشى سه ى بالقبض على أحد الموظفين الصينيين واثنين من فئة الروس الأبيض المهاجرين وهما گمركن– وبافانكوت وأعدمهم.

وكان ماجوك ينغ في أواسط عام ١٩٣٣ من الميلاد وحارب معا خوجه نياز حاجى ومحمود محيطى وتغلب عليهم

وطردهم من منطقة تورفان واحتل بيجان وقاراشهر وباركول وجنّد كثيراً من الشبان في سلكه العسكري من قوميات مختلفة من مثل فئة التونكان وشبان من الأتراك المحليين وجعل قسماً من جنوده تحت قيادة ماخى وأرسله إلى منطقة آلتاى. وأما ماجوك ينغ نفسه بدأ يتحرش على مدينة أورمجي وذلك بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٣٣ الميلادي.

وقابله شين تشى سه ى في ظاهرة مدينة أورمجي ولكنه انهزم في الحرب مع ماجوك ينغ وعاد إلى مدينة أورمجى مغلوباً.

وفي هذا الأثناء اتفق ماجوك ينغ مع جانك بيون الحاكم العسكري لمدينة غولجا. وكان مناوئاً على شين تشى سه ى منذ انفصال إدارة وحكم مدينة غولجا من الحكومة المركزية بمدينة أورمجي وكان يحكمها بنفسه ولنفسه على أن يتحرش جانك بيون على مدينة أورمجي. وكان جانك بيون جمع جنوداً كبيرة من الأتراك المسلمين المحليين وفئة وتنكان والصينيين وقومية تارانجى الزارعين. وكان جانك بيون حريصاً على عدم تدخل روسيا في شؤون تركستان الشرقية ولذا أحكم جانك بيون الحدود مع روسيا باستحكامات منيعة وكانت روسيا تقلق من هذه الإجرآت وكانت روسيا تنتظر فرصة مناسبة.

وكان ماخى في طريقه إلى منطقة آلتاى واحتلها هي ومدينة جوجك ومدينة مناس وكان يتمنى أن تلحق بقوات ماجونغ ينغ في منطقة دوانميك. هذا من جهة ومن جهة ثانية يتحرك جاك بيون مع جميع قواته قاصداً جهة أورمجي وبهذا تبقى مدينة أورمجي محاطاً بها من كل جوانبها الأربعة.

وبتاريخ ١٢/ ١/ ١٩٣٤ من الميلاد يهجم ماجونغ ينغ على مدينة أورمجي ويدخلها بقوة السلاح ويصل أقدامه إلى سوق نه ن گوه ن والمطار ومحطة الإذاعة في أورمجي. ولكن حالة شين تشى سه ى وصلت لمرحلة خطيرة فيتدخل روسيا في هذه المناوشات الحربية في البلد وإن جيشاً لا نعرف عددها يدخل الحرب بدباباتهم ورشاشاتهم بواسطة الطائرات الحربية ومدافع وهجموا على قوات جانك بيون ويشتتهم تشتيتاً مهلكة. ويدمر نه ن گوه ن ثم يهجم الجنود الروس ومن فوقهم طائراتهم الحربية ترمى بقاذفاتهم على جنود ماجونغ ينغ في أطراف مدينة أورمجي فدمّرت فئة التونكان تدميراً كاملاً. وأما الأحياء منهم هربوا إذا استطاعوا إلى مدينة تورفان وقد شاع خبر موت ماجونغ ينغ في هذه الحرب الطاحنة وكانت منطقة دوانجيك محور هذه الحرب الطاحنة ضد جنود ماجونغ ينغ.

وبعد حرب دوانجيك لم تبق لدى ماجونغ ينغ قوة عسكرية تذكر في المنطقة حتى يقابل مرة أخرى بقوات الحكومة في مدينة

أورمجي. وخاف ماجونغ ينغ الذهاب إلى آلته شهر (المدن الستة) ولكنه وصل إلى مشارفها وأعاد جنوده من تورفان ومنطقة آلته شهر وكأنه لا يعرف شيئاً يعمله !

وأما جانك بيون قتله رجاله في صحراء جبلية وقيل في رواية أنه قتل نفسه بنفسه بمسدسه ومات. وأما الجنود من فئات قازاق وقالماق وتارانجي (مزارعى غولجه) وفئة التونكان اتحدوا واعتصموا في مدينة غولجا كمدافعين عنها غير أن الأعداء (شين تشى سه ى) هجموا على مدينة غولجا هجوماً عنيفاً وأخيراً فئات تارانجي استسلموا لحكومة إيلجا بتشويق من السيد تردى آخون باى. وأما فئة التونكان هربوا إلى جبال آلتاى مشتتين في الجنوب من المنطقة. وأما فئة القازاق وقالماق هربوا إلى المراعى التي في سفوح الجبال. ولكن فئة التونكان السابقة فروا إلى جبال تنكرى تاغ عن طريق كونس ويولدوز فجنوباً إلى منطقة كوجا.

وبهذا القدر من التدخل الروسي الصريح مهد الطريق لشين تشى سه ى للحكم الدكتاتوري في تركستان الشرقية. فشين هذا أو روسيا جعل أو تعين توردى آخون والياً لولاية غولجا. وبهذا عاد جنود الروس إلى داخل حدودهم بالدبابات وسائر الأسلحة الثقيلة. وبهذا كما قلنا سابقاً تعين شين تشى سه ى حاكماً عاما على

تركستان الشرقية وتكون له هذه السلطة تحت حماية روسيا الإتحادية أو الإتحاد السوفيتي السابق.

وإن هذه المعلومات بخصوص واقعات وأحداث أورمجي هي التي تسرّبت من روسيا إلى دولة الإنكليز بصورة مؤخرة. وأهم هذه الواقعات إذعان جين شورين للهروب من تركستان الشرقية وتعيين شين تشى سه ى بصفة دوبن (الحاكم المطلق) وإرسال الإتحاد السوفيتي جيوشه والأسلحة الثقيلة إلى تركستان الشرقية لحماية شين تشى سه ى. ومجيء ماجونغ ينغ إلى تركستان الشرقية للمرة الثانية وهذه الحوادث لأمر جَلَل ، وذات أسرار بالغة السرية. وإن هذه الحقائق التاريخية لبحث ما تنجلي معمياتها والتدقيق فيها من حقوق العارفين فيها والمحققين من شعبنا الباسل ومثقفيهم وكل آت قريب ربما نرى التحقيقات في هذه الحقوق التدقيقية من شباب جيلنا القادم.

الفصل الثاني عشر

العلاقات السياسية للثوريين الوطنيين من الدول الأجنبية

كان الإنقلابيون والوطنيون في منطقة ختن أول من فكر في العلاقات السياسية مع الدول الإجنبية. وكان الثوريون الوطنيون عموماً تأخذ مسلكاً ضد حكومة أورمجي آنذاك ولم يتبين عندهم وضع ثابت حيال حكومة الصين المركزية في داخل الصين بننجين آنذاك. غير أننا نحن والصين المركزية بيننا مسافة طويلة زد على ذلك أنه كان بيننا وبينهم عدو ماكر ولكون حكومة الصين المركزية تساعد حكومة أورمجي. ونرى في هذه المساعدات جنّد المجاهدين الثوريين في تركستان الشرقية. ولذا كنا نفكر بالإتصال مع حكومة الصين المركزية ولكن هيهات ذلك. ولذا سعى المجاهدون الثوريون عندما فكروا في إيجاد مناسبات مع الدول التي تجاورنا ونحن نذكر الآن كيفية هذه المناسبات مع جيراننا.

وإن حكومة ختن منذ تأسيسها دأبت في العلاقة الودودة مع جارتنا الهند ولكن قبل هذا يجب علينا دراسة كيفية علاقة الهند بنا في تلكم الأيام وفي السبيل نتعلم ونبحث دراسات غير متواصلة ومستقيمة وكان في مخيلتنا أن لا يأخذ الهند موقف الحياد في قضيتنا الثورية في تركستان المتاخمة للهند. غير أن تخيلاتنا باءت بالنقيض حيث عرفنا أن الهند يأخذ جانب الحياد بأقصى معانيها.

وأما روسيا الإتحاد السوفيتي (سابقاً) بدا لنا في الظاهر أنه ينظر إلينا بالرضا وأن يمدنا بما نحتاج ، وبهذه الطريقة يضمن له مصالحه الإقتصادية والمالية وحسن الجوار.

وأما حكومة أفغانستان ما كان يمكنه أن يساعدنا ويمدنا ما نحتاجه غير أنها دولة مسلمة وجارة أقرب ومع ذلك ولكونها حكومة إسلامية ولنا بها قومية مشتركة على تراب آسيا وعلى الأقل نستفيد منها من حيث الجيرة أخلاقياً. وبناء عليه عندما ذهبت إلى منطقة فوسكام عينت الأخى قربان الله خان وميان حسن خان عينتهما بعثة غير رسمية إلى أفغانستان ثم عدت إلى ختن. وإنهما سافرا فعلاً في شهر ١١ من عام ١٩٣٣ قاصدين أفغانستان ووصلا إلى مدينة كابول ورحبت بهما حكومة أفغانستان وقبلتهما بعثة قومية ، غير أن الأوضاع عندنا غير مستقرة والمسافة طويلة بيننا وزد على ذلك أن الوضع تغير وأجبرنا إلى ترك البلاد قاصدين الهند ثم أفغانستان، ولذا كله لم نتحصل منهما خبراً إيجابا كان أو نفياً وأفراد هيئتنا بقيت في أفغانستان.

وإذا جئنا في السيد خوجه نياز حاجى كان من المقربين منهم رجال كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي في روسيا من أهالي تركستان الشرقية وبتشويق منهم ربط السيد خوجه نياز حاجى كل أو جل آماله في الإتحاد السوفيتي. وبعد ما اتفق السيد خوجه نياز

حاجى مع حكومة الإتحاد السوفيتي عرفنا ما آل إليه الأمر في المستقبل أي مستقبل ثورتنا الإسلامية وكان السيد خوجه نياز حاجى قد اتفق مع الإتحاد السوفيتي في محادثاته معها على أن يشترى من الإتحاد السوفيتي عدداً من البنادق وجبخانه وسائر العتاد الحربي على أن يدفع قيمتها نقداً وأن يسمح خوجه نياز حاجى لشراء روسيا سائر الخامات الأولية من تركستان في صناعتها المتعددة. يسهل لها الطريق لذلك ونحن من طرفنا كتبنا للسيد خوجه نياز حاجى أن هذا الأمر أو الإتفاقية خطر علينا وعلى أمتنا في المستقبل وكتب إلينا السيد خوجه نياز حاجى أننا في حاجة ماسة للعتاد الحربي من مثل البنادق والدبابات وجبخانه ومدافع هاون والطائرات الحربية وإذا لم نشتر من الإتحاد السوفيتي لا يمكننا أن نشتريها من جيراننا الآخرين حيث إنهم لا يصدرون لنا ذلك الإحتياطات وأن الإتحاد السوفيتي قرّر أن يمدنا بالسلاح المطلوب وبالمقابل قبلنا شروط الإتحاد السوفيتي. ولكن إذا فتحنا البلاد واستلمنا حقوقنا يمكننا أن نستبدل الشروط وندرس ، اطمئنوا من هذه الجهة وبضمن هذه الإتفاقيات كان السيد خوجه نياز حاجى قبل من روسيا وعوداً ومن ضمن الوعود ما يلي:

١- أن تكون تجارة تركستان الشرقية مع الإتحاد السوفيتي وأن يوقف التجارة مع أفغانستان والهند.

٢- وأن لا تدخل تركستان الشرقية في اتفاق مع أي دولة كانت سوى الإتحاد السوفيتي.

٣- إذا لزم الأمر في احتياج تركستان الشرقية للتدريب العسكري أو أي غرض كانت تأخذ المتخصصين من الإتحاد السوفيتي دون غيرها وأن لا تشغل تركستان أي أجنبي غير الإتحاد السوفيتي .

وإن تلكم البنود هي التي أبرمت مع الإتحاد السوفيتي والسيد خوجه نياز حاجى حسبما أحطنا علماً بذلك. غير أننا نعلم ما أخفاه السيد خوجه نياز حاجى عنا ولا حاجة هنا لذكره.

وإن السيد خوجه نياز حاجى وعد لروسيا بالسماح لها بكل ما تنتجه تركستان الشرقية من المواد الخام وبدون استثناء من حيث أنه لا يعلم ، وإن خوجه نياز حاجى لم يعرف ما يمليه الشيطان بهذا الخصوص من مكر وحيلة وكان رجلاً أمياً لا يعلم شيئاً من السياسات.

وعندما أسس السيخ ثابت داملام الحكومة في مدينة كاشغر حاول بادئ ذي بدء أن يفكر في العلاقات مع كل من أفغانستان والهند وإيران وتركيا وغيرهما من الدول علاقة سياسية. ومع الأسف عين الشيخ ثابت داملام أحد التركستانيين بصفة سفير فوق العادة ثم بعثه إلى الخارج غير أن الرجل وصل إلى الهند وجال في بعض شوارع وأحياء دلهى ولم يعمل شيئاً. وكان هذا الرجل لتوه قدم من تركيا إلى تركستان الشرقية وعندما لم يفلح عمل شيء في الهند سافر رأساً إلى تركيا وكان في حوزته شيء من مال حكومة كاشغر واستقر بها إلى بلدة إزمير بتركيا وفتح لنفسه محلاً تجارياً ضخماً بهذا المال.

الفصل الثالث عشر

خوجه نياز حاجى وفئة التونكان

عندما انهزم ماجونغ ينغ في حرب مدينة أورمجي عاد إلى ولاية تورفان لم يكن أمامه إلا منطقة آلته شهر -المدن الستة- أو يذهب إلى الصين عند طريق جرقلق ولكنه صمم أن يحتل مدينتى قاراشهر وكورلا وفي شهر رجب الحرام أرسل ألفي جندي من فئة التونكان إلى مدينة قاراشهر وأنه أذاع بأن ماجونغ ينغ قادم إلى قاراشهر وكورلا بكل قواته المشاة والفرسان. وهذه الإشاعة خوف

السيد محمود محيطى حيث تخمن أنه ليس عنده أي عند محمود محيطى جنود يقابل عدداً بجنود ماجونغ ينغ فأخلى السيد محمود محيطى مدينتي قاراشهر وكورلا وذهب بجنوده إلى منطقة كوجا وبهذا تقوت فئات التونكان وهجمت على منطقة كوجا وإن خوجه نياز حاجى لم يقاوم فئة التونكان وانتقل إلى منطقة باى وعندما علم خوجه نياز حاجى قلة عدد الجنود التونكان وأن قائدهم ماجونغ ينغ لم يصر معهم غير أن السيد خوجه نياز حاجى انتقل إلى مدينة آقسو وأبقى محمود محيطى في منطقة باى بكل قواته العسكرية التي تزيد عن عدد القوات التونكان وعندما اهتم أو عزم السيد محمود محيطى أن يهجم مدينة كوجا كانت هناك فئة التو نكان وصل إليهم خبر هزيمة ماجونغ ينغ في معركة دوانجين فخافت فئات التونكان من الهزيمة وأخلوا مدينة كوجا حالاً وذهبوا هاربين إلى قاراشهر رأساً. كانوا يخافون من هجمة محمود محيطى على مدينة كوجا وفي الحال بادر محمود محيطى إلى احتلال كوجا ومدينة كورلا. واتخذ موقع باش أرگول مترل استحكامات عسكرية ضد فئات التونكان.

وعندما كان السيد محمود محيطى في مدينة باى كان فلولا من عساكر تيمور سيجانك وعلى رأسهم السيد حافظ لوجانغ وصلوا إلى باى قادماً من مدينة كاشغر وكان عدوهم ألف فارس وانضموا إلى قوات محمود محيطى.

والحال هذه طلب السيد خوجه نياز حاجى من مدينة كاشغر ومنطقة ختن مساعدات عسكرية. بالنسبة لحكومة ثابت داملام لم يكن عندها جنود تكفى أو تسمح للمساعدة. وعندنا في ختن كان بالإمكان المساعدة فأرسلنا بقيادة إسماعيل داملا خمسمائة وخمسين فارساً إلى خوجه نياز حاجى عن طريق قايو. ومن مدينة ياركند قررنا المساعدة بصورة حبوب الطعام وأسرعنا بها.

وفي هذه الأيام وصلت إلى السيد خوجه نياز حاجى قلة من الأسلحة منها ١٢٠٠ بندقية ، ومليون ذخيرة حية وكذا ألف من القنابل اليدوية ومسدسات. وكان السيد خوجه نياز حاجى يعتمد إلى استحكامات باش أرگون.

الفصل الرابع عشر
أيضاً في واقعات ختن وكاشغر

ومنذ تاريخ ١٩٣٣ من الميلاد بالشهر العاشر أنيطت بذمة حكومة ختن هذه الأمور الثلاث:

١. مساعدة السيد خوجه نياز حاجى مساعدة عسكرية ومالية.

٢. القضاء على فئة التونكان التي كانت محاصرة في مدينة كاشغر الحديث بمساعدة عسكرية لحكومة كاشغر.

٣. وكان هناك في الحدود بين مدينتي كاشغر وتورفان فئات التونكان المنتشرة في منطقة جرقليق ومنخفض لوب نعمل جاهدين للقضاء عليهم نهائياً حيث إنهم يباغتوننا بالهجمات المتقطعة.

مساعدتنا للسيد خوجه نياز حاجى بدأت كما ذكرنا سابقاً. ولو أن السيد خوجه نياز حاجى صمم وصابر على مقاتلة فئة التونكان ولم ينهزم منها كما ذكرنا كان أحسن صنعاً (كما نذكر ذلك في السطور القادمة) كنا أنا وأخواني عبد الله ونور محمد خان نأخذ جميع قواتنا ونذهب إلى السيد خوجه نياز حاجى وهكذا فكرنا فيه.

وأما حكومة كاشغر كانت في الواقع على أكثر فئة مختلفة ولذلك كانت الجهة العسكرية في حكومة كاشغر ضعيفة وكذلك أعضاء الحكومة كان مركبة من مختلف الجنسيات ولذا كانت الفئات العسكرية في حكومة كاشغر اتخذت صفة المدافعة فقط ليس إلا. ولذا كان الشيخ ثابت داملام يكتب إلينا خطابات في طلب المساعدة ويرسل إلينا بعثات بهذا المعنى. ولذا أرسلنا نحن ألف جندي بقيادة

أخي الأمير عبد الله ولكن وصينا له أن لا يدخل مدينة كاشغر وأن يتريث في مدينة ينكحصار ويتفق مع قواد الفئات المختلفة في مدينة كاشغر وبعد ائتمان تام تدخل المدينة باختيارهم وإجازتهم. وبناء للتعلمات هذه وقف الأمير عبد الله بجنوده في مدينة ينكحصار. وبتاريخ ١٨-شهر ١٢ أتى الشيخ ثابت داملام بنفسه إلى مدينة ينكحصار وتقابل مع الأمير عبد الله وتذاكر معه الأمر مذاكرة وافية واتفقا على أن يهاجم الأمير عبد الله مدينة كاشغر الحديثة من جهات الجنوب الشرقي وأن يهاجم جنود حكومة كاشغر من جهة الشمال الغربي في وقت واحد وعينا لها أي للهجوم يوماً وساعة معينة. ثم عاد الشيخ ثابت داملام إلى مدينة كاشغر وحسب التوقيت المسبق وبتاريخ ٦/ ١/ ١٩٣٤ من الميلاد أرسل الأمير عبد الله زميله عبد الغنى آخون بثمانمائة فارس إلى مدينة كاشغر الحديثة. ووصل عبد الغني آخون مع جنوده إلى قصبة تازغون جنوب غرب مدينة كاشغر الحديثة ووقف بهم هناك. ولكن من جهة كاشغر القديمة كان المسؤول عن الهجوم في ذاك الطرف يوسف جان أزبكي الأصل وإن يوسف جان هذا لاختلاف بسيط مع زملائه توقف عن الهجوم إلى كاشغر الحديثة أو تأخر بعضاً من الوقت. ولما سمع الخبر ماجينسا رئيس التونكان في مدينة كاشغر الحديثة هاجم بكل قواته على قصبة تازغون وحاصر عبد الغني وجنوده في مدرسة نزلوا فيها حصاراً

شديداً وكان معه في المدينة خمسمائة فارس. ولما رأى الحالة هذه الأخ محمد حاج والأخ على قازان أخذا الثلاثمائة فارس وهربوا إلى مدينة ينكحصار وإن عبد الله آخون كافح كفاحاً شديداً ولمدة خمس ساعات من داخل المدرسة المحصورة.

غير أنه انهزم فقرر الإستسلام فاستسلم بثلاث مائة وخمسين فارساً استسلم لماجينسا. وقد سمعت كاشغر القديمة حركة ماجينسا بقصبة تازغون ولكن رغم ذلك يتحرك ساكناً من مدينة كاشغر القديمة لمساعدة عبد الغني آخون وبهذا السبب أمرنا عبد الله آخون أن يعود إلى ختن وأرسلنا بدله نور أحمد خان بألف فارس ثانية وقلنا إنه يقف في ينكحصار وقررنا من طرفنا أن لا نرسل مساعدة عسكرية لمدينة كاشغر ما دام هناك جنود أو عسكريون من أجناس مختلفة من قرغز وقازاق وأزبك.

وفي أوائل شهر ديسمبر من عام ١٩٣٣ من الميلاد أرسلنا إلى الحدود الشرقية للبلاد قائد منطقة كريا الأخ كمال داملام عن طريق جرقليق فقام كمال داملام بمراقبة جرقليق وكانسو وحدود ترفان الشرقية وأرسل رجال استخباراته إلى منطقتي كانسو وتورفان وهم أحسنوا خدماتهم في مهماتهم الإستخبارية راتبة. وفي محافظة لوب أهالي قصبة كنجى أعلنوا ولائهم لحكومة ختن ودخلت القصبة تحت أمرة كمال داملام (انظر الخريطة برقم ١٣).

وأما راقعات كاشغر كانت تفتت القلوب وتحرقها حيث إن أعضاء حكومة كاشغر كانت تتركب من أهالي كاشغر ومن فئة الأزبك وفئة قرغز وكانت هذه العناصر القومية وعلى الدوام في اختلاف الرأي والولاء وذات منفعة شخصية وينقادون إلى عناصرهم الجنسية وكذا تكون هذه الإختلافات والمغايرة من جهالتهم وعدم لياقتهم لمناصبهم التي أنيطت بهم. ولذا كانت حكومة كاشغر تعيش على ضعف وضغينة فيما بينهم. ولتباين الأعراق في الجنود الذي كان تعداده ستة آلاف فارس لم يستطيعوا أن يقضوا على ألف وخمسمائة تونكان التي وقعت في حصار كاشغر الحديثة. بل كانت التونكان تهاجم تارة على مدينة كاشغر القديمة التي فيها حكومة ثابت داملام (حكومة كاشغر الإسلامية) ولذلك السبب كان الشيخ ثابت داملام يطلب دائماً مدد أو مساعدة من حكومة ختن الإسلامية لمجبوريتها بذلك.

ولهذه الواقعات المؤلمة يجب عليّ أن أذكر بعض أسبابها موجزة وافية كالآتي : أولاً إن من أعضاء حكومة كاشغر من لهم الفضل ولهم الثناء العاطر وكانوا مؤهّلين. غير أن الكثير الكاثرة منهم كان من المهاجرين الأزبك الذين أتوا من بلادهم حديثاً ولا يعرفون عن البلد المضياف شيئاً ولا يعرف عرقهم ومشكوكين في أصالتهم

المصتنعة وكان بعضهم من فئة القرغز جهلاء أميين من رعاة الغنم ، شديدو الرأس وعَنودين.

وإن هذه العناصر الثلاثة ولو أنهم كلهم أتراك ومسلمون غير أنهم مختلفين في طباعتهم وبروز الإختلاف بينهم كانوا طبيعياً ولكن هذه الإختلافات فيما بينهم تزال بالحكمة والبحث والدراسة والإدارة المتأنية وتشكيلات منتظمة. ولكن من الذين صاروا أعضاء في الحكومة والمشاورون للشيخ ثابت داملام وسكرتيرية من جماعة أوزبك قاموا بمهارات الإختلاف فيما بين هؤلاء الثلاثة من العناصر المختلفة. والذين أصبحت في أيديهم شؤون الحكومة المهاجرون غير معروف ميولهم وانطباعاتهم برزوا بذور الإختلاف فيما بين قواد هذه الجماعات المختلفة في الإتجاه المعاكس لبعضهم البعض. نتيجة فعالياتهم المشؤمة أولاً قام قائد الجماعة القرغيزية السيد آدى بك يخالف زملائه وقالوا : إن آدى بك هذا شرب الخمر في مهامهم هذا . وحرضوا عليه الأزبك يوسف جان ومن القرغيز عبد الخالق حتى قبض عليه وأعدم بالرصاص وكان لآدى بك هذا خمسمائة فارس عزلوهم عن سلاحهم وشتتوهم. ثم جاء دور يوسف جان أزبك وعبد الخالق قرغيز حيث دبروا عليهما مكيدة ظالمة من مثل مكيدة دبروها لآدى بك. فخاف عبد الخالق عن مصيره المظلم ربما يكون مثل مصير آدى بك فهرب من مدينة كاشغر إلى مدينة ينكحصار

والتجأ إلى حماية الأمير عبد الله. وبإغواء من المفسدين أرسل الشخ ثابت داملام إلى الأمير عبد الله كتاباً يقول فيه: إن عبد الله خائن على ملته، وقال بعزل السلاح من جنوده قسراً ، فاستناداً إلى مكتوب الشيخ ثابت داملام سحب الأمير عبد الله من جنود عبد الخالق وعددهم ثلاثمائة فارس سحب سلاحهم وقبض على عبد الخالق تحت الإقامة الجبرية وأرسله هكذا إلى حكومة ختن. ثم جاء نوبة أورازبك ويوسف جان قورباش بالإغواء عليهما بالتفرقة وكان أورازبك رجلاً مسالماً طيب القلب لم يعمل شيئاً ضد يوسف جان ولكنهما كانا نقيضين لا يأمن البعض على بعض وكان عدائهم في قلوبهم وفي هذه الأثناء جاءت واقعات تازغون.

ومن جرّاء الفتن والإفترآت وفعاليات المفسدين جعل أصحاب حمل السلاح في مدينة كاشغر أعداء بعضهم بعضاً ؛ الأخ لا يأمن أخاه ، القرغز لا يأمن من أزبك ، وأزبك لا يأمن من أهل كاشغر وما كان في نيتهم تخليص البلاد من الوحل الذي هم فيه ومثلهم كمثل رعاة الماشية والأغنام وكل بقطيعه مشغول.

وإن المفتنين هؤلاء كانوا يفترون على الشيخ ثابت داملام ويقولون: إننا جادون في إصلاح الوضع التام وإن الأزبك والقرغيز ليسوا أهل هذا البلد وبأسلوبنا هذا نسحب من أفراد قرغز وأزبك سلاحهم ، نسلح بها أهل كاشغر وختن المجاهدين الجادين في

بسالتهم. يقول هذا حتى يخدع على الشيخ ثابت داملام ولا يعارضهم في فتنتهم هذه.

وفيما بعد عرف أنهم في فتنتهم هذه تفتيت قوى المجاهدين الأحرار وأن لا يبقى في البلد من هو مخلص لدينه وأمته ووطنه ويصفو الجو للخائنين الأشرار أمثالهم ، وأن لا ينتج ثورتهم أي ثورة الأحرار المجاهدين شيئاً يذكر.

الفصل الخامس عشر
في بعض الملاحظات في شخصية خوجه نياز حاجى

حينما كان السيد خوجه نياز حاجى في مدينة قمول انتشر بين الناس أنه رجل جَلَل وهو مخلص لوطنه وملته أي أمته وأنه مجاهد مخلص وقد عم أخباره البلاد كله وتجسد الإخلاص بشخصيته في ذاته الفذة. وإن رجل الشارع في سائر أصقاع البلاد يحبه ويخلص فيه ويغمره بالمحبة ثم وعندما فتح مدينة تورفان فتح الناس عيون إخلاصه ووفائه في وطنه وأمته. ولكن عندما اتفق مع ماجونك ينغ وأتى به إلى تركستان الشرقية ثم اتفاقه مع جين شورين وعداؤته على ماجونك ينغ أضاع في الناس ودهم ومحبتهم وآمالهم فيه ، في ذاته الشخصية حيث إن خوجه نياز حاجى عكر صفو جهادنا المقدس

ولغرس الآمال العظام في نفوسنا. وإن كل الناس أحسوا الخطأ وراء هذه الأخلاقيات بل الإجرآت الغير سلمية. ولكن كان هناك من فهم أن هذه العكسيات لم يكن مجرد خطأ قصد به خوجه نياز حاجى بل هو مجرد تكتيكات أجبرت خوجه نياز حاجى أن يرتكبها ظروف لا بد منها وقد تنجلي الموقف بذهاب هذه الظروف الطارئة وبهذا الفهم تسلى بعضهم نفوسهم الكئيبة ومنهم بالخاصة مجاهدو منطقة ختن غير أن الظنون في شخصية خوجه نياز حاجى لم تزل باقية نسبياً. ومنذ أن وطئت قدماه إلى منطقتي كوجا وكورلا كانت خطابات توالينا واحدة بعد الأخرى. وكانت هناك بعوثاً إلينا من قبله وكذلك بعثنا نحن وفوداً غير واحدة ومن طريق رجال الإستخبارات عرفنا الرجل وشخصية خوجه نياز حاجى.

وكان خوجه نياز حاجى لا يملك هدفاً واضحاً وقصداً مفيداً و لم يكن له استعداد لقبول حقيقة واضحة وكان لا يحب من له قول صواب ولا يستمع إليه وإنما كان يقبل القول من المتملقين الكذابين. وكان هو نفسه رجلاً متملقاً وكان أنانياً يحب نفسه وينفذ كلامه والرأي رأيه لا يقبل رأي الآخر. ومن العجب العجاب أن خوجه نياز حاجى لا يقبل تربية الجنود تربية عصرياً وكان من توجيهه أن إقفال الباب على الجنود من السلب والنهب ومن عرض الناس ينقص من شجاعة وبسالة الجنود ويسرد القول ويقول: نحن

في مغمغة القتال وطوفان النار وإذا متعنا الجنود من حريتهم وتربيتهم تربية عصرية يعمد الجنود إلى تسيب أوامرنا وإن تأمين حريتهم وعدم التنظيم في تحرك الجنود يخمد أهدافنا ويؤثر على جهودنا الموفق وإذا تحرر الجنود إلى عدم الإنقياد لأوامرنا فعليه يأمّن لهم حرية التحرك وعمل أي شيء قد يكون في صالحه".

وكانت نظريته هذه نظرية فاسدة يبوح بها علناً. وكان أنانياً كما أسلفنا ولذا تقرب إليه المغرضون الذين باعوا وطنهم وملتهم وكان قصدهم أن يوصلوا ثورتنا المباركة إلى طريق التهلكة المميتة وإلى عاقبة يائسة حقيقة وقد كانت كل هذه الأساليب العدائية في تصرفات خوجه نياز حاجى ، والتي كانت في صالح العدو لأن خوجه نياز حاجى سلك مسلكاً خطأً من جراء الخونة المأجورين الذين يتربعون كراسي أعلى المراتب في حكومة كاشغر وإن هؤلاء الخونة المأجورين داموا فعالياتهم المشينة ردحاً من الزمن ولو أن خوجه نياز حاجى لم يكن شيئاً في حكومة كاشغر ولكنه كان رمزاً لجهادنا المقدس وقد عرفت فى أوساطنا عدم لياقة خوجه نياز حاجى لرئاسة الثورة الجديدة ولذا تولدت فكرة تبديل خوجه نياز حاجى بشخص له كفاءة في هذه الرئاسة المهمة في حكومة ختن وحكومة كاشغر اقتنعنا لهذه الفكرة ومشينا حالاً في إدارته المستقلة غير أننا

أجبرنا الإحترام خوجه نياز حاجى في داخل أوضاعنا الخاصة فداريناه ولم ينقطع مساعدتنا له في الأيام العصيبة.

وإن تلكم الفئات الغير صالحة أقنعت الشيخ ثابت داملام بأنهم يعملون بتكتيكاتهم الملتوية ويقولون نحن نسعى جاهدين في أن نجبر الأزبك والقرغز أن ينفصلوا من أسلحتهم ونسلح بها إخواننا المجاهدين من أهل البلاد في منطقتي ختن وكاشغر وإنهم وطنيون حقاً.

ولكن الذي عرف فيما بعد أن هؤلاء المفتنين عملوا بهذه الفتن لأن تبقى ثورتنا غير منتجة وتبقى حركتنا الإستقلالية عقيمة لا تنجب.

وفي فكرة تبديل خوجه نياز حاجى بشخص آخر كانت فكرة شائعة بيننا ولكن لتنفيذ هذه الفكرة يجب أن نأخذ فكر نائب خوجه نياز حاجى وأمين سره والرجل الأمين الوطني المجاهد محمود محيطى ونحن من طرفنا وبواسطة أشخاص غير ملتزمين بالعمل وصلنا الفكرة لمحمود محيطى فقبل محمود محيطى الفكرة كمبدأ ولكنه تريث حيث إن لمحمود سيجانك له فكرة يقول فيها: إن إسقاط خوجه نياز حاجى فكرة شائعة ولكن اسم خوجه نياز حاجى اشتهر في سائر العالم وإنه حصل على شهرة ذاتية ويقول إن خوجه نياز حاجى صاحب ثورة ورجل مجاهد مهم ، ولذا ولظروفنا الدقيقة الآن إذا بدلناه نكون نحن المخطئين ويصعب علينا التعامل مع الدول الأجنبية.

فلنا ولأجل أن نستعمل اسمه وشهرته وجهاده يجب علينا الصبر بعضاً من الوقت. ونحن لا نعرف غرض الجنرال محمود سيجانك في هذا الأمر. وعلى كل حال صعب علينا نحن الخوتانيون وحكومة كاشغر إبراز تقدمنا في جهادنا المقدس ولا يمكننا من تحقيق مطامعنا المستقبلية. ولأجل نظرية محمود سيجانك دارينا السيد خوجه نياز حاجى وقتاً ما ولكن فاتت علينا فرص كثيرة.

الفصل السادس عشر

السيل العرم من فئات التونكان من تورفان وايلى إلى آلته شهر (المدن الستة)

وكانت مدينة قاراشهر في يد التونكان في الوقت الذي كان محمود محيطى في منطقة مضيق باش أركون وكان فيها استحكامات طبيعية منيعة لمدة خمسة عشر يوماً تقريباً ولكن بتاريخ ١٢-١٢-١٩٣٣ من الميلاد أصدر ماجونغ ينغ أوامره لجنوده الذين في قاراشهر بضرب الأهداف في مضيق باش أركون ولكن محمود محيطى بدأ يقاوم هذه الضربة بشجاعة وبسالة ولم تتقدم فئات التونكان شبراً واحداً من منطقة باش أركون وبتاريخ ١٣ في الشهر ١٢ ترك التونكانيون الطريق العام وانحرفوا إلى طريق الساحل الجنوبي لنهر

قاراشهر وكان هناك القائد حافظ لوجانك وتغلب التونكان على القائد حافظ وجنوده فهرب الأخير بجنوده وكاد محمود سيجانك أن يقع في حصار التونكان ولكن الأخير هرب بل أخلى المنطقة باش أورگن وانتقل بجنوده إلى مدينة كورلا. ولمطاردة فئات التونكان إلى محمود محيطى إلى مدينة كورلا ترك محمود محيطى مدينة كورلا وانتقل بجنوده إلى منطقة كوجا. غير أن فئات التونكان تحركت إلى جهة كوجا والسيد محمود محيطى قاومها مقاومة جادة بشجاعة ولكن العدو فئات التونكان تغلبت عليه لكثرة عددهم وكثرة وتنويع أسلحتهم فانهزم السيد محمود محيطى فترك المنطقة كوجا وانسحب إلى بلدة باى.

وفي أثناء ذلك علم السيد خوجه نياز حاجى الأمر فأرسل قسماً من جنوده والمجاهدين الخوتانيين إلى مساعدة السيد محمود محيطى في منطقة باى وبتاريخ ٢٢-١٢-١٩٣٣ هجمت فئات التونكان منطقة باى هجوماً شديداً. والسيد محمود محيطى قاوم الهجوم مقاومة باسلة ولكنه انهزم على الرغم من جنوده والجنود المساعدة من السيد خوجه نياز حاجى ودامت مقاومة السيد محمود محيطى ساعة من الزمن ثم انسحب من الميدان وكان بمعيته جنوده وجنود منطقة ختن وكانت الهزيمة مجبورة عليهم.

وفي هذه الساعات العصيبة تحرك السيد خوجه نياز حاجى بكل قواته النظامية وكذلك والى آقسو إسماعيل باى بكل قوات الإقليمية وتحركا متجهين إلى منطقة باى ووصلوا في طريقهم هذا إلى منطقة مضيق قارايولغون وكان السيد محمود سيجانك في طريق عودته من منطقة باى فتلاقى الزعيمان والشيخ إسماعيل باى في منطقة قارايولغون فاجتمعت هناك اثنتا عشر ألف جندي وعلى رأسهم خوجه نياز حاجى وأخذوا موقعاً لهم من منطقة حوض قارايولغون واتخذه موقعاً مدافعاً لهم ضد قوات تونكان وفي مساء يوم ١٢ /٢٤ داهمت فئات التونكان على منطقة قارايولغون وكانت جنود السيد خوجه نياز حاجى غير منتظمة ومنذ ما رأوا الجنود قوات تونكان بدؤوا يهربون فرداً وجماعة والذين صمدوا من قوات خوجه نياز حاجى وهو رأس جنوده بدؤوا المقاومة ورشقوا الأعداء بالنار وفي هذه الحالة اغتيل السيد إسماعيل باى من طرف أحد أفراد جيشه وهو من التونكان وسقط إسماعيل باى شهيداً. وفي هذه الحالة قام السيد خوجه نياز حاجى على جواده وبدأ يهرب من الميدان فأعقبه جنوده بالهروب تباعاً في حالة ذعر وخوف.

وأما الجنود المساعدة من ولاية ختن أخذوا طريقهم من قارايولغون رأساً إلى منطقة ختن وعندما وصل السيد خوجه نياز حاجى إلى مدينة آقسو وأخذ منها كل حاجياته وأخذ معه جنوده

الخاصة وانتقل إلى مدينة أوج تورفان فاحتلت فئة التونكان مدينة آقسو بدون أي مقاومة. بهذه الحالة المشينة انفصلت قوات ختن وقوات آقسو من السيد خوجه نياز حاجى وكان عدد هؤلاء الجنود قرابة خمسة آلاف فارس وكذلك انفصل من قوات السيد خوجه نياز حاجى مائتين وخمسين فارس وانضموا إلى قوات ختن العائدة إليها في الطريق. وبقيت بيد خوجه نياز حاجى جنود من أهالي تورفان وقمول غير نظامية وجبان مثل الشاة يهرب من الذئب . وبهذا السبب لم يمكث السيد خوجه نياز حاجى في أوج تورفان فأخذ طريقه إلى كاشغر عن طريق جبال وعرة واحتلت فئات التونكان مدينة أوج تورفان أيضاً.

وأما التونكان المنحدرون من منطقة إيلى وصلوا إلى منطقة كوجا بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٣٤ من الميلاد ولكن فئة التونكان التي احتلت مدينة كوجا سابقاً لم يأمنوا منهم ولم يسمحوا إليهم بالدخول إلى مدينة كوجا بل أسكنوهم في بلدة دوشنبه بتوخسون في الجنوب الغربي من مدينة كوجا التي تبعد عنها ب ٢٧ كيلومتراً.

وكان عدد فئات التونكان الذين هم مسلحون بالبنادق والرشاشات ما يقرب ثلاثة آلاف رجل أو تزيد قليلاً.

وكانت السيل العرم من فئة التونكان المنحدرين من تورفان وغولجا الهاربين من .شين دوبن من مناطق تركستان شرقاً وشمالاً إلى

مدينة آلته شهر أى المدن الستة. وقد احتلوا قاراشهر وكورلا وكوجا وآقسو وأوج تورفان التي هن من المدن الستة (آلته شهر) وفي المقابل كانت جنود السيد خوجه نياز حاجى أكثر عدداً منهم أي من التونكان وبيدهم أسلحة جديدة وجيدة. وبرغم ذلك انهزموا لجهالة قوادهم بأصول الحرب والقتال. وكانت معنوياتهم ضعيفة وصفوفهم غير منتظمة فلم يقاوموا الأعداء مقاومة باسلة وأخلوا مواقعها واحتلها الأعداء التونكان.

وبتاريخ ١٨/ ١٢/ ١٩٣٣ من الميلاد بدأ شين دوبن يرسل قوات عسكرية من مدينة أورمجي إلى منطقة تورفان وفي أواخر هذا الشهر ١٢ بدؤوا يستعملون القاذفات القنابل والطيارات الحربية وقبل إلقاء القنابل أسقطوا منشورات من الجو يقول فيها:" إننا نحارب ماجونغ ينغ وعندما نصفى البلاد أي جنوب تركستان الشرقية من أفراد جنود ماجونغ ينغ ونسلمها للمسلمين الأتراك أهل البلاد والمجاهدين منهم وأن نطرد ماجونغ ينغ وجنوده من جنوب تنكرى تاغ". وكان قصد شن سى سه ي أن يظهر للناس بوجه طيب وأن يرعب فئات التونكان، ولكن ماجونغ ينغ أظهر سماحة وبسالة وشدة التمسك بموقعه ولذا قصفت الطائرات الحربية الروسية أطراف مدينة تورفان حتى أرغمت ماجونغ ينغ الخروج منها.

وكان ماجونغ ينغ يتناوش مع جنوده جيوش شين دوبن في أوغال الجبال في أطراف المدينة مدينة تورفان حتى تاريخ ١٥/ ١/ ١٩٣٤ من الميلاد حيث هرب منها إلى مدينة قاراشهر. وكان ماجونغ ينغ في غاية التعب والتشتت وكان يخاف أن يهرب إلى مدينة كاشغر حيث المجاهدون المسلمون. وإذا أراد أن يهرب من تركستان عن طريق جرقليق إلى داخل الصين وكان يخاف أن يمسك به غريمه وخاله مايوفانغ في كانسو ونأتي البواقى من حالاته فيما بعد.

وعندما انهزم ماجونغ ينغ في حرب دوانجين انفصل عنه أحد قواده وهو يولواس بك وذهب إلى منطقة قمول الباسلة واتخذ استحكامات له في وديان قمول ثم أعلن استقلاله بولاية قمول.

الفصل السابع عشر

في واقعات حصلت فيما بين ٢٠ رمضان إلى عشر ذى القعدة

الموافق ٦/ ١/ ١٩٣٤ ٢٤/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد.

قدم السيد خوجه نياز حاجى في شهر رمضان المبارك إلى قصبة أرتوج قادماً من أوجتورفان وإلى هذا الوقت كان السيد خوجه نياز حاجى يقول لكاشغر مركز الأشقياء ويقول في حق أعضاء حكومة كاشغر أنهم عصاة مارقون وكذا خاف السيد خوجه نياز حاجى من دخول كاشغر رأساً حيث كتب من مدينة آرتوج خطابات يعتذر فيها للشيخ ثابت داملام ويقول : إن هذه المقولات بسبب مشاة تفتن فيما بيننا وحصل بها سوء التفاهم ودعا السيد خوجه نياز حاجى في كتاباته إلى الشيخ ثابت داملام إلى التفاهم والتعاضد فيما بيننا وننسى ما مضى من سفاسف القول والقيل والقال. فذهب الشيخ ثابت داملام إلى قصبة آرتوج لدى السيد خوجه نياز حاجى وتفاهم معه في كل شؤون البلاد والجهاد والوئام والإلتمام ثم دعا فضيلته السيد خوجه نياز حاجى الدخول إلى مدينة كاشغر.

فقدم السيد خوجه نياز حاجى إلى مدينة كاشغر ورحب به الأهالى وحكومة كاشغر وأعضاء الحكومة وقواد الجيش الإسلامي وعلى رأسهم الشيخ ثابت داملام ، استقبلوه استقبال الفاتحين الغر الميامين. وقد أقيم على شرف السيد خوجه نياز حاجى مجلس حرب حيث بحثت فيه جميع الشؤون ومراقبة الجهاد فقرر الحاضرون في المجلس بتوجيه كل قوى المتحركة والثابتة في فتح مدينة كاشغر

الحديثة وبعد ذلك تبقى جبهة واحدة نحو الدفاع عن البلد من هجوم ماجونغ ينغ وبموجب هذا القرار عين الجنرال محمود محيطى قائداً عاماً لجميع الجيوش الإسلامية في ولاية كاشغر وأن تتحد كل أفراد الجيش تحت لواءه. فشدد محمود محيطى الحصار على مدينة كاشغر الحديثة فطلب السيد خوجه نياز حاجى حسب قرار المجلس انضمام مجاهدي ختن في هذه الحملة فأرسلنا أخي نور أحمد بألف ومائتين فارس من مدينة ينكحصار إلى مدينة كاشغر. وكانت فئات التونكان المحاصرون داخل المدينة يبرزون مفرزات منهم إلى خارج سور المدينة للدفاع عن المدينة ولكنها الآن لم يستطيعوا الخروج من سور المدينة بل مدافعون عنها من داخل سور المدينة ويتراشقون من خوخات السور المنيعة.

وبتاريخ ٥/ ٢/ ١٩٣٤ لم تجد فئة التونكان الأمان في داخل المدينة فلذا قرروا إما أن يفروا إلى خارج المدينة والتي تحصل ما تحصل ، وإما أن يستسلموا للمجاهدين الأتراك وبينما أصحاب الشؤون يتذاكرون الوضع هذا بالنسبة لفئات التونكان أشيع خبر بأن كثيراً من فئات التونكان أتوا إلى مدينة كاشغر وهم في أطراف المدينة الحديثة. فقام السيد خوجه نياز حاجى والأخ الأمير نور أحمد بقسم من الجيش قاموا وتقدموا إلى الشرق من مدينة كاشغر ٢٧ كيلا متراً في الشرق وعلى كبري يمان يار لصد فئات التونكان في تقدمهم إلى

جهة كاشغر. وفي نفس الوقت كان السيد محمود محيطى بقسم من جنود الإسلام مشغولاً بشؤون الحصار على مدينة كاشغر الحديثة.

وعنما برزت جنود التونكان أو لم تبرز بدأ السيد خوجه نياز حاجى يهرب بدون رمى حصاة واحدة. فتصدى له الأمير نور أحمد ووبخه ومنعه من الهرب فرد عليه السيد خوجه نياز حاجى: أنتم لا تعرفون التونكان ، أنا أعرفهم جيداً، ولايمكن المقاومة ضدهم، فامتطي صحوة جياده وذهب دون الإلتفات على شيئ فتبعه جنوده يهربون وصمد الأمير نور أحمد في موقعه وقاوم التونكان قرابة ساعة وزيادة ولكن أكثر جنود الأمير نور أحمد اختلط مع جنود السيد خوجه نياز حاجى وذهبوا ولقلة الجنود المدافعة لم تفلح مقاومة الأمير نور أحمد وفي أثناء ذلك سقط أحد قوادنا الذي نعتمد عليه شهيداً أمام الأمير نور أحمد فكسرت شوكة الأمير أحمد أيام سقوط يوسف خان حاجى. فرأى الأمير نور أحمد أن قواته غير كافية للمقاومة فنظم جنوده حسب العادة وعاد أدارجه إلى مدينة كاشغر.

وأما السيد خوجه نياز حاجى منذ ساعة وصوله إلى مدينة كاشغر أصدر أمره بإخلاء البلاد وأخذ منها ملازماته وذهب بجنوده إلى قصبة طاشملق ثم هرب محمود سيجانك والشيخ ثابت داملام. وإن المجاهدين القرغز والأزبك عمدوا إلى الجبال، وبعدهم أخذ الأمير

نور أحمد جنوده وعاد إلى ينكحصار عن طريق آقسو. وبهذه الصورة أخليت مدينة كاشغر من كل القوى الوطنية بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٣٤. أتت فئة التونكان إلى ولاية كاشغر واحتلتها وبعدما احتلت البلاد عرف أن تعدادهم ليس كما يتوهمه الناس بل كان قليلاً للحد المعلوم. وكان فيه ألف فارس تقريباً وكذا من المشاة مائتان أو ثلاثمائة. وكان قائدهم مافوين من التونكان أيضاً.

وكانت هناك على إحدى سفوح الجبال جنود من الأزبك وقرغز يتوقعون وصول تونكان فهم عرفوا الوضع وعدد جنود التونكان وبتاريخ ١٠/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد هجم المجاهدون القرغز والأزبك على مدينة كاشغر وتغلب على فئة التونكان بما فيهم قائدهم مافوين ودخلو المدينة مدينة كاشغر واحتلوها تقريباً. وعند ذلك اشتغل المجاهدون الأزبك بالمغانم وتقسيمها فإذا مافوين حصل على مساعدة من التونكان المحاصرين في مدينة كاشغر الحديثة وقام بضربة مقابلة ودخل مدينة كاشغر بشكل غزاة سريعة وانهزم الأزبك فهربت جماعة أزبك مسرعين إلى جهات شتى وكانت هناك مائة وعشرون من جماعة الأزبك محاصرين في مكان من مدينة كاشغر ودافعوا عن أنفسهم بمقدار أربع ساعات حتى نفدت ذخيرتهم ثم استسلموا ، ولكنهم في الأسر استشهدوا بل قتلوا على أيدي التونكان في غاية التعذيب والنذالة.

غير أن مافوين أجرى في البلد قتلاً عاماً بدعوى حمايتهم أو إخافتهم جماعة أزبك الذين استشهدوا كما ذكرنا. ودام القتل العام هذا أربعة وعشرين ساعة استشهد فيه ما لا يقل عن أربعة آلاف نسمة من أهالى كاشغر العزل. ثم أجرى سلباً ونهباً في البيوت والمتاجر والمساجد والجامعات ومنـــزل المسافرين (السراى).

ولم يسلم من هذا القتل العام المهاجرون والأجانب من مثل محمد شريف خان ممثل حكومة أفغانستان في مدينة كاشغر. ثم هاجموا أو داهموا سراى السفارة الإنكليزية وقتلوا في هذه المداهمة نفرين من رعايا الهند ثم انجرح السفير وأفراد عائلته.

وبعد هذه الحوادث الدامية ذهب السيد خوجه نياز حاجى والشيخ ثابت داملام ومحمود محيطى إلى مدينة نيكحصار وبتاربخ ١٣/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد اجتمعوا في جلسة خاصة وكان من مطالبهم أن يجمعوا قواتهم ويجعلوا من أنفسهم يداً واحدة ويهاجموا مدينة كاشغر ولكن ومع الأسف عارض هذا الرأي والطلب السيد خوجه نياز حاجى وجمع أفراد جنوده وذهب إلى مدينة ياركند. وأما الشيخ ثابت داملام والأمير نور أحمد ويوسف جان قورباشى بقوا في مدنية يكحصار مع أفراد جيوشهم. وفي مدينة ينكحصار علم أن يوسف قد يخونهم فأمر الشيخ ثابت داملام بالقبض على يوسف جان وسحب السلاح عن أفراد جنوده وكان الأمير نور أحمد يشارك

ثابت داملام في القبض على يوسف جان ولكنهم لم يوفقوا في القبض عليه حيث صارت مناوشات حربية بين الطرفين وانهزم فيها يوسف جان ثم انسحب بجنوده من مدينة ينكحصار إلى أطراف الجبال ثم ذهب الشيخ ثابت داملام إلى مدينة ياركند بينما بقى الأمير نور أحمد في مدينة ينكحصار ومع ألفان من جنوده.

وبتاريخ ١٦/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد وصل السيد خوجه نياز حاجى إلى مدينة ياركند. وفي هذه الحالة عرفنا أنه ضد مصالح الأمة وأن جنده لا يساوى شيئاً ، وإذا ما أسقطناه لم يصادفنا الحظ ولا يستقيم مصير أمتنا. وعلى هذا الإقتناع قررنا أن نسقط خوجه نياز حاجى ونسحب السلاح من جنوده ونسلح به المجاهدين الختن ثم نواجه الأعداء بقلب وقالب واحد. وأن لا نفوت استقلالنا المقدس من أيدينا مهما كلّف الأمر ولكن تحقيق ذلك لا يمكن بدون إه الدم ولذا فكرنا في فكرة بأن لا يسقط ضحايا في الإسقاط ووكلنا الأمر هذا للأمير عبد الله وإن الأمير عبد الله بدأ في ذ ذلك وبدون قطرة دم وكان الأمير عبد الله في ترتيب ذلك ولكن الشيخ ثابت داملام قال: إن في الأمر خطورة ربما لا يتحقق مرامنا منه وتعطينا عكس ذلك فاستاء الأمير عبد الله وتريث في الأمر وتنفيذ ترتيباته وكان للشيخ ثاتب داملام زملاء في رأيه هذا فعلم خوجه نياز حاجى بعضاً من مقاصدنا.

وفي شهر أغسطس عام ١٩٣٣ من الميلاد قام السيد خوجه نياز حاجى يسحب سلاح المجاهدين الختن وسلاح جنود حافظ ته نجاك الذي غزا منطقة ختن وسلم هذه الأسلحة إلى الأمير عبد الله خان وقال : نحن نسلح مجاهدي ختن وإنهم انقادوا للنظم العسكرية والتكتيكات الحربية ثم نجاهد مع أعداءنا وبهذه الحركة هون على الأمير عبد الله من ترتيباته وعزمه. ولم يزل الشيخ ثابت داملام في تخوفه هذا. وكذا قال السيد خوجه نياز حاجى: سوف نستلم الأسلحة التي تأتينا من روسيا ونسلح بها مجاهدي ختن أيضاً. وبهذه الأمور وعليها حلف بالله اليمين وكرر أيمانه الغليظة. والحال هذه مع السيد خوجه نياز حاجى لا يكون من اللائق أن نستلم منه الأسلحة من حيث إن المسألة مسألة داخلية فلا يجوز الكشف ولو أننا رغبنا ذلك من قبل ، فعلى هذا وجب علينا الإكتفاء بإيمان السيد خوجه نياز حاجى.

وبتاريخ ٢٦/ ٢ قام السيد خوجه نياز حاجى بكل جنوده وجنود من مجاهدي ختن قاصداً منطقة أركش تام عن طريق بشكرم وصار عدد الجنود معه حوالي ألف فارس غير أن فئة التونكان سعت حسيساً بالقبض عليه ولكنهم أخفقوا في أمر القبض على السيد خوجه نياز حاجى وكان إقدامات التونكان في القبض عليه إقدامات حسيسة وجادة. ونجا منها السيد خوجه نياز حاجى تارة بالحرب

والمناوشة وأخرى بالهرب منها ولما تعدى السيد خوجه نياز حاجى من اجتياز مناطق خطرة دعا بعض الجنود إلى ياركند.

والحال هذه كانت يجب علينا تأمين جنود كافية لمنطقتي ياركند وينكحصار فنحن أرسلنا مفرزة من المشاة وبعضاً من الفرسان إلى مدينة ينكحصار تحت قيادة الدكتور عبد الغنى المرحوم وعندما وصل الدكتور إلى ينكحصار انضم الدكتور والجنود أنفسهم تحت إمرة الأمير نور أحمد.

وأما السيد خوجه نياز حاجى بعدما تفاهم مع الأمير عبد الله طلب من الأمير عبد الله تأمين ألفين أوقية ذهباً لأنه قد اتفق سابقاً مع حكومة الإتحاد السوفيتي أن يسلم ويدفع في قيمة الأسلحة ذهباً. والذي كان معه لا يكفى فنحن قلنا فيما بيننا إننا نكتب الموضوع إلى حكومة ختن عسانا نأخذ جوابه إيجاباً ونحن بدورنا نسلمه للسيد خوجه نياز حاجى. فكتبنا وجاء الجواب بإعطاء ألف أوقية فقط على أن يبقى الذهب في يد الأمير عبد الله لحين وقت السداد فنحن نرسلها إليه. ولا ننسى أن نذكر أن هذا الطلب كان على رأس هيئة من قبل السيد خوجه نياز حاجى رأساً إلى حكومة ختن وبالفعل أُجيب على طلبه بما ذكرناه آنفاً. وكانت حكومة ختن تعلم إن فات عليه وقت الطلب حيث إن الوضع الآن ليس يساعد بإيراد السلاح إلى منطقتنا ولكن وعلى كل حال وتبعاً لملاحظة الأمير

عبد الله في الموضوع أجابت ختن للطلب هذا بما ذكرنا آنفاً. وإن من شروط الإيجاب هذا إذا أمكن للسيد. خوجه نياز حاجى شراء الكمية المطلوبة ويمكنه إيرادها إلى البلاد، وعندها يسلم للسيد خوجه نياز حاجى ألف أوقية ذهباً وإلاّ يرجع الذهب إلى حكومة ختن في الحال ، علماً بأن وزن ألفي أوقية ذهب تساوى ٩ كيلوغرام بالوزن الحالي عالمياً. وكان الطلب هذه من السيد خوجه نياز حاجى حال كون الأمير في مدينة ياركند وعندما وصل الطلب وهو ألف أوقية وبقيت هذا الذهب في يد الأمير عبد الله لأن السيد خوجه نياز حاجى قد ذهب إلى أركشتام.

وبتاريخ خمسة عشر من ذي القعدة تخلص الأخ عبد الغنى من أسره من مدينة كاشغر الحديثة ومن يد ماجينسا التونكان وبعده وقبله هرب بعض جنودنا من سجنهم وقدموا إلى مدينة ياركند كما وصل بالسلامة الأخ عبد الغنى خان.

الفصل الثامن عشر
ماجونغ ينغ يصل إلى منطقة كاشغر

وعندما أتى ماجونغ ينغ إلى مدينة قاراشهر بقي في تردد هل يذهب إلى كاشغر أو يهرب إلى منطقة كانسو موطنه عن طريق

جرقليق. وإن التونكان الذين أتوا من منطفة أيلى لم يطيعوا إلى ماجونغ ينغ بل كانوا يستعدون للذهاب إلى كانسو عن طريق جرقليق حيث إنهم كانوا في قصبة من ولاية كوجا وإنهم في ترددهم هذا أرسل ماجونغ ينغ عميله مافوين إلى ولاية كاشغر بثمانمائة فارس ليعرف كم عدد المجاهدين في منطقة كاشغر وكان قصده من بعثته هذه أن يعرف إذا كان المجاهدون أكثر من عددهم المعروف يترك ماجونغ ينغ قاراشهر ويذهب إلى منطقة كانسو عن طريق جرقليق. وإذا كان حال المجاهدين في منطقة كاشغر مثل حالة السيد خوجه نياز حاجى حيث يهرب من غوغاء التونكان ويبرح له الأرض والمقام مسبقاً يذهب ماجونغ ينغ إلى منطقة كاشغر والسيد خوجه نياز حاجى والمجاهدون معه قد هرب من منطقة كاشغر من ساعة اقتراب مافوين إلى أطراف مدينة كاشغر.

وذهب إلى ينكحصار فخرج ماجونغ ينغ من تردده اليقين حيث قرر الذهاب إلى كاشغر إذا داهمه العدو (شين دوبن، وفي أثناء ذلك تفاهم ماجونغ ينغ مع فئة التونكان التي في قصبة من ولاية كوجا حيث رغبهم في الذهاب إلى مدينة كاشغر إذا لزم الأمر. وأن يتحد معهم في القتال والغنائم.

وبتاريخ ١٥/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد أرسل شين دوبن ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي بقيادة الجنرال بيكيتف الروسي وكان الجنود

خليطاً من القرغز وقازاق وفئة التتار والصين على الطريق العام من أورمجي إلى قاراشهر. وأرسل أيضاً عن طريق الحدود ثمانمائة جندي كذلك إلى منطقة قاراشهر وعندما اقترب الجنود إلى أطراف قاراشهر أتت على سماء قاراشهر أربع طائرات حربية روسية ، وأمطرت عليها قنابل غاز وقنابل بيولوجية حارقة فنجمت عنها أموات كثيرة من الجنود التونكان والأهالي العزل.

وبهذا وبتاريخ ١٩/ ٢/ ١٩٣٤ من الميلاد هرب ماجونغ ينغ من مدينة قاراشهر إلى منطقة كوجا. وبعث ماجونغ ينغ فئات التونكان التي في قصبة من ولاية كوجا بعثهم إلى مدينة كاشغر. وكانت قوات روسيا تتعقبهم أبقى ماجونغ ينغ ما يقرب ألفي جندي في ولاية كوجا وذهب هو ببعض جنوده إلى ولاية آقسو بتاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٤ من الميلاد.

وفي اليوم التالي أتت قوات شين دوبن الروسية الجنسية إلى منطقة كوجا فخرجت فئات التونكان إلى ظاهر المدينة ودافعت عن المدينة قرابة ساعتين مدافعة شديدة ولكنهم انهزموا فهربوا من منطقة كوجا مبعثرين مشتتين.

وبتاريخ ١١/ ٣/ ١٩٣٤ من الميلاد هرب ماجونغ ينغ من مدينة أقسو وذهب إلى منطقة كاشغر فاجتمعت هناك فئات التونكان المنحدرين من ايلى وفئات التونكان جنود ماجونغ ينغ.

وبتاريخ ١/ ٣/ ١٩٣٤ من الميلاد أرسل الأمير عبد الله جنوداً من المجاهدين لسد الطريق على فئة التونكان القادمين من مرالبشي إلى مدينة ياركند فوصل الجنود إلى أطراف مرالبشى وتصادمت مع التونكان على ضفاف نهر أوقار وانهزم التونكان حيث هربوا إلى مرالبشى بعد هزيمتهم ثم تحركت فئات التونكان إلى جهة ولاية كاشغر فعاد جنود الأمير عبد الله إلى مدينة ياركند سالمين.

وأما الجنرال الروسيين بكشيف بعد أن أخلى التونكانيون أقسو وكوجا بدأ يطارد ماجونغ ينغ وجنوده حتى وصل إلى ولاية آقسو ومكث في أطراف المدينة ثم احتلوها وذلك بتاريخ أواخر شهر يوليو من عام ١٩٣٤ الميلادي ، وكان ماجونغ ينغ في مدينة كاشغر حتى التاريخ السابق.

الفصل التاسع عشر

صفحة دامية من فاجعات الإنقلابات

منذ تاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٣٤ من الميلاد بدأ ماجونغ ينغ ينازعنا في احتلال مدينة ينكحصار ونحن نعتبر هذه المدينة موقعاً استراتيجياً وأنها بوابة أفغانستان والهند. قاومنا ماجونغ ينغ بردنا الشديد -والمصائر بيد الله- اعتمدنا على قواتنا الباسلة في المعارك جواب النار بالنار وأرسلنا امدادات لمدينة ينكحصار من ختن وياركند وبتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٣٤ من الميلاد وقام ماجونغ ينغ بهجوم كاسح على مدينة ينكحصار وبعد مدافعات شديدة. وقع الأمير نور أحمد محاصَراً داخل سور المدينة ينكحصار وإن فئات التونكان شددت هجومها ليلاً ونهاراً غير أنها لاقت هزيمة نكراء أو قل خسارة كبيرة في الأرواح حتى أنهم تركوا هجومهم وابتعدوا من سور المدينة ولكنهم عمدوا على مدافع الهاون من بعد مناسب.

وبتاريخ ٣/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد قدم الأمير عبد الله من مدينة ياركند ودارت الحرب دامية مهلكة. وبرغم كثرة عدد العدو وأسلحتهم الفتاكة تغلب عليهم المجاهدون مرة تلو المرة حتى أجبروهم إلى ابتعاد من مواقعهم وتركهم أماكن استراتيجية وفي مساء يوم مشؤوم أحاط العدو ميمنة مجاهدينا حتى أوقعوهم في الحصار حيث ضعفت الميمنة أو شلت وبقيت الميسرة وحدها في الميدان وكان يجب علينا القادة تنظيم صفوفهم والسؤال عن أحوالهم فتقدم الأمير عبد الله بنفر من محافظيه إلى ميدان المعركة غير أن التونكان بالمرصاد في

الساعة ذاتها حيث أصابت رصاصة على فرس الأمير عبد الله وسقط الحصان وعندما تراشق العدو وصرف الأمير عبد الله نفسه سقط غير واحد من محافظيه قتلاً والمؤسف حقاً أن الأمير عبد الله غاب عن الأنظار بين لحظة وضحاها وفي مرمى البصر لا ندري أنه اختفى أو باختياره غاب عن الأنظار كيف استشهد ؟ وكانت هذه الملحمة ملحمة الملحمات.

ولكن الواقعة أثرت بمجاهدينا تأثيراً شيئاً ولا سيما بين المجاهدين الذين أتوا من مدينة ياركند حيث إنها كانت مغلوبية ماحقة وإن المجاهدين هربوا جميعاً إلى جهة ياركند.

غير أن الشيخ ثابت داملام أوقف أكثرهم في منطقة قيزيل وكان الشيخ ثابت يقصد جمع جميع القواد العسكريين وجميع المجاهدين وجنرال محمود محيطى وجنوده ليهاجم ينكحصار ويهزم العدو (التونكان) وعلى أقل تقدير فك حصار الأمير نور أحمد ، بقاء لحياته وحياة المجاهدين معه. وبهذا التشبث قال الجنرال محمود محيطى بجنود وبتاريخ ٧/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد وهجم على مدينة ينكحصار هجوماً كاسحاً. وحاصر الجنرال فئة التونكان من كل الجهات الأربع وهذا توفيق من الله وكان الجنرال محمود قائداً عاماً لجميع الجيوش والمجاهدين الأحرار والحرب جارية وحامية الوطيس ، قام أحد قواد محمود محيطى وهو حافظ تنجانك وترك موقعه بجنوده

فصارت ثغرة في حلقة الحصار فهجم العدو من هذه الفجوة وشدد عليها وكان ترك حافظ موقعه وهربه بدون أي سبب تفقدت الجيوش من يسندهم من الخلف فهرب جنود الجنرال محمود محيطى من الميدان ثم وجهت فئات التونكان هجومهم إلى جبهة المجاهدين الختن بالمدافع والرشاشات وشددوا هجومهم تحت وابل من القنابل الحارقة ، وفي النتيجة انهزم مجاهدو ختن هم الآخر. وإن طوابير الغزاة الفارين اجتمعوا في منطقة قيزيل. ولكن محمود سيجانك لم يقبل المكوث في منطقة قيزيل وذهب بجنوده إلى منطقة كوك رباط وتبعه جيوش ختن.

وفي هذه الحالة قدم السيد خوجه نياز حاجى من أركشتام الي اليدين ، وعين محمود محيطى قائداً عاماً للجيش وأبقاه في كوك رباط وأخذ ثابت داملام بجانبه وذهب إلى مدينة ياركند. ووصلنا خبر الفاجعة هذه بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد صباحاً إلى منطقة ولاية ختن –ونحن هناك – وفي المساء سافرت متوجهاً مدينة ياركند ووصلت في طريقي إلى مدينة قوما بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد وانتظرت هناك إلى الجنود القادمين من ختن حتى وصلوا وخليتهم يمضون في طريقهم ومكثت في مدينة قوما خمسة أيام وبتاريخ ٢١/ ٤ سافرت من قوما قاصداً مدينة قارغلق. ووصلت إليها بتاريخ ٢٢ / ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد ومكثت فيها يوماً واحداً

وبتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد ذهبت إلى مدينة فوسكام وفور وصولي إليها وصلني خبر الفاجعة الكبيرة وإليكم واقعاتها:

وبعد النكسات التي لحقنا في الأيام السابقة لم يمكننا من الأمير نور أحمد بمساعدات وإن الأمير نور أحمد دافع عن مدينة ينكحصار دفاع المستميت (ومات شهيداً) حيث إن فئة التونكان جلبت جميع قواتهم من مدينة كاشغر إلى مدينة ينكحصار وطوقوا المدينة من جهاتها الأربعة ووجهوا إليها المدافع الهوان والقنابل الحارقة وكان في هجوهم ليلاً ونهاراً. والأمير نور أحمد يدافع المدينة من هجماتهم الشرسة ، وفعل التونكان ما فعل من حيل وتكتيكات ، وبسبب الأمير نور أحمد في دفاعه المستحكم وشدة دفاعه عن المدينة جعل العدو يتراجع عن عدة مواقعه تارة بعد أخرى ، وإن العدو يفشل في إقداماته الشرسة المتكررة دون نتيجة تذكر. ودامت هذا الكر والفر إلى يوم الثالث من شهر محرم حيث حفر العدو نفقاً تحت سور المدينة في موقع مهم وحُشِي النفق بالديناميت وأشعل النار فيه فتهدم هذا الجزء من سور المدينة ومن هذا النفق بدأ العدو يدخل المدينة بحذر شديد. ولكن المجاهدين كانوا على العدو بالمرصاد حيث قتلوهم فرداً أو جماعات وكان النفق لم ينفعهم في العبور إلى داخل المدينة.و كانت قتلاهم كثيرة وكبيرة ووقع عدد كبير منهم في أسر المجاهدين الذين أعدموهم ، غير أن العدو جعل النفق موقعاً

استراتيجية دامية. ودامت الحالة بهذه الشدة أربعة أيام ولياليها وفي هذا الأثناء يكاد أن تنفد الأرزاق في المدينة. وأخيراً في اليوم الثامن من محرم أوقف العدو هجماته حيناً من الوقت ولمدة أيام.

فأصبح هذا الوقت وقت استراحة بل وقت غفلة مستديمة. وفي صباح يوم مشؤوم يوم ثمانية من شهر محرم هجم العدو على سطح سور المدينة هجمة شرسة وكانت هناك نفر من حرس المجاهدين أعدمهم العدو وانتشر على سور المدينة بشكل هلالي وحيث ما يستيقظ المجاهدون ويتهيئوا للقتال تدفق آلاف الأفراد من العدو إلى داخل المدينة وقد طوقوا المدينة على متن سورها طوقة السوار بالمعصم وبدأت المصادمات مع العدو مصادمة عنيفة من على السور وداخل المدينة ودامت الحرب الشرس أربع ساعات وأكثر ، سقط من جرائها من المجاهدين ما يقارب ألف مجاهد وأسر منهم أربعمائة فارس. وفي أثناء هذا القتال كان الأمير نور أحمد في كابينة فوق سطح السور يقود الجيش ويقوى عزيمتهم وفي لحظة من لحظات الشؤم تغيب الأمير نور أحمد من فوق السور سور المدينة فتشتتت أوضاع مجاهدينا بصورة مخيفة وفقدنا جمّاً غفيراً من الجنود ثم هرب المجاهدون وعددهم ألف وخمسمائة فارس إلى مدينة ياركند وكان تاريخ هذه الكارثة يوم ٨/ محرم الموافق ٢٢/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد.

ويذكر الكاتب القدير السيد أمين واحدى في مذكرته التي كتبت يوم ٢٤/ ١٢ / ١٩٣٤ من الميلاد أن السيد الأمير نور أحمد دافع عن مدينة نيكحصار لمدة عشرين يوماً دفاع الرجال الأشاوس والأبطال وكان حقاً فتى لم تلد أم مثله في التاريخ. وذلك برغم قلة رجاله وكساد سلاحه بالنسبة لرجال وقوات العدو تونكان وأسلحتهم الفتاكة حيث قضى من رجال التونكان خلقاً كثيراً ومن سحرية القدر أن يناول جنود تونكانيون من أصل الترك ، يناول أسلحتهم من على السور إلى المجاهدين ويبقوا هم أنفسهم عرضة للقتل من قبل التونكانيين. شهداء إسلاميون رحمهم الله رحمة واسعة (انتهى ما كتبه السيد أمين واحدى رحمه الله).

وبهذه الصورة البشعة استولى التونكانيون مدينة ينكحصار الشهيدة ، وبهذه الطريقة تغيب عنا إخواني الإثنين الأميرين عبد الله والأمير نور أحمد من الوطنيين الأحرار غيبة الأبطال الميامين ولم ندر هل هما أسرا في أيدي الأعداء أم استشهدوا في مواقعهم الحربية جهاداً في سبيل الله وسبيل الوطن العزيز. ولأجل أنني لم أملك خبراً حقيقياً عن مصيرهما أكاد أجزم أنهما استشهدا في أتون معركتهم الحامية الدامية ولله عاقبة الأمور. غير أن عصابة التونكان علقت رأسين ملطخين بالدماء على أنهما رأسا الشهيدين الأميرين عبد الله ونور أحمد رحمهما الله وكان تعليق الرأسين هذين في مدينة كاشغر.

وكان مثل هذه الأمر مما تعود عليه التونكانيون من القدم. غير أن هذين الرأسين كان أحدهما رأس يار محمد أفغاني الجنسية والثاني رأس اليوزباشى هاشم شاه مردان.

وكنت يومها في بلدة فوسكام وفيها وصل خبر آخر وهو أن السيد خوجه نياز حاجى بعد ما بلغه سقوط الأميرين احتل سراى الحكومة في مدينة ياركند. واستولى على كل مقتنيات السراى حتى الأثاث وشتم السيد شير على خان نائب الأمير عبد الله بحقارة شنيعة، واستولى أيضاً على خزانة الحكومة ثم فتش وبحث عن رجل كان عنده ألف أوقية ذهب المرسلة من ختن سابقاً وشدد عليه وخوفه وقبض منه الذهب أيضاً. ومن جهة ثانية قام السيد محمود محيطى في قصبة كوك رباط بشتم جنودنا المجاهدين الأحرار منهم قوادنا وضباطنا ورماهم بحقارة فاضحة.

وبعد هذه الأخبار المدهشة أوجبت على نفسي أمرين: أحدهما أن أذهب إلى ياركند ونتحد مع السيدين خوجه نياز حاجى والسيد محمود محيطى وننظم المجاهدين من كلا الطرفين ونرتب شؤوننا وندخل من جديد حرباً لا مهادنة فيها. والأمر الثاني إذا ما أمكننا التنسيق السابق نتفق مع الشيخ ثابت داملام وننظم شؤون المجاهدين الخوتانيين ونرحلهم إلى ولاية ختن.

وفي كلا الحالتين يجب عليّ أن أذهب إلى مدينة ياركند مركز المجاهدين ولذا كتبت للسيد خوجه نياز حاجى للإحاطة بأنني سوف أكون غداً في مدينة ياركند. ولما علم خوجه نياز حاجى قراري هذا اضطرب غاية الإضطراب وخاف من عواقبه. لأن خوجه نياز حاجى فسر خطابي بأنني أذهب إلى ياركند لأعاتبه في تصرفاته السابقة التي عملها في ياركند بسراى الحكومة وتعدياته على أمانات الحكومة وممتلكات الأمير عبد الله وأخذ الذهب الذي كان أمانة عند أحد الأثرياء التابع لحكومة ختن وربما فكر بأنني أنتقم منه حيال هذه التصرفات. ولكن خوجه نياز حاجى كتب جواباً لخطابي السابق يقول فيه: وبعد وقيل أنك تأتى إلى ياركند ، يجب عليك أن تذهب إلى كوك رباط وتنظم شؤون المجاهدين وتأخذ بيدك قيادة الجيوش وترتب أمورهم وتهيئهم للقتال." وأنا قلت في جواب كتابي: "بل يجب عليّ أن آتى إلى ياركند ونرتب شؤننا فيها ونفكر في عواقب جهادنا ونتفق على معطيات الوضع العام في جهادنا المقدس ثم نرتب الشؤون العام بالدرجة الثانية". وأرسلت له الخطاب هذا وفي صباح غد يوم ١١ من شهر محرم ذهبت إلى ياركند. وعرفت أن السيد خوجه نياز حاجى حَمّل ما استولى عليه من الحاجات الثمينة على مائة إبل وأرسله إلى بلدة فوسكام مثله مثل الغنائم حيث قابلتنا القافلة ، وأرى الضباط المرافقين لي عدم ارتياحهم بالأمر حيث أرى

فيهم الهيجان وحيال ذلك أشرت عليهم لعدم التعرض لها في الطريق.
ثم قابلنا السيد خوجه نياز حاجى في الطريق أيضاً ومعه قرابة مائتين فارس من جنوده فتقابلنا بالحسنى سلمنا على بعض وجلست في أطراف الطريق بمقدار نصف ساعة وتكلمنا . وأما كلامه هو لا أول له ولا آخر وكان مندهشاً ومستعجلاً لا تنقطع عيونه عن جنودنا الضباط وكل ما في الأمر أنه رجل سفر، يجب عليه أن لا يمكث كثيراً وعلى قارعة الطريق. وكان آخر كلامه : أنه فارق أهله منذ شهرين وهم في بلدة فوسكام وأنا لا علم لي أن تأتوا اليوم إلى ياركند وإلا لجلست فيها لاستقبالكم ، ولكن الآن أذهب إلى بلدة فوسكام وغداً أكون في مدينة ياركند بإذن الله... فأنتم تبقون في مدينة ياركند وأنا آتى إليها غداً سنناقش في كل أمورنا المستقبلية."
ولكن عرفت أنه هارب سوف لا يأتي ياركند حتى يوم القيامة وقلت في نفسي أن عدم وجوده في ياركند خير من وجوده فيها وركبت جوادى والضباط معي وودعنا من بعيد وإلى اللقاء (وهذا أول وآخر لقاء بين الزعيمين) وفي الساعة ١٢ وصلت إلى ياركند وقابلت الشيخ ثابت داملام وتناقشنا معه بعض الأمور المستقبلية غير أنى وجدت في نفس الشيخ ثابت القلق والإضطراب حيث يبحث عن طريق ربما يخرج من البلاد إلى بلد أجنبية، وعلى كل حال مكثت في مدينة ياركند الحديثة أربعاً وعشرين ساعة. وبتاريخ ١٢ محرم الموافق

٢٧/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد سمعت من رجل ثقة خبراً أكيداً أن خوجه نياز حاجى يريد أن يلقى القبض عليّ وعلى الشيخ ثابت داملام أو يقتلنا ثم يذهب إلى ولاية ختن ويقضى على ملك حضرتهم ، ويأخذ خزانة حكومة ختن ثم يرحل من ختن على طريق مغاير ويذهب إلى آقسوا حيث الضباط الصينيين والروس ويقدم لهم هذه الخدمات المنوطة به. والذي يكون يكون وإن تنفيذ قراره هذا سوف يكون غداً أو بعد غدٍ وفي الحال تحركت من المدينة الحديثة إلى مدينة ياركند القديمة مع رجالي وجنودي المحافظين وفي ذلك الوقت عرف من بعض ضباط خوجه نياز حاجى ما يثبت ذلك القرار العدائي من تصرفات حيث إنهم أبدوا نكرانهم من ذهابنا وتحركنا من المدينة الحديثة واضطربوا فيما بينهم كأن أمراً مظفراً قد فات عليهم.

ومنذ أن وصل خبر تحركى من المدينة الحديثة إلى ياركند القديمة أرسل خوجه نياز حاجى إلىّ مكتوباً على يد أعيان الرجال وكان مضمون الكتاب أنه لا نية عنده بسوء وعداء وخلاف وأنه يكنّ إلىّ الحب والتقدير والمودة وأكّد ذلك بالأيمان الغليظة وكان ذلك فرية منه ولا غيره. وأنا بدوري رددت بالجواب المناسب حسب سياق كتابه وقلت أيضاً شفاهياً إذا كان السيد خوجه نياز حاجى في نيات حسنة على مستقبل جهادنا فليتفضل إلى مدينة ياركند

نتباحث معاً الأمور لمستقبلنا ، والمساء تبين لنا سوء قصد السيد خوجه نياز حاجى لا شك فيه.

وبتاريخ ١٣ محرم نصحت الشيخ ثابت داملام أن يرحل خفياً إلى منطقة ختن أو يأتيني في المدينة القديمة فيكون معى في المصير ، وكان الشيخ ثابت داملام يسكن في بستان بظاهر المدينة وإذا جرى عليه تنفيذ السوء ما كان بإمكان الرد عليه ولا يستطيع أن يقاومه ، ولم يكن لديه جنود. ولكن الشيخ لم يرحب بدخول المدينة بجانبي ولكنه قرر الذهاب إلى ختن خفياً عن طريق مغاير. وفي مساء ذلك اليوم قدم السيد محمود محيطى بكل جنوده إلى ياركند الحديثة قادماً من قصبة كوك رباط وكذلك قدم مجاهدونا إلى مدينة ياركند القديمة وإن ضباطاً من مجاهدينا قالوا إن قدوم محمود سيجانك إلى ياركند نعتقد أن وراءه أسرار مهمة. ولذا لم أذهب إلى المدينة الحديثة لملاقات محمود سيجانك ولكنه جاء إلى المدينة القديمة لملاقاتى وجلس معي بمقدار نصف ساعة ولم يجر بيننا مناقشات قط وانصرف. وبعد ساعة واحدة سمعت أن محمود محيطى أرسل حافظ تنجانك إلى حضرة الشيخ ثابت داملام وإتيانه إلى المدينة الحديثة وكان بصحبة حافظ تنجانك نفر من الجنود وفي المدينة الحديثة شتم الشيخ ثابت واحتقره الضباط وربطوه مقيد اليدين والرجلين وكانت هذه الإهانات على الشيخ ثابت في الطريق إلى المدينة وفي سراى الحكومة

أمام جمهور من الناس. فعمدت إلى القلم وكتبت اعتراضاً شديد اللهجة إلى محمود محيطى وطلبت منه فك أسر الشيخ ثابت وإرساله إليّ في المدينة القديمة ورد محمود محيطى على كتابي بأن الأمر ليس من علمي وإن الضباط فعلوا ذلك وغداً إن شاء الله أرسل الشيخ إليكم بتاريخ ٢٨/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد.

وفى اليوم نفسه وفي وقت المغرب أتانا مخبرونا بخبر مفاده أن محمود محيطى وجنوده يجهزون ويستعدون لإلقاء القبض عليّ أو يقتلونني مهما كلفهم الأمر وذلك في تلك الليلة أو يوم غد. وحالاً جمعت ضباطي وعرضت لهم الأمر كي يعطوني رأيهم. فقالوا: "إن جواب الأمر هذا لا يكون إلا بالمثل جنوداً وضباطاً من الطرفين فلنقاتل وفي هذه الحالة الغلبة والإنهزام سيان حيث إن جنودنا في غاية التعب والعناء وكانت معنوياتهم منهارة وعلى كل حال حياتكم عندنا أغلى ما يكون من أي شيء آخر". ثم قالوا : "عليكم أن تنوبوا شخصاً بمقامكم وترحلوا خفياً هذه الليلة إلى منطقة ختن ثم إذا كان محمود محيطى يسألنا ونحن نجيب عليه بالمناسب المعقول". وبهذا خرجت ليلاً ومعي ستون شخصاً من المجاهدين وسلكنا طريقاً مغايراً غير العادة. ووصلت ١٥ محرم الموافق ٢/ ٤/ ١٩٣٤ من الميلاد إلى مدينة قوما وجلست هناك برحة من الزمن وبهذا أسقط عن خوجه نياز حاجى تخططاته الجهنمية من القبض عليّ والذهاب إلى منطقة

ختن وبعد خروجي من مدينة ياركند وفي الغد إلى المساء لم يعرف محمود محيطى أي شيء حصل في المدينة القديمة حتى إنه عرف خروجي من البلد في مساء يوم الخامس والعشر من شهر محرم فخطط تخطيطاً ثانية ، وذلك أن محمود محيطى طلب من الأمير الأخ عبد الغفار حاجى وتورسون باقي خان ومحمد عيسى خان وأخرين من جنود ختن ليقفوا موقفاً استراتيجية ولأمر هام في القيادة. وكان قصده من هذا الطلب أن يوقف المشاة من جنود ختن على أفواه مدافع التونكان وبهذه الحيلة يذهب جنود خوجه نياز حاجى إلى مدينة آقسو خالين من مطاردة التونكان وكأن ضباطنا عرفوا هذه المكيدة ولم يلبوا طلب محمود محيطى ولم يذهبوا إلى المدينة الحديثة. ولكن نفراً من جنودنا البارزين في ظاهر المدينة أجبروا إلى الدخول في المدينة الحديثة. وبعضاً من ضباطنا أخذوا جنودهم وذهبوا إلى منطقة ختن وبعضهم من أمثال الأخ عبد الغفار حاجى صمدوا تحدياً على محمود محيطى في المدينة القديمة وفي هذه الحالة بياركند وصلت طلائع التونكان إلى منطقة كوك رباط قاصدين مدينة ياركند العزيزة بتاريخ ١٦ من شهر محرم الحرام وفي يوم ١٧ من شهر محرم تحرك محمود محيطى ومعه جنوده وبعضاً من جنودنا الذي في مدينة ياركند الحديثة قاصداً الشمال من البلاد عن طريق بشى كنت الشمال الشرقي من فوسكام. وفي صباح يوم الثاني عشر خرج جنودنا من مدينة ياركند

القديمة بهدوء وانتظام قاصدين ولاية ختن الوطن الحبيب فبقيت مدينة ياركند خالية من المجاهدين وجنود. وبتاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٣٤ من الميلاد داهمت قوات تونكان مدينة ياركند واحتلوها بدون مقاومة.

وإن الأعمال والتصرفات التي صدرت من محمود محيطى كان عيباً شنيعاً لرجل وطني مجاهد من مثل محمود محيطى ولكن لايحمل هذه العيوب اليه، حيث إنه عمل هذه التصرفات بأمر من السيد خوجه نياز حاجى وأن محمود محيطى يعتقد أن الأمر أمر خوجه نياز حاجى ولا أعصى له أمراً ولا أرد له طلباً. وإن هذه الأخطاء والغلطات لايتحمله السيد محمود محيطى بل إنها يحمل على السيد خوجه نياز حاجى وهذا معلوم لدى الجميع وكان محمود محيطى يتأمر بأمره ولا راد له.

وإن السيد خوجه نياز حاجى ومحمود محيطى تركا قاصدين قصبة مركيت. وأما مجاهدو ختن انسلوا منهم واحداً بعد واحد وسلكوا طريق منطقة ختن وعندما وصلوا توّاً إلى قصبة مركيت طاردهم فئة التونكان فسلكوا طريق آقسو وآخر جندي من مجاهدي ختن انفصل منهم وأخذ طريقه إلى منطقة ختن وكان خوجه نياز حاجى سائراً نحو نهر ياركند شمالاً قاصداً مدينة آقسو. ولما قرب خوجه نياز حاجى بات في قصبة شاقور وفاجأت فئة التونكان على حين غفلة منه فصارت قلق وضائعات فى صفوف جنوده. ومن نكبته

هذه تحرك خوجه نياز حاجى إلى مدينة آقسو فوصل قصبة آباد من محافظات مدينة آقسو ، وكان قد أخذه التعب والعناء هو وجنوده فاتصل بالجنرال الروسي بيكيتب وسلمه ما بيده من أسرى وعلى رأسهم الشيخ ثابت داملام والشيخ المقرئ ظريف قارى حاجى فتقبل بيكيتب هدايا مشكوراً في ظاهره تواسياً. وكان ظريف قارى حاجى وزيراً للعدل في حكومة كاشغر التي يرأسها الشيخ ثابت داملام. وعامل الجنرال الروسي بيكيتب مع خوجه نياز حاجى معاملة حسنة.

وأنا كنت في مدينة قوما انتظر وصول المجاهدين إلى هناك وكل فئة من جنودنا يصل إلى مدينة قوما أرسله إلى ختن وأطيب خاطرهم وفي يوم أربع وعشرين من المحرم الموافق ٩/ ٥/ ١٩٣٤ من الميلاد أبقيت قسماً من جنودنا في مدينة قوما وتحركت قاصداً الخوتن. ولما كنت في مدينة قوما أرسلت إلى فئة التونكان التي في مدينة ياركند أرسلت هيئة ظاهرها الطلب وباطنها معرفة قصدهم الحقيقى فذهبت البعثة إلى ياركند وقالت إن الأمير محمد أمين يسلم عليكم ويقول إذا في الإمكان أن نتحد ونجاهد جنود شين دوبن عدونا جميعاً. وبهذه الواسطة عرفت رغبة التونكان بالمصالحة معنا وبالخاصة مع حكومة ختن وفي الحال كتبت كتاباً إلى ختن أوصيها بتشكيل هيئة من كبار الشخصيات وترسلها إلى مدينة كاشغر إلى

ماجونغ ينغ نفسه وعندما وصلت في طريقي إلى قصبة زانكوي قابلتني هيئة الخوتن المتجهة إلى ماجونغ ينغ ومن أعضائها الشيخ عبد الجليل حاجى وزير الداخلية وقاضى محكمة خوتن الشرعية وغيرهم ومشجعها للمثول لدى ماجونغ ينغ في مدينة كاشغر ثم توجهت إلى ختن حيث وصلت إليها يوم ١٧ محرم الحرام الموافق ١٢/ ٥/ ١٩٣٤ من الميلاد ووجدت الناس عامة في مأتم حاد بسبب ما أصابنا من ضحايا ونكسات وفي يوم غد جمعت عامة الناس في ميدان الرواق وكذا العسكريين وضباطهم وأعيان البلاد وخطبت فيهم خطاباً للمآتم ولا يجوز شرعاً الصراخ والبكاء . وإنما يجب علينا إعدادنا المستقبل أيام القادمة وضم صفوفنا بعضاً على بعض ونهيئ نفوسنا لتحمل هذه النكسات ، الله يقينا منها قابل الأيام وشرحت لهم مراحل النكسات التي أصابتنا وأسبابها وقلت : رحم الله شهداءنا ومصابينا في الأمة الإسلامية وإن مثل هذه النكسات لا يؤتم لها وكذلك المصائب التي لحقتنا والله المستعان.

ومن يومها بدأنا في تنظيم الجيش وترتيبها واستدراك أسلحة لبعضهم وتسليحهم بها. وبنينا استحكامات في مضيق تاربوغاز على الطريق الحديثة.

ونحن مشغولون بهذه المهمات جاءنا كتاب من خوجه نياز حاجى وكتاب ثاني من محمود محيطى كلاً على حدة يقولون فيها

أسباب ما جرى في مدينة ياركند من مخالفات وتصرفات غير لائقة ، إنها صارت لظروف هم فيها ويبرؤون أنفسهم من تبعاتها وكذلك يتضمن الكتب بأننا تسببنا في تلكم التصرفات الغير لائقة ومن هذا القبيل . ويقولون في توصياتهم أن يكون معهم في السراء والضراء وأن نسلم الأمور من يأتينا من أورمجى ونحن لم نر لزوماً لرد جواب لها في حينه وتركناها.

الفصل العشرون

في انهيار انقلاب ختن

وإن من أعضاء هيئتنا التي أرسلناها إلى كاشغر لماجون ينغ الشيخ عبد الجليل عندما وصلت الهيئة إلى مدينة قوما اعتذر الشيخ عبد الجليل وبقي في بلده وعند أهله. وواصلت الهيئة طريقها برئاسة قاضى محكمة ختن ووصلت إلى مدينة كاشغر وتناقشت رسالتها مع ماجونغ ينغ وكتبت إلينا جواباً عرفنا منه أن ماجونغ ينغ لا يقبل إلا أن يحتل ختن لأجل أن يفتح له الطريق إلى كانسو وداخل الصين إذا داهمته الأعداء في منطقة كاشغر ليس إلا.

ونحن في حظنا السيئ ومصيرنا المؤلم لا نرضى أن يحتل لنا منطقة ختن من يد مرتزقة فئة التونكان أشقى أشقياء الدنيا وإنهم قوم

سفلة. والفرق بيننا أنهم مسلحون تسليحاً جيداً وهم ظالمون. ونحن نرى استيلائهم على ختن استيلاء أشد أعداء الله على ديارنا المظلومة ولذا اهتممنا بجمع قواتنا وتسليحها وتنظيمها وإننا لا نرى أن نترك أمتنا وشعبنا إلى النهب والسلب والتقتيل على أرضنا الطاهرة.

وفي تاريخ ١٥ صفر الموافق ٣٠/ ٥/ ١٩٣٤ من الميلاد أرسل ماجونغ ينغ جنوداً إلى منطقة قوما. ونحن قد أحضرنا جنودنا إلى زاوا للدفاع عن مثل هذه المداهمة. وكان فيلق ماجونغ ينغ بقيادة شخص تونكاني اسمه مارلوك. وبهم مدافع ورشاشات وأسلحة جديدة. وكانت لنا في منطقة قوما محافظون عسكريون وهم عادوا إلى منطقة زاوا.

وإن مارلوك هذا هجم على مدينة قوما بتاريخ ١٥ صفر الموافق ٤/ ٦/ ١٩٣٤ من الميلاد وفي التاريخ هذا وصل مارلوك إلى فيالما. وبقيت بيننا ٣٥ كيلومتراً من الصحراء القاحلة . ولكن كان لنا استحكامات عسكرية في منطقة تاربوغاز خاف مارلوك من تلكم الإستحكامات ولم يتعداها وبقي في منطقة فيالمنا. وأما جنودنا لم تتعد من مثل مراكز قوم رباط وغيرها من المناطق الفاصلة. وقالوا إذا هاجمنا العدو إلى مثل هذه المراكز وهم تعبون سوف نقضي عليهم وقلنا على المراكز المحاذاة لمركز قوم رباط أن ينتبهوا ويبقوا يقظين. وفي يوم ٢٢ صفر الموافق ٦/ ٦/ ١٩٣٤ الميلادي أقمت الأخ عادل

خان حاجى قائداً على المجموعة وعدت إلى المدينة (ايلجا) لإجراء بعض المهمات هناك.

وفي يوم ٢٥ صفر الموافق ٩/ ٦/ ١٩٣٤ قامت مجموعتنا بقصد الإغارة على فيالما وانتشروا مسافرين إليها ليلاً ولكنهم ضلوا الطريق في الليل المظلم وأسفر الصباح وعادوا إلى سكناهم صباحاً وتعبوا . وكان قصدهم أن يقضوا على العدو في فيالما قبل أن تصل إليه الإمدادات من مدينة كاشغر ولكن خاب حدسهم. وعندما وصل الجنود إلى قاعدتهم في قوم رباك لزم على الضباط أن يرخصوا لهم للفطور والإستراحة غير أن بعض الجنود في حراسة المركز قوم رباط. وبلغ خبر إيابهم من نصف الطريق إلى مارلوك فتحرك مسرعاً بجنوده إلى منطقة زاوا وفي الساعة الثالثة صباحاً (ليلاً) هجم جنود مارلوك على منطقة قوم رباط وإلى أن يستعد جنودنا للمعركة غلب العدو وسحب يطارد الجنود الحراس ووصلوا إلى مركز تاربوغاز.

وفي الحال استعد جنودنا للمعركة ووقعت حرب ضارية بين الطرفين وجنودنا ردوهم إلى الوراء وواصلت الحرب أدوارها إلى أربع ساعات متتالية ولم تستطع التونكان التقدم إلى الأمام. وفي المساء استطاع العدو أن يلف على جانبنا اليمين من طرف الشمال وأحاطوهم. وأما ميسرتنا كانت سالمة غير أن العدو شق منفذاً من طرف الشمال إلى الجنوب من مجموعتنا القتالية وكان العدو مسلحاً

تسليحاً جيداً وبه معدات حربية متقدمة في زمانه منها المدافع الرشاشة وفضل قوتهم هذه كسر العدو شوكتنا وترابط جيوشنا بفضائله القتالية ، فتراجع جيوشنا عن أتون المعركة وعمدوا إلى تفكيك بعض الإستحكامات العسكرية في طول وعرض الجبهة القتالية والنتيجة كانت عكسية بالنسبة علينا وانسحب جنودنا إلى منطقة زاوا ومنهم الفوارس والمشاة تعبون منهمكون و لم يمكننا تجميع قوتنا العسكرية المتشتتة وبهذا أسقطت في يد العدو آخر معقل استراتيجي هام بالنسبة لمنطقة ختن كلها وهو منطقة زاوا. وفي المساء بدأ الجنود الهاربون العودة إلى المدينة إيلجا في الساعة الخامسة صباحاً. وانتظرنا أربع ساعات كاملة لورود الجنود الهاربين استعداداً لتجميعهم في سكناتهم وبرغم ذلك عاد من جنودنا العشر في المائة والباقون التسعون لم نعثر على خبرهم. ولهذا السبب لم يمكننا الإقامة في المدينة والمقاومة عن أهل المدينة.

وأخيراً قمت أتفقد الجنود من أطراف قصبة زاوا الجبهة ، وإذا لم أجدهم أذهب إلى جهة الجبال وأجمع شتات الجنود وأجند بعض شبابها لأكون قوة عسكرية ولأدافع عن المدينة من ظاهرها وربما نخوض حرباً ضارية مع العدو إذا قدم إلينا وقمت لتجوالي هذا في وقت السحر وكان معي آنذاك مائة فارس و لم يمكنني جمع الجنود فتركت طريق قصبة زاوا وتوجهت إلى الجبال. ونحن في طريقنا إلى

الجبل تقاطر علينا ثلاثمائة فارس دون الجبل في السفح وذلك بتاريخ ١١/ ٦/ ١٩٣٤ من الميلاد. وفي صباح يوم الثاني وصلنا إلى قصبة لاكرو ومكثنا هناك ، وجمعنا منها ما يقرب خمسمائة فارس وبتاريخ ١٥/ ٦/ وصلنا إلى قصبة بوبانا كنته وكان فيها استحكامات طبيعية تفكرنا في الإنتقال إليها لنتخذها قاعدة لنا وإذا قدم العدو سوف نقاومه ونحاربه في تلك المناطق الجبلية الوعرة. فتقدمت أنا بصحبة مائتين جندي من الفرسان ، وأما ثلاثمائة جندي من الفرسان أيضاً أرسلناها إلى جهة المدينة بشكل مناورات عسكرية لنغوى بها أنظار العدو ونخفى عنهم استحكاماتنا الطبيعية وبقيت هذه القوة في لاكرو. وكانوا منهمكين في تعبهم حيث إنهم ذهبوا ليلاً إلى مقربة من البلد وعادوا ثانية بشكل مناورين عسكريين وتجب استراحتهم. ولكن العدو حصلوا على خبر تحركاتنا عن طريق جواسيسهم وذلك أنهم هجموا رأساً على منطقة لاكرو. وإن حراسنا من الجنود أخبروا الجنود من إقدام العدو فطفق الجنود إلى أسلحتهم واستعدوا للقتال حالاً غير أن العدو قد احتلوا قمم الجبال المطلة على ساحات ربما تكون ميداناً للقتال ولم يتمكن جنودنا لذلك. ولذا توجهوا إلى استحكامات بوبانا وعرقلوا تقدم العدو فحصلت حرب بين الجانبين وأرغموا العدو على خسارة ٢٥٠ جندي من صفوف العدو.

ولكن كما قلنا سابقاً لم يتمكن جنودنا الظفر على مواقع استراتيجية في منحنيات الجبال لأجل أن فئة التونكان قد ظفرت بها قبلاً. وفي الصباح الباكر أمطرت فئات التونكان وبلاً من طلقاتها النارية على جنودنا الذين هم في سفوح الجبال وخسرنا كثيراً فى قتلانا. وبهذا انتهت المعركة بخسارتنا بعد ثلاث ساعات أمضيناها في القتال الشرس حيث أن العدو استطاع أن ينـــزل على خلف جنودنا وقطع السبيل علينا لإمداد الجيش بمتطلباته فحاول جندنا في الطريق الذي عليه ، فبعضهم نزلوا النهر بأفرادهم وأكثرهم خرجوا من الطريق بشجاعتهم ونجوا من القتل (انظر الخريطة برقم ٣٢).

وفي هذه الحرب خسرنا من ضباطنا البواسل الشهيد تورسون باقي خان وإسماعيل داملام وأربعة من المحافظين لي، وقرابة مائتين من المجاهدين رحمهم الله. وبهذا أسقطت منطقة بابونا في يد الأعداء. وكسرت قواتنا الدفاعية كاملة، وبهذا أيضاً سلكنا طريق العودة من بابونا وقطعنا ما يقارب ٤٢ كيلا متراً من الطريق حتى وصلنا لمدينة ختن إيلجا. وقبل أن نصل إلى ختن كنا في قصبة دعا ولكن خفنا المبيت فيها لربما يقدم علينا العدو وياغتتنا. ثم سلكنا طريق الهند وبعد خمسة أيام وصلنا إلى طلعة سانجو الباب الأول لطريق الهند.

وفي هذه الأيام بقى عندي خمسون رجلاً من جنودنا وفي سانجو تخلف بعضهم للذهاب إلى أهاليهم وبقى منهم ثلاثون شخصاً. ومكثنا فيها عشرة أيام ولم نقطع أملنا في الله وعدنا إلى جهة ختن ومعي عدة ضباط وبقيت أنا في بعد يوم واحد من الميلاد وأرسلت الجنود والضباط إلى البلد وكانوا قد وعدوني بأنهم يبحثون عن شباب يجندهم ويقوى عزائمهم ، ويحاربوا ثانية وثالثة ولكن الطريق سدهم لوجود عدو فيه فاتجهوا إلى جهة ختن عن طريق الجبال والوديان الوعرة. وسمعت أن فئة التونكان كان يطاردني لولا خوفهم من موارد النهر ورواقه. وكان يرافقني في ذلك الوقت نفران من الجنود أو الضباط فقط. وبتاريخ ٥/ ٧/ ١٩٣٤ من الميلاد اجتزت من على طلعة سانجو بعد يومين وصلت إلى منطقة سوگت ومكثت في سوگت ستة أيام وبدأت آمالنا تنقطع من جهة ، ومن جهة ثانية كان يأتيني مكتوبات من العدو فيه تهديدات ووعود جادة. وخفت من مهاجمتهم بغتة. ومن جهة ثالثة يكاد أن ينفد غذاؤنا وعلف الحيوان وبهذا توجهت أنا طريق الهند بتاريخ نصف شهر حزيران عام ١٩٣٤ من الميلاد.

وأما فئة التونكان احتل مدينة قاراقاش مساء يوم احتلالهم منطقة زاوا وأما جلالة الملك حضرتي جمع أعيان البلاد والعسكريين وتشاور معهم في تسليم نفسه والبلاد لزمرة التونكان أعدائنا وقرروا

ذلك وبلغوا القرار لمارلوك وبتاريخ ١٢/ ٦/ ١٩٣٤ من الميلاد قدم مارلوك إلى ختن وإيلجا ونقل السلطة إلى نفسه واستلم البلاد ولكنه اختار الشيخ ملك حضرتي أن يكون والداً للجميع ويتولى ولاية البلاد وكانت هذه الولاية صورية دون مضمون وذلك لتهيئة الناس واستتباب الأمن فيها. بهذا انهارت انقلابات ختن العزيزة ساحة الشهداء.

الفصل الحادي والعشرون
صفحات أخيرة من الإنقلاب

وبعد أن سلم خوجه نياز حاجى نفسه إلى الجنرال الروسي بيكتيب دعاه شين دوبن إلى أورمجي ومنحه عنوان نائب الرئيس فوجوشى لأجل أن تبقى في البلاد كل العناصر المسلحة مشاركة في حكم البلاد بصفة معاون رئيس. وجميع العلاقات الإدارية والمذكرات يكون باسمه أي باسم خوجه نياز حاجى. وكذلك النقود الورقية باسم خوجه نياز حاجى. وأما محمود سيجانك بقى في مدينة آقسو

قائداً عاماً لجيش مقداره أربعة آلاف جندي بأسلحتهم (وهو جيشه الخاص) وكان بقاؤه في آقسو بصفته تابعاً لمدينة أورمجي.

وفي منتصف شهر حزيران من عام ١٩٣٤ الميلادي تحرك جيوش تابعة لشين دوبن من مدينة آقسو قاصدين مدينة كاشغر وكان الجيش مركباً من الروس والصين وفي بلدة تومشوق قاومت فئة التونكان وصارت مناوشات حادة بين الطرفين وكان شين دوبن مزوداً بالدبابات والمدافع والرشاشات تغلب على فئة التونكان المقاومة وقتلت منها خلق كثير . وأخيراً انهزمت فئة التونكان وتراجعت إلى منطقة مارالبشى ولكن شين دوبن أغار عليها وابلاً من القنابل من الطائرات الحربية الروسية فاضطرت فئة التونكان وانقسمت إلى قسمين : قسم ذهب إلى كاشغر وقسم أتى إلى مدينة ياركند وبهذه المغلوبية انقطع آمال ماجونغ ينغ في ذهابه إلى منطقة كاشغر وأخذ معه عدداً من خلصائه وذهب إلى فرغانة والتجأ لحماية روسيا.

وأما سائر أفراد فئة التونكان دخلوا مدينة كاشغر وأجروا فيها السلب والنهب وأضرموا النار على بيوت الآمنين الأتراك وفعل ما فعل من الوحشيات والجرائم ثم لاذوا بالفرار إلى منطقة ختن ولكن بعضهم لم يدخلوا ختن بل سلكو طريق كانسو عن طريق جرقليق.

وفي هذه الأيام قلص شين دوبن من قواته في مدينة كاشغر حيث أن قواته تقلصت ومن منطقة ياركند كذلك . وقيل في هذا الباب أن روسيا لم تسمح لقواته الدخول إلى كاشغر ربما لاحتمال تعرض الدول المجاورة في دخول قوات روسيا إلى ولاية كاشغر. ثم سحبت روسيا قواتها من تركستان الشرقية. وبهذا السبب تقلص قوات شين دوبن في ولاية كاشغر ولو أن فيها من جنود الصين ما يحافظ الأمن والإستقرار في المدينة. وبناء عليه تقرب شين دوبن لمحمود سيجانك ونقله وجنوده إلى ولاية كاشغر وعينه قائداً عاماً لولايتي كاشغر وياركند بصفة فريق أول.

وأما شين دوبن نفسه لم يتجاسر للهجوم على ولاية ختن لضعفه من الجهة العسكرية. ولذا لم يغادر ماخوسن ولاية ختن إلى كانسو بل بقى فيها حاكماً عسكرياً وكان سلطته تمتد من حدود ياركند إلى منطقة جرجن حتى منطقة جرقليق تابعة له وتحت حكمه.

ولعدم قدرة شين دوبن العسكرية للقضاء على حاكم آلتاى شريف وكذا حاكم مدينة قمول يولباس بك اتفق معهم بصفة سياسية والمعترف لحكمهم وحكومتهم في الشؤون الداخلية ولكنه عمل سرّاً في تقلص قواتهما في وجوه عدة. ومن جهة ثانية وحيث أنهما لم يملكا قوة تفوق قوات شين دوبن أعلنا ظاهراً أنهما تابعتان لحكومة شين دوبن في العاصمة أورمجي.

ولكن شين دوبن خطط في تقليص قوات كل من محمود سيجانك وشريف خان ويولباس بك بأساليب ماكرة ودسيسة ملتوية ورويداً ورويداً وأن يقوى مركزه في تلكم الولايات الثلاث ثم يقضى عليهم واحداً بعد آخر حيث إنهم كانوا يملكون لقوات وطنية صرفة. ومن هذه الدسائس نذكر جملة من الدسائس التي حكيت حيال قوات محمود محيطى. أولاً دعا شين دوبن كبار ضباط محمود محيطى واحداً بعد آخر إلى مدينة أورمجي ووعدهم بالفلوس والمناصب العليا في حالة تنفيذ مخططاته حيال تقليص وضعف قوات محمود محيطى وانقلبوا أعداء لمحمود محيطى. ولكن بعضهم من صدقهم ووفائهم لأمتهم ووطنهم بقوا في وفائهم مخلصين أوفياء لمحمود محيطى. وغير ذلك هناك دسائس شيطانية لا نعرف كنهها.

وإن محمود سيجانك حافظ على موقعه ما يقارب أربع سنوات أو أقل كقائد عظيم بحنكة إدارية وعسكرية. واستطاع أن يستعمل نفوذه وغيرته الدينية في تأسيس معارف دينية ووطنية وصناعة كوادر وطنية ورجالاً مخلصين ضد التيارات الشيوعية في البلاد ، وإن خدمات محمود محيطى لا يحدها حد ولا يوصفها وصف بحد ذاته وتكتب في سجلاته التاريخية.

وأما دسائس شين دوبن في حق شريف خان ويولباس بك ربما تكون أكثر وأشد من التي فعل في حق محمود سيجانك حسب

بعض الروايات وإن جغرافية بلدانهم الطبيعية يستدعى في حقهم شدة وسفالة من شين دوبن ، وإن دلائل هتك العهود أكبر دليل لذلك النذالة.

وأما في إقليم ختن كان شين دوبن يظهر سخطه وعداءه لماخوسن كان واضحاً وعلناً. ثم بدا شين دوبن يدعو ماخوسن إلى الإتحاد فيما بينهما وبعث إليه بعوثاً ومراسيل عديدة. ولكن ماخوسن لم يقبل هذه الدعوات ويرفض وعود شين دوبن وذلك بترغيب من حكومة روسيا عن طريق ماجونغ ينغ وكان ماجونغ ينغ يرسل إلى ماخوسن كتباً ومراسيل ويوصيه بقبول دعوات شين دوبن حتى قال له في إحدى كتاباته بأن روسيا ربما يفك ويفرج عن ماجونغ ينغ إذا سمع كلامه ونفذ توصياته وهذا أكبر دليل لخدمته في توصياته.

ففي شهر مايو أو حزيران ١٩٣٦ من الميلاد أعلن ماخوسن تبعيته لحكومة شين دوبن في أورمجي ، يعنى هذا في الظاهر أن ماخوسن قبل انضمامه إلى حكومة شين دوبن في أورمجي وأنه لا يضمر عداء لشخص شين دوبن. وبالمقابل عينه شين دوبن أن ماخوسن فريق أول برقم ٣٦. واعلن شين دوبن أن ماخوسن يرتقى الى درجة فريق، وأنه حاكم عام لمنطقة ختن ، وبعد هذه التعيين والإعتراف بحكومة ماخوسن بثلاثة أشهر أرسل شين دوبن إلى منطقة ختن أحد الصينيين البلشفي المذهب والياً عاماً لمنطقة ختن

لسابق تعيين والإعتراف من شين دوبن لماخوسن. وقتل الأخير هذا الوالي وعزل حضرتي من الولاية. ثم بعد ذلك وتقليداً لروسيا البلشفية أجرى في البلاد تنقلات وترتيبات سيئة ، وهذه الإجرآت أيضاً أجريت في ولاية ختن وشكل شين دوبن (بولنجو) مثل (K.G.B) في روسيا الإستخبارات بدأ في الناس القمع عن طريق جلاديه وبرغم كون الناس في ولاية ختن تأتى من وطئة الظلم من ماخوسن تراكمت على الناس مظالم كثيرة ومضايقات لا قبل لها. وصارت التجارة لروسيا خاصة وأغلقت تجارة أفغانستان والهند.

وجد واجتهد ماخوسن لمدة عشرة أشهر مثل هذه المدارات فلم ينجح في فك قريبه ماجونغ ينغ من يد روسيا الإتحاد السوفيتي آنذاك ولذا ترك ماخوسن مداراته لشين دوبن بل أبدى عداء ومخالفات رويداً رويداً.

وفي هذه الأثناء كان شين ومعه خوجه نياز حاجى يدعو محمود محيطى إلى أورمجي ولكن محمود المحيطى كان يقدم لهم عذراً بعد عذر حتى يتحاشا من ذهابه إلى أورمجي وحتماً كان هناك سوء قصد على حياة محمود محيطى . وكان يقول له سوف أزور أورمجي العاصمة وأراكم وأتقابل معكم سوف وسوف. ومنذ ١٩٣٧ من الميلاد بدأ شين دوبن دسيسته في مدينة كاشغر الى محمود محيطى

ويضايقه ويعكر صفوة حياته ولا يريحه فلا يبقى لمحمود سيجانك إلا أحد أمرين:

١. أن يتحد مع ماخوسن ويناضل من أجل الدين والوطن والأمة المسلمة.

٢. أو يخرج من البلاد إلى بلدان أجنبية.

وكان من السهل له أن يتحد ويتفق مع ماخوسن وأن يشن هجوماً على شين دوبن وسياسته. كانت الأسباب مهيأة والقوة العسكرية موجودة في كلا الطرفين.

لكن محمود سيجانك كان يعرف أن مساعدة الطرف الثالث سيساعده مهما كلفه ذلك. والطرف الثالث يكن علينا عداوة ويرى فينا عدواناً عليه وهو الإتحاد السوفيتي. وكان محمود سيجانك يعرف أن الإتحاد مع ماخوسن والعمل معه يجلب للبلد ويلات وسلبيات مدهشة ولذا ترك الإتحاد مع ماخوسن واختار ترك البلاد والهجرة إلى بلد أجنبي وهي الهند وبتاريخ ١٩٣٤ من الميلاد في شهر أبريل أناب شخصاً يثق به رئيساً وقائداً على جنوده في مدينتي كاشغر وياركند، بصحبة نفر من خلصائه خرج من البلاد من كاشغر عن طريق كوكيار وياركند إلى الهند وبدون أن يعرف خروجه أحد.

وبعد نزوح محمود سيجانك اتفق أحد ضباط محمود سيجانك وهو عبد نياز اتفق عبد نياز مع ماخوسن وأعلن هجوما على شين دوبن وما هو إلا أيام أشغل ياركند واحتلها ثم هجم على ولاية كاشغر واحتل مدينة كاشغر الحديثة وحاصر الصينيين في مدينة كاشغر الحديثة . وأما عامة الناس باتوا مسرورين جداً ومدوا أيدي المساعدة لهذه الحركة. وكان ذلك في شهر مايو ١٩٣٧ من الميلاد. وأما ماخوسن أرسل عبد نياز وجنوده إلى منطقة مارالباشى وبقى بنفسه في منطقة كاشغر وشدد الحصار على الصينيين في مدينة كاشغر الحديثة. ولكن جنود ماخوسن السفلة كانت تقبل الرشاوى من الصينيين المحاصرين في داخل السور ولم يشدوا الحصار عليهم وكانوا تقدموا بالأعذار لقائدهم ماخوسن لحصار كاسح ، وكان الصينيون المحاصرون في المدينة الحديثة قليل العدد وقد هرب والى مدينة كاشغر والقائد الصيني إلى أورمجي. وكما ذكرنا أكثر ضباط ماخوسن خانوا في خدمتهم العسكرية برشوة من الصينيين المحاصرين. وأما عبد نياز بك انتصر كثيراً نصراً بعد نصر حتى في مدن كوجا وآقسو وحتى وصلت قواته إلى مدينة قاراشهر ولفقدان الأمن والأمان في ولاية كاشغر تسبب في تدخل حكومة الإتحاد السوفيتي حيث تدخلت في مناوشات ولاية كاشغر بالطائرات والدبابات وجنود كثيرة تعداده يزيد عن خمسة آلاف جندي دخلوا عن طريق بديل.

وإنهم لم يدخلوا الى مدن أوج تورفان وآقسو، وصلوا رأساً إلى ولاية كاشغر وقدموا كذلك مارين بمارالباشى كاسرين الصينيين عن منطقة يامان سو . ومن جهة ثانية قدمت جنود محملين في مائتي سيارة النقل العسكري عن طريق آت بشى رأساً إلى بلدة آرتوج المدن الثالث في ولاية كاشغر. بهذا انقطع عن نياز بك وجنوده وبين ماخوسن وجنوده التونكان وطارت طائرات عسكرية روسية في سماء مدينة كاشغر تسقط الإعلانات لنصرتهم على الأعداء تارة ، وتارة أخرى تسقط قنابل حارقة. وأما ماخوسن لما رأى الحالة انقلبت سوءاً فكر مع جنوده في الإنتقال من ولاية كاشغر وفعلاً انتقل إلى مدينة ينكحصار ولكن قوات روسيا وطائراتها الحربية طاردتهم فخرجوا من ينكحصار وانتقلوا إلى مدينة ياركند. لكن لم يمكنهم المكث في ياركند أخذ ماخوسن بعض جنوده أو نفراً من جنوده وسلك طريق الجبال قاصداً الهند. وبتاريخ سبتمبر عام ١٩٣٧ من الميلاد وصل إلى بلدة لاداخو وبعد خمسة أيام وصلها الملك محمد نياز اعلم آخونوم وإن ماخوسن لم يدخل في هروبه هذا إلى مدينة ياركند.

وإن عبد نياز بك حارب محاربة شديدة مع الأعداء شين دوبن في أطراف ولاية كوجا. وأخيراً انهزم وتشتتت قواته. ولكن ليس لدينا علم أو خبر عن مصير هذه القوات الغازية المجاهدة. غير أن فئة التونكان قسم منهم تبعوا ماخوسن وهربوا إلى الهند معه ولكن

الآخرين هربوا إلى داخل الصين عن طريق ولاية ختن. وبتاريخ ٧/ ١٠/ ١٩٣٧ من الميلاد داهمت قوات العدو شين دوبن إلى ولاية ختن وأسقط وابلاً من القنابل على فئة التونكان الهاربين من طائرات حربية وروسية إلا أن شرذمة قليلة منهم هربوا إلى منطقة كانسوا غير أن أكثرهم ماتوا في طريق صحراوي جدبى من الجوع والعطش. ويقدر الواصلون حقاً إلى كانسو واحداً في المائة. وبهذه الصورة وبتاريخ أوكتوبر عام ١٩٣٧ من الميلاد استولى العدو شين دوبن منطقة آلته شهر (المدن الستة) وفي الوقت الذي قام فيه عبد نياز بك وشريكه ماخوسن في الإنقلاب على حكومة وإدارة شين دوبن ، لكون خوجه نياز حاجى نائباً أو مساعداً لشين دوبن أصدر الأخير قراراً بالقضاء على كل القوات الوطنية في منطقة تركستان الشرقية. ولذا استعمل شين دوبن كل قواته العسكرية ضد ولاية آلتاى التي بها شريف خان ومنطقة قمول التي بها يولباس بك. استعمل شين دوبن قواته العسكرية على المنطقتين السابق ذكرهما آلتاى وقمول ، وتغلب على قواهما الوطنية استولى عليها نهائياً بتاريخ حزيران عام ١٩٣٧ من الميلاد بعد أن قضى على الرجلين شريف خان ويولباس بك ولكن الأخير هرب بقليل من جنوده وأفراد عائلته إلى داخل الصين.

ومع الأسف لا نملك تفصيلات واقعة سقوط المنطقتين والقضاء على جنود شريف خان ويولباس بك.

وأما يولباس باك خرج بنفر من جنوده كما قلنا وأفراد عائلته من منطقة قمول ووصل سالماً إلى منطقة خوتون تام الواقعة في الشرق من ولاية قمول وكان خروجه هذا في شهر مايو ١٩٣٧ الميلادي وبتاريخ يوم ٦ من شهر يوليه من عام ١٩٣٧ هرب من منطقة خوتون تام إلى ولاية جنكخاى بداخل الصين. ومكث فيها شهرين حيث انتقل منها إلى منطقة خانكو وتقابل هناك مع القائد العام والرئيس الصيني جيانغ كايشى حيث استقبله الأخير استقبالاً حارّاً وإن يولباس بك الآن وآنذاك في منطقة جونك جنيك.

وأما شريف خان لا علم لنا عن مصيره في ذلك الوقت ولكن زمرة من أعيان آلتاى وعلى رأسهم ايليس خان وآدى باك وزايف بك وغيرهم وعددهم ٦٤٥ عائلة هاجروا موطنهم آلتاى ونزحوا إلى غرب منغوليا الخارجية ، ثم انتقلوا منها عبر سلسلة جبال آلتاى إلى منطقة كانسو وبالذات إلى منطقة يورخون وهى سهول جبلية ومراعى خصبة واستوطنوها وبهذه الطرق والأساليب الصعبة انفصلت مناطق تركستان الشرقية من زعمائها الوطنيين واحداً بعد آخر ، حيث صادفهم المغلوبية والإنهزام وتشتت قواهم الوطنية المجاهدة المسلحة أولاً بسلاح الإيمان بالله ثم الوطنية. وإن مناطق تركستان الشرقية الواسعة سقطت واحدة بعد أخرى كما أسلفنا في يد العدو شين دوبن بنهاية عام ١٩٣٧ من الميلاد.

الفصل الثاني والعشرون

الوضعية العسكرية والسياسية لزعماء الوطنيين الإنقلابيين في تركستان الشرقية في الثلاثينات من القرن العشرين

إن زعماء الإنقلابيين الوطنيين والعسكريين الذين تحت إمرتهم ومنهم الضباط والقواد وسائر من فيهم في الخدمات العسكرية لم تكن لديهم تعليمات ونظم عسكرية وإن أكثرهم محرومون من التعليم ساهموا في الإنقلاب وقاموا به لمجرد أنهم مسلمون ووطنيون رسوخاً واعتقاداً ناهيك عن علوم عسكرية وأنظمة إدارية وأساليب الكر والفر حيث إنهم مجندون أنفسهم في سبيل الله والوطن ، والأمة الإسلامية مواطنوهم وأقاربهم وأجيالهم القادمة.

برغم ذلك كانت هناك فرق من العسكريين والضباط ذو المكانة والإقتدار. وليست كل الفرق على شاكلتهم والقاسم المشترك فيما بينهم انتمائهم للجهاد وخلوص نياتهم وتفانيهم في الخدمة المنوطة بهم فرداً وجماعة وبرغم ذلك كانت من المؤكد أن تلك الجيوش المجاهدون ليس بينهم من درس النظام العسكري أو تدرّب كعسكري عصري.

ونحن الآن نقدم للقراء نبذة عن ترجمات تلكم الأفراد العسكرية قائداً كان أو جندياً عادياً. فمثلاً وقبل كل شيء نتكلم

عن السيد خوجه نياز حاجى لم يلتزم منذ البداية من انقلابه وجهاده حتى آخر يوم من جهاده ولم يلتزم قط في جنوده المجاهدين النمط العسكري العصرى ولم يلتزم هو نفسه قانون ونظام إداري وعسكري في حله وترحاله وتنقلاته. ولهذا السبب كان من نصيب جنوده المجاهدين أمام جنود فئة التونكان المغلوبية والهزيمة. لأن جنود فئة التونكان كان تربيتهم نظامياً ويعتمد في إدارتهم للقوانين العسكرية فيكون نصيب التونكان الغلبة والإنتصار على مثيلهم المجاهدين.

وكان السيد خوجه نياز حاجى انتصر في الإقتتال التي بدأت في أدغال قمول الباسلة واشتهر جهاده أمام العالم وذلك أنه مجاهديه كانوا ملمين بمنخفضات ومرتفعات ديارهم ومداخل ومخارج وديانهم. لأنهم قوم جبليون وبالمقابل لم تكن فئة التونكان في جنودهم لم يتعودوا القتال في مثل منحنيات قمول الجبلية. وكان مجاهدو السيد خوجه نياز حاجى بمعرفتهم لجغرافية موطنهم قدروا على أن يباغتوا الأعداء وقدروا أيضاً على يضيعوهم ويغويهم في الأدغال والوديان ويطردوهم إلى وديان ومنعطفات ثم يصدوهم ويحاصروهم ويشدوا عليهم الخناق ، فلهم الإنتصار والتفوق فيما بين الجبال والصحراء القاحلة. وبهذا تغلب على أعداءه وألحق رعباً وهيبة في قلوب أعدائه. وبهذه الروح العالية انتصر السيد خوجه نياز حاجى في حروب

منطقتي تورفان وجيمسا ورمى أعداءه بالمغلوبية والإنهزام. وبعد ذلك ولأسباب ذكرناها أصبح مجاهدو خوجه نياز حاجى كقطيع من الأغنام يهرب من أمام راعيها مهرولات. وإن السيد خوجه نياز حاجى لم يأخذ عبرة عما وقع فيه من تقصير في تنظيم صفوف المجاهدين والحال هذه لم يقبل خوجه نياز حاجى تنظيم جيوشه المجاهدين تنظيماً عسكرياً ويأخذهم إلى مبادئ علوم العسكرية والتربية العسكرية من حيث التحرك والإستراتيجية والحضور أو الإستعداد للعمل العسكرى بل كان يصر إصراراً على بقائهم على بداوتهم وغشاوتهم وقيامهم وقعودهم ، ومن حيث اللباس العسكري أيضاً ما كان خوجه نياز حاجى يهتم به. ولو كان قبل خوجه نياز حاجى هذه التدابير في أخذ مجاهديه بالنظم العسكرية لكان من جنوده الضباط وقواد جيشه بمكان لا تنال إليها أيدى الأعداء حيث إن مجاهدي خوجه نياز حاجى كانوا فرساناً وإن الأسلحة التي بأيديهم أسلحة جديدة وكان معهم مدافع حربية حديثة ومدافع الرشاشات بحيث لم تكن الأسلحة التي بيد خوجه نياز حاجى أقل مضاء من أسلحة وعتاد الحربي التي بيد الأعداء سين دوبن. وإليكم شكاية أحد قواد خوجه نياز حاجى الذي هرب من حرب قارايولغون ويقول في شكايته : " نحن حاربنا فئة التونكان ثمانية عشر مرة. وانهزمنا في كلها إلا في ميدان قرب قاراشهر وحرب أوشتاق

تال انتصرنا فقط. و لم تكن غلبتنا فيهما إلا كوننا محصورين من كلا الجانبين ، وأجبرنا هذا الحصار أن نبذل أقصى جهدنا للتخلص من هذه الورطة. وقاتلنا قتالاً مستميتة فانتصرنا فيهما على أعدائنا وكان السيد خوجه نياز حاجى لا يعطى المجاهدين ولا للإداريين رواتب شهرية وإنما كان يعطى عطايا جزافية في أوقات مواتية وكان الجنود يعملون ويجاهدون أسابيع وشهور بدون ما يستلمون راتباً وكذا الإداريون.

وهناك من الجنود جنود خوجه نياز حاجى من باع سلاحه والعتاد الحربي للناس حتى يصرف من قيمتها لعياله وهذا الأمر لم يكن عيباً ولا جرماً لدى خوجه نياز حاجى ولا يؤخذ الجانى بجريمته و لم يكن هناك قوانين تمنع عن ذلك.

وكان بعض الجنود ينهب الناس ويسلب أموالهم وأرزاقهم حتى يعيش ويربى أطفاله. وإن هذه الأوضاع الغير قانونية أدت إلى تسيب الجنود وعدم إذعانهم للأوامر ، وبناء على هذا انعدمت فيهم روح الحياة المعنوية وبالتالي تهرب الناس من جنود خوجه نياز حاجى ومن خوجه نياز حاجى نفسه. وما كان خوجه نياز حاجى أن يمنع جنوده من تعديهم على الناس العزل في البلاد أياً كان.

وأما ضباط حكومة ختن ومجاهدونا كانوا سواسياً مع ضباط وجنود خوجه نياز حاجى من حيث عدم تحصيلهم العلوم العسكرية

حتى مبادئها. ولكن نحن حكومة ختن منذ حملنا السلاح على وجوه الأعداء اهتممنا وبذلنا جهداً ومضينا في تربيتهم وتنظيمهم مبا يشبه النظم العسكرية الحديثة والعصرية في كل تحركاتنا وسكناتنا. وقلنا لهم أن لا تعدى على الناس من سلب ونهب وهتك الأعراض وغيرها من الإحتياطات. وكان جيوشنا وضباطهم ملتزمين لقوانين ضبط وإحاطة. وبهذا أصبحت قوات حكومة ختن من أحسن قوات تركستان الشرقية المناضلة وأصبحوا واقعين في الحرب والسلم . من أبرز محاسنهم الطاعة والإلتزام بالنظم والقوانين التي تليت عليهم وبمرور الزمن تحصلنا على نفر من الأهالى حاصلون على بعض التعاليم العسكرية وألزمناهم بتعليم المبادئ العسكرية المعمول في الخارج حيال التجنيد والتربية العسكرية ، وبهذا تمكنت الجنود الخوتانية من التنظيم العسكري والإلتزام بالطاعة طاعة رؤساء القيادة وترقت صفوفهم بما يمليهم العلم العسكري.

وبهذا أيضاً انتظم مجاهدو ختن في ميادين القتال وانتصروا انتصاراً باهراً فأصبحت جيوش ختن من أرقى الجنود المجاهدة في كل حرب دخلوها وبهذا أيضاً حظيت جنود خوتن بالنظام والقانون العسكري المميز وكان أو صارت تربيتهم تربية صالحة ومميزة ولكن كان هناك نقصان في ناحيتين:

الأولى: كانت تنقص الضباط التجربة العسكرية أو الميدانية. ولكنهم كانوا ينتصرون ببسالتهم وشراستهم في ميدان القتال.

الثاني: إن أسلحة جيوش ختن كانت قليلة للغاية بالنسبة لباقى القيادات التي وجدت في ساحة تركستان الشرقية وعلى الرغم من قلة السلاح هذه كانت بها الرداء. وإليكم بيان ذلك:

كان عدد قوات حكومة ختن اثنتا عشرة ألف مقاتل ومعهم ألف بندقية. و لم يملك هذا العدد عتاداً حربية ثقيلة. وكان السيف هو السلاح الوحيد للأكثرية الكاثرة وهناك من يحمل الرماح والعصى والمهراوات. وإن القوة العسكرية الإنقلابية التي لا تملك إلا أسلحة في غاية الردائة والضعف تقابل قوة عسكرية متقدمة في التعليم العسكري وبها أسلحة متقدمة حديثة في العصر هذا عصرنا القرن العشرين. فمن أين لقوتنا المستضعفة القدرة والنجاح. ولذلك كانت الجيوش الخوتانية وغير الخوتانية بالهجوم المباغت ، والسطو السريع وكرّ وفرّ. وكان أعداؤهم مسلحين بالبندقية العصرية والمدافع الرشاشة وكل جديد من سلاح وبهذه الأسباب كانت جيوش ختن نصيبها المغلوبية في كل حرب سواء خسرت فيها أو انتصرت ، كانت ضائعاتها وضحاياها كثيرة من خسارة الأعداء.

وكانت جيوش ختن تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الفرسان والمشاة وقسم المدافع. وكانت في قسم المدافع عشرون مدفعاً فقط.

اثنان منها مدافع عصرية والباقيات مدافع عادية من عصور قديمة وموادها برونز ونحاس والحديد.

وخلاصة القول خاضت الجيوش الخوتانية حروباً كثيرة أكثرها في المناطق الدائرة أو المحاطة بمنطقة ختن : منها منطقة حوض لوب و حدود جكنحاى مروراً بالشمال الغربي ولاية كاشغر ومدينة كاشغر وينكحصار. وكانت لهم فتوحات في تلكم المناطق. وكانت هذه الفتوحات بسبب تربيتهم ولو جزئياً تربية عسكرية. وأما مغلوبيتهم كانت بسبب قلة ورداءة أسلحتهم.

وإذا جئنا لجنود تيمور سيجانك كانت تتكون جيوشه من فئتين متباينتين: فئة التونكان وبهم بعض الترتيبات العسكرية وأصحاب تجارب. وفئة الأتراك أهل البلاد وكان تيمور سيجانك كذلك كان دأبه دأب السيد خوجه نياز حاجى في إدارة جنوده الملونة.

وكانت هناك فئات متباينة من قبائل قرغز وفئة أزبك أكثرهم في فئة أزبك بقايا الإنقلابات التي جرت في وادى فرغانه ضد روسيا القيصرية وكانوا سطويين في تجمعاتهم يسطون هنا وهناك في حركة (باسمجى) السطو المسلح. وكان محاربين غيورين في السطو والنهب لكر وفر. ولكنهم ما يساوون شيئاً في المصادمات الحربية وميادين الكفاح.

وأما مقاتلو منطقة آلتاى بفئات القازاق ومطقة قمول بالأتراك الوطنيين لم نعرف شيئاً عن أحوالهم. والشيء الذي نعرفه عنهم أنهم سواء عسكريون أو الضباط فيهم ، خالون من التعلم العسكري والتربية القتالية وبهذا الإعتبار إنهم مغلوبون أمام أعدائهم أيضاً.

وبهذه الإعتبارات التي كتبناها كانت أوضاع العسكريين في انقلاب تركستان الشرقية. وأما أعداؤهم سواء الصينيون أو فئة التونكان (مسلمو الصين) كانوا متعلمين العلوم العسكرية وتربوا على تربية قتالية في داخل الصين وأن ضباطهم حاصلون على دبلومات عسكرية قديماً ، وبهم تجارب قتالية سابقة حيث أن فئات العسكريين في داخل الصين يتعلمون النقاط العسكرية منذ الصغر بأهمية وضبط. وإنهم متفوقون على مجاهدينا في كل مرحلة من مراحل القتال.

الأوضاع السياسية في داخل تركستان الشرقية آنذاك

كانت سياسة الداخلية للسيد خوجه نياز حاجى وتيمور سيجانك مبنية على خطأ محض حيث إنهم لم يفكروا في مقاصد الثورة والإنقلاب ولم يفكروا في رفاهية العوام وشعورهم وكانوا غافلين عن الشؤون الإدارية والمالية والإقتصادية والعدلية والمعارف.

وكانوا تاركين تنظيم هذه الأساسيات من شؤون الأمة ذات صلة لحياتهم اليومية. ولم يكن مراكز المجاهدين تصرف أو تأخذ من خزانة الأمة مصاريف لزوجاتهم بل يفرضون على عاتق الناس كضريبة لازمة الدفع فوراً حتى أرزاق المجاهدين وعلف الخيول ولوازم السكن ليوم وساعة.

وإذا جئنا ثانية في سياسة خوجه نياز حاجى أن يولى الأشخاص الذين من أصل تورفان وقمول ولو أنهم غير مؤهلين لهذه الخدمات أو المناصب حيث يعطى ويمنح التورفاني أو القمولي امتيازاً ونفوذاً فاعلة وجادة. وكان يسعى خفية عن إسقاط غير تورفاني وقمول عن مناصب النفوذ والإمتياز غير أنه كما قلنا أخفى هذه التصرفات حيناً من الوقت. ولكنه كان رجلاً غير داهي يبدى رغبته هذه قبل تنفيذها وإن الحكام والولاة الذين تعينوا من قبل خوجه نياز حاجى لم يزودوا بقوانين والنظم التي يلزمها في تيسير الحكم في إدارتهم. حيث كانت من أولى مهامهم الإدارية أن يفرضوا ضرائب ملزمة الدفع فوراً وكذلك الأرزاق من عامة الناس ويجمعوها ويرسلوها إلى أي مراكز أشار إليه بلاغ خوجه نياز حاجى وأمره ، أو اتبع أساليب جباية الضرائب التي اتبعوها أو مارسوها في عهد حكم الصين في البلاد سابقاً.

وأما حكومة ختن في إدارة الحكم والجنود ومصاريفهم ورواتبهم تتبع النظم والقوانين المرعية بالنسبة لها منذ البداية واشتهرت الحكومة بالتنظيم التربية الحسينة تشكر لها. وكانت تصرف للموظفين والجنود المجاهدين رواتب كافية ومنتظمة. وإن لوازم الحكومة الإدارية والعسكرية كانت تشترى من السوق بسعر اليوم ، لا ضرر ولا إضرار. اللهم إلا في بعض الوقت العصيبة مرة أو مرتين فرضت الحكومة على الأهالي علف الحيوان الخيول والدواب وهذا الذي في علمي فقط لا غيره. حتى إن هذه الضريبة الجزافية والمؤقتة أجريت حسب مقتضيات القوانين التي سنتها الحكومة حكومة ختن. وفي حالة عدم كفاية ما هو في الخزانة استلفت قروضاً من أغنياء البلد. وفي حالة اليسر والوفرة ردتها إلى أصحابها حيث إن الحكومة كانت في غاية العدالة في تسيير شؤون المالية وحسب إمكانيتها أسست مدارس والمعاهد العلمية في كل مدينة وقرية وبحسب الأولوية. وبهذا شق معارف الحكومة طريقه المستقيم والعادل لمصلحة عامة الرعية. وأما الشؤون العدلية في المحاكم الشرعية تتبع وتستمد من مضمون كتاب الله وسنة رسوله. وزودت الحكومة الحكام والولاة بمشورة دستورية وبها لوائح تنفيذية وكان مفروضاً على الحكام والولاة التمشى بموجبها. وكل إجراء عدلي تراقب عبر مفتشين خفية وعياناً.

ولأجل هذا كان سائر الناس في سائر مدن تركستان الشرقية وولاياتها تجاهر بطلب تابعية حكومة ختن في الإدارة والقيم والنظم السائدة فيها. ولو أنا بصفتي أحد أركان تلك الحكومة ومؤسسيها أمتدح بحكومة ختن –لا وألف كلا– وإني أتكلم بصدق اليقين نعوذ بالله من الغواية والطغيان. أتكلم من حيث إني مؤرخ أقول الحق وأتكلم به ليس إلا. ومبادئ علم التاريخ يفرض علينا ذلك لا مدحاً بما هو تحت يدي كان.

الأوضاع الخارجية في سياسة هذا الإنقلاب

حتى في السياسة الخارجية كان هناك اختلاف بارز فيما بين زعماء الإنقلاب. وذلك أن السيد خوجه نياز حاجى وتيمور سيجانك كانا يريان أنفسهما تابعين لحكومة الصين المركزية ولو بصورة سطحية لا غضاضة فيه. حيث أنهم لقبوا إدارييهم وضباط جنودهم بتسمية صينية من مثل تيمور سيجانك وحافظ ته نجانك وغيرها كثير.

وكان علمهم عَلَماً صينياً من حيث الألوان. وكانت الإدارة المالية والجمارك تتبع الأصول الصينية وكذلك نظم التجارة. وكانوا يقولون عياناً وجهاراً أنهم إذا نجحوا في جهادهم هذا سيجعلون

تركستان الشرقية حكومة تابعة لحكومة الصين المركزية أو منطقة تحت مأمورية الصين، وهكذا كانوا يعلنون.

وأما خوجه نياز حاجى يرى أن يصادق مع حكومة الإتحاد السوفيتي وأن يمنح له ما يريده من خامات البلاد وسائر الإمتيازات التي يطلبها الإتحاد السوفيتي وأن يشتري منه الأسلحة والعتاد الحربي وسائر المصنوعات الروسية ، وأن تكون التجارة مع روسيا فقط ، وأن سائر زعماء الإنقلاب يخالفون خوجه نياز حاجى في رأيه هذا . وكان خوجه نياز حاجى يرد عليهم بقوله: " إننا نحن الآن في حاجة ماسة للأسلحة اللازمة لنا وإن رأيي هذا رأي مؤقت. وفي هذا الوقت يجب علينا أن نلبي طلبات الإتحاد السوفيتي وكيفما يكون ذلك. وإذا توفقنا في انقلابنا هذا نلغى الإمتيازات الممنوحة للإتحاد السوفيتي". وكان يؤيد نظريته هذه بكلام غير منطقى ودلائل واهية.

وكانت حكومة ختن في تعاملنا مع الإتحاد السوفيتي ترى أننا إذا نجحنا في ثورتنا هذه وأسسنا حكومة تركستان الشرقية نتفاهم مع الإتحاد السوفيتي من حيث متطلباتنا منه ومتطلباته منا. وكذا كانت حكومة ختن أن تندرج من الآن على تأسيس كل مؤسساتنا القومية بصورة وطنية وحسب متطلبات بيئتنا المسلمة. وكانت الحكومة حكومة ختن جادة وحازمة في رأيها هذا ومجتهدة في تنفيذها منذ الآن (في ذلك الوقت). وإن السياسيين في سائر أنحاء العالم يعرفون

أن تركستان الشرقية لا بد لها أن تتعامل مع الإتحاد السوفيتي في شؤون التجارة كما كانت وأن لا تكون طرفا في طموحات الإتحاد السوفيتي في تركستان الشرقية. لا يمكننا الإفراط من طموحات سياسية والإمتيازات وشرائط لا توافق مصلحتنا لأجل زرقة عيون الروس ، ولا يمكننا أن أن تغرس الروس أظافرها الحادة في عقيدتنا وثرواتنا ومكامن معادننا.

وبالمقابل كانت الهند (شركة الهند الشرقية) آنذاك وحكومة أفغانستان المسلمة ما كان لهما طمع في خصوصيات تركستان الشرقية ولأجل ذلك ترى حكومة ختن أن ننشئ معها مناسبات طيبة. برغم أن حكومة ختن كانت محايدة في هذه المسائل السابقة لأوانها ، ولو أنها لا يطمعان في تركستان الشرقية. وإذا تقربنا معهم لا يكون علينا ولو أن الفائدة من تقاربنا معهم ينفع ولا يضر وهكذا كان رأي حكومة ختن.([1])

---

[1]- إن موفقية كل انقلاب أو ثورة في أي بلد كان كون من يقوم بهذا الإنقلاب ملمّاً بالأمور العسكرية والسياسية الداخلية والخارجية وأن يكون هذا الإلمام مبنياً على أساس من العدل والعدالة وفي كل شؤون يهتم بها هذا الزعيم الملهم.

وأما بالنسبة لتركستان الشرقية من حيث تلكم السياسة قد بيناها سابقا، فهذه حقيقة لا نكران عليها. وبناء عليه وبالنسبة لتركستان الشرقية. قد بينا مرئيات كل زعيم من زعمائها وكذلك بيانات من كل وطني مسلم تجاه

الفصل الثالث والعشرون
في ماهية حكومة شين دوبن

إن السياسة التي اتخذها شين دوبن يعرفها القاصى والدانى في هذا العالم، وماهية هذه الحكومة في تركستان الشرقية. ولكن هناك إغفالات ومبهمات من نظريات قد لايعرفها الكثير من الناس والحكومات من حيث شين دوبن مأمور ومربوط بحكومة الصين المركزية وبالنظر على دعايات مغرضة منه كلها دعايات وادعاآت كاذبة. وبرغم ذلك نرى في الساحة من صدّق شين شين دوبن في ترّهاته وأكاذيبه و لم يفهموا أصول وماهية حكومته الجائرة حتى الآن.

قضية تركستان الشرقية من تناقض وسوء العواقب من نتيجة انقلابنا فعليه من يضع النقاط على الحروف من مواد خير وكتاب وأن يضع كل من له رأي صائب ومن له تناقضات في مسيرة هذا الإنقلاب ، وعند ذلك تكون قد أعطينا كل ذى حق حقه من صواب وخطأ. وقد بينا الأسباب في الفصول السابقة.

فلذلك نرى واجباً علينا أن نعطيكم بعضاً من الحقائق ونشرح مغلقها عليكم لتكونوا على بينة منه.

ومنذ أن جاءت الحكومة شين دوبن بدأ يوجه حكومته مثل حكومة الإتحاد السوفيتي ويطبق كل نظم وقوانين البلاد في تركستان الشرقية طبق حكومات الإتحاد السوفيتي في أصولها وفروعها وإداراتها الفاسدة وتشويقاتها الفاسقة. وبمقابل هذه الإدارة النـــزقة منحت روسيا لشين دوبن ما يلزمه من طائرات حربية ومدافع رشاشة وكل العتاد الحربي بأسلوب سهل وبمقايضة ترجع فائدتها للإتحاد السوفيتي في ذلك الوقت. وربما ساعدته بجنود لا قبل له. وبهذه المساعدات المختلفة قضى شين دوبن على كل الفرق الوطنية الإنقلابية التي قد نجحت فعلاً في أكثر المناطق الإقليمية في تركستان الشرقية قضى عليهم شين دوبن قضاء مبرماً واتجه بالحكومة إلى شيوعية متقدمة بأصول ماركسية. ثم إنه دفع إقليم تركستان الشرقية إلى أحضان الإتحاد السوفيتي وإحدى مستملكاته واستقدم من روسيا مستشارين ومهندسين السياسيين إلى تركستان الشرقية واستقدم أيضاً رجالاً مشردين ومشرئبّين بالمبادئ الشيوعية وبهم استطاع شين دوبن أن يكرس جهوده إلى بلشفية الحياة أو الحياة البلشفية الشيوعية في الحياة العامة وشؤون المالية والعسكرية والإقتصادية العامة، وكان شين مثلما قلنا سابقاً جلب إلى البلاد ألوفاً من جنود الإتحاد السوفيتي وألبسهم

لباساً عسكرية صينية ووزعهم في كل مدن وقرى تركستان الشرقية بالألوف. وأسقط من أهالى الوطن روحهم العالية الوطنية والإقليمية وجعلهم كقطيع الغنم وإنهم يتحركون ولا يعقلون ثم أنه يقبض عليهم ويتهمهم بتهم ملفقة ويعدمهم أو يسجنهم. وكان الإنسان هناك وليس له حق واحد فمثلاً الحقوق الدينية وحقوق الفكر وحقوق التجارية والحقوق الصناعية وحقوق السفر والإقامة وغيرها من الحقوق الطبيعية كإنسان حرّ. وقد عفى عليهم كل هذه الحقوق الطبيعية وقيدهم بحدود وقيود الشيوعية وربطهم بسلسلة من سلاسل الحقد والكراهية الشيوعية. ورأساً على عقب قلب حياة أهالى تركستان الشرقية بجهنم الشيوعية الفاسدة. وإن شين دوبن هذا فرق الناس على جمعهم بحيث قسم الأمة التركستانية إلى ١٤ ملة جزافية لا إقليمية ولا قومية في تقسيمه هذا. وجعل شين دوبن هؤلاء المهاجرين الصينيين البوذية ملة واحدة من ضمن أربعة عشر ملة حسب زعمه وافترآته. ومن ضمن هذه الملل الصينيون المسلمون الذين في تركستان الشرقية ملة واحدة من الملل المقصودة المقسومة وكذلك المهاجرون الروس وهم قلة أقل من قليل جعلهم ملة من الملل . وأما الباقى من الملل وهم إحدى عشر ملة وهم تركستانيون فرقهم بأسماء لا يعرفونها. وإن هذه الأسماء أسماء ملفقة ومصطنعة لقوم أو لأمة واحدة كلهم أتراك يعيشون على تراب تركستان وعلى ذلك

أسس شين دوبن مؤسسات عرقية مزيفة لكل واحدة من تلكم الملل تحت اسم الرابطة التنفيذية قومية قازاق ، والرابطة التنفيذية لقومية قرغز. وكان قصة شين دوبن تفريق أمة الأتراك الواحدة قديماً أو منذ القدم وأن تزرع فيهم بذور الشقاق والنفاق وأن يجعل بعضهم أعداء بعض وتصيدهم واحدة بعد آخر فى قفص حديد مثلما فعلت روسيا في تركستان الغربية من مثل قرغزيا وقازاقستان وتاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان. حيث إن روسيا عملت فعلتها هذه فى شمال قفقاسيا وفي شرق أوربا ومنطقة شمال آسيا كلها وبهذا التقدير استطاعت روسيا شرب دمائهم تحت أسماء عرقيات مختلفة.

وزد على ذلك أن شين دوبن جلب ألوفاً من الخائنين الذين رموا أقاربهم وبنى جلدتهم تحت سيوف جلادى روسيا في تركستان الغربية جلبهم إلى تركستان الشرقية ووظفهم في وظائف جاسوسية وبهم نشر في البلاد مبادئ الشيوعية الفاسدة. وذلك أن شين دوبن لم يحصل على رجال خونة والمارقين من أهالى تركستان الشرقية.

وإن شين دوبن هذا سمم عقول ومفاهيم النشء من أطفال تركستان الشرقية بتعيين هؤلاء الفسدة معلمين في المدارس بنين وبنات في آلاف المدارس الحديثة التي أسسها شين دوبن وبكل الأسف يعلن شين دوبن على الملإ أنه رفع وأقام أساطين عديدة من مؤسسات المعارف العامة.

وإن المثقفين العدلاء يعرفون كيفية تأسيس هذه المدارس وأين هي تأسست ؟ ولماذا ؟ ويعرف الجميع أن ليس آنذاك في تركستان الشرقية معلمون عصريون وليس فيها كتب ومقررات عصرية فعمد شين دوبن على ألوف مستوردة من آفاق تركستان الغربية وعينهم معلمين كما قلنا في هذه المدارس الحديثة. وفرضوا بدورهم على النشء المعصوم من أطفالنا المبادئ الشيوعية.

زد على ذلك أيضاً أن شين دوبن هذا أوقف التجارة الخارجية بتركستان الشرقية إلا مع الإتحاد السوفيتي بمعنى أن شين دوبن ربط التجارة الخارجية للإتحاد السوفيتي فقط لا غيره.

وخلاصة القول عمل شين دوبن عمالة مزدوجة: عمالة الصين المركزية وعمالة الإتحاد السوفيتي. والقاسم المشترك فضيحة تركستان الشرقية وأهلها المواطنون حيث أن حكومة شين دوبن في تركستان الشرقية فيما بين سنتي ١٩٣٣-١٩٤٤ من الميلاد تأسست بحكومة مشابهة في حكومات الإتحاد السوفيتي وتركستان الغربية في ماهيتين متطابقتين على أساس نمرود وشيطنه. غير أن لفظاً يقول إن حكومته تابعة لحكومة الصين المكزية في عاصمتها ننجين آنذاك على أساس أن خريطة تركستان الشرقية مرسومة في داخل خريطة الصين المركزية. ولذا ولأن الصين معتادة قديماً للفخامة والتملق اعترفت بأن تركستان الشرقية (شنجانك) تابعة للصين يحكمها شين دوبن

(الحاكم العام العسكري) وبهذه السياسة باعت الصين بخمسة عشر مليوناً القاطنين في تركستان الشرقية ضحية لم تعوض.

وعندما حاربت اليابان الصين عام ١٩٣٧ من الميلاد احتاجت الصين لأسلحة روسية وبالتالي احتاجت لأراضى تركستان الشرقية لجلب العتاد الحربي من روسيا فتملقت الصين لروسيا من جهة ومن جهة أخرى لشين دوبن.

وإن هذه الإحتياجات سهلت لروسيا و شين دوبن نشر مبادئها البلشفية في تركستان الشرقية حيث مدت روسيا لشين دوبن يد العون بشكل غير عادى. طبق مثل شعبي عندنا يقول: " غم المعز في روحها وغم الجزار في شحمها".

من هو شين دوبن

شين مانشوري الأصل ولد في منشوريا وترعرع فيها ودرس في المدارس الصينية ثم أتم دراسته في اليابان في الأكاديمية العسكرية. وبعد الحرب العالمية الأولى عمل موظفاً في مكاتب حرب الماركيسي في مانشوريا. وعندما احتل اليابان المنشوريا عام ١٩٣٧ من الميلاد هرب شين من منشوريا إلى داخل الصين وأقام في العاصمة ننجين (آنذاك) وعمل موظفاً في حكومة الصين المركزية. وقدم إلى

تركستان الشرقية عام ١٩٣٩ الميلادي وبعد أن تولى السلطة فيها جين شورين بسنة واحدة. وذلك بسبب علاقته الحميمة مع سكرتير جين شورين جلبه الأخير إلى تركستان توظف في خدمة عسكرية صغيرة ثم ارتفعت خدمته إلى مستشارية عسكرية ثم ترقت إلى مدير لمعهد عسكري هذا ما عرفنا لشين من ترجمته. وأما أعماله في تركستان الشرقية قد ذكرناها فيما سبق غير أننا نذكر حالته السياسية والتاريخية ومناصبه الرسمية في تركستان الشرقية.

تقول روسيا ومن في فلكها من الناس العاديين ومن يتملق لشين دوبن من الصينيين وروسيا يقولون: "إن شين دوبن من حسن حنكته الإدارية ولكونه داهياً فذاً إستطاع أن يقضى على ثورة الإنقلابيين في تركستان الشرقية وبدّل الفوضية إلى الأمن والأمان وفي البلد التي تعد من المتخلفات وجعلها تتجه إلى العلم والمعارف. وارتقت في عهده الشؤون العسكرية والإقتصاد إلى العلاء والحضارة" وكذا وكذا من الدعايات المغرضة وكانت هذه الفعاليات من شين دوبن خدمات إنسانية وبناء على ذلك كافأوه بعنوان (شنك سى سه ى) تعنى بالصينية (الداهية العالمى شنك). ولكن التاريخ لا يقبل الشهادة الكاذبة وإن التاريخ قاض عادل عالمياً. إن دعاوى المغرضين الذين يقولون للنهار ليلاً والأبيض أسوداً وبالعكس يرفضها التاريخ ويكشف كذبه وخيلائه ويلطخهم بالسوء والخيانة وأن شين هذا

عمل جاهداً في منشوريا موطنه الأصلي لبيعها إلى روسيا لا يمكن إنكاره وإنها خيانة تاريخية يعرفها الجميع في العالم. وعندما أتى إلى تركستان الشرقية عمل بأقصى جهده لبيع تركستان وخيراتها إلى الإتحاد السوفيتي ولمنفعته الشخصية ولجيبه الخاص. وبهذا خان بلده وحكومته حكومة الصين المركزية خيانة مزدوجة ، والأمر هذا أو الخيانة تلك مكشوفة في الميدان عالمياً. وثالثاً كان انقلاب تركستان الشرقية ثورة وطنية وقومية ضد الظلم والفقر والجهل والإضطهاد ولنيل الحقوق الإنسانية في أمة تركستان الإسلامية وكانت الثورة التركستانية ثورة الحرية والعدل والإخاء ، فقضى عليها شين دوبن بل جلب إليها فلسفة أشد الناس ظلماً فلسفة الشيوعية الماركسية بعد أن قضى على تلكم الثورة بأسلحة روسية وحكم البلاد بمستشارين الروس وقمع الثوريين بجلاد روسي وليس هذا إلا أن يكون نفسه حاكماً عسكرياً عاماً لمنفعة شخصية. فطمس شين دوبن من أمتها حقوقهم الإنسانية الطبيعية بعد أن باعها بثمن بخس دراههم معدودة والآن يحكمها بنفسه لسنين معدودة. جعل أمتنا مثل كباب مشوي بين النار والدم لأسياده الروس البلشفية والغاية المؤلمة هذه معلومة بين الأمم.

وإن خائناً مثل شين دوبن كان - أن لا يكون - له نظير في العالم كله. فلا يتردد التاريخ أن يمنح له عنواناً يليق به في نذالته

وحقارته فلتكن كلمة (شنك سى سه ى) ، تعنى باللغة الصينية (اللص الفريد في العالم كله) بتبديل الشين زاء من كلمة (شك شه زي) (دنيا أو غرسى) شين وإن هذا العنوان الأخير ينطبق عليه حقاً وحقيقة ولا يستحق شين لكلمة (شك سع سه ى) فليفهم المنصفون.

الخاتمة

هل انتهى الإنقلاب تركستان الشرقية

في جواب هذا السؤال فئة من التركستان الشرقية الذين لا يعرفون روحيات الناس و لم يعلم شيئاً عن حياة جمهور أمتنا والذين لم يعرفوا حريات الأمم في العالم اليوم تقول (انتهى) حيث إنهم لم يروا سلاحاً في يد أهل تركستان الشرقية وبالمقابل يعرفون القوة القاهرة في أيدى الأعداء، أعداء ديننا وشعبنا. وبهذا السبب يرون أن الناس في تركستان الشرقية باتوا ينظرون أقدارهم ورياح التقلبات من أين تأتي ، ولا يأتون بحركة جادة يقولون إن الإنقلاب قد (انتهى) وهذا حكمهم من الأحوال المنظورة أمامهم.

وإن أعداءنا في هذه الأيام (آنذاك) في الثلاثينات يمرون بدعايات مغرضة كلها كذب وبهتان وتصوب حكومته بحد السلاح

وقوته على أمتنا المعزولة ولا يمكن لهذه الحكومة الجائرة أن تسمع مطالب الأهالي في كل منطقة من مناطق تركستان الشرقية. سواء كانت المطالب مطالب اجتماعية أو سياسية وبأي حق من الحقوق الطبيعية لأمتنا وهذا خير دليل على أن حكومة شين دوبن حكومة جائرة غير شرعية من حيث أمة وبلد مسلم.

أضف إلى ذلك وقوع منطقتنا التركستان الشرقية من حيث الجغرافيا بين جبال راسيات من واجهاتها الأربعة وصحارى قاحلة موحشة ولا تحد منطقة تركستان الشرقية بأمة متقدمة حضارياً ولا تحدها بحر. فهذه الحالة الجغرافية الصعبة من عوامل وأسباب سوء حظها العاثر. وزد على ذلك أن منطقة تركستان الشرقية متاخمة لدول عدائية علينا من مثل الصين وروسيا والإنكليز. فهذه العوامل تؤيد الأقوال السابقة بأن انقلاب تركستان الشرقية قد انتهى.

وأما الذين عرفوا وقرأوا تاريخ هذه الأمة المغلوبة على أمرها بالأحساس المتدفقة ، وإن الأمة التركستانية عرفت الظلم وناصبتها العداء وعرفت النضال ورفع السلاح على أعدائها ، وعرفت حلاوة الحرية وثمرة الكفاح. إنها لم تنهزم بالمشاعر والدوافع الإيجابية نحو أعدائهم ولم ينعدم في شبابهم النضال والبسالة. إنهم قوم قد تنال حريتها إن لم يكن اليوم فغداً. فهذه الفئة المنثورة تقول في جواب ذلك السؤال :" إن انقلاب تركستان الشرقية لم تنته ولن تنتهي إلا

بالإستقلال". وإن الفئة الأخيرة في جوابما هذا جازمون وصادقون لا غبار فيه حيث شعب تركستان الشرقية منذ بدء نضالها قبل عشرين عاماً وذلك من عام ١٩٢٠ الميلادي الى عام ١٩٤٠ الميلادي ، ورأت من الشعوب المجاورة وغير المجاورة لذة الحرية والإستقلال وعرفت ما هي الحقوق الشرعية لأناس قبلهم وعلموا ما هي القيادة والمال والإجتماع والبيئة والتلاحم وغيرها من المكونات الطبيعية، وعرفت هذه الأمة ما هو الضرر وما هي الفائدة وإن كل هذه المكونات في صالحهم إذا استمروا في نضالهم وكفاحهم. ولهم في جوابهم هذا تهنئة وصدق وأمانة. وعرف هذه الفئة المتنورة أن أمة تركستان الشرقية أسيرة مغلولة بأغلال ثقال وأنهم محرومون من أبسط حقوقهم الطبيعية وأنهم مظلومون من أبشع أساليب الظلم والإعتداء والإستبداد.

وهذه السلبيات من قبل الدول الإستعمارية مفروضة على كثير من الأمم منها أهالى تركستان الشرقية وأن خيرات بلدهم ومكاسبهم الإجتماعية تسلب وتسكب لجيوب الدول الإستعمارية ، وأهاليها محرومون من تلكم الخيرات وهذه الحقائق يعرفها التركستانيون. ولذلك يسعى التركستانيون من أجل عزتهم ومنعتهم ومن أجل حقوقهم المسلوبة منهم. ويريدون أن يعيشوا مثل الأمم الحرة وينالوا حقوقهم المشروعة وأن ينتشلوا من ورطة الإهانة والذل

والإسترقاق ويريدون أن يعيشون كإنسان له حريته وسيادته على أرضه ولأجل هذه الحريات والسيادة واسترداد الحقوق وأن يذوقوا مذاق خيراتهم وأن يشكلوا في بلدهم حكومة وطنية...وهذه آمالهم وأمنياتهم وسوف يأتيهم اليوم ، يوم إشراقهم بموعده الحاسم.

وإن قوات العدو القاهرة ومظالمهم الدامية ودعواهم الكاذبة ومظاهرهم المزيفة لا تكسر عزيمتهم المقصودة واعتقادهم العميق ليوم خلاصهم من الظلم والإستبداد. بل إن هذه القوات القاهرة للعدو وأكاذيبه المعتادة يزيد في أمتنا أحاسيسهم الوطنية ويزيد في نفرتهم على الأعداء. وسوف تكون عداوتهم لأمتنا دفعاً قوياً نحو استقلالهم وحرياتهم. وإن حرموا أمة ما من حريته وسيادته في أرضه وبلاده وحق سياسته وحقوقه طبيعية وتاريخية تمليها صفحات التاريخ.

وإن الأعداء ومعهم جلادوهم يخونون الشعوب المضطهدة ويخونون الجمهور بواسطة فاقدي الضمير من أفراد هذا الشعب التافهين ، ويضايقونهم تحت سياسات جائرة ويجعلون الناس يخافون من هذه التهديدات. ويخضعون لهذه القوة القاهرة ويعجزونهم أمام تهديداتهم وقتاً من الزمن. ولكن تلكم القوات الإيمانية تظهر بمظهر البركان النار الخامدة ذو هيبة ووقار وقد تثور ، وتثور حقاً ساعتها تدك قلاع الأعداء دكاً دكاً ، تدمرها تدميراً كاملاً لا يعرقل

مسيراتهما. لأنهما تفور من الإيمان بل من أعماق الإيمان وقد يأتي هذا التدمير بقلاع الأعداء رماداً كاسداً.

وهناك حقيقة واحدة من الحقائق التاريخية بأن قوماً كان مستعمراً لدولة ذات قوة وهذا القوم يخمد أنفاسه لمجرد أنه محكوم بل يترقب وقتاً قد تقصر أو تطول وقتاً مناسباً قد تثور فيه لنيل حريته واستقلاله لفك أسره وإن هذا الوقت مصداق قول العربي "مصائب قوم عند قوم فوائد". وإن هذه التخمينات لم تمش تخميناً دائماً وإنما يصير واقعاً وحقيقة ملموسة. إذا تصفحت التاريخ ترى كم من حقيقة وقعت على مر العصور ونالت أمم استقلالها بأقل خسارة وبشيء من الحكمة ومضاء الإرادة وحسن الإدارة.

وكذلك أي دولة أو أمة كان أساسها ظلماً استبداداً على من تحتها من الشعوب لا تدوم بل تنهار بفعل أقل حركة انتقامية أو بأمل هذه أساسية التصحيح. ومثل هذه النكسات التاريخية ونتائجها العكسية حكمة من الله القادر القهار وكم من مثال ترونه في صفحات التاريخ وأنه إرادة الله عز وجل.

وكذلك هناك دول عدوانية الأساس على من تحتها من الأمم تظلم وتجبر وتستبد وتسعى جاهدة على إخراج أمم ما من فطرتها الكونية أو من مذهبها الديني أو المعنوي بأساليب القمع والظلم والإستبداد وبدعوات مضللة فاسدة حتى يصحو الأمم التي تحت

سيطرتها فهناك نتائج عكسية قد يكون بل يكون حقاً وبالأعلى تلكم الدول العدوانية وتتلاشى وتتفكك (مثل الإتحاد السوفيتي).

وهناك في تركستان الشرقية صعوبات عاتية ناتجة من جغرافيتها الصعبة والطبيعية لم تنفك تعاني بلادنا وعانت غداً وبعد غد فهناك نكسات إقليمية. ولو لم تكن هذه الصعوبة الجغرافية لم يكن هناك يد تعبث بالبلاد وبخيراتها وأمتها المتماسكة . ومثال أن أمماً تعيش في الغرب من قارة آسيا تحدها بحار وجعرافيتها متاحة بالخير وقد جنت هذه لأمم بلادها من عداوة الأعداء المتربصين بها أولا بأول. وسلمت بلادهم وعاشوا مستقلين. ونحن الآن في صعوبة جغرافيا الطبعية على بلادنا لا مناص منها من حيث الكياني المنعزل وتبقى المشكلة مشكلة لنا وإلى الأبد.

وأما إذا كان هناك مشكلة أو مشاكل يوجد لها حلول فيمكن القضاء علي المشاكل هذه بقوة وعزيمة الأمة التي عليها هذه المشكلة أو المشاكل. وهذا التحليل يقبله العقل وأي عاقل يعرف ذلك.

وأما إذا كان هناك مشكلة ولكن الأمة التي عليها تلك المشكلة تغاضت عن حل هذه المشكلة ، ربما تفحلت وانتشرت سريانها لأن الأمة تكاسلت وتغافلت وتفرقت و لم تتحد، ولربما يكون

الحل سهلاً فلا يأتي الحل من عندياته وتبقى المشكلة مشكلة ولا تنتهي. وهذا طبيعي أيضاً فيكون السهل صعباً هكذا دواليك .

وإن أجدادنا في تركستان أقامت إمبراطوريات هائلة ذات هيبة ومنيعة ، وحافظوا عليها وعلى استقلال البلاد قروناً عدة وعاشوا معززين ومكرمين يذكرها التاريخ اليوم وغداً وبعد غد. والأغرب من هذا أن صعوبة الجغرافية كانت أيضاً في زمانهم وهم كافحوا وجاهدوا وحافظوا على كيانهم وعلى أمتهم. وإن أي أمة لها عزيزة حب الوطن وحسياتها المتيقظة تسعى جاهدة لخلاصها من مشاكلها لا يمكن أن يعوقها عائق مهما صعبت وتنال هذه الأمة مقاصدها إن عاجلاً أو آجلاً. وتتخطى المنعزلات بهمة وعزيمة وتقهر عدوانها بقوة العضلات والتصدي. وربما هناك معضلات مستعصية تؤخر للأمة نيل مقاصدها ولكن لا يمحيها بل تصل الأمة المجاهدة مقاصدها إن لم يكن اليوم فغداً فهذا طبيعي أيضاً وبشرط أن لا تيأس هذه الأمة ولا تترك أزماتها تتضخم. وإن هذا النصر المبين والمكتوب على جبين هذه الأمة تنير أيامها المستقبلية حتماً. وهذا النصر نتيجة السياسة والتاريخ معاً. وهناك حوادث كثيرة مثلها.

وإن من أبناء تركستان الشرقية من يرى مستقبله ومستقبل أمته وبلاده كثيرون في داخل تركستان وخارجها. وإن وجود مثل هذه الزمرة المتحررة بين أبناء تركستان لعامل مهم ومزيد لاستقلال

تركستان الشرقية. إن أمة تركستان ستنال استقلالها. وتنير جنبات بلادها بمستقبل المشرق. وإن هذه الأمة أمة تركستان المسلمة بعقيدتها السمحة ومشاعرها المتنورة وعزيمتها وبسالتها لكفيلة على أن ينجلى الموقف وسيقام انقلاب ثائر وثورة عارمة بهذه الأساليب والإيمان اليقين من نصرة الله لها.

فمعلوم لديكم أن انقلاب تركستان الشرقية لم تنته حيث أن الحركات المتكاملة قد تقوم بانقلاب كبير ذو فائدة جمة ومكاسب عامة وشاملة فلا يمكن لنا أن نقول أن انقلاب تركستان الشرقية انتهى.

اللهم يا الله -قدس سره- نطلب منك أن ترحم أمتك هذه وعبيدك وتنصرنا نصرة متكاملة وتامة. وأن تلقى بغضبك على أعدائها وأن تهزمهم. إنك مجيب الدعوات والقادر عليه. آمين!

يوم الخميس العاشر من ربيع الأول عام ١٣٥٩ الهجري الموافق ١٨ آبريل من عام ١٩٤٠ من الميلاد مدينة كابل — أفغانستان

....

....

ترجمه محمد قاسم أمين تركستاني بمكة المكرمة وتمت الترجمة يوم ١١ من رمضان ١٤١٩ الهجري الموافق ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٨ وقد استغرقت الترجمة عامين تقريباً.

مطابع بهــادر ☎ ٥٧٧٣٥٧٧


NORTH CENTRAL
INFOCENTER
HEILONGJIANG
NORTHEAST
HEBEI
SHANDONG
HENAN
HUBEI
HUNAN
ZHEJIANG
TAIWAN
SOUTHEAST
SOUTH
A KEY TO ETHNOLINGUISTIC GROUPS IN CHINA